الكتاب الثالث:

دين الرحمن

المدخل إلى الحقيقة



نيازي عز الدين



دين الرحمن

* **دين الرحمن** (الكتاب الثالث: المدخل إلى الحقيقة)
* تأليف: **نيازي عز الدين**

* الطبعة الأولى ١٩٩٨
* التوزيع:

بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

بيروت - ص.ب: ٥٢٦١ - ١٣ - هاتف: ٣٥١٢٩١

الكتاب الثالث:

دين الرحمن

المدخل إلى الحقيقة

نيازي عز الدين



﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم...﴾ - ١٣ الحجرات.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفوَاهِهِم وَيَأبَى اللَّهُ إِلآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَفِرُون * هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُون﴾ - ٣٢ - ٣٣ التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.



الإهـــداء

إلى أبنائي - الأحبة:

حسام

وسام

وئام

وابنتي الغالية

سوسن

أقدم هذا الكتاب

تعويضاً عن معاناة جيلنا، والأجيال التي سبقتنا من أفكار ورثناها من عصور غفوة المسلمين، وفي زعمنا أنها علوم ثمينة، وفاتنا أنها طبعت عقول المسلمين عامة، خلال ألف عام من الزمن بفيض من الأوهام والأباطيل والظنون. أوهام وأباطيل ترسخت عبر الزمن، فتسامق بناؤها حتى أمست قلعة شامخة للجهل، ابتعد فيها المسلمون عن التفكير العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فتحجَّر فكر الأمة، وجمدت في فهم كتاب الله وتدبره عند احاديث مروية عن الرسول الكريم ظُنَّ أنها المرجع والسند لتفسير القرآن، مبتعدين عن مقاصد الله عز وجل في فهم آياته، وعنايته الإلهية بالبشر ومساعدتهم على تدبير شؤون حياتهم، وتنظيم أمور معاشهم، وتمثُّل الغاية من وجودهم على الأرض، مما يتعذر عليهم إدراكه إلا بمساعدة الرحمن، خالق الكون ومبدعه، ومن اجل ذلك الهدف أرسل الله رسله للناس يبلِّغوا ويعلِّموا. إن قصتي مع الإيمان، يا أحبتي، قصة خاصة وفريدة من نوعها، فقد أتيح لي، بفضلٍ من الله ومنَّةً منه، أن أقف على معجزات كتاب الله العديدة، وهي أنه، بالإضافة إلى روعة بيانه وسهولة حفظه، يقوم على لغة مرنة، تصلح لكل زمان ومكان، وتتيح لكل إنسان يعرف العربية أن يفهم

من كتاب الله ما يفي بتبليغه قواعد الإيمان وأسسه دون حاجة منه إلى الاستعانة منه بالمحدّثين أو المفسّرين، وتَبيّن لي أن اعتماد المسلم على كتاب الله، والرجوع إليه دون وسيط، يعصم المسلم من التأثر بوجهات نظر المحدّثين والمفسّرين واجتهاداتهم، وتشعّب مناهجهم، مما قد يبعد المسلم عن صفاء الينبوع، ويشتت انتباهه أو يشغل ذهنه بالعَرَض دون الجوهر، وبالثانوي دون الأساسي، أو يبرّد حرارة البيان الدافق المعجز بالشروح المستفيضة التي تميت الروح وتخمد جذوة التأثر، فتغدو هذه الشروح بديلاً عن الآية المعجزة، وتضع نفسها في كفّة مع البيان الإلهي، وتسدّ على القارىء المتلهّف لكلمة الله منافذ التذوّق، ومَن يعدل ببيان الله كلام البشر ولو كانوا من العلماء؟ ومَن يستعيض به أفكارهم الذاتية؟!.

لقد ضيّقنا رحاب الكلمة المنزلة، وقيدناها بجملة أفكار بشرية استعصمت بالأحاديث النبوية تلتمس منها مرجعيتها وثباتها لتغدو تأطيراً لكتاب الله، ولا تترك لقارئه فسحة لاستلهام الأصل لا الفرع، وهي تعطّل ملكاته التي يجب أن تتفاعل مع النص القرآني بعيداً عن كل تأطير وتأثير.

وقد راجعت كتاب الله مراراً فلم أجد فيه أي نصّ يحثّ على تدوين الأحاديث النبوية أي: كلام الرسول ﷺ ومواقفه وسنته أو اتخاذها مرجعاً لفهمه وتفسيره، ولم أقف فيه إلا على دوره نذيراً ورسولاً للعالمين، اللهم إلّا ما ورد فيه من تكليفه تحديد عدد ركعات الصلاة والحدّ الأدنى للزكاة، وقد تبين لي أنّ الله عز وجل إنما سمح لنبيّه الكريم أن يتولّى بنفسه تحديد ذلك لغرضٍ إلهي سآتي على شرحه، في حين أن مناسك الحج ظلت كما كانت عليه منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

أولادي الأحبة:

أهديكم جهدي المتواضع هذا وأنا أفكر بجيلكم ومستقبلكم، آملاً أن يكون لما ورد في كتابي هذا من أفكار تأثيره الموقظ والمنبّه والمحذّر من خطر مقيم نعيش فيه، ويسبّب لنا مصائب كثيرة، لا نعلم مصدرها، متمنياً أن تتنبّهوا لهذا الخطر أنتم وجيلكم مبكراً، لتتحرروا من تلك القيود التي كانت سبباً في تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً، لتعودوا إلى مضمون القرآن الكريم ومنهج الرحمن فيه، لتنالوا به رضى الله فتربح تجارتكم في الدنيا والآخرة، فيكتب الله سبحانه وتعالى لكم جنتين من نخيل وأعناب، يفجر الله من خلالهما نهراً هو نهر الزمان الذي يفصل بين جنتكم التي على الأرض، وجنتكم

الأخرى التي وعدكم إياها صدقاًوعدلاً في السماء، إذا أنتم وفيتم ما عاهدتم الله عليه من الإيمان به، والتمسك بصراطه المستقيم، والتزام أوامره وتعليماته وحدوده، وعملتم عملاً صالحاً في هذه الحياة الدنيا، وأصلحتم فيها، وعبدتم الله وكأنكم ترونه، طاردين شيطان النفس عن أموركم بإبعاد الوهم والباطل، والتعامل في هذه الحياة الدنيا بالعقل، لأن الإسلام دين العقل والحق والحقائق العلمية، عالمين أن الله لم يخلق أوهاماًوخيالات وظنوناً، بل حقائق كاملة وعلماً وقوانين علمية ورياضية. وأرجو أن يكون هذا الكتاب لكم كبوصلة البحار يعيدكم أبداً إلى القرآن ومنهج الرحمن، فإن بقيتم على ذلك المنهج، تهتدون به في شؤونكم وأمور دنياكم وآخرتكم فلن تضلوا أبداً، واعلموا أن طريق الهداية هو لخيركم ومنفعتكم الدائمة: ﴿فَمَن اهتدى فإنما يَهتدي لنفسهِ ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها..﴾ - ١٠٨ يونس ﴿وَلْتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرونَ بالمعروفِ وينهَوْن عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذينَ تفرَّقوا واختلفوا من بعدِ ما جاءَهم البيّنات، وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ - ١٠٤ - ١٠٥ آل عمران.

ولا يسعني إلا أن أخص بالشكر زوجتي، التي ساهمت معي في تقديم هذا الكتاب للقراء، فيما بذلته من جهد وعناية ورعاية وتشجيع، وما قامت به من جهود ووفّرت لي من ظروف ملائمة للعمل.

وفقنا الله سبحانه وتعالى لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ورفع راية الإسلام شامخة على الدوام بعونه تعالى:

﴿فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصفون﴾ - ١٨ يوسف.

صدق الله العظيم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَاوَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - ٢١ لقمان.

صدق الله العظيم

﴿وَقَالَ الَّذِى ءَامَنَ يَاقَومِ اتَّبِعُونِ أَهدِكُم سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ - ٣٨ غافر.

صدق الله العظيم



المقدمة: المدخل إلى الحقيقة

تمهيد: لقد رمزت لكتابي الأول بالنظرية حيث ذكرت فيه أشياء كثيرة دون أن أعمد إلى البرهان عليها جميعاً، وأغلب أفكار الكتاب كانت من الأفكار المفاجئة للقارىء، الذي لم يتعود سماعها قبل ذلك، بل تعود أن يسمع عكسها. وربما أصبحت عند الكثيرين من المُسلمات التي لاتحتاج إلى نقاش أو جدال، بل صارت من البديهيات، وتلك البديهيات هي من أخطر الأمور على فكر الإنسان. فهي التي تحجر الفكر وتؤطره، أما في الكتاب الثاني فقد حاولت أن أبدأ مع القارىء عملية المناقشة والبرهان على خطأ تلك المبادىء وعدم مطابقتها للواقع ولكتاب الله، خاصة أن كتاب القرآن هو الدليل والشهادة الوحيدة التي بين أيدي كل الناس للعودة إلى سبيل الرحمن من دون ضياع بين النظريات التي ألفها في ديننا الحاقدون أعداء الأمة الإسلامية. علماً أن أسلوب وطريقة فهم كتاب الله من جديد من الأمور الهامة التي ركزت على تبيانها في كتابي الثالث هذا، حتى يجد المسلم الأسلوب واضحاً بيناً لامجال للضياع فيه من جديد.

فهمنا لكتاب الله من جديد مهم حضارياً وتاريخياً وإنسانياً لأن وجودنا كله مرتبط بفهم ذلك الكتاب، إن فهمناه ربحنا الدنيا والآخرة وفهمنا ماهي الأمانة التي حملها الإنسان وما هي مهمته على الأرض في عملية الاستخلاف. وعلمنا أن محوري الاستخلاف من الله قائمان على الإيمان بالله عقلاً والعمل المستند على العلم لبناء جنة الإسلام على الأرض وهي التي تؤهله لنوال جنة الله في الآخرة. والإنسان الذي يفشل على الأرض في تحقيق ذلك يفشل حتماً في تحقيقه أيضاً في الآخرة. وهذا ينطبق على المستوى الفردي والجماعي للإنسان.

لقد رتب الله سبحانه قوانينه وسننه بحيث يستطيع عباد الرحمن إذا شاؤوا أن يكتشفوا أين يقعون في المنحنى البياني من ذلك، هل هم في مجال نعمة الله ورضائه، أم هم في مجال نقمة الله؟

والحكم للواقع الذي لابد أن يظهر على أشكال لها مظاهر كالقوة والاتحاد والعزة والكرامة والغنى والعلم والجاه العريض على أحوال الأمة التي تتوزع على الأفراد كقوة النفس البشرية وشعورها بالقوة والكرامة والسعادة في الدنيا على مستوى الأسرة. أو مثل

مظاهر الضعف والتفرق والذل والهوان والعذاب النفسي والفقر والجهل والمرض من مظاهر نقمة الله التي يمكن أن نراها من أحوال الأمة أو مايمكن أن نلاحظه من ذلك على المستوى الفردي بالنسبة للإنسان المشرك أو الكافر بالله أو باليوم الآخر او الذي يتبع الشياطين وهو يظن أنه يتبع كتاب الله. ولهذا عمدت إلى تسمية كتابي الثاني بالبرهان لأني برهنت فيه للقارىء بالأدلة والبراهين القاطعة وبشهادة آيات الله على تناقض أفكارنا الإسلامية غالباً مع آيات الله وتعاليمه التي في كتابه، ثم عمدت أن أسمي كتابي الثالث وأرمز له (بالمدخل إلى الحقيقة) لأن المسلم سوف يجد الدين الإسلامي الصحيح كما نزل على رسولنا محمد ﷺ في ذلك الكتاب بعد إبعاد كل الأهداف السياسية ومصالح حكام المسلمين الذين تعاقبوا على حكم المسلمين خلال مدة أربعة عشر قرناً.

يجب أن لايفقد المسلم الأمل، فقد أشرك أهل الكتاب من قبلنا، ووقعنا في الإشراك مثلهم، والذي يقرأ القرآن وآياته يكتشف أن من يثق بنيره من الآباء والأجداد يقع في الإشراك بسهولة، فعلى كل إنسان أن يعيد النظر في مفاهيمه من جديد في كل فترة طالما أن الله تعالى قد أعلمنا أنه يفتننا عن ديننا في كل سنة على الأقل مرةً أو مرتين. ولايعيبنا أبداً أن نعترف بخطئنا إن اكتشفنا أننا مخطئون. وقد بينت السبيل للعودة إلى كتاب الله وحده، وأظهرت من خلال التاريخ الإسلامي وعن ماوردنا عن الله وعن الرسول، أن من يتمسك منا بكتاب الله وحده لن يضل السبيل ولن يتوه، وكل من يريد أن يجعل مع القرآن كتاباً آخر علينا أن نُعلمَهُ أنه اختار وسيلة الإشراك بالله، ولا بد أن يعلم أن الشيطان أساليبه شيطانية أي متصفة بالمكر والدهاء وهي تفوت غالباً على عامة الأمة فيخدع بها لذلك لابد من وجود حماة للدين وللعقيدة الصحيحة وللتوحيد وهؤلاء عليهم حراسة الدين ويهمهم مصلحة الأمة. لكن الأمة إذا وقعت في الجهل كما حصل في العصور السلطانية الإسلامية في أواخر الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية فإن حراس الدين يفقدون من المجتمع علما أن كل الطواغيت في الأرض يهمهم دائماً القضاء على هذه الفئة بالذات بعد شراء النفوس الضعيفة من فقهاء الدين من الذين يتعاونون معه مقابل ما ينالونه من جزيل العطاء وقد سميتهم فقهاء وعلماء السوء.

كل أساليب الطواغيت المستعينين بشياطين الإنس من الفقهاء من أجل تحويل الدين من دين سماوي أتى ليكون من مصلحة الأمة إلى دين للطاغوت باسم الله افتراءً وعدواناً يتم عن طريق المبالغة برفع مستوى الرسول بالتدريج إلى المستوى الإلهي وكلما

رفعوه أكثر كان لمصلحة السلطان، وهذا ما حصل في الديانة البوذية حيث تم تأليه بوذا وتم في اليهودية تأليه عزرا وتم في المسيحية تأليه المسيح.

ورسولنا الكريم كان شديد الإنتباه إلى هذا الموضوع والحذر من وقوع المؤمنين فيه، فأمر أصحابه مراراً أن لا يحاولوا من رفعه والإطراء به حتى لا يفعل العامة مثل ما فعل عامة المسيح فكان يقول لهم: (لا تطروني كما أطرى أهل المسيح عيسى ابن مريم) وكان يطلب منهم إذا دخل عليهم وهم جلوس أن لا يقفوا له حتى لا يعظموه بالتدريج فيؤلهه الطاغوت الإسلامي في المستقبل.

ولكن هذا تم فقط خلال الخلافة الراشدة بعدها ساهم السلاطين مع فقهائهم في رفع شأنه وخلق حديث له مع حديث الله وهدي له مع هدي الله وشفاعه له مع شفاعة الله.

ومنحه حق التحليل والتحريم ومنحه حق التشريع المطلق وحق التبديل في الحقوق وفي العقائد وقد برهنت على ذلك كله في كتابي إنذار من السماء وكتاب دين السلطان.

وقد برهنت في الكتاب الثاني أن فئة كبيرة من أهل الكتاب عمدت حقداً وحسداً إلى تشويه ديننا بشتى الوسائل وطالما نحن الأن في الكتاب الثالث لابد من التكلم بصراحة أكبر لتبيان حقائق لم يكن يعلم بها المسلم سابقاً، وهذا ماسأعمد إليه ذاكراً بعض الحقائق القديمة قبل شرح حقائق الدين.

وأول موضوع سوف أتناوله هو:

ماهو الهدف الخفي من وراء الإساءات الكبيرة التي سعى إليها من نسميهم عن طيبة وسذاجة علماء الحديث وهم في حقيقتهم أساءوا إلى الإسلام والمسلمين، بالإساءة أولاً وقبل كل شيء لشخص الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه. فكانت أول وأكبر إساءة مخططة لها من قبل المنافقين من الحاقدين. ولابد للمسلم الذي يريد إعادة بناء تراثه الفكري والعقائدي من التوصل لفهم هذه الحقائق.

وفهم الحقيقة متفاوت بين الناس، مثلاً لو فرضنا أن بناء كبيراً يسكنه آلاف من الناس اكتشف أحد السكان وكان مهندساً للبناء وجود شرخ كبير في أساسات البناء يكبر مع مرور الوقت باستمرار فبدأ ينذر الآخرين، وبادر هو وأهله بإخلاء المكان، فسوف يكون ردود فعل السكان متناسباً مع مستوى قناعاتهم بتلك الحقيقة، يؤمن بعضهم بها ويبادر فوراً إلى ترك المكان إلى مكان آخر، ويتردد البعض الآخر في

الاقتناع، ويقول البعض الثالث ماهذه إلا إشاعات غايتها اخلاء المكان لغاية ما مؤكدين أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. والعقلاء هم الذين يطلبون تشكيل لجنة فنية متخصصة لفحص الأساسات والتأكد من صحة المعلومات وبعدها يتصرفون مباشرة حسب تقرير الخبراء في الموضوع وليس قبل ذلك، وأفضل وسيلة لقطع الشك باليقين هو التأكد من صحة الخبر أولاً ثم التصرف بعد ذلك. والحقيقة التي أبلغُها من خلال كتبي وأقولها للناس جميعاً وأريدهم أن يتأكدوا منها أن الدين الذي نسير عليه شابه كثير من الإقتباسات من كتب أهل الكتاب على أيدي فئة تماثل الفئة التي قتلت عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وتابعت وجودها على المسرح السياسي الحقيقي، مؤثرة على الفكر الإسلامي منذ تلك اللحظات التي توجوها بالانتصار على الحق الذي كان متمثلاً مع أنصار الحق الذين أصبحوا قلة بالتدريج مع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وظلت تلك الفئة الحاقدة متصدرةً للفكر الإسلامي خلال كل العصور الإسلامية بداية بالعصر الأموي ونهاية بالسلطنة العثمانية التي انتهت بالسلطان عبد الحميد أخيراً في القرن العشرين. والله تعالى يشهد على صدق هذا القول من تنبؤ منه نجده في آيتين شاهدتين هما الآية ٦٤ والآية ٦٨ من سورة المائدة.

وأول الحقائق التي أريد تبيانها وذكرها للقارىء حقيقة الصورة التي رسموها لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

إن أهل الكتاب بما يحملونه من كتب ووثائق قديمة يعتقدون أن مستوى صدق النبي، تقاس بمستوى قداسته وطهارته وبعده عن النجاسة. وطالما أن مستوى قداسة النبي تقاس بمستوى طهارته والابتعاد عن النجاسات، أحبوا أن يبرهنوا بالوثائق التي رفعوها لمستوى الوحي الإلهي أن النبي محمد ﷺ هو نبي كاذب لأنه نبي لايميز بين الطهارة والنجاسة كما يجب أن يكون الأنبياء وهذا الذي أقوله من باب الحقيقة هنا لم يكن مجرد فكرة طارئة بل فكرة عملوا على تحقيقها متكافلين متضامنين أياماً وسنين ولكن كيف؟.

أولاً لابد لنا من الرجوع إلى كتب أهل الكتاب القديمة لنرى أهمية الطهارة والنجاسة في موضوع صدق النبوة في اعتقاداتهم القديمة: لنفتح التوراة أو كتاب العهد القديم على سفر اللاويين ونقرأ عن نجاسة طمث المرأة فماذا نجد: (وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من يلمسها يكون نجساً إلى المساء كل ماتنام عليه في

أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً. وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء. وكل من يلمس شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذي تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء. وإن عاشرها رجل وأصابه شيء من طمثها يكون نجساً سبعة أيام، وكل فراش ينام عليه يصبح نجساً. وإذا نزف دم امرأة فترة طويلة في غير أوان طمثها أو استمر الحيض بعد موعده تكون كل أيام نزفها نجسة كما في أثناء طمثها. كل ماتنام عليه في أثناء نزفها يكون نجساً كفراش طمثها، وكل ماتجلس عليه من متاع يكون نجساً كنجاسة طمثها وأي شخص يلمسهن يكون نجساً، فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وإذا برئت من نزفها فلتمكث سبعة أيام ثم تطهر. وفي اليوم الثامن تجيء بيمامتين أو فرخي حمام إلى الكاهن أحدهما ذبيحة خطيئة والآخر محرقة ويكفرُ الكاهن عنها في حضرة الرب من نزف نجاستها. وبهذا تحفظان بني إسرائيل مما ينجسهم لئلا يموتوا في نجاستهم إن دنسوا مسكني الذي في وسطهم). «سفر اللاويين الإصحاح ١٥ من الفقرة ١٩ حتى الفقرة ٣٢ ـ الكتاب المقدس طبع 1988 - LBI».

لقد كانت الخطة أن يثبت أهل الإسرائيليات بالأحاديث التي فرضت علينا على أنها أحاديث نبوية شريفة بأن الرسول محمد كان بعيداً عن القداسة وغارقاً في النجاسة، وحاولوا إثبات ذلك ونجحوا بالافتراءات والكذب بإقناع الأغلبية من أهل الكتاب أن الرسول كان لايتناهى عن كل المنكرات، وحتى يغلقوا الأبواب على كل من يحاول الدفاع عن قداسة الرسول وطهارته واتباع أوامر ربه الواضحة الجلية في كتاب الله والتي لاتحتاج إلى تفسير وتأويل بل معرفة للغة العربية وهي لغة الرسول وقومه:

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ـ ٢٢٢ البقرة.

لكن المنافقين الذين صمموا على تدنيس صورة الرسول الكريم بعد أن وصلوا إلى قمة الزعامة السياسية في الدولة الإسلامية لم يعد عليهم أي شيء صعباً للتحقيق أبداً. لقد شرحت سابقاً كيف استطاعوا إبعاد القرآن عن الناس بحجج مختلفة كلها نجحت مع الأسف الشديد فلم يعد أحد ينظر ماذا في كتاب الله أبداً، بعد أن وضع الفقهاء

الجدد بديلاً للقرآن بين أيديهم وكلها من محرفاتهم وافتراءاتهم وأكاذيبهم، وحتى تكون الحجة بالغة وغير قابلة للرد فقد جعلوا الأحاديث التي تثبت تورط الرسول الكريم بدناسة الحيض متواترة وبشهادة عشرات الأحاديث التي سهروا على افترائها على لسان أفضل الصحابة وأصدقهم حتى يصدق الناس جميعاً صدق مسعاهم. وقد شرحت ذلك كله في الكتاب الثاني ولكني سأكتفي بذكر بعض النماذج من تلك الأحاديث التي نسميها اليوم نحن المسلمين بالأحاديث النبوية الشريفة، لسذاجة الأكثرية وقلة تبصرهم في أمورهم وعدم استخدامهم للعقل والمنطق: أحاديث كثيرة استخدموا فيها اسم عائشة رضي الله عنها لتكون الشاهدة الأولى في عدم تقيد الرسول الكريم بأوامر الله في القداسة والتورط في النجاسة علناً.

وكما شرحت بحسب نصوص كتاب التوراة عند أهل الكتاب فإن مجرد لمس الحائض يعتبر نجاسة، فافتروا الحديث التالي لاثبات ذلك: الحديث ٢٩٥ صحيح البخاري (حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن هشام بن عودة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض). وحتى يثبتوا لنا ولأهل الكتاب من أمثالهم افتروا الحديث التالي: الذي نجده في صحيح البخاري تحت باب (قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض لكتاب الله المقدس) وأيضاً أستخدموا الشاهد لهذه المرة عائشة رضي الله عنها: والحديث ٢٩٧ صحيح البخاري حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَين سمع زهيراً عن منصور بن صفية أن أمه حدثته أن عائشة حدثتها أن النبي ﷺ كان يتكيء في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن.

هذا الحديث بالنسبة لبعض أهل الكتاب كافٍ للإقناع بأن الرسول محمد هو نبي كاذب وليس مرسلاً من قبل الله لثبوت الدناسة عليه والابتعاد عن القداسة. وبالتالي لايمكن أن يكون القرآن من عند الله بل هو كتاب شيطاني. ولم تكن محاولة سلمان رشدي في القرن العشرين المدعومة من أهل الكتاب لتقديم افتراء جديد بكتاب آيات شيطانية إلا محاولة جديدة منهم جميعاً للطعن من جديد في صحة كتاب الله تعالى وقدسيته.

وحديث آخر زعموه عن شهادة عائشة هو الحديث ٢٩٩ صحيح البخاري تحت باب (مباشرة الحائض) حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: (كنت اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب، وكان يأمرني فأتزر

فيباشرني وأنا حائض) والفقرة الأخيرة أُعطيت رقم ٣٠٠ في صحيح البخاري وبهذا الحديث اكتملت شهادات عائشة التي أقرت «بنجاسة» رسولنا محمد ﷺ، فهو بالتالي إذا كانت رواياتهم صحيحة لايمكن أن يكون نبياً صادقاً، وبذلك حَصَّنَ الحاقدون من أهل الكتاب أهليهم وأولادهم من النظر إلى محمد ﷺ، على أنه رسول حقيقي أو صاحب رسالة حقيقية، بل يقولون إنه من الأنبياء الدجالين الكاذبين بدليل عدم تمييزه القداسة الصحيحة، وحتى يكون الحديث متواتراً يجب روايته من أكثر من مصدر، هكذا علَّمنا علماء أهل الكتاب الذين دخلوا إلى الإسلام من أجل تخريبه فقط. أرجو من القارئ الكريم قراءة الآيتين ٦٤ و ٦٨ من سورة المائدة بتمعّن.

وهكذا فإن الحديث ٣٠٢ من صحيح البخاري جاء على تلك الشاكلة: حدثنا إسماعيل بن خليل قال: أخبرنا علي بن مُسهر قال: أخبرنا أبو اسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كانت أحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه؟ تابعه خالد وجرير عن الشيباني. وتتمة الحديث محاولة لرتق الفتق وإصلاح الخطأ الذي يراه المسلم في هذا العمل الذي يقال عن رسوله فيحاول الذين يحاولون إزالة النجاسة فيقولون أن الرسول كان يباشر نساءه فقط إلى الحد لما قبل الإنزال، فهل هذا مقبول شرعاً وكتاب الله وآياته تقول:

﴿... فَاعتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي المَحِيضِ وَلا تَقرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطهُرنَ...﴾ - ٢٢٢ البقرة.

هل معنى تلك الآية، باشروا نساءكم أيها المسلمون في الحيض ولكن يجب أن لاتنزلوا الماء بل تتوقفون قبل ذلك؟. هل تجدون هذا تفسيراً كافياً لشرح الآية الكريمة؟ وحتى لاتكون هذه الأحاديث كلها من قبل زوجة واحدة للرسول وهي عائشة فقد حاول المنافقون استخدام زوجات أخرى للاشتراك في الشهادة.

فطالما هم اتقنوا فن الافتراء قديماً في كتبهم فلماذا لايتقنوه في كتب غيرهم؟ فالحديث ٣٠٣ صحيح البخاري حدثنا أبو النعمان قال:

حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا الشيباني (أبو اسحاق) قال حدثنا عبد الله بن شداد قال:

سمعت ميمونة تقول: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه فاتزرت وهي حائض. رواه سفيان عن الشيباني.

وإذا كانت شهادة زوجتان من زوجات الرسول غير كافية فلا بد من شهادة زوجة ثالثة: فالحديث ٣٢٢ صحيح البخاري حدثنا سعد بن حفص قال: حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب ابنة أبي سلمة حدثته أن أم سلمة قالت: حِضت وأنا مع النبي ﷺ في الخميلة فانسللت فخرجت منها فأخذت ثياب حيضتي فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ «أنفست» قلت نعم. فدعاني فأدخلني معه الخميلة. قالت: حدثتني أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم. وكنت أغتسل وأنا والنبي ﷺ في إناء واحد من الجنابة. وحتى يجعلوا الحديث السابق متواتراً وله أكثر من مصدر حتى لايطعن فيه فأتوا بالحديث ٣٢٣ صحيح البخاري حدثنا معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت: بينما أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميلة حِضتُ، فانسلَلَت فأخذت ثياب حيضتي فقال: أنفست فقلت نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة والإضجاع بحسب لغة التوراة تعني لقاء الرجل مع المرأة جنسياً.

والآن وبعد أن قرأنا نبذة موجزة من مانسميها بالأحاديث النبوية الشريفة في كتاب نؤمن ونعتقد بصدقه وهو كتاب صحيح البخاري الذي نرى أنه لايوازيه كتاب في الأرض صحة ومن أجله هجرنا كتاب الله تعالى، لماذا لانتساءل ونفترض الفرضية التالية:

لنفرض أن كتاب صحيح البخاري وهو كتاب مترجم إلى معظم لغات العالم أمسك به ياباني أو أمريكي، وقرأ تلك الأحاديث النبوية التي قرأناها قبل قليل، ألا يسألنا الياباني أو الأمريكي أو أي إنسان يقرأ هذا الكلام المنافي للذوق العام قبل أن يكون منافياً لأخلاق النبوة: هل كان نبيكم مصاباً بشذوذ جنسي فكان لايحب النساء إلا وهن في الحيض؟. ألا تجدون أن هذا هو أول سؤال سوف يطرح علينا ويضعنا في حرج أمام كل الناس، إن كنا قد توقفنا فعلاً من الحرج أمام أنفسنا؟. هل نصدق كل ذلك عن رسولنا الأمين الذي اشتهر بأمانته حتى قبل أن يكون رسولاً. لنعد إلى تاريخ السيرة النبوية فلابد أن نجد بعض الحقائق التي تؤكد أن رسولنا العظيم لم تكن هذه صورته أبداً فهو من أشرف خلق الله وكما نعلم من قصة السيرة النبوية أنه تزوج أول مرة من خديجة رضي الله عنها وهي في الأربعين من عمرها وكان الرسول في الخامسة والعشرين من العمر. وعاش كل فترة شبابه معها مكتفياً بواحدة

إلى أن توفاها الله، فتزوج من عائشة رضي الله عنها بعد أن تجاوز الخمسين ولا نعلم حقيقة عمرها لأن الروايات متناقضة وأهل الدس من المنافقين غيروا وبدلوا الحقائق كما يشاؤون.

المهم أنه تزوج بعدها أرامل ومطلقات حتى بلغن عنده تسع نساء بحسب السيرة. والرسول الكريم كانت في رقبته رسالة عظيمة ومهمة صعبة في مواجهة المشركين، فقاد تسعة عشر معركة قاتل فيها قوى المشركين في الجزيرة العربية، وتلك المهام كانت تأخذ من وقته وتفكيره وحياته الكثير بالإضافة إلى كونه الحاكم والقاضي والقائد العسكري لأمة المسلمين التي بدأت تتشكل، فلم يعد لديه متسع من الوقت للانغماس في ترف النساء والانصراف لهن تماماً، هذا هو الواقع الحياتي للرسول الذي يفرض نفسه شئنا أم أبينا. ولكن المنافقين يصرون على تشويه صورة الرسول فيصورونه صوراً قبيحة كما يشتهون، صورة الإنسان المهووس جنسياً والذي لم يعد يهمه في هذه الحياة إلا النساء ومباشرتهن ومضاجعتهن، فألفوا مئات الأحاديث لتحقيق تلك الغاية وكلها كاذبة ومفتراة على الله والرسول معاً لأنهم قالوا عنها أنها وحي من السماء أيضاً. يقول الحديث.٢٦٨ من صحيح البخاري تحت باب من دار على نسائه في غسل واحد: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ (أي هل كان من طاقة الرسول أن يفعل ذلك؟) قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلاً. فهل هذا الحديث (الصحيح) حسب صحيح البخاري هو منطق الإسلام وفيه القدوة الصالحة والعلم المطلوب إيصاله في هذا العصر لشباب المسلمين؟ هل هذه هي العلوم التي ستعيد مجد الإسلام؟ هذا هو الدين الذي أنتجه علماؤنا الجدد بعد مقتل عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وهذا مايريد علماؤنا أن نبلغه للناس أجمعين على أنه دين الرحمن للعالمين. وليس للقرآن ذكر في دين الأحاديث حيث يقول العلماء لايمسه إلا المطهرون ولايفهمه إلا العلماء من أمثالهم فلماذا تتعبون أنفسكم؟ نحن نفسر لكم ونشرح لكم دينكم الذي بشر به الرسول محمد ﷺ. وهذه الأحاديث هي النموذج سواء بشروا به كنموذج للحياة الدنيا أو ليكون نموذجاً للحياة الثانية.

إننا نجد هؤلاء العلماء دائماً يبشرون بدين مشوه مكروه. كما هي حال صفات الجنة التي وعد الله المتقين بحسب تصوير علمائنا الجهابذة؟. كنت قد نقلت سابقاً صورة عن

كتاب أحد علماء السنة البارزين وهو الأمام شمس الدين محمد الشهير بابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الإمام المعروف فإذا قرأنا كتابه حادي الأرواح نجد في وصف حياة أهل الجنة (في الصفحة ٢٨٠ ـ ٢٨١ طبع دار الكتاب العربي لعام ١٩٩٤).

قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى (إلى آخر أسماء السند الذي أصبح دليلنا الوحيد على صدق الأحاديث بعد أن استغنينا عن عقولنا إلى الأبد) عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سئل «هل يتناكح أهل الجنة؟ قال بذكر لايمل وشهوة لاتنقطع دحماً دحماً.

ونجد في تفسير دحماً في حاشية الكتاب: (الدحم هو الدفع الشديد وقد تنقطع الشهوة في الدنيا لمرض نازل أو هم مفجع ولكن الجنة متعتها صافية لاتحول فيها). قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى حدثنا... عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل «أيجامع أهل الجنة؟ قال دحماً دحماً ولكن لامني ولا منية» أي لا إنزال ولا موت. وعن عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال نعم والذي بعثني بالحق بذكر لايمل وفرجٍ لايحفى وشهوةٍ لاتنقطع». فأين هذا من الآية الكريمة:

﴿سبح اسمَ ربكَ الأعلى * الذي خلقَ فسوى * والذي قدرَ فهدى * والذي أخرجَ المرعى فجعله غُثاء أحوى * سنُقرِئكَ فلا تنسى﴾ ـ ١ ـ ٦ الأعلى.

وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمر عن عكرمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَصحَابَ الجَنَّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ قال في افتضاض الأبكار. عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿إِنَّ أَصحَابَ الجَنَّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ قال شغلهم إفتضاض العذارى. قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار. قال سليمان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَصحَابَ الجَنَّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ ـ ٥٥ يس.

ماشغلهم؟ قال: افتضاض الأبكار وقال ابن أبي الدنيا عن... عن... عن عكرمة عن ابن عباس (في شغل فاكهون) قال:

(افتضاض العذارى)

حدثنا اسحق بن ابراهيم عن... عن... عن سعيد بن جبير «أن شهوته لتجري في

جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولايلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا إنحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه. وليس في الحديث مستحيل فكل شيء جائز اسمعوا:

قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا أبو سعيد الخدري قال: قيل يارسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال نعم والذي نفسي بيده وماهو إلا كقدر مايتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه، وفي حديث آخر أيضاً عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي فيكون حمله وخصاله وشبابه في ساعة واحدة». (نفس المصدر السابق الصفحة ٢٨٤).

وهكذا فسوف يجد القارىء في ذلك الكتاب أوصافاً لأمور لايعلم بها إلا الله تعالى وهي كلها مازالت في غيبه فنجد العلماء قد تبرعوا بإخبارنا عنها وهماً وتخيلاً وافتراء على الله والرسول.

يكفي أن أذكر العناوين لأن الكتاب كبير ولا طائل من قراءته فالمكتوب من العنوان يعرف:

الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي؟

الباب الرابع عشر: في مفتاح الجنة.

الباب الثالث والعشرون: في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان. الباب الرابع والعشرون: في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم.

باب: في ذكر أول من يقرع باب الجنة.

باب: في ذكر أول الأمم دخولاً للجنة.

باب: في ذكر تربة الجنة وحصبائها ونباتها.

باب: في ذكر غرفها ومقاصيرها وقصورها.

باب: في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها.

باب: في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها.

باب: في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه.

باب: في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم.

باب: في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن.

باب: في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين.

باب: في ذكر نكاح أهل الجنة (الذي تعرضت إليه في الصفحات السابقة).

باب: في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم.

باب: في ذكر زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً.

باب: في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيها لأهلها.

باب: في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى.

باب: في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة.

باب: في ذكر مَلِكُ الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها.

باب: في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها.

وفي نهاية قراءة المسلم لهذا الكتاب إذا سأل نفسه وماذا بقي من غيب الله تعالى ولم يعلمه العلماء بعد؟

سوف يكون الجواب قطعاً بأنه لم يبق سر ولا غيب عند الله إلا وعرفه العلماء.

وإذا عدنا إلى كتاب لله لنتأكد من صحة أقوال علمائنا نفاجأ جميعاً أنهم كلهم يخوضون فيما لايعلمون.

ويتقولون على الله مالا يجوز تقوله. والرسول محمد صلى الله عليه وسلم بريء من كل هؤلاء الأدعياء للعلم، فهو الرسول الأمين الذي بلغ رسالة ربه كاملة ودليل كمال الرسالة جعلها الله برهاناً رياضياً أظهره الله تعالى للناس في هذا العصر. وهو برهان لايقبل الرد أو الرفض برهان بالعدد أن الكتاب كامل لاينقصه حرف ولا يزيده حرف عما نزل وقت نزوله على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم. فهو الرسول الأمين الصادق الذي لم يكذب على ربه بحرف واحد. لن يكذب بعد ذلك ويقول ويتقول على الله مايشاء إن الذي تقول على الله هم الذين أرادوا الإنتقام من الإسلام والمسلمين. تماماً كما تنبأ به الرحمن في القرآن. آن لنا أن نعرف هذه الحقيقة.

نعم لقد نجحوا حتى يومنا هذا في جعل المسلمين يصدقون تحريفاتهم وافتراءاتهم، ولكن آن الأوان للمسلمين حتى يستخدموا عقولهم من جديد ليصحوا من تلك الغفوة الطويلة التي قاربت على ألف وأربعمائة عام ونيف. آن الأوان أن نعيد تلك الكتب إلى أصحابها ونعود إلى كتاب الله الذي هجرناه طوال كل هذه الفترة. فسعادتنا في الدنيا والآخرة مرتبطة بعودتنا إلى كتاب الله، ونبذ كل الكتب الأخرى مهما كانت عزيزة على آبائنا وأجدادنا الذين غدر بهم الأعداء وهم يعتقدون أنهم أحباء وأصدقاء.

علماً أننا لو تفقدنا كتابنا لوجدنا فيه تنبؤاً بما سيفعله بعض أهل الكتاب في ديننا وبما سيتقولونه ويزيدونه على كتابنا. تماماً كما ذكرت للقارئ الكريم منذ البداية:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفراً...﴾ - ٦٤ المائدة.

ونعود إلى الآية التي حاول فيها سفيان الدس وإيهام المسلمين بأن الله يطالبنا بالتوراة وبتطبيقها قبل تطبيق القرآن الكريم والتي لفت نظرنا إليها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه.

﴿...لَسْتُم عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَ الإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ٦٨ المائدة.

مخفياً أول الآية التي تقول ﴿قُل يَا أَهلَ الكِتَابِ...﴾ وحتى لا يعلم المسلم الحقيقة.

ثم بعدها مباشرة يؤكد لنا رب العالمين مرة أخرى أن بعض أهل الكتاب خاصة اليهود منهم سوف يزيدون ويتقولون على الله بأشياء أخرى كثيرة لم ينزلها الله في كتابه:

﴿...وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ طُغيَاناً وَكُفراً فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الكَافِرِين﴾ - ٦٨ المائدة.

وهل بعد شهادة الله شهادة فوقها؟. إن جريمتهم أصبحت مدعومة بشهادة الله تعالى مرتين في القرآن الكريم، ونحن مازلنا لانريد أن نصدق. هذا ولا أريد التوسع في الموضوع مرة أخرى لأني سبق أن تعرضت إلى أغلب هذه القضايا بالتفصيل في كتابي الثاني (دين السلطان). ومن لا يريد أن يصدق أن أغلب مانسير عليه اليوم ونطبقه من معتقدات. هي من معتقدات اليهود فليجلس كلٌّ منا مع نفسه جلسة صفاء خاصة إذا

كان من المسلمين الذين يعيشون في إحدى العواصم الإسلامية الثلاثة أو ماحولها دمشق ـ بغداد ـ استانبول. وليراجع مع نفسه ماهي المحرمات من المآكل عند أهل هذه المدن الإسلامية الثلاثة، ولسوف يفاجأ بأنها تحرم كل محرمات اليهود جميعاً وهي: أكل لحم كل ذي ناب من الحيوانات المفترسة، وأكل كل ذي مخلب من الطيور المفترسة. وأكل الحمير والبغال والخيول. وأكل لحم الجمال إلا على مستوى ضيق جداً.

ونجد أهل السنة وخاصة في تلك المدن لايشجعون الزواج من أرملة أو مطلقة... لماذا؟ مع أننا إذا عدنا للقرآن نجد تشجيعاً من الله والرسول لزواج الأرملة والمطلقة، فالرسول كان قدوة حقيقية في هذا الموضوع، فقد تزوج كل زوجاته من الأرامل والمطلقات ماعدا واحدة هي عائشة رضي الله عنهن جميعاً. ولكن إذا عدنا إلى دين السلطان سوف نفاجأ بأنه يطبق شريعة موسى وليست شريعة محمد رسول الله (ليتزوج من عذراء، لا من أرملة ولا مطلقة ولازانية مدنسة بل يتزوج عذراء من سبطه فلا يدنس نسله بين شعبه لأني أنا الرب الذي أقدسه) «العهد القديم سفر اللاويين ـ الإصحاح ٢١ الفقرة ١٣ ـ ١٥».

وإذا عدنا للقرآن نجد كلام الله الموجه لنساء الرسول يقول:

﴿عسى ربهُ أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾ ٥ التحريم.

فذكر الله تعالى الثيبات قبل الأبكار تفضيلاً منه، وليس في الإسلام ولا في القرآن مايمنع من الزواج من قبل شاب من شباب المسلمين من مطلقة أو أرملة أبداً. بل نجد أن الله تعالى يشجع على الزواج منهن لعلمه أن فرصة الزواج عند الأرملة أو المطلقة أقل من العذراء. فيشجع الزواج منها.

وإذا تخطينا ما ورد في القرآن وعدنا إلى صحيح البخاري ومسلم سوف نجد العكس تماماً أي تشجيع الرسول للزواج من العذارى فقط والنهي عن زواج المطلقات والأرامل، وقد ضربت على هذا الكلام مثلاً وشرحته بالتفصيل في كتاب دين السلطان، وأعود هنا لأذكر حديثاً واحداً من صحيح مسلم للتذكير بأن الرسول يقول على لسان علماء الحديث مايشاؤون لأنه الرسول الخاص بهم والمتحدث بدينهم، أما الرسول الكريم الرسول الذي أرسله الله ليبلغ العالمين كتاب الرحمن فهو رسول آخر وآيات الله وحدها هي التي فيها أحسن الحديث مما نطقه الرسول وحياً من ربه وكل

ماعدا ذلك الكتاب هو مجرد إفتراء لأنه يأتي بعكس ما أتى به القرآن الكريم، وإليكم حديثاً من الأحاديث المفتراة كمثال:

في صحيح مسلم تحت باب (استحباب نكاح البكر) هكذا علناً نجد الحديث رقم ١٤٦٦ ـ المسلسل ٥٨ صحيح مسلم. مايلي: عن جابر بن عبد الله قال: كنا في مسير مع رسول الله ﷺ وأنا على ناضح(*) في حديث طويل يهمنا منه مايلي: وقال لي: «أتزوجت بعد أبيك؟» قلت نعم قال: «ثيباً أم بِكراً؟» قال: قلت: ثيباً قال: «فهلا تزوجت بِكراً تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك وتلاعبها؟».

هذا هو دين السلطان، يسعى إلى هذه الدنيا فقط لا لما بعد ذلك، إلا بالكلام، أما بالفعل فلن تجد له فعلاً. ومن يبحث عن الدين الحق يجب عليه أن يبحث عنه في مكان آخر هجره أغلب المسلمين منذ زمن طويل وهو كتاب الله:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ ـ ٢٨ الفتح.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

(*) البعير الذي ينضح الماء من البئر عن طريق حبل طويل يربط به في نهايته دلو ينزل إلى الماء عن طريق بكرة مثبتة فوق البئر.

الدين والناس عبر التاريخ

كتب كثير من الكتاب والفلاسفة والمفكرين ورجاله الدين عن تاريخ الأديان في العالم. والصفة العامة التي توحد بين كل تلك الكتابات حتى اليوم هي نظرة أولئك الكتاب إلى الأديان بشكل عام وإلى الأنبياء والرسل والمبشرين بالديانات في العالم بشكل خاص نظرة مصلحين إجتماعيين اختاروا الدين وسيله ناجعة من وسائل الإصلاح للمجتمعات، لعلمهم بوجود ميل وتعلق واستعداد طبيعي وفطري لدى الناس بالأديان والغيبيات وقوى ماوراء الطبيعة. فتناولوا الموضوع بشكل عام على أساس الأفكار الأساسية للمعلم الأول أو الفيلسوف أو المصلح أو النبي أو الرسول بحسب الأسم الذي اختاره المصلح لنفسه. فيأتي تلاميذه من بعده ليطوروا أفكاره التي غالباً ماتتحول بالتدريج لمصلحة الحاكم أو السلطان الذي يتولى شؤون الناس الذين كانوا يؤمنون بمبادىء ذلك المصلح أو النبي أو الفيلسوف.

وهذه هي القاعدة التي لم تتبدل مع الزمن إلى يومنا هذا:

أفكار المصلح أو النبي أو الرجل الأول المبشر الأساسي تكون غالباً لمصلحة عامة الناس في الدنيا والآخرة لتصبح على أيدي التابعين وبعونِ ومساعدةِ أصحاب السلطة لمصلحة الحاكم أو السلطان دائماً، وتزول بالتدريج المصلحة العامة التي كانت الأساس والدافع لظهور المصلح أو النبي أصلاً. والنتيجة العامة التي يخرج بها أي قارىء متمعن من كل هذه الكتب هي واحدة دائماً، وتصب في إناء واحد لايختلف مهما اختلفت الأمم واللغات والثقافات كما يلي:

إن الأديان كلها هي من اختراع الإنسان ذاته، حتى ولو كان الله خالق الكون والناسِ موجوداً، فهذا الخالق علي وقديرٌ وكاملٌ يعيش لوحده معتزلاً في عليائه، والكامل ليس بحاجة إلى أي شيء ولن يزيده إيمان الناس به وعبادتهم له شيئاً فطالما كل مخلوقاته فانية وناقصة بشكل عام فالعقل (هكذا تصبح الصورة العامة) لايقبل بحسب منطق تلك الكتب أن يتصل الله الكامل بتلك المخلوقات التافهة والناقصة ليطلب منها العبادة والطاعة التي لاتعني بالنسبة له شيئاً، لكن الإنسان الذي عنده الشعور الدائم بضعفه وبنقصه هو الذي يسعى دائماً للكمال فيبحث عن الله ليكمل

به ذاته الضعيفة والناقصة دائماً.

هذا هو الأسلوب الكلاسيكي لكل تلك الدراسات والكتب، وقد يكون عذرهم الوحيد أنه ليس بين أيديهم أيَّةَ نصوص أو وثائق من كل مكتتبات الأقدمين إبتداء من السومريين ومروراً بحمورابي إلى الفراعنة والهند والصين واليابان إلى اليهودية والمسيحية والإسلام التقليدي الذي سميناه دين السلطان، حيث الأساس فيه للأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ وإن كان البعض يعتبر بأن الصحيحين من أهمها وأصحها ليس لديهم أي دليل مادي يقبل به العقل والمنطق ليكون برهاناً ثابتاً للناس لإثبات اتصال السماء بالأرض إلا مكتتبات جنود السلطان سواء في اليهودية أو في المسيحية أو في الإسلام التقليدي المطبق والمتبع من قبل الناس اليوم على أنه الإسلام.

ليس عند أهل الديانات الثلاث إلا تلك الروايات الشديدة التناقض الموجودة في كتب الأديان السماوية الثلاثة المعتمدة ـ التوراة ـ التلمود ـ الإنجيل ـ (الكتاب المقدس) أو صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكتب الحديث الأخرى لأن القرآن هجره معظم المسلمين. فلم يعد أحد يعمل به إلا من خلال الأحاديث التي يقال عنها صحيحة والتي تنسب للرسول محمد ﷺ والتي برهنت في كتابي الثاني (دين السلطان) بأنها تناقض بعضها أولاً، كما تناقض القرآن الكريم ثانياً، وبالتالي لايمكن للرسول الأمين أن يناقض ما أتى به كرسالة وحياً من ربه للناس كافة. فتلك الروايات الشديدة التناقض والموجودة في كل الأديان السماوية المنقولة عبر قرون طويلة شفاهاً بين الرواة حتى كتبت لتصبح نصوصاً دينية مقدسة بعد ذلك. لايمكن أن تكون دليلاً لشيء أكثر من كونها مجرد ظنون وأوهام. والظن لايمكن أن يكون قاعدة لأي علم صحيح.

﴿...وَإِنَّ الظَّنَّ لايُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئاً﴾ ـ ٢٨ النجم.

وليس هناك أي نص من النصوص المعتمدة والموجودة بين أيدي الناس اليوم والتي تتبع كل معتقدات الناس وأديانهم سواء مانسب منها للأرض أو مانسب منها للسماء، مثل الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل وصحيح البخاري وصحيح مسلم اللذان يعتبران الأساس لفهم القرآن عند معظم مسلمي اليوم.

وكل هذه الكتب ليس لها القدرة الذاتية على أن تثبت وتشهد لنفسها بأنها من عند الله بعد تحريفها حسب مصالح أهل السلطة فأصبحت شديدة الاختلاف والتناقض. وليس في كل العالم اليوم أي كتاب له هذه القدرة الذاتية على الإثبات والبرهان أنه

ليس من قدرة البشر تأليف مثله سواء من حيث النص المكون من أحرف وكلمات أو من حيث المعلومات الموجودة فيه إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم. فهو الكتاب الوحيد الذي إذا أحصينا أحرفه كلماته وآياته وسوره نجدها تلتزم العدد والإحصاء والقانون الإلهي الذي اختاره سبحانه لعدد أحرف أول آية في كتابه العزيز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وقد شرحت كل ذلك في كتابي الأول في بحث الإعجاز العددي في القرآن الكريم. وليس من قدرة البشر اليوم مع الاستعانة بالحاسبات الالكترونية تأليف كتاب في أي موضوع، بحيث يلتزم فيه المؤلف مثل ذلك القانون الرياضي المعقد لدرجة الإعجاز الكامل، بحيث تخضع فيه أحرفه وكلماته وجمله وعباراته ومواضيعه الهامة لقانون عددي رياضي لم يكتشف الإنسان إلى اليوم إلا جانباً بسيطاً منه وهو الرقم تسعة عشر بحيث تتشابك الإحصاءات بعضها مع البعض الآخر بدقة متناهية ومن دون سهو أو خطأ على الإطلاق، لايقدر على التزامه إلا خالق كل شيء العلي القدير. فنجده كالنسيج الحريري الملون الدقيق بخيوطه وبحبكه وتفصيلاته وألوانه المتداخلة ببعضها بشكل متناغم وفني يدعو للدهشة والإعجاب.

وكما أنه ليس من قدرة البشر تأليف كتاب في عصر لم تكن فيه مكتشفات علمية، ولم تكن أسرار كثيرة في الكون والخلق معروفة لأحد بعد بل كلها كانت ماتزال في غيب الله وحده لاشريك له. ثم نجد ذلك الكتاب في القرن العشرين يخبر العلماء في الأرض بأسرار لم يكن في تصور أحد أبداً أن تكون في كتاب قبل ذلك أبداً.

واختار الله تعالى لسبب لايعرفه أحد إلا هو أن تكون أغلب معجزات القرآن غير معلومة ولا مفهومة لكل الناس وقت إنزاله بالوحي على رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بل جعلها تتوضح بالتدريج في القرن الحالي.

وكما أن المقولة التي نجدها في الكتب والتي تتحدث عن تاريخ الأديان مثل:

«ثمة إجماع بين الأديان على أن هناك خطأ في حياة الإنسان دخلها فأفسدها وأفسد نقاءها الأصلي»(*)، وهذه المقولة مستندة إلى الروايات التي نجدها غالباً متناقلة على ألسنة الناس في قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة المحرمة التي كانت سبباً لغضب الله عليهما. هذه القصة وتلك المقولة لها جانبان: فهي من جهة يمكن أعتبارها

(*) عن كتاب الأديان الحية، ص ١٩٩.

صحيحة لأنها تؤكد تعليمات الأديان كما هي متداولة اليوم من بعد تحريفها من قبل رجال دين السلطة كما في اليهودية والمسيحية والإسلام أو غيرها من الأديان التي نقول عنها (غير السماوية) لجهلنا عن أصلها وطريقة تشكلها وتكونها عبر التاريخ مثل: البوذية والزرادشتية والكونفوشية وغيرها من أديان الأرض الأخرى. ومن جهة أخرى يمكن اعتبارها غير صحيحة إذا اعتبرنا القرآن الكريم مصدراً وحيداً للمعلومات وحكماً على تلك المقولات.

ومنه نعلم أن مامن شيء حصل خطأً بالرغم عن إرادة رب القدرة أبداً فكل ماجرى سابقاً وماحصل في الأيام الأولى وما يحصل اليوم وما سيحصل غداً يجري ضمن إذن إله واحد عليم وسع علمه كل شيء. قدير وسعت قدرته كل شيء فما حصل للإنسان حصل بإذن منه سبحانه ولهدف يسعى إليه رب العالمين بعلمه هو ولانعلم من علمه إلا بمقدار ماسمح لنا العلم به.

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان منذ البداية وخلق فيه قدرات لم يخلقها ولم يمنحها لباقي مخلوقاته مثل العقل والقدرة الفكرية، والقدرة على التجريد الفكري مع القدرة على التعلم عن طريق الحواس وعن طريق القراءة والكتابة، والقدرة على الرمز للأشياء بالأسماء من أجل إبداع اللغة كقدرة جديدة على التفاهم ونقل المعلومات وبما أن الله تعالى يعلم أن النسبية ضرورية، فقد خلق الإنسان منذ البداية زوجاً بمفرده وخلق كل ماحوله أزواجاً، وخلق الكون كله من ثنائيات متقابلة أحياناً ومتناقضة أحياناً أخرى فيما تبدو للإنسان، ولكنها في حقيقتها أزواج متقابلة يتشكل التوازن الطبيعي باجتماعها معاً.

فالليل يقابل النهار، والخير يقابل الشر، والحق يقابل الباطل، والعدل يقابل الظلم، واليمين يقابل اليسار، والإحسان تقابله الإساءة، ولولا وجود هذا التقابل وتلك الثنائية في الأشياء لما وجدت النسبية أولاً، ولما استطاع الإنسان أن يفهم الأمور، فكيف يمكن للإنسان أن يفهم النور لولا وجود مايقابله من الظلام؟

وكيف يمكنه أن يميز اللذة إذا لم يكن هناك ألم وهكذا....

وبما أن الله سبحانه ميز الإنسان ورفعه مانحاً إياه مواهب كثيرة حتى أصبح بذاته قادراً على التمييز بين الأشياء إذا منح مع تلك القدرات علماً من الله. وماكانت الرسالات على الأرض فيما سبق من الأيام على أيدي الأنبياء والرسل إلا دورات

تعليمية لشعوب الأرض ليجعلهم أقدر على التمييز بين الحق والباطل والخير والشر والعدل والظلم والإحسان والإساءة والثواب والعقاب، لأنه سبحانه منحهم ميزة لم يمنحها لأحد من مخلوقاته سابقاً وهي ميزة حرية الاختيار. تلك الميزة التي لم يمنحها حتى لملائكته الذين خلقهم الله منذ البداية لايستطيعون إلا فعل الخير، فليس أمامهم اختيار أو حرية لفعل الشر أصلاً. ولذلك ليس أمامهم حساب ليكون لهم ثواب أو عقاب، والأمانة التي حملها الإنسان كما يمكن فهمه من القرآن هي تحمل المسؤولية نتيجة استخدامه لحرية الاختيار. هذه المسؤولية لم يتحملها مخلوق سواه.

فلولا وجود السبيلين لما كان للحرية معنى أو للاختيار، فإذا لم يوجد أمام الإنسان أو المخلوق سوى خيار واحد فليس له حرية، لذلك قلت أن الملائكة غير مخيرة لأنه ليس لها القدرة أو المشيئة على فعل الشر أبداً.

وبينما نجد الإنسان على الأرض دائماً بين الثنائيات وهو مخير دائماً بينها، نجد حتى المخلوقات الأرضية الأخرى مثل الحيوانات من المستأنسة منها أو المتوحشة، والحشرات النافعة منها أو الضارة، والحيوانات المائية على اختلاف أنواعها كلها، ملزمة بأن تفعل أفعالها وهي منقادة لما خلقت له مما نسميه اليوم غريزتها أو فطرتها الأولى كما برمجها الله، إذا استخدمنا لغة العصر بعد انتشار الكمبيوتر في العالم كأداة للمعلومات والحساب.

إن كل الدقة والنظام اللذين نشاهدهما في حياة النحل ليس فيها تفكير ولا حرية ذاتية للاختيار، وإنما الكل يقوم بما أمر به بحسب ذلك البرنامج الإلهي الذي سبق وجهز به أصلاً. فلا يمكن أن نقول أن ماتفعله النحلة من جني العسل أو مايفعله النمر بقتل غزال جميل وأكله خيراً أو شراً، فالنمور عليها أن تفعل ذلك كما أن على النحل أن يجني العسل من رحيق الأزاهير، فما يحرك كل تلك المخلوقات هو غريزتها وليست القوانين الأخلاقية.

فالأخلاق مرتبطة بالإنسان وبوجوده، فلولا وجود الإنسان أصلاً لما كان لكلمتي الخير والشر أو الحلال والحرام معنى أصلاً. وكما لم يكن من مبرر لوجود كلمات مثل: الضمير والحق والواجب أو الباطل، العدل أو الظلم. الإيمان أو الكفر، التقوى أو الإشراك بالله، الإحسان أو الإساءة، الثواب أو العقاب هذه الكلمات التي عرفها آدم وعجز عنها الملائكة.

وقد شرحت في كتابي الثاني كيف لم يعجب السلاطين منح تلك الحرية للإنسان. لذلك إذا عدنا إلى قصص القرآن كله، لوجدنا أن القصة تتكرر دائماً دون أن نستطيع كبشر تمييز فرق كبير بين ماحصل لنوح وقومه مع ماحصل لموسى وقومه، لأننا لاحظنا أن كل الرسل على الإطلاق كُذِّبوا من قبل فئة محددة يسميها الله في القرآن (بالملأ)، وهي الفئة الغنية التي تتمتع فوق غناها بالجاه والقوة والنفوذ والسلطة معاً، وغالباً ماتتبعها الشعوب وتنقاد لها، وتلك الفئة تقوم دائماً بظلم الفئة الكبيرة الأخرى التي نسميها الشعب، وأرسل الله سبحانه وتعالى الرسالات كلها لمصلحة الأكثرية وليس من أجل الأقلية المتنعمة والمتنفذة. لكن بعد وفاة الرسل وزوال أثرهم الشخصي كانت تعود الأقلية المتنفذة دائماً بتحريف النصوص الإلهية لمصلحة تلك الأقلية مرة أخرى، وتزيل من الكتاب كل الأمور التي كانت تتحدث عن مصلحة الأكثرية واحدة بعد أخرى.

وليس من كتاب أنزل من السماء وعجز الملأ عن تبديله سوى كتاب واحد شاء الله أن يحفظه بقدرته من أيدي العابثين، فتحولوا عنه وألفوا في مجال آخر آلاف الكتب المحرفة، وآلاف الافتراءات التي عرضت نماذج منها من مختارات صحيحي البخاري ومسلم في كتابي (دين السلطان) مبرهناً تناقضها مع آيات الله تناقضاً صريحاً لايحتاج إلى خبرة كبيرة لكشفه أبداً وسوف أعدد بعضها في هذا الكتاب للتذكير.

عاد المسلمون مثل غيرهم من الأمم بعد وفاة رسولهم إلى مايحصل عادة مع كل الشعوب بعودة الأمور لمصلحة أصحاب النفوذ مرة أخرى، والتي يرمز لزعامتها بالطاغوت في القرآن. وعودة الناس قطيعاً لاخيار لهم ولاحرية، يفعلون ما يأمر به الطاغوت الذي هو فرعون أو الملك أو قيصر أو كسرى أو السلطان. وينفذون رغباته من دون القدرة حتى على المناقشة معه فيها.

لكن شاء الله تعالى أن يحفظ كتابه القرآن من عبث كل الشياطين إلى اليوم، وشاء سبحانه أن يؤكد معجزات كتابه العلمية في القرن العشرين، القرن الذي عرف بقرن العلم وانتشار القراءة والكتابة والكتب بين جميع الناس، ولم يعد العلم محصوراً على فئة دون فئات أخرى كما كان سابقاً. واليوم يستطيع كل إنسان أن يكون حكماً لنفسه إذا شاء وفهم كتاب الله من جديد عندها لن يستطيع الطاغوت أن يسلب حقه الشرعي أبداً. ولن تستطيع قوة مهما عظمت أن تحكم فئة صغيرة آمنت بحريتها وبحقها في

الحرية كما تشاهدون بأعينكم فيما يحصل على الأرض بين ثوار الشيشان من جهة ودولة روسيا العظمى من جهة أخرى.

فلا يخيف مسلمي الشيشان المطالبين بحريتهم كل قنابل روسيا وقوتها المدمرة. هذا مايريد الله تعالى أن يفهمه الناس وأن يؤمنوا بالله الواحد الأحد. وبكتاب القرآن، ثم السير بموجبه والتمسك بحقوقه الإلهية فلا يفرط في شيء منها أبداً.

لقد كان هدف الطاغوت الأول الابقاء على كل شعبه رعية أو قطيعاً، ولينصب نفسه راعياً مسؤولاً عن القطيع، مع إبقاء الجهل عاماً بين الناس والاستمرار على إبعادهم عن مصادر النور والعلم والحق ومن أهمها كتاب القرآن، مقلصاً حرية الإنسان إلى أضيق حد ممكن. وجعلها محصورة في فئة الرعيان من أصحاب المال والنفوذ مع من تعاون معهم واتبعهم من جنود أوفياء، باعوا آخرتهم بدنياهم وأصبحوا يقولون بعكس ماأمر الله به، ويعرفون ويحرفون ويظلمون ولايبالون، طالما يحصلون على مايرغبون من متاع الدنيا. ومن دراسة تاريخ الأديان لايمكن أن نحصل على صورة صحيحة إلا عن دين الطواغيت الذي أنشأه وبناه كل طاغوت بالاستناد إلى رغباته مع رغبات أصحاب القوة والمال والجاه والنفوذ الذين أصبحوا بالتدريج أصحاب القطيع كله، والمالكين لأرض الرعي وثرواته الطبيعية، وأصحاب المصلحة الحقيقية من الأمة عادوا فأدرجوهم في قائمة القطيع وقالوا لهم هكذا كتب الله لكم وعليكم. وسوف أتناول المواضيع الدينية في هذا الكتاب انطلاقاً من حقيقة موجودة وإن أنكرها الآخرون أو لم ينتبهوا لأهميتها وهي:

ليس في كل التراث الإنساني الموجود حالياً بين أيدي الناس أي كتاب أو نص يقال عنه أنه نص مباشر من الله سبحانه وتعالى، وله القدرة الذاتية على البرهان بأسلوبين مختلفين أحدهما الأسلوب الرياضي العددي المستند إلى الأرقام المجردة وهو ماشرحته في الإعجاز العددي للقرآن والآخر هو وجود آيات قرآنية كثيرة تنبيء عن أسرار كثيرة في العلوم والخلق والكون بدأ باكتشافها علماء حقيقيون ظهروا في الفترة الأخيرة من القرن الحالي. وكلا الإعجازين يبرهنان لكل الناس في الأرض، أن هذا الكتاب ليس من قدرة البشر ولا من تأليفهم ولا من [illegible] ولا من معلوماتهم.

﴿قُل لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لايَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيراً﴾ - ٨٨ الأسراء.

من المعلوم أن التوراة وباقي كتب أهل الكتاب كلها كالتلمود والأناجيل، التي كانت تروى منذ البداية مشافهة ولم تكتب إلا بعد مرور عشرات عديدة من السنين، أي أن النص الأصلي قد ضاع بسبب صفة من صفات الإنسان الدائمة وهي النسيان، وقد كتب المؤرخ الأمريكي (ويل ديورانت ـ في قصة الحضارة) قائلاً: (إن كهنة بني إسرائيل هالهم كفر شعبهم وعبادتهم آلهة متعددة وانصرافهم عن عبادة (يهوه) أو (رب الجنود) إله بني إسرائيل فأبلغ الكاهن (خلقيا) ملك بني اسرائيل (يوشيا) أنه وجد في ملفات الهيكل ملفاً عجيباً قضى فيه موسى نفسه في جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثار للجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة فدعا يوشيا كبارهم إلى الهيكل وتلى عليهم سفر الشريعة المعثور عليها في حضرة الآلاف من الشعب، ثم أقسم ليطيعن من هذا الوقت ما جاء في هذا السفر).

ويقدر ويل ديورانت بعد ذلك، أن هذا السفر المعثور عليه لايعلم أحد ماهو؟ (إن اليهود بعد عودتهم إلى فلسطين من نفي بابل كانوا يشعرون أنهم في حاجة ماسة إلى نوع من الإدارة يهيء لهم الوحدة القومية والنظام، فشرع الكهنة في وضع قواعد حكم ديني يقوم على المأثور من أقوال الكهنة القدماء وعلى أوامر الله: فدعا عذرا وهو كاهنٌ عالمٌ لليهود إلى اجتماع عام خطير. وقد أخذ يقرأ عليهم هو وسبعة من الكهان سفر شريعة موسى من مطلع النهار إلى منتصفه ولما فرغوا من قراءته أقسم الكهان والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم إلى أبد الآبدين). ثم يتساءل ديورانت بعد أن عرض الطريقتين هل السفر الذي قرأه عزرا وزملاؤه هو نفس السفر الذي قرأه يوشيا في الحالة الأولى؟ ويجيب بالقطع ليس هو. لأن سفر يوشيا قد صرحت الرواية أنه قرىء على الكهنة في اليوم مرتين كاملتين، بينما سفر عزرا قرأه ثمانية كهان في أسبوع مرة واحدة فسفر يوشيا إذن قصير جداً، وسفر عزرا طويل جداً).

هذا هو مولد التوراة وكيفية ولادتها كما يروي ويل ديورانت الذي يقول بعد ذلك (وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا هي المحور الذي تدور عليه حياة اليهود)(*).

(*) عن كتاب الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، للدكتور عبد العظيم المطعني، طبع ١٩٨٧ دار الوفاء، المنصورة، مصر العربية، الصفحة ٤٤ ـ ٤٥.

والكلام السابق الذي رأيناه من ويل ديورانت عن التوراة ينطبق على كل الأناجيل الأربعة المعتمدة اليوم والتي تعتبر من روايات تلاميذ الرسول عيسى عليه السلام، التي كتبت بعد مرور أوقات مختلفة وإن كان الأتقياء المسيحيين يؤمنون بأن الله تعالى قد جعلهم بقدرة خاصة منه يتذكرون الحقائق دون الأوهام والظنون من أقوال السيد المسيح حرفياً فكتبوها بأمانة وإخلاص.

لكن الأمانة والإخلاص وحدهما غير كافيان للبرهان عقلاً بان ماهو مكتوب في تلك الكتب هو بالحرف ماقاله وما أوحاه الله للسيد المسيح عليه السلام، والدليل موجود في الأناجيل المقدسة نفسها. فما هومكتوب في إنجيل متى مثلاً لايطابق ماكتبه مرقس في إنجيله ولايطابق ماكتبه لوقا في إنجيله ولا يطابق أيضاً ماكتبه يوحنا في إنجيله، ويمكن أن نقول ماقلناه في إنجيل متى كذلك عن إنجيل مرقس أو إنجيل لوقا أو إنجيل يوحنا كل على حده.

قلت منذ البداية بأن القرآن الكريم كتاب كامل لاينقص حرفاً ولايزيد حرفاً عما نزل به على رسولنا محمد ﷺ. ولكن هذا القول وحده لاوزن له من الناحية العلمية والبرهانية. فما هو الدليل العلمي على صحة هذا الكلام عن القرآن؟

إن الله سبحانه وتعالى جعل لآخر نص أرسله للبشر ليبقى كتاباً دائماً ومرجعاً ثابتاً ودستوراً مقدساً للإنسان على الأرض، بعد أن أوقف سيل الرسل والأنبياء بحيث جعل في نفس النص مايثبت بذاته أنه من صنع الله ومن تأليفه وليس من تأليف البشر. كما في باقي الكتب الأخرى وإن كان لها أصلاً سماوياً، فالأصل السماوي لم يحفظه الناس ولم يساهم الله بحفظه بالقوة لسر لايعلمه إلا هو. أما كتاب القرآن فدليل حفظه من الله مازال موجوداً في نص القرآن وأحرفه وكلماته وآياته وسوره نفسها:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ الحجر.

فجعل الله تعالى كما قلنا لكتابه شاهدين علميين لايمكن عقلاً أن يرفضهما أحد خاصة إذا كان له علم وإلمام بالعلوم الرياضية الحسابية والعلوم الكونية الطبيعية ووجود هذين البرهانين في كتاب الله هو مايفسر كل التحديات التي وردت في القرآن الكريم مثل:

﴿قُل لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لَايَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيراً﴾ - ٨٨ الإسراء.

فالله سبحانه يعلم ماذا يحتوي القرآن لكن البشر يجهلون ذلك، فلم يكونوا أصلاً يعلمون بوجود أي إعجاز في القرآن. عندنا مثلاً الرقم الذي ورد في سورة الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهفِهِم ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازدَادُوا تِسعاً﴾ ـ ٢٥ الكهف. وقد شرحت هذا الموضوع في كتابي الثاني. وأعيد بعضه للتذكير باختصار:

كل ٣٠٠ سنة ميلادية تساوي ٣٠٩ سنوات هجرية فإذا ضربنا الرقم ٣٠٠ بعدد أيام السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤ وقسمنا الناتج على ٣٠٩ نحصل على الرقم ٣٥٤,٦٠ الذي هو طول السنة القمرية والفرق السنوي ١٠,٦٤ يوم بين السنة الشمسية والسنة الميلادية.

إن أهل الكتاب (اليهود) أيضاً أشهرهم قمرية لكنهم يضيفون لكل ٣٢ شهراً قمرياً شهراً إضافياً، من أجل المطابقة بين السنين القمرية مع الشمسية، وهذه المطابقة ضرورية جداً من أجل الأشهر الحرم الأربعة في كل سنة، ونحن نعلم أن الله سبحانه قد حرم في تلك الأشهر الصيد لعلمه أن الحيوانات تتوالد من كل عام في تلك الأشهر وتعتني فيها بتربية صغارها حتى تعتمد على نفسها. كما أن مطابقة الأشهر الشمسية مع القمرية ضروري أيضاً من أجل المواسم الزراعية التي تتطابق مع السنة الشمسية، وهذا ضروري من أجل الفلاحين ومواسم الزرع والحصاد ومواسم الصيف والشتاء مع فتح الأسواق وإغلاقها.

وكانت الأشهر الحرم الأربعة من ضمن أعراف الناس في الجاهلية قبل الإسلام فكانوا أيضاً يحرمون فيها الصيد والقتال، والمسلمون في عصر الرسول أيضاً كانوا يعرفون بوجوب مطابقة السنة الشمسية مع السنة القمرية من تجاربهم السابقة قبل الإسلام، بدليل أن القرآن الكريم لم يتعرض لهذا الموضوع، وإنما تعرض للشهر النسيء الذي ظهر في الجاهلية. وهو أن بعض الناس صاروا يحرمون الأشهر الحرم الأربعة عاماً ويحللونها عاماً فقال لهم منعاً لذلك:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُم سُوءُ أَعمَالِهِم وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ﴾ ـ ٣٧ التوبة.

(راجع بحث الأشهر الحرم والتقويم الإسلامي في هذا الكتاب)(*).

(*) شرحت هذا الموصوع في بحث خاص من هذا الكتاب اسمه السنة الهجرية والأشهر الحرم.

كذلك كل الآيات التي وردت فيها أنباء عن أمور علمية لم تكن معلومة وقت نزول الآيات لدى الناس، إنما عرفت حديثاً بعد تطور العلوم وظهور المكتشفات العلمية.

فتبين للناس أن كل تلك الآيات التي أولها الأقدمون تأويلات طفولية وساذجة تحكي عن أسرار علمية حقيقية، وبدأ الناس يقتنعون بالتدريج أن القرآن ليس بكتاب من صنع البشر كما كانوا يتوهمون ويظنون سابقاً، بل هو كتاب سماوي، وكل مافيه لم يكن ضمن مجال علوم الإنسان وقت نزوله في القرن السابع الميلادي. ويمكن اعتبار القرن العشرين هو القرن الأول الذي بدأ الناس يعرفون فيه المعنى الحقيقي لتلك الآيات القرآنية، التي كان المسلمون الأوائل لايسألون عن معناها أو تأويلها لأن الله سبحانه قد نبه إليها بأنه سوف يأتيهم خبرها بعد حين، ومن هذه الأنباء العلمية مثلاً:

آيات انزال الماء من السماء واسكانه في الأرض بقدر محسوب:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً بِقَدرٍ فَأَسكَنَّاهُ فِى الأَرضِ...﴾ - ١٨ المؤمنون.

آيات انزال الحديد من السماء لأن الحديد ليس من عناصر الأرض أصلاً:

﴿...وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ...﴾ - ٢٥ الحديد

آيات الجنين والخلق والتطور:

﴿وَلَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلنَاهُ نُطفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقنَا العَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقنَا المُضغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ﴾ - ١٢ - ١٤ المؤمنون.

زوجية الخلق حتى للاشياء:

﴿وَمِن كُلِّ شَىءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ - ٤٩ الذاريات.

كروية الأرض وكون الجبال مثبتات للقشرة الأرضية:

﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ...﴾ - ٣ الرعد

﴿وَالأَرضَ مَدَدنَاهَا وَأَلقَينَا فِيهَا رَوَاسِىَ...﴾ - ١٩ الحجر.

تكلمت عن هذا الموضوع في كتابي الأول واستشهدت بمقال للاستاذ محمد متولي الشعراوي كيف برهن أن الأرض حتى تكون كروية يجب أن تكون ممددة، بحيث أننا أينما أخترنا على سطح الأرض من مكان تبدو لنا الأرض ممدودة أمامنا في جميع الاتجاهات، وهذا لايمكن أن يكون صحيحاً إلا في حالة واحدة وهي أن يكون شكل

الأرض كروياً. أما في حال كون شكل الأرض من أحد الأشكال الهندسية الأخرى كالمربع والمثلث أو المستطيل إلى آخر الأشكال لابد أن نصل إلى طرف الشكل حيث ينتهي امتداد الأرض فيه.

أما بالنسبة للرواسي التي هي الجبال فقد اكتشف علماء الجيولوجيا أنها فعلاً تقوم بوظيفة الأوتاد أو الرواسي التي تستخدمها السفن. وراسية السفينة تلقى عادة في سائل هو البحر، ومن من الناس كان يعلم أن الجبال أيضاً تنغرس في سائل ناري داخل الأرض مثل راسية السفينة وقت نزول القرآن؟ إن مجرد القول بهذا الكلام كان كافياً حتى يحكم الناس على قائلها بأنه حتماً قد فقد عقله واتزانه تماماً. بينما علماء الجيولوجيا يقولون لولا الجبال وتثبيتها للقشرة الأرضية لكانت الأرض قد تعرضت لزلازل هائلة أقوى آلاف المرات من الزلازل الحالية بحيث يتعذر الحياة للأحياء على سطح الكرة الأرضية. ومن المعلوم أن سطح الكرة الأرضية والقسم اليابس من القشرة الأرضية رقيقة نسبياً، والجبال تنغرس عادة في السائل الناري بثلاث إلى أربع أضعاف إرتفاع الجبل على الأرض، والآيات التي فيها أنباء علمية أكثر من أن تحصى في القرآن الكريم، وقد ذكرت عدداً، وافياً منها في الكتابين الأول والثاني ولسوف أذكرها كلها إنشاء الله تعالى في كتابي الرابع (اسرار القرآن).

المهم أننا علمنا أن القرآن كتاب ليس من طاقة البشر في كل ماورد فيه، والآن بعد أن علمنا وجود كتاب واحد في العالم كله ليس من تأليف البشر وإنما من تأليف رب العالمين وحده يمكن أن ننتقل للفقرة التالية:

ماهي نظرة كتاب الله الذي هو القرآن لكل الديانات القديمة؟

﴿وَلَقَد أَرسَلنَا رُسُلاً مِّن قَبلِكَ مِنهُم مَّن قَصَصنَا عَلَيكَ وَمِنهُم مَّن لَم نَقصُص عَلَيكَ...﴾ - ٧٨ غافر.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُم قُضِيَ بَينَهُم...﴾ - ٤٧ يونس.

﴿وَلَقَد بَعَثنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ...﴾ - ٣٦ النحل.

ونصوص القرآن تثبت بأن الله الواحد الأحد لايمكن أن يدعو إلا إلى دين واحد لكل الناس على الأرض وهو الإسلام. وقد أرسل منذ البداية رسلاً مبشرين ومنذرين إلى كل الأمم بدون استثناء حتى لايكون هناك عذر لأية أمة بأن تقول أين رسولنا؟

وعلينا أن نتعرف من خلال النصوص القديمة الباقية على الرسل والأنبياء الحقيقيين

الذين أتاهم من عنده برسالات من السماء من نفس مصدر النور والحق، وطالما عندنا نصوص القرآن سليمة بين أيدينا فبإمكاننا المقارنة والقياس حتى نعلم ماهي تلك النصوص التي بقيت صحيحة حتى الآن، وماهي التي انحرفت وأين حصل الانحراف بتوجيه نابع أساسه من مصلحة أصحاب السلطة عبر التاريخ الطويل.

علماً بأن الله سبحانه يعلمنا عن تصرف فئة من الناس في جميع الأمم على الطريقة نفسها: وهي الفئة الغنية المترفة من الأمم:

﴿وَمَا أَرسَلنَا فِى قَريَةٍ مِّن نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ٣٤ سبأ.

أو قالوا:

﴿وَكَذَلِكَ مَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِى قَريَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى ءَاثَارِهِم مُّقتَدُونَ﴾ - ٢٣ - الزخرف.

مع أن الرسل نبهوهم على مواقفهم الخاطئة أساساً فكفروا بها استكباراً:

﴿قَالَ أَوَلَو جِئتُكُم بِأَهدَى مِمَّا وَجَدتُّم عَلَيهِ ءَابَآءَكُم قَالُوا إِنَّا بِمَآ أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ٢٤ الزخرف.

إن بعض كتب تاريخ الأديان تقول: إن قصة الطوفان (طوفان نوح) قصة سومرية الأصل، كانت نتيجة الفيضانات في بلاد مابين النهرين، تبناها العبرانيون في كتبهم، وأخذها محمد ﷺ وأنزلها في قرآنه الذي ألفه بمساعدة الراهب بحيرة. هكذا يتخيل كتاب التاريخ الموضوع تأليفاً بشرياً كاملاً لأنهم لايستطيعون رؤية قدرة السماء في هذا الموضوع.

بينما إذا أخذنا بنصوص القرآن لثبت لدينا بأن الله قد أخبر الأنبياء السومريين أيضاً بقصة الطوفان في كتبهم لأنها قصة حقيقية، نقرأها في نصوصهم المتبقية، مثل ملحمة جلجامش بعد أن خلط الرواة الخيال مع الحقيقة فتحولت الى أسطورة تقول:

بأن الآلهة التي غضبت على الإنسان وأفعاله قررت معاقبته بالطوفان الذي أحدثته نتيجة غزارة الأمطار، ولكنها (أي الآلهة) أخفت هذا الموضوع عن كل البشر الآثمين إلا عن شخص صالح واحد، أمرته أن يبني فلكاً كبيراً حمل عليه أهله مع عدد من أمهر الصناع مع بعض رؤوس الماشية، وبعد الطوفان تحول الناس بقدرة الآلهة إلى فخار وبعد هدوء العاصفة وانحسار المياه وسكون البحار فتح الرجل الصالح نافذته من سفينته وأرسل حمامة عادت إليه عندما لم تجد أرضاً تقف عليها، ولكنه عندما أرسل غراباً لم

يرجع فعرف عندها أنه قد بات قريباً من اليابسة، فقدم القرابين والذبائح شكراً للآلهة على إنقاذهم وإيصالهم بالسلامة. حتى هنا القصة لازالت معقولة لكن الناس أشركوا مع الله آلهة أخرى.

وعندما نعود إلى حمورابي في عصر البابليين نجد عنده شرائع تطابق شرائع السماء نسميها شرائع أو شريعة حمورابي، ولأننا لانؤمن أو نعتقد بإمكانية اتصال الله بحمورابي ليكون رسول قومه ليبلغهم شرائع الله ويعممها على الناس بالتبليغ لا نصدق أن يكون ما كان عندهم قد أتى من عند الله.

وإذا انتقلنا إلى حضارة مصر والمصريين القدماء. نجد عندهم فكرة خلود الروح (النفس) فاعتقدوا بعد ذلك أن الروح بحاجة إلى ذات الجسد حتى يعود للحياة مرة أخرى، فحنطوا الأموات وحفظوها بعيداً عن أماكن اللصوص في داخل الجبال الطبيعية، عندما كانت عاصمتهم في الأقصر (طيبة) وبعد أن انتقل الفراعنة إلى (هليو بوليس) قرب القاهرة اليوم بنوا جبالاً من الصخور (الإهرامات) لموتاهم في منطقة الجيزة.

طبعاً كان ذلك من أجل فرعون نفسه وليس من أجل الشعب. كما نجد فكرة الميزان والثواب والعقاب لازالت عندهم مع التحريفات الإضافية التي زادها كهنة فرعون، فقالوا بأن الأرواح ترتع في مملكة أوزيرس وهي تشبه الجنة حسب وصف الحديث الشريف عند المسلمين، حيث يعيش الذين ماتوا في سعادة متمتعين بظلال الأشجار ويلهون مع الزوجة الحبيبة، ويقطفون الثمار بينما العبيد يفلحون ويزرعون ويجنون الثمار. (أي أن من كان عبداً في الدنيا يعود ليخلق عبداً في الآخرة أيضاً ليمارس نفس أنواع النشاطات التي كان يمارسها في الحياة الدنيا). والأرواح الخاطئة أو الشريرة تعاقب حرقاً بنار الجحيم (وهي في قبورها)، (منشأ فكرة عذاب القبر) وقاضي الموتى وهو أوزيريس نفسه حيث يأتي أنوبيس حارس القبور حاملاً على ظهره الروح إلى محكمة الحق أمام أوزيريس، حيث تسرد أفعاله خلال التصاقها بالجسد، ثم يضع أنوبيس قلب الإنسان في الميزان فإذا مالت مع الخير أحيلت الروح إلى مملكة أوزيريس (الجنة) وإذا مالت مع الشر حل به العقاب وأحيل إلى الجحيم.

وإذا انتقلنا إلى اليونان، وجدنا عندهم إله واحد من الأساس، فصار كل مفكر يصف ذلك الإله كما يصور له عقله ومخيلته الخاصة، فتخيله طاليس الماء، ورأى أنا كسيمينيس بأنه الهواء، وذهب هرقليتس إلى أنه النار، بينما قدره أناكسيماندر بأنه قوة

غير محدودة لايمكن أن تدرك أو توصف، وقال آخر بأنه (إله واحد هو الأقوى بين الآلهة والبشر ولايشبه الناس في الشكل ولابأسلوب التفكير، وهو كلي القدرة والبصر والسمع والإدراك والإرادة)، لكن الناس مع مرور الزمن عادوا فأصروا على أن يتخيلوه على شكل الإنسان. وعادت اليونان إلى تعدد الآلهة من جديد.

وماذا عن الرومان: مع كثرة الآلهة عندهم قالوا أن جوبيتر، هو الإله السماوي الذي يقرر مصائر الناس، ويَهَبُ الخير والمطر ونور الشمس، ويخبر الأنبياء والصالحين بالتنبوءات وبما سوف يأتي من الأحداث. ثم تخيلوه إلهاً حوله مجموعة من صغار الآلهة (الملائكة).

كما نجدها في المسيحية واليهودية أو الإسلام التقليدي. الله على العرش وحوله الملائكة يحومون حوله يخدمونه ويلبون طلباته، مأخوذين من مواقع معرفتهم بالسلطان وحاشيته من حوله.

وإذا بحثنا في الأديان المحلية للسلتيين والسلاف في شمال أوروبا وأوسطها وجدنا الإله زيو (زفس - زيوس) وهو في الأصل كان إلهاً للشمس لكنه أتى للأرض عندما كثر الشر، فازدادت الحاجة إليه وصار إلهاً للحرب وتكلموا عن آدم وحواء باسمين آخرين هما آسكر وإمبلا.

ونجد في الهند أدياناً منها الهندوسية والبوذية، ومن أهم كتبهم المقدسة: كتب الفيدا الأربعة. ومن أهم آلهة الفيدا: إيندرا إله العواصف والحرب يتصورونه عملاقاً ضخماً كثير الشعر ذي صوت أجش، ومن القصائد المرفوعة إليه واحدة نقرأ فيها «في قبضة يديه الجياد والقطعان والقوى وكل العربات، إنه خالق الشمس والضحى ومحرك المياه... بدونه لايرتفع إنسان وفي الحرب يدعونه لنصرتهم إنه مثال كل شيء ومحرك كل ساكن».

ومن آلهتهم رودرا الذي كان مستهاب الجانب لأنه مطلق العواصف الهوجاء المنحدرة من جبال الهيملايا، ومن الصلوات القليلة المرفوعة إليه واحدة تقول: «لاتقتل كبارنا ولا صغارنا ولا طفلنا الذي ينمو ولا الرجل الذي شب ونما. لا ولا تقتل لنا أباً أو أماً ولا تقتلنا يارودرا. لاتقتل قطعاننا ولا جيادنا ولاتهلك بسخطك أبطالنا فنحن نقدم لك الذبائح على الدوام»(*).

(*) عن كتاب الأديان الحية للدكتور أديب صعب، دار النهار للنشر، ص ٣٠.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلنَا مَنسَكاً لِّيَذكُرُوا اسمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم...﴾ - ٣٤ الحج.

وإذا درسنا فلسفة الهندوس في تصورهم لخلق العالم نجدهم يجتمعون مع نفس الأفكار الأساسية في الديانات السماوية، كدليل على أن المصدر للجميع واحد هو السماء. وقد أطلق الهندوس على الحقيقة المطلقة، التي هي الله طبعاً اسم (براهمان) وفي وصفها نجد بأنها عاقلة مدركة وخالدة وتحرس هذا العالم وتحكمه.

وحور الهندوس العقائد السماوية الأساسية إلى عقائد تؤمن بوحدة الوجود وبأن الإنسان مخلوق من روح الله (آتمان). «تلك الروح في قلبي أصغر من حبة أرز أو حبة خردل ولكنها أكبر من الأرض والجو والسماء وأكبر من العوالم، تلك الروح في داخلي هي براهمان». «هذا الروح يسكن في كل الأشياء لكنه يختلف عنها جميعاً إنه يحكم كل شيء من الداخل، ولكن لاشيء يعدمه إنه يسكن أنفاسك ونطقك وعينيك وأذنيك وعقلك وجلدك وإدراكك. إنه الرائي غير المرئي والسامع غير المسموع والمدرك غير المدرَك وليس سواه من راء أو سامع أو مفكر أو عارف حق. إنه نفسك وحاكمك من الداخل. وهو الحي الباقي»(*).

ومن أفكار الهندوسية فكرة النرفانا الصوفية وهي إدراك النفس البشرية أنها واحدة مع براهمان، تعبر عن ذلك الاتحاد بمنتهى الغبطة التي تعجز الكلمات عن وصفها. والنرفانا تحقق الذوبان التام لكل ماهو ذاتي بشري في الموضوعي الذي هو الله (براهمان).

وعند الهندوس طالب المعرفة والاتحاد يجب أن يجلس في وضع تركيز (يوغا) خالعاً عن نفسه كل الاهتمامات الدنيوية الأخرى حتى يصل للمعرفة الحقيقية اليقينية، التي لايخالطها أي شك. وهو إيمان بكل الموجودات في الكون مع روح الكون: (براهمان) وعندهم عقيدة تناسخ الأرواح التي تنتقل من جسد إلى جسد في ولادات لانهاية لها. ويمكن أن تحل روح الإنسان في حيوان أو نبات بحسب ماتقدره أفعاله. فإذا كانت روحاً صالحة قد تدخل في جسد كاهن أو شريف من الأشراف (لأن الطبقية موجودة لدى الهندوس على أربع درجات مهمة). بينما يمكن أن تدخل الروح كلباً أو حشرة كذلك.

والمسلمون وقبلهم اليهودية والمسيحية تأثروا بهذه الأفكار الصوفية التي دخلت تلك

(*) الأديان الحية، مصدر سابق، ص ٣٤.

الديانات. على أشكال مختلفة ومتباينة من دين إلى آخر ومن شيعة إلى أخرى.

أما البوذية، فقد ولد مؤسسها الذي كان اسمه (سيدارثا غوتاما) عام ٥٢٠ قبل الميلاد في الهند من عائلة ارستقراطية، ثم تحول إلى حياة التقشف وارتدى ثوباً صوفياً أصفر جلس في كهف متأملاً وفجأة جاءه الحل: إن البؤس البشري كله آت من الرغبة الجامحة في ماهو غير حقيقي وغير صالح (الباطل) ومن الرغبة الناشئة عن شهوة العيش والاكتساب (الهوى. أو أهواء النفس) ومن الواضح للمتأمل أن بوذا كان يحمل رسالة سماوية بدليل أنه دعا إلى إنهاء مادخل إلى أديان الهنود من تحريفات نتيجة المذهب الهندوسي من اليوغا والتأمل المجرد والبقاء دون أي عمل، فقد نهى عنها بوذا أو قال أنها منحطة ولاتعطي نتائج حسنة، ومثل كل الأنبياء فقد أتى بالكتاب والحكمة. والحكمة هي الوصايا العشر ١ ـ لاتقتل ـ ٢ ـ لاتسرق ـ ٣ ـ لا تزن ـ ٤ ـ لاتكذب ـ ٥ ـ لاتتناول السم أو المخدر ـ ٦ ـ كل باعتدال ولاتتناول طعاماً بعد حلول الظهيرة ـ ٧ ـ لاتحضر حفلات الرقص والغناء والتمثيل ـ ٨ ـ لاتستعمل الزينة ولا العطور ـ ٩ ـ لا تستعمل الأسرة المرتفعة أو العريضة ـ ١٠ ـ لا تقبل الذهب ولا الفضة.

لكن تطور البوذية مع الزمن حولتها إلى عقيدة تهتم بالزهد والتقشف ولا تحترم العمل وتنسحب من الحياة.

أضاف البوذيون إضافات كثيرة إلى حياة بوذا فقالوا أنه ولد من عذراء بعد أن تلقت بشارة حول ولادته كما جربه روح الشر (الشيطان) ـ وتبعه اثنا عشر تلميذاً.

(حواريون) والواضح أن هذه الأفكار دخلت إلى المسيحية. وقد طوَّر الرهبان كما في المسيحية العقائد بعد أن ذاقوا الترف والغنى. فسمحوا لأنفسهم بالنوم على أسرة مريحة رغم نهي الوصايا العشرة عنها كما رأينا وسمحوا لأنفسهم كذلك أكل وجبة بعد انتصاف النهار، وسمحوا باقتناء الذهب والفضة وتناول المشروبات المخمرة.

كونفوشيوس:

ولد كونفوشيوس في عائلة تقول بعض المصادر أنها كانت ارستقراطية أيضاً، وبُعيد ولادته عام ٥٥١ قبل الميلاد توفي والده فاهتمت أمه الشابة بتربيته، ودرس التاريخ الصيني والأشعار والموسيقى، وتوفيت أمه وهو شاب، ثم تعلم المواضيع الستة التالية:

التاريخ ـ الشعر ـ السياسة ـ الملكية (الاقتصاد) ـ الموسيقى ـ التنبوء. وقامت تعاليم كونفوشيوس على إجلال الماضي وإحياء النظام الإقطاعي على شكل منطقي ومثالي،

ومن أقواله بحسب الروايات «إني ناقل ولست مبدعاً وأنا أؤمن بالأقدمين... والحق أني لم أولد حكيماً لكني أحب التراث القديم وأعمل جاهداً كي أتعلمه»(*)... والمبدأ الذي ينبغي أن تنظَّم بواسطته كل العلاقات في الحياة، علاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم. (علاقة السلطان بالرعية).

ومن الواضح تدخل السلطان في تعديل الأمور لمصلحته.

وعندما سئل (ما الذي تقول حول مبادلة الشر بالخير) على مبدأ المسيح «من يضربك على خدك الأيمن أدر له الأيسر أيضاً». فأجاب: إذن بماذا تبادل الخير وقال: بادلوا الخير بالخير أما الشر فبادلوه بالعدالة.

وتقوم العلاقات الصحيحة عند كونفوشيوس على: العطف من الأب ويقابله الطاعة من الابن. واللطف من الأخ الأكبر يقابله الاحترام من الأصغر. والسلوك القويم الصالح من الزوج يجب أن تقابله الزوجة بالطاعة. والعطف من الكبار يقابل بالاحترام من الصغار. والشهامة مطلوبة من الحاكم، وكذلك الولاء من الشعب.

وإذا وجدت هذه الفضائل في المجتمع ساده النظام وزال الظلم وانتشرت السعادة في كل مكان.

وفلسفة إصلاح المجتمع عنده تقوم على أن يبدأ الإصلاح من القمة. فإذا صلح الحاكم صَلُحَ الشعب. وإذا صلح الأب في الأسرة صلحت الأسرة.

وكما قال: إن كل إنسان عنده حس خلقي فطري يقوده إلى معرفة الحق والقانون. ويجب أن يكون الحاكم قدوة صالحة لشعبه.

نادى كونفوشيوس بالإنسان المتفوق على ذاته الذي يعرف واجباته تماماً ويؤديها على خير وجه. فالأب يجب أن يكون محباً، والزوج صالحاً، والابن مطيعاً، والصديق مخلصاً، وهو يجسد في ذاته كل الفضائل.

وقد ميز بين الجوهري والشكلي وركز على الجوهر وقال: «إني أمقت مايحاكي الأشياء الصحيحة وهو غير صحيح... إني أمقت المتظاهرين بالفضيلة وهم غير فاضلين» (أي النفاق والمنافقين) و«إذا لم يكن الرجل رجلاً حقاً فما نفع الطقوس؟»(**).

(*) الأديان الحية، مصدر سابق.

(**) الأديان الحية، مصدر سابق.

ثم أتى منسيوس ونشر أفكار كونفوشيوس، وفي نظر منسيوس أن كونفوشيوس إنسان مُرسَل من السماء أي أنه (رسول).

ومع الأيام طور السلاطين في الصين أفكاره إلى أفكار أخرى لمصلحة الحاكم، على أيدي مفكرين آخرين أمثال هسون تسو، الذي رفض المبدأين الأساسيين وهم الصلاح الفطري للطبيعة البشرية (اتجاه الإنسان للخير بالفطرة) والمبدأ القائل بأن السماء تراقب الأرض وتهتم بالإنسان وبحياته. حيث قال: إن الإنسان سيء بطبيعته والصلاح يكون مكتسباً. وقال: إذا ترك المرء بلا معلم أو.مرشد وكان ذكياً فإنه يصير لصاً، وإذا كان شجاعاً غدا مجرماً، وإذا كان قوي الحجة والمنطق استخدمهما للدفاع عن الباطل لا عن الحق. أما السماء برأي هسون تسو:

«إذا لم يُصلّ الناس ويدعونه للمطر فالسماء ستمطر في أي حال. وإن كل شيء يحصل وفقاً للقانون الطبيعي، أي أنه ليس هناك من أي اتصال أو علاقة مباشرة بين السماء والأرض. أما الطقوس الدينية التي يتبعها الناس فهي من أجل إرضاء الناس فقط، وأثرها نفسي فحسب.

«الذي لم يطّلع على الزرادشتية لايعرف أن هناك نقاط تشابه كثيرة بينها وبين ثلاثة أديان أتت بعدها هي اليهودية والمسيحية والإسلام، وأهم هذه النقاط الإيمان بالله الواحد الخالق الكائن الأكمل والأسمى، الذي يجب أن نعبده، والإيمان بأن هناك قوى خيرة وقوى شريرة في الكون، وأن النفس البشرية ميدان صراع بين الخير والشر والإيمان بالثواب والعقاب، والحياة الأخرى بعد الموت والقيام بعد الموت في اليوم الأخير، والإيمان بأن الخير سوف يتغلب على الشر في النهاية. ولئن كان التوحيد في ديانات الشرق الأقصى وفي ديانات الشرق القديمة مختلفاً عنه في الديانات الثلاث المسماة «ابراهيمية» فهو في الزرادشتية التوحيد عينه الذي نجده في اليهودية والمسيحية الإسلام»(*).

ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت الذي ولد عام ٦٦٠ قبل الميلاد وهناك كتاب للزرادشتيين اسمه (Avesta أفستا) وأهم أجزائه مجموعة أناشيد اسمها الغاثا (Gaths) كتبها زرادشت نفسه باللغة الفارسية القديمة.

عندما بلغ زرادشت العشرين هجر أمه وأباه وزوجته وهام على وجهه سعياً وراء

(*) الأديان الحية، مصدر سابق، ص ١٠٧.

الحقيقة، من أجل الإجابة على تساؤلاته الكبيرة حول: من أين أتينا؟ وماهو مصيرنا؟ ومامعنى الحياة والخلاص؟ وعندما بلغ الثلاثين نزل عليه الوحي، وتذهب الروايات إلى أن الوحي الأول حصل على ضفة نهر دايثيا بالقرب من قريته، فنزل إليه رئيس الملائكة بصورة شخص اسمه (فوهومانا Vohu Manah) أي الفكر الصالح. لكن الذين أتوا من بعد زرادشت، حوروا دينه، وأدخلوا فيه عبادة النار، ونسبو لزرادشت عجائب ومعجزات كثيرة. وجعلو للشر إلهاً خاصاً سموه (آنفرا ماينيو) في مواجهة إله الخير (آهورا مازدا) منذ بداية الخليقة. ونسبوا لإله الشر قدرات خارقة وغير محدودة، وقالوا أنه صانع الموت وجعلوا له عدداً لايحصى من الشياطين والأرواح الشريرة تتبعه وتأتمر بأمره، ثم قالوا بأن الله والشيطان متساويان في القدم ولكن سوف تكون الغلبة لله في النهاية. من خلال هذه الجولة السريعة في ثلاث عقائد شرقية أساسية، هي البوذية والكونفوشية والزرادشتية، لاحظنا كيف أن بوذا وكونفوشيوس وزرادشت، كانوا في البداية رسلاً وأنبياء لله، أتو منذرين ومبشرين إلى أقوامهم وأممهم، لكن أصحاب السلطة الذين يعادون كل دين وكل إصلاح لمصلحة الشعب يعودون لجعله دين الراعي والرعية من جديد ويسخرونه لمصلحتهم وحدهم دون غيرهم.

وهذا حصل قديماً وحصل معنا حديثاً نحن المسلمين. وقد كان هذا موضوع كتابي الثاني (دين السلطان).

من خلال هذه الجولة السريعة في الأديان القديمة والأديان السماوية الثلاثة: اليهودية - المسيحية - الإسلام، ومن خلال قراءتنا للقصص القرآني وتاريخ الأقوام القديمة، وما حصل مع الأنبياء والرسل، نعتقد أن رسالة محمد بن عبد الله آخر الأنبياء والرسل إلى الأرض، رسالة الإسلام للعالمين جاءت بأسلوب مختلف وكتاب مختلف ولله من وراء ذلك أيضاً هدف مختلف. فاختلاف الأسلوب هو أن الله تعالى لم يؤيد دينه الأخير بالمعجزات البصرية، وشرح سبحانه أسباب توقفه عن المعجزات من ذلك النوع، وبين أن الناس يكذبونها ويدعون أنها من أفعال السحر، فاستخدم الله اختلافاً في الأسلوب بالإعجاز.

واختلاف الكتاب يأتي من حفظ الله لذلك الكتاب من عبث العابثين أربعة عشر قرناً، واليوم يأتي من يثبت أن كتاب القرآن كتاب مرقوم وآياته معدودة كذلك سوره وأحرفه.

وقد بينت أننا كمسلمين مثل أهل الديانات الأخرى حدنا عن سبيل الله الصحيح، وكوننا نحمل اسم أفضل الأديان لن يشفع لنا بشيء لأننا في التطبيق العملي ابتعدنا عن كتاب الله. وأصبحنا نطبق كتباً أخرى ألفها خبراء إفتراء حقيقيون من الإنس، وإن كان بعض المتوهمين لا يزالون يظنون سذاجة وغفلة أنها من أقوال الرسول الكريم وصحابته الكرام. ودليلي تناقض أغلب تلك الأحاديث مع كتاب الله (القرآن الكريم) وهذا دليل كاف لكل ذي عقل وبصيرة على براءة الرسول من تقول الأكاذيب على الله تعالى وعلى ما بلغ من القرآن.

إن هجرنا لكتاب الله وتمسكنا بكتابات شياطين الإنس من أتباع السلاطين، تجعلنا مستحقين لغضب الله، وهي ظاهرة وبادية على أوضاعنا المتدهورة يوماً عن يوم من دون أن نرى تحسناً في يوم واحد أبداً.

والعاقل منا من عاد تائباً إلى ربه ودينه، محرماً حرامه ومحللاً حلاله، دون أن يتخطى حدود أحكامه في شرعه، منفذاً أوامره التي بلغتنا على لسان الرسول الكريم أول مرة من خلال آيات القرآن الكريم والإنسان خطاء يجب أن يستغفر ربه صباح مساء، ويرجو الخير ويسعى إليه، ويؤمن بالآخرة ولايسهى عن ذكر ربه ويطيعه ويعبده في كل أعماله ويشكر نعمه دائماً.

ومن أجل هذا خلق الله تعالى الإنسان على الأرض في أحسن صورة وأحسن تقويم ولو كان تحقيق ذلك مستحيلاً لما خلقه الله أصلاً:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ - ٢١ المجادلة.

وكما قال تعالى عن دين الإسلام بالذات:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ - ٣٣ التوبة.

والله تعالى لم يجعل اختبار قوة إيمان العبد على الأرض سهلاً، بل وضع في وجهه عقبات كثيرة من شهوات ورغبات وأهواء يدعوه إليها أولاً شيطان نفسه الأمارة بالسوء وهو أقوى الشياطين فعلاً وأثراً على الإنسان، ثم يجد باقي شياطين الإنس ممن غلبتهم تلك النفس، ثم يأتي دور ذرية إبليس من شياطين الجن الذي تحالفوا مع شياطين الإنس من الذين كفروا بالله وباليوم الآخر، واتبعوا أهواءهم.

والشياطين عادة قادرون على كل مغفل ساذج لايستخدم قوة عقله وإرادته في تجنب الأهواء والشهوات، فالله تعالى قد سلحه بالعقل والإرادة الحرة، فمن تمسك بميزان

العقل مع تمسكه وفهمه لكتاب الرحمن نجا من كل الشياطين، ومن غفل قلبه عن ذكر الله ونسي كتاب الله وتمسك بغيره من الكتب زاغ وتاه وصار نهباً تتخطفه الشياطين، هذا باختصار ما حصل في كل الرسالات.

ونحن المسلمين إذا تبصرنا بأنفسنا لاكتشفنا أننا مازلنا نقبع في كهف مظلم، ولنا فيه تاريخ طويل يعود إلى أربعة عشر قرناً، وتاريخنا في ذلك الكهف يذكر بدرب الآلام على طريق الشوك، ونحن لانسمع خلالها إلا أنيناً وضرباً بالسياط ونطعاً بالسيوف، دون أن يسمحوا لنا ولو ببصيص نور من نور الله الحقيقي. لم نر خلال تلك الأيام إلا زبانية السلطان يسوقوننا من جحيم إلى جحيم آخر. لكننا يجب أن ننطلق من بديهيات مختلفة عن بديهيات السلطان وجنوده، منها أن الدين عقل قبل كل شيء وليس عاطفة كما يبيعون بضاعتهم لنا، لعلمهم أن مايعرضونه كله مرفوض من العقل يجب أن ننطلق من الآية الكريمة التالية:

﴿... فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ (الحاكم المستبد) وَيُؤمِن بِاللهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

ويجب أن نعلم أن الإيمان مركزه العقل وليس العاطفة. فالعقل المؤمن بالله المتمسك بكتابه هو القادر على الانتصار بإذن الله:

﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِى الأَرضِ فَتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلُونَ بِهَآ...﴾ - ٤٦ الحج.

﴿...لَهُم قُلُوبٌ لايَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُنٌ لا يَبصِرُونَ بِهَا...﴾ - ١٧٩ الأعراف.

﴿الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الأَلبَابِ﴾ - ١٨ الزمر.

استمعوا للآيات التالية ثم احكموا بعدها بأنفسكم هل يخاطب الله تعالى عواطفنا أم عقولنا؟

﴿أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ - ٤٤ البقرة.

بعد أن يبين الله تعالى ويشرح حقوق المرأة المسلمة يخاطبنا ويقول:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ - ٢٤٢ البقرة.

وبعد أن يشرح الله تعالى لنا صفات المنافقين من الذين يظهرون لنا غير مايبطنون حتى نتقي شرهم يقول لنا:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُم لا يَألُونَكُم خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّم قَد بَدَتِ البَغضَآءُ مِن أَفوَاهِهِم وَمَاتُخفِى صُدُورُهُم أَكبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الأَيَاتِ إِن كُنتُم تَعقِلُونَ﴾ ـ ١١٨ آل عمران.

وللذين يركضون وراء الدنيا وشهواتها وحدها تاركين نصيبهم من الآخرة لعدم إيمانهم بها يقول سبحانه:

﴿...وَالدَّارُ الأَخِرَةُ خَيرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ ـ ١٦٩ الأعراف.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِن شَيءٍ فَمَتَاعُ الحَيَوةِ الدُّنيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ وَأَبقَى أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ ـ ٦٠ القصص.

وأثناء شرح الله لبنود وصاياه العشر ماذا يقول لنا؟.

﴿قُل تَعَالُوا أَتلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنهَا وَمَابَطَنَ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

هذا وقبل أن انتهي من بحث المدخل إلى الحقيقة التي جعتها مقدمةً وعنواناً لكتابي هذا، لابد من ذكر حقيقة أخيرة وهي حقيقة كون العلمانيين أقرب للإيمان بالله من الذين يسبحون في الإشراك بالله من المسلمين، وهم يظنون أنهم من الموحدين وكل ماعندهم من اعتقادات وأوهام وظنون دلائل واضحة على إشراكهم الخفي، ومع اعتقادهم أنهم أبعد الناس عن الإشراك ولو تلمسوا أمورهم من حولهم للمسوا آثار غضب الله في أنفسهم وفي أحوالهم، لكنهم بلغوا الدرجة التي يقول عنها سبحانه وتعالى:

﴿صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لا يَرجِعُونَ﴾ ـ ١٨ البقرة.

ماهي العلمانية؟ ومن هو الإنسان العلماني؟

ظهرت العلمانية أول ماظهرت في الديانة اليهودية، ولكن تلك الفكرة لم تظهر ممثلةٍ لكلمةٍ مستقلةٍ لها مؤيديها وممثليها إلا في الديانة المسيحية وبعد الحركات الاصلاحية وظهور مارتن لوثر في ألمانيا كمصلح ديني للكنيسة ومعتقداتها الغارقة في الأوهام والبعد عن العلم والعلوم. والعلمانية بإختصار هي عدم قبول تدخل الأفكار الدينية في المجتمع كما يروج لها كل طاغوت من أصحاب السلطة بين رعاياه من خلال رجال الدين الممثلين للسلطة الدينية التي يسخرها صاحب السلطة المطلقة الذي يحكم الناس باسم الله ويطبق عليهم قوانينه وشرعه تحت شعار قوانين الله وسنته وشرعه. ويلجأ رجال الدين إلى العاطفة الدينية لدى العامة من أجل ترويجها بحجج ومفاهيم متعددة، كقولهم مثلاً: إن الله كله حبّ وأن الدين محبة فقط وأن الإيمان حُبّ وعن طريق الحبّ وحده يمكن خلاص الإنسان، ويحاولون إبعاد العقل وأحكامه عن الدين قدر المستطاع لعلمهم أن كل أفكارهم لاتصمد أمام العقل والمنطق السليم. وتلك الأفكار الطاغوتية تطبع في النتيجة كل دين بطابع خاص وتصور الله تعالى تصوراً مشوهاً بعيدا عن الواقع والحقيقة تماماً.

والعلماني هو إنسان مثقف يُغَلّبُ أحكام العقل والمنطق وقراراتها في حياته الخاصة والعامة، ويبتعد عن الظن والوهم والخرافة والأباطيل التي يرفضها عقله أساساً، ويحب أن يكون عمله مستنداً إلى علم صحيح. يحبّ الخير لكل الناس ويبعد نفسه عن الشر قدر المستطاع. يؤمن بإله خاص يتصوره بذاته، كما يؤمن بالأخلاق العامة، وهو بذلك لايتناقض مع بنود الصراط المستقيم بشكل عام.

والعلمانيون مثل غيرهم من الناس منهم الطالح وهؤلاء يسعون وراء مصالحهم محللين كل شيء من أجل بلوغها وهؤلاء غالباً أفاقون ورجال عصابات وتجار للممنوعات وهم من المفسدين في الأرض. ومنهم الصالح ومن هؤلاء كثير من المفكرين والفلاسفة والعلماء وهم من المصلحين في الأرض.

ونستطيع أن نقول من خلال ذلك أن العلماني ملحد إذا اعتبرنا الأفكار الدينية السلطانية السائدة كمعتقدات معيارية، فهو يكفر بكل دقائق تلك الأفكار ويرفض

صورة الإله في تلك المعتقدات، كما يرفض كل الأفكار الأخرى الغارقة في الوهم والظن والباطل والخرافة ولكن كما قلت قبل ذلك، فهو يؤمن بإله خاص خلقه لنفسه وعن طريق عقله ومنطقه الذاتي.

كيف يتصور العلماني إلهه:

يتصوره إله علي وقدير، وأنه هو الذي خلق كل شيء من شموس ومجرات وأكوان وكواكب ومخلوقات. وهو الذي سن الموت والحياة على الأرض وفي أماكن أخرى. كما يتصوره إله كامل لاينقصه شيء ولايسعى إلي شيء أبداً، لذلك فكل مخلوقاته الأخرى حقيرة وصغيرة الشأن بالنسبة له، ولايمكن أن يتصل ذلك الإله الكامل العظيم بمخلوقاته الحقيرة الناقصة مثل البشر، وكما لايمكن ان يرسل لهم رسلاً ولا رسالات. وما كل الرسل والأنبياء إلا فلاسفة ومفكرون ومصلحون اجتماعيون لم يتصل بهم أحد من السماء، وإنما ادَّعوا ذلك ادعاء حتى يعطوا لأقوالهم ولأفكارهم الصفات القدسية عند عامة الشعب المطبوعة على تقديس كل ماهو سماوي بالفطرة.

هل يؤمن العلماني باليوم الآخر؟

أكثر مايرفض العلماني فكرة الحياة الثانية فهو يعتبرها من أحد الأوهام المسيطرة على عقل العامة من الناس، وكانت غاية الفلاسفة والمفكرين الذين اخترعوا فكرة الحياة الثانية وفكرة الجنة والجحيم كمثوبة للمحسنين المتقين أو عقوبة للمجرمين الكفرة. كوسيلة نفسية للترغيب بالجنة والتشجيع على أعمال الخير وللترهيب بالنار والجحيم حتى يرتدع الإنسان عن أفعال الشر والإفساد في الأرض.

وهكذا نجد أن كل أفكار العلماني مبنية ومنسجمة مع العقل والمنطق دون أن يكون لديه برهان على أفكاره وصحتها من مصدر علوي، إلا إذ اعتبرنا عقله هو ذلك المصدر العلوي الإلهي الحقيقي. لذلك تجد العلماني لم يكفر بالله كخالق للكون، وإنما كفر باليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالجنة والنار، فالجنة عنده على الأرض فقط وكذلك النار، وليس عنده إلا فرصة الحياة في هذه الدنيا فيجعل كل تركيزه على ذلك. ومن أجل ذلك يتمسك العلماني غالباً بالمال كرمز لاشعوري للتمسك بالحياة ويود أن يطول عمره ألف سنة لو استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والله تعالى الذي خلقهم أعلم بنفسياتهم لذلك يصفهم تعالى في الآية القرآنية قائلاً:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ...﴾ - ٩٦ البقرة.

وبحسب الأفكار السابقة نجد أن العلمانيين في العالم كانوا من اليهود أولاً من الذين كفروا بدين السلطان أول من كفروا وكانت الآية السابقة تتحدث عن العلمانيين من اليهود بالذات.

وبعد ذلك وفي فترة عصر النهضة الأوروبية ونتيجة تقدم الفكر والأفكار العلمية، ظهرت العلمانية المسيحية، وتأخر ظهور العلمانية عند المسلمين نتيجة اتفاق رجال دين السلطان واتحادهم في وجه كل الحركات الفكرية والعلمية في الإسلام إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعد سقوط حكم الطاغوت المستتر بالإسلام كذباً وتحطيم أول صنم من أصنام الجاهلية العظمى بعد أن عمت الطباعة والمطبوعات العالم كله من جديد ولم يعد الكتاب والكلمة المقروءة وقفاً على فئة من الناس دون الفئات الأخرى. وساعد على ذلك انتشار العلم والقراءة والكتابة بين الناس جميعاً واختفاء ظلال الأمية.

فظهر علمانيون بين المسلمين كفروا بدين الطاغوت الذي أسميه باسم شرقي هو السلطان كما فعل قبلهم اليهود والنصارى متتبعين خطى الذين سبقوهم من رواد الحركة العلمانية الأوروبية. لأن دين السلطان عند المسلمين ليس اقل دجلاً ولا أوهاماً ولا خرافة ولا ظلماً ولابعداً عن العلم والأفكار العلمية عما سبقه من الأديان، خاصة إذا اعتبرنا المطبق من الدين وهو الحديث المفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع إبقاء القرآن رمزاً لا مفعول له على الإطلاق إلا بالاسم. والعلمانيون المسلمين سلّمُوا كما سلّم الذين من قبلهم بالأفكار القائلة بأن الدين من اختراع الناس، وبأن الرسل والأنبياء أيضاً فلاسفة ومفكرون ومصلحون اجتماعيون، لكن السلاطين بشكل عام قاموا بتحريف أفكار الفيلسوف والمفكر التي كانت في الأساس من أجل صلاح وإصلاح شؤون الأمة، فحرف رجال دين السلاطين تلك الأفكار بالتدريج إلى أفكار تخدم مصالح السلطان والأقلية المحيطة به مستغلين حب الناس لله وللرسول الذي يعتبره السلطان وجنوده العلمانيون أنه مجرد مصلح ومفكر ولكن من دون أن يتركوا أي مجال لشك الناس بما فعلوه من تحريف للنصوص المقدسة من قبل العامة. لذلك لم نجد بين ا لعلمانيين من المسلمين، ولا من الذين كفروا بدين السلطان من عاد أو بحث عن الحقيقة في كتاب الله الأساسي. الذي يبرهن بذاته عن ذاته بأنه كتاب فوق طاقة البشر

في كل شيء. علماً أن هذه البراهين خاصة البراهين العلمية منها لم تظهر إلا في نهاية القرن العشرين بالنسبة للقرآن الكريم.

تصور الله في دين السلطان اليهودي:

إذا عدنا إلى كتب اليهود المحرفة سوف نجد صفات ذلك الإله كما يلي:

(هو ذا اسمُ الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخَطاً ولسانه كنارٍ آكلةٍ. ونفحتهُ كنهرٍ غامرٍ يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعوبِ رَسَنٌ مُضِل). العهد القديم - سفر اشعياء الإصحاح ٣٠ - الفقرات ٢٧ - ٢٨ - والله في تصورهم ميزان عدله قائم على المحبة وليس على العدل والاستحقاق والتقوى:

(ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم وأختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم) سفر التثنية - الإصحاح السابع - الفقرات ٧ - ٨ - وهكذا نجد هذا التمييز دائم في كل الديانة -حتى أصبحت صفتها المميزة:

(ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياها التي سكنها أباؤكم ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد وعبدي داوود رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً وأقرهم وأكثرهم واجعلُ مقدسي في وسطهم إلى الأبد. ويكون مسكني فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً. فتعلم الأمم أني أنا الرب مُقَدِّسُ إسرائيل إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد). سفر حزقيال - الإصحاح ٣٧ - الفقرات من ٢٥ - ٢٨. (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك) سفر الخروج - الإصحاح ٣٢ - الفقرة - ١٢ وذلك كان رداً من موسى على كلام الله والمفروض أن يكون دعاء ليس أمراً.

ثم يستجيب الرب لأمر موسى السابق: (فَنَدِمَ الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه) سفر الخروج - الإصحاح ٣٢ - الفقرة - ١٤ ثم يخاطب موسى ربه مقدماً استقالته وطالباً إعفاءه عن خدمته::

(فرجع موسى إلى الرب. وقال آه قد أخطأ هذا الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب. والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الر ب لموسى من أخطأ إلي أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلمتك:

هوذا ملاكي يسير أمامك. ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيئتهم. فضرب الرب الشعب. لأنهم صنعوا العجل الذي صنعه هارون). سفر الخروج ـ الإصحاح ٣٢ ـ الفقرات ـ ٣٠ ـ ٣٥ ـ (اسكتوا يأكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه) سفر زكريا ـ الإصحاح الثاني ـ الفقرة ١٣. (وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم) سفر التكوين ـ الإصحاح السادس ـ الفقرة ـ ٤ ـ. (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرّيرٌ كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسَّى في قلبه) ـ سفر التكوين ـ الإصحاح السادس ـ الفقرة ٥ ـ ٦.

من كل النصوص السابقة تستنتج أن النصوص كلها بشرية تضع لله أوصافاً كما يحب الإنسان ويشتهي: حتى صارت صورته النهائية كما يلي:

إله خاص لشعب خاص وقع في حبهم غراماً فلم يعد يحب غيرهم من الشعوب التي كرهها وحقد عليها. وهو إله يشبه البشر لكنه يمتاز عنهم بأنه كبير وقدير، وأما فيما عدا ذلك فهو إله يعمل ويتعب وينام ويستيقظ ويندم ويتراجع عن أفعاله وأعماله ويتزوج وله أبناء يتزوجون حتى من بنات الناس ومنهم خرج العمالقة التي نجد لهم أوصافاً كثيرة في التلمود الذي انتقل إلى المسلمين باسم أحاديث نبوية شريفة.

تصور الله في دين السلطان المسيحي:

إذا عدنا إلى الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل أغلب أهل المسيحية نجد أن للإله الصفات المشتركة التالية: هو إله كبير الحجم قوي العضلات أشيب الشعر دلالة الحكمة أبيض أزرق العينين بحسب ماهو مرسوم على جدران الكنائس الأوروبية وفي قباب كاتدرائياتها في مختلف المدن الأوروبية على اختلاف شعوبها.

(فرأيت في السماء عرش يجلس عليه واحد تنبعث منه أنوار كأنها صادرة من لمعان اليشب والعقيق الأحمر. وحول العرش قوس قُزح يلمع كأنهه الزمرد. وقد أحاط بالعرش أربعة وعشرون عرشاً يجلس عليها أربعة وعشررن شيخاً يلبسون ثياباً بيضاء. وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب) ـ سفر الرؤيا ـ الإصحاح الرابع ـ الفقرات ٢ ـ ٣ ـ ٤.

وكما تشاهدون فالصورة لاتختلف عن صورة السلطان ومجلسه في قاعة العرش

ومن حوله وزراؤه وأعوانه من كبار حاشيته.

ورجال الدين جعلوا الآب له أمور الخلق والابن له الدينونة والحكم على العباد (فكما يقيم الآب الموتى ويحييهم، كذلك يحيي الابن من يشاء، والآب لايحاكم أحداً بل أعطى الابن سلطة القضاء كلها، ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. ومن لايكرم الابن لايكرم إلا بالذي أرسله) انجيل يوحنا ـ الإصحاح الخامس ـ الفقرات من ٢١ ـ ٢٣.

والابن يطلب من الناس أموراً ليس من طاقتهم وإنما من طاقة الملائكة فقط:

(سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتُبغض عَدُوّك. أما أنا فأقول لكم: احبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، واحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم) إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس ـ الفقرات من ٤٣ ـ إلى ٤٤ ـ.

(أي باختصار شديد اتركوا السلاطين يسيئون إليكم ويضطهدونكم ولا تحركوا ساكناً ضدهم).

(عندئذ تقدم إليه بطرس وسأله: «يارب، كم مرة يخطىء إلي أخي فأغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» فأجابه يسوع: «لا إلى سبع مرات، بل إلى سبعين سبع مرات». إنجيل متى ـ الإصحاح ١٨ ـ الفقرات ٢١ ـ ٢٢).

والدين كله مقام بدون شرع على المحبة: (فأحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك هذه هي الوصية الأولى. والثانية مثلها: أحبّ قريبك كنفسك). إنجيل مرقس ـ الإصحاح الثاني عشر ـ الفقرات ٣٠ ـ ٣١. ثم نجد هذا الإله يدعوا الناس إلى عبادته وترك العمل والسعي في الدنيا: (أما أنتم فاسعوا إلى ملكوت الله وبرِ هِ فتزد لكم هذه كلها. لاتهتموا بأمر الغد فإن الغد يهتم بأمر نفسه) ـ إنجيل متى ـ الإصحاح السادس ـ الفقرات ٣٣ ـ ٣٤ ـ. (صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ومن ضربك على خدّك فاعرض له الخدّ الآخر أيضاً ومن انتزع رداءك، فلا تمنع عنه ثوبك أيضاً) ـ إنجيل لوقا ـ الإصحاح السادس ـ الفقرات من ٢٨ ـ ٣٠ ـ.

(أي إقبلوا بحكم الراعي والقطيع... الراعي والخرفان بدون اعتراضٍ أبداً).

وهكذا تجدون أفكار دين السلطان الخيالية المثالية التي رفضها كل الذين يدَّعون المسيحية اليوم بالاسم بعد أن أصبحوا جميعاً من العلمانيين على الأقل في التطبيق، وإن لم يغيروا نصوص الأناجيل المتناقضة مع بعضها البعض مثل كل أديان السلاطين في

الأرض. وإذا كان الله عند اليهود قد وقع في غرام شعب واحد وهم بني اسرائيل وحدهم وحقد وكره كل شعوب الأرض الأخرى، فإن الله عند المسيحيين هو إله عالمي لكل شعوب الأرض لكنه إله يفضل العرق الأبيض عن العرق الأسود:

(وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم (الأبيض) عن الماعز (الأسود)، فيوقف الغنم عن يمينه، والماعز عن يساره، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أعد لكم منذ إنشاء العالم) (ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه) تحت عنوان ـ المسيح يدين العالم أجمع ـ إنجيل متى ـ الإصحاح ٢٥ ـ الفقرات ـ ٣١ ـ ٤١ ـ بالانتقاء.

تصور الله في دين سلاطين المسلمين:

نجده إله مزيج من إلاهَي اليهود والنصارى وليس فيه من صفات إله محمد ﷺ الحقيقي المذكور في القرآن الكريم إلا ماندَرَ: فهو إله قوي وكبير وقدير خلق الناس وكتب عليهم كل شيء أعمارهم وأعمالهم وأرزاقهم وفقرهم وجهلهم وعذابهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة وهم غير مخيرون في شيء أبداً:

الحديث ٢٦٤٣ صحيح مسلم عن عبد الله؟ قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق:

«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره. إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب.

فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار. حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وهذا الحديث جعلوا له عشرون رواية حتى يصبح حديثاً متواتراً.

وهو دين يعتمد على العاطفة والحب قبل أن يعتمد على العقل فكما رأينا اعتماد الدين المسيحي على حب المسيح هنا أيضاً يعتمد على حب الرسول:

الحديث رقم ١٤ من صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(فوالذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)، الحديث رقم ١٣ صحيح البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه». وهذان الحديثان مأخوذان من الإنجيل:

(أحب الرب إلاهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك، هذه هي الوصية العظمى الأولى، والثانية مثلها: أحب قريبك كنفسك!) ـ انجيل متى ـ الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ٣٧ ـ ٣٩ ـ.

وإذا علمنا أن (الرب إلاهك) عند أهل المسيحية المقصود به هو السيد المسيح نفسه عندها نعلم وجه التشابه بين الحديثين، وهذان الحديثان يناقضان صريح آيات الله في القرآن. لأن حب الله يكون بعد الإيمان به عقلاً هذا هو المطلوب في الإسلام.

وحب القريب والأخ من الأقرباء ليس في دين الإسلام، لأن الحب يكون بحسب عقيدة الإنسان والقرابة أيضاً تكون بحسب العقيدة، فالبعيد المؤمن أقرب للمسلم من أخيه الكافر. وكما رأيتم فإن الحديث لم يحدد نوع عقيدة الأخ بل حدد نوع القرابة وصلة الرحم فقط، وهذا غير كاف في الإسلام.

والله، حسب رجال دين السلطان، يقول شيئاً في حديث ويقول عكسه في حديث آخر مثلاً في الحديث ٤٠٨٥ صحيح البخاري عن أبي الخير عن عقبة أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله مأأخاف عليكم ان تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». بينما في القرآن نجد عكس هذا الكلام تماماً:

﴿قُل لآ أَقُولُ لَكُم عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلآ أَعلَمُ الغَيبَ...﴾ ـ ٥٠ الأنعام.

والحديث التالي يقول: الحديث ٦٤٤٣ صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه (في حديث طويل اختصره هنا) قال قال الرسول ﷺ: «ذلك جبريل عليه السلام عرض لي جانب الحر ة، قال: «بشر أمتَكَ أنه من ماتَ لايشركُ بالله شيئاً دخل الجنة، قلت ياجبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال نعم» إلى آخر الحديث: فهل يقول لنا جنود السلطان أن الرسول ﷺ نسي أن يأمر كتبة الوحي أن يكتبوا هذا الوحي المباشر في

القرآن وبقي هذا القسم من القرآن محفوظاً عند أبي ذر وحده؟

بينما القرآن يشترط لدخول الجنة شروط كثيرة منها: الإيمان بالله وهو يشمل القيام بكل العبادات امتثالاً للإيمان وتصديقاً له. والإيمان باليوم الآخر الذي هو يوم البعث. والالتزام بحدود الله وحرامه وحلاله وعدم الوقوع في كبائر الإثم العشرة التي منها: السرقة والزنى ويشكلان كبيرتين منها فقط:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ - ٣١ النساء.

﴿...لِيَجزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُجزِيَ الَّذِينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَى﴾ - ٣١ النجم.

وحتى يعلم المسلم مايمكن أن يغفره الله من تلك السيئات وما لايمكن أن يغفر له منها يقول سبحانه بعد تلك الآية مباشرة:

﴿الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغفِرَةِ...﴾ - ٣٢ النجم.

إلا اللمم أي: إلا المعاصي الصغيرة، والتي ليست من كبائر الإثم العشرة المعروفة.
ومن الأحاديث التي تناقض بعضها البعض:

الحديث ٥٦١ من صحيح مسلم، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية» والحديث ٩٨٧ من صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ في حديث طويل اختصره: قيل يارسول الله فالحمر؟ (أي: ماحكمها الشرعي فهل هي محرمة؟) قال: «ماأنزل علي في الحمر شيء».

أي أني لم أتلقى شيء بشأن تحريمها، أصلاً موضوع التحريم ليس للرسول أي علاقة مباشرة به فالتحريم والتحليل لا يكون إلا من الله تعالى مباشرة بنص من عنده وحده سبحانه.

والله، حسب رأي أهل دين السلطان، يقر التفرقة العنصرية فقد ورد الحديث التالي للإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا أبو الربيع عن يونس بن ميسرة عن أبي ادريس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء وكأنه الد ر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنها الفحم فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليسرى إلى النار (الجحيم) ولا أبالي».

وليحاول القارىء أن يقارن هذا الحديث بالنص الموجود في دين سلطان المسيحية، الذي مر ذكره قبل قليل، وسوف يجد مصدر هذا الحديث المفترى على الله والرسول.

صحيح أن العلماني كفر بالله ولكنه أقرب لله بتمسكه بالعقل والعلم والعمل من المتمسكين بالديانات السلطانية الثلاثة، لأنهم في حبائل الإشراك بالله. إن الله تعالى لم يقل في كتابه أنه حرم على الكافر أو الكفار الجنة. لكنه سبحانه قد أقَر في القرآن الكريم أنه حرم الجنة سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة على المشركين، والمشركون في الديانات الثلاثة هم الذين يمثلون السلاطين ويخدعون شعوبهم ويحرمونهم جنة الدنيا ونعيمها بإقناعهم عن طريق رجال الدين بالزهد وعدم السعي لمال الدنيا ونعيمها. وهذا أول حرمان من جنة الدنيا. ومع هذه الفئة الخادعة الفئة العظمى المخدوعة التي قبلت وآمنت بدين الشرك والله تعالى وعدهم جميعاً بالحرمان من جنة الآخرة أيضاً:

﴿...إِنَّهُ مَن يُشرِكْ بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ...﴾ - ٧٢ المائدة.

والله تعالى يعلم أن العلمانيين هم أقرب الناس للإيمان بالله من جديد إذا وجدوا الدليل العقلي والعلمي والرياضي في كتابه الذي يقول فيه:

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم...﴾ - ٥٤ الحج.

إذا تأملنا آية الإعجاز العددي في القرآن الكريم وهو بناء الكتاب كله على الرقم الأصم تسعة عشر: حيث يقول سبحانه:

﴿عَلَيهَا تِسعَةَ عَشَرَ * وَمَاجَعَلنَآ أَصحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَاجَعَلنَا عِدَّتَهُم إِلا فِتنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ - ٣٠ - ٣١ المدثر.

ثم يتابع سبحانه الآية نفسها بعد أن يركز أسباب جعل هذا الرقم من إعجازات القرآن الرياضية ويقول: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وهم المؤمنون بالله والموحدون له في كل عصر ومصر.

﴿...وَلايَرتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالمُؤمِنُونَ...﴾ - ٣١ المدثر.

أي حتى لايرتاب بعد ذلك البرهان الرياضي الممكن لمسه من كل إنسان لوحده إن شاء أن هذا الكتاب بالذات كله من تأليف الله وليس من تأليف البشر مثل باقي الكتب الأخرى على الأرض:

﴿...وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً...﴾ - ٣١ المدثر.

لأنه لايشترط أن يؤمن بالله من جديد كل العلمانيين الذين يلمسون ويجدون براهين علمية حقيقية تثبت أن كتاب القرآن هو من صنع الله وليس من صنع البشر ولا من تأليفهم وليس فيه من محمد رسول الله حرف واحد، وإنما كله وحي وصل إليه من ربه فبلغه بأمانة مطلقة، لدرجة أننا نجد الكلمة (بكة) مكتوبة كما نزلت عليه بالوحي بالباء بدل الميم مع علمه أن المقصود به هو مكة، وكذلك كلمة بَسطَة التي نجدها في سورة الأعراف:

﴿...وَزَادَكُم فِي الخَلْقِ بَصطَةً...﴾ - ٦٩ الأعراف.

حيث كتبت بالصاد ووضع فوقها السين حتى تلفظ سيناً مازالت مكتوبة كما نزلت على الرسول. وأمور كثيرة أخرى مثلها تبرهن لكل الناس أن القرآن مازال مكتوباً بدقة متناهية كما كتبها كتبة الوحي بأمر من جبريل مبلغاً عن الله تعالى - إلى يومنا هذا -.

كل هذه الأمور مع البراهين العلمية والتاريخية والإعجازات الأخرى التي تظهر في كتاب الله هذه الأيام تباعاً، تشجع هؤلاء العلمانيين على الإيمان بالله وحده، وعلى العودة إلى رحاب الله ورحمته بالتوبة وطلب المغفرة من جديد. ليظهر رب العالمين هذا الدين على الدين كله كما وعد، ليس لفترة قصيرة الأمد وإنما لفترة دائمة ومستديمة مع الزمن.

﴿هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ - ٣٣ التوبة.

وبما أن هذا الإظهار مازال في المستقبل ولم يحدث بعد، بدليل أن إعجازات القرآن كلها بدأت تظهر الآن علماً أنها كانت خافية على الذين آمنوا بالتسليم مع محمد رسول الله، ولكن المؤمنين الجدد سوف يؤمنون بها جميعاً عن طريق العلم والعقل وسوف يدخلون في دين الله أفواجاً، ليعم الإسلام العالم كله، وكلمة ولو كره المشركون هنا تعني مع معارضة وكره مشركي المسلمين الحاليين المتشبثين بأحاديث أبي هريرة وابن عباس وأنس وابن مسعود وأبي ذر الغفاري تاركين كلام الله وكتابه عشقاً لما قاله هؤلاء الخمسة أو مايظنون أنها من أقوالهم، لأنه لايستبعد أبداً أن يكون كل أولئك الصحابة أبرياء من تلك الأحاديث المفتراة براءة الله ورسوله الكريم منها.

ولايستبعد عندها أن يقول المشركون للذين يدعونهم إلى كتاب الله: ﴿قَالُوا أَجِئتَنَا لِنَعبُدَ اللَّهَ وَحدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعبُدُ ءَابَآؤُنَا...﴾ - ٧٠ الأعراف.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِى قَريَةٍ مِّن نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُترَفِيهَا إِنَّا وَجَدنَا ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقتَدُونَ﴾ - ٢٣ الزخرف.

فيجيبهم الله تعالى على لسان الرسول جواباً قاطعاً:

﴿قَالَ أَوَلَو جِئتُكُم بِأَهدَى مِمَّا وَجَدتُّم عَلَيهِ ءَابَآءَكُم قَالُوا إِنَّا بِمَآ أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ٢٤ الزخرف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

تمهيد مع ملاحظة لا بد منها

سبق ونوهت منبهاً القارئ الكريم في كتابي إنذار من السماء وكتاب دين السلطان طالباً منه الصبر على موضوع الإعادة والتكرار لأفكار هامة أعالجها في هذه الكتب وفي هذا الكتاب أيضاً أحب أن أذكره راجياً منه الإطمئنان تماماً أن ذلك التكرار لم يحصل سهواً أو عن غفلة وعليه أن يثق تماماً أنني أعدت قراءة كتبي قبل إرسالها للطباعة عشرات المرات لدرجة أني حفظت ما كتبته وأنا بالفعل أحصي عدد المرات التي أكرر فيها الفكرة وليست غايتي حتماً الزيادة في حجم الكتاب ولا الزيادة في عدد صفحاتها من غير داع أو سبب، علماً أني ألغيت مواضيع كثيرة عندما وجدت أن أفكارها لا تخدم فكرة الكتاب.

وموضوع معالجة نفس الفكرة بأساليب مختلفة داخل الكتاب وفي أماكن متعددة بحيث يأتي ورودها وكأنه حصل بشكل طبيعي مع تسلسل الأفكار تعلمته من مصدرين أساسيين:

المصدر الأول كان من علم النفس لأنني بدأت دراستي العلمية الخاصة بهذا العلم الذي كنت أشعر أني أميل إليه بشكل طبيعي وكان ذلك في العشرينات من عمري بينما أتت دراستي للقرآن الكريم متأخرة في الأربعينات واكتشفت مبكراً أنه أعظم كتاب عرفه الإنسان إلى اليوم وهو أعجب كتاب لا يمكن أن يلم بمعجزاته إنسان واحد أبداً مهما بلغ من العلم والذكاء والصبر والتأني في دراسته. وسوف أكتب إنشاء الله تعالى عن هذا الموضوع في كتابي القادم «الحقيقة» أسرار القرآن.

المصدر الثاني الذي تعلمت منه كيف يجب أن أكرر الأفكار وكأنها أتت عفوية مع تسلسل الأفكار المطروحة في البحث كان هو القرآن الكريم.

ومع أن القرآن لا يعتبر كتاباً متخصصا في العلوم لكنه أم العلوم كلها والدارس له يشعر أن الكتاب فعلاً من رب العالمين لأنه يحيط بالعلوم ويهيمن عليها وعندما يتكلم سبحانه عن الكون لا يتكلم عنها مثل كلام العلماء من البشر وهم يصفون لك زاوية ضيقة لما يشاهدونه من زوايا الكون من خلال مناظيرهم المكبرة بينما الوصف الموجود في القرآن يأتي وصف الذي يرى الكون وكأنه شيء صغير أمامه ويحيط به من كل

جوانبه وليس غير الله تعالى بقادر على مثل ذلك الوصف الإحاطي أبداً.

وبما أن غايتي من كل كتبي هو كما قلت إيقاظ الشباب من الغافلين الذين لم يقرأوا القرآن الكريم لأسباب عديدة منها خوفهم من ذلك الكتاب خوفاً لا شعورياً وهذا النوع من الخوف يمكن اكتشافه فقط من ملاحظة الذات: كأن يسأل الإنسان نفسه مثلاً: أنا مسلم وكتابي هو القرآن الكريم.

هل قرأت القرآن مرة واحدة كاملة لوحدي حتى, أعرف ماذا في هذا الكتاب؟

إذا اكتشف أنه لم يقرأه عندها يكون الخوف في داخله من دون أن يشعر بوجوده والخوف قد زرع منذ الصغر إما من مدرس جاهل أو من أبوين جاهلين كانوا يخيفون الصغار من لمس القرآن أو محاولة قراءته لأنه كتاب الله المقدس لا يمسه إلا المطهرون فيبقى هذا الخوف اللاشعوري داخل كل إنسان من المسلمين طوال حياته وحتى وإن كان يحب القراءة والكتب تجده دائماً يتجاوز القرآن بحجة أو بغيرها دون أن يحاول قراءته بشكل جدي حتى ولو لمرة واحدة في حياته.

وأنا في هذه المقدمة أنبه القارىء الكريم إلى هذا الموضوع حتى ينتبه له ويبدأ بقراءة رسالة ربه وهي الرسالة الوحيدة التي بقيت على الأرض من غير تحريف لحرف واحد فيها. تصوروا الفكرة وعظمتها الإنسان المخلوق الصغير على هذه الأرض يجد الفرصة متاحة له بأن يقرأ كتاباً كاملاً ألفه رب العالمين ليقرأه الإنسان، هل هناك في الكون كله كتاب جدير بالقراءة مثل ذلك الكتاب؟

وفي كل كتبي شرحت للقارئ الكريم كيف يقرأ القرأن وكيف يمكنه فهم الآيات وسوف أشرح أكثر إن شاء الله في كتابي القادم ولكن على القارئ الكريم أن يحاول منذ الآن أن يعوّد نفسه على تلاوة القرآن وهي كما شرحت في هذا الكتاب أول عبادة من عبادات الإسلام وطُلبت من المسلمين قبل الصلاة وقبل الزكاة وقبل الصوم والحج.

وكما أني أحب أن أذكر القارئ الكريم أن الكلمات التالية:

الصلاة ـ الزكاة ـ الحياة ـ مناة

عندما ترد ضمن آيات القرآن الكريم فتأتي على الشكل التالي:

الصلوة ـ الزكوة ـ الحيوة ـ منوة.

وإن حرف الياء (ي) في أخر الكلمة تأتي من غير نقاط على الشكل التالي: (الذى) بدلاً من (الذي).

وأما المدَّة (آ) فإنها تأتي كما وردت في القرآن بالشكل التالي: (ءا) إذا أتت في أول الكلمة أو في وسط الكلمة فتكتب على السطر كما في كلمتي (ءامنوا) و (القرءان).

أما إذا جاءت الهمزة بعد الألف كما في كلمة (جاء) فتكتب الألف ممدودة على الشكل التالي (جآء).

كما جاءت كلمة (العلماء) على الشكل التالي: (العلمؤا).

وكما جاءت كلمة (الربا) على الشكل التالي: (الربوا).

وكما جاء اسم (إبراهيم) في سورة البقرة على الشكل التالي (إبرأهم) مع حذف الياء.

وكما جاءت كلمة (الليل) في القرآن بلام واحدة على الشكل التالي: (اليل).

وكما جاءت مدَّةُ (آ) (الآخرة) همزةً على الشكل التالي: (الأخرة).

فأرجوا أخذ الإعتبار والملاحظة لهذا الموضوع أثناء قراءة النصوص القرآنية.

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أجراً كَبِيراً﴾ ـ ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

البرهان على صحة دين الرحمن المعتمد على القرآن الكريم. ومناقضته للدين المنسوب للإسلام المعتمد على الحديث الذي نسبوا له النبوة والشرف ظلماً

لقد برهنت في كتاب كامل وهو كتاب البرهان (دين السلطان) على هذا التناقض الذي ألخصه هنا في كتاب دين الرحمن للتذكير به.

من أولى المبادئ الأصولية التي يرتكز عليها دين الرحمن في القرآن (حرية الإنسان) فالقرآن أول كتاب في الأرض يعترف بحقوق الإنسان وحرياته ومن أهمها حرية الإعتقاد المعلنة في كتاب الله الكريم:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

فقال سبحانه على لسان رسوله نوح مبيناً أن حرية العقيدة من مبادئ الرحمن في كل الرسالات وليس في رسالة محمد الأمين وحدها:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَءَيْتُم إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَانِى رَحمَةً مِّن عِندِهِ فَعُمِّيت عَلَيكُم أَنُلزِمُكُمُوهَا وَأَنتُم لَهَا كَارِهُونَ﴾ - ٢٨ هود.

وقالها سبحانه على لسان رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه في آخر رسالة له سبحانه ناهياً رسوله عن الإكراه حتى لا يتهمه أحد في المستقبل أنه أكره أحداً في العالمين على الإيمان. إذ لو شاء الله أسلوب القسر والإكراه لخلق الناس مؤمنين بقوة الخلق كما فعل مع ملائكته جميعاً فهم غير مخيرين وفرض عليهم الإيمان بالقوة فخلقوا مؤمنين وليس لهم القدرة على الشر أو العصيان أصلاً:

﴿وَلَو شَآءَ رَبُّكَ لأَمَنَ مَن فِى الأَرضِ كُلُّهُم جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾ - ٩٩ يونس.

ولكن هذه الحرية لم تكن لتعجب السلاطين المتجبرين في الأرض فبدلوا حقائق الله في القرآن إلى ما يتناسب مع أهواءهم ونفسياتهم التي تعودت على الظلم والكبر والإستبداد والقهر فوضعوا عن طريق رجال دينهم قوانين وأسس تناقض مبادئ الرحمن كلها في الإسلام. مفسرين آيات القرآن الكريم تفاسير ما أنزل الله بها من سلطان مثل الحديث الذي نجده في صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن الذي وضعه البخاري

رحمه اللهِ ليبرهن لكل من له عقل بين المسلمين أن الحديث المنسوب للرسول الكريم يناقض كتاب الله المبين كما في:

الحديث رقم ٤٥٥٧ من صحيح البخاري عن أبي هريرة (في تفسيراً لآية:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال رسول الله ﷺ: «خير الناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلو في الإسلام»

والغريب بعد هذا أن أغلب المسلمين اليوم يؤمنون بما سنه السلطان تاركين كل مبادئ القرآن في الحرية مثلاً: القرآن يعلن مشيئة الإنسان الحرة في الآيات التالية:

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَن شَآءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكفُر...﴾ - ٢٩ الكهف.

هذه الآية إعلان من الله بالحرية والمشيئة للإنسان الذي أصبح له الحق والحرية في أن يتحرك إلى أحد الإتجاهين من غير إكراه حتي من الذي خلقه فكيف نظن بعد ذلك أنه سمح لعباده بالإستبداد به في الأرض ظلماً؟

الله سبحانه وتعالى أوصى رسله جميعاً أن لا يتجبروا ويستبدوا في الأرض على العباد وقال موصياً رسوله الكريم محمد الأمين أن يترك الكافرين وشأنهم:

﴿نَحنُ أَعلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ - ٤٥ ق.

فالقرآن محور الدين وعماده، حديثه أحسن الحديث وكل حديث بعده مستنكر والله سبحانه ركز على مشيئة الإنسان وحريته في كتابه الكريم:

﴿كَلا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ﴾ - ٥٤ - ٥٥ المدثر.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ - ٢٩ الإنسان.

﴿...فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَئَاباً﴾ - ٣٩ النبأ.

﴿إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُم أَن يَستَقِيمَ﴾ - ٢٧ - ٢٨ التكوير.

بينما إذا عدنا إلى الأحاديث لوجدنا أن هذه الحرية والمشيئة انتهت بأحاديث مناقضة لها تنفي الحرية عن الإنسان الذي لم يعد له مشيئة أصلاً.

كما في الحديث المشهور والمتواتر الذي نجده في الصحيحين ليلغي به السلطان حقوق الإنسان المسلم كلها ويعيده عبداً مطيعاً للطاغوت الأكبر:

الحديث رقم ٢٦٤٣ من صحيح الإمام مسلم: ونفس الحديث نجده في الحديث

رقم ٣٣٣٢ من صحيح البخاري كلاهما عن عبد الله؟ بلا كنية حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات:

فيكتب عمله وعمره ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح....

إلى آخر الحديث الذي يهمنا منه الكلمات الأربع التي ألغت كل حقوق الإنسان وجعلته تابعاً للسلاطين بلا رأي ولا قرار.

وقد رسخ رجال الدين الإسلامي الذين عملوا للسلاطين الحديث السابق بأحاديث أخرى مثل:

الحديث رقم ٢٦٥٢ من صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (احتج آدم وموسى فقال موسى: «يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة»، فقال له آدم: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدَّرَهُ عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟» فقال النبي ﷺ «فحج آدم موسى.. فحج آدم موسى»).

هذا المنطق يناقض منطق القرآن الكريم مناقضة كاملة ومنطق الحديث يجعل الإنسان غير حر وبالتالي غير مسؤول بعكس القرآن الذي يحمل المسؤولية كاملة للإنسان بحسب اختياره للخير أو للشر لأنه حر الإرادة والمشيئة.

﴿...مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ...﴾ - ١٢٣ النساء.

﴿مَّن عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفسِهِ وَمَن أَسَآءَ فَعَلَيهَا...﴾ - ٤٦ فصلت.

﴿إِن أَحسَنتُم أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم وَإِن أَسَأتُم فَلَهَا...﴾ - ٧ الإسراء.

﴿...لِّلَّذِينَ أَحسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ...﴾ - ٣٠ النحل.

﴿...وَيَجزِيَ الَّذِينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَى﴾ - ٣١ النجم.

والله تعالى لم يفرض على الإنسان فعل الحسنات بل تركها في اختيار الإنسان:

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...﴾ - ٢٤٥ البقرة.

والذي يختار الإيمان بحريته ويعمل الصالحات له جزاء الحسنى:

﴿وَأَمَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَآءً الحُسنَى...﴾ - ٨٨ الكهف.

بينما إذا عدنا للحديث وجدناه مناقضاً لآيات الله ولم يعد للإنسان حرية ولا مشيئة بل أصبح فرداً في القطيع السلطاني لا رأي له ولا قرار:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديث رقم ١٨٢٩ من صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:

«ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

هذا الحديث الذي يعتقد به أغلب المسلمين اليوم يعتبر هو المانع الأساسي لرفض المسلمين عقلية الشورى والحرية والديموقراطية إلى هذا اليوم لأن الحديث يرسخ فكرة الإستبداد في عقل الإنسان المسلم ويجعله من الله ظلماً للعباد فيتحول الحاكم إلى مستبد على شعبه الذي يتحول أمامه إلى قطيع لا رأي له يساق به بمشيئة السلطان وأعوانه ورجال دينه.

والأب في البيت يتحول إلى مستبد صغير على نسائه وأولاده وعبيده الذين يمثلون القطيع.

والعبد يصبح عند سيده راعياً على مال سيده من الإبل والأنعام فيسوقها بعصاه وهو مسؤول عنها.

وهكذا فالقاعدة عند السلطان وفي دينه هي قاعدة (الراعي والقطيع) بينما نجد العكس في دين الرحمن إذ يمنع الله تعالى رسله أن يكونوا جبارين ويأمرهم أن يشاوروا الناس ويأخذوا بآرائهم فالإنسان عند الله لم يتحول إلى فرد في قطيع أبداً. إذ يقول موصياً رسوله الكريم:

﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾ - ١٥٩ آل عمران

والقاعدة عند الله تعالى التي جعلها سُنَّةً لعباده في الأرض هي قاعدة الشورى وليس قاعدة الإستبداد والتجبر على الناس بالقهر والسلطان:

﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ - ٣٨ الشورى.

ولكن مبدأ الشورى والتشاور الذي وضعه سبحانه في كتابه مبدأً للعالمين أنكره جميع السلاطين فلن تجد له حديثاً أبداً يتكلم عن الشورى والتشاور بل تجد أنه قد جعل الظلم من المبادئ المقبولة في الدين بدليل أحاديث كثيرة مثل: الحديث ٧٠٣٥ من صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية».

الحديث رقم ٧٠٦٨ من صحيح البخاري عن الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس فشكونا إليه ما نلقى من (ظلم) الحجاج فقال نقلاً عن الرسول ﷺ «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم ﷺ.

الحديث ١٨٣٦ من صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثره عليك».

وفي شرح الحديث للإمام النووي نجد معنى أثره عليك هو:

«الإستئثار والإختصاص بأمور الدنيا عليكم».

«أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم» رأينا أن كل تلك الأحاديث تأمر المسلمين دائماً بالصبر على الظلم وقبوله إلى يوم الدين كأمر واقع لا مَفرَّ منه فهل يطلب القرآن السكوت على الظلم من أيٍّ كان في دين الإسلام؟

إن الذي يقبل بالظلم أو يظلم نفسه ماذا يقول عنه الرحمن؟:

يقول سبحانه أنه سوف يتعذب في الدنيا بعذاب السلطان وأما في الآخرة بدلاً أن يجد النعيم ينتظره كما نجد في الأحاديث النبوية التي ادعى السلطان الشرف سوف يقابل عذاباً أشد وأنكر:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكراً﴾ - ٨٧ الكهف.

وعند الله تعالى الظالم والذي يرضخ للظلم ويستكين له كلاهما سواء لأن الثاني ظالم لنفسه بقبوله للظلم من الأساس.

ومن أشد أنواع الظلم أن يقبل الإنسان بحكم الطاغوت ودينه مبعداً عن نفسه دين الرحمن الذي في القرآن، حيث يقول سبحانه على لسان لقمان الحكيم:

﴿...يَابُنَيَّ لا تُشرِك بِاللَّهِ إِنَّ الشِّركَ لَظُلم عَظِيم﴾ - ١٣ لقمان.

والذي يرمي كتاب الله خلف ظهره ويجعله كتاباً للموتى مطبقاً أحاديث افتراها رجال دين الطاغوت يكون من الظالمين لأنفسهم وللناس معاً:

﴿...وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٤٥ المائدة.

لذلك فالله تعالى لا يقبل من المسلم الإستكانة والسكوت عن الظلم بحجة أنه كان ضعيفاً ليس بيده شيء إذ يقول له الرحمن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنتُم قَالُوا كُنَّا مُستَضعَفِينَ فِي الأَرضِ قَالُوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأوَاهُم جَهَنَّمُ وَسَاءَت مَصِيراً﴾ - ٩٧ النساء.

والله تعالى يأذن للمؤمنين أن يقاتلوا من يظلمهم في الحياة الدنيا كائناً من كان.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصرِهِم لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾ - ٣٩ - ٤٠ الحج.

والله تعالى يأذن للمظلوم أن ينتصر لنفسه من الظالم:

﴿إِلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ - ٢٢٧ الشعراء.

المناقضة الثانية من المناقضات الأساسية هي ادعاء سنة خاصة للرسول الكريم في كل كتب الحديث بحيث يحق للسلطان باسم الرسول أن يضع قوانين تلغي قوانين الله وحدوده والله تعالى ينكر في كتابه مثل هذا الحق لرسله جميعاً ويجعل دائماً السنة لله وحده، وما السنة إلا القوانين الثابتة:

﴿...فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحوِيلاً﴾ - ٤٣ فاطر.

المناقضة الثالثة هي ادعاء حديث خاص للرسول الكريم مع حديث الله، والله تعالى ينكر ذلك على رسوله مع باقي رسله السابقين إذ يقول مستنكراً:

﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ - ٦ الجاثية.

المناقضة الرابعة هي ادعاء هدي مع هدي الله، وهذا مستنكر في كتاب الله بشدة وليس في الأرض هدي إلا لله وحده لا شريك له:

﴿...قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى...﴾ - ١٢٠ البقرة.

وأحسن الهدي اليوم من بعد التحريف لا نجده إلا في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ...﴾ - ٩ الإسراء.

وليس للرسول الكريم من الهدي شيء:

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

والله تعالى أنكر على رسوله حتى هداية من يحب من الناس من معارفه وأقربائه:

﴿إِنَّكَ لا تَهدِى مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٥٦ القصص.

المناقضة الخامسة هي ادعاء المعجزات باسم الرسول في الإسلام نجدها في آلاف الأحاديث المنتشرة في كتب الحديث بينما إذا عدنا إلى كتاب الله الصحيح نجد سبحانة يذكر كل معجزات الرسل مثل موسى وعيسى بالتفصيل ولا يذكر لرسوله الكريم أية معجزة مبيناً سبحانه السبب في هذا الإمتناع عن أسلوب المعجزات في آخر رسالة له للعالمين:

﴿وَمَا مَنَعنَآ أَن نُّرسِلَ بِالأَيَاتِ إِلآ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ...﴾ - ٥٩ الإسراء.

لأن الأولين عندما رأوا آيات الله على أيدي الرسل قالوا عنها سحر مبين:

وقالوا عن الرسول ساحر كذاب:

﴿...وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ - ٤ ص.

والمناقضة السادسة هي ادعاء علم الغيب ومعرفة المستقبل للرسول الكريم وهذا يناقض آيات الله في القرآن الكريم التي تنكر معرفة الغيب عن العالمين:

﴿قُل لا يَعلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ الغَيبَ إِلا اللَّهُ...﴾ - ٦٥ النمل.

وكما قال على لسان رسوله منكراً معرفة الغيب:

﴿قُل لآ أَقُولُ لَكُم عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلآ أَعلَمُ الغَيبَ...﴾ - ٥٠ الأنعام.

﴿...وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لاستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ...﴾ - ١٨٨ الأعراف.

والمناقضة السابعة هي ادعاء السلاطين أن الله تعالى أعطى مفاتيح خزائن الأرض لرسوله حتى يرثه السلطان ويتصرف به كيف يشاء.

الحديث رقم ٤٠٨٥ من صحيح البخاري عن عقبة أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني لأنظر إلى حوضي الأن وإني اعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». بهذا الحديث أمّن سلطان المسلمين مفتاح خزائن الأرض ليده بينما لا نجد في كتاب الله عن هذا الموضوع إلا الآية التالية على لسان يوسف وهو يخاطب الملك (ملك مصر):

﴿قَالَ اجعَلنِى عَلَى خَزَآئِنِ الأَرضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ - ٥٥ يوسف.

والله تعالى يقول:

﴿...وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَفقَهُونَ﴾ - ٧ المنافقون.

وأما رسولنا محمد ﷺ فإن الله قد أمره بأن يقول تماماً بعكس ما جاء في الحديث:

﴿قُل لآ أَقُولُ لَكُم عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلآ أَعلَمُ الغَيبَ...﴾ - ٥٠ الأنعام.

والمناقضة الثامنة هي ادعاء السلاطين بأن الله اختار رسوله محمداً ليكون شفيعاً للمسلمين حتى يصبر الناس على ظلمهم أملاً بشفاعة رسولهم لهم يوم القيامة.

ولكن الله تعالى ينكر مبدأ الشفاعة إنكاراً تاماً عن العالمين:

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقنَاكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِىَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ - ٢٥٤ البقرة.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ - ٤٤ الزمر.

والمناقضة التاسعة هو ادعاء رجال دين السلاطين عن طريق الحديث بأن للرسول الكريم الحق في التحليل والتحريم للمأكولات والمشروبات والمحرمات الأخرى لأن السلطان كان يحب أن يعدل فيها كما يشاء.

أولاً عدَّل في آيات الخمر فسمح بأحاديث كثيرة شرب الخمر لضرورته في مجالس السلطان.

ثانياً عدل في آيات التحريم وحرم ما يشاء.

ثالثاً عدل في آيات الزنى فسمح بالزنى تحت اسم المتعة، ونجد أحاديث كثيرة تقر أن المتعة سمح بها الرسول في حياته وكذلك سمح به أبو بكر الصديق إلى أن أتى عمر بن الخطاب فمنعها.

ومنع عمر في الإسلام يعتبر اجتهاداً يمكن أن يجتهد غيره بعد ذلك بما يريد علماً أن موضوع الحرام والحلال يقع في حدود الله وليس لمخلوق في الأرض القدرة على تعديل ما ورد فيه نص صريح من رب العالمين خاصةً في الحدود.

فتم الإجتهاد من بعض الفئات الإسلامية التي اعتبرت الزنى مع النساء من غير المسلمات نوعاً من الجهاد، على اعتبار أنهن في حكم السبايا في إسلام السلطان. والمناقضة العاشرة هو ادعاء عذاب القبر في الأحاديث علماً أن الله تعالى ينكرها في

آيات كثيرة مبيناً أن الحياة أساس للشعور بالألم ووجود الجلد أساس لشعور الحي بالألم أيضاً كما في الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوفَ نُصلِيهِم نَاراً كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُم جُلُوداً غَيرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ...﴾ - ٥٦ النساء.

هذه الآية معجزة علمية لم يكن أحد يعلم بها إلا الله، رب العالمين واليوم علماء وأطباء الجلد يكتشفون أن الإنسان بدون جلد لا يشعر بالألم لأن مراكز الإحساس بالألم والعذاب كلها موزعة في جلده وهذا هو سبب تجديد جلود المعذبين يوم القيامة في الجحيم.

والحقيقة الثانية أن الحياة أساس لكل عذاب وألم في الأرض:

﴿...لا يُقضَى عَلَيهِم فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنهُم مِن عَذَابِهَا...﴾ - ٣٦ فاطر.

وسبب عدم إماتتهم هو لعلم الله أن الميت لا يشعر بالألم والعذاب.

أو قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ مَن يَأتِ رَبَّهُ مُجرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحيَى﴾ - ٧٤ طه.

لا يموت حتى يشعر بالعذاب المستمر ولا يحيى كناية عن أن العذاب المستمر لا يمكن أن يوصف بالحياة بالنسبة لأي مخلوق في حالة ألم مستمر وعكس صفات الحي هي صفات الموت:

﴿...وَلا يَملِكُونَ مَوتاً وَلا حَيَوةً وَلا نُشُوراً﴾ - ٣ الفرقان.

وبما أن الموتى لا يحسون ومن الإحساس السمع قال سبحانه:

﴿إِنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى...﴾ - ٨٠ النمل.

والمناقضة الحادية عشر هو ادعاء رجال دين السلاطين عند المسلمين بأن رجم الزاني والزانية من الإسلام ومع الإدعاء بوجود آية أنزلت على الرسول الكريم فنسي أن يكتبها لكتبة الوحي عنده وهي:

«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»

علماً ان هذا الإدعاء ينقضه القرآن الكريم الذي ثبت أن أحرفه وآياته وسوره كلها تخضع لقانون عددي احصائي ثابت برهنت عليه في كتابي الأول في فصل كامل تحت عنوان (الإعجاز العددي في القرآن) ولو أن ما يدعيه مشايخ السلطان صحيح فإن

هذه الآية وحدها تخرب كل الإعجاز العددي لأحرف القرآن أولاً، ولعدد آيات القرآن ثانياً، ولعدد أحرف الألف واللام والشين والخاء والواو والهاء والذال والزين والياء والفاء والراء والجيم والباء والتاء فتغيرها جميعاً.

إذا هذا الإدعاء ينقضه الإعجاز القرآني العددي مباشرة ولا مجال أن تكون هذه الآية المدعاة من مشايخ السلطان صحيحة أبداً ولا ذكر لموضوع رجم الزاني والزانية في إسلام الرحمن أبداً.

المناقضة الثانية عشر أننا نجد في صحيح البخاري حديثاً يسن سنة الإغتيال غدراً كما يهوى السلطان في الإسلام مع أن الرحمن لا يسمح بذلك في الإسلام أبداً.

المناقضة الثالثة عشر أن الإسلام لا يسمح في دين القرآن إخراج المطلقة من بيت الزوجية لمدة ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات كاملات حتى يزول أسباب الخلاف والغضب التي كانت أسباباً مباشرة للطلاق فتصفوا الأمور من جديد بين الزوجين وتعود المياه لسابق مجاريها.

بينما دين الحديث يسمح بخروج المطلقة من بيتها من لحظة الطلاق إلى بيت أهلها وهذا لا يجوز في شرع الله الحقيقي لأنه يضيع على الزوجين فرصة المصالحة:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُم وَلا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخرُجنَ إِلآ أَن يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ وَلا تَدرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحدِثُ بَعدَ ذَلِكَ أَمراً﴾ - ١ الطلاق.

المناقضة الرابعة عشر أن الله تعالى جعل الحج موسماً كاملاً خلال أشهر ثلاث وهي شهر شوال وذو القعدة وذو الحجة وقال عنها سبحانه:

﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ...﴾ - ١٩٧ البقرة.

يستطيع المسلمون أن يجعلوا لها ثمانون فوجاً من الحجاج على أقل تقدير بينما ظن المسلمون أن الحج الذي طبقه السلاطين خلال أيام الظلم والفقر والجهل حيث انتشرت اللصوصية وقطع الطرقات فاختصروا الحج إلى حجة واحدة للجميع من أجل توفير الأمن والحراسة للحجاج.

فما يزال المسلمون يطبقون حج السلاطين تاركين حج الله المبين في كتابه المبين.

المناقضة الخامسة عشر الأشهر الحرم نسيها المسلمون الذين يظنون أنها شهر رجب

قبل رمضان ثم شهرين من أشهر الحج وهما ذو القعدة وذو الحجة التي تأتي في آخر السنة الهجرية ثم يضيفون إليها شهر محرم الذي يأتي في أول السنة الهجرية وهكذا يوزعون الأشهر الحرم إلى ثلاثة أقسام بينما إذا عدنا لكتاب الله لعلمنا أنها أشهر أربعة تأتي متواليات وليس لرجب علاقة فيها وكذلك ليس لأشهر الحج المعلومات علاقة بها أيضاً وهي تأتي في أول كل عام مبتدأه بشهر محرم الذي يبدأ به التحريم ثم يليها شهر صفر ثم شهري ربيع الأول وربيع الثاني وبما أن الله تعالى قد حرم صيد البرِّ في هذه الأشهر الأربعة المتوالية التي يجب أن تصدف في أشهر الربيع موسم الولادات للحيوانات البرية من أجل المحافظة عليها ومنع انقراضها وهذا يتطلب بالتأكيد أن تكون السنة الهجرية موسمية تعتمد على العناصر الثلاثة التي سخرها سبحانه للتقويم والحساب لعدد الأشهر والسنين وجعل سبحانه الشمس والقمر أساسيان لمعرفة طول السنة.

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَآءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ...﴾ - ٥ يونس.

هذه الآية تتحدث عن الدورة الإقترانية للشمس والقمر حيث يجب على الفلكيين معرفة منازل القمر في أبراج السماء ودورتها الكاملة لكل تسعة عشر عاماً دورة اقترانية كاملة وبدون معرفة ذلك لا يمكن حساب عدد السنين بواسطة القمر الذي يدور حول الأرض ٢٣٥ دورة خلال تسعة عشر سنة شمسية بدقة أجزاء الثانية.

والتقويم المحسوب بالدورة القمرية أدق من كل أنواع التقاويم المعروفة إلى هذا اليوم (راجع بحث التقويم والسنة الهجرية الإسلامية في هذا الكتاب).

إن دورة القمر الشهرية من أجل معرفة أسماء الأشهر وتحرك القمر في منازل أبراج السماء من أجل معرفة الدورة الإقترانية بين الشمس والقمر لمعرفة وتحديد السنة الموسمية التي بدونها لا يستطيع الإنسان أن يعرف المواسم الزراعية ومواسم ولادات الحيوانات ومعرفة مواسم الصيد ومواسم الحج كلها بحسب التاريخ الإسلامي كانت تتبع السنة الموسمية علماً أن ما ورثناه من تطبيق السنة الهجرية الإسلامية من علم مشايخ السلاطين وأدعياء العلم من الذين نسوا العلم والعلوم فألغوا الشهر النسيء لسوء فهم مقصود على الأغلب من قبل الحاقدين والحاسدين من الذين دخلوا إلى الإسلام على نية تخريبه من الداخل.

السنة الهجرية الحالية دليل على جهل المسلمين لأهمية السنة الموسمية لمعرفة الفصول

الموسمية الأربعة من أجل الزراعة والتجارة وفتح أسواق الحج ومواسم الصيد.

علماً أن الإسلام كان أول نظام في العالم سن قانوناً خاصاً وحدد أربعة أشهر حرم فيها الصيد البري لحماية الحيوانات البرية في الطبيعة من ظلم الإنسان ومن خطر الإنقراض وتلك الأشهر الأربعة يجب حكماً أن تصدف في فصل الربيع موسم ولادة الحيوانات البرية أما في السنة الهجرية الحالية لم يعد لهذا التحريم أي معنى.

المناقضة السادسة عشر دين الحديث ينظر للمرأة نظرة دونية ويقول عنها أنها شيطان وأنها سبب الخطيئة وسبب المصائب والنحس للرجل ويساويها بالكلب والحمار مع أن القرآن يرفع من قدرها وينظر إليها نفس النظرة إلى الرجل على اعتبار أنها نفس إنسانية كاملة والقرآن يعطي القيادة للرجل في الأسرة لأسباب فيزيولوجية ويحمله مسؤوليات كبيرة في مقابل هذا التفضيل المبدأي مثل المسؤولية المالية والصرف على الإسرة.

المناقضة السابعة عشر: دين الحديث يضع أركان للإسلام وأركان أخرى للإيمان بينما دين القرآن ليس فيه مثل هذا الخلط فليس في إسلام الله إلا شروط للإيمان فقط لأن المسلم بالوراثة ليس مسلماً في دين الله حتى يكتمل إيمانه:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرِ﴾ - ٢٨٥ البقرة.

المناقضة الثامنة عشر دين الحديث يشترط الإيمان بالقضاء والقدر كشرط أساسي من شروط الإيمان ودين القرآن ليس فيه هذا الشرط على الإطلاق.

وشروط الإيمان في القرآن ثابتة لا تتغير بينما شروط الإيمان في دين الحديث تابعة لمزاج السلطان يضيف عليها ما يشاء.

حيث نجد في الصحيح باباً مثل: الجهاد من شروط الإيمان لأهمية الجهاد بالنسبة للسلطان كمصدر للغنائم والسبايا. وكذلك جعل دفع الخمس من الإيمان لأهمية ذلك الخمس من الغنائم للسلطان.

وكذلك جعل دفع الزكاة من الإيمان لأهمية الزكاة كمصدر مالي للسلطان وبيت ماله الذي يتصرف به كيف يشاء. المناقضة التاسعة عشرة:

دين القرآن يضع ثلاثة شروط ثابتة للدخول إلى جنة الرضوان وهي:

١ - الإيمان مع العبادات ضمناً.

٢ ـ الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب.

٣ ـ العمل الصالح في الدنيا بما ينفع الناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم...﴾ ـ ٢٧٧ البقرة.

على أن يتحاشى المؤمن الوقوع في الكبائر العشرة:

﴿إِن تَجتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم...﴾ ـ ٣١ النساء.

بينما في دين الحديث مجرد الإيمان بالله أو مجرد القول باللسان ولو مرة واحدة في العمر (لا إله إلا الله) يدخل الجنة ولو سرق وزنى وفعل الكبائر.

هذا التخفيف المجاني من قبل السلطان هو مجرد تعويض معنوي منه مقابل ظلمه لكل رعاياه المظلومين المقهورين تحت نظام حكمه الإستبدادي دون أن يكلفه أي شيء مادي من صندوقه المالي المحبوب.

المناقضة العشرون:

دين القرآن يميز العمل عن العبادات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم...﴾ ـ ٢٧٧ البقرة.

بينما دين الحديث يخلط العمل بالعبادات كما رأيتم كل ذلك في مكانه في بحث العمل.

وهكذا يستطيع المسلم المتتبع لآيات القرآن مع مقارنتها بما ورد في صحيح البخاري من الأحاديث المنسوبة ظلماً وافتراءً لله ولرسوله الكريم أن يؤلف كتاباً كبيراً وهو يعد المتناقضات التي لا تنتهي لأن ما عند الله ثابت لا اختلاف فيه وما عند السلاطين من كتب يتلوها رجال دينه عن كتاب الله ظلماً لأنفسهم وللناس مختلف ومتناقض دائماً وقول الله تعالى:

﴿...وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ ـ ٨٢ النساء.

دليل حتمي على أنه جميعاً ليس من وحي الرحمن أبداً.

مع أن رجال الدين الإسلامي من الذين ورثوا الدين عن آبائهم ما يزالون يحجبون هذه الحقائق إلى اليوم عن أمة المسلمين خوفاً على مصالحهم وامتيازاتهم وجاههم من

الزوال مع أن صنم السلاطين قد تحطم قبل مائة عام تقريباً بزوال السلطنة العثمانية فبقي أمام المسلمين صنمان آخران لابد من زوالهما حتى يعود المسلمين جميعاً إلى دين الرحمن الصحيح، وهما صنم مكتتبات السلاطين من كتب الحديث التي ألفها علماء السوء عند السلاطين خدمة لهم وتبديلاً لكلمات الرحمن الرحيم لتحل محل القرآن الكريم وينشأ عليه دين الطاغوت بدلاً عن دين الرحمن.

وصنم فقهاء السوء الذين يعملون خدماً لخلفاء السلاطين من محبي التسلط على العباد والمشجعين على التمسك بكتب السلاطين ومؤلفاتهم التي تخدم مصالحهم متنكرين لكتاب الله المبين بعد أن حَجَروا عليه بالتأويل رغم نهي الله تعالى عنه في القرآن بشكل صريح:

﴿...وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ...﴾ - ٧ آل عمران.

وأغلب أقاويلهم يصدق عليها الآية الكريمة:

﴿بَل كَذَّبُوا بِمَا لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ وَلَمَّا يَأتِهِم تَأوِيلُهُ...﴾ - ٣٩ يونس.

والتأويل للآيات يأتي بالمكتشفات العلمية التي تتم للإنسان بالإلهام من الرحمن مثل آيات الجبال وتشبيهها بالمراسي بعد معرفة الإنسان أن داخل الأرض سائل ناري ملتهب تنزل فيها الجبال نزول رواسي السفينة وتعمل عملها لتثبيت القشرة الأرضية للقارات ومنعها من الحركات الزلزالية الكبيرة.

﴿وَالجِبَالَ أَرسَاهَا﴾ - ٣٢ النازعات.

﴿وَجَعَلنَا فِي الأَرضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِم...﴾ - ٣١ الأنبياء.

أو الآيات التي تشير إلى كروية الأرض:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيلِ...﴾ - ٥ الزمر.

تحديد رب العالمين للسماء الدنيا مشيراً للمجموعة الشمسية التي فيها الكواكب ومميزاً لها عن السماء التي فيها النجوم والمجرات:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ - ٦ الصافات.

تمييز الشمس والقمر عن الكواكب في قوله تعالى:

﴿... إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَباً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لِي سَاجِدِينَ﴾ - ٤ يوسف.

إخبار الإنسان عن خضوع كل مخلوقاته لقانون وسنة التطور الدائم مع الزمن:
﴿وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾ - ١٤ نوح.

قانون إعادة الخلق بمرور المخلوق خلال فترة تطوره بجميع المراحل التي مر بها ومن مخلوقات الله الإنسان الذي يعيد تاريخه كله من يوم خلقه سبحانه خلية أحادية في الطين ثم إيصاله إلى مرحلة البشر في صورة ما قبل أدم ثم اصطفاء آدم مع إضافة العقل والإرادة الحرة مع المشيئة مع القدرة على الإبتكار من رب العالمين بالنفخة في آدم وتطويره بعد ذلك حتى يبلغ الإنسان آخر مراحل نضجه العلمي عندما يصل عمره أربعين سنة.

هذه الآيات نجدها في قوله تعالى:

﴿وَلَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلنَاهُ نُطفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقنَا العَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقنَا المُضغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ﴾ - ١٢- ١٤المؤمنون.

وفي آخر الآية إشارة إلى اصطفاء آدم والإضافات التي جرت عليه وذلك في قوله تعالى:

﴿...ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلقاً ءَاخَرَ...﴾ - ١٤ المؤمنون.

هذا الخلق يختلف عن باقي المخلوقات ويمتاز عليها.

ولكن الإنسان في طفولته وشبابه وحتى الأربعين يمر بكل الأطوار التي مر بها آدم وهو يتطور من جيل إلى آخر خاصة إذا تابعنا تعليم الإنسان كل العلوم التي تعلمها الإنسان من الله حتى يضيف العلماء بمكتشفاتهم تطويراً للعلم في كل مجالات العلوم التي علمها الله تعالى للإنسان ومنه أصلاً الإلهام.

﴿...حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَربَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوزِعنِي أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أَنعَمتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَن أَعمَلَ صَالِحاً تَرضَاهُ وَأَصلِح لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبتُ إِلَيكَ وَإِنِّي مِنَ المُسلِمِينَ﴾ - ١٥ الأحقاف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

فقهاء وعلماء السوء الذين ينكرون توحيد كتاب الله وسنته وحديثه وهديه وشفاعته

يعلمنا الله تعالى في كتابه المبين أن في كل أديان العالم عندما يزول من قلوب العباد مخافة الله تعالى وتميل نفوسهم لما تهوى يأتي الملأ منهم وهم أصحاب السلطة والمال والجاه والنفوذ ليستعيدوا السلطة من أهل الحق باسم الله علناً لتطبيق شرع الباطل سراً الذي يكون له الفعل والتطبيق ظلماً للناس جميعاً. في تلك الفترات الحرجة من تاريخ الأمم تظهر عادةً فئة من الناس المتنورين الذين يعرفون ولكن عندهم الإستعداد للكذب والإفتراء والنفاق مقابل شهوات الدنيا من مال وجاه وعز وقوة ينالون به حماية السلطان وتأييده وماله وجاهه وهؤلاء هم فقهاء وعلماء دين السلطان الذين أتحدث عنهم هنا تحت اسم علماء السوء الذين بدَّلوا في كل الأديان كتب الله فحرفوها وبدلوا شرع الله الصحيح العادل الحنيف إلى شرع آخر للطاغوت افتراءً وظلماً لعباد الرحمن وحتى لا يكون حديثي عن هؤلاء من نفسي وكأني أقول فيهم ما أشاء فيظن القارئ الكريم أني ربما أكرههم لسبب ما ويظن أني أتهجم عليهم وأظلمهم وأجرّح فيهم لذا فإني سوف أستشهد أولاً ما روي عن عيسى عليه السلام وهو يصف لنا علماء الشريعة عند اليهود بعد أن أصبحوا علماء وفقهاء السلاطين اليهود الظلمة.

ثم أستشهد أولاً بعالم من علماء أهل السنة وهو أبو حامد الغزالي الذي عاش في القرن الخامس الهجري ثمّ أخيراً استشهد بعالم آخر من علماء أهل السنة وهو ابن قيم الجوزية الذي عاش في القرن الثامن الهجري حتى يأخذ القارئ الكريم فكرة موسعة مأخوذة من عهود مختلفة لنفس الفئة من الناس يوجدون في كل عصر ومصر ويتزعمون عندما يتزعم الشيطان في الأرض ويختفون عندما يكون الحكم للرحمن فيخنسون ولا نسمع لهم حساً ولا حركة. فإلى إنجيل متى لنسمع ما يروي لنا من أقوال المسيح عليه السلام تحت عنوان (التحذير من معلمي الشريعة): «على كرسي موسى جلس علماء الشريعة (الفريسيون)...

حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون * فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عَسِرَةُ الحَمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحرِّكوها بإصبعهم * وكل أعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس (رياء) فيعرضون عصائبهم ويعظِّمون

أهداب ثيابهم * ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع * والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي *....

ولكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون * ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم * الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون!

فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهوداً واحداً * فإذا تهوَّد جعلتموه أهلاً بجهنم ضعف ما أنتم عليه! «الويل لكم أيها القادة العميان! أيهما أعظم القربان أم المذبح الذي يقدس عليه القربان؟

فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه * ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه *الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون!...»

فقد أهملتم أهم ما في الشريعة: العدل والرحمة والأمانة

أيها القادة العميان! إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل * الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراؤون! فإنكم تنظفون الكأس والصفحة من الخارج ولكنهما من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع (وفي رواية أخرى: مملوآن اختطافاً ودعارةً) أيها الفريسي الأعمى نظف أولاً داخل الكأس ليصير خارجها أيضاً نظيفاً * الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم كالقبور المطلية بالكلس: تبدوا جميلة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة! كذلك أنتم تبدون للناس أبراراً * ولكنكم من الداخل ممتلؤون بالرياء والفسق!

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار * وتقولون: لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم النبياء!

فأكملوا ما بدأه آبائكم ليطفح الكيل!

أيها الحيات * أولاد الأفاعي! كيف تفلتون من عقاب جهنم؟...

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدوا! ها إن بيتكم يدك لكم خراباً! فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن، حتى تقولوا مبارك الآتي باسم

الرب» إنجيل متى الإصحاح ٢٣

بعد أن استمعنا للإنجيل ننتقل لنستمع لنصوص من كتابات عالم إسلامي من أهل السنة ورأيه الصريح في علماء الشريعة من طائفة السنة الذين تفانوا في خدمة السلاطين ابتداءً من السلطان الأول معاوية بن أبي سفيان وإلى آخر سلطان في عهده وهو يتكلم في أواخر الخلافة العباسية. وفي القرن الخامس الهجري وبداية العصر السلجوقي التركي في بغداد وهو عصر الفاطميين في مصر وشمال أفريقيا وعصر الأتابكة في دمشق والحمدانيين في حلب، واصفاً لنا العالم الإسلامي السني:

واسمه محمد بن أحمد الغزالي ولد في طوس سنة ٤٤٥ هجرية وتوفي سنة ٥٠٥ هجرية ومن أشهر مؤلفاته كتاب إحياء علوم الدين الذي أستشهد منه هذه الفقرات:

يقول أبو حامد الغزالي وهو يصف علماء السلطان بعد تعريف العلماء الحقيقين:

«فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون (الرسميون) وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لاعلم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام، عند تهاوش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام، وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصالح، مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمةً، وعلماً وضياءً ونوراً، وهدايةً ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً، وصار نسياً منسياً.

ويروى عن الرسول الكريم الحديث التالي:

«صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس: الأمراء والفقهاء»

وكلاهما فسدا من بعد الخلافة الراشدة وإلى هذا اليوم.

واستشهد أبو حامد بالحديث التالي تأكيداً على فساد الفقهاء:

وقال رسول الله ﷺ:

«أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها» وفي رواية أخرى:

«أكثر منافقي أمتي قراؤها» وقراء الأمة هم رجال الدين.

وكما يستشهد الغزالي أن العطل والعيب قد أصاب بعض صحابة رسول الله الذين قبلوا الأموال من السلاطين الظلمة:

«روى عن جماعة من الصحابة، أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال، منهم أبوهريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجرير بن عبد الله وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمرو وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وإبراهيم، والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هارون الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً جمة»

عن كتاب الحلال والحرام ص ٨٩٢ للغزالي.

وكتب الغزالي تحت عنوان:

الدخول على السلطان الظالم وهو يقول:

«اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال، الحالة الأولى وهي شرها أن تدخل عليهم، والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثالثة وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك»

واستشهد بأحاديث أوردها وهي:

قال ﷺ: «سيكون من بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض»

وكما قال:

«أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء»

وكما قال:

العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» وعن أبي سعيد الخدري أنه قال:

«ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر»

وكما قال يصف نفوس السلاطين مع نفوس أعوانهم من الفقهاء:

«لا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم، والإستعانة بهم على أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالسهم، وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم، فلو لم يُذِلَّ الآخذُ نَفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد عليهم في الخدمة ثانياً، وبالدعاء وبالثناء ثالثاً، وبالمساعدة له على أغراضه عند الإستعانة رابعاً، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعاً، لم ينعم عليهم بدرهم واحد» عن كتاب الحلال والحرام ص ٨٩٧.

ويقول الغزالي أيضاً:

«وبالجملة، إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء، لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم. لذلك قال ﷺ:

«لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم تمالئ قراؤها أمراءها»

وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء، وإنما كان علمهم بالقرآن.(*)

«وأهم موضوع أن العلماء سكتوا عن الظلم وأسكتوا الناس عليه وأمروهم بالصبر وهذا حرام في حق الناس ومعصية لرب العالمين:

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألف من خيارهم، وستين ألف من شرارهم، فقال ما بال خيارهم؟ قال: إنهم لا يغضبون لغضبي، فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم (للظلمة) وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ:

«أن الله لعن علماء بني اسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم»(**)

أخبرني صديق لبناني يعمل صحفياً بأنه حضر احتفالاً للشيعة في لبنان حضره رجال دين من السنة فقام أحد رجال دين الشيعة وقال مازحاً حتى لا يهيج الحضور:

«هل تعلمون؟!! نحن رجال الدين أصل البلاء فلو اتفق الناس من السنة والشيعة على أن يتحدوا من جديد لما قبلنا ذلك لأنهم إن فعلوا طارت كراسينا»

لذلك أصل بلاء هذه الأمة هم السياسيون مضافاً عليهم رجال الدين الذين يفرحون بدخول فرقة جديدة تحت اسم جديد في السنة أو في الشيعة ليزدادوا بذلك تفرقاً

(*) عن كتاب الحلال والحرام ص ٩١٧.

(**) نفس المصدر السابق ص ٩١٦.

وضعفاً واختلافاً، ولكن يغضبهم ويثير الخوف في نفوسهم إذا سمعوا بالإتفاق والإتحاد لأن ذلك نذير شؤم لهم يخيفهم على مراكزهم وجاههم الذي عشقوه بعد أن ظنوا أنهم أصبحوا زعماء روحيين للمسلمين وكل ما يهمهم من الإسلام هو تواجدهم في تلك المراكز الدنيوية والناس يركعون ويقبلون أيديهم أو أطراف أثوابهم فتوهموا العظمة في أنفسهم.

بعد أن استمعنا إلى الغزالي من القرن الخامس الهجري ننتقل إلى عالم إسلامي من أهل السنة أيضاً وهو ابن قيم الجوزية ليحدثنا عن علماء السوء الذين عملوا في الدين مع السلاطين وهم يأخذون ما يعتبرونه رزقاً حلالاً لهم من أيدي السلاطين الظلمة الذين تتابعوا على حكم المسلمين من العصر الأموي إلى هذا اليوم، حيث كتب ابن القيم رحمه الله تحت عنوان العلم الراسخ وهو يقول:

«أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ وَالإِيمَانَ لَقَد لَبِثتُم فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَومِ البَعثِ...﴾ - ٥٦ الروم.

﴿...يَرفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ...﴾ - ١١ المجادلة.

وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية.

ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان الذين بهما السعادة والرفعة، وفي حقيقتهما. حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي به تنال السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان الذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على مناهجهم وآثارهم.

فكل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمرَهُم بَينَهُم زُبُراً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٥٣ المؤمنون

وأكثر ما عندهم كلام وآراء وخرص، والعلم وراء الكلام كما قال حماد بن زيد: قلت لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟

فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر!

ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام، فالكتب كثيرة جداً والكلام والجدال

والمقدرات المذهبية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه قال تعالى:

﴿فَمَن حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَآءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أَبنَآءَنَا وَأَبنَآءَكُم وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَتَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ - ٦١ آل عمران.

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿...وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَآءَهُم بَعدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ - ١٢٠ البقرة.

كانت الآية السابقة تنبيه للرسول الكريم وتنبيه لجميع المسلمين إلى يوم الدين أن لا نتبع أبداً اليهود والنصارى ولا كتبهم المحرفة التي كتبوها بحسب أهوائهم ومسلم اليوم إذا قرأ كتب الحديث يجد أن التوراة والتلمود والأناجيل قد انتقلت إلى دين الإسلام تحت اسم أحاديث نبوية شريفة كما برهنت على ذلك في كتاب البرهان (دين السلطان) علماً أن ذلك ممنوع علينا من الرحمن.

الإيمان بالإسلام الصحيح هو تجنب لكل محرفات أهل الكتاب وما فيها من قصص محرفة عن الأنبياء والرسل والعقائد بينما نجدها كلها في كتب الدين عندنا ونحن نظن أنها نزلت بالوحي على رسولنا الكريم الذي لم ينزل عليه بالوحي سوى القرآن الكريم الذي عنه يحدثنا الرحمن في الآية التالية للآية السابقة من سورة البقرة:

﴿الَّذِينَ ءَاتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ وَمن يَكفُر بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ - ١٢١ البقرة.

والمعنى واضح أن من يهجر القرآن إلى غيره من الكتب فيتلوا مع القرآن ما يظن بأن الله تعالى قد أنزله على رسوله سراً دون أن يخبرنا عنه وليس لنا دليل عقلي على صحته إلا شهادة علماء السوء فلا يلوم المؤمن بالله عندها إلا نفسه إذا وقف ليحاسبه رب العزة يوم القيامة ويسأله عن سبب إشراكه، ويتابع ابن القيم كلامه ويقول:

(ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علماً، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس فضيعوا فيها الزمان، وملأوا بها الصحف مداداً، والقلوب سواداً، حتى صرَّح كثير من الناس منهم أنه ليس في القرآن علم، وأن أدلتهما لفظية ولا تفيد يقيناً ولا علماً، وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم، وأذن بها بين أظهرهم حتى أسمعهم دانيهم لقاصيهم، فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان كانسلاخ الحية من قشرها، والثوب عن لابسه، وقال لي

شيخنا مرةً في وصف هؤلاء (يقصد ابن تيمية) إنهم طافوا على أرباب المذاهب ففازوا بأخس المطالب، ويكفيك دليلاً على أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله، ما ترى فيه من التناقض والإختلاف ومصادمة بعضه ببعض، قال تعالى:

﴿...وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

وهذا دليل على أن ما كان عنده سبحانه لا يختلف، وأن ما اختلف وتناقض فليس من عنده، وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار ديناً يدان به ويحكم به على الله ورسوله، سبحانك هذا بهتان عظيم!)

وبما أن الأحاديث المتوفرة بين أيدي الناس كما بينت للقارئ الكريم من خلال صحيحي البخاري ومسلم وضربت له الأمثلة فمن أحاديث تقول بأن من قال بلسانه مرة واحدة في حياته (لا إله إلا الله) دخل الجنة وأحاديث تقول من قال (لا إله إلا الله) ولم يشرك به أحداً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق (بمعنى وإن فعل الكبائر كلها). بينما رأيتم أنه لا يوجد مثل هذا الإختلاف في كتاب الله أبداً.

الإيمان شروطه محددة في كتاب الله تعالى:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ - ٢٨٥ البقرة.

بينما تعددت الفرق الإسلامية بتعدد أشكال الأحاديث واختلافاتها إلى فرق متعددة لأن الحديث الذي له ثمانون نوع من أنواع الإختلاف في ذاته لا يدعوا أصلاً إلى اتفاق أو اتحاد أبداً. لنتابع نص ابن القيم في كتابه:

(فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كله وجحده، والوقوف مع ما تقتضيه آراء المتهَوِّكين، وأفكار المخرِّصين الذين يرد بعضهم على بعض، وينقض بعضهم قول بعض، الذين هم كما قال عمر بن الخطاب والإمام أحمد:

(مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب) وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم، وما تهواه نفوسهم، من غير تقيد بما جاء به الرسول (من وحي أوحي إليه من ربه). وآخرون الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الإتفاق كائناً ما كان، بل إيمانهم مبني على مقدمتين، إحداهما: أن قول أسلافنا وآبائنا والثانية أن ما قالوه فهو الحق. وآخرون عندهم الإيمان مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، وطلاقة الوجه، وإحسان الظن بكل أحد، وتخلية

الناس وغفلاتهم.

وآخرون عندهم الإيمان التجرد من الدنيا وعلائقها وتفريغ القلب منها والزهد فيها.

فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان، وإن كان منسلخاً من الإيمان علماً وعملاً.

وأعلى من هؤلاء من جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل.

وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان، ولا قاموا به ولا قام بهم وهم أنواع:

منهم من جعل الإيمان ما يضاد الإيمان، ومنهم من جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان، ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله، ومنهم من اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده، ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه). نفس المصدر السابق.

إن الحديث المتوفر بين أيدي الناس والذي يعتقد عامة المسلمون أنها من أقوال الرسول الكريم هو السبب المباشر لكل هذه الإختلافات لأن في الحديث ما يؤيد كل هذه الفرق فالحديث يشبه جعبة الحاوي يحوي دائماً الشيء ونقيضه وفيه من كل شيء أغربه. سواء شئت به للتطرف يميناً سار معك وإن شئت به التطرف يساراً سار معك أيضاً بنفس القوة. بعكس القرآن الكريم الذي لا اختلاف فيه ولا تناقض بين آياته وشروط الإيمان ثابتة والوصايا العشرة ثابتة والكبائر العشرة ثابتة وهكذا لا مجال للمؤمن بها من الإختلاف فيه أو عليه أبداً فالقرآن شهادة الله وحكمه وأمره وحدوده وحبله المنزل ليكون حبلاً للعالمين من السماء، ومن يتمسك بغير ذلك الحبل ضل وتاه وضاع. ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاتَفَرَّقُوا...﴾ - ١٠٣ آل عمران.

نتابع النص السابق:

(والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والإنقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الإلتفات إلى الله ورسوله.. وبالله التوفيق.)(*).

(*) عن كتاب الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية طبع دار الكتاب العربي لبنان بيروت ١٩٩٤ الصفحات من ١٥٤ إلى ١٥٩.

وابن القيم الجوزية والغزالي والبخاري ومسلم وكل علماء الدين الذين دعوا إلى الله دعوة صادقة كانوا يعيشون جميعاً في ظل سلاطين ظلمة يكفي خروج أحدهم عن إجماع رجال دين السلطة بشيء ما حتى يتهموه اتهاماً شديداً يكفي لحز رأسه بسيف السلطان فلم يعش أي منهم في ظروف طبيعية تعترف فيها السلطة بحقوق الإنسان وحرياته أبداً. لذلك كانوا مضطرين للقول بأن الله تعالى قد أنزل بدل الكتاب الواحد كتابين مسايرين به علماء السلاطين من علماء السوء. أحدهما الكتاب وهو القرآن.

والثاني الحكمة وهي مجموع ما نسب للرسول الكريم بأنها أحاديثه وكلاهما وحي منزل من السماء بدليل ما قاله ابن قيم الجوزية نفسه في كتاب الروح في الصفحة ١٣١ طبع دار الكتاب العربي ١٩٩٤.

(إن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عبده الإيمان بهما والعمل فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى:

﴿...وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ...﴾ - ١١٣ النساء.

والكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة باتفاق السلف. وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكر، إلا من ليس منهم وقد قال النبي ﷺ إني أوتيت الكتاب ومثله معه)

هذا الكلام الخطير الذي يعلنه ابن قيم هو إعلان بالإشراك بالله شيئاً مع أن الله تعالى قد نبه المسلمين أن لا يشركوا بالله الأشياء مثل كتاب مع كتاب الله بقوله:

﴿...أَلاَّ نَعبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشرِكَ بِهِ شَيئاً...﴾ - ٦٤ آل عمران.

﴿وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً...﴾ ٣٦ النساء.

﴿وَإِذ بَوَّأنَا لِإبرَاهِيمَ مَكَانَ البَيتِ أَن لا تُشرِكَ بِي شَيئاً﴾ - ٢٦ الحج.

وإذا لاحظنا ديننا وتاريخنا لوجدنا أن الله تعالى مكن الدين واستخلف الذين وحدوا الله من المؤمنين الصادقين من الخلفاء الراشدين ثم بدأ غضب الله وسحب تأييده من المسلمين بعد أن كثر الذين يشركون بالله شيئاً، أما الذين كانوا يدعونهم بالقراء دلالة على العلماء ليخلفهم المحدثين الذين هجروا كتاب الله.

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في سورة النور:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِى الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِى ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً يَعبُدُونَنِى وَلا يُشرِكُونَ بِى شَيئاً وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ ـ ٥٥ النور.

ليجلس كل إنسان وحده ويتفكر وحده:

إن كان يتبع السنة أو أحد أحزابها وطرقها ومذاهبها.

أو كان يتبع الشيعة أو أحد أحزابها وطرقها ومذاهبها.

هل كان الرسول وصحبه الكرام على إحدى هذه الطوائف والأحزاب والطرق؟

هل كان الرسول الكريم يقول للناس من حوله عليكم بحديثي مناقضاً قول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآيَتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ ـ ٦ الجاثية.

هل كان للرسول الكريم هدي خاص به والله تعالى يقول له بصراحة ما بعدها صراحة: ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ ـ ٢٧٢ البقرة.

هل كان للرسول الكريم أمر خاص يخالف به كتاب الله ويأتي بشيء لم يذكره الرحمن أم قال الله له بصراحة تامة حتى يعلم كل المسلمون ذلك: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَىءٌ...﴾ ـ ١٢٨ آل عمران.

هل كان للرسول شفاعة خاصة به من دون الله أم أن الله تعالى قال بصراحة أن الشفاعة لله جميعاً وليس لخلقه علاقة لأنه ليس من عباده أحد أرحم بعباده منه وهو أرحم الراحمين أو أعلم بمن يستحق الرحمة أكثر منه وهو الخبير العليم.

﴿...لَيسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ ـ ٥١ الأنعام.

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقنَاكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِىَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ ـ ٢٥٤ البقرة.

ثم ينهيها رب العالمين بقوله آمراً لرسوله حتى يبلغ العالمين بلسانه:

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ ـ ٤٤ الزمر.

ولهذا نجد الرسول الكريم فيما أثر عنه مما يطابق هذه الآية الكريمة كيف طاف على عشيرته وعلى أهله وهو ينادي: «يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً إلى أن قال يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً».

لماذا؟... لأن الرسول الأمين بما بلغه من الكتاب يعلم أن الله تعالى سوف يحشر كل إنسان لوحده وليس معه أحد ليس كما نجد في الأحاديث المنقولة عن كتب أهل الكتاب أبداً بل هو كما ورد في كتاب الله وحده الذي حفظه سبحانه بقدرة منه من تحريف علماء السوء:

﴿وَكُلُّهُم ءَاتِيهِ يَومَ القِيَامَةِ فَرداً﴾ - ٩٥ مريم.

﴿وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ - ٩٤ الأنعام.

ولذلك نجد الله تعالى يهزأ من الذين قالوا بأن لنا شفعاء من أهل المسيح الذين ظنوا بأن المسيح سوف يخلصهم وينقذهم من الجحيم يوم القيامة.

أو من أهل السنة الذين يؤمنون اليوم بأن الرسول الكريم سوف يكون شفيعهم وجامعهم على حوضه يوم القيامة. أو من أهل الشيعة الذين يؤمنون اليوم بأن علياً وآل البيت سوف يشفعون لهم.

ولكل المؤمنين بالشفاعة والشفعاء يقول لهم رب العالمين الحقيقة ويهزأ بهم قائلاً سبحانه:

﴿وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكتُم مَّا خَوَّلنَاكُم وَرَآءَ ظُهُورِكُم وَمَا نَرَى مَعَكُم شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمتُم أَنَّهُم فِيكُم شُرَكَاؤُا لَقَد تَّقَطَّعَ بَينَكُم وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ - ٩٤ الأنعام.

سوف يقول لأهل المسيح وهم يقفون أمام الله فرادى أين مسيحكم الذي سيخلصكم من دون الله؟

ويقول لأهل مكة القدماء واحداً واحداً:

أين اللات والعزى وأين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً ليشفعوا لكم؟

ويقول للسنة أين محمد ليشفع لكم؟

ويقول للشيعة أين علي وأين زينب وفاطمة وأين الحسن والحسين وأين أولياؤكم الصالحين لماذا لا يشفعون لكم؟ هل فقدتم الإتصال بهم فتعذر عليكم الحضور معهم فأتيتم بمفردكم اليوم؟

هذه هي الحقيقة التي لا يحب سماعها أحد من أتباع الديانات اليوم في الأرض.

ولكن آمال الناس وأحلامها لن تغير من الحقائق شيئاً.

والحقيقة أن المسلمون قد هجروا القرآن الكريم واتبعوا غيره بدليل أن ما في كتب الحديث يتناقض ما في كتاب الله مناقضة شبه تامة لأن أهواء السلاطين ورغباتهم لا تتماشى مع حدود الله وسنته وشرعه الحنيف المبين في كتابه المبين وهكذا عشرات من الأمور التي نجدها صافية صريحة في كتاب الله يفعل عكسها اليوم أغلب المسلمون ظناً بأن الله تعالى قد نسخ القرآن بالحديث.

نتابع قراءتنا ونستمع لرأي ابن قيم الزوجية عن علماء السوء من علماء المسلمين الذين كانوا اليد اليمنى للسلاطين من أجل تبديل دين الله تعالى الذي في القرآن الكريم إلى دين آخر يناقضه ويعاديه ولا يعترف به هو دين الحديث أو كما سميته في كتابي الثاني (دين السلطان).

كتب ابن قيم الجوزية تحت عنوان (عالم السوء) مايلي:

(كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره والزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة، والذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً.

فإن كان العالم والحاكم محبين للرياسة، متبعين للشهوات، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفي الصواب، وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة، أقدم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ...﴾ - ٥٩ مريم.

وقال تعالى فيهم أيضاً:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الأَدنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغفَرُ لَنَا وَإِن يَأتِهِم عَرَضٌ مِّثلُهُ يَأخُذُوهُ أَلَم يُؤخَذ عَلَيهِم مِّيثَاقُ الكِتَابِ أَن لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الأَخِرَةُ خَيرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ - ١٦٩ الأعراف.

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سَيُغفَرُ لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أولا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه؟ فتارةً يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة (للجاه والشهوات) على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة.

وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخِسَّتِها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لابد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران، فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب (العقل)، فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيرى البدعة سنةً والسنة بدعةً.

فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات، وهذه الآيات فيهم إلى قوله:

﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذِى ءَاتَينَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنهَا فَاتبَعَهُ الشَّيطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِين * وَلَو شِئنَا لَرَفَعنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث...﴾ - ١٧٥ - ١٧٦ الأعراف.

عن كتاب ابن قيم الجوزية تحت عنوان (هجر القرآن والحرج منه) قائلاً:(*)

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصِّل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة أراء (الله تعالى) المتكلم به منه.

والخامس: هجر الإستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب (العقل والنفس) وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَومِى اتَّخَذُوا هَذَا القُرءَانَ مَهجُوراً﴾ - ٣٠ الفرقان.

في تلك الجولة السابقة في نصوص مختلفة ومن عصور متباينة حول موضوع واحد وهو رأيهم في علماء السلاطين أو رجال الدين الرسميين للدول التي كانت قائمة على

(*) كتاب ابن قيم الجوزية، صفحة ١٢٣ - ١٢٤.

الدين فحولها السلاطين عن طريق الإشراك بالله إلى حكم مطلق يشرع فيه السلطان بما يشاء من أحكام تحت جحة تقدم للعامة من الناس على أنه وحي مقدس من رب العالمين حتى لا يعترض عليه أحد.

وكان لرجال الدين في مثل هذه الدول سلطة التأثير في الناس وقيادتهم بالترهيب والترغيب.

الترهيب من جهنم ونارها وأشكال جحيمها يوم القيامة.

فلما رأوا أن الترهيب بالآخرة وبيوم القيامة لا يعطي مفعوله المطلوب استوردوا من أهل الكتاب عن طريق الذين دخلوا الإسلام منهم فحرفوا كتاب الله تحت اسم أحاديث نبوية شريفة فأدخلوا التوراة والتلمود كله إلى الإسلام رغم منع الله ورسوله عنهما بأوامر صريحة في القرآن، ولكن الهوى كان أقوى من أي منع وأوامر السلاطين واضحة ولا يعجبهم ما ورد في الآيات القرآنية من حقوق لجميع الناس وحريات للعباد هم بنظرهم ليسوا أكثر من عبيد لهم فرموا كتاب الله خلف ظهورهم وألفوا ما شاء السلطان من أحاديث بينت منها في بحث (ثلاث أحاديث خطيرة) في كتاب (دين السلطان) كيف استطاع علماء السوء بمثل تلك الأحاديث قلب مفاهيم الإسلام الأساسية رأساً على عقب حتى تحول المسلمين إلى دين وهمي خرافي لا يؤمن بالعلم الحقيقي والعلماء وكما لا يؤمن بالعمل الحقيقي لأن الأحاديث أيضاً قلبت مفاهيم العمل في القرآن إلى مفاهيم وهمية لا وجود لها في كتاب الله وحتى يعجز المسلمون حتى لو حاولوا فهم كتاب الله تعالى ربطوا تفسير آيات الله تعالى بتفاسير خاصة وبتأويلات محددة بحيث يعجز الإنسان عن فهم مقاصد الرحمن بعدها أبداً إذا لم يكفر بكل تلك التأويلات التي كان الغرض الأساسي منها تحجيم آيات الله تعالى وربطها بأسباب نزول معينة بحيث تصبح الآيات جواباً لحالات خاصة حصلت في تاريخ المسلمين دون أن يقولوا لأحد بأن كتاب الله يختلف عن كتب الناس في الأرض وأن هذا الكتاب كاتبه حي قيوم وكتابه حي يتجدد مع كل جيل والقرآن لا ولن يموت إلى يوم القيامة وسوف يتجدد مع كل الأجيال بل إن الله تعالى وضع آيات خاصة في القسم المكي منه تفهم في عصور قادمة وحضارات مقبلة ولا يحزن ابن القرن العشرين إذا لم يفهمها اليوم وليفرح فقط بما استطاع فهمه من آيات كثيرة علمية كانت غير مفهومة في عصر الرسول وأصحابه الكرام.

ولذلك إذا مرت علينا آيات غير مفهومة مثل الآية التي تقول:

﴿وَيَسئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إلا قَلِيلاً﴾ - ٨٥ الإسراء.

يجب علينا أن لا نخجل أن نقول: لا نعرف عنها أكثر مما عرف الرسول وصحبه عنها والله تعالى لم يكشف غيبه لأحد إلا عن طريق الوحي المنزل والمكتوب كله في القرآن، أما الشبهة التي يقدمها أهل السنة بالآية الكريمة:

﴿إلا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً﴾ - ٢٧ الجن.

التي نراها في سورة الجن الرسول هنا هو ملاك مثل جبريل الذي ارتضاه الله واختاره من بين الملائكة ليكون رسوله الذي يحمل الوحي من السماء إلى الأرض وهو تحت حراسة مشددة من أمامه ومن حوله ومن خلفه ملائكة آخرون بمهمة الحماية والترصد حتى لا يتعرض له أحد من الجن لمعرفة غيب الله وما يحمل الرسول من رسالة خاصة إلى رسول الإنس المختار إلى أمة اختارها الرحمن لرسالته، ولكن كان لعلماء السوء غرض خاص لتحريف معنى تلك الآية الواضحة بأن المقصود بها الرسول الكريم فارتضاه الله تعالى ليطلعه على غيبه كله وهكذا أصبحنا عن طريق هذا الإدعاء نجد الأعاجيب في كتب المسلمين اليوم بحجة أن الله تعالى لم يترك سراً من أسرار السماء إلا وأخبرها لرسوله مناقضين بذلك كتاب الله كله وقد ضربت سابقاً بكتاب ابن قيم الجوزية عن الروح حيث نجد مجلداً كاملاً عن موضوع لا نعلم عنه حقيقة إلا آية واحدة هي تلك التي ذكرتها من الآية ٨٥ الإسراء.

بينما عن طريق كتب أهل الكتاب المحرفة التي نسبت من جديد باسم أحاديث نبوية شريفة للرسول الكريم فقد صار المستحيل ممكناً في عرف علماء المسلمين وقد برهنت سابقاً في كتبي على أصل الأحاديث وكيف تم نقلها من التوراة والتلمود والإنجيل وضربت عليها أمثلة مظهراً النصوص مع الأحاديث في كتاب دين السلطان تحت عنوان (هل سمح الرسول ﷺ بالأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرفة).

إذاً يمكن أن نلخص الموضوع ونقول باختصار:

بأن ترك أديان السلاطين وهجر علماء السوء من رجال الدين الرسميين في البلاد الإسلامية كلها والعودة إلى كتاب الله وحده وترك كتب الحديث المفتراة واتلافها كما فعل الصدّيق أبو بكر بها حين أحرقها هو مطلب ديني لكل المؤمنين بالله وبالآخرة

ويرجون لقاء ربهم وهم موحدين لا يشركون بالله شيئاً مثل كتاب أو سنة أو هدي أو حديث مع كتاب الله وسنته وهديه وحديثه.

وكذلك أن لا يشركوا بالله أحداً من رسول أو ولي من أولياء الله الصالحين بالشفاعة فلا شفيع للإنسان يوم القيامة إلا نفسه وعمله وقوة إيمانه الذي اعتمد على العقل لأن حسابه سوف يكون على إنفراد وليس كما صورته الأحاديث المنقولة عن التوراة والإنجيل المحرفتين، والآيات مثل الآية التالية التي تقول:

﴿يَومَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحمَنُ...﴾ - ١٠٩ طه.

تصف موقف الإنسان الواقف في محكمة الله على انفراد وكانت أعماله وحسناته في الدنيا كثيرة وله أيضاً سيئات لابد أن يحاسب عليها إذا كانت من النوع الذي يمكن أن يتسامح فيها الرحمن فيأذن له سبحانه أن يتكلم ليشفع عن نفسه عند الله.

أما إن كانت من نوع لا يمكن المغفرة له بها أو كانت سيئاته أكبر وأكثر من حسناته فلن يسمح له الله بأن يشفع عن نفسه يوم القيامة. هذا هو معنى الآيات إذ يجب أن لا يغيب عن ذهننا أن الحساب يوم القيامة سوف يتم لكل خلق الله في لحظة واحدة فالله تعالى ليس كما تصوره الأحاديث النبوية المفتراة مخلوق يشبه آدم!

الحديث: «خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً ثم قال إذهب سلم على أولئك النفر...إلى آخر الحديث» عن أبي هريرة عن صحيحي مسلم والبخاري والإمام أحمد تخريج السيوطي.

منقولة من سفر التكوين:

(فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة ٢٧. فالله تعالى لا يشبه الإنسان أبداً بل لا شبيه له من خلقه ولانعلم عن شكله شيئاً وهو فوق التصور الإنساني كله لذلك فقدرته في أن يكون مع كل خلقه يوم القيامة ليحاسب الناس جميعاً في جلسة واحدة هي من إحدى صفاته المذكورة في القرآن الكريم فحسابه أسرع من تصور كل الحاسبين.

﴿يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِرَاعاً ذَلِكَ حَشرٌ عَلَينَا يَسِيرٌ﴾ - ٤٤ ق.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَولاهُمُ الحَقِّ أَلا لَهُ الحُكمُ وَهُوَ أَسرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ - ٦٢ الأنعام.

وكما نجد في كتاب الله ثماني آيات يقر فيها سبحانه بأنه سريع الحساب منها الآية

التالية في سورة النور.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبُهُ الظَّمئانُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَم يَجِدهُ شَيئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ - ٣٩ النور.

والآية التي منها يمكن أن يتأكد المسلم أن الله تعالى سوف يحاسب الناس جميعاً وكأنه يحاسب شخصاً واحداً دفعة واحدة هي الآية التالية:

﴿مَّا خَلقُكُم وَلا بَعثُكُم إِلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - ٢٨ لقمان.

والآية واضحة بعد أن استمعنا للآيات السابقة بأن من قدرة الله تعالى أن يسمع ويبصر كل الناس دفعة واحدة يوم البعث حتى يتم حسابهم جميعاً دفعة واحدة وكأنه سبحانه يحاسب نفساً واحدة هذا السر من أسرار الله لا نجده إلا في القرآن الكريم.

بإختصار إن الذي يبحث عن حقائق الله ونوره في كتاب الله المبين سوف يجد الأجوبة الواضحة الصريحة والوافية الشافية لكل موضوع في عقيدة الإسلام وهذه أهم ميزة من ميزات القرآن الكريم المفصل أحسن تفصيلاً.

وهذه هي الحقيقة فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها ولا إكراه في هذا على أحد وكل إنسان طائره في عنقه وحسابه على الله وحده لا شريك له.

والله تعالى لم يقل أن صحيح البخاري ومسلم يهديان للتي هي أقوم بل قال:

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجراً كَبِيراً﴾ - ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

المطلوب حركة فكرية قبل كل شيء

إن كل ثورة لابد أن تسبقها حركة فكرية وإلا لما كانت هناك ثورة أصلاً. لأن كلمة ثورة تتضمن في مضمونها رفض واقع حياتي ناتج عن واقع فكري معين، يتطلب من الناس تغيير الواقع الفكري لتصل من خلاله إلى تغيير الواقع الحياتي من الشكل المرفوض إلى الشكل المطلوب، ومقدار الاختلاف وزاوية التغيير تعتمد على مدى صلاحية الأفكار الجديدة التي أدخلت إلى عقلية الناس من جديد.

ونحن نسمع بكلمة الثورة الإسلامية!

والمسلمون في العالم حالياً يعيشون واقعاً حياتياً متأخراً ناتجاً بالضرورة عن واقع فكري إسلامي متخلف، يعتمد على الأوهام عامة. والوهم عدو العلم على خط مستقيم. وعلى الثوار المسلمون الذين يطالبون بالتغيير لهذا الواقع الحياتي المرفوض أن يبينوا للناس بالحكمة والموعظة الحسنة الأفكار القديمة البالية المطلوب تغييرها، والأفكار الصحيحة البديلة لها، والتبشير لها بالحسنى، من أجل الدعوة إلى واقع حياتي جديد لتحسين أمور الناس من السيء إلى الحسن مع اقناع الناس بالحجة والبرهان والنقاش الديموقراطي وليس بالسيف أو بالبندقية. لأنه يستحيل تغيير الفكر بالقوة والله سبحانه وتعالى أقوى من الجميع، لكنه عندما يريد تغيير الأفكار يرسل الرسل للإقناع على مبدأ الحرية. فمن شاء آمن ومن شاء كفر ـ لأن الله سبحانه يريد المؤمنين به تطوعاً ولايريد المنافقين ولا المدعين ولا المرائين الذين يتضاعف عددهم مع وجود الإكراه في الدين.

لذلك فكل الثوار الإسلاميين الذين يطالبون بالتغيير الحياتي للواقع الحالي المرفوض بدون أن تكون لهم أفكار بديلة وخطة وبرنامج للوصول لتلك الأفكار، مع التبشير إليها سلفاً وعلناً بالحكمة والموعظة الحسنة بين الناس، ظناً ووهماً من عند أنفسهم بأن كل ثورة يجب أن تعتمد على التآمر والسر مستندين إلى وسائل الإكراه كالقوة والعنف والقتل والدم. فهؤلاء غالباً لايدعون إلى ثورة إسلامية وإنما يسعون إلى نوع من المشاركة السياسية على أكبر تقدير مستخدمين الإرهاب كوسيلة من وسائل الوصول إلى الهدف الذي هو الوصول للسلطة والحكم فقط. لأنه إذا حدث واستلمت فئةٌ دفة الحكم باسم الإسلام أو الدين الإسلامي قبل تغيير الواقع الفكري لدى المسلمين، فإن الفئة التي

ستتصدر الحكم لن يكون باستطاعتها تغيير شيء على الإطلاق من واقع المسلمين وسينحصر التغيير فقط في الشكليات مثل الاسم، واللباس ونوع الحلاقة والبروتوكولات، وماتفرضه السلطة من الممنوعات.

أما تغيير العقلية وأسلوب التفكير والنظرة العامة للأمور الأساسية ستبقى على حالها، علماً أننا إذا لم نستطع تغيير مافي نفوس الناس من الأوهام بالحقائق ونغير نظرتهم وتعريفاتهم للحق والخير والجمال والمنطق والعلم والعمل فإن مجرد إيجاد سلطان جديد ملتحي يلبس العمامة والقفطان ليرأس نفس الناس باسم أمير المؤمنين بدل رئيس كان يلبس الجاكيت والبنطلون، لن يعالج من أمور المؤمنين شيئاً. كما أنه لن يحسن من أمورهم إن لم يساعد على زيادة الأمور سوءاً وتراجعاً، فتكون نتائجه مثل نتائج ثورة مصطفى كمال أتاتورك في تركيا الذي عالج أيضاً الشكليات دون محاولة معالجة الأفكار التي كانت ولازالت تحتاج للمعالجة - لأنقاذ أي شعب مسلم من الجهل والأوهام والتأخر - بينما نجحت اليابان في تغيير كل الأفكار السلبية عند اليابانيين وتحويلها لمصلحة الأمة اليابانية إيجاباً، مع الاستفادة من مزايا التقاليد والاعتقادات القديمة وحب الشعب للنظام وتميزهم بالصبر والجلد في العمل وقوة الترابط العائلي، وتوجيه كل ذلك لمصلحة الاقتصاد كوسيلة من وسائل التفوق كأمة فاعلة ونشيطة خرجت من الحرب الأخيرة مهزومة بعد أن ذاق شعبها ويلات القنبلة الذرية، لكنها كأي أمة حية لم تستسلم لليأس وللأوهام. ولم يتوقفوا عند الشكليات بل غيروا أسلوب التفكير العام إلى أسلوب علمي معاصر بعد أن تخلصوا من الأوهام.

وإن الآية:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

آية عامة لكل الأقوام على الإطلاق حيث لم يحدد الله سبحانه نوع العقيدة لهؤلاء القوم، لأن التغيير الذي وعد به الله سوف يحصل على الأرض وبين الناس مباشرة بعد تغيير مافي النفوس، ولا علاقة لهذا الأمر بالعقيدة ونوعها. وهذا القانون أو السنة ثابتة مثل ثبات قوانين الفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات.

أرجو من القارىء أن لايفهمني خطأً فأنا لاأقول أن مافعلته اليابان صحيح بشكل نموذجي وعلى المسلمين أن يتبعوا خطى اليابانيين. أحببت فقط أن أضرب بهم مثلاً على شعب وضع مفكروه هدفاً مثل تحصيل التفوق المالي والاقتصادي فحصّلوه في الحياة الدنيا.

وهذا لم يحصل بالصدفة بل خطط له علماء وخبراء ومتخصصون وفنيون، فكانت عملية علمية واقعية من دون أي وهم أو مجال للأوهام فوصلوا ونجحوا في تحقيق أهدافهم وغاياتهم.

ضربت المثال فقط لأبين للمسلمين كيف أن تغيير العقلية من عقلية وهمية إلى عقلية علمية، يؤثر مباشرة في تغيير أوضاع الأمة، وهذه سنة من سنن الله في الكون أعلمنا عنه سبحانه في الآية السابقة (١١ ـ الرعد). حتى يبين لنا سبحانه أن إمكانية الوصول لذلك التغيير متاح لكل البشر مؤمنين وكفاراً. وهدف المسلمين يختلف من خلال الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم.

إن غاية المؤمنين بالإضافة لتحقيق جنة الدنيا السعي لتحقق جنة الآخرة بالسير على مناهج القرآن وليس على منهج من تأليف البشر الذين لايعلمون مايناسب الإنسان ومالايناسبه من شرائع وأحكام.

لكن على المسلم أن يتعلم من خبرات باقي الأمم أن الأهداف الكبيرة عند الأمم لم يكن تحقيقها سهلاً في أي يوم من الأيام، ومن أجل تحقيقها لابد من اتباع سنن العلم الصحيح التي هي سنن الله أصلاً.

ومجال تدخل عقيدة المؤمن وقوة إيمانه بربه وكتابه ودستوره وشرعه يبدأ عندما يكون نفس المؤمن قادراً على تطبيق مايؤمن به على مستوى أمة كاملة، عندها يستطيع فعلاً بناء جنته الأولى على الأرض كما أمره ربه بالعمل الصالح على الأرض أولاً. فيكافئه الله تعالى لحسن أدائه وإيمانه وتفهمه لشرع الله، جنة أخرى في السماء وهذا هو الفرق الأساسي بين الكافر الملحد الذي يسعى لبناء حضارة في الأرض ويكتفي بما أنجز على الأرض من نعيم، والمؤمن الذي لايجعل ذلك النعيم أكبر همه ولكن يوجه إليه أعظم قدرته لأنه يسعى من خلال تحقيق تلك الجنة إلى بلوغ جنة الله الأساسية.

أما المشرك فكما رأينا في مرات سابقة فهو الذي يفشل في بناء أي شيء في الأرض وفي السماء، ولايبني سوى أوهاماً. ولأنه يؤمن بالأوهام فهو لايحصد إلا أوهاماً فقط. فيخرج من الدنيا خاسراً جنته الأرضية ومحروماً منها ولم يلق فيها إلا جحيم الأرض من جهل وفقر وعذاب من زبانية السلطان. وفي الآخرة يحرمه الله من جنته أيضاً لأنه لم يستخدم عقله الذي كان معه ولم ينظر أيضاً في كتاب الله طوال حياته مع أنه كان موجوداً بالقرب منه دائماً. وهذه هي حالتنا نحن المسلمين اليوم وأنا لا أقول الحقيقة هنا

حتى نيأس ونستسلم للشياطين أكثر مما نحن فيه، بل حتى نصحو من غفلتنا الطويلة وننبذ مصادر الوهم ونتمسك بمصدر الحق والحقائق كلها الذي هو كتاب الرحمن (القرآن الكريم) ونعود إليه زرافات ووحداناً. عودة التائبين المستبشرين للخير المؤمنين بربهم الرؤوف الرحيم. فالإنسان مهما أسرف على نفسه يجب أن لايقنط من رحمة الله ومغفرته:

﴿قُل يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لا تَقنَطُوا مِن رَّحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ - ٥٣ الزمر.

وبعد قراءة تلك الآية الكريمة لابد أن نزداد علماً ويقيناً أنه لامفر لنا من اتخاذ موقف مع الحركة دون الجمود على مانحن عليه. لابد أن نقرر لأنفسنا ونتخذ قراراً حازماً، ونتحرك مع القرار لليمين إلى حيث يشير الله تعالى بالقرآن. لنتمسك بكتاب الله الذي هو حبله جميعاً من أجل التخلص من أوهامنا الناتجة عن مستحضرات جنود السلطان لتخديرنا والتي أوجدها السلطان ليعيدنا بها أفراداً في قطيعه السلطاني، دون أن نكون من الأحرار الذين كرمهم الله في الأرض.

ونكون بذلك من الذين ظلموا أنفسهم بترك منهج الله الصحيح واتباع سبل ومناهج شياطين الإنس من المضللين وأصحاب المصالح والمآرب الاستغلالية والله قد نبهنا إلى ذلك في القرآن عندما قال:

﴿...فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

وما الطاغوت إلا السلطان!

ولكن الكفر بالطاغوت يستلزم الكفر بدين السلطان الذي هو الحديث المفترى على الله والرسول معاً.

ونبهنا الله أيضاً إلى وجوب وجود ثنائية الإيمان والكفر معاً في المجتمعات الإنسانية، وأنه من المتعذر أن يتحول المجتمع كله إلى مؤمنين وإلا لتحول الناس إلى ملائكة، وهذه ليست من طبيعة الإنسان، فوجود الشر إلى جانب الخير ضروري على الأرض ويبين لنا سبحانه ذلك في الآية:

﴿...وَلَو لا دَفعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ...﴾ - ٢٥١ البقرة.

وفساد الأرض ينتج من اختلال ميزان الله الطبيعي الذي أوجده الله سبحانه في

الطبيعة. فعنصر الثنائية المتلازمة مطلوب وموجود بالنسبة للإنسان والأحادية مرفوضة إلا لله وحده. فقد علمنا أن كل مايتعلق بالله يرفض الثنائية وكل مايتعلق بالمخلوقات يتطلب الثنائية والزوجية.

إن دعونا بالثنائية مع الله يكون معناه أننا ندعو للإشراك بالله ونتيجة الإشراكِ العامة أن يتسلط الطاغوت باسم الله على المستضعفين في الأرض. ومن هنا ياتي رفض الله للإشراك به وليس كما يفهمه البعض من الجهال بأن الله غيور ومن غيرته الشديدة يرفض أن يعبد الإنسان غيره ـ غضب الله ناشيء من ظلم الإنسان لنفسه بقبول عقائد الإشراك ـ لكن الله لن يصيبه شيء أبداً ولو أشرك من في الأرض جميعاً هذه من أولى الحقائق التي يجب أن يعلمها المسلم في مقدمه مايعلم. (إياكم أن تعبدوا إلهاً غيري لأن الرب غيور جداً). التوراة ـ سفر الخروج ـ الإصحاح ٣٤ ـ الفقرة ـ ١٤ ـ. وهذا الكلام انتقل إلى الإسلام بحديث شريف نجده في صحيح البخاري تحت رقم ٧٤١٦ باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله» (الباب رقم ٢٠) بينما لانجد أية كلمة عن غيرة الله في القرآن الكريم. وهذا دليل على أن مصدر الحديث ليس من القرآن بل من كتب أهل الكتاب المحرفة والله ورسوله قد نهوا المسلمين الأخذ منها لثبوت تحريفها.

إن سبب لزوم الثنائية نفهمه في موضوع مناقشة الحرية. فلو فرضنا أنه ليس هناك خير وشر وليس هناك كفر وإيمان وليس إلا طريق واحد. لانتفَى معنى الحرية وصار العبد مجبراً على هذه الطريق الوحيدة التي لاخيار غيرها، فيسير عليها، لكن وجود خيارين دائماً يعطي فرصة للاختيار ويكون هناك معنى لحرية الإرادة والاختيار بين خيارين على الأقل: وعلى هذا الأساس:

فالإنسان حر بأن يختار الله معبوداً أو يختار الشيطان وكل يتحمل مسؤولية اختياره.

وهو حر بأن يختار سبيل الله أو سبيل الشيطان وكل يتحمل مسؤولية اختياره. وهو حر بأن يختار الخير أو يختار الشر وكل يتحمل مسؤولية اختياره. وهو حر بأن يختار أسلوب العدل أو يختار أسلوب الظلم وكل يتحمل مسؤولية اختياره.

وهو حر بأن يختار الحق والحقيقة أو يختار الباطل والأوهام وكل يتحمل مسؤولية اختياره.

وهو حر بأن يختار الهداية للعلم أو يختار الضلال في الظنون وكل يتحمل مسؤولية اختياره.

وإذا حكم حزب الرحمن في الأرض يجب أن يكون في اعتبار الجميع بأن حزب الشيطان موجود دائماً، ويجب أن يحسب المؤمن حسابه دائماً، وإلا زال حكمه بسرعة وتحول الحكم في الأرض للشياطين من جديد والشيطان من دهائه يدعي إنما يحكم باسم الله تعالى تضليلاً للمغفلين من بسطاء المشركين.

ولدى الإنسان نفسه يوجد الدافعان معاً، فنفسه الأمارة بالسوء حية وإن كانت تضعف داخل المؤمن الذي تسيطر فيه نفسه العامرة بالخير وبالحب والإيمان بالله، ولولا مراقبة الذات والنقد الذاتي للحزب الحاكم باستمرار لتغيرت الظروف بشكل تدريجي، من حكم بالحق والعدل إلى حكم تسيطر فيه النفس الأمارة بالسوء والباطل والظلم والعدوان مع بقاء الاسم المعلن واحداً والشعارات باقية لكن المضمون يكون قد تغير إلى عكس المعلن عنه في الشعارات المطروحة.

وهذا هو ماحصل فعلاً وحقيقة في الإسلام الأول، فالجيل الأول جيل الصحابة الكرام تابع الرسالة بأسلوب صحيح، باسم الله وعلى سبيله وصراطه المستقيم حتى مقتل عثمان عام ٣٥ هجرية، وبعدها حصلت الفتنة الكبرى بين أصحاب الحق وأصحاب الدنيا الذين انتصروا واستلم السلطان زمام الأمور، ومن يومها وإلى اليوم تحول الحكم لأتباع الدنيا، فسيطر الحزب الذي ابتعد عن الرحمن ومالت نفسه للعاجل من لذات الدنيا ومتعها ونعيمها من الأهواء والشهوات.

قال معاوية بن أبي سفيان: (أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته فلم يردها وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن)(*). وكل مالدينا اليوم من تراث إسلامي ومن شرع وأحاديث نبوية وسنة نعتقد بأنها من كلام الرسول محمد ﷺ وبأنها وحي من الله أنزله الله عليه، تماماً كما أوهمنا بذلك أصحاب السلطة والمصلحة، نجدها مع الأسف من مكتتبات الحاقدين والمنافقين من الذين أصبحوا أعوان الخليفة الجديد من أجل حرف اتجاه الناس في العقيدة عن سبيل الله الذي يدعو لمصلحة الأكثرية من عباد الرحمن كما هو ظاهر وواضح في كتاب القرآن، إلى سُبُلٍ أخرى تدعو إليها المصلحة المستجدة التي تجعلها النصوص البديلة لمصلحة الأقلية الحاكمة التي يسميها القرآن عادة بالملأ.

وقد عبر عن ذلك أحد المتألمين من الذين كانوا يرون الحقيقة المؤلمة ولكن ليس لديه

(*) البداية والنهاية - إبن كثير الدمشقي الجزء السابع ص ١٣٨ طبع دار الريان القاهرة ١٩٨٨.

الحرية في قول رأيه، فقد كان في عصر مُنِعَت فيه كل الحريات عن الناس فقالها ظلماً لنفسه على لسان الرسول افتراء، ودليلي في ذلك أن الرسول الكريم لايعلم الغيب والحديث ليس له شاهد من القرآن: تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي(*). أو الحديث ٢٦٦٩ صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري: قال: قال رسول الله ﷺ: لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، (أي تفعلون مثل مافعلوا وتفترون مثلماافتروا وتشركون مثل مااشركوا). قلنا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال:

فمن؟ «بمعنى فمن يمكن أن يكونوا إذا لم يكونوا هم اليهود والنصارى؟»

وهذان الحديثان يصوران ويقولان الحقيقة المرة للواقع الذي آلت عليه حال المسلمين بعد الرسول والصحابة، بعد أن ترك الناس كتاب الله، والتفتوا إلى البدائل التي بدأ السلاطين بإخراجها للناس باسم الرسول وعلى لسانه ولسان أصحابه، وكلها مفتراة من أجل شق طريق أو طرق أخرى للناس بدل الطريق الذي مهده الرسول وصحابته بهدي القرآن الكريم ليكون سبيلاً للمؤمنين المتقين. والله تعالى كان يعلم سرائرهم وتنطبق عليهم الآية الكريمة التي قالها أصلاً عن أهل الكتاب:

﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللَّهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾ - ٧٩ البقرة.

وفي الختام أقول أن الثورة في الإسلام مجالها للفكر وللعلم وللدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا مجال فيها للعنف أو رفع السيوف على الناس أبداً. وعندما يرفع الثائر الإسلامي سيفه على أهله يكون فكره قد انتهى. وتكون إساءته للإسلام في تلك الحالة أكبر بكثير من الملحد الكافر أو حتى المشرك الذي كف شره عن الناس، ولسوف يكون كفره وإشراكه في النتيجة وبالاً عليه وحده وسوف يحاسبه الله عليهما وحده وأمامه يوم القيامة. أما قتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال باسم الإسلام، وترويع الناس أمرٌ لاتقره شريعة أرضية فكيف بشريعة السماء، وعن دين يقول الله فيه بأن الله قد كتب على نفسه الرحمة وأنه لايظلم مثقال ذرة، ودين اسمه الإسلام

(*) سنن ابن ماجة، ص ١٣٢٢، الجزء الثاني.

مشتقاً من السلم والسلام والحب للعالمين، ثم نأتي نحن لنرتكب باسم ذلك الدين جرائم دموية تقشعر لها الأبدان وتشمئز منها النفوس. من أجل ماذا؟ من اجل الوصول إلى سلطة دنيوية؟ وإلى عرش دنيوي؟ لو سعوا إليه بتغيير مافي نفوس الناس من جهل إلى علم ومن وهم إلى حقائق لبلغوا كل مايرجونه من دون هذا العنف الذي يغضب الله والناس وقد قال الله تعالى في الوصايا العشر في الإسلام:

﴿...وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ...﴾ - ١٥١ الأنعام.

وأين الحق في قتل الناس في الشوارع المزدحمة في المدن وكلهم من الأبرياء بسيارات مفخخة بالمتفجرات الناسفة بالمئآت. وهذا من أشد أنواع الظلم من الإنسان للإنسان وقد قال الله عن الظالمين في القرآن الكريم:

﴿...وَاللهُ لا يَهدِى القَومَ الظَّالِمِين﴾ - ٢٥٨ البقرة.

﴿...وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين﴾ - ٥٧ آل عمران.

﴿...وَمَأواهُمُ النَّارُ وَبِئسَ مَثوَى الظَّالِمِين﴾ - ١٥١ آل عمران.

﴿...فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَّعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِين﴾ - ٤٤ الأعراف.

﴿...إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ٢٢ ابراهيم.

﴿...وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِير﴾ ٧١ الحج.

﴿...مَالِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيم وَلا شَفِيع يُطَاعُ﴾ - ١٨ غافر.

باختصار، مطلوب من المفكرين الإسلاميين إيجاد الثائر الإسلامي غير المقهور اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وعنده ما يكفي من الإيمان بالله، والثقة بنفسه وبدينه وبعقله وبعلمه للمشاركة في العمل لبناء الجنّة الأولى على الأرض على مبادئ الحب والسلام وإعمارها بالعدل والإحسان للحصول بعدها على جنّة الرضوان في الآخرة.

أسس ومرتكزات الفقه الإسلامي في دين السلطان (الطاغوت)

إن فقهاء السلاطين يرددون دائماً في مسامع الرعية من أتباع السلاطين أصول الفقه في الإسلام خمسة وهي:

الكتاب - السنة - القياس - الإجماع - الإجتهاد.

لنفتح كتاب الله ونبحث عن هذه الأسس الخمسة، وفي نتيجة البحث نفاجأ بالنتائج العكسية:

ليس في كتاب الله ذكر لسنة خاصة لرسول الله الكريم.

ليس في كتاب الله ذكر للقياس ليكون قاعدة من قواعد الفقه في الإسلام.

ليس في كتاب الله ذكر لإجماع أحبار المسلمين ولا حتى ذكر لمشايخ أو رجال دين متخصصين عملهم الوحيد هو الدين.

وليس في كتاب الله ذكر لكلمة الإجتهاد.

فماذا نجد إذاً:

نجد في كتاب الله سنة واحدة وهي لله تعالى:

﴿سُنَّةَ مَن قَد أَرسَلنَا قَبلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحوِيلًا﴾ - ٧٧ الإسراء.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَد خَلَت مِن قَبلُ...﴾ - ٢٣ الفتح.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم وَيَهدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيكُم﴾ - ٢٦ النساء.

والآية الأخيرة تبين أن الذي سوف يبين لنا ويهدينا هو الله وليس الرسول.

وهكذا نفاجأ من المحاولة الأولى بأن مقاصد الرحمن في السنة هي القواعد العامة والقوانين الثابتة لتاريخ الإنسان على الأرض التي عبر عنها الإنسان المتعلم الذي لاحظ تواريخ الأمم وقال: إن التاريخ يعيد نفسه، وهذا تقريباً ما يقصده الرحمن.

أما أن يكون سنة من أجل التفقه في الدين وخارج نطاق كتاب الله المبين.

ليس لمثل تلك السنة من ذكر لا لله ولا لرسوله ولا للخلفاء الراشدين.

ننتقل بعدها إلى القياس:

فتكون المفاجأة هذه المرة أشد لأن الكلمة أو أحد مشتقاتها في العربية لا وجود لها في كتاب الله تعالى أصلاً. فننتقل بعدها إلى كلمة الإجماع:

وهي تعني إجماع علماء وفقهاء الدين على موضوع هام يتعلق بالدين أو الشرع أو الأحكام ونفاجأ أيضاً هذه المرة لأننا نكتشف أن الله تعالى لم يستخدم الإجماع إلا للإتفاق على فعل الشر إما كيداً أو مكراً أو تآمراً، وذكرت في سبع آيات بينات في المرة الأولى عندما أجمع اخوة يوسف الذين تآمروا معاً لقتله أو التخلص منه حسداً:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجمَعُوا أَن يَجعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ وَأَوحَينَآ إِلَيهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمرِهِم هَذَا وَهُم لا يَشعُرُونَ﴾ - ١٥ يوسف.

والمرة الثانية أيضاً في سورة يوسف: مخاطبا الرسول الكريم محمد ص بعد أن نزل عليه الوحي في قصة يوسف التي ادعى اليهود أن الرسول الأمين قد نقل النص من كتبهم:

﴿ذَلِكَ مِن أَنبَآءِ الغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِم إِذ أَجمَعُوا أَمرَهُم وَهُم يَمكُرُونَ﴾ - ١٠٢ يوسف.

والمرة الثالثة في أمر من رسول الله نوح عليه السلام وهو يخاطب الكافرين من قومه:

﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ نُوحٍ إِذ قَالَ لِقَومِهِ يَاقَومِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكُم مَّقَامِي وَتَذكِيرِي بِئَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلتُ فَأَجمِعُوا أَمرَكُم وَشُرَكَآءَكُم ثُمَّ لا يَكُن أَمرُكُم عَلَيكُم غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيتُم فَمَا سَأَلتُكُم مِّن أَجرٍ إِن أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرتُ أَن أَكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّينَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلكِ وَجَعَلنَاهُم خَلائِفَ وَأَغرَقنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنذَرِينَ﴾ - ٧١ - ٧٣ يونس.

والمرة الرابعة أيضاً في صيغة أمر لملأ فرعون وهم يأمرون السحرة من بني اسرائيل ليتحدوا ما كانوا يظنونه من سحر موسى ومن علمه الخاص.

﴿قَالُوا إِن هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخرِجَاكُم مِّن أَرضِكُم بِسِحرِهِمَا وَيَذهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى * فَأَجمِعُوا كَيدَكُم ثُمَّ ائتُوا صَفًّا وَقَد أَفلَحَ اليَومَ مَنِ استَعلَى﴾ - ٦٣ - ٦٤ طه.

وفي المرة الخامسة فرضية من الله تعالى أنه لو اجتمع كل من في الأرض من الإنس والجن معاً تحدياً من الله تعالى للإتيان بمثل كتاب الله الذي هو القرآن لفشلوا جميعاً:

﴿قُل لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لا يَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرا﴾ - ٨٨ الإسراء.

وفي المرة السادسة:

إقرار من الله تعالى بأن كل من ندعوهم لأن يشفعوا لنا من دون الله من ملائكة أو رسل أو أنبياء أو أتقياء أو أولياء أو صالحين لن يستطيعوا أن ينفعونا بشيء أبداً وما النفع والضرر والإستجابة والغضب إلا من رب القدرة الله سبحانه وتعالى وحده ولا شريك له أبداً في أي شيء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسلُبهُمُ الذُّبَابُ شَيئاً لا يَستَنقِذُوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطلُوبُ﴾ - ٧٣ الحج.

وفي المرة السابعة إقرار أن كل الإجماعات لا تغني الإنسان عن كتاب الله تعالى وآياته ورحمته ومغفرته ورضوانه.

﴿وَنَادَى أَصحَابُ الأَعرَافِ رِجَالاً يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغنَى عَنكُم جَمعُكُم وَمَا كُنتُم تَستَكبِرُونَ﴾ - ٤٨ الأعراف.

أما ما يقصده أحبار السلطان بإيجاد قاعدة فقهية في الإسلام بإجماعهم كما كان عند الذين من قبلهم عندما اجتمعوا جميعاً بأمر سلطانهم (قيصر) ليصدروا قراراً كان قد صدر إليهم سلفاً، بالأمر: للإجماع على تأليه رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

هذا الإجماع كان إجماعاً على كبيرة وخيانة لله تعالى من رجال الدين ولم يكن إجماع علماء يؤمنون بالله ويخشون عقابه كما تشاهدون.

إن من يقرأ كتب التراث يكتشف أن أحبار المسلمين لم يتفقوا على خير أبداً والدليل أننا بعد أن عشقنا كتبهم أصبحنا لا نستطيع أن نتفق إلا بعدم الإتفاق على شيء أبداً إذا كان خيراً.

ونحن أسرع الناس في الإتفاق على الشر من أجل قتل بعضنا فإن شيطان واحد من الإنس قادر على إشعال حروب بيننا جميعاً ودون جهد كبير.

بعدها ننتقل إلى الكلمة الأخيرة من أسس فقه السلطان وهي الإجتهاد:

ونفاجأ عندها المفاجأة الكبرى والأخيرة!

ليس في كلام الله ولا في كتابه وجود لمثل هذه الكلمة فالله ورسوله بريئان من كل ما يدعي الأحبار.

فماذا إذاً عن وسائل تطبيق كتاب الله على الناس في القرآن؟

إن الله سبحانه الذي خلق الإنسان وخلق أيضاً الزمان والمكان يعلم أن كل شيء في هذا الكون متبدل ومتغير بحسب الظرفين السابقين، ومن أجل ذلك لم يثبت سبحانه إلا الأسس فوضع وثبت الحدود في الشرع والأحكام، فهناك دائماً حد أعلى وحد أدنى لكل قضية ولكل موضوع ولا يجوز للناس في الأرض التعدي على تلك الحدود أو تخطيها.

ولكن الله سبحانه رحمةً بعباده سمح بالتحرك ضمن مجال الحدين بحسب ظروف المكان والزمان ومن أجل ذلك يؤكد سبحانه في آيات الشرع والأحكام على موضوع هام لم يؤكد عليه أحبار السلطان ولم يلفتوا نظر المسلمين إليه وهو (المعروف) بمعنى المتعارف عليه بين الناس على أنه خير لهم جميعاً:

﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِين﴾ - ١٩٩ الأعراف.

ولكن حتى هذا المتعارف عليه إذا تعارض مع حدود الله لا يقبله شرع الإسلام وقد ضربت عليه سابقاً مثلين لتوضيحه أعيدهما للتذكير:

في بلاد التيبت من شمال الهند وفي أقاليم الجبال العالية من هيملايا يعيش قوم وقد تعارفوا على أن الزوجة الأولى لأكبر الأبناء في الأسرة يشترك فيها باقي الأبناء عند بلوغهم، والأولاد يكونون للإسرة وليس لأحدهم.

هذا المتعارف عليه قد تعدى حدود الله في المحرمات فعند إسلام أحدهم عليه أن يترك هذا المعروف في قومه لأنه مرفوض من إسلام الله لتعارضه مع حدود الله.

المثال الثاني:

في فيتنام تعارف الناس على أكل لحوم الكلاب والقطط. فإذا ذهب أحد المسلمين ليدعوا إلى الإسلام لا يستطيع أن يقول لهم إن الله تعالى قد حرم أكلها. بل هم أحرار فيما يأكلون. وهو أيضاً حرٌ في أن يأكل أو لا يأكل من لحومها. ولكن ليس له الحق ولا لغيره موضوع تحريمها إلا بنصٍ في كتاب مبين.

وهكذا نجد أن الأعراف والمعروف والمتعارف عليه في شرع الإسلام المذكور في القرآن يحل إشكالات كثيرة جداً إذا كانت ضمن حدود الله تعالى.

وعندنا موضوع آخر وأساسي في كتاب الله وهو:

الإستنباط من القرآن مباشرة للأحكام:

والإستنباط هنا بمعنى الإستخلاص والإستنتاج لروح الأحكام وأن تكون عادلة ترضي دائماً الطرفين سواءاً في نزاع أو خصام أو في الدخول إلى اتفاق.

لذلك يقول سبحانه مشيراً إلى القرآن الذي فيه أمر تدبير كل الأمور في الإسلام:

﴿وَإِذَا جَآءَهُم أَمرٌ مِّنَ الأَمنِ أَوِ الخَوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَو رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم وَلَو لا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لاتَّبَعتُمُ الشَّيطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾ - ٨٣ النساء.

هذا كان موجهاً لأوائل المسلمين واليوم هو موجه لنا جميعاً لأن كتاب الله حيٌّ يتجدد مع كل جيل على الأرض وإلى يوم القيامة، ولا يقول الله أبداً اتبعوا أحاديث أبي هريرة.

اليوم نحن مازلنا نتبع الشياطين بعد أن تركنا تدبير القرآن واستنباط أحكامه ويقول أهل الكهف منا من الذين لا يعلمون ماذا في كتاب الله لقد توقف الإجتهاد في الإسلام، وهذا هو سبب تأخر المسلمين.

لم يكن هناك اجتهاد في الإسلام حتى يتوقف.

بل لقد توقفنا عن موضوع أهم لقد توقفنا عن التفكير، لقد توقفنا عن استخدام عقولنا، لقد توقفنا عن تلاوة القرآن التي كانت العبادة الأولى في الإسلام، وتوقفنا عن تدبر معاني القرآن وتوقفنا عن استنباط الأحكام وتوقفنا عن تطبيقه في حياتنا ومعاشنا ومعاملاتنا فبدل الله نعمه كلها إلى نقمة نراها في كل يوم صباح مساء والمسلم يجب أن يعلم قبل كل شيء أن المُسَلَّمَات والأمور التي يعتبرها من البديهيات التي لا تحتاج إلى نقاش عقلي هي من أخطر الأمور على فكره سواء كان جاهلاً أو كان يحمل عشرات الشهادات. الخطر دائماً من المسلمات التي يؤمن بها الإنسان من غير نقاش أو حوار مع عقله على صحتها أو بطلانها والخطر من تلك البديهيات التي يرتكز عليها ويستند إليها المنطق والفكر الإنساني.

حتى في العلوم تلك المسلمات لها أكبر الخطر خاصة إذا كانت غير صحيحة وهي التي تحجر الفكر وتمنع التطور والتقدم في العلوم إذا لم تبدل.

ومثالاً على هذا:

هندسة العالم الفيلسوف اليوناني إقليدس المعروفة بالهندسة المستوية أو هندسة المكان ذو الأبعاد الثلاثة الطول الإرتفاع والعمق من مسلمات هذه الهندسة وتعتبرها من البديهيات:

١ ـ الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين.

٢ ـ لا يمر بين نقطتين إلا مستقيم واحد.

٣ ـ الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان إلا في اللانهاية.

٤ ـ من نقطة واحدة يمر ما لا نهاية من المستقيمات.

وهكذا...

كل مثل تلك المسلمات تكون قاعدة لأسلوب فكر متكامل في الهندسة وقد تحجر العالم كله على مثل هذا الفكر لأكثر من ثلاثة آلاف سنه ولو بقينا عليه لما عرفنا الفضاء ولا النسبية ولا عرفنا كيف يمكن الوصول إلى القمر أو إحدى الكواكب في المجموعة الشمسية.

لكن الذي نقض تلك المسلمات بمسلمات أخرى طور علم الهندسة وعرف الإنسان الخطوط المنحنية نتيجة دخول بعد رابع عليها وهو عامل الزمن وبما أن الله تعالى يعلم أن الإنسان وعقليته يتطوران مع الزمن جعل سبحانه الدين حنيفاً أي ينحني خطه مع الزمن ويتطور ويتبدل مع تطور وتبدل العقلية الإنسانية وليس في دين الإسلام شيء ثابت لا يتغير مع الزمن إلا الوصايا العشرة لذلك سماها سبحانه بالصراط المستقيم أي أن ذلك وحده يمشي على مبدأ الخطوط المستقيمة أما ما عدا ذلك فيسير حنيفاً على الإنحناء مع الزمن الذي يأتي بأعراف ومفاهيم جديدة للناس دائماً ولكن ضمن حدود حددها الله تعالى في كل الأحكام بحد أدنى وحد أعلى لا يجوز تجاوزهما.

ففي الثبات على مبادئ ومسلمات بشرية لا أصل لها في كتاب مبين يكون جموداً للعقل أولاً ويكون ظلماً للناس ولأنفسنا ثانياً بينما في التحرك على مبادئ الدين الحنيف الذي يتماشى مع أعراف الناس وعاداتهم شرط أن لا تتخطى حدود الله فيه رحمة بالعالمين، والله تعالى منظم هذا الكون العظيم ومدبره الدائم ذكر في كتابه مبادئ وإسس أغلب العلوم، وضحتها في كتابي الرابع «أسرار القرآن» لكن جمود عقل المسلمين على روايات عصور الكهف والظلم والظلام من عصور التخلف والإنحدار الإسلامي واعتبارها مسلمات ثابتة غير قابلة للتعديل أو النقاش أو الحوار مع أن أغلب ما

معنا منها ليس لنا عليه دليل عقلي وليس معنا إثبات أو شهادة من كتاب مبين له سلطان وبرهان مثل القرآن وكل ما معنا عبارة عن روايات شديدة التناقض والإختلاف وكلها تقول: قال فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ص في سبع فلانات لا نعرف من الصادق ومن الكاذب منهم وفقهاء السلطان يشهدون لنا أنهم قد تحرّو عنهم عن طريق مخابراتهم فتبين لهم أنهم جميعاً صادقون لم يعرف عنهم الكذب أبداً ونحن أمة أكثر ما نشهد به هو الكذب على بعضنا فليس فينا من لا يكذب أبداً وحتى شهادتنا لأولئك السبعة بأنهم صادقون كذبة كبرى والحقيقة أنه لم يعرف عصر في هذه الدنيا بأنه قد سيطر عليه الحق والصدق والخير ومات فيه الباطل والكذب والشر أبداً بل هما دائماً في الميدان وفترات تغلب الشر على الخير في تاريخ البشرية لا يقاس أبداً بفترات النور والخير القصيرة التي مرت بتاريخ البشرية المليىء بالمظالم والمذابح والمآسي والدماء المسفوكة ظلماً.

ولذلك إذا توخينا ذكر الحقيقة عن ما معنا من تراث قديم أثقل كاهلنا وغطى على عقولنا ووضع غشاوة فوق أبصارنا وبصيرتنا ووقراً في آذاننا لأنها غالباً تتناقض كما برهنت في كتاب دين السلطان مع الواقع ومع العلم ومع العقل ومع نفسها وبالتالي يجب أن تتناقض مع آيات الله تعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من أمامه نتيجة تقدم العلوم فلا يأتي إكتشاف أو معرفة جديدة إلا وتؤكد أن ما ورد في كتاب الله حق. (ولا من خلفه) أي لا يأتيه الباطل من خلفه لأن كل مكتشفات الإنسان عن التاريخ القديم تأتي أيضاً لتصديق القصص القرآني كله وتؤكده.

والعكس صحيح كل المكتشفات العلمية الحديثة أيضاً تثبت أن كل ما قاله أحبار السلاطين باطل في تأويلاتهم للآيات العلمية وكذلك كل المكتشفات التاريخية أيضاً تثبت أن ما قالوه عن الماضي تأويلاً أو تفسيراً أيضاً باطل، والأمثلة على ذلك كثيرة.

قالوا في التوراة أن الأرض مسطحة وشكلها مربع وأكتشف العلم غير ذلك بينما إذا توخينا ذكر الحقيقة نجدها جميعاً في كتاب الله وآياته البيّنات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ - ٤١ - ٤٢ فصلت.

وقد ضربت عليها أمثلة كثيرة في كتبي السابقة لمن أراد أن يستزيد.

أضرب هنا مثلاً واحداً في محرفات بني إسرائيل وفي قصة يوسف بالذات تقول

كتبهم (فرعون) عن الذي رفع يوسف بعد أن فسر له رؤياه بينما القرآن والتاريخ معاً يثبتان أن الذي فعل ذلك هو الملك وليس فرعون بدليل أن البطالسة كانوا في حكم مصر في ذلك الوقت وكانوا يسمون الحاكم بالملك بينما الذي استعبد بني إسرائيل هو فرعون الذي إنتصر على البطالسة وأخرجهم من ديار مصر وإعتبر الإسرائيليون خونة ومتعاونين مع البطالسة استعبدهم فرعون إلى أن أخرجهم موسى كما تروي أيات القرآن الكريم.

هذه الحقائق التاريخية تثبت بطلان مكتتبات بني إسرئيل كلها وتثبت تحريفهم لكتبهم بينما القرآن كل إكتشاف جديد في العالم يأتي ليؤكد على صحة ما ورد في كتاب الله وهذا هو الفرق بين صنع الله وصنع الإنسان وعندما يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلا مَن كَان هُوداً أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إن كُنتُم صَادِقِين﴾ - ١١١ البقرة.

والمسلمون اليوم أضافوا إلى معاني تلك الآية أنه لن يدخل الجنة إلا من كان سنياً والشيعة قالت: إلا من كان شيعياً وهكذا إلى آخر فرقة من فرق المسلمين. فهل نظن أنه سوف يقبل منا براهيننا التي تعودنا سماعها من أحبارنا:

قال أبو هريرة وقال إبن عباس وكلها قال عن قيل ليس فيها علم ولا حقيقة ولا برهان قال لي أحد المتعصبين للحديث والسنة وكأنه يشتمني أو كأنه يقول لي أنك كافر:

«إنك قرآني» قلت: «هل هذه مسبة عندك» قال: «نعم لأنك تنكر سنة رسول الله وهديه وشفاعته» قلت: «له أرني آية واحدة في كتاب الله تعالى يقول فيها رب العالمين (سنة رسولي أو هدي رسولي أو هدي محمد أو شفاعة محمد أو حديث رسولي أو حديث محمد) حتى أعود إلى ما أنت عليه علماً أن الله تعالى قال في كتابه أنه لم يفرط في كتابه صغيرة أو كبيرة تهم المسلمين إلا وذكرها لدرجة أنه لم ينس أن ينبههم إذا كانوا في مجلس سواء كان في بيت أو مسجد أو مكان عام أن يفسحوا لبعضهم ويكتفي كل منهم بأقل ما يمكن من المكان حتى يجلس إلى جانبه أخ له يحب أن يشارك في المجلس».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا فِى المَجَالِسِ فَافسَحُوا يَفسَحِ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ١١ المجادلة.

فكيف تتجرؤون على الله تعالى وتتهمونه أنه نسي أن يذكر في كتابه أن لرسوله سنة أو هدي أوشفاعة أو حديث خاص به من دون الله في الإسلام وغير موجود ولامذكور في القرآن الكريم وأنتم ترون بأعينكم أن الله تعالى لم ينس أن يذكر المسلمين في التفسح في المجالس وهي أصغر بكثير من الأمور التي تزعمونها.

أين قال الله تعالى أنه سمح لرسوله أن يطلعه على الغيب كله حتى صارت كتب المسلمين كلها تتحدث عن غيب الله كله بإسم الرسول الأمين؟

أين تحدث الله تعالى عن معجزات في الإسلام أظهرها على يدي رسوله؟

إن ما يفعله أكثرنا ويؤمن به عامتنا يغضب الله أشد الغضب ودليل غضب الله ونقمته ظاهرة وبادية للعيان لكل من له عين وبصيرة، إننا لا ننعم اليوم بأنعم الله بل نذوق عذاب الذل والهوان لأننا مشركون وأشد إشراكاً بالله من كل الأديان السابقة بمن فيهم اليهود والنصارى مع علمنا بإشراكهم. الدليل على أن نقمته علينا أشد من نقمته عليهم هو ما يشهد به حالنا الذي لا يدل أبداً أننا في مجال نعمة الله أبداً علماً أن الذي وحد المسلمين وجعلهم صفاً واحداً هو إجتماعهم على كلمة الله الواحدة الموجود في القرآن الكريم وإجتماعهم على رأي واحد لأنه ليس في وحي الله الصحيح رأيين وما حبل الله الذي أمرهم بالإعتصام به إلا كتابه العظيم والعلم الذي هو سبيله في الأرض إذا كان علماً صحيحاً لا وهم فيه.

وكل من قال لنا أن لله وحيين هو من أحد الشياطين ليس لله في الإسلام إلا وحي لكتاب واحد تركناه وهجرناه إمتثالاً لأحبار الطاغوت.

الرسول الكريم قال لكل المسلمين أمراً واجب الطاعة لكل المسلمين:

«لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه».

وإمتثل لهذا الأمر كل صحابته روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جمع أبي (أبو بكر الصديق) الحديث عن رسول الله ص (مكتوباً) وكان خمسمائة حديث فبات يتقلب كثيراً فلما أصبح قال: «أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها» فدعا بنار فحرقها»(*)

فماذا ألم بأبي بكر ولماذا يريد أن يحرق أحاديث الرسول التي نقول عنها اليوم

(*) عن كتاب تذكرة الحفاظ صفحة ٥ ـ المؤلف شمس الدين الذهبي، طبع الهند ـ ١٣٣٣ هـ.

الأحاديث النبويه الشريفة؟ هل كان أبو بكر غاضباً من الرسول يريد الإنتقام؟ أم كان ما سمعتم إمتثالاً للحديث الذي نجده في صحيح مسلم والبخاري وباقي الصحاح عن أبي سعيد الخدري «من كتب عني غير القرآن فليمحه» هل نستطيع أن ندعي اليوم أننا نحب الرسول أكثر من حب أبي بكر له؟ وهل أحاديث الرسول ﷺ أعز علينا من معزتها على أبي بكر؟

وماذا عن موقف عمر رضي الله عنه؟

عن عدوة بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها(*) (والسنن مثل سنن الصلاة وسنن الوضوء وسنن الزكاة وسنن الحج أي بإختصار سنن العبادات)». فطفق يستخير الله شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال «إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها فتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً»(**).

فهل سمعتم في هذه القصة وفي القصة التي قبلها أي عبارة تشير أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يخشيان أن يختلط الحديث بالقرآن؟

أم أنهما كانا يخشيان مما حصل ويحصل الآن وقاله الرسول في حديث سابق عن أبي هريرة:

خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث فقال «ما هذا الذي تكتبون» قلنا: «أحاديث نسمعها منك يا رسول الله» قال: «أكتاب غير كتاب الله؟ أتدرون؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما إكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى»(***).

أم أننا مثل أتباع باقي الأديان في الأرض نعبد ما كان آباءنا يعبدون ونحن على آثارهم مقتدون:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ

(*) إن الجميع يعلم بنهي الرسول عن الكتابة إلا للقرآن كما سمعتم في حديث أبي سعيد.
(**) جامع بيان العلم وفضله، الجزء الأول، صفحة ٦٤.
(***) تقييد العلم صفحة ٣٤.

* فَانتَقَمنَا مِنهُم فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ - ٢٢ - ٢٥ الزخرف.

هذه أربع آيات من سورة الزخرف كل من يظن أننا بعيدون عن متناول هذه الآيات ومقاصدها اليوم يكون بعيداً جداً عن فهم كتاب الله تعالى.

ولكن من شاء أن يقول الصدق منا لاعترف بأن ما نحن عليه إن هو إلا (الهوى) لأننا اتبعنا أهواءنا وتركنا صوت العقل تماماً، هذا هو الصحيح وهو المختصر المفيد علماً أن الذين عشقوا أحاديث الطاغوت لن يتركوها إلى الممات وسوف يعارضون من يقول الحق كما عارض أبو لهب وأبو جهل أوائل المسلمين.

﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى فإن الجنة هى المأوى﴾ - ٤٠ النازعات.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ماهي مقاصد الرحمن في جزء الآية الكريمة:

﴿...وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ - ٣٢ آل عمران. بدليل آيات القرآن الكريم:

لنستعرض آيات القرآن الكريم التي نجد فيها الأمر بطاعة الرسول فنجدها على نماذج مختلفة بدليل كل اختلاف يقصد به الرحمن حالة خاصة بها كما في الآيتين التاليتين مثلاً:

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِين﴾ - ٣٢ آل عمران.

حيث نجد طاعة الله والرسول موصولتان.

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيكُم مَّا حُمِّلتُم وَإِن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٥٤ النور.

نجد في هذه الآية طاعة الله مفصولة عن طاعة رسوله الكريم(*).

والمسلم عليه أن يتذكر أن رسوله الكريم قد كلف من قبل ربه بمهمتين أو وظيفتين هما:

المهمة الأولى والأساسية والدائمة هي مهمة نقل الرسالة التي وصلته بالوحي من ربه وتبليغها للناس فلولا الرسول لما بلغ القرآن للناس وهذه سنة دائمة لله تعالى يعلمنا عنها الله في كتابه المبين:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحياً أَو مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَو يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ - ٥١ الشورى.

أي أن الله يرسل رسالته لبشرٍ يختاره من الناس ليوحي إليه إما من الله مباشرة من وراء حجاب أو عن طريق وسيطٍ ناقل لأمر الله ووحيه مثل جبريل عليه السلام مبلغاً عن ربه لرسوله من الإنس. وكلا الرسولين ليس لهما الحق في تبديل النص المنقول عن الله تعالى أو تعديله أو شرحه أو تبيانه لأنه واضح مبين بذاته مفصل على أحسن التفصيل بدليل آيات الله نفسها.

(*) أول من نبه المسلمين إلى ملاحظة الفروق بين كلمات الآيات وعباراتها لتعني معاني ومقاصد تختلف بحسب تلك الإختلافات من دون وجود ترادف بينها هو المفكر الإسلامي الدكتور محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن قراءة معاصرة».

﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً * إلا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً * لِّيَعلَمَ أَن قَد أَبلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِم وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيهِم وَأَحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ - ٢٦ - ٢٨ الجن.

الآيات تتحدث عن إسلوب عمل الملاك جبريل وكيف يحمل رسالة ربه من الغيب الذي اطلع عليه بإذن الله لنقله إلى رسول من البشر، وأثناء نقله للمعلومات يحرسه الله حراسة شديدة من باقي مخلوقاته مثل الجن الذين كانوا يقعدون للتجسس في مقاعد للسمع منعها عنهم سبحانه، وتجد كل ذلك مشروحاً في سورة الجن، لكن جنود السلطان استخدموا تلك الآيات بعد تأويلها بأن المقصود بها هو الرسول الكريم ليتقولوا باسمه ما يشاؤون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَآ أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ - ١٥٩ البقرة.

والله تعالى هو الذي يفصل الآيات وليس أحداً من رسله:

﴿وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ٥٢ الأعراف.

وقد ذكرت سابقاً بأن تأويل الآيات في الإسلام ممنوع من الله لكن الذين شاءوا تحريف الدين وادعوا بوجود معاني باطنية لآيات القرآن لا يعلمها إلا الأحبار والفقهاء من أمثالهم فأولوا الآيات كما يشاءون وكما يرغبون هم وسلاطينهم معهم والله ليس بغافلٍ عما يفعلون:

﴿هَل يَنظُرُونَ إِلا تَأوِيلَهُ يَومَ يَأتِي تَأوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ قَد جَآءَت رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشفَعُوا لَنَآ أَو نُرَدُّ فَنَعمَلَ غَيرَ الَّذِي كُنَّا نَعمَلُ قَد خَسِرُوا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ﴾ - ٥٣ البقرة.

المعنى واضح يبحثون عن الشفعاء في وقت لم يبق فيه شفيع إلا الله ويتمنون أن يردوا للحياة مرة أخرى ليبدلوا أعمالهم في وقت أصبحت العودة والرجعة مستحيلة ولم يبق أمامهم إلا أن يلاقوا مصيرهم الأسود بعد أن خسروا أنفسهم وضل عنهم كل ما كانت الشياطين تمنيهم من أضاليل وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان بدأت تتكشف للناس واحدة بعد أخرى بعد الإكتشافات الحديثة مظهرة خطأ تأويلاتهم كلها. وبما أن التفصيل لا يكون للجاهل ولا للذي لا يستخدم عقله يقول الله تعالى عن تفصيل الآيات:

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَومٍ يَعلَمُون﴾ - ٣٢ الأعراف.
﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٢٤ يونس.
﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ٢٨ الروم.

وبما أن المبيَّن هو المفصل والمشروح بحيث لا يحتاج إلى شرح وتبيان إضافي يقول سبحانه:

﴿لَقَد أَنزَلنَآ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ٤٦ النور.
﴿رَّسُولاً يَتلُو عَلَيكُم ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ - ١١ الطلاق.

فماذا يمكن أن تكون صفة الكتاب الذي يحوي كل هذه البينات والمفصلات كما مر معنا إلى الآن.

فهل في أوامر الله تعالى والموجهة للناس كافة في كتابه المبين أي أوامر خاصة لرسوله يشترك فيها وفي شرحها وتفصيلها وتبيانها مع الله؟

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.
﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يُرِيدُ﴾ - ١٦ الحج.
﴿إِنَّكَ لا تَهدِى مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ﴾ - ٥٦ القصص.
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِىَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ - ٢٣ الزمر.

وليس تبيان آيات القرآن وحدها التي تخصص بها الله تعالى وإنما هناك أيضاً أمور الغيب والشفاعة والأمر والحساب كله لله تعالى وإذا قلنا غير هذا نكون قد أشركنا مع الله في أموره أحداً فأين مجال الشفاعة مع الله في الآية التالية: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِّنَفسٍ شَيئاً وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ - ١٩ الإنفطار.

﴿وَاتَّقُوا يَوماً لا تَجزِى نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلا يُقبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤخَذُ مِنهَا عَدلٌ وَلا هُم يُنصَرُونَ﴾ - ٤٨ البقرة.

فلا ناصر ولا مغيث ولا شفيع يوم القيامة لأي نفس تقف أمام ربها إلا الله والشفيع الوحيد هو إيمان الإنسان وعمله، هذه الأمور واضحة وبينة في كتاب الله إذا لم نلجأ

للتأويل والتحريف للمعاني بشكل مقصود إرضاءً للشيطان ولمصلحة السلطان الدنيوية.

وبما أن الله تعالى يعلم أنه ليس لرسله من الأمر إلا تبليغ الرسالة للناس كما هي من غير بيان أو تبيان إضافي يقول الله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَه﴾ - ٦٧ المائدة.

وحتى لا نتَّبعَ ما تَقَوَّلَ الناسُ على ألسنةِ الرُّسل كذباً وبهتاناً كما تقَوَّلَ أحبار السلاطين بإسم رسولنا ملايين الأحاديث ادعوا لها الشرف والقدسية، رفعوها أعلى من مرتبة القرآن عند الناس فوقع فيها وفي عشقها أغلب آباءنا.

الله تعالى يعظ من يعود منا ويقرأ القرآن من المسلمين من دون الوقوع في ما وقع فيه آباءنا من عشق للحديث وأخطاء التأويل أن يقرأ القرآن مباشرةً وكأنه يسمعها الآن بصوت الرسول الكريم بعد أن نزلت من السماء مباشرة، ليعلم ماذا يقول الله له في كتابه المبين ذو الآيات المفصلات البينات بذاتها والمضيئات بنورها الذاتي.

يجري سبحانه مقارنة التحدي بينه وبين عباده المرسلين الذين أتوا بآيات الله للناس بأمانة ولكن الناس قد جعلوا من هؤلاء الرسل شركاء مع الله في أموره التي لم يخصص الله شيئاً منها لهؤلاء الرسل لأنهم لا يستطيعون أن يهتدوا إلى الحق والنور والعدل الإلهي إلا بعد أن يهديهم الله تعالى فيسألنا سبحانه متحدياً إيانا من أحق بالإتباع؟؟؟ الله الذي يهدي إلى الحق مباشرة بكتابه المعجز الذي أرسله ليكون سهل الحفظ والفهم لجميع المسلمين وهو كتاب بيّن ومبيَّن ومفصَّل ولم يترك سبحانه صغيرة ولا كبيرة تهم الإنسان في حياته وفي آخرته إلا وذكرها له على أحسن ما يكون أم اتباع مفتريات الطواغيت واتباعهم وما نسبوا للرسل الذين لا يمكنهم أن يهدوا أحداً إلا بعد أن يهديهم رب العالمين؟

لا يمكن لمؤمن يعتمد إيمانه على العقل والعلم والمنطق السليم إلا أن يقول:

إن اتباع كتاب الله تعالى الذي هو القرآن الكريم أحق بالإتباع من كتب الأرض كلها التي ثبت تحريفها بشهادة ما ورد في نصوصها من أمور لا يصدقها عاقل مثل إرتكاب الفواحش والقتل وشرب الخمور من قبل أنبياء الله ورسله. وكذلك القرآن الكريم أحق بالإتباع من كتب وروايات الظنون الموجودة في أحسن صورها في صحيح البخاري ومسلم والتي درج المسلمون على تسميتها بالأحاديث النبوية الشريفة. وقد

برهنت لكل من أراد أن يبحث عن الحقيقة أن أغلبها مفترى على الله والرسول بدليل تناقضها مع القرآن وتناقضها مع نفسها، وتناقضها مع أخلاق الرسول الكريم، وتناقضها مع أخلاق الصحابة الكرام وإني اعتقد أن الصحابة أنفسهم بريئين من روايتها وافترائها على الرسول الكريم.

ويعلم حقيقة ذلك أحبار السلاطين قبلنا ولكنهم يعلمون ويحرفون صدق بها مشايخ آبائيين جهال يقولون ماتعودوا سماعه من آبائهم الأولين من ضلالات الأقدمين دون استخدام العقل والمنطق لمناقشة الحقيقة.

﴿...أَفَمَن يَهدِى إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهدِّى إِلآ أَن يُهدَى فَمَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ ـ ٣٥ يونس.

فمن له القدرة للهداية إلى الحق؟ الله أم مخلوقات الله وعبيده؟

﴿قُل هَل مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهدِى إِلَى الحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهدِى لِلحَقِّ...﴾ ـ ٣٥ يونس.

من هذا نعلم أن موسى عليه السلام لايمكن أن يهدي بدون الله إلى الحق والهادي هو الله.

ومن هذا نعلم أن عيسى عليه السلام لايمكن أن يهدي بدون الله إلى الحق والهادي هو الله.

ومن هذا نعلم أن محمد عليه السلام لايمكن أن يهدي بدون الله إلى الحق والهادي هو الله.

فالله تعالى قد أنزل كلامه عن طريق الوحي على رسل الله وكلفهم أن يبلّغوا ما وصلهم منها بالحرف للناس وليس لهم كما رأينا من أمر الله ووحيه شيء بعد البلاغ وقد بينت في بحث سابق أن البرهان العملي على هذا هو: لو أن الرسول علم فعلاً معاني القرآن كلها فلماذا لم يقل للمسلمين في عصره بأن الأرض كروية وأن آيات القرآن تتكلم عن كروية الأرض في قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيلِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾ ـ ٥ الزمر.

الناس جميعاً لم يروا الله ولم يسمعوه وكذلك لم يروا جبريل عليه السلام ولم يسمعوه بل سمعوا ورأوا أمامهم بشر مثلهم يقول أقوالاً لا تشبه أقوال البشر العاديين،

قال عنها الرسول أنها آيات بينات من الله تعالى وصلت له عن طريق الوحي الذي طلب منه أن يبلغها للناس معترفاً بأنه ليس له من الأمر شيء بل الأمر والنهي كله لله تعالى، فهو سبحانه الذي اختاره مبلغاً و مبشراً ونذيراً وجعله مأموراً مثلهم بطاعة الله مشمولاً في أوامره ونواهيه.

والناس الذين أطاعوا ما سمعوا منه كانت طاعتهم للرسول ظاهرياً لأنهم لم يسمعوا الأمر إلا منه، ولكنهم في واقع الأمر وحقيقته قد أطاعوا الله تعالى لأنه صاحب الأمر ومنزل الوحي لمصلحة الإنسان والرسول الكريم في كل ذلك ما هو إلا وسيط بين الله تعالى والناس.

والله تعالى هو الوحيد الذي يعلم تماماً من غير ظن أين تقع مصلحة الإنسان وليس الرسول الأمي الذي لا يعلم من علم الله وغيبه شيئاً إلا ما علّمه الله في وحي القرآن، وكتبه كتبة الوحي في كتاب القرآن الكريم.

فالرسول مثل باقي الناس عليه ما على الناس من طاعة النص الإلهي وهذا ما قصده الرحمن عندما عكس الموضوع وقال في الآية الكريمة:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَاكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا﴾ ـ ٨٠ النساء.

بما أن الأمر كله لله تعالى ـ فإن الطاعة تكون أيضاً في النتيجة العامة لله وحده.

والنص المبلغ هو الذي يحوي هدى الله إذاً فالهدي كله أيضاً لله وليس للرسول هدي خاص به أبداً والقصص والأحاديث كلها من غيب الله المباشر إذا ليس للرسول حديث خاص به أيضاً وهكذا نكون بالتدريج عدنا إلى سبيل الله الواحد بعد أن فرق بنا السلاطين وأعوانهم على سبل الشياطين بعد أن قبلنا بالإشراك بالله خطوة بعد خطوة.

إلى هنا ونحن نتكلم فقط عن صفة الرسول التي وصفناها بالرسولية وهي كما بينا بشهادة آيات الله صفة دائمة للرسول وباقية إلى يوم الدين طالما بقي من الإنس ومن الجن من عباد الله أحد حي يرزق على هذه الكرة الأرضية يتبع الرسالة، ولكن للرسول مهمة أخرى مع المهمة التي شرحناها إلى الآن، وهي مهمته أن يكون حاكماً للمؤمنين وقاضياً لهم وقائداً لجيشهم وناصحاً وواعظاً وإماماً للمؤمنين من حوله في الجزيرة العربية وشاهداً عليهم طالما بقي حياً يرى أعمالهم وتصرفاتهم وردود أفعالهم.

وهذه المهمة تنتهي بوفاته بعكس المهمة الرسولية الدائمة بدوام القرآن وإستمرار

تواجد عباد الله على الأرض، ليكون وسيلة الهدي إلى نور الله حتى يوم القيامة. لذلك سوف تبقى كلمات (قل) ونداءات المخاطبة مثل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ ـ ١٠٤ البقرة.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ..﴾ ـ ١ المدثر.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ..﴾ ـ ٢١ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا..﴾ ـ ٦ الجمعة.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ..﴾ ـ ٤١ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ ـ ٧ التحريم.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ..﴾ ـ ٦٤ الأنفال.

﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ..﴾ ـ ١ المزمل.

تشعرنا وكأننا نسمع صوت نداء الرسول الكريم يبلغنا آيات الرحمن إلى يوم الدين. فهمنا مما تقدم حتى الآن أن الآيات التي وردت في كتاب الله تعالى على الشكل التالي:

﴿...وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ...﴾ ـ ١٣ النساء.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم...﴾ ـ ٦٩ النساء.

﴿...وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾ ـ ٧١ الأحزاب.

وكل من أطاع الرسول في ما سمعه منه مبلغاً عن ربه فقد أطاع الله:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ ـ ٨٠ النساء.

وكل ما بلغ الرسول هو كتاب الله بالحرف وهو دستور الإسلام الدائم وقانونه الأساسي ومنبع الشرع والأحكام ففي طاعتنا لذلك الكتاب هو منتهى الهداية والرسول تنتهي مهمته بالبلاغ الواضح اي إيصال الكتاب من دون نقص للمبلغ إليهم:

﴿...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ ـ ٥٤ النور.

والرسول الكريم عاش قبل الرسالة أربعين عاماً مع أهل مكة لو كان معه أو عنده علم خاص وذاتي لماذا لم يبلغه في تلك الأيام؟

والله سبحانه يقول على لسان رسوله هذه الحقيقة مذكراً كل المدعين بعلم خاص

للرسول أو بهدي خاص غير هدي الله أو سنة خاصة غير سنة الله أو حديث خاص غير حديث الله:

﴿قُل لَّو شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوتُهُ عَلَيكُم وَلآ أَدرَاكُم بِهِ فَقَد لَبِثتُ فِيكُم عُمُراً مِّن قَبلِهِ أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ - ١٦ يونس

والبلاغ المبين لا يكون إلا بكتاب مبين فيه آيات مبينة ومحكمة من رب العالمين وليس على الرسول الأمي الذي لم يسبق له أن قرأ وكتب من قبل أن يعدل في رسالة رب العالمين وينسخ بكلامه آيات رب العالمين كما يدعي أحبار السلاطين.

ننتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من الآيات فيها نوع آخر من الطاعة غير ما ذكرناه إلى الأن وهذا النوع كما قلت قبل قليل يتبع للصفة الثانية للرسول وهي صفته الزمانية والمكانية كحاكم وقاضي وإمام وفقيه وقائد جيش وقائد لأمة المؤمنين هذه الصفة محدودة بالزمان القرن السابع الميلادي - المكان الجزيرة العربية - الفترة الزمنية خلال حياة الرسول الكريم فقط.

هذه الطاعة تختلف عن الطاعة الأولى لذلك نجد الآيات تضعها بإسلوب آخر فتجعل طاعة الرسول مفصولة عن طاعة الله في الآية:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبطِلُوا أَعمَالَكُم﴾ - ٣٣ محمد.

وبما أن الموضوع له علاقة بحياة الرسول الشخصية نجد الآية التي قبلها تقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَآقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيئاً وَسَيُحبِطُ أَعمَالَهُم﴾ - ٣٢ محمد.

ننتقل بعدها إلى آية أخرى من سور النور:

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيكُم مَّا حُمِّلتُم وَإِن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٥٤ النور.

الآية واضحة الله تعالى يطلب من عباده الطاعة في ما أمرهم به وأمر الله محفوظ في كتابه المبين الذي أصبح بين أيدي المسلمين. حيث يطلب سبحانه من المعاصرين للرسول إطاعة أوامره المباشرة لأن أوامره تتماشى مع كتاب الله ولا تناقضه وحتى قضائه مستنبط من القرآن مباشرة وليس فيه قياس ولا سنة ولا إجماع ولا إجتهاد - وفي طاعة الناس لرسولهم مصلحة مباشرة لهم وهي الإهتداء إلى الحق يعود بعدها سبحانه

ويبين أن الرسول الكريم يتقيد بالبلاغ المبين الذي أنزل عليه من ربه وبما أن الصحابة الكبار قد فهموا هذا تماما من الكتاب ومن رسولهم نجد أبا بكر الصديق يخطب بالناس يوم استلامه للخلافة من بعد وفاة الرسول الكريم يقول:

«إنما أنا متَّبع ولست بمبتدع فإن استقمت فبايعوني وإن زغت فقوموني»(*).

وكذلك يروى عن عمر بن الخطاب قوله عند استلام الخلافة:

«أطيعوني ما أطعت الله فيكم» وهو لم يقل أبداً ما أطعت الرسول لأن الرسول الكريم قد مات وبقي مع الناس كتاب الله الدائم وليس مع عمر كتاب خاص بالرسول في عصره أبداً وإنما حصل ذلك في عصر الطواغيت من السلاطين، الذين بدلوا كتاب الله بكتب أخرى ادعوا لها القدسية لتبديل شرع الله.

ولم يكن أحد منهم يدعي بطاعة للرسول وهم يقصدون كتاباً وسنة وحديثاً خاصاً به أبداً بل الكل كان متفقاً على كتاب الله وحده الذي فيه الهدي وفيه السنة وفيه أحسن الحديث وفيه الشفاعة وفيه غيب الله كله وهو وحده الذي يحوي على الوحي الإلهي كله متضمناً الدستور والقانون الأساسي للمسلمين جميعاً والدليل هي آيات الله كلها وهي تقول علناً مهمة الرسول أين تنتهي:

﴿...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٥٤ النور.

والبلاغ المبين لا يكون إلا لكتاب مبين وآيات مبينة ومحكمة من رب العالمين وليس من الرسول الأمي كما يدعي أحبار السلطان. الرسول الذي عاش عمراً قبل ذلك في مكة ولم يأتهم بشيء.

وهذا النوع من الآيات كما قلنا قبل قليل هي فقط لتحديد مهمة الرسول في تبليغ الرسالة للعالمين وهي مهمة دائمة في الإسلام، وإطاعة الرسول لا تنفصل عن طاعة الله لأن القرآن بلغ أصلاً للناس عن طريقه ولسانه وأمانته فقط أما المهمات الأخرى التي قلت عنها «المهمات الزمانية التي تنتهي بوفاة الرسول الكريم»، هذه الآيات نجدها على أشكال أخرى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمرِ مِنكُم...﴾ - ٥٩ النساء.

هنا كل طاعة مفصولة عن الطاعة الثانية.

(*) عن تاريخ البداية والنهاية، إبن كثير الدمشقي، الجزء السادس، ص ٣٠٧.

أولاً: إطاعة الله في كتابه الذي فيه الحدود لكل الأحكام الشرعية.

ثانياً: إطاعة الرسول كقاضٍ وحاكم في استنباطه للأحكام من كتاب الله بما يوافق زمانه ومكانه في الجزيرة العربية وتنتهي هذه الطاعة بوفاته وعودة نفسه الشريفة راضية مرضية إلى ربها.

وما تم استنباطه من أحكام في زمانه ومكانه لا يمكن أن يطبق على زمان ومكان يتغيران في الأرض بإستمرار لا يتوقف أبداً لذلك منع الرسول ومن بعده الخلفاء الراشدين من تسجيل تلك الأمور ولكنه لم يمنع الكتابة على الإطلاق بل إن القرآن يأمر بالكتابة حتى لا ننسى وحتى نضمن حقوقنا من الغير:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ وَليَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ وَلا يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَليَكتُب وَليُملِلِ الَّذِى عَلَيهِ الحَقُّ وَليَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبخَس مِنهُ شَيئاً فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَو ضَعِيفاً أَو لا يَستَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَليُملِل وَلِيُّهُ بِالعَدلِ وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ مِن رِّجَالِكُم فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى وَلا يَأبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسئَمُوا أَن تَكتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ...﴾ ـ ٢٨٢ البقرة.

والآيات التي تأمر بالكتابة في كتاب الله كثيرة جداً ولا مجال هنا لحصرها ويكفي أن نذكر أن أول آيات الكتاب والتي نزلت وحياً من الله في سورة العلق:

﴿إقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ ـ ١ العلق.

﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ ـ ٤ ـ ٥ العلق.

بعدها ننتقل إلى موضوع آخر من آيات الطاعة:

هناك آية وحيدة وفريدة في القرآن الكريم وهي:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ـ ٥٦ النور.

وهذه الآية وحدها فيها أمر بطاعة الرسول وحده دون أن تكون متصلة بطاعة الله أو مفصولة عن طاعة الله كما مر معنا في بحثنا هذا وإذا انتبهنا إلى موضوع هذه الآية نجدها محددة بموضوعي الصلاة والزكاة في الإسلام وهما عبادتان مقترنتان دائماً في الإسلام لا ينفصلان.

وهنا لا بد للمسلم النبيه الملاحظ لآيات الله وهي تخاطب فكره وعقله إذ تقول: ألا تعقلون - ألا تتفكرون - يا أولي الألباب -

حيث يخاطب سبحانه فيها عقول الناس وهي في حالة تفكير وعمل وليس في حالة تخدير وخمول وكسل ويقول المسلم متفكراً في نفسه وماذا في الإسلام ولم يحدده الله تعالى في الصلاة والزكاة ويترك سبحانه موضوع تحديده لرسوله وحده في هذه المرة الوحيدة من الطاعة للرسول وحده؟

إنه يجد أن عدد ركعات الصلوات غير مذكورة في القرآن.

وكذلك نسبة الزكاة من الأموال خاصةً الحد الأدنى منها أيضاً غير محددة ولكن ما هي الحكمة في إختيار الله تعالى لعبده ورسوله لهذه المهمة بالذات؟

إذا قرأنا آيات القرآن بتمعن وتفكير نجد الآية الكريمة التالية ملفتة للنظر خاصة في موضوع حديثنا بالذات:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٢٨ التوبة.

هذه الآية تعطي لرسول الله صفتين من صفاة الله دون الإطلاق(*).

وبشهادة من الله سبحانه في وحيه المنزل عليه مبيناً أن رسوله حريص على المؤمنين ويعز عليه أن يلقى أحدهم عنتاً ومشقة لذلك فهو رؤوف رحيم بهم فاختاره الله لتلك الصفات أن يكون هو الذي يحدد للمسلمين هذين الموضوعين بالذات وحتى لايشطح خيال المسلم ويظن بأن الله تعالى قد أعطى كل شيء يتعلق بالصلاة والزكاة لرسوله يعود ليذكر في آية آخرى بأن الله تعالى هو الأساس في كل شيء وكل الأمور تتم بحسب إذنه ومشيئته وحده:

﴿...فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ - ١٣المجادلة.

﴿...وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ - ٣٣ الأحزاب.

وأخيراً لا نجد في كتاب الله طاعة لله وحده من دون ذكر الرسول أو الرسل لماذا؟

لأن الله تعالى لا يكلم عباده مباشرة ولابد من وجود وسيط بينه وبين عباده، الله

(*) أي ليس بشكل مطلق مثل ﴿الرؤوف الرحيم﴾ فهذه الحالة هي صفة الله وحده أما الرسول فقد كان «رؤوف رحيم».

تعالى ينقل رسالته بالوحي إلى رسوله الذي يبلغه للناس فوجود الرسول ضروري كوسيط للتبليغ واجب كما أن الوحي هو واسطة التبليغ لأغلب الرسل وهذه سنة الله سبحانه التي لا تبديل لها وفي نهاية هذا البحث عن أوامر الطاعة أحب أن أختمها بمثال يراه الناس في الأرض ولله المثل الأعلى.

في كل دولة جيش، ولكل جيش ضباطه وقواده، وقيادة كل دولة حريصة على تبليغ كل الجنود أوامرها من القيادة العامة وعلى الجنود إطاعة تلك الأوامر وإطاعة رؤساءهم من أصحاب الرتب المختلفة.

وإذا فكر الجندي بماذا يطيع قائده؟

هل يستطيع القائد مهما كانت رتبته عالية أن يأمر أي من مرؤوسيه دون أن تكون هذه الأوامر من القيادة العامة بأوامر دائمة مثل النظام، أو أوامر خاصة مثل الهجوم تكون مباشرة من القيادة؟

هذا مستحيل إلا أن يكون خروجاً عن طاعة وأوامر القيادة العامة مثل محاولة إنقلاب عسكري على القيادة العامة مثلاً لأن الأوامر في الأحوال العادية تصدر دائماً بكتب وتعليمات من القيادة العامة وأصحاب الرتب عليهم فقط نقل هذه الأوامر والتعليمات من غير زيادة أو نقصان، وعليهم مهمتان أولاً: إبلاغ الأوامر، وثانياً: مراقبة حسن التنفيذ لأوامر القيادة. فطاعة الجنود للضباط هي طاعة للقيادة العامة وتنفيذ أوامرها وليس هنا طاعة خاصة للضباط أبداً. أحببت أن أضرب هذا المثل لأوضح طاعة الرسول الكريم المطلوبة في كتاب الله تعالى، وفي آيات كثيرة كقوله تعالى:

﴿...قُل لَّستُ عَلَيكُم بِوَكِيل﴾ - ٦٦ الأنعام.

وأنت عندما توكل عن نفسك محامياً فإنك تعطيه الحق بأن يتكلم بإسمك كما يشاء ويراه مناسباً والله لم يوكل رسوله حتى يتكلم بإسمه بل حتى يبلغ ما أرسل به الله فقط بالحرف من دون أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً وليس عليه الشرح والتفسير بدليل آيات القرآن الكثيرة:

﴿قَالَ إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَا أُرسِلتُ بِهِ...﴾ - ٢٣ الأحقاف.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ...﴾ - ٩٩ المائدة.

هذه الآيات دليل على أن أغلب ما بلغه الرسول من القرآن المكي لم يكن مفهوماً منه بدليل أن أغلبها كان وما يزال في غيب الله وعلمه ولم تكشفه علوم العلماء في الأرض بعد.

وقال الله تعالى عن كتابه القرآن الكريم:

﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ - ٥٢ ابراهيم.

ومن الذي سوف ينذر الناس كافة ويبلغهم آيات الله هل هو الرسول وحده؟

طبعاً المقصود بهم كل المؤمنين في الأرض عليهم واجب التبليغ جهاداً دائماً إلى يوم القيامة من غير عنف أو قتال بل بالحكمة والموعظة الحسنة.

﴿فَإِن أَعرَضُوا فَمَآ أَرسَلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظاً إِن عَلَيكَ إِلا البَلاغُ﴾ - ٤٨ الشورى.

والمعنى واضح تنتهي مهمة الرسول والمبلِّغ بإبلاغ الرسالة فليس للرسول ولا للمبلِّغ أن يشرح البلاغ أو يفسره أو يؤوله كما يشاء هو أو أحد من الناس لآننا إذا احتكمنا للسلطان وقلنا له ما هو رأيك وماذا تقول للناس في بلاغ آيات الله نكون قد احتكمنا إلى الحكم الخطأ:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلا * أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَن يَكفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيدا * وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودَا﴾ - ٥٩ - ٦١ النساء.

فردوه إلى الله والرسول بحسب ما شرحنا إلى الآن أنواع الطاعة إننا يجب أن نعود إلى كتاب الله وحده لأني كما شرحت ليس لله أوامر مباشرة للناس من دون الرسول الوسيط للتبليغ فكل القرآن بلَّغ عن لسانه وبصوته شخصياً، العودة لله وللرسول في كل أمورنا معناه فقط أن نعود إلى القرآن المبين وحده وهذا هو الكتاب المشترك بين الله ورسوله فهو أمر الله المبلغ على لسان الرسول للناس كافة. ولكن عندما قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم هنا الطاعات كانت مفصولة عن بعضها، إطاعة الله فيما أمر في كتابه، وإطاعة الرسول كحاكم للمسلمين وقاضي بما فهم واستنبط من كتاب الله ومن ثم من بعد وفاته إطاعة أولي الأمر من بعده واجبه كصفة زمانية ومكانية متغيرة لأنهم خلفاء الرسول يحكمون بكتاب الله وبحسب استنباطهم للأحكام فيها وكل حاكم منهم يختلف زمانه عن الذي قبله لذلك فهو غير ملزم إلا

بالقرآن الذي يبين حدود الله وعليه وحده الإستنباط أو على من يوكل إليهم ذلك من الخبراء والدارسين لكتاب الله مثل القضاة وحكام الولايات الذين عليهم استنباط الأحكام من القرآن مباشرة لأن كتاب الله فيه الحدود وأمامه واقع القضية وظروف المكان والزمان تقع تحت رؤيته كقاضي وحاكم عليه أن يحكم بحسبها في القضية المعروضة فالله سبحانه يذكر الإستنباط من القرآن كوسيلة من وسائل الفقه ولا يقول أبداً بمبتدعات السلاطين من حديث وسنة وقياس وإجماع واجتهاد هذه كلها بدع ليست من الإسلام بدليل أن القرآن لم يذكرها أبداً.

وليس لمثل تلك المصطلحات من وجود في شرع الله الحقيقي المذكور في القرآن بل ما نجده فقط الإستنباط ولعلم الله تعالى أن موضوع الإستنباط محصور فقط من أجل التطبيق العملي لأحكام الله وحدوده المبيَّنة في القرآن من قبل الحاكم والقاضي الزماني للمسلمين الذي يجب أن يكون مطبقاً لكتاب الله وحده من دون إشراك كتب أخرى، بيَّن سبحانه ذلك كله في آية بينة تذكر اسم الرسول من دون ذكر الله تعالى معه مع ذكر أولي الأمر أيضاً لعلمه سبحانه أن الصفة الزمانية للرسول سوف تنتهي بوفاته فسوف يتحول القضاء وأمر الدولة والحكم إلى أشخاص سوف ينتخبون من قبل الشعب بلا تحيُّز إلى فئة أو عائلة أو قبيلة وإنما إلى التقوى وميزانها موجود في القرآن:

﴿...إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم...﴾ - ١٣ الحجرات.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً * وَإِذَا جَآءَهُم أَمرٌ مِّنَ الأَمنِ أَوِ الخَوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَو رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم وَلَو لا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لاتَّبَعتُمُ الشَّيطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ - ٨٢ - ٨٣ النساء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

هل التفرق والإختلاف سنة الله في الأرض؟

في العصر الحديث جداً خرج فريق من فقهاء وأدعياء العلم المتكلمين باسم السلاطين يروجون لفكرة خطيرة جداً لتثبيت أوضاع المسلمين الحالية من ضعف وتفرق واختلاف ونزاع وقتال وعنف ودمار، بل وصل الحقد ببعضهم إلى حد الإغتيال غدراً.

فهل صحيح ما يدعون إليه الناس وله ما يؤكده في كتاب الله المبين؟ بحيث أصبح من واجبنا كمسلمين أن نتبع سنة التفرق وإلا أصبحنا في عداد الكافرين والمشركين؟

أم أن لله تعالى رأي آخر ويدعونا إلى شيء آخر في كتابه العزيز؟

دعونا نفتح كتاب الله الذي أنزله سبحانه رحمة بالعالمين كي يفهمه كل الناس من غير وسيط من أدعياء الوكالة عن الله جميعاً لنرى ماذا يقول لنا سبحانه فيه ليخرجنا من ظلماتنا إلى نوره وعدله وسلامه.

ماذا يقصدون بالإختلاف؟ هل يقصدون:

اختلاف الليل والنهار والنور عن الظلام والحق عن الباطل والعدل عن الجور والمؤمن عن الكافر والموحد عن المشرك فهذا فعلاً من سنة الله تعالى، أم هل يقصدون:

إختلاف ألوان الناس واختلاف بصمات أصابعهم واختلاف مقاماتهم ودرجاتهم وعلمهم فهي أيضاً من سنة الله تعالى بدليل قوله في الأولى:

﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ الَّيلِ وَالنَّهَارِ لأَيَاتٍ لأُولِى الأَلبَابِ﴾ - ١٩٠ آل عمران.

وقال تعالى في الثانية:

﴿وَمِن ءَايَاتِهِ خَلقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلافُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَانِكُم...﴾ - ٢٢ الروم.

أم هل يقصدون: اختلاف اختيار بعض الناس لمنهج الإيمان بالعقل واختيار الآخرين لمذهب الكفر بالهوى والميل للشهوات فهذا أيضاً من سنة الله في خلقه:

﴿وَلَو شَآءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَآءَتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن ءَامَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ وَلَو شَآءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ - ٢٥٣ البقرة.

ولكننا نتكلم عن المسلمين الذين يرفعون راية الإسلام والإيمان، فهل تحت ظل تلك الراية سنة لله في الإختلاف؟ والإقتتال؟

وهل يدعوا الله تعالى المسلمين إلى الإتحاد أم إلى الإختلاف؟

ومن البديهي عقلاً أنه إذا كانت سنة الله في الأرض هي الإختلاف أن يدعوهم الله تعالى إلى سنته لأن سنته في الأرض لا تتغير ولا تتحول من أجل أحد أبداً.

أما إذا كانت سنته عكس ذلك فإنه سوف يدعوهم إلى الإتحاد بدلاً من الإختلاف والتفرق.

فما رأي الله تعالى عن هذا الموضوع؟

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِم فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ - ٦٥ الزخرف.

فهل هذا تأييد من الله تعالى على الإختلاف أم تهديد ووعيد لهم بعذاب أليم؟

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَآءَتهُمُ البَيِّنَاتُ بَغياً بَيْنَهُم فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ وَاللهُ يَهدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ٢١٣ البقرة.

هذه الآية تبين أن الناس يمكن أن يتحدوا على باطل ولكن الله تعالى يشاء لعباده الإتفاق على الحق فقط فأرسل سبحانه رسله وأنبيائه مبشرين ومنذرين وأنزل لهم كتباً من وحيه وفيها شرع الحق في الأرض لكن الذين تضررت مصالحهم من تلك الكتب رفضوها واختلفوا مع المؤمنين ظلماً وعدواناً، والله لم يدعوهم للإختلاف بل للإتفاق على الحق.

والدليل أن الله تعالى يدعوا إلى التوحيد ولا يدعوهم إلى الإختلاف كقوله تعالى:

﴿وَإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ لآ إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾ - ١٦٣ البقرة.

والله يدعوا عباده إلى دين واحد ولا يدعوا إلى دينين أو مذهبين أو طرائق مختلفة:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ...﴾ - ١٩ آل عمران. فهل يقبل الله تعالى الإختلاف حول هذين المبدأين؟

يقول سبحانه رداً عن الأولى:

﴿... ءَأَربَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ - ٣٩ يوسف.

ويقول تعالى رداً عن الثانية:

﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ﴾ - ٨٥ آل عمران.

وحتى لا يختلف الناس إذا عبدوا إلهين قال لهم الحق الذي يدعوهم إليه ونهاهم عن اتخاذ إلاهين:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَينِ اثنَينِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارهَبُونِ﴾ - ٥١ النحل.

لذلك كل من قال سابقاً الله وفرعون الله وقيصر، الله وكسرى أو كل من يقول اليوم الله والسلطان الله والملك، الله والرئيس فهو مشرك بالله علناً.

ولنلاحظ الآيات التالية هل يدعوا الله تعالى الناس إلى الإتفاق أم إلى التفرق والإختلاف؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً لَّستَ مِنهُم فِي شَيءٍ...﴾ - ١٥٩ الأنعام.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٣٢ الروم.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ...﴾ - ١٠٥ آل عمران.

وطالما تلك الآيات تدعوا للإتحاد والإبتعاد عن الإختلاف والتفرق فماذا عن مواعظ الله المباشرة للإنسان هل يدعوهم للإتفاق أم للإختلاف على أساس أن الإختلاف هي سنة الله تعالى؟

في آيات الصراط المستقيم وفي الوصية العاشرة لله سبحانه يقول للمؤمنين:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ - ١٥٣ الأنعام.

وهل دعانا الله لنتمسك بكتب مختلفة حتى يشتد خلافنا واختلافنا أم دعانا للتمسك بكتاب واحد هو المنزل من السماء إلى الأرض ليكون حبل الله المتين ليجتمع به المؤمنين:

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً...﴾ - ١٠٣ آل عمران.

وهل يدعوا الله تعالى المؤمنين بالتفرق أم بالإتحاد في الآية التالية:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوحَينَآ إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ - ١٣ الشورى.

وهل تشكيل الفرق سنة الله في الأرض أم هي سنة الكافرين والمشركين الذين رفضوا فكرة التوحيد أصلاً؟

﴿...نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِم...﴾ - ١٠١ البقرة.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنهُم مِّن بَعدِ ذَلِكَ وَمَآ أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنهُم مُّعرِضُونَ﴾ - ٤٧ - ٤٨ النور.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ﴾ - ٥٤ النحل.

﴿...أَفَكُلَّمَا جَآءَكُم رَسُولٌ بِمَا لا تَهوَى أَنفُسُكُم استَكبَرتُم فَفَرِيقاً كَذَّبتُم وَفَرِيقاً تَقتُلُون﴾ - ٨٧ البقرة.

﴿الَّذِينَ ءَاتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَآءَهُم وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ - ١٤٦ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إِيمَانِكُم كَافِرِين﴾ - ١٠٠ آل عمران.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسجِداً ضِرَاراً وَكُفراً وَتَفرِيقاً بَينَ المُؤمِنِينَ وَإِرصَاداً لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبلُ وَلَيَحلِفُنَّ إِن أَرَدنَآ إِلا الحُسنَى وَاللَّهُ يَشهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾ - ١٠٧ التوبة.

وهل يدعوا الله تعالى إلى سبيل واحد أم إلى سبل متفرقة في تلك الآيات البينات؟

﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسئَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالإِيمَانِ فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيل﴾ - ١٠٨ البقرة.

﴿قُل يَاأَهلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُم شُهَدَآءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُون﴾ - ٩٩ آل عمران.

فالله تعالى يدعوا الناس إلى سبيل واحد هو سبيل المؤمنين:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَت مَصِيراً﴾ - ١١٥ النساء.

وما سبيل المؤمنين إلا سبيل الله وهو السبيل الصحيح:

﴿وَإِن تُطِع أَكثَرَ مَن فِى الأَرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِن هُم إِلا يَخرُصُونَ﴾ - ١١٦ الأنعام.

وسبيل الله هو السبيل الوحيد من السبل التي لها صفة الإستقامة وغيرها من السبل معوجة:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالأَخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ - ٤٥ الأعراف.

وأصحاب الأهواء والمصلحة الدنيوية في الأرض سبلهم دائماً تختلف عن سبيل الله:

﴿سَأَصرِفُ عَن ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ ءَايَةٍ لا يُؤمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوا سَبِيلَ الرُّشدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنهَا غَافِلِينَ﴾ - ١٤٦ الأعراف.

وهكذا نكتشف من خلال آيات الله تعالى أنه يدعوا المسلمين والمؤمنين إلى سبيل واحد ولكن أتباع السلاطين من علماء السوء دائماً يبغونها عوجاً ويدعون إلى سبل الطواغيت يخبرنا عن أوصافهم حتى يتعرف المؤمنون عليهم:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالأَخِرَةِ هُم كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَم يَكُونُوا مُعجِزِينَ فِى الأَرضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَولِيَآءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ مَا كَانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمعَ وَمَا كَانُوا يُبصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُم فِى الأَخِرَةِ هُمُ الأَخسَرُونَ﴾ - ١٩ - ٢٢ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الإسلام بين التوحيد والإشراك

منذ بدء الرسالات في الأرض وحتى آخر رسالة أتى بها الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه لم يرسل سبحانه ديناً للناس سوى الإسلام.

وهذا منتهى الحق والمنطق السليم، فالله تعالى واحد لا شريك له ودينه واحد ورسالته واحدة وطريقه واحد. ولو كان الأمر غير ذلك لكان في الأمر ما يقال وكان هنالك ما يدعوا للشك والريبة.

ولكن والحمد لله فالإسلام هو دين الله تعالى للعالمين من بدء الرسالات وإلى اليوم.

صحيح أن الشرائع والأحكام كانت تتطور مع تطور عقلية الإنسان ومع تغير الزمان والمكان ولكن أسس العدل وسنن الله وهي القوانين العامة ونظرة الله للحق وللباطل بقيت ثابتة لا تتغير لكن نظرة الله للأحكام ولعلاقات الناس كانت تتطور دائماً في كل الأديان والشرائع السماوية مع تطور الناس مع الزمن والله تعالى لم ينكر التطور على الإنسان:

﴿وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾ - ١٤ نوح.

وغاية رب العالمين الدائمة من متابعة إرسال الرسل والأنبياء للأرض بحيث يشمل كل أمم الأرض هي أن لا يضل الإنسان المخلوق من ثنائيات فيتوه باستخدام عقله أو هواه بين ثنائيات كثيرة تؤدي إلى سبل متعددة.

ومن تلك الثنائيات: الخير والشر، العدل والظلم، الحق والباطل، الهدى والضلال، الرحمن والشيطان. فكانت وظيفة الرسل الدائمة عبر التاريخ الإنساني هي انتشال الناس من متاهات الكفر والإشراك وسبل الشر والهوى والباطل والظن والظلم واتباع الشيطان وهديهم بآيات الله المرسلة من السماء وحياً لهم إلى سبيل الله الواحد الأحد من غير إشراك لرسول مع الله في أي صفة من صفات الله ولا كتاب مع كتاب الله ولا وحي مدعى مع وحي الله الأساسي.

وحتى يفهم الناس كل هذه الأمور لم يترك سبحانه في رسالته صغيرة أو كبيرة تهم الناس إلا وذكرها لهم سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّستَطَرٌ﴾ - ٥٣ القمر

﴿...وَلآ أَصغَرُ مِن ذَلِكَ وَلآ أَكبَرُ إِلا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ - ٣ سبأ.

﴿...مَّا فَرَّطنَا فِى الكِتَابِ مِن شَىءٍ...﴾ - ٣٨ الأنعام.

وحتى لا يدعي أحد منهم أن الرسول شريك في الهدى والهداية مع الله تعالى وضحها لهم رب العالمين في خطاب وجهه لرسوله مباشرة:

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

﴿إِنَّكَ لا تَهدِى مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ﴾ - ٥٦ القصص.

﴿إِن تَحرِص عَلَى هُدَاهُم فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى مَن يُضِلُّ﴾ - ٣٧ النحل.

وحتى لا يقول أحد من الناس فيحرفهم إلى الإشراك بالله مدعياً محبته لرسولٍ كأن يقول هديُ موسى أو هديُ عيسى أو هديُ محمد.

قال سبحانه كلمة الفصل على لسان رسوله أمراً منه قل يا محمد:

﴿قُل هَل مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهدِى لِلحَقِّ أَفَمَن يَهدِى إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّى إِلآ أَن يُهدَى فَمَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ - ٣٥ يونس.

وما محمد ﷺ إلا إنسان لايمكن أن يهدي أحداً إلا إن هداه الله؟

وكل الذين يدَّعون بأن لمحمد ﷺ هدياً خاصاً ماذا يتبعون وهم يقولون عنه علماً علمه الله لرسوله دون أن يذكره في القرآن؟ هل يتبعون القرآن أم يتبعون روايات كلها ظنون في ظنون وتناقض آيات القرآن.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً...﴾ - ٣٦ يونس.

فإذا كان الذي بين أيديهم من الروايات أغلبها مفتريات فماذا عن القرآن؟

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرءَانُ أَن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ - ٣٧ يونس.

وحتى لايدعي أحد منهم أن الرسول شريك في الحديث مع حديث الله وضحها سبحانه بأن كل حديث مع حديث الله هو حديث لإضلال الناس:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِى لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - ٦ لقمان.

﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ - ٦ الجاثية.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً...﴾ - ٢٣ الزمر.

وحتى لا يدعي أحد منهم أن للرسول أمر خاص به غير أمر الله في كتابه وضحها سبحانه حتى لا يستغل ذلك بحرف الناس عن دينهم:

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ...﴾ - ١٢٨ آل عمران.

﴿...يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمرِ شَيءٍ قُل إِنَّ الأَمرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...﴾ - ١٥٤ آل عمران.

﴿...بَل لِّلَّهِ الأَمرُ جَمِيعاً...﴾ - ٣١ الرعد.

وحتى لا يدعي أحد منهم أن للرسول شفاعة وأن الأمر يومئذ للرسول ينقذهم من نار الجحيم بشفاعتة كما قال مشركوا النصارى بإدعائهم أن المسيح هو المخلص من عقاب الله ومن ناره فتبعهم المسلمون خطوة بخطوة حتى ولو دخلوا جحر ضب تبعوهم فقالوا من بعدهم بأن محمداً هو الذي سيشفع لهم ويخلصهم من نار الله الموقدة يوم القيامة، والله في كتابه المبين يقول عكس كلامهم:

﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِّنَفسٍ شَيئاً وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ - ١٩ الإنفطار.

فأين مجال الشفاعة والإنقاذ لنفس مهما علت في ذلك اليوم؟

﴿...لَيسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ - ٥١ الأنعام.

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقنَاكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ - ٢٥٤ البقرة.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ - ٤٤ الزمر.

وهكذا يتضح لنا أنه لا شفاعة لأحد ولا لرسولنا المحبوب يوم القيامة وإن كنا نحب أن تكون له شفاعة. وكل قول أو تقول بمعرفة الرسول عن الأمور الغيبية والتنبؤات عن المستقبل من دون أن يكون ذلك بشهادة آيات الكتاب المبين فكلها مع الأسف ضلالات وظنون.

وكل تقول على الرسول الأمين بالمعجزات والكرامات لا أصل ولا شهادة لها في كتاب الله المبين كلها أيضاً ضلالات وأضغاث أحلام وظنون لا حقيقة لها ولو رواها الآلاف من أدعياء الإسلام وشهد لهم علماء السلاطين. والدليل أن كل معجزات موسى وعيسى مذكورة بالتفصيل في القرآن وذكر سبحانه السبب الذي من أجله لم يؤيد الرسالة الأخيرة بمعجزات بصرية بقوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ...﴾ - ٥٩ الإسراء.

ومن تقول على الرسول الكريم بعلم الغيب وتكلم عن الكرسي والعرش وسدرة المنتهى وليس له شهادة من كتاب الله المبين فقد افترى على الله كذبا ويقول الله تعالى لهؤلاء:

﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِن عِندِ اللَّهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾ - ٧٩ البقرة.

لذلك فدين الله يدعوا إلى التوحيد ويدعوا إلى السلم والسلام في العالم كله ومن يتمسك بكتاب الله فقد هدي واستمسك بالعروة الوثقى:

﴿وَمَن يُسلِم وَجهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ - ٢٢ لقمان.

والله سبحانه يدعوا المؤمنين بالله جميعاً من مختلف الديانات السماوية من يهود ونصارى وسنة وشيعة إلى دين السلم والسلام الذي لا يمكن أن نجده إلا في القرآن المبين وحده. (دين الرحمة والسلام).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادخُلُوا فِى السِّلمِ كَآفَّةً...﴾ - ٢٠٨ البقرة.

والإسلام هو دين الله يدعوا إليه عباده:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلَامُ...﴾ - ١٩ آل عمران.

وإذا اتبع الإنسان ديناً غيره وقال أنا يهودي أو أنا مسيحي أو أنا سُنّي أو أنا شيعي فلن يقبل منه.

﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلَامِ دِيناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ...﴾ - ٨٥ آل عمران.

وعندما قال الله تعالى في وحيه المنزل على رسوله بعد حجة الوداع وقبل وفاة الرسول بقليل:

﴿...اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِيناً...﴾ - ٣ المائدة.

لم يكن قد كتب المسلمون كتاب الحكمة الذي يدعونه من الأحاديث المفتراة باسم السلاطين ورجال السياسة من أدعياء الإسلام. فكيف يكون الدين كاملاً وليس بين أيدي الناس كتاب الإسلام الأهم الذي فيه شرعهم بحسب إدعاء أحبار السلاطين؟

إذا كان الله تعالى لم يترك حتى أسلوب التحية والسلام بين المسلمين إلا وقد بينه في القرآن:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحسَنَ مِنهَآ...﴾ - ٨٦ النساء.

﴿...لا تَدخُلُوا بُيُوتاً غَيرَ بُيُوتِكُم حَتَّى تَستَأنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهلِهَا...﴾ - ٢٧ النور.

﴿...فَإِذَا دَخَلتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُم تَحِيَّةً مِّن عِندِ اللَّهِ...﴾ - ٦١ النور.

هل بعد هذا نقول أن الله سبحانه قد قال بأن كتابه المبين بذاته وآياته البينات بنوره وبشهادة منه تعالى تحتاج إلى بيان وتبيين من أحد سواه وهو يقول لرسوله بصراحة لا لبس فيها:

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ...﴾ - ١٢٨ آل عمران.

﴿...بَل لِّلَّهِ الأَمرُ جَمِيعاً...﴾ - ٣١ الرعد.

والرسول مهمته تنتهي بالبلاغ للوحي المنزل من السماء:

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ...﴾ - ٩٩ المائدة.

فهل قال الله في تلك الآية الكريمة: بل على الرسول الهدي والشفاعة والتقول على الله بما يشاء حتى وإن ناقضت أقواله كتاب الله؟

هل بعد هذا نقول أن الله تعالى قد سهى أو قد نسي أن يذكر في كتابه هدي محمد وسنة محمد وحديث محمد ونسي أن يذكر عذاب القبر ورجم الزاني والزانية وأن الحكم في الإسلام يجب أن يبقى بيد قريش وأبنائها وحدهم مابقي منهم إثنان فوق الأرض؟ وأن الله تعالى جعلها وراثية وقد الغى ميزان التفاضل في الإسلام بأن أفضلكم عند الله أتقاكم؟

وحتى يتعرف المسلم على الإسلام الحقيقي ومبادئه وأسسه الصحيحة ليس له في كل ما عند المسلمين من مصادر إلا مصدر واحد حقيقي لا وهم فيه ولا كذب ولا ظن ولا إفتراء إلا في كتاب واحد منزل من السماء بقي محفوظاً دون أن يحرفه إنس ولا جان بقدرة الله تعالى معجزاً للعالمين وهو الكتاب الكريم (القرآن العظيم) وكل من يظن أن في غير ذلك الكتاب يمكن أن يجد حقائق تامة وكاملة ليس فيها نقص أو سهو أو خطأ أو نسيان أو كذب أو تحريف أو افتراء أو تناقض يكون من المتوهمين.

وكما رأينا الله تعالى لم ينزل إلى عباده في الأرض آلاف الأديان وآلاف السبل والطرق والطوائف بل إن الله تعالى واحد أحد ودينه واحد وسبيله واحد وحبله واحد وميزانه واحد وحقه وعدله ونوره واضح بَيِّن لايحتاج إلى بيان أو تبيين من أحد عباده أبداً. وهو لن يعجز إلى إيصال رسالته إلى عباده ليكلف أحداً بإيضاح معاني الله له وهو الذي منع الرسول الكريم من ذلك عندما أمره قائلاً له:

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

فكيف نقول بعد هذه الآية هديُ محمد دون أن نخجل من أنفسنا ودون أن نخاف غضب الله؟

لقد كان طلب الله من رسله دائماً وأبداً بأن تبلغ رسالته كما أنزلها الوحي تماماً بلا زيادة ولا نقصان.

﴿قُل إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالوَحيِ...﴾ - ٤٥ الأنبياء.

﴿...وَلا تَعجَل بِالقُرءَانِ مِن قَبلِ أَن يُقضَى إِلَيكَ وَحيُهُ...﴾ - ١١٤ طه.

والإسلام ليس له طرائق ولا طوائف ولا مذاهب مختلفة بل الله واحد وهو الحق والحقيقة وسبيله واحد وهو العلم وكتابه واحد حتى دين موسى ودين عيسى عليهما السلام نجدهما في القرآن الكريم إذا أحبوا أن يعلموا ما هو الصحيح في ذلك الدين والتوراة والإنجيل وما فيهما من آيات لم تكن تناقض القرآن قبل تحريفهما والقرآن فيه أصل التوراة والإنجيل صحيحان ومختصران لمن احب منهم أن يصحح ما عنده من مفتريات.

﴿وَمَآ أَنزَلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اختَلَفُوا فِيهِ...﴾ - ٦٤ النحل.

فهل المطلوب في الآية السابقة بيان خاص من علم محمد ص أم البيان الموجود بالحرف في كتاب القرآن؟

لذلك ينصحنا رب العالمين أن لا يكون مصيرنا مثل مصير الذين سبقونا وتفرقوا شيعاً وأحزاباً:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ...﴾ - ١٠٤ آل عمران.

تعالوا نستمع إلى الآيات التالية من وحي الله الصحيح في القرآن:

﴿وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم * رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُب عَلَينَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم يَتلُوا عَلَيهِم ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم * وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفسَهُ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِى الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِى الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين * إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِين * وَوَصَّى بِهَآ إِبرَاهِمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى لَكُمُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُم مُّسلِمُون * أَم كُنتُم شُهَدَآءَ إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِى قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَآئِكَ إِبرَاهِمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُون * تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَا كَسَبتُم وَلا تُسئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُون * وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَو نَصَارَى تَهتَدُوا قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِين * قُولُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَينَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَى إِبرَاهِمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَآ أُوتِى النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُون﴾ - ١٢٦ - ١٣٦ البقرة.

ومسلم اليوم الذي قرأ الأيات السابقة عليه أن يجري حواراً عقلياً بينه وبين نفسه ليتعرف على الحقائق من خلالها ويقول:

ماذا قال إبراهيم عليه السلام وهو يبني البيت العتيق في مكة مع ابنه اسماعيل؟ قال: ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾

وماذا قال إبراهيم عليه السلام وهو يوصي أبنائه؟

قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسلِمُون﴾

وماذا قال يعقوب (إسرائيل) وهو يوصي أبنائه؟

إذ سألهم: ﴿مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِى﴾

فماذا كان جواب أبنائه على هذا السؤال؟

قالوا: ﴿نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَآئِكَ إِبرَاهِمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُون﴾.

وبعد ذلك ماذا قال اليهود والنصارى (أي الذين إنحرفوا عن دين إبراهيم فسموا أنفسهم يهوداً ونصارى)؟

قالوا: ﴿كُونُوا هُوداً أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾

وفي تلمود اليهود وأناجيل المسيح هناك أيضاً أضافوا مع كلام الله كلام آخر ومع شفاعة الله شفاعة آخرى كشفاعة المسيح الذي صلب على الصليب من أجل خطايا المؤمنين به وشفاعة العزير الذي سيخلص اليهود المؤمنين به وهل كان المسيح مثلاً من الكاثوليك أم من الروم الأرثودوكس أم من المورمان أم من شهود يهوه؟ وهل كان محمد سنياً أم شيعياً أم فاطمياً أم كانوا جميعاً على ملة إبراهيم مسلمين حنفاء؟

وماذا كانت وصية الله تعالى للجميع في كتابه العزيز؟

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ - ١٥٣ الأنعام.

وأين نحن الآن؟

هل نحن على سبيل الله الواحد كما كان محمد ﷺ وصحبه رضوان الله تعالى عليهم أم أننا على سبل الشيطان المتفرقة؟

وإذا كنا على سبيل الله الصحيح فأين رضوان الله ونعمه علينا كما كان رضوان الله على رسوله وصحبه؟ هل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أحرص على الإيمان والإسلام أم كان أبو هريرة أحرص على دين الله ومصلحة المسلمين؟

لماذا لم يكتب الأربعة الكبار من الصحابة الأحاديث عن الرسول الكريم؟

أنا لا أتهم الإمام أبو هريرة رضي الله عنه بشيء ولكن كتب الحديث هي التي تتهمه فقد يكون مظلوماً مثل غيره من الصحابة وروى المنافقون بإسمه كل تلك الأحاديث والإفتراءات وتخفوا خلف اسمه.

المتعصبون للسنة يقولون ما قيل لهم من فقهائهم أن الأربعة الكبار لم يكتبوا الحديث حتى لا يختلط بالقرآن. وأهل السنة يعلمون أن أمر الرسول الكريم واجب الطاعة:

«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه».

ويعلمون أن الذي قاله أبو هريرة صحيح:

(خرج علينا رسول الله ص ونحن نكتب الأحاديث فقال: «ما هذا الذي تكتبون؟»

قلنا أحاديث نسمعها منك فقال: «أكتاب غير كتاب الله؟ أتدرون؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى»)

ومع ذلك فالمتعصبون منهم يؤكدون بشدة على ما قاله الآباء للأبناء:

﴿...قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ - ٢١ لقمان.

وإذا قال لهم أحد إنكم تشركون بالله الرسول الكريم بالهدي والسنة والحديث والشفاعة وعلم الغيب وبما أنهم يؤمنون أن كل شيء مكتوب سلفاً للإنسان وهذا قدره الذي لا يمكن تغييره أجابوا مع علمهم بالإشراك:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ - ١٤٨ الأنعام.

ولم يتبادر إلى ذهنهم أن يتساءلوا فيما بينهم السؤال الطبيعي التالي:

﴿أَوَ لَو كَانَ ءَابَآؤُهُم لا يَعقِلُونَ شَيئاً وَلا يَهتَدُونَ﴾ - ١٧٠ البقرة.

﴿أَوَ لَو كَانَ ءَابَآؤُهُم لا يَعلَمُونَ شَيئاً وَلا يَهتَدُونَ﴾ - ١٠٤ المائدة.

ليس في الإسلام الصحيح فوارق بين المسلم والمؤمن بعقيدة الإسلام إلا إذا اعتبرنا وجود من نسميهم اليوم مسلمين بالهوية - تسأل أحدهم ما هو دينك؟ فيقول لك: أنا مسلم بالوراثة. وهؤلاء نوعين:

- نوع لا يلتزم بشروط الإيمان والعبادات معاً.

- ونوع يلتزم بشروط العبادات من صلاة وصيام وحج ولا يلتزم بتلاوة القرآن ولا بالزكاة. وكما لا يلتزم بشروط الإيمان ويشك في اليوم الأخر.

ولكن هؤلاء موجودين بشكل دائم لذلك يقول سبحانه عن البدو الأعراب الذين أعلنوا اسلامهم لمجرد أن رئيس القبيلة أعلن اسلامه وإذا عاد رئيس القبيلة عن كلامه عادوا معه، هل هذا إيمان أم إسلام؟

﴿قَالَتِ الأَعرَابُ آمَنَّا قُل لَّم تُؤمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسلَمنَا...﴾ - ١٤ الحجرات.

وعلى هذا الأساس يكون الإسلام مس غير الإيمان هو مجرد قبول بالنظام القائم من قبل الفرد الذي يعيش ضمن نظام إسلامي فلا يعارض هذا النظام أو يقف في وجهه بأي شكل من الأشكال الرفض والمعارضة بل يقبل به وإن كان لا يؤمن به ولا يتقيد به شخصياً، وهذا هو ما سعى إليه الله في حرب الرسول في الجزيرة لفرض سيطرة الرسول على الجزيرة العربية من أجل أن يتفرغ لحرب الفرس والروم، وكانت هذه السيطرة سياسية ولم تكن وسيلة من أجل نشر الإيمان بالسيف أبداً، والله يعلم أن الإيمان يحتاج إلى حرية فكرية، ولا إيمان بالقوة يمكن تحقيقه مع الإنسان. فهل تظنون بعد ذلك أن مجرد رفع الشعارات وترديدها باللسان دون أن نؤمن بها ومن بعد الإيمان نقوم على تطبيقها يمكن أن نغير شيئاً فهل مجرد قولنا أننا مسلمون وترديدنا كالببغاوات «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» بألسنتنا دون أن تبلغ عقولنا ولا تطبيقنا بل أننا نشرك بالله ونطيع السلاطين الذين هم الطواغيت وشرائعهم ويسوقوننا كالأنعام إلى أين شاؤوا هل رأيتم ترديد الشعارات في أي بلد تقدمي غيرت من أمور الناس شيئاً هل من ردد عبارة الوحدة القومية وصل إليها بمجرد الكلام وترديده؟

هل من ردد وتغنى بالحرية بلغها بمجرد التغني والترديد؟

هل من ردد العدالة وكتبها على كل الجدران استطاع الوصول اليها بمجرد الصياح والكلام والكتابة؟

ولكن الذين أشركوا بالله يذهب الله بنور عقولهم فيجعلهم لا يبصرون.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لايُبصِرُونَ﴾ - ١٧ البقرة.

وجعلهم مع وجود العقول والعيون لا يفقهون ولا يبصرون.

﴿...لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا...﴾ - ١٧٩ الأعراف.

وهؤلاء يستحيل هدايتهم إلى خير أو حق لأن الله سبحانه قد أعمى بصائرهم.

﴿أَفَأَنتَ تَهدِي العُميَ وَلَو كَانُوا لا يُبصِرُونَ﴾ - ٤٣ يونس.

لذلك فمهما ذكرنا عن الآبائيين الذين عبدوا السلف بدلاً عن عبادة الله تعالى لا يمكن أن نجعلهم قادرين على الرؤية أو السمع لحقائق الله تعالى البينة في كتابه المنير:

﴿مَا كَانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمعَ وَمَا كَانُوا يُبصِرُون﴾ - ٢٠ هود.

ولذلك يدلنا سبحانه إلى من نتجه لنبلغه الإسلام والقرآن من خلال ما طلب سبحانه من رسوله:

﴿...إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ...﴾ - ١٨ فاطر.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخشَى﴾ - ١٠ الأعلى.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخشَاهَا﴾ - ٤٥ النازعات.

والقرآن أُنزل ليبلغ للذين يخشون الله:

﴿مَا أَنزَلنَا عَلَيكَ القُرءَانَ لِتَشقَى * إِلا تَذكِرَةً لِّمَن يَخشَى﴾ - ٢ - ٣ طه

ومن هم الذين يخشون الله تعالى؟:

هم الذين يعرفون الله من خلال معرفتهم للعلم والعلوم وهم العلماء الحقيقيون وهم الذين يؤمنون بالعلم ويوحدونه ولا يشركون بالعلم الوهم أبداً:

﴿...إِنَّمَا يَخشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ - ٢٨ فاطر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ملخص عن مصالح السلاطين من تحريف دين الرحمن والإشراك بالله

بعد أن أصبح لدى المسلمين كتباً كثيرة، بدلاً من كتاب الله الواحد كمصدر لمعرفة الدين ومقاصد الرحمن، تشتت فكر المسلمين وصاروا لا يعلمون من بعد علم شيئاً، ومن شاء منهم أن يعود إلى الحقيقة، عليه أن لا يخجل من الحق ليعترف لنفسه أولاً أنه كان من الذين وقعوا في خطيئة تتبع الآباء من غير تبصر، كما حصل ويحصل مع شعوب الأرض كلها، فإن سنة الله فى الأرض لا تتبدل ولا تتحول من أجل شعب واحد أو أمة واحدة:

لذلك فالذي يبحث عن سنة الله في عباده وما حصل قبلنا من رسالات يجد الجواب في القرآن:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبدِيلاً﴾ ـ ٦٢ الأحزاب.

﴿...فَهَل يَنظُرُونَ إلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحوِيلاً * أَوَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَكَانُوا أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ ـ ٤٣ ـ ٤٤ فاطر.

والسنة أن الأمور إذا تركت من بعد رسالة الرسول وإبلاغه لوحي الله تعالى في الأرض وعاد الشعب إلى الجهل من بعد الفقر، فإن الملأ وهم الأقلية الغنية المترفة والمتواجدة في كل الشعوب، تعود لتمسك زمام الأمور وتحول الدين كله لمصلحتها، بالتحريف لمبادئ الله تعالى التى كانت أصلاً لتحرير الشعوب، ومنحها حقوقها فى الحياة، والحرية والتملك والعيش بكرامة فى الأرض، وجعل مبادئ الدين المدعى تدعوا إلى سلب حقوق الناس من جديد، واستعبادهم وإعادتهم إلى قطيع لا رأى له ولا قرار يسوقه رعيانهم بعصى السلطان.

هذا حصل في كل شعوب الأرض من أيام نوح عليه السلام، وإلى اليوم مروراً بحمورابي، كونفوشيوس، بوذا، زارادشت، واليهودية والمسيحية، ولا يشذ عنهم المسلمون ورجال الفقه عند السلاطين هم الذين ألبسوا محرفاتهم وافتراءاتهم المرغوبة والمطلوبة منهم بشدة، لباس الحق والشرع والقدسية مع علمهم أن الله تعالى أرسل

الدين خدمة لعباده من الناس كافة، بينما نجد سعي الفقهاء ينحصر في إعادة المفاهيم بعد قلبها، لخدمة مصلحة تلك الأقلية المحدودة والتى يسميها الله سبحانه في القصص القرآني: «بالملأ» متمثلة بصاحب السلطة، ومن حوله حاشيته وأتباعه المعتبرين من أعوانه، ومن الأمور التي استخدمها فقهاء السلطان من أجل تأسيس دينه، كانت الآيات التي فيها الأمر بطاعة الله والرسول مثل:

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ - ٣٢ آل عمران.

﴿...وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾ - ٧١ الأحزاب.

وقبل الدخول في بحث الموضوع واستشهاد آيات الله، لابد من معرفة مقاصد رجال دين السلطان وأحباره، من استخدام عبارة:

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ - ٣٢ آل عمران.

إنهم يريدون أن يجعلوا الله الواحد «إلهين» بجعل الله والرسول شريكين، وهذا حصل في كل الأديان السابقة، بما فيها اليهودية والمسيحية ضمناً فهل سوف تتغير سنة الله في الأولين فقط من أجل المسلمين؟.

بل لقد فعلها أيضاً شياطين المسلمون من الذين مالت نفوسهم للدنيا، من بعد موت الرسول وصحابته الأولين.

فاليهود قالوا...... الله والعزير. وحرفوا كتبهم بما يلائم سلطانهم.

والمسيحية قالت... الله والمسيح. وحرفوا كتبهم بما يلائم سلطانهم.

والمسلمون قالوا... الله ومحمد أو الله والرسول. وحرفوا كما يشاؤون في كتاب إدعوه لله وللرسول وهو الوحي الثاني «الحديث» وإن فشلوا في تحريف القرآن.

وهذا كله لم يكن مجانا لوجه أحد ولا سعياً وحباً بالله أو بالرسل، بل فعلوه لعلمهم أنهم إذا رسخوا فكرة الإشراك بالله في عقول الناس، برفع مقام الرسول يوماً بعد يوم وهم يقولون:

...حبيب الله.. خليل الله.. كليم الله.. الحبيب المصطفى، شفيع الرحمن، حتى يصبح الرسول الأمين في نهاية الأمر صاحب الكتاب والسنة والهدي والشفاعة والغيب من دون الله، بعد أن كان كل ذلك من حق الله وحده بلا شريك في كتاب الحق الذي بدله رجال الدين، وحرفوها إلى غيره بإدعاء وحي آخر لله تعالى

في الأديان السماوية الثلاثة.

وقد يتسائل القارئ وماذا يستفيد السلطان من كل ذلك؟

إن فائدة السلطان تتمثل بأنه يصبح في يده الشرع المدعى لله بإسم الرسول، يطبقه كما يشاء بمساعدة رجال دينه الأوفياء له ولخدمته والمتفانين في سبيل نيل رضاه وعطاياه، وإليكم شهادات من الله على ذلك عندنا أولاً الذين بدلوا كلام الله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَولاً غَيرَ الَّذِى قِيلَ لَهُم فَأَنزَلنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفسُقُونَ﴾ - ٥٩ البقرة.

وعندنا ثانياً الذين حرفوا كلام الله تعالى:

﴿أَفَتَطمَعُونَ أَن يُؤمِنُوا لَكُم وَقَد كَانَ فَرِيقٌ مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ - ٧٥ البقرة.

وعندنا ثالثاً الذين كذبوا وقد كان من بين صحابة الرسول مكذبين ومنافقين، وما الصحابي في تعريف السُنَّة إلا إنسان عاصر الرسول الكريم، ورآه وأعلن إسلامه في حياته وصاحبه في صلاة أو جهاد أو قتال ولو ليوم واحد.

﴿وَإِنَّا لَنَعلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ - ٤٩ الحاقة.

﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَموَٰلِهِم وَأَنفُسِهِم فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِى الحَرِّ قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّو كَانُوا يَفقَهُونَ﴾ - ٨١ التوبة.

وحتى الذين إفتروا الأفك على عائشة رضي الله تعالى عنها ظلماً كانوا من صحابة الرسول الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَآءُوا بِالإِفكِ عُصبَةٌ مِّنكُم...﴾ - ١١ النور.

وقال الله تعالى للذين خاضوا في ذلك الإثم وتقولوا من غير علم:

﴿وَلَو لا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ فِى الدُّنيَا وَالأَخِرَةِ لَمَسَّكُم فِى مَآ أَفَضتُم فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذ تَلَقَّونَهُ بِأَلسِنَتِكُم وَتَقُولُونَ بِأَفوَاهِكُم مَّا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَتَحسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ - ١٤ - ١٥ النور.

وماذا ينصح الله تعالى الصحابة بعد ذلك:

﴿وَلَولآ إِذ سَمِعتُمُوهُ قُلتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبحَانَكَ هَذا بُهتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ - ١٦ - ١٧ النور.

وعندنا رابعاً الذين افتروا على الله تعالى ورسله الكرام:

فالله سبحانه الذي يعلم الغيب كان يعلم ما سوف يتقوله أغلب المسلمين، من أتباع دين السلطان الذي أشيد بناؤه بعد وفاة الأربعة الراشدون، يقول لنا في الآيات التالية:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ - ١١٥ - ١١٦ النحل.

ألم يقل أتباع دين السلطان في الأحاديث التي افتروها:

إن أكل لحم الدجاج حلال، وأكل لحم الأرنب حلال، وأكل لحم الضب حلال، وكأن أحداً قد قال لهم قبلها أنها محرمة في الإسلام.

ألم يقولوا: «إن أكل لحم الحمار الأهلي حرام، وإن أكل لحم السباع حرام، وإن أكل لحم كل ذي ناب أو مخلب حرام، وكأنه أحداً قد بلغهم في دين الإسلام تحريمها، في وحي صحيح ولكنهم وجدوه في كتاب وحي السلطان!» وعندنا خامساً المنافقون الذين يتفوقون على من ذكرنا سابقا:

﴿وَمَآ أَصَابَكُم يَوْمَ التَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَو نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُم هُم لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُم لِلإِيمَانِ يَقُولُون بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ - ١٦٦ - ١٦٧ آل عمران.

وأخيراً أختم هذه الجولة في تعداد الفئات التي كانت بين صفوف الصحابة، من أنواع الكذبة والمنافقين، الذين كشف سبحانه لنا حقيقتهم بشكل عام دون أن يحدد أسماءً أو صفاةً بآية أخيرة تنطبق على رجال دين السلاطين، من الذين خططوا له وافتروا له وحياً جديداً، ظلماً لأنفسهم لأنهم سوف يدفعون ثمن ذلك خلوداً في نار الله الموقدة:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيْدِيهِم وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ - ٧٩ البقرة.

إن من السذاجة أن نظن أن الآيات التي قرأناها والتي نراها شواهد في كتاب الله الحي الذي يتجدد مع كل أمة ومع كل جيل في الأرض، بأنها كانت مقصورة على حالة واحدة مما نظنها من أسباب النزول، إن آيات الله دائمة تنطبق على كل شعوب الأرض وسُنَّةُ الله تعالى في خلقه واحدة، وما حصل مع اليهود حصل مثله في المسيحية، وحصل مثلها مع المسلمين فليس الكذب والنفاق والإفتراء وقف على أمة دون أخرى، إنها صفات موجودة في إبن أدم الخطاء، إلا من آمن واتقى منهم وخشي الرحمن عندها فقط يدخل إلى فريق عباد الرحمن، وهذا لا يتوفر إلا لمن كان حريصاً يستخدم ميزانه الذي هو عقله، ويعلم بأن الله يفتنه في كل عام ويجربه على الأقل مرةً أو مرتين بتسليط الشياطين عليه، أما من اطمأنت نفسه وسهى عقله ولحق الدنيا، فإن الشياطين تتلقفه كأفضل ساذج يقلِّبونه كيفما شاءوا ليجعلوا منه نموذجاً للمشركين من دون أن يعلم هو بحقيقة إشراكه، ويفاجأ يوم القيامة عندما يكتشف حقيقة نفسه أمام الله فيقول مقسماً ومؤكداً على غفلته:

﴿وَيَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشرَكُوا أَينَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُون * ثُمَّ لَم تَكُن فِتنَتُهُم إلآ أَن قَالُوا واللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشرِكِين * انظر كَيفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُون﴾ - ٢٢ - ٢٤ الأنعام.

وهكذا نكون قد علمنا من خلال آيات الله تعالى بأن الخير والشر، الحق والباطل، الإيمان والكفر، العدل والظلم، النور والظلام، دائما يتواجدان بإذن الله تعالى، ولم يأت وقت أو زمان في الأرض، أن كفةً قضت على الكفَّةُ الأخرى، إلا أن تكون إحداهما راجحة عن الأخرى، وهي تتبع لما في أنفس العباد من عقلية تتجه للعلم والحق والخير والعدل والنور، أو لعقلية تتبع الأهواء فتتجه للجهل والباطل والوهم والشر والظلم والظلام مما نحن عليه الآن.

وإن عدنا لنستعرض القصص القرآني في كتاب الله، لوجدنا أن الحق كان في بدايات تاريخ الإنسان على الأرض ضعيفاً جداً بين الناس، مع ما نعلم من بدايات الرسل بحيث لم يزد عدد من آمن مع نوح من قومه إلا من استطاع سبحانه انقاذهم مع رسوله في سفينة واحدة، ممن حملهم نوح من المؤمنين الصادقين وأغرق سبحانه البقية الباقية في الطوفان.

وطوفان نوح لم يحصل في العالم كله كما في التوراة بل كان الطوفان محصوراً لقوم نوح بالذات وفي منطقة صغيرة ومحددة من العالم.

لماذا كان الله دائماً ينقذ المؤمنين به من كل قوم أرسل لهم رسولاً؟

حتى يُخرِجَ من نسل المؤمنين قوماً آخر مروراً بعاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد، إلى إبراهيم عليه السلام ومروراً بذريته من أنبياء بني إسرائيل وإسماعيل، لينتهي بمحمد سلام الله عليهم جميعاً، لكن الذين آمنوا برسول الإسلام الذي كان هو خاتم النبيين، بلغوا من العدد والقوة بحيث استطاعوا أن يدافعوا عن أنفسهم وعقيدتهم أمام متجبّرين في الأرض وهما كسرى الفرس وقيصر الروم، وهزموهما في قتال كان دفاعاً عن النفس وعن العقيدة الصحيحة، «برهنت على ذلك في كتاب دين السلطان» وكان انتشار الإسلام نتيجة ذلك، ولم يكن ذلك القتال وسيلة لنشر دين الله في الأرض أبداً، لا في السابق ولا فى اللاحق، لأن سنة الله في الأمور لا تتغير، والله يعلم قبل عباده بأن الإيمان لا يمكن نشره بالقوة أبداً، بل بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وقد برهنت سابقاً أن القتال الذي تم على يد الرسول الكريم من أجل فرض السيطرة السياسية على جزيرة العرب، كانت حرباً خاصة بالرسول وحده أعلنها الله لرسوله، ولم يكلف فيها إلا نفس الرسول، وأن الله سبحانه قد أعلن قبل وفاة رسوله إنساء آيات القتال السابقة، وخاصةً ما جاء في سورة التوبة بذلك الخصوص بآيه جديدة وهي:

﴿لَآ إِكرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ - ٢٥٦ البقرة.

وكما أن الرسول في حجة الوداع خطب في الناس منهياً القتال وداعياً لنشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. ولكن بعد وفاة الرسول الكريم ومقتل أغلب الخلفاء الراشدين من بعده على أيدي الحاقدين، عادت السلطة إلى إبن زعيم المترفين، في حرب كان باغياً فيها، وكثر عدد الذين استحبوا الدنيا على الأخرة، خاصة وأن أغلب الصحابة الكرام قد توفتهم الملائكة، وعادت أنفسهم إلى ربهم راضية مرضية، فخرج من الناس من تبرع بالإفتراء على الله والرسول، بعد وفاته، كما خرج من المؤمنين من يفتري في حياة الرسول على عائشة رضي الله عنها، إفكاً وكذباً، ونحن نعلم أنهم جميعاً كانوا من الصحابة، والذين خدموا السلطان جعلوا الرسول الكريم شريكاً لله تماماً، كما فعل أهل المسيح عندما عقد علمائهم المجمع المسكوني في إفسس (اليونان) بأمر قيصر روما، من أجل إقرار أمر كان قد أصدره قيصر سلفاً وهو تأليه المسيح، حتى يصبح القيصر بعدها إلهاً في الأرض بإسم المسيح الغائب عن الأرض.

ثم نقول بعد هذا أن: إجماع علماء الأمة معصوم من الخطأ! ومتى كان برلمان السلطان معصوماً، إذا أجمع له على شيء يريده ويرغبه؟.

هذه سنة الله في الذين اتخذوا الشيطان إماماً لهم، وكما حصل ذلك في الأمم السابقة حصل معنا عندما انحرف الناس عن الإيمان بالله، إلى حب المال وشهوات الأرض وتفضيلها عن جنة الأخرة.

آيات الله واضحة بذاتها بنور الرحمن، ولا يمكن اللَّف والدوران معها في كتاب الله، فكان لابد للشيطان الذي أراد أن يعيد الناس إلى دين أبائهم الأقدمين، من إبعاد ذلك الكتاب مع إعادة سلطة سن القواعد والأسس للرسول الكريم اسماً وتحريفاً، ولسلطان المسلمين وخليفة الرسول فعلاً وعملاً وتطبيقاً، إن جميع علماء الدين الذين تبرعوا لخدمة السلطان كانوا يعلمون ماذا في كتاب الله، ويعلمون أن دور الرسول في الإسلام ينتهي بالتبليغ لوحي الله، وتنفيذ ما فيه بالحرف، وليس للرسول وكالة من الله ليقول ما يشاء بإسم الله افتراءاً.

﴿...إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ - ١٢ هود.

﴿...اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيهِم وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ﴾ - ٦ الشورى.

﴿...وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِءَايَةٍ إِلا بِإِذنِ اللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبطِلُون﴾ - ٧٨ غافر.

والرسول لا يستطيع أن يتقول على الله، ولايستطيع أن يبلغ إلا ما أنزل إليه من ربه والله سبحانه في كتابه لم يذكر لنا بوجود وحيين، أحدهما كتاب الله والثاني شفهي خاص بأبي هريرة وأصحابه، وإنما كان ذلك من إختلاق وافتراء علماء السلطان، الذين كانوا يعلمون أن وحي الله لن يخدمهم في شيء، فلا بد من إيجاد وحي آخر بدأ شفهياً يتناقله الرواة وظهر أول ما ظهر بشكل عفوي من بعد وفاة الرسول الكريم، فصار بعض الصحابة من بسطائهم يتذكرون ما سمعوه من الرسول الكريم أثناء حياته معهم «إنتبه لخطورة الأمر الصحابة الكبار أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، فنصحوا الناس بالإقلال من رواية الأحاديث والإكثار من ذكر الله وكتابه وآياته، حتى اضطر عمر في خلافته إلى سجن صحابيين لإكثارهما من رواية الأحاديث.» وكان الصحابة الكبار إذا سمعوا بصحابي يدعي برواية عن الرسول الكريم، طلبوا منه أن يأتي بشاهدين من الصحابة سمعا مثل ما سمع، وإلا جلدوه علناً أمام الناس، وكان

الناس في ذلك الوقت لا يروي الصحابي منهم حديثاً واحداً في السنة، ومنهم من لم يروي حديثاً واحداً في حياته كلها، لكن الأمور اختلفت تماماً عندما أصبح السلاطين يدفعون مقابل هذه الأحاديث من الأبيض والأصفر تشجيعاً لدينٍ كان السلطان يخطط له، حتى أصبحت الروايات بين يديه بالملايين يختار علماؤه وأحباره ما يشاءون، في ما يناسب كل فتوى وكل قضية يحب بحثها، فوسائل الإثبات وشهادات الرسول المفتراة على ما يشاء ويرغب من الأمور أصبحت متوفرة، فهو لم يعد في حرج أبداً إن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر علناً أمام حاشيته والناس أجمعين، وصار المشتغلون بالحديث والذين أصبح يطلق عليهم (علماء الحديث)، من أشهر وأغنى حاشية السلطان مثل: «عمر ابن مرزوق - أستاذ البخاري في علم الحديث وصل غناه وثراؤه حداً يفوق الوصف والخيال، من سخاء السلطان عليه من أجل خدماته العظيمه له، حتى بلغ عدد نسائه في قصوره ألف إمرأة(*).

فماذا في يد هذا الشيخ أن يقدمه لسلطانه من خدمات يمكن أن يستحق عليها هذا الكرم، مع الأخذ بعين الإعتبار أن من كان يروي حديثاً واحداً في زمن خليفة وحاكم آخر يخاف الله ويخشاه كان يجلده أو يسجنه.

فقد كان الخليفة العادل عمر ابن الخطاب مثلاً، بحسب ما يرويه أبو هريرة عنه أنه كان يخشى أن يضربه أو يجلده، ثم روى بعد وفاة هذا الخليفة العادل ليس حديثاً واحداً وإنما خمسة آلاف وثلاث مائة وأربعة وسبعون حديثاً، عن الرسول الكريم، علماً أنه قد أسلم قبل وفاة الرسول بثلاث سنوات فقط! وفي أحاديث أبي هريرة نجد التوراة كلها قد انتقلت إلى الإسلام.

وعندنا الخليفة الأول أبو بكر الصديق صاحب وصديق رسول الله الكريم الذي كان أول رجل آمن بالإسلام في تاريخ السيرة، فلا نجد له حديثاً واحداً منقولاً عنه مباشرة، إلا أن يكون صحابياً آخر قد روى عنه ولكننا نجد حديثا من احسن الحديث لله تعالى عنه في الآية الكريمة:

﴿إِلا تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ اللَّهُ إِذ أَخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثنَينِ إِذ هُمَا فِي الغَارِ إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحزَن إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّم تَرَوهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُليَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ - ٤٠ التوبة.

(*) البداية والنهاية تاريخ ابن كثير الدمشقي طبع دار الريان - مصر - الجزء العاشر ص٣٠٤.

إن المسلم اليوم إذا لم يتفكر من جديد في هذه الأمور بجدية، ليهتدي بنور الحقائق إلى الحق بقي على ما خلفه له آباءه من دين، وهو لا يعلم الحق من الباطل فيها، وكان خوف الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، بحسب ما ورد من الأحاديث المروية عنهم من قبل صحابيين آخرين، هو انشغال المسلمين بتلك الكتب والروايات عن كتاب الله وتفرق المسلمين شيعاً نتيجة الخلاف والإختلاف، علماً أننا لا نجد في كل ما لدينا من تراث الحديث على كثرته من ضعيفه إلى أحسنه، حديثاً واحداً يقول بأن الرسول الكريم كان يخشى ويخاف من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم، ولو فرضنا وجود مثل ذلك الحديث فعلاً وليس إفتراءً، لكان معناه أن الرسول الكريم لم يكن إيمانه بالله كاملاً، وهذا يناقض الحقيقة كما يناقض مابلغ الرسول الكريم من رسالة الله بأمانة مطلقة، حيث نجد أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز متعهداً حفظ كتابه لوحده من دون مساعدة أحد من خلقه:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ الحجر.

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ﴾ - ٦٧ المائدة.

هل يَعْجَبُ أحدكم ويظن أن ذلك سوف يعجز الله، ولن تكون من قدرته إذا شاء؟

هل تريدون إثباتاً من كتاب الله تعالى على أن أعجب من ذلك يحدث أمامنا من أمر الله دون أن يلتفت له كثيرون إلى اليوم:

استمعوا إلى الآية الكريمة التالية إذاً من دعاء إبراهيم عليه السلام لربه:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّى اسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيرِ ذِى زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِى إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ﴾ - ٣٧ إبراهيم.

هذه الآية ما زالت مستجابة من يوم إبراهيم عليه السلام وإلى اليوم، مع ازدياد في إقبال الناس على ذلك الوادي الذي لا زرع فيه بشكل متزايد مع الأيام، هل من يشك في صحة هذه المعجزة التي ما زالت تحصل في الأرض إلى اليوم.

ومن يبحث في كتاب الله يمكن أن يجد شواهد كثيرة مثلها.

ثم أن الله يصف كتابه ويقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِى ءَايَاتِنَا لا يَخفَونَ عَلَينَا أَفَمَن يُلقَى فِى النَّارِ خَيرٌ أَم مَّن يَأتِى

آمِناً يَومَ القِيَامَةِ اعمَلُوا مَا شِئتُم إِنَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكرِ لَمَّا جَآءَهُم وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ - ٤٠ - ٤٢ فصلت.

إن هذه الآيات تشرح بعض صفات كتاب الله، ومنها أنه «عزيز» ومعنى ذلك بحسب آيات القرآن الكريم التي تستخدم تلك الكلمة كثيراً، هي القوة والمنعة الذاتية التي لا تحتاج إلى قوة ومنعة خارجية، والكتاب لا يقبل التحريف وكل تحريف يفعله مسلم آثم قلبه يمكن كشفه والبرهان على تحريفه من خلال الكتاب نفسه إذا حصل لأن التحريف يجعل ما حرفه المحرف مناقضاً لسنة الله المنسجمة في كتاب الله كله وهذا يظهر لكل عين خبيرة في كتاب الله مثل تحريف (إتَّخَذَ اللَّهُ إبرَاهِيمَ خَلِيلاً) ١٢٥ النساء. لفتح باب الإشراك بالله.

ولو خشي الرسول الكريم من اختلاط القرآن بالحديث وكلاهما ضروري لكتب الأثنين معاً كل على حدة وكل بلون خاص ليبلغ ما أمره الله كاملاً في الوحيين وإلا لم يبلغ وحي الله وهذا نوع مما قصده سبحانه في الآية السابقة. هذا يناقض الدين والمنطق والعقل فكل من كان يقول به أو ما يزال يجب أن يعيد حساباته من جديد.

لذلك نجد أن هذه الحجة قد كانت من حجج جنود السلطان ومن علمائه وفقهائه، ليكون حجةً لتبرير ما فعلوه أمام الناس فقط، لعلمهم بعدم وجود حجة أمام الله إلا الإقرار بكذبهم وافترائهم.

ومن الأمور والآيات التي استخدموها أيضاً كحجةً كانت الآية الكريمة التالية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحيٌ يُوحَى﴾ - ٣ - ٤ النجم(*)

قائلين أن كل كلام الرسول بشكل كلي، مع أصحابه وفي الليل مع زوجاته، هو وحيٌ سماويٌ من الله وليس من الرسول، لأنه لا ينطق عن هواه الشخصي وإنما كل ما ينطق به هو وحي من السماء.

ناسين أن الرسول الكريم عندما وعد الأحبار بالإجابة على سؤال بعضهم فقال لهم غداً من دون أن يقول إن شاء الله فلم ينزل الوحي عليه لمدة ذكرت في السيرة بأنها أربعون يوماً عاتبه الله بعدها قائلاً له:

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَايءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَاذكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ

(*) وقد خصصت بحثاً كاملاً لهذه الآية في مقدمة هذا الكتاب.

﴿وَقُل عَسَى أَن يَهدِيَنِ رَبِّي لأَقرَبَ مِن هَذَا رَشَداً﴾ - ٢٣ - ٢٤ الكهف.

فإن كلام الرسول للأحبار ووعده لهم كان من هواه فعلاً لأن الوحي لم يُعلِم الرسول أنه سوف ينقطع عنه ولمدة طويلة وبما أن الوحي لم ينزل عليه فيها فكل كلامه في تلك الفترة هل كان وحياً من السماء؟ أم كان من كلام الرسول الخاص؟ وإن قول الله تعالى في سورة النجم السابقة (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحيٌ يُوحَى) نراها مرتبطة بالوحي الذي كله من كلام الله وكلنا نعلم أن كلام الله هو القرآن فقط.

لكن إبعاد كل تلك الحقائق عن المسلمين حقق لفقهاء السلطان أول نصر وخلق أول ثغرة في الإسلام أمامهم، بخلق حديث للرسول الكريم مع حديث الله المحفوظ بقدرة منه سبحانه ومشيئته مدعومة بإرادة حقيقية، ويجعل كتابه عزيزاً أي قوياً على كل من أراد وشاء من خلقه، تحريفه أو تغييره، وذلك بتسخير بعض خلقه من المؤمنين به وبكتابه، بكشف كل المحاولات والمؤامرات لتبديل كلام الله ومضمونه ومعناه وعدد أحرفه، التي جعل الله تعالى فيها برهاناً رياضياً لا يقبل الزيادة أو النقصان.

وعلماء السلطان يعلمون أنه لو لا وجود التناقض بين الوحيين لما كان من لزوم إلى التعب في الكذب والإفتراء والتحريف، لخلق وحي جديد مدَّعى ومفترى على الرسول الأمين وعلى رب العالمين، فكان لابد من استخدام عبارة النسخ التي وردت في كتاب الله مرة واحدة، ومن أجل حالة واحدة وهي قصة الغرانيق المعروفة في السيرة النبوية، فعمموها لتبرير تناقض مفترياتهم مع كتاب الله، بحجة أن الحديث الذي معهم قد نسخ القرآن وألغى مفعول آيات الله الدائمة، دون أن يتطرقوا لموضوع الإنساء الذي هو أهم من النسخ.

وهكذا تدرجوا في الإشراك بالله خطوة بعدها سُنَّةٌ بعدها هديٌ بعدها حديثٌ بعدها شفاعةٌ حتى تشكلت بين أيديهم كتباً أطلقوا عليها اسم «كتاب الحكمة»، مستشهدين بآيات من القرآن الكريم، زوراً وبهتاناً على أن مقصد الرحمن من كتاب الحكمة هي كل مفتريات السلاطين تحت اسم أحاديث نبوية شريفة.

﴿وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكَ وَرَحمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنهُم أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلآ أَنفُسَهُم وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَم تَكُن تَعلَمُ وَكَانَ فَضلُ اللَّهِ عَلَيكَ عَظِيماً﴾ - ١١٣ النساء.

وهم يعلمون أن الكتاب والحكمة يشكلان قسمي الكتاب: القسم المكي الذي هو الكتاب، والقسم المدني وهو يشكل كتاب الحكمة وهما معاً يشكلان القرآن الكريم، بدليل أن الله تعالى أرسل كتبه إلى جميع الرسل والأنبياء من ذرية إبراهيم، وهي تحتوي دائماً على قسمي الكتاب والحكمة، إلا لرسول واحد وهو موسى عليه السلام الذي أرسل إليه الكتاب والفرقان من دون الحكمة، وقد شرحت ذلك سابقاً وبينت أن الله تعالى من أجل ذلك يقول عن كتاب موسى الكتاب المستبين لكونه الكتاب الوحيد الذي يستبين بغيره من الكتب، بينما يقول سبحانه عن الكتب التي تحوي الكتاب والحكمة معاً، الكتاب المبين مثل القرآن مثلاً لأنه مبين بذاته ولا يحتاج إلى إبانة إضافية من كتب أخرى.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ - ٥٤ النساء.

وقال الله تعالى لعيسى ابن مريم الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل جميعاً:

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ - ١١٠ المائدة.

وبما أن الطاعة هي لب العبادة، وليس الدعاء كما يدعي فقهاء السلطان، فإننا أصبحنا نطيع نظرياً مصدرين رئيسيين الله تعالى والرسول الكريم، وفعلياً وعملياً نطيع مفتريات وتحريفات جنود السلاطين، المنسوبة بإسم الرسول افتراءً، وكما قال فقهاء السلطان نظرياً بالأمور التالية:

حديث الله تعالى وحديث الرسول الكريم

سنة الله تعالى وسنة الرسول الكريم

هدي الله تعالى وهدي محمد

شفاعة الله تعالى وشفاعة الرسول الكريم

أمر الله تعالى وأمر الرسول الكريم

وكلمة سنة في القرآن معناها القانون فما هو قانون محمد ﷺ في الإسلام؟

وبما أن مراجع الله تعالى هي الكتاب والحكمة «القرآن» ادعى فيما يقابلها أحبار السلطان كتب الحديث المختلفة، وعملياً هجروا القرآن، وفعلياً طبقوا مفتريات السلاطين، وكل فريق من المسلمين اليوم يغربل منها ما يشاء، وعلى حسب ما تهوى نفسه فيجعلها ديناً خاصاً له، وهكذا أصبح لكل مسلم وحده دين خاص به، لأنه لا

يمكن الإتفاق بين اثنين في العالم على ما ورد في الأحاديث من جنون فما يقبله زيدٌ منها لا يقبله عبيد على أي حال، فهمنا حتى الآن بإختصار خطة أحبار السلطان، في استغلال كل العبارات القرآنية الممكن تأويلها وتحريفها إلى مقاصد مطلوبة من ولي نعمتهم، وإن كانت غير مقصودة من رب العالمين الذي أرسل كتابه مبيناً وجعل آياته بينات، لا تحتاج إلى تأويل إضافي من أحد أبداً، فالقاعدة في الإسلام، وفي فهم كتابه أن التأويل ممنوع.

فالآيات الثلاث التي نجدها في سورة يوسف، ويستخدم فيها رب العالمين عبارة تأويل الأحاديث، المقصود بها تأويل الأحلام التي يراها الإنسان في المنام:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ...﴾ - ٦ يوسف.

﴿...مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ...﴾ - ٢١ يوسف.

﴿رَبِّ قَد ءَاتَيتَنِى مِنَ المُلكِ وَعَلَّمتَنِى مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ...﴾ - ١٠١ يوسف.

والقرآن لا يعلم تأويله وقت نزوله أحد إلا الله وحده لا شريك له، لأن المعلومات العلمية التي فيه لم تكن من معلومات عصر الرسول الكريم أبداً وإنما بدأت تتكشف في عصر العلم اليوم.

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ ءَايَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ...﴾ - ٧ آل عمران.

هذه هي آيات الحكمة التي تحوي الدين كله، من عبادات وأحكام وشرع ومعاملات وحكم ومواعظ وحلال وحرام، وإفعل ولا تفعل، وهي كلها مفهومة ولا تحتاج إلى تأويل إضافي من أحد.

﴿... وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَآءَ الفِتنَةِ وَابتِغَآءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ...﴾ - ٧ آل عمران.

هذه الآيات هي التي يسميها سبحانه أحياناً بالكتاب، وأحياناً بإطلاق اسم الكل على الجزء، فيسميها القرآن، وهي التي تحوي على غيب الله كله، مثل القصص التاريخي أو القصص الرمزي «أهل الكهف» وأنباء العلوم ومبادئها، وأخبار عن الجن والملائكة والعرش والكرسي وسدرة المنتهى والساعة ونفخ الصور والميزان، وغيرها من الأمور الغيبية التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، ولذلك لا يجوز تأويلها أبداً، إلا أن تكون الآية أصبحت مصدقة لحقيقة ما، فيكون الله تعالى قد أبان المعنى كما وعد عندما قال الله تعالى:

﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينِ﴾ - ٨٨ ص.

﴿...والرَّاسِخُونَ فِى العِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا...﴾ - ٧ آل عمران.

لنقرأ الآن الآية كاملة بعد الشرح السابق بعد إظهار علامة الوقف في فواصل الآية بوضع عبارة (وقف تام) بينها:

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ ءَايَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ (وقف تام) وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَآءَ الفِتنَةِ وَابتِغَآءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ (وقف تام) وَالرَاسِخُونَ فِى العِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا (وقف تام) وَمَا يَذَّكَّرُ إِلآ أُولُوا الألبَابِ﴾ - ٧ آل عمران

أما العلماء الحقيقيين بعد معرفتهم لحقائق الكون مباشرةً، والتي كانت تقع تحت ملاحظتهم المباشرة، ثم يعلمون ما في كتاب الله من تلك الحقائق التي لم يسمع بها إنس ولا جان من قبل، فيدركون عندها أن ما توصلوا إليه من حقائق علمية، كلها من عند الله تعالى فيؤمنون بالعلي القدير مباشرةً، وتأكيداً لهذا المعنى يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم (وقف تام) وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِراطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ٥٤ الحج.

ولا يتذكر هذه الأمور عند قراءة كتاب الله إلا الذين يحكمون عقولهم في كل ما يقرأونه.

﴿...وَمَا يَذَّكَّرُ إِلآ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ - ٧ آل عمران.

لكن أحبار السلطان الذين تعهدوا لولي أمرهم بقلب الدين وترسيخ فكرة الإشراك بالله في عقول المسلمين الأميين، خلقوا ازدواجيات نظرية لا وجود لها في دين الرحمن، مثل الأمور التي شرحتها سابقاً تحت اسم الله تعالى واسم الرسول الأمين، من حديثٍ وسنَّةٍ وهدي وأمر وشفاعة وعلم للغيب مع معجزات لم يذكرها الرحمن في كتابه أبداً. وإذا علم المسلم اليوم أن كل هذه الأمور إذا جعلناها تحت اسم رسول الله، نكون قد ناقضنا ما في كتاب الله تعالى بشكل علني، وجعلنا طاعة للرسول في هذه الأمور لوحده من دون الله تعالى، على اعتبار أن ما في الحديث والسنة والهدي والشفاعة والغيب من معلومات مصدرها الروايات المختلفة والمتناقضة هي للرسول الكريم وحده، نكون قد أوقفنا العمل بكتاب الله كله، وتوقفنا عن طاعة الله كلياً، لأن ما في

كتاب الله الذي قالوا عنه الوحي الكتابي لا يتماشى أبداً مع الوحي المفترى على الله والرسول، والدليل لا يمكن حصره في مقال لذلك خصصت له كتاب كبير لا يقل عدد صفحاته عن الألف إلا قليلاً، وهو كتاب البرهان «دين السلطان». .

وإذا علم المسلم بعد ذلك أن هذه المناقضة لم تكن عفوية، بل كانت مقصودة منهم جميعاً، حتى يعطوها في النهاية الشرعية والقدسية بإسم الله تعالى مع الرسول الكريم، افتراءً فبدلوا الحلال والحرام وأباحوا الظلم، وسمحوا بالزنى وسرقة أموال المسلمين، وشرب الخمر باسم الله والرسول الكريم علناً، حتى لا يلام سلطان بعد ذلك إذا زنى أو سرق أو ظلم أو عذب أو قتل أو شرب الخمر أو أكل أموال المسلمين ظلماً وأنكر حقوق الإنسان وحرياته متسلطاً متجبراً إن شاء رفعه وإن شاء قتله.

وكما أعادوا بنفس مفترياتهم العقلية القبلية التي كانت سائدة في الجاهلية من المفاخرة بالعائلة والعشيرة والقبيلة من جديد:

الحديث رقم ٢٢٧٦ من صحيح مسل عن واثلة ابن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.». ثم نقول بعد سماعنا لما سمعتم مثل الببغاوات من دون أن نفكر بما قلناه صدق رسول الله.

وأين الصدق فيما قلناه، والله تعالى يقول في إسلام الرحمن مناقضاً ذلك الكلام: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ - ١٨ لقمان.

وأفكار وأحكام لم يسمع بها المسلمون من قبل في القرآن الكريم، مثل إرضاع المرأة للرجل من ثديها حتى تحرم عليه فيستطيع بعدها أن ينفرد بها بلا حرج:

الحديث رقم ١٤٥٣ من صحيح الإمام مسلم منتهياً عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه فقال النبي ﷺ: «أرضعيه» فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «علمت أنه رجل كبير».

بمعنى أن المرأة إذا أرضعت الرجل أصبح بمثابة إبنها وإبنها بمثابة أحد محارمها

فتستطيع أن تتكشف أمامه كما تتكشف أمام أبيها وأخيها وإبنها وانتهى الحديث النبوي الشريف.

والله لو أن كل من في الأرض شهدوا بصحة هذا الحديث لما صدَّقت أن الرسول الكريم قد قال هذا الكلام، ولما صدَّقهم أصلاً من لا يزال في عقله ذرة واحدة ما زالت تعمل، وإذا دخلنا في هذا المجال فإنه سوف يطول الحديث لذلك أنصح القارئ الكريم أن يعود إلى كتابي الثاني «البرهان ـ دين السلطان» إذا أحب الإستزادة والإطلاع. وكما أدخلوا أفكاراً مستوردة من أديان أخرى، مثل عذاب القبر الذي ينكره القرآن، والمأخوذ أصلاً عن الفراعنة وديانتهم القديمة عن طريق بني اسرائيل، فهم قد أخذوه عنهم خلال وجودهم في أسر فرعون، وأدخلوا أيضاً للإسلام فكرة رجم الزاني والزانية من بني إسرائيل أيضاً، حتى الشفاعة هو ارتداد لما كان عليه أهل الجاهلية من اتخاذ الشفعاء من دون الله، وما فكرة المسيح المخلص أساساً إلا من أجل إدخال الشفاعة إلى الدين من أجل إدخال عقيدة الوهم إلى عقيدة العلم.

وهكذا لم يبق أحبار السلطان على أي فكرة إسلامية صحيحة إلا وحطموها حتى قضوا على روح الإسلام الذي ما يزال محفوظاً في كتاب الله، مهجوراً من جميع المسلمين ولا يتلونه إلا في مناسبات الموت وقبل الإفطار في رمضان، أو تتلى في القبور وكأن الأموات يستمعون إليه، أو كأنه أصبح كتاباً للموتى مثل الذي كان عند أهل مصر القدماء.

وحتى الذين يتلونه لا يتلونه حق تلاوته وإنما تنغماً وسماعاً لألحان التنغم والطرب لصوت المقرء الرخيم(*). فغضب الله سبحانه وتعالى على جميع المسلمين من جميع الطوائف والطرائق والمذاهب والسبل والجماعات والأحزاب، مبتدأ بالسنة ومنتهياً بأصغر طريقة تدَّعي الإسلام، نقم عليهم أشد نقمة لدخولهم في الشرك، ولتركهم القرآن، ودليل غضبه ونقمته علينا جميعاً أصبحت بادية لا تحتاج إلى دليل أو برهان، فالله سبحانه وتعالى يقول عن عذاب الدنيا إذا غضب على قوم:

﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ ـ ٦١ البقرة.

(*) كان لي صاحب مسيحي في المدرسة الإبتدائية قال لي: إن أبي يحب القرآن! قلت له كيف؟ قال: كلما سمع صوت عبد الباسط عبد الصمد صبَّ لنفسه كأساً من العرق وجلس يشرب الخمر طرباً للقرآن.

وأيات الله ليست وقفاً على فئة أو قوم في الأرض، بل تنطبق على كل الأقوام التي تنهج سنة الشياطين، تاركة سنة الرحمن يهوداً كانوا أو نصارى أو مسلمين.

﴿...وَضُرِبَت عَلَيهُمُ الذِّلَّةُ وَالمَسكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ - ٦١ البقرة.

فهل في الدنيا اليوم من ينطبق عليهم نص هذه الأية أكثر منا نحن المسلمين؟

لقد أصبح أرضنا أشتاتاً، وصارت أوطاننا مستباحة، حتى القدس أخذها الله من أيدينا لآننا لم نعد نستحقها بعد أن فقدنا المؤمنين الحقيقيين بالله وبرسوله، من أمثال صلاح الدين الأيوبي وبيبرس وقطز.

ونحن ما نزال على شواطئ نقمة الله، وإن لم نستفق من غفلتنا الطويلة، فإنه لن يغير ما بأنفسنا وما نحن عليه حتى نغير نحن ما بأنفسنا من إيمان بالأوهام، سبيلنا هو مما نظن ونحب من الأحاديث والروايات لنكون من الجهلة والمتخلفين ونبدل ذلك كله إلى إيمان بالله، الله حق: فنؤمن بالحقائق، الله سبيله العلم: فنؤمن بالعلم ونجعله سبيلنا لنصبح من العلماء والمكتشفين والمخترعين والمتحضرين، وإلا فإن ما في الأفق لا يبشر بخير أبداً وما هو آت أشد وأعظم مما نحن عليه الآن.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الدينّ هل يورَّث؟

إذا حاولنا أن ننظر للموضوع من الزاوية القومية أو العرقية أو الوطنية لوجدنا الدين خاصة دين الآباء هو من أهم موروثات الإنسان بحيث يصبح الإبن على دين أبيه كائناً من كان.

ولكننا إذا تركنا هذه النظرة الإنسانية الخاطئة للموضوع وحاولنا تتبع نظرة الحق سبحانه وتعالى كيف نجد مشيئة الله تعالى. هل فرضها سبحانه علينا كما فرض علينا آبائنا وأعراقنا وأوطاننا؟ أم هل تركها لحريتنا نختار من الأديان ما نشاء بلا تعيين؟.

أم هل نهانا عن دين الآباء وأمرنا أن نختار منها بالعقل ما نجد عليه برهاناً من رب العالمين ولا يرفضه عقل سليم وكما لايتناقض مع العقل والمنطق الذي هو ميزان الله في الإنسان الذي وضع فيه منذ النفخة الأولى في آدم المصطفى من بين أقرانه وأمثاله من البشر ليصبح آدم المختار أباً للإنسان الأول خليفة الله في الأرض؟

لا يمكن أن نجد أي جواب ليس فيه ظن أو احتمال إلا في مكان واحد هو كتاب الله الذي لا ريب فيه، الكتاب المحفوظ بقدرته تعالى من تحريف الإنس والجن ومن تبديل المضلين، كتاب القرآن المبين وحده والمفصل أحسن تفصيلاً، هو أحسن الحديث وأحسن الهدي في العالمين.

فماذا يقول سبحانه في ذلك الكتاب عن الذين يرثون الدين ويتبعون الآباء من غير فكر ولا تدقيق؟

نجد في أول وصية من الله تعالى أن لا نتبع آبائنا أو إخواننا في الدين والعقيدة قبل أن نتأكد ونميز ما هو الكفر وما هو الإيمان عن طريق العقل والبرهان.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا ءَابَآءَكُم وَإِخوَانَكُم أَولِيَآءَ إِنِ استَحَبُّوا الكُفرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٢٣ التوبة.

والعقل والمنطق يجب أن لا يغيبا أبداً عن الإنسان في عقيدته وفي توحيده لله ودين الحق يجب أن يكون دين توحيد للعالمين.

فمن أقرب إلى منطق التوحيد عقلاً؟

الإنسان الذي يقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)؟

أم الإنسان الذي يقول: (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)؟

الإنسان الذي يقول: (لا كتاب في الإسلام ولا دستور ولا سنة ولا هدي ولا حديث إلا كتاب الله وحده الذي هو القرآن الكريم).

والذي جعله سبحانه بداية مكوناً من كتابين وهما الكتاب والحكمة حتى يبرهن للمتشككين أنه لا قديم مع الله وكل ما عداه مخلوق حتى القرآن المكون من زوجين زوج في السماء وفي لوحه المحفوظ بلغة الله وزوج في الأرض أنزله بلغة قوم الرسول الكريم حتى يفهمه الناس.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - ٤٩ الذاريات.

أم الإنسان الذي يقول: (الكتاب هو القرآن والحكمة هي كتب الحديث المختلف عليها في كل العالم الإسلامي والتي يصنفها علماء التصنيف لعلم الحديث أنها تتألف من ثمانون نوعاً من أنواع الإختلاف).

والله تعالى يقول عن الكتب الضالة معطياً ميزتها عن كتاب الله حتى نتبين الصادق منها عن الكاذب المفترى).

﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

ومن أقرب إلى منطق التوحيد منطقاً وعقلاً؟

الإنسان الذي يقول: (لا شفاعة إلا لله) مستنداً إلى آيات القرآن الكريم التي تقول:

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ - ٢٥٤ البقرة.

﴿...لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ - ٥١ الأنعام.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ - ٤٤ الزمر.

أم الإنسان الذي يقول: (بأن محمد رسول الله ﷺ هو شفيع الناس يوم القيامة وهو مخرجهم من النار).

وكأنه إله فوق الله وأرحم بعباد الرحمن من أرحم الراحمين!!!.

فمن أقرب للتوحيد عقلاً ومنطقاً؟

الإنسان الذي يقول: (لا.. لم يتخذ الله تعالى أحداً خليلاً ولا خليلة!!! وكما لم

يتخذ حبيباً أو حبيبة!!!

ولا صاحباً أو صاحبةً!!

لا ولداً أو بنتاً!!

لا كليماً أو كليمةً!!!

أم الإنسان الذي يقول: (اتخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً!!!

اتخذ اللهُ محمداً حبيباً!!!

اتخذ اللهُ مريمَ صاحبة!!!

اتخذ اللهُ الملائكة بناتاً!!!

اتخذ اللهُ موسى كليماً!!!

اتخذ اللهُ عيسى بن مريم ولداً وإبناً!!!

اتخذ اللهُ عزرا ولداً وإبناً!!!).

وبما أن أغلب الناس يرثون الدين عن الآباء يقولون مثل ما قالوا خطأً ويشركون كما أشرك آبائهم يقول الله تعالى مبيناً ذلك للعالمين:

﴿إِنَّهُم أَلفَوا ءَابَآءَهُم ضَآلِّينَ * فَهُم عَلَى ءَاثَارِهِم يُهرَعُونَ﴾ ـ ٦٩ ـ ٧٠ الصافات.

هكذا يتبعون آباءهم من دون تبصر ولا تفكر ولا هداية:

ولذلك فالآبائيون صفتهم الدائمة عدم استخدام العقل والمنطق في الدين أو في إختياره.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَآ أَلفَينَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَو كَانَ ءَابَآؤُهُم لا يَعقِلُونَ شَيئاً وَلا يَهتَدُونَ﴾ ـ ١٧٠ البقرة.

وإذا قلنا للمسلمين لقد أنزل الله تعالى على محمد ﷺ كتاباً واحداً من جزئين وهما القرآن المكي والقرآن المدني وكل قرآن منهما له صفات خاصة قالوا بل أنزل الله تعالى كتابين هما القرآن وأحاديث خاصة فيها سنن خاصة وهداية خاصة بالرسول لم تذكر في كتاب الله تماماً كما سمعوا آباءهم يقولون:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسبُنَا مَا وَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَو كَانَ ءَابَآؤُهُم لا يَعلَمُونَ شَيئاً وَلا يَهتَدُونَ﴾ ـ ١٠٤ المائدة.

والله تعالى ينبهنا أن علينا أنفسنا ولا يهمنا آباؤنا ولا أجدادنا لأننا سوف نحاسب لوحدنا من دون أبائنا:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيكُم أَنفُسَكُم لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهتَدَيتُم إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ - ١٠٥ المائدة.

وكل الذين سبقونا كانوا جميعاً من الآبائيين المتتبعين لخطى الآباء من غير تفكر ولا تبصر.

ولكن ألا يشير ذلك كله إلى خطأ كبير؟

ففي سورة الشعراء ماذا نجد في قصة إبراهيم مع قومه؟

﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ إِبرَاهِيمَ * إِذ قَالَ لأَبِيهِ وَقَومِهِ مَا تَعبُدُونَ * قَالُوا نَعبُدُ أَصنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَل يَسمَعُونَكُم إِذ تَدعُونَ * أَو يَنفَعُونَكُم أَو يَضُرُّونَ * قَالُوا بَل وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفعَلُونَ﴾ - ٦٩ - ٧٤ الشعراء.

وفي قوم الرسول محمد ﷺ الذين جعلوا الملائكة شفعاء مع الله يوم القيامة ماذا قال لهم ربهم في القرآن المبين؟

﴿وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُم عِبَادُ الرَّحمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلقَهُم سَتُكتَبُ شَهَادَتُهُم وَيُسئَلُونَ * وَقَالُوا لَو شَآءَ الرَّحمَنُ مَا عَبَدنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِن عِلمٍ إِن هُم إِلا يَخرُصُونَ * أَم ءَاتَينَاهُم كِتَاباً مِّن قَبلِهِ فَهُم بِهِ مُستَمسِكُونَ * بَل قَالُوا إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِي قَريَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقتَدُونَ * قَالَ أَوَلَو جِئتُكُم بِأَهدَى مِمَّا وَجَدتُّم عَلَيهِ ءَابَآءَكُم قَالُوا إِنَّا بِمَآ أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ١٩ - ٢٤ الزخرف.

وهكذا نجد كل الآبائيين يتبعون الأقدمين بدون بصيرة وبدون علم أو تأكد هل الآباء كانوا يتبعون الله تعالى أم كانوا يتبعون الطاغوت والشيطان؟:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - ٢١ لقمان.

وهكذا كلما تعمقنا في القرآن أكثر كلما اكتشفنا أكثر بأن الله تعالى ينهانا عن وراثة الدين وينهانا عن تتبع الآباء بلا تبصر وبلا عقل بل يطلب منا سبحانه دائماً أن لا نتبع أحداً إلا بعد أن نتبين بعقولنا وحدها إلى أين نسير لأن الله تعالى خلقنا أفراداً

وسوف يبعثنا أفراداً كما خلقنا أول مرة وحسابنا سوف يكون لوحدنا مع الله وحده بدون وجود أحد من الآباء أو الأبناء أو حتى من نتخيلهم من الشفعاء والرسل والمخلصين.

﴿مَّا خَلقُكُم وَلا بَعثُكُم إِلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٢٨ لقمان.

﴿وَكُلُّهُم ءَاتِيهِ يَومَ القِيَامَةِ فَرداً﴾ - ٩٥ مريم.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأتِينَا فَرداً﴾ - ٨٠ مريم.

﴿وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ - ٩٤ الأنعام.

ولكن الآبائيون من المسلمين الذين هجروا القرآن الكريم بعد أن عشقوا ما سمعوه من آباءهم من أحاديث ظنية قالوا بعدها لا علم في القرآن فإذا ذكرت لهم القرآن وحده ووحدت كتاب الله أمامهم وَلّوا على أدبارهم نفوراً منك ومن ما تذكرهم به من القرآن الكريم.

﴿...وَإِذَا ذَكَرتَ رَبَّكَ فِي القُرءَانِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلَى أَدبَارِهِم نُفُوراً﴾ - ٤٦ الإسراء.

والله تعالى يذكرهم انه لم يترك شاردة ولا واردة تهم المسلمين إلا وأورده لهم في كتابه ولكنهم قد نفروا من القرآن وعشقوا غيره مما ورثوه عن الآباء:

﴿وَلَقَد صَرَّفنَا فِي هَذَا القُرءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُم إِلا نُفُوراً﴾ - ٤١ الإسراء.

﴿وَلَقَد صَرَّفنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً﴾ - ٨٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

رسالة إلى كل المسلمين في الأرض: يدَّعون الإسلام ويتبرأون من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي كرم الإنسان ورفعه فوق خلقه وأسجد له ملائكته تنبيهاً لأهمية دوره وشأنه في الأرض ونفخ فيه من ذاته ما يميزه عن غيره من خلقه بالعقل والفكر المتحرر بالمنطق والإرادة والمشيئة الذاتية بالإختيار الحر للكفر أو الإيمان، متوعداً الكافر بالجحيم وواعداً المؤمن بالنعيم وصلى الله على رسولنا الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان، مهتدين بما آتى به الرسول الكريم من وحي صحيح وآيات معجزات لاوهم فيها ولاظن ولا تضليل إلى يوم الدين.

أما بعد:

كثير من شباب المسلمين من الآبائيين الذين يظنون أن ما سمعوه وورثوه عن الآباء صحيح صحة لا يتطرق إليها الشك لكون الأقدمين من المقدسين ومن الصالحين وإجماعهم كان معصوماً عن الخطأ وكلامهم صحيح من غير الحاجة للتدقيق فيه للتأكد من خلوه من التناقض مع آيات الله في القرآن الكريم أو من تناقض بعضه ببعض، دون أن يعلموا أن وراء كل الإجماعات للناس في الأرض يقف الطواغيت.

مثل إجماع علماء المسيحية في الإجتماع المسكوني الذي حصل في مدينة إفسس بأمر من الطاغوت (قيصر الروم) والخروج له بقرار تأليه المسيح عليه السلام فظن بسطاء المسيحية أن ذلك التأليه كان تعبيراً عن حب قيصر ورجال دينه للمسيح وغاب عنهم أن سبب التأليه كان من أجل تأليه قيصر من بعد تأليه المسيح مباشرةً.

وما حصل في المسيحية حصل مثله تماماً في الإسلام حتى إذا دخلوا جحر ضب تبعوه فدخلوه مثلهم. إن أول آية بل أول كلمة نطقها الرسول الكريم من وحي ربه الصحيح كانت (إقرأ...

﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ - ١ العلق.

ومع الأسف أقول:

إن المسلمين اليوم بحسب أحدث الإحصائيات العالمية هم أقل أمم الأرض تطبيقاً

لأمر الله تعالى هذا الذي أمروا به من رب العالمين!!!

هذا أول دليل حقيقي على نسيان المسلمين لأوامر الله الحقيقية بعد أن هجروا كتاب الله إلى كتب السلاطين (الطاغوت) والأعجب من ذلك أن أغلب الشباب المتحمس للإسلام لا يعرف ماذا في كتاب الله وكما أنه لا يعرف ماذا في كتب الحديث التي عشقوها قبل أن يعلموا ماذا تقول، كلهم يجهل تمام الجهل وجود تناقض حقيقي بين القرآن الكريم وما نسميه اليوم بالسنة نحن المسلمين.

القرآن الكريم بحسب عرف المسلمين اليوم قد تحول إلى كتاب للموتى ليتلى في مناسبات الموت وانتهى دوره الفعال كمصدر للتشريع ولفهم الدين، والحاكم بعد افتراء آيات الطاغوت باسم الله ورسوله في كل الديانات جعل لها الدور الفعال والقوة القاضية حتى نسخت أحكام كتب الله جميعاً بما فيها القرآن وآياته، هكذا شاء الطواغيت الذين كانوا سلاطين مستبدين لاراد لسلطتهم أحد وليس فوق كلمتهم كلمة حتى ولو كانت كلمة من السماء مباشرةً.

ورب العزة الذي خلق الناس أعلم بهم وبما سيفعلوه فقال على لسان رسوله مبيناً حال الأمة فيما بعد رسوله وصحابته وكيف أنهم سوف يهجرون كتاب الله:

﴿...يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾ - ٣٠ الفرقان.

كل فقهاء الطواغيت عند المسلمين يدعون انهم يطبقون أحكام الكتاب ثم أحكام الحديث ثم الإجماع ثم القياس ثم الإجتهاد قائلين أنها مصادر للشرع الإسلامي، وقولهم أنهم يطبقون أحكام القرآن لا أصل له ولا صحة ولا حقيقة يمكن أن يجدها الباحث عند البحث عن قواعد التطبيق، المتتبع لكتب الفقه الإسلامي والباحث فيها مع مقارنة ما قدموه مع كتاب الله تعالى من كتب يكتشف زيف كلامهم مع تجاهلهم لكتاب الله تجاهلاً كاملاً والسبب واضح وأساسي لأن كتاب الله وجد أصلاً من أجل تأمين المصلحة العامة للأمة مع منع الظلم عن الناس وكل السلاطين الذين توارثوا حكم المسلمين من بعد الخلفاء الراشدين، كانوا من نموذج واحد جميعهم ظلمة مستبدون يتمرغون في الدنيا ظهراً لبطن.

ويبحثون عن مصالح الأقلية متناسين مصالح الفقراء المقهورين من غالبية الأمة.

والدارس لتاريخ الأمة في كل العهود السلطانية الإسلامية يكتشف أن الأمن والسلام لم يتقررا في كل البلاد الإسلامية في أغلب تلك العهود بدليل أن الناس لم يستطيعوا

الذهاب إلى الحج في سنين كثيرة وحتى في السنين التي حج الناس فيها كانوا دائماً يتعرضون لقطاع الطرق بشكل وحشي حيث كان المهاجمون لا يكتفون بالسلب بل كانوا يقتلون الآلاف من الحجاج. وهذا تعبير عن الظلم الشديد الذي كان قائماً من الأغنياء على الفقراء.

ولو كان الشرع القرآني هو المطبق على المسلمين وكان عدل عمر موجوداً في قلوب السلاطين لما آلت الأمور إلى مثل ذلك من سوء الأحوال والنفوس.

هذا وقد بينت تناقض كتب السلاطين من كتب الحديث المدعاة مع كتاب الله في كتابين كبيرين هما (إنذار من السماء، ودين السلطان)

مبيناً أن علماء السلاطين من رجال الدين من أمثال عمر بن مرزوق استاذ البخاري في علم الحديث حيث يستشهد إبن كثير الدمشقي في تاريخه الشهير (البداية والنهاية أنه كان في قصوره وحدها ألف جارية خاصة به في الوقت الذي كان فيه شباب المسلمين من الذين لا يجدون حتى ولو خاتماً من حديد ليتزوجوا به سعى رجال الدين لإدخالهم إلى فرق الزهد والتصوف وحرموا من الزواج ومن متع الدنيا بحجة أن الله تعالى قد أعطى الدنيا للكافرين وخصص الآخرة لعباده المخلصين المحبوبين.

لماذا لا يتسائل الشباب المسلم إذاً ويسأل المشايخ والسلاطين:

لماذا استثناهم الله تعالى من هذه القاعدة وجعل لكم جنة الدنيا في الأرض وتدعون أنكم من أولياء الله الصالحين وأنتم ورثة الأنبياء ولكم المقامات العليا أيضاً في جنات الرضوان والنعيم في الآخرة.

ولما كان شيخ واحد لم يكن قادراً على إرضاء ألف امرأة شابة مع إشباع غرائزهن انتشر الزنى نتيجة للحرمان الجنسي وليس نتيجة انحراف بين الجنسين فاخترع العلماء شرعاً جديداً لم ينزل الله بهٰ آية ولا سلطاناً في الإسلام وهي سنة رجم الزاني والزانية حتى الموت.

صحيح أنهم استوردوا ذلك من كتاب التوراة ولكن التوراة قد أعلمنا ربنا أنها حرفت من قبل رجال دين سلطان اليهود قبلنا لأنهم فعلوا قبلنا مثل ما فعل سلاطيننا وفهقاؤنا، فافتروا على الله تعالى ذلك الحكم الذي لم يكن من الرحمن.

هل تصدقون أن رجال الدين قد ادعوا أن الله تعالى قد أنزل آية الرجم في القرآن ونسي الرسول أن يكتبها لكتبة الوحي مدعين أن الآية كانت:

(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) ونسبوها لصحابي جليل لا يمكن تكذيبه من المسلمين هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه افتراءً.

أورده البخاري في كتابه حتى ننتبه لهذا التشويه في دين الإسلام بأيدي من نسميهم علماء المسلمين ظلماً لأنفسنا. والمسلمون عامة يجهلون أهمية الأحاديث المنسوبة ظلماً لله وللرسول حتى في الصحاح من أجل تطويع عامة المسلمين للسلاطين عن طريق تطويع آيات الله تعالى بالتأويل لمقاصدهم وهم يفسرون آيات الله كما يشاؤون مثل التفسير الذي أورده البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن الرسول الكريم في تفسير الآية الكريمة:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ...﴾ - ١١٠ آل عمران.

فقال في الحديث رقم ٤٥٥٧ من صحيح البخاي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«خير الناس تأتون في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا الإسلام»

والله تعالى يقول لرسوله لكريم في القرآن الكريم:

﴿لآ إِكرَاهَ فِى الدِّينِ...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

﴿...أَفَأَنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾ - ٩٩ يونس.

فيستشهد فقهاء السلاطين بآيات لا تقصد ما يقصدون حتى يبرهنوا لأحاديث مطلوبة من الطاغوت ومن أجل فتواه هوىً من عند أنفسهم ويحرفون وهم يعلمون حتى أصبح في عهود السلاطين كتاب البخاري أهم من كتاب الله وصار يتلى ويختم في الأزهر بدلاً من تلاوة القرآن وأصبح السلاطين يطلبون من الناس تلاوة صحيح البخاري بدلاً من تلاوة القرآن الكريم الذي أصبح لمسه محرماً على المسلمين ولا يجوز تفسيره إلا من قبل شيخ متخصص وكأن الله تعالى جعل المشايخ وسطاء بينه وبين عباده في دين الإسلام كما نجد في باقي أديان السلاطين من ديانات أهل الكتاب الأخرى.

وسبب تفضيل السلاطين لكتب الحديث على كتاب الله معلوم بالنسبة لكل من يبحث عن الحقيقة ليكتشف أن تلك الكتب تمنح للسلاطين حقوقاً حرمها الله في كتابه على الرسل جميعاً وعلى من يتبعهم من أولي الأمر، مثل: حق التحريم والتحليل بغض النظر عن نصوص الله الثابتة والمانعة لمثل هذا الحق.

حق استلام مفاتيح خزائن الأرض للتصرف بأموال الرعية من غير موافقة إجماع ممثلي الأمة كما يأمر به القرآن. حق وراثة الحكم من دون العودة إلى مبدأ الشورى التي هي سنة الله في حكم المسلمين في القرآن.

حق إلغاء ونسخ النصوص الثابتة في القرآن وتبديلها بنصوص ظنية من تأليف رجال دينه.

حق سن قوانين جديدة بالإستناد إلى المفتريات من الأحاديث التي تناقض صريح آيات الله.

حق تأويل وتفسير نصوص القرآن كما يشاء فقهاء السلطان مع منع ذلك في صريح القرآن.

حق تجاوز حدود الله المعلنة في كتابه المبين.

كما أن علماء دين الطاغوت قد خرجوا بقواعد ثابتة للدين المفروض على الناس على أنه دين الإسلام مثل: اجماع رجال الدين (المتكلمون باسم السطان) معصوم من الخطأ.

علماء الدين (المرخص لهم من قبل السلاطين) هم ورثة الأنبياء.

وأغلبية المسلمين يتجاهلون أن هؤلاء العلماء في حقيقتهم موظفين كانوا يأتمرون بأوامر سلطانهم (الطاغوت) ويتحركون بأمره وبحسب مقتضيات مصالحة الخاصة وأهوائه.

هكذا أصبحت الصورة واضحة وظهر أن السلطان هو الذي تحول إلى معبود بدلاً عن الله تعالى في هذه الأنظمة من الحكم الإستبدادي باسم الله والدين إن لم نكفر به سوف نبقى من المشركين الذين عبدوا الطاغوت باسم الله كما حصل مع آبائنا الأولين.

حيث أصبح السلطان هو الراعي الأعظم وبيده صولجان الرعاة وتحت قبضته قطيع عظيم لا رأي له ولا قرار مسلوب الإرادة مقهور دائماً ومظلوم أبداً ومنوم قطعاً بفعل زبانيته من علماء الدين الذين ادعوا وراثة الرسل وصار إجماعهم على أمر ما معصوماً عن الخطأ لا يمكن رده ولا مناقشته عقلاً بينما نجد عكسه تماماً في كتابنا المبين:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٓئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٢٥٧ البقرة.

وهكذا تحول الدين من دين التوحيد لله ولكتابه إلى دين الشرك (للطاغوت) من

دون أن يعلم الرعية حقيقة ما حصل لهم من إنقلاب شامل من دين كان لمصلحة المسلم العادي ومصلحة أغلبية الأمة إلى دين يدعو لمصلحة الطاغوت مع مصلحة الأقلية الغنية المتنفذة من الأمة (الملأ).

أيها المسلمون إن أهم بند من بنود الإيمان بالله هو التوحيد: (لا إله إلا الله ولا شريك له) وهذا التوحيد يتدرج في كل شيء يأتي بعده في الأشياء التي يجمعها الله تعالى بيده مثل: الخلق للأحياء والإيجاد من عدم.

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرضِ جَمِيعاً...﴾ - ٢٩ البقرة.

وإذا صدف أن رأى الإنسان المسيح يخلق من الطين طيراً:

﴿...وَإِذ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بِإِذنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيراً بِإِذنِى وَتُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ بِإِذنِى وَإِذ تُخرِجُ المَوتَى بِإِذنِى...﴾ - ١١٠ المائدة.

كل ذلك حصل بإذن الله وقدرته وحدها وليس للرسول المسيح أي فضل إلا كونه الوسيط الذي أظهر سبحانه على يديه تلك المعجزات ليبرهن للناس أنه رسول من رب العالمين وهو لا يدجل ولا يكذب على الناس فيما يبلغ أو يقول من آيات ربه وكذلك كل الرسل لم يكن لهم أي فضل أو دور في موضوع المعجزات التي كلها لله وحده لا شريك له فيها أبداً. إن شاء أذن بها وإن شاء منعها عن بعض رسله.

ننتقل بعدها إلى التوحيد في التحليل والتحريم.

أولاً لو كان للرسول الكريم الحق في التحريم والتحليل وحده لما قال له سبحانه أبداً:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَّآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ - ١ التحريم.

ولكن إذا رأينا ضمن آيات الله تعالى آية تقول:

﴿...وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ...﴾ - ٢٩ التوبة.

هنا يجب أن نعلم أن الناس لم يسمعوا الله مباشرة وكما لم يشاهد أحدهم جبريل ولم يتنزل على أحد منهم الوحي من ربه بأوامر واجبة التنفيذ ولكن يجب أن نلاحظ بشكل مباشر أن طاعة الرسول الكريم كانت طاعة موصولة مع طاعة الله تعالى لما سمعه الصحابة من الوحي على لسانه مبيّناً لكتبة الوحي بالحرف كيف يكتبون ما أنزل الله تعالى بحسب أمر جبريل له: بكة تكتب بالباء وليس بالميم وهذا هو ما قصده سبحانه عندما قال:

﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيهِم...﴾ ـ ٤٤ النحل.

والدليل اختيار الله تعالى لرسوله الأمين أمياً لا يقرأ ولا يكتب حتى لا ينسب له من الوحي شيء لكن المشككين والمبطلين لحقائق الرحمن قلبوا تلك الحقائق من مصلحة الأمة إلى مصلحة الطاغوت وأنصاره من ملأه:

﴿وَمَا كُنتَ تَتلُوا مِن قَبلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارتَابَ المُبطِلُونَ﴾ ـ ٤٨ العنكبوت.

والنص الكامل للقرآن هو نص الرسالة الذي يجب أن يصل للناس كاملاً وهو النص الذي حفظه الرحمن من التلاعب والتحريف والإفتراء بدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ـ ٩ الحجر.

وهذا النص المقدس هو الأساس في الإسلام وهو المطلوب تبليغه للناس وهو ما أمر به الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عندما ودع صحابة الرسول بعد أن كلفهم بمهمة التبليغ والتعليم فقال لهم:

روى الشعبي عن قرظة بن كعب قال: (أتدرون لم مشيت معكم) قالوا: نعم أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا فقال: (إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالحديث فتفشلوهم جودوا القرآن وامضوا وأنا شريككم) فلما قدم قرظة قالوا حدثنا، قال: (نهانا عمر بن الخطاب.)

ولذلك نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع الناس من أن يتخذوا كتاباً مع كتاب الله وينكر إنكاراً شديداً على من نسخ كتاب (سفر دانيال) من التوراة ويضربه ويقول له: (إنطلق فامحه.. ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحداً فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنّك عقوبة)(*).

والذي نقل كتاب دانيال كله مع التوراة إلى كتب المسلمين تحت اسم أحاديث نبوية شريفة هو الصحابي الجليل أبو هريرة الذي كان يقول للناس وهو يحدثهم عن كتاب التوراة: (لو كنت أحدث زمن عمر مثل ما أحدثكم الآن لضربني بالدرة)(**).

وكان كعب الأحبار يشير إلى هذا القول بقوله: (ما رأيت أحداً أعلم بالتوراة من أبي هريرة وهو لم يقرأ التوراة)

(*) انظر تقييد العلم ص ٤٢ والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٦.

(**) جامع بيان العلم الجزء الثاني الصفحة ١٢٠.

واليوم ما الذي يدرينا إذا كان أبو هريرة نفسه بريئاً وكان كعب الأحبار هو اليهودي الذي نسب لأبي هريرة كل تلك الأحاديث؟

ليس معنا أي دليل أبداً ولكن معنا دليل لا يمكن تكذيبه وهو أن كل تلك الأحاديث من التوراة وليست من القرآن الكريم وبما أن الله تعالى لم يعلّم رسوله محمداً التوراة والإنجيل فهي إذاً ليست من أقوال الرسول الأمين.

وهي كلها محرفة بدليل تناقضها مع كتاب الله الصحيح الذي بلّغ كاملاً وحفظ سالماً بدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ـ ٩ الحجر.

وحتى لا يظن أحد من الناس أن لرسول الله الأمين دور أو وكالة من الله أو له أمر خاص به يختلف عن أمر الله الأساسي في كتابه أو له الحق في التقول على الله بما يشاء نجد سبحانه ينبهنا أشد التنبيه على هذه الأمور قائلاً:

﴿...وَمَا جَعلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظاً وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيل﴾ ـ ١٠٧ الأنعام.

وقال الله تعالى مبيناً أن رسوله لن يستطيع أن يتقول بما يشاء بدون شهادة القرآن الذي هو كتاب الله الوحيد:

﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤمِنُونَ * وَلا بِقَولِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّن أَحَدٍ عَنهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذكِرَةٌ لِّلمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ ـ ٤٠ ـ ٤٩ الحاقة.

لأنه كان من بين الناس من يقول عن القرآن الكريم أنه افتراء من الرسول على الله بعدها بين سبحانه لرسوله أنه ليس له من الأمر شيء والأمر كله لله وحده:

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ...﴾ ـ ١٢٨ آل عمران.

﴿...بَل لِّلَّهِ الأَمرُ جَمِيعاً...﴾ الرعد ٣١.

﴿...لِلَّهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ...﴾ ـ ٤ الروم.

بعدها ننتقل لموضوع التوحيد في الهداية وأنها من رب العالمين وحده:

وحتى لا يظن المسلم أن لله هدايتين واحدة خاصة به وأخرى لرسوله باسم هدي محمد يبين سبحانه للعالمين حتى لا يقع المسلم في مثل هذا الإشراك أبداً أن الذي أرسل

لهدى والهداية هو الله تعالى في القرآن:

﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ - ٢٨ الفتح.

وحتى يتأكد المسلم أن الرسول الكريم ليس له أي هدي ولا أي دور في موضوع لهداية بل الدور كله لله وما على الرسول إلا البلاغ يقول تعالى:

﴿...لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

وكما أكد سبحانه على رسوله قائلاً:

﴿إِنَّكَ لا تَهدِى مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ﴾ - ٥٦ القصص.

والرسول قبل الهداية وقبل الرسالة كان لا يبلغ شيئاً.

فمن أحق يالإتباع؟.

الله الذي هدى رسوله بالقرآن أم الرسول الأمي الذي كان لا يعلم شيئاً؟

﴿قُل هَل مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهدِى لِلحَقِّ أَفَمَن يَهدِى إِلَى لحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّى إِلآ أَن يُهدَى فَمَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ - ٣٥ يونس.

وحتى يبين سبحانه لرسوله الأمين أن الهداية وأسلوب التبشير لا تكون بالإكراه أبداً ب بالحرية فمن شاء آمن ومن شاء كفر يقول تعالى:

﴿...أَفَأَنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾ - ٩٩ يونس.

وقاعدة الأسلام الأساسية في التبشير لدين الله تعالى هي:

﴿لآ إِكرَاهَ فِى الدِّينِ...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

وبعدها ننتقل إلى موضوع التوحيد في الشفاعة:

فالله تعالى يعلم أن يوم القيامة لا يسمح سبحانه لأحد من عباده أو من رسله أو من لقه بأن يشفع لأحد بدليل قوله تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقنَاكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِىَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ - ٢٥٤ البقرة.

ولكن الناس الذين تصوروا الله سلطاناً كبيراً جالساً على عرشه في السماء ظناً مما لموه من كتب أهل الكتاب بان الله تعالى خلق آدم على صورته كما نقله أبو هريرة حديث نبوي شريف أسند للرسول الأمين كذباً وهو من سفر التكوين من التوراة حيث د في كتاب التوراة المحرفة الأصل كما يلي:

(فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح رقم ١ الفقرة ٢٧. فتصور الناس أنه لابد لله من الشفاعة لأنهم نسوا أن الله أرحم من عباده وأرحم من الرسل وأرحم من الملائكة أجمعين فهو أرحم الراحمين لذلك لا يجوز تصور شفاعة بعد شفاعته أبداً وإن تصورناه فهو إشراك بالله صريح إذ يقول سبحانه:

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ - ٤٤ الزمر.

لكن المسلمين بعد ان هجروا كتاب الله إلى غيره من الكتب وعشقوا كتب الأحاديث لم يعودوا يعلمون ماذا في كتاب الله من آيات صريحة لا تقبل التأويل ولا التحوير فالصراط المستقيم في القرآن بحسب الآيات ١٥٠ - ١٥٣ من سورة الأنعام هي الوصايا العشرة ولكنه بحسب الإنجيل وكما ورد في معراج يوحنا اللاهوتي نجده متطابقاً مع أحاديث أبي هريرة ومن تصورات المسلمين له أنه جسر أدق من الشعرة منصوب على وادي جهنم يمر فوقه الناس في يوم القيامة في وصف طويل لا وجود له في كتاب الله أبداً.

وكما لا نجد في كتاب القرآن الكريم حساب علني للناس وهم ينتظرون دورهم يوم القيامة خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب والعرق يصل إلى رقابهم وهم يقفون على أرتال بحسب تصورات أهل الكتاب لله تعالى الذي يشبه سلطانهم فيشبهون إمكانيات الله تعالى في الحساب بحسب إمكانيات سلطانهم ويقيسونها عليه بل إن الله تعالى فوق تصور البشر وقد قال سبحانه أنه سوف يحاسب الناس يوم القيامة أفراداً ليس معهم من البشر أحدٌ أبداً ولا حتى رسوله بل يسخر سبحانه من الذين ادعوا لأنفسهم الشفعاء بدليل آيات القرآن الكريم:

﴿وَكُلُّهُم ءَاتِيهِ يَومَ القِيَامَةِ فَرداً﴾ - ٩٥ مريم.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأتِينَا فَرداً﴾ - ٨٠ مريم.

﴿وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكتُم مَّا خَوَّلنَاكُم وَرَآءَ ظُهُورِكُم وَمَا نَرَى مَعَكُم شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمتُم أَنَّهُم فِيكُم شُرَكَاؤُا لَقَد تَّقَطَّعَ بَينَكُم وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ - ٩٤ الأنعام.

إن الله تعالى يسخر في الآيه الأخيرة من الذين قالوا مثلاً أن المسيح سوف يخلصنا أو أن محمد سوف يشفع لنا ويخلصنا يوم القيامة والله تعالى كما نعلم من القرآن

الكريم يحاسب الناس جميعاً دفعة واحدة وكأنهم نفس واحدة لأن من قدرة الله تعالى أن يكون مع كل الناس على انفراد مع كل نفس منهم في محاكمة واحدة وسريعة فيقول سبحانه ساخراً منهم: كيف تخلف شركائكم عن موعدكم فلم يحضروا لإنقاذكم بشفاعتهم ما الذي عطلهم عن الحضور لإنقاذكم؟

أما الآيات التالية مثل:

﴿...وَلا يَشفَعُونَ إلا لِمَنِ ارتَضَى...﴾ - ٢٨ الأنبياء.

﴿...مَن ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِندَهُ إِلا بِإِذنِهِ...﴾ - ٢٥٥ البقرة.

كما قلنا بما أن الله تعالى سوف يحشر الناس إليه أفراداً ويحاسبهم على إنفراد وكأنهم نفس واحدة حساباً سريعاً ليس مثل تصور المسلمين أبداً.

﴿مَّا خَلقُكُم وَلا بَعثُكُم إِلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - ٢٨ لقمان.

﴿لِيَجزِىَ اللَّهُ كُلَّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ - ٥١ ابراهيم.

وفي تلك الوقفة مع الله تعالى يوم الحساب حيث يكون العبد كما تبين لنا من كتاب الله تعالى وحده مع ربه الكريم ولا يشهد إلا أعضاؤه وقرينه بالحق:

إن كانت حسناته متقاربة مع سيئاته ربما سمح الله تعالى له أن يتكلم طالباً الشفاعة لنفسه مباشرة من ربه بلا وسيط بينهما تماماً كما كان دعاؤه في الأرض لله بشكل مباشر واستجابة الله تعالى أيضاً تكون بشكل مباشر وبدون الحاجة للوسطاء والشفعاء.

فيقول العبد مثلاً في رجاءه ودعائه لله في ذلك الموقف الشديد:

اللهم أنت ربي وأنت أرحم الراحمين وأنت أكرم الأكرمين أسألك العفو من واسع رحمتك وشمول شفاعتك في هذا اليوم العظيم أن تدخلني بكرمك وشفاعتك إلى دار رحمتك ياأرحم الراحمين.

أما إذا كانت سيئاته أكثر من حسناته وأعماله الصالحة في الدنيا فإن الله تعالى لن يسمح له حتى بالإذن والكلام لطلب الشفاعة لنفسه بدليل قوله سبحانه:

﴿يَومَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحمَنُ...﴾ - ١٠٩ طه.

أو قوله تعالى:

﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَن أَذِنَ لَهُ...﴾ - ٢٣ سبأ.

بينما كل الذين كنا ندعوهم من الأنبياء والصالحين ونرجوا شفاعتهم لنا عند الله

تعالى ليس لهم من الأمر شيء يبينها سبحانه في الآية التي قبلها من نفس السورة مبيناً أن الله تعالى لا يشارك أحداً من خلقه لافي شفاعة ولا في غيرها:

﴿قُل ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَملِكُونَ مِثقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرضِ وَمَالَهُم فِيهِمَا مِن شِركٍ وَمَا لَهُ مِنهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ - ٢٢ سبأ.

هذه هي حقائق القرآن وهي كما ترون تناقض كل أحاديث الشفاعة في كتب الحديث التي افتراها مشايخ السلطان. والله كما رأيتم فوق تصور البشر عنده القدرة في الدنيا أن يكون مع الناس جميعاً في نفس اللحظة وكذلك في الآخرة سوف يكون مع الناس من جميع خلقه معاً في نفس اللحظة ويحاسبهم في حساب سريع جداً ليس فيه طوابير وانتظار من أحد أبداً كما نتصوره في الأحاديث المنقولة عن كتب أهل الكتاب.

أغلب رجال الدين يؤولون كلام الله كما يشاء به سلطانهم بحسب ما ألف له الأولون من ملايين الأحاديث المفتراة على الله ورسوله ظلماً. لذلك انصح نفسي وشباب المسلمين أن يعلموا أن ربنا قد منع التأويل لكلامه الموجود في القرآن المكي الذي فيه غيب الله حتى يظهر العلم حقيقة معاني الرحمن كما حصل لآيات علمية كثيرة جداً لم يكن الرسول الأمين ولا صحابته يعلمون عنها شيئاً عرفت اليوم بعد تقدم العلوم.

ومنع التأويل لآيات الله واضح في القرآن في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ ءَايَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (وقف) فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَآءَ الفِتنَةِ وَابتِغَآءَ تَأوِيلِهِ (وقف) وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ (وقف) وَالراسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا (وقف) وَمَا يَذَّكَّرُ إِلآ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ - ٧ آل عمران.

وجدنا في الآية الكريمة جملة كاملة تقول لوحدها:

﴿وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾

هذه الجملة القرآنية تنفي التأويل في الإسلام كله لمن شاء منا أن يطيع الله ورسوله أما من شاء أن يطيع الطاغوت والشيطان أيضاً له ما يشاء لأن الله تعالى خيَّر الإنسان أصلاً بين الكفر والإيمان بلا إكراه وحسابه على الله وليس على الناس.

لكن أغلب المسلمين المعتمدين على كتب الطواغيت من كتب الحديث المختلفة سمحوا لأنفسهم بالتأويل المتحرر من أي قاعدة وفسروا آيات الله تعالى كما يشاء

الطاغوت (السلطان) ضاربين بمشيئة الرحمن في كتابه المبين عرض الحائط ومشركين أنفسهم بادعاء الراسخون في العلم لأنفسهم في العلم لأنفسهم ومبدلين كلام الله الذي في القرآن بجعل الجملتين المنفصلتين بوقف لازم بين الآيتين إلى جملة واحدة في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلا اللَّهُ وَالراسِخُونَ فِي العِلمِ﴾

علماً أن هذا تحريف لكتاب الله صريح ما يزال علماء المسلمين يخرقونه علناً بقبولهم لكل التأويلات الموجودة في كتب الأقدمين وكلها مناقضة لصريح آيات الله المبين.

فصار في عرف المسلمين خاصة أهل السنة منهم الحق في التأويل غير المشروط مع أن الله تعالى يحرم ذلك عليهم علناً كما رأيتم بأنفسكم في أمر صريح لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل.

فالقرآن هو الحكم وهو الحاكم وآياته كلها شهادات من الله وهو الكتاب الذي بإمكانه أن يوحد كلمة المسلمين من جديد إذا عادوا ليتمسكوا به من غير إشراك كتب أخرى معه كما أمرهم الرسول الأمين في حجة الوداع.

حيث نجد في تاريخ السيرة ما تزال خطبة الرسول سليمة من التحريف بعكس أحاديث كتب المشايخ الذين خدموا السلاطين كلها على الإطلاق أضافت كلمة (وسنتي) التي لا نجدها لا في خطبة الرسول في تاريخ السيرة ولا نجدها أيضاً في كتاب الله تعالى الذي لا ينسب فيه سنةً لرسوله بل السنة دائماً لله وحده لا شريك له.

وإذا لم نعد للتوحيد بالله على هذه الصورة فنحن مع الأسف نشرك بالله ودليل اشراكنا ينطق به حالنا وإلا فبماذا نفسر غضب الله الشديد على المسلمين وحدهم، إذا كانوا يسيرون على هدي الله وصراطه المستقيم مع مشايخهم المكرمين؟

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٢٥٧ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف أبعد المسلمون القرآن حتى هجروه ونسوا ماذا قال الله تعالى لهم فيه؟

إن الإنسان إذا كان جاهلاً يميل إلى ما تميل إليه نفسه ويستحسن عادةً ما يستحسنه هواه، وبما أن شيطان الإنس يعلم عنه هذه الحقيقة يأتيه عادةً من حيث يحب ويهوى، لكن المسلم الواعي الذي يريد معرفة رأي الله تعالى يبحث عنه في كتابه المبين حيث يجيب عباده المتقين الذين يحبون معرفة رأيه في كل شيء مثل الخمر والميسر واليانصيب والقرعة مثلاً حتى يسيروا على هديه ونوره:

﴿...إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَنِ فَاجتَنِبُوهُ...﴾ - ٩٠ المائدة.

كما يقول الله تعالى مبيناً أن الخمر والميسر (القمار) من وسائل الشيطان الذي يكون غالباً من الإنس صاحباً أو صديقاً أو رفيقاً فيسعى لمرض في نفسه أو لمصلحة ما لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس إذ يعلمنا الله تعالى ويقول:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَنُ أَن يُوقِعَ بَينَكُم العَدَوَةَ وَالبَغضَآءَ فِى الخَمرِ وَالمَيسِرِ...﴾ - ٩١ المائدة.

بينما إذا التفتنا إلى الحديث ماذا نجد؟

- إذا سأل مسلم شيخه وكان شيطاناً أو جاهلاً يروج للشيطان دون أن يعلم فيروج للحديث مبعداً آيات الله البينات سوف يروي له حديثاً مثل:

الحديث ١٩٨٨ من صحيح الإمام مسلم رضي الله تعالى عنه عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تنتبذوا الزهوا والرطب جميعاً ولا تنتبذوا الزبيب والتمر معاً. انتبذوا كل واحد على حدة»!!.

الله تعالى يقول له اجتنبوا الخمر وكل المخمرات في كتابه المبين.

والشيخ يروي له حديثاً يدعي أن الرسول الكريم قد قال مخالفاً الرسالة التي بشر بها للعالمين أنه لا بأس من صناعة النبيذ وشربه شريطة أن لا يخلط نوعين معاً في آن واحد وجعل من الرسول الكريم خبيراً في شرب الخمور وصناعتها افتراءً على الله والرسول معاً.

والمسلم الذي تميل نفسه للشرب يميل إلى قول الشيخ هذا ولا يميل لقول كتاب الله تعالى فيقرب الشيخ وأحاديثه ويبعد الله تعالى وقرآنه الكريم خلف ظهره حتى لايراه فيتذكر الحق.

والمسلم الذي تهوى نفسه إلى النجاسة وتميل إلى مباشرة الزوج من الدبر لواطاً أو أثناء نجاسة المرأة أثناء حيضها أو في وقت الصيام يسأل كتاب الله فيأتيه جواب صارم وقاطع لا مجال للف والدوران معه أبداً في كلمات وجمل مفيدة ومختصرة.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُل هُوَ أَذىً﴾ - ٢٢٢ البقرة.

هذه جملة خبرية (معلوماتية)

﴿فَاعتَزِلُوا النِّسَآءَ فِى المَحِيضِ﴾ - ٢٢٢ البقرة.

أمر واضح بأن المنع فقط من الإقتراب الجنسي فهي وحدها الممنوعة على جميع أشكالها حتى تطهر المرأة:

﴿فَإِذَا تَطَهَّرنَ فَأتُوهُنَّ مِن حَيثُ أَمَرَكُمُ اللَّه﴾ - ٢٢٢ البقرة.

هذا أيضاً أمر واضح وإذا راقبنا كيف تطبق مخلوقات الله الأخرى الغير مخيرة والتي تطبق أوامر الله مباشرة لوجدنا أن كل الحيوانات تتصل مع إناثها من الفرج وهذا هو أمر الله الواجب تنفيذه من الجميع.

ثم يختم سبحانه محببا التوبة للإنسان الذي وقع في الخطأ مظهراً له طريقها ليطهر نفسه بعد أن دنسها من غير علم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ - ٢٢٢ سورة البقرة.

أما عن الصيام يقول سبحانه مبيناً أن الأعمال الجنسية محرمة وممنوعة في فترة الصيام وسمح بها سبحانه فقط في ليلة الصيام خلال الفترة المسموح بها للإنسان الأكل والشرب من بعد المغرب إلى ما قبل صلاة الفجر.

﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُم﴾ - ١٨٧ البقرة.

الآن بعد أن فهمنا أحكام الله وشرعه ونوره المبين الذي لا يحتاج شرحاً إضافياً من أحد في العالمين.

ننتقل بعدها إلى مصدر الدين الأساسي عند المسلمين ماذا نجد فيه خاصة للإنسان الذي تهوى نفسه كل الممنوعات إنه يذهب إلى الشيخ الشيطان الذي يعرف سلفاً عن

أي شيء يبحث هذا الذي أتاه ليستفتيه فيفتيه تماماً بما يرضيه ويدله على الطريق بإسلوبه قائلاً:

الحديث رقم ٤٥٢٧ من صحيح الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه يقول عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في تفسير الآية:

﴿وَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ - ٢٢٣ البقرة(*).

قال: «يأتيها في الدُّبُر»

أي أن الرسول الكريم عاد وبدل كلام الله السابق ونسخ آية القرآن وأنزل على نفسه وحياً جديداً لا برهان عليه إلا الرواية والظن وتقول علناً لكل المسلمين بإمكانهم أن يأتوا نسائهم لواطة من أدبارهن وهذا هو معنى قول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿وَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ - ٢٢٣ البقرة.

فيعجب المسلم ذو الهوى بفتوى الشيخ وبالحديث النبوي الشريف الذي أتى تماماً وبالتفصيل متماشياً مع أهوائه فيكافئ شيخه على هذه الدرة النفسية ويعود إلى زوجته ليلوط بها كيف يشاء وأنى يشاء.

وإذا أتاه مسلم آخر ذو هوى يسأل عن المحيض فإنه يعلم سلفاً عن ماذا يبحث هذا المستفتي الجديد فلا يفتح له كتاب الله بل يفتح له كتب الحديث حتى يعطيه مما يبحث عنه ومما تهوى نفسه فيقول له:

الحديث رقم ٣٠٢ من صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت أحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها» ويعجب المسلم المؤمن بالله تعالى وبكتابه القرآن الكريم من مثل هذه الأحاديث الكثيرة الموجودة في الصحاح وعلى لسان كل أمهات المؤمنين شاهدات بأن الرسول الكريم كان لا يفرق بين الطهارة والنجاسة وكان يفعل دائماً عكس ما يأمر به كتاب الله تعالى الذي بلغه نفس الرسول الأمين سالماً كاملاً بالحرف وعليه برهان رياضي يقبل به العقل البشري شاهداً على صدقه وأمانته المطلقة في التبليغ ثم نعود لنفاجأ في الكتاب الثاني المنسوب أيضاً لله تعالى وللرسول لنكتشف أنه قد عاد فنسخ كل ما بلغه ونسف كل أحكام الدين والشرع التي

(*) وهي الآية التي تأتي بعد آية الحيض السابقة مباشرة في القرآن الكريم.

أنزلها الله تعالى في الوحي الأول لتكون هدىً ورحمة ونوراً يهدي به الناس ليخرجهم به من الظلمات إلى النور ويخرجهم به من منطقة غضب الله ولعنته إلى منطقة رضى الله ونعمته.

فنجد في الدين والوحي الثاني بأن الله تعالى ورسوله يدعون الناس ليعودوا من منطقة نور الله إلى الظلمات ومن منطقة رضى الله ونعمته إلى منطقة غضب الله ونقمته مغيرين ما في عقول الناس من حقائق علمية إلى أوهام ظنية:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَم يَكُ مُغَيِّراً نِّعمَةً أَنعَمَهَا عَلَى قَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم﴾ - ٥٣ الأنفال.

وهكذا إذا أمسكنا بكتاب الله تعالى الذي هو القرآن الكريم وبدأنا به آية آية وفقرة فقرة نجد أن الله تعالى يقول في كتابه ووحيه الأول القرآن شيئاً ويسن فيه سنةً وحكماً وشرعاً ثم إذا عدنا وفتحنا كتب الحديث التي يدَّعيها علماء المسلمين جميعاً بأنها أيضاً من الله تعالى ووحي ثان له قد بلغها لرسوله الكريم عن طريق جبريل نفاجأ ونصعق بأنها جميعاً وحتى الصحاح منها تقول شيئاً آخر وتسن سنة أخرى وحكماً وشرعاً مناقضاً لحكم وسنة وشرع القرآن مناقضة صريحة ولكن إذا عدنا إلى الشيطان الذي أفتى بالحديث ووضعنا أمامه آية الله الصريحة فإنه لن يصعق ولن يهتز فيه شعرة بل سوف يلف ويدور حتى يقنعنا بإسلوب التلاعب بالألفاظ إن كنا من السذج:

إن هذا مثل هذا ولكن التبس الأمر علينا فقط لعدم معرفتنا بسر تأويل آيات القرآن الكريم. وإلا فلماذا لقبه الله بالشيطان إن كان ساذجاً ولا يعرف أساليب الشيطنة كلها ويعرف ويحرف ويرتدي ثياب الملائكة ويظهر بمظاهر الإيمان والتقوى ليخدع الناس وهو يقول على الله وعلى الرسول كذباً ليرضى به أصحاب الأهواء من جهال المسلمين للحصول على بعض المال من متاع الدنيا معتبراً عمله هذا وسيلة من وسائل الرزق في الدنيا.

وهم يظنون أنفسهم أذكياء لأنهم يعيشون حياة مرفهة من دون شقاء أو تعب على حساب الأغبياء والسذج وهم كثيرون دائماً في كل الشعوب والأمم وفي كل الأديان بلا استثناء لأي دين وعلى مختلف طوائفها وشيعها وطرقها. فإن كان الشيخ من الفئة التي تعلم الحقيقة وتعرف حكم الله في القرآن الكريم ثم تحرف عن هوىً ومصلحة للدنيا ومتاعها فهو يقع في الفئة التي قصدها الرحمن في الآية التالية حيث قال سبحانه:

﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَو كَذَّبَ بِئَايَتِهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّلِمُونَ﴾ - ٢١ الأنعام.

وإن كان الشيخ يقول ذلك من غير علم وعن جهل لما في كتاب الله وقع عندها في الفئة التي قال الله تعالى عنهم:

﴿...فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ ـ ١٤٤ الأنعام.

لذلك عودت القارئ الكريم في كتبي وقلت له فيها عن المشايخ المروجين للحديث الذي يعمل عند المسلمين عمل الغشاوة على عيونهم وعقولهم وأسماعهم فلا يستطيعون بعد الإيمان بها أن يروا ولا أن يسمعوا ولا أن يفقهوا معاني آيات الله في القرآن الكريم. وأطلقت عليهم إسم جنود السلطان كما سميت الدين الذي يطبقه المسلمون اليوم بدين السلطان لأنه يناقض دين الرحمن.

أليس الله تعالى هو الذي يقول في كتابه متنبئاً بما سيقوله المسلمون بعد أن يحرفهم الشياطين بالأحاديث التي يدعون لها النبوة والشرف مخترعين وحياً ثانياً لله بعد وحي القرآن: إذ يقول الله تعالى مستنكراً أي حديث بعد حديث الله في القرآن:

﴿...فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ـ ٦ الجاثية.

ومبيناً أن أحسن الحديث وأصحه هو كتاب الله وفيه هدي الله الصحيح:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ـ ٢٣ الزمر.

ولكن ماذا يمكن أن تقول للسلاطين الذين تعبوا في تأسيس دين السلطان ودفعوا وما يزالون يدفعون في سبيل الإبقاء عليه لأنه يخدم مصالحهم وأهوائهم وشهواتهم تماماً كما يريدون.

وماذا يمكن أن تقول لمشايخ السلطان الذين يعلمون أن كل نعم الدنيا بحسب رأيهم لا تتنزل عليهم من السلاطين إلا لإقامتهم لهذا الدين فهل تريدون منهم أن يحملوا المعاول لهدمه بعد أن تعبوا في بنائه مئات طويلة من السنين؟ هم وآباءهم الأولين.

إن الوحيد الذي عليه أن يحمل المعول لتخريبه هو المسلم الذكي الذي يعمل عقله ويكتشف أن السلاطين وجنودهم هم سبب كل البلاء المقيم في بلاد المسلمين، عليه أن يهدم أولاً برج دين السلطان ليعود بعدها وبسهولة ويسر وسلام من غير عنف ولا سيف

ولا متفجرات إلى كتاب الله وحده وإلى دين الرحمن تاركاً كل الكتب الصفراء المريضة في المكاتب دون أن يلتفت إليها ولا يسأل عنها حتى يضطر أصحابها إلى حرقها في ليالي الشتاء الباردة بدلاً عن الحطب لأنها سوف تصبح أرخص وسيلة للتدفئة في ذلك الحين.

﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِن عِندِ اللَّهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾ ـ ٧٩ البقرة.

من دقة الله تعالى في التعبير القرآني وحتى يبقي كتابه حياً متجدداً مع الزمن قال تعالى:

﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِن عِندِ اللَّهِ...﴾ ـ ٧٩ البقرة.

وجعله فعلاً مضارعاً لعلمه تعالى أن الإفتراء سوف يحصل في المستقبل بعد وفاة رسوله الكريم وسوف يأتي وقت يتوقف فيه الإفتراء ويكتفي المسلمون بما افترى الأباء منهم فيقول الله تعالى:

﴿فَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم﴾ ـ ٧٩ البقرة.

لأن ذلك قد أصبح ماضياً بالنسبة لنا، ثم يعود سبحانه ليؤكد ويقول:

﴿وَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾ ـ ٧٩ البقرة.

بالفعل المضارع (الحاضر) حتى يشمل كل المستفيدين من المشايخ في الفتاوي التي يقدموها للناس مستندين إلى افتراءات القدماء فيستفيدون بعض المكاسب من ذلك العمل إلى اليوم.

وإذا عدنا إلى التاريخ إلى ما قاله وزير المستعمرات البريطاني جلادستون بعد أن أصبح رئيساً وزراء بريطانيا: حيث وقف في مجلس الوزراء رافعاً القرآن الكريم بيده مخاطباً زملاءه بقوله «مادام هذا الكتاب بين أيدي المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به وبتطبيقه فلن تقوم لنا قائمة فلابد من العمل على إنتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم»(*).

هل رفع جلادستون كتاب البخاري أو كتاب مسلم أو الترمزي أم رفع كتاب الله

(*) عن كتاب السلطان عبد الحميد والخلافة العثمانية ـ موفق بني المرجة نشر الكويت ١٩٨٤ الصفحة ١٩٩.

تعالى القرآن الكريم، أعدائنا يعلمون أين السر في قوة ديننا ونحن أصبحنا كالأغنام نظن أن السر فيما يقوله الطاغوت وكهنته.

أليست هذه مأساة محزنة ومبكية إلى حد الموت؟

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَبِّهِ فَوَيلٌ لِّلقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ - ٢٢ الزمر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

بيان معنى الآية الكريمة:
﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم...﴾ - ٤٤ النحل.

هل هذه الآية تعطي توكيلاً من الله تعالى لرسوله بأن يشرح للناس آيات القرآن الكريم ويفسرها لهم كما يشاء؟ لنبدأ البحث بقول الله تعالى في الآية التالية:

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَى بِالبَيِّنَاتِ قَالَ قَد جِئتُكُم بِالحِكمَةِ ولأُبَيِّنَ لَكُم بَعضَ الَّذِي تَختَلِفُونَ فِيهِ...﴾ - ٦٣ الزخرف.

فما هي الحكمة التي أتى بها عيسى عليه السلام؟

هل هي أحاديث الرسول محمد ص أم هي شيء آخر يتحدث عنه رب العالمين؟

لنستمع للآية التي بعدها لعلها تفسر معنى الحكمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ﴾ - ٦٤ الزخرف.

إن الله تعالى يقول على لسان عيسى مشيراً إلى ما أتى به من ربه ويسميه الصراط المستقيم.

فهل في كتاب الله ما يشير إلى ما هو الصراط المستقيم؟

لقد ذكرت سابقاً بأن الصراط المستقيم هي الوصايا العشرة بدليل الآيات التالية:

﴿قُل تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَلِدَينِ إِحسَاناً وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُون * وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلا وُسعَهَا وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى وَبِعَهدِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون﴾ - ١٥١ - ١٥٢ الأنعام.

وبعد أن يذكر الله تعالى كما رأيتم في نهاية هذه الآيات بأن هذه الأمور هي وصايا الله للإنسان يقول سبحانه بعدها مباشرة:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون﴾ - ١٥٣ الأنعام.

وهل في كتاب الله أيضاً مكان آخر يشير إليه الله تعالى إلى هذه الوصايا العشر فيقول الله تعالى عنها بأنها الحكمة؟ لنفتح القرآن الكريم ونتلوا منه سورة الإسراء فماذا نجد في أياتها؟

نجد نفس الوصايا العشرة بأسلوب رحماني آخر حيث يقول سبحانه فيها:

﴿لا تَجعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتَقعُدَ مَذمُوماً مَّخذُولاً * وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعبُدُوا إِلآ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً إِمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَولاً كَرِيماً * وَاخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً * رَّبُّكُم أَعلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُم إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّبِينَ غَفُوراً * وَءَاتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّر تَبذِيراً * إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ ابتِغَآءَ رَحمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرجُوهَا فَقُل لَّهُم قَولاً مَّيسُوراً * وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَّحسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتلَهُم كَانَ خِطئاً كَبِيراً * وَلا تَقرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً * وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنَا لِوَلِيِّهِ سُلطَاناً فَلا يُسرِف فِّى القَتلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً * وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسئُولاً * وَأَوفُوا الكَيلَ إِذَا كِلتُم وَزِنُوا بِالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً * وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسئُولاً * وَلا تَمشِ فِى الأَرضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكرُوهاً﴾ - ٢٢ - ٣٨ للإسراء.

فماذا قال سبحانه بعد هذه الآيات الست عشرة من سورة الإسراء وهو يشرح ويفصل الوصايا العشرة التي عددها علينا في الآيات الثلاث من سورة الأنعام ١٥١-١٥٣ التي رأيناها قبل قليل.

يقول تعالى في الآية ٣٩ مشيراً إلى ما ورد من آيات بأنهم آيات الحكمة:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوحَى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ وَلا تَجعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتُلقَى فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدحُوراً﴾ - ٣٩ الإسراء.

وينهي الله الآيات بالوصية الأولىٰ حتى لا تكون النتيجة بالنسبة للإنسان الذي يفتنه

شيطان نفسه ليكون حطبة من حطبات جهنم ليلقى فيها ملوماً مدحوراً مغلوباً على أمره لا ناصر له مذلولاً ومحتقراً حتى من زبانية الجحيم. وهكذا نكون قد اكتشفنا أين يمكن أن نجد آيات الحكمة؟ هل في صحيح البخاري أم في صحيح الله تعالى حيث قال عنها سبحانه في القرآن الكريم وهو ينسبها لكل الأنبياء والرسل السابقين بما فيهم الرسول الكريم محمد صلوات الله عليهم جميعاً.

نجدها أولاً في دعاء إبراهيم عليه السلام لربه أن يبعث رسولاً في أحفاد بنيه المنحدرين من إسماعيل الذين سكنوا مكة المكرمة:

﴿رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم يَتلُوا عَلَيهِم ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾ - ١٢٩ البقرة.

وقال الله تعالى في آخر سورة البقرة في نهاية آية الطلاق موصياً المسلمين:

﴿...وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم وَمَآ أَنزَلَ عَلَيكُم مِّنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ يَعِظُكُم بِهِ..﴾ - ٢٣١ البقرة.

وهنا في هذه الآية يقول سبحانه عن الحكمة بأنها تحتوي على مواضيع تعتبر مواعظ وما الموعظة إلا من وصايا الأب لإبنه الحبيب أو من وصايا الرب لعباده المختارين من بين ذرية آدم الذي استخلفه في الأرض بعد إصطفاء من رب العالين وقال تعالى عن عيسى ابن مريم في القرآن الكريم:

﴿إِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابنَ مَريَمَ اذكُر نِعمَتِي عَلَيكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى المَهدِ وَكَهلاً وَإِذ عَلَّمتُكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ...﴾ - ١١٠ المائدة.

أذاً فالحكمة هنا أيضاً تحتوي على وصايا الله العشرة علَّمها سبحانه لرسوله عيسى عليه السلام كما فعل مع جميع الرسل السابقين واللاحقين.

معمماً الكتاب والحكمة على كل الأنبياء الذين أرسلوا منذرين ومبشرين ومبلغين ما آتاهم الله عن طريق أنبيائه ورسله:

﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَآ ءَاتَيتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُم رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ...﴾ - ٨١ آل عمران.

هذه الآية تخاطب كل شعوب الأرض من أتباع الديانات مثل أتباع بوذا وزرادشت

وكونفوشيوس أو من أتباع من نسميهم الديانات السماوية وكلها تحوي على الوصايا العشرة كما رأينا في مقدمة هذا الكتاب. ويقول لهم سبحانه عندما تجدون رسولاً يدعو* من جديد الناس جميعاً إلى دين الله ومعه مثل ما معكم من الكتاب والحكمة اتبعوا ذلك الرسول لأنه رسول حقيقي من رب العالمين ولا تتبعوا الذين يكذبون ويحرفون ويدعون أن معهم كتاب الله وليس معهم إلا أكاذيب الشياطين:

﴿وَإِنَّ مِنهُم لَفَرِيقاً يَلوُونَ أَلسِنَتَهُم بِالكِتَابِ لِتَحسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ ۚ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ ـ ٧٨ آل عمران.

وحتى نعلم أن الأنبياء الذين خرجوا من نسل ابراهيم كانوا لفترة ولحقبة زمنية معينة وفي منطقة الشرق الأوسط في الجزيرة العربية وأخيراً ختم سبحانه الرسالات كلها برسالة آخر الأنبياء وكان من نسل إبراهيم وإسماعيل وكانت الرسالة عامة للناس كافة إذ يقول سبحانه:

﴿...فَقَد ءَاتَينَآ ءَالَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَءَاتَينَاهُم مُّلكاً عَظِيماً﴾ ـ ٥٤ النساء.

وهكذا نكون قد اكتشفنا بعد هذا البحث الشيق في آيات الله تعالى أن من يبحث فيها عن حقيقة شيء لابد أن يجد الدرر صافية مضيئة لم يلمسها بشر من قبل لأن المسلمين لم يتعبوا أنفسهم في البحث عنها في كتاب الرحمن بل ظنوا أن الخير كله موجود في أحاديث وروايات أبو هريرة وابن العباس رضي الله عنهما ورحمهما ورحمنا معهم أجمعين.

بعد أن علمنا مقصد الرحمن من الوصايا ومن الصراط المستقيم وأنها من آيات قسم الحكمة في كتاب الله الذي يحوي دائماً على قسمين هما الكتاب والحكمة. والكتاب يتضمن الغيبيات وهو القسم المكي من القرآن، والحكمة تتضمن أمور الدين والمعاملات والأحكام ومواعظ الرحمن ووصاياه التي هي الصراط المستقيم والحلال والحرام والأخلاق و الأوامر والنواهي وهو القسم المدني من القرآن.

نعود إلى موضوع بحثنا الأساسي وهو مقاصد الرحمن من الآية الكريمة:

﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم...﴾ ـ ٤٤ النحل.

اكتشفنا -حتى الآن بصورة لم يعد معها ظن أو شك بأن الله أرسل كتاباً واحداً فيه كتابين أحدهما سماه الكتاب وهو ما أنزل في مكة المكرمة من الكتاب والثاني سماه

الرحمن بالحكمة وهي تشمل كل ما أنزل الله تعالى من آيات في المدينة المنورة، القرآن على هذا الأساس مقسوم إلى قسمين أما ادعاء مشايخ الطاغوت والسلاطين بأن الكتاب هو القرآن والحكمة هي أحاديث الرسول التي قالها في حياته كلها لا أصل له وهم يعلمون أنهم يكذبون ويقولون على الله والرسول غير الحق وعلمنا أن الله تعالى لم يوكل رسوله محمد ﷺ ليقول ما يشاء عن دينه بل عليه تبليغ ما أوحي إليه مباشرة بلغة عربية مفهومة في عصره وبين قومه وعشيرته لأنهم في ذلك الوقت لم يكن عندهم لغة عامية ولغة فصحى كما هي عندنا الأن. بل أن الله أنزلها بنفس اللغة المتداولة بينهم ولكن مع إعجاز في البيان والتصوير وسهولة الحفظ والفهم من قبل الجميع بحيث لا يحتاج المرء منهم إلى وسيط مع الله ليفسر كتاب الله.

خاصة في كتاب الحكمة الذي يحوي مع الوصايا أيضاً الأحكام والحدود والعبادات وغيرها من الأوامر والنواهي مع المحرمات وموجبات التجنب في دين الإسلام كلها ما تزال مفهومة لكل من يعرف مبا دئ اللغة العربية إلى اليوم. أما قسم الكتاب الثاني فهو يحوي على علم الله وغيبه من تاريخ وقصص ومبادئ للعلوم أقصد علوم الأرض والفلك وليس علوم الدين، ولا يجوز تأويل هذا القسم إلا بعد أن يكشف الله تعالى على أيدي العلماء الحقيقين مقاصد الرحمن عن العلوم التي تحدث عنها القرآن، والرسول الكريم هو واسطة تبليغ للعالمين فقط، لذلك نجد الله تعالى يأمر الرسول في آية واضحة وصريحة:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ...﴾ - ٦٧ المائدة.

فهل ادعى الرسول لنفسه علماً خاصاً يستطيع بواسطته شرح مقاصد الرحمن والمعاني الخفية لكلمات القرآن كما يدعي به بعض المدعين لعلم الله؟

أم قال الرسول الكريم أن العلم عند الله وحده وإذا سئل انتظر حتى يأتيه الوحي بالجواب؟

﴿قَالَ إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَا أُرسِلتُ بِهِ...﴾ - ٢٣ الأحقاف.

فهل ادعى رسول من رسل الله جميعاً أن لله رسالة وله رسالة مثلها معه أرسله الله بهما لتبليغهما للناس؟ أم قال:

﴿...وَقَالَ يَاقَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالَةَ رَبِّي...﴾ - ٧٩ الأعراف.

ولكن بما أن هذه الرسالة لم تنزل دفعة واحدة وإنما كانت تنزل بشكل متقطع

وخلال سنين طويلة دامت في وحي الإسلام حوالي ثلاثة وعشرون عاماً قال الله تعالى عنها أيضاً لتقطعها «رسالات»:

﴿...إلا بَلاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ - ٢٣ الجن.

والله تعالى لم يكن بعيداً عن هذا التبليغ بحيث لا يعلم ماذا بلغ رسوله من رسالات بل يراقبه الله في كل ذلك ويحصي له ما بلغ بالحرف الواحد.

﴿لِّيَعلَمَ أَن قَد أَبلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِم وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيهِم وَأَحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ - ٢٨ الجن.

الله تعالى في الآية السابقة يتكلم عن رسول آخر من السماء حمل الرسالة إلى الرسول الإنسان في الأرض والله سبحانه يهمه أيضاً بأن تكون الرسالة قد وصلت كاملة بلا زيادة أو نقصان من الرسول الأول إلى الرسول الثاني وكانت تلك الرسالات تخضع لقوانين عددية رياضية يمكن التأكد منها مثلاً قد ثبت من خلال الروايات أن أول ما نزل من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة العلق:

﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ * اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ - ١ - ٥ العلق.

نجد أن عدد أحرف هذه الآيات يساوي إلى ٧٦ حرفاً.

والرقم ٧٦ إذا قسمناه على العدد ١٩ نجد الجواب ٤ بدون باقي وإذا تأملنا عدد آيات سورة العلق كلها نجدها ١٩ آية والقرآن كله مبني على الرقم ١٩ بشكل لا يمكن مجاراته من الإنسان حتى مع استخدام الحاسبات الإلكترونية وقد بينت ذلك كله في بحث خاص اسمه الإعجاز العددي في القرآن في كتاب إنذار من السماء. وفي سورة الجن نفسها نجد الآية التالية والتي تليها تقول:

﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً * فَإِنَّهُ يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً﴾ - ٢٦ - ٢٧ الجن.

جنود السلطان الذين هم مشايخ دينه المقربون خدعوا السذج من أمة المسلمين ليحرفوهم عن الحق المنزل من السماء بأن قالوا عن تأويل: ﴿...إلا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ...﴾ بأن المقصود به هو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ليتقولوا بإسمه بعد ذلك مايشاؤون ويسنوا سنن السلطان تحت إسم سنة رسول الله علماً أنهم يعلمون بأن المقصود في الآية هم من رسل الملائكة بدليل قول الله في الآية نفسها:﴿...يَسلُكُ مِن

بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً...﴾ أي أن الله تعالى يرسل ذلك الرسول وهو تحت حراسة مشددة من أمامه ومن خلفه حتى لا يعلم بما مع الملاك الرسول من رسالة أحد من مخلوقات الله الأخرى مثل الجن الذين لهم القدرة للتحليق في الفضاء بين الكواكب والنجوم المشروحة في سورة الجن لكل من قرأ ويقرأ القرآن الكريم وحتى يعلم الإنسان أن كتاب الله وآياته مبيّنةٌ بذاتها ولا تحتاج إلى بيان وتبيين اضافي من أحد غيره يقول الله سبحانه واصفاً كتابه:

﴿...تِلكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾ ـ ١ يوسف ـ ٢ الشعراء ـ ٢ القصص.

وبما أنها نزلت بلغة عربية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى توضيح إضافي من أحد قال عنه ﴿مُبِين﴾ ومثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى:إذ قال تعالى عن ثعبان موسى الذي كان ثعباناً حقيقياً وليس ثعباناً سحرياً:

﴿فَأَلقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ـ ٣٢ الشعراء.

وقال تعالى عن الإفك الواضح بذاته بلسان المؤمنين من صحابة الرسول الأمين:
﴿...وَقَالُوا هَذَآ إِفكٌ مُّبِينٌ﴾ ـ ١٢ النور.

وبما أن الله هو الحق وهذا لايحتاج إلى توضيح اضافي قال سبحانه:

﴿...وَيَعلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾ ـ ٢٥ النور.

فقد ذكر سبحانه كثيراً من الآيات توضح ذلك في القرآن الكريم والآيه البينه هي التي لا تحتاج إلى بيان إضافي من الرسول:

﴿وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكفُرُ بِهَآ إِلا الفَاسِقُونَ﴾ ـ ٩٩ البقرة.

والله تعالى لا يقول في الآية التالية أن الرسول قد بين للناس أو كلف بالبيان بل يقول سبحانه أنه هو الذي بينه للناس في كتابه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَآ أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ ـ ١٥٩ البقرة.

وكما تلاحظون الذي بَيَّنَ للناس هو الله سبحانه وليس الرسول.

قد يتساءل المسلم: «كيف يمكن للإنسان أن يكتم ما أنزل الله في كتابه من آيات واضحة لا تحتاج إلى بيان وشرح إضافي».

اضرب مثلاً على ذلك لبيان المقصود:

في كتاب تفسير القرآن للبخاري رحمه الله في صحيحه يلفت نظرنا إلى قول سفيان الذي كتم ما أنزل الله وقال الآية بشكل يمكن أن يفهمه المسلم على غير قصد الرحمن:

في باب تفسير سورة المائدة وقبل الحديث رقم ٤٦٠٦ نجد في صحيح البخاري:

قال سفيان وهو يخاطب المسلمين: ما في القرآن آية أشد من:

﴿...لَستُم عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَ الإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ٦٨ المائدة.

وقد شرحت في كتاب دين السلطان أن مشايخ السلطان وفقهاء دينه كان يهمهم أن يروجوا تعاليم التوراة والإنجيل لأنها تخدم مقاصد السلطان أكثر لكونها محرفة وجاهزة للإستخدام بينما آيات الله في القرآن الكريم واضحة مبيّنة ولا يمكن خداع الأمة بها.. ولكن لعلمهم أن الغالبية العظمى لا تحمل نسخاً عن القرآن فيمكن إيهامهم بما يشاء السلطان وهكذا فعل سفيان وأوهم المسلمين أن الله تعالى يطلب منهم اتباع التوراة والإنجيل لكن الله سبحانه يعلم بما فعل سفيان وأمثاله في الدين فيقول عنهم:

﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ - ١٥٩ البقرة.

فماذا كتم سفيان من الآية المبينة ولم يشأ أن يبلغها للناس:

لقد أزال أول الآية حيث نجد الآية كاملة في القرآن كما يلي:

﴿قُل يَاأَهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَ الإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ٦٨ المائدة.

ونجد أيضاً في الآية وتكملتها تنبؤاً من الله تعالى بأن كثيراً من أهل الكتاب سوف يحرفون كتابنا ويؤولون ما أنزل الله من آيات بينات لا تحتاج إلى بيان إضافي ويقلبون معانيها بحيث تخذم مآربهم ومآرب السلاطين، كما برهنت على ذلك في بحث خاص اسمه «دور المنافقين من الحاقدين والحاسدين» في كتاب «دين السلطان».

﴿...وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ طُغيَاناً وَكُفراً فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ - ٦٨ المائدة

وحتى يعلم المسلم أن شرع أهل الكتاب لا علاقة له بشرع الإسلام يقول سبحانه في آية بينه لا تحتاج لشرح أو تأويل إضافي وكما أن الذي يتلوا القرآن يعلم بأن رسل

الله جميعاً قد أعلنوا إسلامهم جميعاً حتى رسل بني إسرائيل كانوا من المسلمين قبل أن يكونوا من اليهود لأن الله يقول في كتابه أيضاً.

﴿مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ - ٦٧ آل عمران

وبالتالي ما كان محمد ﷺ سنياً ولا شيعياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين الذين أشركوا العلم بالأوهام وبالتالي الرحمن مع الشيطان.

﴿إِنَّآ أَنزَلنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحبَارُ﴾ - ٤٤ المائدة.

نلاحظ أن الله تعالى قال: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحبَارُ﴾ أي للذين تفرقوا عن دينهم وأصبحوا يتسمون بأسماء مختلفة، كما أصبحنا نحن بعد أن تفرقنا إلى أحزاب وطوائف وشيع مختلفة مثلهم وأكثر.

لكن الله تعالى يبين لنا الكتاب بالحق واضحاً وجلياً ويقول:

﴿وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيهِ فَاحكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجاً وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَآ ءَاتَاكُم فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ - ٤٨ المائدة.

والكتاب المصدق هو القرآن المكي والذي بين يديه هو القرآن المدني ويهيمن عليه لأن الأول فيه الإعجازات العلمية والبراهين والثاني فيه الدين بدون براهين لأنه مجرد شرائع وأحكام ومواعظ بإفعل أو لا تفعل والمحرمات والحدود والكبائر والوصايا ويدي الكتاب هما السورتان المكيتان وكل سورة منهما تتألف من سبع آيات وهما سورتي الفاتحة والناس وبينهما نجد باقي الكتاب كله الذي يتضمن كل السور المدنية والمكية.

والآية تبين أن شرع الإسلام غير شرع أهل الكتاب وما هو مطلوب عندهم غير مطلوب عندنا لأن الدين يتطور مع الزمن لقد كان الشرع عندهم حدياً وأصبح عندنا حدودياً:

﴿وَكَتَبنَا عَلَيهِم فِيهَآ أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفسِ وَالعَينَ بِالعَينِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٤٥ المائدة.

طالما قال لنا سبحانه لهم شرعهم ولنا شرعنا:

وقال عن الآية السابقة أنها من شرعهم فليس للمسلمين علاقة بهذه الآية والدليل في القرآن الكريم كما رأيتم في الآية التي قبلها.

وإذا سأل المسلم عن شرع الله للمسلمين نجد أن الشرع الإسلامي شرع لا يتبع هذا الشرع الحدّي بل يتبع الشرع الحدودي.

أي أن القاضي الإسلامي يجب أن يتحرك في حدود الله وفي تفهمه لأبعاد الجريمة وظروفها وملابساتها.

مثلاً حدود الله للذين يعادون الله ويحاربون الإسلام رافعين في وجه المسلمين السلاح ويسعون في الأرض فساداً بعد أن يلقى القبض عيهم قد جعل سبحانه الحكم بين حدين كبيرين وهما إما القتل لهم جميعاً أو نفيهم من الأرض إلى مكان آخر كما فعل باليهود الذين نفاهم من الجزيرة العربية.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَونَ فِى الأَرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِم وَأَرجُلُهُم مِّن خِلَافٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرضِ ذَٰلِكَ لَهُم خِزىٌ فِى الدُّنيَا وَلَهُم فِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - ٣٣ المائدة.

وهكذا نجد أن الإسلام واسع الصدر يترك المجال للقاضي الإسلامي كبيراً للحركة بين حدين كبيرين وهو مخير بحسب الظروف أن يختار منها ما يشاء وهذا النوع من الحكم يختلف عن الأحكام التي رأيناها في الشرع السابق الذي كان لليهود عندما كان الشرع حدياً العين بالعين والسن بالسن.

﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ - ٨٦ آل عمران.

لكن السلطان ورجال دينه معه لم يكن يعجبهم ما في القرآن من حقوق واضحة للعباد لا تسمح لهم بالتسلط على عباد الله ظلماً فلجئوا إلى التأويل عن طريق روايات قالوا عنها افتراء بأنها أحاديث نبوية شريفة حتى يقدسها العامة ويعتبروها ديناً بدل دين الله الواضح في كتابه وهذا لم يحصل لمدة قصيرة بل حصل وما يزال يحصل من ألف وأربعمائة عام وإلى اليوم.

وعن هؤلاء وأمثالهم من المنافقين والمفترين على الله ورسوله يقول سبحانه:

﴿كَيفَ يَهدِى اللَّهُ قَوماً كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ

وَاللَّهُ لا يَهدِى القَومَ الظَّالِمِين * أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم أَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجمَعِين * خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُم يُنظَرُون * إلا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذَلِكَ وَأَصلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ - ٨٦ - ٨٩ آل عمران.

وهكذا نجد دائماً أن دين الرحمن يختلف عن دين السلطان ومحرفاته بالأحاديث والتأويل لآيات الله وهم يدَّعون أن أحاديث الرسول وجدت لشرح آيات الله التي لا تحتاج أصلاً إلى توضيح إضافي ولكن ماذا يمكن أن نقول عن أهل الهوى إذا تسلط عليهم الشيطان وجعلهم يتبعونه بدلاً من اتباع الرحمن وكتابه المبين؟

والله سبحانه إذا استخدم بعض الآيات لشرح وبيان آيات أخرى من كتابه في مواضيع تتعلق بالشرع مثل الطلاق مثلاً يقول عنها: (آيات مبـ يِّنات) وأحياناً من أجل الشرح وسهولة الفهم للآيات يضرب لنا سبحانه الأمثلة من قصص الأقدمين وأحياناً يستخدم أسلوب الموعظة لشرح ما يريده الله من عباده وهذه كلها نجدها في الآية التالية من سورة النور:

﴿وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكُم ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم وَمَوعِظَةً لِّلمُتَّقِينَ﴾ - ٣٤ النور.

لكن السلطان وفقهاؤه يريدون من الناس أن يطيعوا السلطان وشرعه وسنته تحت إسم سنة الرسول وهديه بدلاً من سنة الله وهديه وهؤلاء تنطبق عليهم الآيات التالية من سورة النور:

﴿لَقَد أَنزَلنَآ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيم * وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنهُم مِن بَعدِ ذَلِكَ وَمَآ أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنهُم مُّعرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأتُوا إِلَيهِ مُذعِنِينَ﴾ - ٤٦ - ٤٩ النور.

وهؤلاء يقول عنهم سبحانه أيضاً:

﴿...وَإِذَا ذَكَرتَ رَبَّكَ فِى القُرءَانِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلَى أَدبَارِهِم نُفُوراً﴾ - ٤٦ الإسراء.

وبما أن الشيطان عدوٌ لا لبس في عداوته للإنسان يقول سبحانه:

﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ - ١٦٨ البقرة.

ومثل هذه الآيات نجدها في مائة وست حالات في القرآن الكريم والله تعالى يضيفها

إلى الأمور ليبين وضوحها بذاتها من غير حاجة لتبيان إضافي مثل:

﴿البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٩٢ المائدة. البلاغ الواضح.

﴿سِحرٌ مُّبِينٌ﴾ - ١١٠ المائدة. أي أنه سحر واضح وليس حقيقة.

﴿ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ - ٦٠ الأعراف. ضلال حقيقي.

﴿ثُعبَانٌ مُّبِينٌ﴾ - ١٠٧ الأعراف. ثعبان حقيقي.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ - ٢٥ هود. نذير ونبي ورسول حقيقي وليس من الأنبياء الدجالين.

﴿قُرءَانٍ مُّبِينٍ﴾ - ١ الحجر.

قرآن حقيقي أي وحي من الله حقيقي وليس قرآن أو وحي مدعى مثل روايات الأحاديث المفتراة والمتناقضة مع كتاب الله ومع نفسها.

﴿الخُسرَانُ المُبِينُ﴾ - ١١ الحج. الخسران الحقيقي.

﴿ثُمَّ أَرسَلنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِئَايَاتِنَا وَسُلطَانٍ مُّبِينٍ﴾ - ٤٥ المؤمنون.

أي بمعجزات وسلطة حقيقيتان وليس وهماً أو كذباً.

﴿الحَقُّ المُبِينُ﴾ - ٢٥ النور. الحق الواضح والصريح.

﴿الفَضلُ المُبِينُ﴾ - ١٦ النمل. الفضل الحقيقي وليس الوهمي.

﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ - ٧٧ يس. خصم حقيقي.

﴿البَلاؤُا المُبِينُ﴾ - ١٠٦ الصافات. البلاء الحقيقي.

﴿سُلطَانٌ مُّبِينٌ﴾ - ١٥٦ الصافات. السلطة الحقيقية وليست الوهمية بمعني القدرة الحقيقية التي يهبها الله فقط كإجراء المعجزات على يد رسول ليس له من الأمر شيء لأن القائم بالمعجزة هو الله تعالى وليس الرسول الكريم.

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ - ١٥ الزخرف كافر حقيقي لاشك في كفره.

﴿وَهُوَ فِى الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ - ١٨ الزخرف.

وهو وصف للرجل الذي نشأ على الترف بين النساء فيصبح من المخنثين الذين لايمكن أن يصبحوا أبداً من المقاتلين الحقيقين مثل الذين أنشؤوا وتربوا ليصبحوا رجالاً أشداء أقوياء على الحق لا يخافون في الله لومة لائم.

ومبيناً تأتي مثل معنى مبـ ين كما رأينا في الآيات السابقة.

﴿قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِيناً﴾ - ١٧٤ النساء.

أي أنزلنا إليكم نوراً واضحاً لا يحتاج لبيان إضافي من أحد.

﴿وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾ - ٣٦ الأحزاب.

﴿فَقَدِ احتَمَلُوا بُهتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً﴾ - ٥٨ الأحزاب.

﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحاً مُّبِيناً﴾ - ١ الفتح.

أي بمعنى فتح حقيقي وليس فتحاً وهمياً.

وأحب أن أضرب هنا مثلاً من شدة دقة الله في استخدام الكلمات فقد ذكر الله سبحانه «كتاب موسى» اثنتي عشرة مرة وموصولة بإسمه مثل ﴿...ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ...﴾ - ٢٣ السجدة.

أو مثل: ﴿وَمِن قَبلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحمَةً...﴾ - ١٢ الأحقاف.

ولكن بما أن كتاب موسى لا يكتمل إلا بوجود كتب الأنبياء السابقين واللاحقين الذين يشكلون في مجموعهم التوراة يشبه كتابه بالإمام الذي يتقدم المصلين كما رأينا في آية الأحقاف السابقة.

والله سبحانه قد قال عن القرآن الكريم: ﴿الكِتَابِ المُبِينِ﴾ - ١ يوسف. لأنه كتاب كامل وواضح بذاته لا يحتاج لغيره من الكتب لتوضيح آياته ولا إلى مخلوق يزيده بياناً فوق بيانه المعجز.

ولكن ماذا يقول سبحانه وصفاً لكتاب موسى الذي يعتبره سبحانه جزءاً من مجموعة كتب أخرى:

﴿وَلَقَد مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّينَاهُمَا وَقَومَهُمَا مِنَ الكَربِ العَظِيمِ * وَنَصَرنَاهُم فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ * وَءَاتَينَاهُمَا الكِتَابَ المُستَبِينَ﴾ - ١١٤ - ١١٧ الصافات.

فالله سبحانه قال عن وصف الكتاب ﴿الكِتَابَ المُستَبِينَ﴾ ولم يقل عنه «الكِتَابِ المُبِينِ» لماذا؟

لأن كتابه غير واضح بذاته لوحده وشرعه لا يكتمل إلا بوجود الكتب الأخرى التي معه والتي ستأتي بعده لذلك أطلق عليها الله تعالى ﴿المُستَبِينَ﴾ ولم يقل عنها «المُبِين» كما في القرآن الكريم.

وكما قال سبحانه في وصف القرآن الكريم:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - ١٣٨ آل عمران.

إن كلمات الله سبحانه في كتابه ليست مجرد كلمات يضعها هكذا اتفاقاً من أجل الوزن واللحن مثل بعض الكتاب والشعراء بل أن كل كلمة بذاتها مقصودة ومطلوبة من أجل بيان المعنى والآية السابقة تشرح مكونات كتاب الله كله ففيه جزء عام للناس كافة وهو القسم الذي يسميه سبحانه عادة بـ «الكتاب» ويحوي على غيب الله من تاريخ ومبادئ للعلوم وحقائق عن الكون وعن أسرار الله وغيبه الذي لا يعلمه أحد إلا بمقدار ما تشهد به آيات كتابه (وهذا القسم هو القرآن المكي) وهذا يهيمن على القسم الثاني الخاص بالمتقين ويحوي على هدى الله وهو الذي يحتوي على آيات الدين كله من عبادات وحدود ومحرمات وأحكام وشرع وشورى كما يحتوي على آيات الحكمة والموعظة وهي التي رأيناها قبل قليل تشكل وصاياه والصراط المستقيم، (وهذا القسم هو القرآن المدني) وأحياناً يقول سبحانه أن الكتاب الثاني بين يدي الكتاب الأول، وإذا لاحظنا القرآن وسوره نجد أن أول سورة في القرآن مكية، وآخر سورة في القرآن أيضاً مكية وهما الفاتحة في أول الكتاب وسورة الناس في آخر الكتاب، وهاتان السورتان يشبههما رب العالمين باليدين يمسكان بباقي سور القرآن المدني بينهما.

وبما أن كتاب الله يحوي بيان وتبيان كل شيء يحتاجه المسلم بدون الحاجة إلى بيان وتبيان إضافي من أحد العالمين يقول ذلك بصراحة ما بعدها صراحة إلا لمن كان شيطاناً يريد أن يفتن الناس عن دينهم ليخرجهم منه إلى دين آخر مثل دين السلطان الذي شرحته سابقاً في كتاب كامل.

﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ - ٨٩ النحل.

فكل ادعاء من أحد المدعين بالإسلام أن كتاب الله بحاجة إلى تبيان من الرسول بأحاديث خاصة من عنده وبروايات أقل ما يقال عنها أنها شديدة الخلاف والإختلاف له هدف لحرف المسلمين عن دين الله الحقيقي الفعال إلى دين آخر غير حقيقي وغير فعال ليذوق فيه المسلمين عذاب الذل والهوان غضباً منه سبحانه ونقمة منه لعدم استخدام عقولهم وبصيرتهم في معرفة الحق والحقائق الواضحة في كتاب الله.

وأخيراً أحب أن أختم هذا البحث الشيق بمجموعة آيات من القرآن الكريم لتكون كلماتها دليلاً وشاهداً أكيداً لهذا البحث كله.

يقول الله تعالى لرسوله الكريم:

﴿لا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِع قُرءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ﴾ ـ ١٦ ـ ١٩ القيامة.

والآيات واضحة لا تحتاج إلى شرح أو تأويل من أحد أبداً حتى جمع القرآن، قام بها الرحمن وأشرف على تنفيذها بنفسه، والآية الأخيرة تقول ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَه﴾ أي أن البيان والشرح هو من أمر الله أيضاً لأن الله يشرح الأية الغير مفهومة بالأمثلة والقصص المدعمة لفهم مقاصد الرحمن.

وبما أن اللغة هي وسيلة من وسائل نقل المعلومات بشكل واضح وأمين وهو من الفنون التي علمها الله للإنسان ووهبها له إذ يقول سبحانه:

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ ـ ٣ ـ ٤ الرحمن.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ما معنى الآية الكريمة التالية وما هي أبعادها؟

﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾ - ٧ الحشر.

بدليل آيات القرآن الكريم.

إن مشايخ وعلماء دين السلطان يدَّعُونَ أن ما أتانا به الرسول الكريم هي أحاديثه التي قالوا عنها «الأحاديث النبوية الشريفة» وما نهانا عنه أيضاً هي التي نجدها في نفس الأحاديث النبوية الشريفة وهم بهذا القول لم يتعرضوا إلى كتاب الله الذي هو القرآن الكريم ولم يأتوا على ذكره لعلمهم أن ما في ذلك الكتاب من شرع وحقوق وأحكام لا تتماشى مع مصالح ولي نعمتهم السلطان فابعدوه عن الناس أجمعين وإن اضطروا إلى ذكر الآيات سلحوا أنفسهم بأحاديث مفتراة يستخدمونها من أجل تأويل الآيات بحيث تعود لتخدم المصلحة المطلوبة دائماً مبتعدين عن مصلحة الأمة، فهل إدعاء علماء السلاطين صحيح؟ هل كان مع الرسول الكريم سوى القرآن الكريم حتى يبلغه للمسلمين؟

فإلى آيات الرحمن في كتابه لتجيب عن هذا التساؤل الكبير الذي جرف مع ما جرف أغلبية المسلمين من الجهلة والسذج الطيبين الذين لم يشكوا يوماً بنوايا «ذو لحية» أو «ذو قفطان» أو عمامة أو مسبحة بل اعتبروهم دائماً من أولياء الله الصالحين بل ومن الملائكة المطهرين.

قبل البحث عن الآيات التي تبين ما آتانا به الله والرسول لابد من فتح القرآن الكريم الذي هو كتاب الله المبين ذو الآيات البينات المفصلات أحسن التفصيل لنعلم معنى الآية الكريمة التي بدأنا بها موضوعنا هذا حتى نكتشف وحدنا أن موضوعها يختلف اختلافاً كلياً وأساسياً عن الإدعاء المسنود إليه بمزاعم فقهاء الطاغوت لنبرهن للناس بعدم وجود علاقة لها بما بلغ الرسول الأمين من وحي السماء.

لنقرأ معاً الآية كاملة في القرآن الكريم:

﴿مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ كَي لا يَكُونَ دَولَةً بَينَ الأَغنِيَآءِ مِنكُم وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٧ الحشر.

هذه الآية كما تلاحظون هي من أوائل آيات سورة الحشر المدنية التي تشرح الأمور المستجدة في مجتمع المؤمنين قبل وفاة الرسول الكريم أمراً من الله ببدء التحشدات العسكرية لقوات المسلمين من أجل المواجهة والوقوف في وجه الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية شمال شبه الجزيرة العربية وشرقها وغربها، كلاهما كانتا قد فوجئتا بظهور قوة غير متوقعة في الجزيرة العربية.

بدأت كل منهما لوحدها بخططها وتحشداتها للقضاء على هذه القوة قبل استفحالها فكان لابد للمؤمنين من الوقوف في وجه هذه التحديات التي كانت في الأفق ويعلم بها عالم الغيب وإن كان بسطاء المسلمين لم يحسوا بوجودها أصلاً.

والآية تشرح أسلوب الله الجديد في توزيع غنائم الحرب القادمة بعد أن أنسى آية المؤلفة قلوبهم السابقة التي كانت تسمح للرسول الكريم وللمؤمنين بإعطاء الأغنياء ومن زعماء القبائل أصحاب النفوذ والسطوة أموالاً من بيت مال المسلمين سمح بها الرحمن لظروف ضعف المسلمين السابق ولشراء قلوب رؤساء القبائل الذين استسلموا للمؤمنين بقوة السلاح أمثال أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية والأقرع بن حابس وغيرهم من الذين آتاهم الرسول أموالاً كبيرة لفترة زمنية سابقة، أنهاها رب العزة بالآية التي بين أيدينا موصياً سبحانه وآمراً أن يقبل الجميع بما يؤتيهم الرسول من تلك الأموال إن آتاهم.

ويقبلوا كذلك عن منعها إذا نهاهم عنها، ورب العالمين يشرح سبب منع العطاء لهؤلاء الزعماء الأغنياء قائلاً:

﴿...كَيْ لا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَآءِ...﴾ - ٧ الحشر.

أي حتى لا تتحول هذه الأموال لزيادة غنى الأغنياء ويحرم منها أصحابها من الفقراء.

بعد أن فهمنا الآية وعلمنا أنها لا تتحدث عن وحي ثاني أرسله الله سراً لرسوله من دون علم المسلمين به ليصبح كتاباً ثانياً للمسلمين مع كتاب الله العزيز.

ننتقل إلى آيات الله في كتابه المبين ونعلم ما قاله في آيات الإيتاء وماذا آتى الله وماذا آتى رسله؟ علماً أنه لا شهادة فوق شهادة الله تعالى خاصة إذا كان من كتاب مبين عليه برهان أنه من الله وعليه برهان أنه لم يحرف من قبل إنس أو جان.

فماذا آتى الله تعالى رسله جميعاً؟

ثم ماذا آتى الله تعالى رسوله وعبده محمد الأمين؟

﴿وَإِذ ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَالفُرقَانَ لَعَلَّكُم تهتَدُونَ﴾ - ٥٣ البقرة.

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ...﴾ - ٨٧ البقرة.

﴿...وَءَاتَينَا مُوسَى سُلطَاناً مُّبِيناً﴾ - ١٥٣ النساء.

﴿ثُمَّ ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحسَنَ وَتَفصِيلاً لِّكُلِّ شَىءٍ...﴾ - ١٥٤ الأنعام.

﴿...وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ فَاختُلِفَ فِيهِ وَلَولا كَلِمَةٌ سَبَقَت مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَينَهُم وَإِنَّهُم لَفِى شَكٍّ مِّنهُ مُرِيبٍ﴾ - ١١٠ هود - ٤٥ فصلت.

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى تِسعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾ - ١٠١ الإسراء.

وهي المعجزات التسع التي أظهرها الله بعصى موسى وعلى يدي رسوله الكريم وسماها سبحانه بالسلطان المبين.

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرقَانَ وَضِيَآءً وَذِكراً لِّلمُتَّقِينَ﴾ - ٤٨ الأنبياء.

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى الهُدَى وَأَورَثنَا بَنِى إِسرَاءِيلَ الكِتَابَ﴾ - ٥٣ غافر.

وهكذا نجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر كل ما آتاه الله لرسوله موسى عليه السلام ولكنه سبحانه لا يذكر أنه آتى موسى قسم الحكمة من الكتاب الذي يلازم عادة مايؤتيه سبحانه للرسل عامةً وقد شرحت مراراً أن قسم الحكمة من الكتاب هو الذي يحوي أحكام الشريعة والدين والعبادات بما فيها وصايا الله التي هي الصراط المستقيم ومن أجل ذلك يقول سبحانه في وصف كتاب موسى ﴿الكِتَابَ المُستَبِينَ﴾ - ١١٧ الصافات. بينما يقول عن باقي كتبه بـ ﴿الكِتَابِ المُبِينِ﴾ - ١ يوسف. فكتاب موسى يحتاج إلى كتاب آخر ليبينه وقد جعل سبحانه الكتب التي أرسلت من بعده على رسل بني اسرائيل هي التي تبين الأحكام والشرع بينما القرآن فيه الكتابين معاً لذلك يقول سبحانه عن القرآن الكريم ﴿الكِتَابِ المُبِينِ﴾:

﴿الر تِلكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾ - ١ يوسف.

وهذا الكتاب يحوي على الكتاب والحكمة بدليل قول الله لرسوله الكريم:

﴿وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكَ وَرَحمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنهُم أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلآ أَنفُسَهُم وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَم تَكُن تَعلَمُ وَكَانَ فَضلُ اللَّهِ عَلَيكَ عَظِيماً﴾ - ١١٣ النساء.

بينما يقول سبحانه للذين أرسل لهم الكتاب من دون قسم الحكمة الذي بدونه لا يصبح الكتاب مبيناً واضحاً بذاته أنه فقط قد أرسل لهم جزءاً أو نصيباً من الكتاب:

﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُدعَونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنهُم وَهُم مُّعرِضُونَ﴾ - ٢٣ آل عمران.

فأهل الإنجيل يتمسكون بجزء واحد أُنزل على عيسى ابن مريم بينما نجد أن الله تعالى يقول لعيسى ابن مريم في القرآن:

﴿إِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابنَ مَريَمَ اذكُر نِعمَتِى عَلَيكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى المَهدِ وَكَهلاً وَإِذ عَلَّمتُكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ...﴾ - ١١٠ المائدة.

بينما كما تجدون في هذه الآية فهم بحاجة إلى تطبيق كل ما ذكره الله تعالى في هذه الآية من «كتاب وحكمة وتوراة مع الإنجيل الذي انفردوا به من دون الكتب الأخرى».

وكذلك لا يكتمل كتاب بني اسرائيل بكتاب موسى وحده بل يحتاج إلى باقي الكتب التي نزلت من بعد موسى لتشكل التوراة كما شرحها الله سبحانه في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ...﴾ - ٨٧ البقرة.

وأهل الكتاب يجب أن يتبعوا:

﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَآ أُوتِى النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم...﴾ - ١٣٦ البقرة.

﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم...﴾ - ٨٤ آل عمران.

فماذا كان مع النبيين؟ ومَن آتى مَن؟

﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَآ ءَاتَيتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكمَةٍ...﴾ - ٨١ آل عمران.

وهكذا علمنا من هذه المعالجة أن الله تعالى هو الذي يؤتي بوحيه للناس عن طريق رسله ولا يذكر أبداً كما تلاحظون بأي إيتاء للرسل. فهمنا أن أهل الكتاب لا يصبح كتابهم مبيناً إلا بإجتماع كل ما ذكره الله لهم ولولا ذلك لما علَّم سبحانه رسوله عيسى عليه السلام «الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل».

وقال سبحانه عن كتاب موسى «الكتاب المستبين» وقال سبحانه لأهل الكتاب

حيث أخذ كل فريق منهم نصيباً من الكتاب وترك الباقي، فأهل الإنجيل أخذوا بالأناجيل وتركوا التوراة والكتاب والحكمة واليهود أيضاً أخذوا جزءاً وتركوا الباقي وهناك بعض الكنائس اليوم والتي تقول بأنها تأخذ بالإنجيل والتوراة معاً ولكنهم أضافوا على ما لديهم كتباً وتفاسيراً جعلت من الكتب التي في حوزتهم تستعمل كمرجع لنظرياتهم علماً أن نظرياتهم مأخوذة من بعض الكتاب فقط وليست من الكتاب كله:

﴿قُلْ يَاأَهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَىءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَ الإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ٦٨ المائدة.

والمقصود (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم) هو ما آتاه سبحانه للأنبياء من بعد موسى حيث رأينا في الآية ٨١ من سورة آل عمران يحدد سبحانه أنه آتى النبيين الكتاب والحكمة، ومن أجل ذلك قال الله تعالى أنه علَّمَ عيسى ابن مريم «الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل».

وهكذا علمنا تماماً ماذا آتى الله لرسوله موسى وأخاه هارون دون أن يترك سبحانه شاردة ولا واردة إلا ذكرها حتى المعجزات التي أيده ربه ليكون دليلاً على رسالته وصدقه ذكرها سبحانه في القرآن الكريم بالتفصيل دون أن يترك واحدة منها وهي تسعة.

فهل يعقل ألا نجد ما آتاه الله لرسوله محمد الأمين في كتاب الإسلام والمسلمين؟

﴿وَلَقَد ءَاتَينَاكَ سَبعاً مِّنَ المَثَانِى وَالقُرءَانَ العَظِيمَ﴾ - ٨٧ الحجر.

﴿...وَقَد ءَاتَينَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكراً﴾ - ٩٩ طه.

وهكذا نجد أن الله تعالى هو الذي يؤتي بوحيه وكتبه لرسله وللناس.

لننتقل الآن إلى الآيات التي يقول فيها سبحانه أنزل ونزل لنرى ماذا نزل سبحانه؟ وماذا أنزل على رسوله الكريم؟

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ﴾ - ١٩٣ - ١٩٤ الشعراء.

وما نَزَّل الروح الأمين من شيءٍ إلا القرآن الكريم على رسولنا محمد الصادق الأمين وآيات الله الصحيحة هي التي نجدها في كتاب الله مثل:

﴿الرَّحمَنُ * عَلَّمَ القُرءَانَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ * الشَّمسُ وَالقَمَرُ بِحُسبَانٍ * وَالنَّجمُ وَالشَّجَرُ يَسجُدَانِ * وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾ - ١ - ٧ الرحمن.

ونجد آيات أخرى مدَّعَاةً على أنها وحي منزل من السماء مثل:

الحديث ٥١١٩ من صحيح البخاري عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ص قال: «أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليالٍ فإن أحبا أن يتزايدا تزايدا أو يتتاركا تتاركا»

وهذا قبل الزواج ومن أجل تجريب المرأة فقط. فهل يقول لنا مدعي هذا الوحي ماذا نفعل إذا حملت المرأة المجرَّبَة سفاحاً من الرجل المجرِّب في ثلاث ليالي متتاليات؟ فهل هذا من شرع الله المبين المذكور في القرآن الكريم؟ ونجد آيات مثلها في صحيح مسلم:

الحديث ٥٠٥ المسلسل ٢٥٨ من باب منع المار من بين يدي المصلي (في المسجد) من صحيح مسلم: قال: حدثنا يحيى بن يحيى موصولاً بأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه. وليدرأه ما استطاع. فإن أبى فليقاتله. فإنما هو شيطان».

وهكذا يشرع لنا الشيطان حتى يتقاتل المسلمون في المساجد بدلاً عن التراحم والتوادد الذي سنَّه لنا الرحمن في كتابه المبين، ثم يقف الشيطان متفرجاً ضاحكاً من المتقاتلين بسببه دون أن يعلموا من الذي سن هذه السنن ومن الذي يقف وراء هذا الإقتتال بين المسلمين.

نعود إلى آيات التنزيل الحكيم بعد أن رأينا نماذج من تنزيل الطاغوت وبما أن كتاب الله مؤلف من قسمين هما الكتاب والحكمة يقول سبحانه:

﴿اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم * نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ وَأَنزَلَ التَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ - ٢ - ٣ آل عمران.

والمعنى واضح أن القسم الأول الذي يحوي على آيات غيب الله وعلمه ومعجزاته وبراهينه تصدق للقسم الآخر من الكتاب الذي هو الحكمة وتحوي على آيات تفصيل دين الإسلام والقسم الأول هو القرآن المكي والقسم الثاني هو القرآن المدني.

والقرآن كله أرسل للمسلمين كرسالة سماوية من رب العالمين للناس كافة والله تعالى أنزل الفرقان الذي برهنت قبل هذا بأنها آيات الصراط المستقيم أو الوصايا العشرة نزلت على موسى عليه السلام وعلى رسولنا الكريم. وبما أن الله سبحانه يعلم الغيب ويعلم ما سوف يحدث بعد وفاة رسوله من ضلال نتيجة افتراء أحاديث على الله والرسول الأمين يقول تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِي بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ - ٢٣ الزمر.

والآية وضعها سبحانه لتكون جواباً لكل المفترين الذين ادعوا حديثاً خاصاً للرسول أو هدياً خاصاً لمحمد ﷺ فيقول لهم سبحانه ذلك هدى الله وليس هدى السلطان وفقهاؤه المفترين الذين يقولون «خير الهدي هدي محمد» والله سبحانه يتحدى المفترين ويقول لهم إذا كان ما تدعونه وحياً من السماء فلماذا لا يتشابه الوحيان بل يتحداهم ويقول:

﴿وَإِن كُنتُم فِي رَيبٍ مِّمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِّثلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ * فَإِن لَّم تَفعَلُوا وَلَن تَفعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكَافِرِينَ﴾ - ٢٣ - ٢٤ البقرة.

والنفي هنا في قوله: ﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا وَلَن تَفعَلُوا...﴾ فالإدعاء ما زال موجوداً بأن كل افتراءاتهم وحي من الله وهذا ادعاء كاذب يتضح عند مقارنة الوحيين معاً كما فعلت في كتاب «دين السلطان».

وجواباً للمدعين من شيوخ السلاطين الذين سمحوا بكتابة الحديث رغم نهي الرسول القاطع والثابت عن كتابة أي شيء عنه يقول سبحانه أنه هو وحده الذي نزل الذكر وهو وحده الذي سوف يحفظه من أيدي الشياطين فلم يكلف أحداً من عباده لمنع اختلاط شيء فيه فالله لا يعجزه شيء أبداً ومن شك في ذلك فإن إيمانه بالله أصبح مشكوكاً فيه.

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ الحجر.

لقد قال الله تعالى بأن الخير والشر موجودان إلى يوم القيامة والكفر سوف يكون أيضاً إلى يوم القيامة حتى ولو انتصر الخير والحق والإيمان وتغلب على أهل الكفر هذا لا يعني أبداً أنهم انتهوا وانقرضوا بل أنهم ما يزالون يتآمرون ويتحيّنون الفرص ويحاولون بشتى الوسائل والسبل إضلال المؤمنين وإعادتهم إلى الكفر والإشراك بالله حتى يستلموا زمام الأمور من جديد وخير ما أختم به آيات الإنزال والتنزيل هي الآية التالية:

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ٩ الحديد.

أنتقل بعدها لآيات الهدي والهدى لنعلم هل الهدي من إيتاء الله أم من إيتاء الرسول الكريم؟

في الآية التالية هل يسأل سبحانه عقل الإنسان أم يسأل قلبه وهواه؟

﴿أَفَمَن يَهدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهدِّي إِلآ أَن يُهدَى فَمَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ - ٣٥ يونس.

إن الله تعالى الذي يعلم الغيب كله كان في علمه أنه سوف يخرج من المسلمين طائفة كبيرة تتدعي الهدي للرسول دون الله فيقول خطباء مساجدها:

«خير الهدي هدي محمد» وهم يقصدون به ما ينسبونه له من أحاديث يقولون عنها قدسية وشريفة ما أنزل الله بها من سلطان فيقول لهم سبحانه في كتابه العزيز:

﴿اللَّهُ يَهدِي لِلحَقِّ أَفَمَن يَهدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهدِّي إِلآ أَن يُهدَى فَمَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ - ٣٥ يونس.

والله سبحانه يقصد كل الناس بهذا الكلام ومن كل الناس يقصد الله رسله وأنبيائه أجمعين ومن رسله وأنبيائه يقصد الله رسوله ونبيه وعبده محمد ﷺ الذي كان ضالاً فهداه ربه:

﴿أَلَم يَجِدكَ يَتِيماً فَئَاوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَى﴾ - ٦ - ٧ الضحى.

فهل اتباع هدى الله ونوره الموجود في كتابه المبين أحق أن يتبع أم اتباع ما ينسب للرسول الكريم من أحاديث على فرض أنها صحيحة جميعاً وعلى أنها من أقواله والرسول الكريم بريء منها إلى يوم القيامة؟

وماذا تقولون إذا علمتم أن الرسول الأمين بريء من كل ما معنا من أحاديث افتراها غالباً فقهاء السلاطين خدمة لولي نعمتهم فسنوا له ديناً جديداً يناقض دين الرحمن من أساسه ويتماشى مع محرفات أهل الكتاب كما برهنت لكم في كتاب (البرهان - دين السلطان).

وهكذا علمنا من كتاب الله وآياته أن اتباع الحق الذي آتانا به الله تعالى في كتاب الله أولى وأحق من اتباع كتاب عبده محمد الذي يدعيه فقهاء الطاغوت زاعمين أن الله تعالى يأمرنا أن نأخذ بما آتانا به الرسول مغيرين مقاصد الرحمن في الآية علماً أن الرسول لا يستطيع أن يهدي إلا أن يُهدى فكيف تحكمون؟

أليس الله سبحانه هو الذي أعطانا دليل بطلان ما مع المسلمين اليوم من الأحاديث في الآية الكريمة:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

ألم يقل علماء الحديث أنها تحوي على ثمانين نوعاً من أنواع الإختلاف؟ هل في كتاب الله اختلاف؟ هل في كتاب الله تناقض؟

لنتابع ماذا يقول سبحانه للمفترين والمكذبين والمدعين بوحي آخر غير وحي الله في كتابه الكريم:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفعَلُونَ﴾ - ٣٦ يونس.

وهل في الحديث إلا الظنون؟

ألا يقول أغلب المشايخ عن الأحاديث المختلفة المتناقضة بعد استشهادهم بها (الله أعلم) اعترافاً منهم أنهم لا يعلمون أين الحق منها؟

طالما أنها ثمانين نوعاً! وهل كلها تغني عن حقيقة واحدة؟

لذلك يتابع سبحانه ويقول لهم لعلمه أنهم جميعاً مفترون:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرءَانُ أَن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ - ٣٧ يونس.

فماذا آتانا رب العزة في هذا القرآن؟

ألم يأتنا بالكتاب والحكمة والكتاب هو القرآن المكي والحكمة نجدها في القرآن المدني.

أم آتانا الله تعالى صحيح البخاري ومسلم وباقي كتب الحديث وحياً من السماء؟

ألا يقول علماء الطاغوت إلى هذا اليوم بوجود حديث خاص للرسول مع حديث الله مع أنه مناقض لكتاب الله الصحيح.

ألا يقولون بوجود سنة خاصة للرسول مع سنة الله وناسخة لسنة الله المذكورة في القرآن؟

ألا يقولون بوجود هدي خاص للرسول مع هدي الله مع تعارض أغلبه مع هدي الله تعالى.

ألا يقولون (إن خير الهدي هدي محمد) وهم بذلك يفضلون صحيح البخاري ومسلم عن كتاب الله عملاً وتطبيقاً؟ دعونا نقرأ الفقرة التالية من كتاب السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية:

«وكان من المألوف أن يطلب الوالي أو السلطان إلى أهل الأزهر أن يقرأوا البخاري (بدلاً من تلاوة القرآن الكريم) لنصرةٍ أو رفع بلاء أو جدب تبركاً به ففي شهر رجب من سنة ١٢٠٢ قدم للقاهرة آغا من استامبول ومعه ألف قرش أرسلها السلطان عبد الحميد خان لتفرق على طلبة العلم في الأزهر ليقرأوا صحيح البخاري ويدعوا له بالنصر وليدعوا الله أيضاً أن يرفع عن الناس الطاعون، وبعد ايام كتب أهل الأزهر إلى الباشا قائلين إن الألف قرش لم تكف فزادها ثلاثة آلاف واحضروا أجزاء البخاري وقرأوها، ولكن الطاعون لم يرفع بل زاد وفشا»(*). وهكذا نحن المسلمين ما زلنا نظن أن صحيح البخاري هو كتاب الله بينما نجد في نفس الكتاب وزير المستعمرات البريطاني ماذا يقول في الصفحة ١٩٩ منه:

وقف كلادستون في مجلس الوزراء رافعاً القرآن بيده مخاطباً زملاءه بقوله: «مادام هذا الكتاب بين أيدي المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به وتطبيقه فلن تقوم لنا قائمة فلابد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم) فهل هم بعيدون عن تحقيق ذلك الحلم؟

والمسلمون اليوم قد استبدلوا كتاب الله بكتب الحديث التي ألَّفها علماء الطاغوت الذين قالوا بشفاعة الرسول مع أن الشفاعة لله جميعاً، ويشركون الرسول في غيب الله كله بدليل الأحاديث التي بين أيدي المسلمين وكلها تَقَوُّل وافتراء على غيب الله وأسراره وعرشه وكرسيه وحتى سدرة المنتهى، إذ لم يتركوا غيباً في السَّمَوَات إلا وتناولوه بلا دليل واحد أو شهاده صحيحة من الله في كتاب مبين بل كلها ظنون في ظنون ينهيها العلماء في الختام بعبارة «والله أعلم» دليلاً على عدم تأكدهم مما عندهم من علم. فلم يخوضون فيما لا يعلمون إذا كانوا علماء حقيقيون؟ وماذا ينفع المسلمين إذا عرفوا شكل كرسي الله وكيف استوى الله على العرش؟

ألا يكفي ما نفهمه من آيات في القرآن الكريم؟

(*) الكتاب من تأليف موفق بني المرحة طبع الكويت (مطابع دار الكويت للصحافة ١٩٨٤ الصفحة ٤٦.

فنشكر الله تعالى على ما فهمناه وما لم نفهمه تركناه حتى يأتي من يستطيع فهمه عندما يشاء الله أن يظهره كما وعد بعد حين.

يجب أن نتعظ بما حدث قبلنا مع المشركين الذين سبقونا خاصة مشركي مكة فهم كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون أنه الخالق والقادر على كل شيء ولكنهم كانوا يظنون أنهم لن يدخلوا الجنة إن لم يشفع لهم أحد وكانوا يظنون أن الله تعالى اتَّخذ لنفسه الملائكة وكانوا يدَّعون أنهم إناثاً ويظنون إن لم تشفع لهم الملائكة لن يدخلوا في رحمة الله فراحوا يقدسون الملائكة ويصنعون لهم التماثيل والأصنام مقدمين لها النذور والأضاحي وهم يدعون تلك التماثيل حتى تشفع لهم عند ربهم لأنهم قد أذنبوا بحق الله أو يدعونها لتحقيق مطالبهم كما يفعل المسلمون والمسلمات اليوم أمام أضرحة من يظنوهم من الأولياء والصالحين وهم يدعونهم حتى يشفعوا لهم عند الله لتحقيق مطالبهم الدنيوية والأخروية.

لقد تغيرت الأصنام لكن الإشراك بقي واحداً والموضوع ما يزال كما كان إشراكاً بالله وبالشفاعة.

فهذا يطلب الشفاعة من «علي» وهذا يطلبها من «الشيخ محي الدين» وهذا يطلبها من «السيد الحسين» وهذا يطلبها من السيدة «زينب» وهذا من «الست فاطمة» وهذا يطلبها من «الرسول محمد» والله سبحانه يطلب من المسلمين جميعاً أن يكون الدعاء له مباشرة فلا وسيط بين العبد ولا شفيع ولا منقذ ولا مخلص لهم إلا الله وحده لا شريك له.

لذلك نجد الله سبحانه يستنكر قول مشركي مكة ويقول لهم:

﴿أَفَأَصفَاكُم رَبُّكُم بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُم لَتَقُولُونَ قَولاً عَظِيماً﴾ ـ ٤٠ الإسراء.

الله تعالى يقول لهم كيف تدَّعون لأنفسكم ما تحبون من الأولاد الذكور وتنسبون ما تكرهون لربكم وتجعلون له الإناث (الملائكة بحسب ظن الجاهلية) لأن الجاهلي كان أكبر ما يخشاه هو أن يبشر بمولود أنثى.

لذلك يقول عنهم سبحانه:

﴿وَيَجعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَآءَ مَا يَحكُمُونَ﴾ ـ ٥٧ ـ ٥٩ النحل.

والمشركون القدماء هم الذين افتروا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان كانت أصنامها حول الكعبة وداخلها في الجاهلية:

﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُم وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ - ٢٣ نوح.

فيقول لهم الرحمن:

﴿...أَتُجَادِلُونَنِى فِى أَسمَآءٍ سَمَّيتُمُوهَآ أَنتُم وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ...﴾ - ٧١ الأعراف.

أي أن الله تعالى لم ينزل فيما تدعون آية مبينة في كتاب مبين يشهد لكم صحة ما تدعون. فيطلب منهم ويقول أين دليلكم على ما تدَّعون؟

تماماً كما يقول لمسلمي اليوم المدعين بأشياء كثيرة جداً لا شهادةَ لهم في كتاب الله.

مثل قولهم:

١ - بمعجزات كثيرة جداً قام بها الرسول محمد ﷺ علماً أننا نجد شهادة من كتاب الله على كل معجزات موسى وعيسى بالتفصيل ولا نجد شهادة واحدة لمعجزةٍ قام بها رسوله محمد أبداً.

٢ - رجم الزاني والزانية مع الإدعاء بوجود وحي نسي المسلمون كتابته في القرآن.

٣ - عذاب القبر (جحيم ونعيم) قبل يوم القيامة.

٤ - إعطاء مفاتيح خزائن الأرض للسلطان (بيت مال المسلمين).

٥ - أفضلية قبيلة قريش لحكم العالم وإلى يوم القيامة.

٦ - حق الإستبداد في الحكم على نظام الراعي والقطيع مع إلغاء حقوق الإنسان وحرياته كلها.

٧ - تقرير القضاء والقدر مع تقرير كل شيء للإنسان قبل أن يولد سلفاً ماله وعمله وعمره ومصيره.

٨ - محاربة المرتدين عن دينهم.

٩ - حق رفع السيف على الكافر حتى يعلن إسلامه.

١٠ - الإستبداد بالمرأة ومعاملتها معاملة الكلب والحمار.

١١ ـ تبديل شرع الله في الطلاق.

١٢ ـ تبديل شرع الله في المواريث وإيجاد شريعة الإبن المحروم.

١٣ ـ السماح بالزنا علناً باسم المتعة.

١٤ ـ السماح بشرب الخمور علناً.

١٥ ـ السماح بالقتل اغتيالاً وغدراً من دون محاكمة.

١٦ ـ السماح بجمع العقوبات في الإسلام مع السماح بالتعذيب والتفنن بأساليب القتل من أجل التعذيب قبل الموت.

١٧ ـ إعطاء الأهمية القصوى للحديث مع هجر القرآن الكريم.

وأمور كثيرة جداً شرحتها في كتاب دين السلطان.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ الصافات.

وماذا عند أهل الجاهلية من دليل قاطع على أنوثة الملائكة؟ أو أنها سوف تشفع لهم؟ أو من قال لهم بوجود ملائكة يحملون تلك الأسماء التي افتروها هم وآباءوهم وماذا عند المسلمين من دليل على البنود والأمثلة السابقة؟ لذلك نعلم من كتاب الله أن السلطان المبين لا يكون إلا بعلم صحيح عليه برهان أو بكتاب صحيح لا ريب فيه أنه من رب العالمين.

لننتقل بعدها إلى الآيات التي يذكر فيها سبحانه كلمات مثل: (الظلمات ـ النور) ماذا قال الله تعالى عن المؤمنين الذين اختاروا أن يكون الله ولياً لهم:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ ـ ٢٥٧ البقرة.

وماذا يقول الله تعالى عن أولياء السلاطين الذين افتروا له دينه؟

﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُون﴾ ـ ٢٥٧ البقرة.

إن الله تعالى يقول لنا في كتابه الكريم:

﴿...قَد جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ ـ ١٥ المائدة.

وبما أن النور يوحد الرؤية فإنه لا اختلاف ولا تناقض في العلم أو المواضيع العلمية وهذا يشكل القسم الأول من كتاب الله وبما أن كتب الحديث كلها بلا نور أصلاً ولا

علم فيها فالرؤية معدومة والإختلاف على أشده بحيث يجد المتفائلون منهم أنها تحوي ثمانين نوعاً من الإختلاف فقط فهل هناك مجال لخيالات وأوهام وأشباح أكثر من اتباع ثمانين نوعاً في كتاب يسمونه الهدي، إنه يهدي فقط إلى ثمانين سبيل فبشرى لكم أيها المفلسون.

أما قوله تعالى (وَكِتَابٌ مُّبِين) فهذا يقصد الكتاب المدني من القرآن الذي يشرح فيه سبحانه الدين الإسلامي للعالمين.

﴿...قُل هَل يَستَوِى الأَعمَى وَالبَصِيرُ أَم هَل تَستَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ...﴾ - ١٦ الرعد.

لقد تكلمت في هذا الموضوع عند الكلام عن: (آتى الله) وماذا آتى ربنا رسله حتى يعلم المسلم ويكون على يقين كامل بأن رسوله الكريم ليس معه شيء حتى يؤتيه للناس أبداً فقد عاش الرسول الكريم دهراً مع أهل قريش حتى بلغ أربعين عاماً ولم يأتهم بشيء أبداً قبل تكليفه بالرسالة.

والله تعالى يستشهد لنا وللذين يصدقون أن الرسول قد آتاهم بكتب الحديث، فيقول لهم سبحانه على لسان رسوله الكريم متحدثاً عن وحي القرآن الكريم:

﴿قُل لَّو شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوتُهُ عَلَيكُم وَلا أَدرَاكُم بِهِ فَقَد لَبِثتُ فِيكُم عُمُراً مِّن قَبلِهِ أَفَلا تَعقِلُونَ * فَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ المُجرِمُونَ﴾ - ١٦ - ١٧ يونس.

هذه الآيات تنطق بالحق لما نحن فيه اليوم تنبؤاً من الرحمن الرحيم العالم بالغيب كله وهذه هي الحقيقة فمن أظلم منا اليوم ونحن نقول على الله والرسول غير الحق بافترائنا الأكاذيب التي عددت منها بعضها قبل قليل.

وأختم هذا البحث بالآية الكريمة التالية:

﴿فَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُم نَصِيبُهُم مِّنَ الكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَآءَتهُم رُسُلُنَا يَتَوَفَّونَهُم قَالُوا أَينَ مَا كُنتُم تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُم كَانُوا كَافِرِينَ﴾ - ٣٧ الأعراف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف يمكن للمسلم أن يفهم قول الله تعالى:

﴿...وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ...﴾ - ١٣ النساء.

دون أن يتعارض مع الآيات التالية:

﴿قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيكُم مَّا حُمِّلتُم وَإِن تَطِيعُوهُ تَهتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٥٤ النور.

الحقيقة أن في فهم آية النور هذه حل لإشكالات كبيرة وقع فيها المسلمون إضلالاً من فقهاء السلاطين السابقين فحمل الآباء ديناً مغلوطاً من الأساس لعب في تصميمه شياطين الإنس افتراءً وتحريفاً.

لأننا إذا فكرنا ملياً فإن كل من يطيع ويطبّق آيات القرآن الكريم فإنه يطيع الله ويطبق دينه المطلوب في الإسلام.

وهو في نفس اللحظة يطيع الرسول الأمين لأنه هو الذي نطق وبلغ هذا النص المقدس بأمانة مطلقة ولولاه لما سمع الناس بالقرآن، فالمؤمن الحقيقي هو من يتبع ما بلغ الرسول من كلام الله الذي هو وحيه المنزل، فطاعة الرسول هذه لا يمكن فصلها عن طاعة الله أبداً ومن بعد فهمي الشخصي لهذه الحقيقة النورانية بدأت أقول: صدق الله العظيم، ثم أضيف عليها عبارة مكملة لها: وصدق رسوله المبلغ الأمين.

القرآن شهادة للرسول على أمانته الكاملة بالتبليغ عن كل الوحي المنزل إليه بالحرف والله تعالى ينبهنا إلى هذا الموضوع في آيات كثيرة مثل:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ - ٨٠ النساء.

لكن الرسول ليست له أوامر خاصة وطاعات خاصة على المسلمين الذين أتوا من بعد وفاته كما فرضها فقهاء السلاطين خدمة لسلاطينهم وإذا كان للرسول الكريم أوامر وأحاديث خاصة فتلك كانت للمسلمين الذين عاصروه مطبقاً عليهم أحكام الله المستنبطة من القرآن الكريم.

هذه الأمور وضحها الرحمن محدداً مهمة الرسول بالنسبة للدين في آيات كثيرة مثل نفس آية النور السابقة التي تقول في نهايتها:

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٥٤ النور.

ومن يظن أن مع البلاغ شرحاً يكون مخطئاً لأن القرآن عندما نزل لم ينزل على قوم يتكلمون لغتين اللغة الفصحى واللغة العامية.

بل نزل القرآن بلغة قريش الدارجة والمستخدمة وعندها لا يحتاج الرسول الكريم إلى شرح إضافي على شرح الله وتفصيله علماً أن الله تعالى قد أخذ على عاتقه موضوع الشرح والتفصيل بدليل آياته التي تقول:

﴿...وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ إِلَيكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً...﴾ - ١١٤ الأنعام.

﴿وَكُلَّ شَىءٍ فَصَّلنَاهُ تَفصِيلاً﴾ - ١٢ الإسراء.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرءَانُ أَن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِى بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ الكِتَابِ لا رَيبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ - ٣٧ يونس.

قلت مراراً أن القرآن مكون من كتابين هما الكتاب والحكمة ونستطيع أن نقول ونحن مطمئنين أن الكتاب هي الآيات والسور المكية لأنها تحوي على البراهين والعلوم والقصص بشكل عام والحكمة هي الآيات والسور المدنية التي فيها الرسالة والدين وإذا فتحنا القرآن الكريم لوجدنا أن أول سورة في القرآن مكية وهي الفاتحة وآخر سورة في القرآن أيضاً مكية وهي سورة الناس وكل السور المدنية تأتي بين يدي هاتين السورتين وهذا هو التشبيه الذي يتكرر في آيات الله تعالى بقوله:

﴿...وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِى بَينَ يَدَيهِ...﴾ - ٣٧ يونس.

فالسور التي فيها البرهان تصدق لسور أخرى ليس فيها براهين وكل ما فيها شرائع وقوانين وأحكام وأوامر ونواهي ومواعظ من رب العالمين هي السور المدنية.

والقصص مع براهين الله تعالى العلمية كلها من غيبه سبحانه لذلك مثلاً نجد في سورة يوسف التي استشهدت بها أنها تحوي على براهين علمية كثيرة تصدق على صدق كتاب الله كله لأن المعلومات التي وردت فيه ليست من معلومات الإنس والجن وقت نزول الآيات على الرسول الكريم فيقول سبحانه في آخر سورة يوسف إشارة لهذا الموضوع الهام:

﴿لَقَد كَانَ فِى قَصَصِهِم عِبرَةٌ لأُولِى الأَلبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفتَرَى وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِى بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ كُلِّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ١١١ يوسف.

إذا بحثنا في عقيدة كل الشيع والطوائف والفرق الإسلامية لم نجد فيها شيعة أو

طائفة أو فرقة واحدة تطبق كتاب الله وحده بل وجدناهم جميعاً قد اتخذوا مع كتاب الله كتاباً آخر تعتبره الأهم في عقيدتها وفي تطبيقها للدين وهذا هو الدليل الأكبر على إشراك الجميع بالله شيئاً، مثلاً أهل السنة عندهم كتب الحديث أهم من كتاب الله، وأهل الشيعة عندهم كتب علي بن أبي طالب وكتاب الجفري أهم من كتاب الله.

والطائفة الدرزية تعتبر كتاب الحكمة الموجود عندها أهم من كتاب الله.

وهكذا إذا تفقدنا كل الطوائف والشيع والفرق والطرق الإسلامية لوجدنا أن عند كلٍ منهم كتاباً مع كتاب الله تعتبره الأهم عندها من كتاب الله في عقيدتها ثم يستغربون إذا قال لهم أحد حقيقة إشراكهم بالله.

وأن سبب هذا الإشراك كان من الطاغوت الحاكم لتلك الطائفة أو الشيعة أو الفرقة أو الطريقة وكل هؤلاء أولياؤهم الطاغوت:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٢٥٧ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ما معنى الآية الكريمة:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحيٌ يُوحَى﴾ - ٢ - ٤ النجم.

هذه الآيات الثلاث استخدمها فقهاء السلاطين وسيلة من وسائل حرف إتجاه سفينة الدين التي قادها الرسول الكريم مع صحابته على إتجاه بوصلة الرحمن التي تؤشر إليها آيات القرآن ليخرجهم بها من الظلمات إلى النور فعاد أولياء الطاغوت وافتروا كلاماً آخر يناقض كلام الله ويعاكسه حتى أعادوا به الناس كما كانوا إلى الظلمات بعد أن رأوا نور الله تعالى خلال فترة زادت عن نصف قرن من الزمان قليلاً.

وبما أن ما في القرآن كان لا يناسب السلطان لأنه منح حقوقاً للإنسان وهو شاء أن يستعبده ويتسلط عليه ليعيده فرداً في قطيعه القديم لا رأي له ولا حق ولا حرية ولا كرامة، ولكن ليس من السهل على من رأى النور أن يعود بسهوله إلى الظلام وهذا الموضوع يحتاج إلى دهاء وكذب وكيد تزول منه الجبال حَضَّرَ له علماء السلطان الذين جندوا أنفسهم لتلك المهمة مقابل أموال الدنيا وشهواتها دون أن يسألوا عن المظالم التي اقترفتها أيديهم وهم يفعلون ذلك ظلماً للناس ولأنفسهم.

لذلك يقول الله تعالى الذي يعلم ماذا ينتظر المسلمين من بعد الرسول الأمين من مصير أسود على أيدي السلاطين والله يسميهم في كتابه بالطواغيت وسمى سبحانه السلطان المتجبر في الأرض طاغوتاً.

﴿لآ إِكرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ - ٢٥٦ البقرة.

الحقيقة الأولى في إسلام الله أنه لا إكراه في الدين من أحد فالحرية في العقيدة والإعتقاد مباحة ومتروكة للجميع. الحقيقة الثانية في إسلام الله أن من يكفر بكتب السلاطين وقوانينهم وشرعهم ودساتيرهم ويؤمن بالله الواحد الأحد ويتمسك بكتاب القرآن ليطبقه ديناً وشرعاً وقانوناً ودستوراً فرداً وجماعة يكون قد استمسك بالعروة القوية من الحبل وترك كل الحبال الوهمية التي لا تؤدي إلا إلى ضلاله وهلاكه وحبل الله تعالى لا انقطاع له مثل حبل الشياطين وأتباع الطواغيت الذين عشقوا الدنيا وشهواتها وتركوا الله والدين كما تركوا حبل الله الذي هو القرآن المنسوج بالعلم

الحقيقي الصحيح والذي يخلوا من الأوهام والظنون والخرافات والأباطيل.

والله تعالى هو مع الذين اختاروا حبله وهو ولي الذين أمنوا به وبكتابه وحده ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ولا ظن ولا شك فيخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث لا ضياع ولا ضلال تحت ضياء شمس الله الذي هو العلم ومن بعد العلم العمل البناء الصالح على مخططات العلم الصحيح.

والطاغوت الذي يسعى لدنياه يريد أن يخرجهم من نور الله من جديد ليعيدهم عبيداً إلى ظلمات حكمه وسجونه وزنزانات أقبيته.

كل من قَبِلَ اتباع الطاغوت سواء عن فكر أو عن غفلة كلاهما مع طاغوته من أصحاب النار هم فيها خالدون، وهم اتجهوا من نور العلم إلى ظلمات «الجهل والجهالة والجاهلية العظمى التي نحن فيها الآن».

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُون﴾ - ٢٥٧ البقرة.

إن علماء الطاغوت الذين افتروا كتباً مع كتاب الله ارضاءً لولي أمرهم وإشباعاً لشهواتهم من أموال قبضوها ثمن افتراءاتهم كانوا وما زالوا يعلمون أن الله تعالى عندما أنزل آيات النجم التي قرأناها في أول هذا البحث والتي تقول:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحِيٌ يُوحَى﴾ - ٢ - ٤ النجم.

هذه الآيات كانت في أول الإسلام وهي من أوائل الآيات التي نزلت على الرسول الكريم من ربه العظيم.

وعلماء السلاطين يعلمون أن أحداً في ذلك الوقت لم يدَّعِ حديثاً للرسول وكما لم يدَّعِ أحدٌ أيضاً سنةً للرسول بل الجميع كانوا في دهشة مما يبلّغهم الرسول من آيات ربه التي كانت تتنزل عليه تباعاً في مكة فيبلغها ويسمعها لأبناء قومه وعشيرته الأقربين فكيف كانت ردود أفعال الناس من قومه حول ما سمعوا من آيات الله؟ لقد كانت ردود الأفعال مختلفة:

قسم قال: «قد جن» (بمعنى قد لبسه جني ويتكلم فيه)

وقسم آخر منهم ظن أن ما يسمعه هو من سجع الكهان فقالوا عنه كاهن فرد عليهم ربهم بالوحي:

﴿فَذَكِّر فَمَآ أَنتَ بِنِعمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجنُونٍ﴾ - ٢٩ الطور.

فقال قسم آخر أنه شاعر خرج على قواعد الشعر يتمنون له الموت خلاصاً منه ومن المستحدث من شعره.

﴿أَم يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ﴾ - ٣٠ الطور.

وقسم آخر قال بل يتقول وحده ما يشاء لغاية يقصدها وإن كنا لا نعلم ماذا يريد.
﴿أَم يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤمِنُونَ﴾ - ٣٣ الطور.

فيتحداهم سبحانه أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين لأن ما قاله الرسول وما يقوله ليس من طاقة مخلوقات الله بل من طاقة رب القدرة وحده:

﴿فَليَأتُوا بِحَدِيثٍ مِّثلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ - ٣٤ الطور.

بعد هذه الآيات ننتقل إلى سورة أخرى من سور القرآن وهي سورة الحاقة يتكلم فيها(*).

سبحانه أيضاً عن وحيه المنزل على رسوله الكريم فيقول مدافعاً عن رسوله الأمين:

﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤمِنُونَ * وَلا بِقَولِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ - ٤٠ - ٤٢ الحاقة

فما هو إذا حقيقة ما يسمعه الناس من الرسول الكريم؟

بعدها يقول سبحانه الحقيقة للناس:

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ - ٤٣ الحاقة.

والرسول ممنوع من التقول على رب العالمين وقد اختاره ربه أمياً حتى لا يدعي أحد أن ما يقوله هو من علم تعلمه في كتاب، يقول الله لكل المسلمين أن الله تعالى يراقب رسوله وهو سوف يمنعه من التقول على الله بأي شيء حتى ولو شاء:

﴿وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّن أَحَدٍ عَنهُ حَاجِزِينَ﴾ - ٤٤ - ٤٧ الحاقة.

هذه الآيات تصف كيف يمكن أن تكون نتيجة التقول على الله وإن تجرأ به رسول بغير ما أمر به مبلغاً وحياً آخر فإن الله تعالى يصف لنا كيف سيذبحه ولكن بما أن الله

(*) في قواعد اللغة العربية لا يشترط في القول أن يكون لقائله.

يعلم رسوله وأمانته وأنه لن يتقول على الله شيئاً يقول سبحانه بعدها:

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ - ٤٨ - ٥١ الحاقة.

وهكذا إذا عدنا للآيات التي بدأنا بها البحث من سورة النجم:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحِيٌ يُوحَى﴾ - ٢ - ٤ النجم.

نعلم عن ماذا يتكلم الله تعالى للناس ويبلغهم بأن صاحبكم أي الرسول الكريم لم يضل ولم ينطق عن هوىً من نفسه عندما أبلغكم رسالة ربه التي في القرآن والذي كان وحياً من الله أوحي إليه بواسطة (جبريل عليه السلام). ولو أن الله تعالى كان يتخذ من عباده صاحباً وخليلاً لما كان سبحانه غنياً عن العالمين لذلك لم يقل سبحانه (وما ضل صاحبي) بل قال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم﴾ مخاطباً الناس الفقراء للصحبة وللمال وللخليل وللحبيب وللأنيس وللجليس.

أما الله تعالى فمن صفاته الحسنى أنه غني عن العالمين لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يتخذ صاحباً ولا بنتاً وكما لم يتخذ خليلاً ولا خليلةً ولا حبيباً أو حبيبةً.

هل الرسول الكريم معصوم من الخطأ بذاته (مثل الملائكة)؟

هل غيَّرَ الله تعالى رسولنا الكريم محمد ﷺ بعد أن كلفه بمهمة الرسالة الشاقة وأوحى إليه بآيات القرآن الكريم، فجعله إنساناً خارقاً للطبيعة البشرية؟

إذا خرجنا في الجواب عن هذه التساؤلات خارج نطاق آيات الله في كتابه نكون قد دخلنا في مجال الظنون والأوهام، وهي في مجال البحوث والعلوم لا تساوي شيئاً لذلك سوف يكون البحث محصوراً في كتاب الله وحده:

﴿قَالَت رُسُلُهُم أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ يَدعُوكُم لِيَغفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُم وَيُؤَخِّرَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِن أَنتُم إِلا بَشَرٌ مِّثلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأتُونَا بِسُلطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَت لَهُم رُسُلُهُم إِن نَّحنُ إِلا بَشَرٌ مِّثلُكُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأتِيَكُم بِسُلطَانٍ إِلا بِإِذنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾ - ١٠ - ١١ ابراهيم.

إن هذه الآيات والتي يعترف فيها الرسل بأن المعجزات هي من طاقة الله وحده وهو وحده الذي يتمها على أيدي الرسل الوسطاء بينه وبين الناس لذلك فكل المعجزات التي ادعاها علماء السلاطين أن الرسول الكريم قد قام بها والتي نجدها في كتب الحديث لا أصل لها ولا صحة بدليل أنها لم تؤيَّد ولم تذكر في القرآن الكريم هذا إذا علمنا أن كل معجزات موسى وعيسى ذكرها سبحانه بالتفصيل في القرآن فلماذا لا يذكر سبحانه معجزات رسوله محمد ص إذا كان له معجزات كما تدعي كتب الظنون؟

والله سبحانه قد قال على لسان رسوله الكريم معترفاً ببشريته وأنه لا يمتاز عنهم بشيء إلا أن الله تعالى قد مَنَّ عليه واختاره ليكون رسولاً لهم.

﴿قُل إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثلُكُم يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ - ١١٠ الكهف.

وهذا أمر من الله ورسوله واجب الإطاعة من المسلمين جميعاً لأن القائل هو الله تعالى والقول على لسان الرسول الأمين والمطلوب أن يعمل المؤمن عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً من عباد الرحمن مثل رسوله محمد ص مثلاً بجعله شفيعاً لله

لا أصل لشفاعته في القرآن أو بجعل سنةً للرسول غير سنة الله ولا أصل لها في القرآن الكريم أو بجعل حديث للرسول ولا أصل له في آيات الله في القرآن أو بجعل هدي لرسوله محمد ﷺ والهدي كله لله في آياته النورانية في كتاب القرآن الكريم.

ولا أن يتقول أحداً من المسلمين ما يشاء عن رسول الله فيقول هكذا ومن عنده تبرعاً:

بأن: «محمدٌ حبيب الله، محمدٌ صفيُ الله أو المصطفى، محمد كليم الله، وهكذا...» إلى مالا نهاية من الصفات التي لا أصل لها في كتاب الله على الإطلاق.

والناس بطبعهم يحبون أن يتخيلوا رسولهم بصفات فوق البشر حتى يرفعوه ويجعلوا منه إلـهاً.

والرسل الذين هم من البشر يتكلمون مع ربهم بطرائق وإن احتلفت ولكنها لا تتعدى قوانين الله وسنته لذلك يقول الله سحانه:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحياً أَو مِن وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ - ٥١ الشورى.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤمِنُوا إِذ جَآءَهُمُ الهُدَى إِلآ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ - ٩٤ الإسراء.

ومع ذلك فقد أكد الله على لسان رسوله أن يقول لنا:

﴿قُل سُبحَانَ رَبِّى هَل كُنتُ إِلا بَشَراً رَّسُولاً﴾ - ٩٣ الإسراء.

بعد أن انتهينا من بشرية الرسول وتأكيدها ننتقل إلى موضوع آخر متصل به هو هل الرسول معصوم عن الخطأ أي أنه لا يقع في الخطأ مثل باقي البشر وما هي العصمة التي منحت له؟

بدليل آيات القرآن، إذا بحثنا في القرآن لا نجد لهذه الكلمة إلا ثلاث حالات في ثلاث آيات بينات وهي الحالة الأولى:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ﴾ - ٦٧ المائدة.

والمعنى واضح في هذه الآية أي أن الله يجعل من رسوله ذو منعة فلا يستطيع أحد من البشر أن يقتله حتى ولو شاء فالرسول خلال رسالته كان تحت حماية ربه

الدائمة والدليل أن أهل مكة من المشركين عندما تآمروا على قتله، أمره ربه بالهجرة فوراً وحماه من الناس حتى وصل إلى المدينة المنورة وقصة هجرته معروفة في تاريخ السيرة.

الحالة الثانية:

﴿قُل مَن ذَا الَّذِى يَعصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُم سُوءاً أَو أَرَادَ بِكُم رَحمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ - ١٧ الأحزاب.

والآية هنا أيضاً واضحة حيث أنها توضح أنه ليس من قدرة أحد من المخلوقات أن يَعصِم أحداً من الله وليس من أحد يستطيع أن يمنع الخير أو الشر عن أي إنسان طالما أن الله شاء بها فمشيئته قاهرة فوق عباده.

﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾ - ٦١ الأنعام.

الحالة الثالثة:

﴿قَالَ سَئَاوِى إِلَى جَبَلٍ يَعصِمُنِى مِنَ المَآءِ قَالَ لا عَاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ﴾ - ٤٣ هود.

هذه نجدها في قصة نوح مع من كان يظنه إبناً له فيطلب منه أن يركب السفينة معه يرد عنه الغرق فأجاب نوحاً بأنه سوف يلجأ إلى جبل يمنعه من الماء ومن الغرق فيقول له نوح الحقيقة بأنه في ذلك اليوم ليس من قدرة شيء أو أحد أن يمنع إرادة الله من الوقوع لأن الرحمن قد شاء أن يكون الطوفان مع إنقاذ الذين آمنوا وإغراق الذين رفضوا وأجرموا وظلموا وأصبح الأمر حتماً أي واجب الوقوع.

وهكذا نكون قد علمنا أنه لم يكن الرسول الكريم ولا أحد من عباده في الأرض سابقاً أو لاحقاً معصوماً عن الخطأ بل كلهم معرضون للشياطين وفتنتهم ولكن هذا لا يمنع أن الله تعالى دائم الحضور لمنع وقوع الخطأ مع رسله وإن شاء تركهم وسمح للشيطان أن يجول جولته كما حصل مع الرسول الكريم في قصة الغرانيق فألقى الشيطان في أمنية الرسول محمد ﷺ كلاماً لم يكن من عند الله فأتى جبريل بأمر الله مصححاً وناسخاً ما ألقاه الشيطان وأنزل كلام الله العزيز ليظهر الحق على الباطل وليكون درساً لنا دائماً حتى لا نفكر في يوم من الأيام بتأليه رسولنا كما فعل أهل المسيح الذين يعتقدون أن رسولهم قد كان كاملاً وأنه لم يقع في الخطأ والخطيئة أبداً وأنه قد تغلب على الشيطان في إمتحانٍ عظيم لأنه ليس كالبشر وله صفتان الأولى

الصفة الناسوتية وهو أنه بشر كامل، والصفة الثانية هي اللاهوتية وهو أنه إله كامل هذا في معتقداتهم ولكن كيف وصلوا إلى هذه المعادلة؟ يطول شرح ذلك ولكن أهم نقطة كانت عصمته عن الخطأ والخطيئة علماً أننا إذا بحثنا في الأناجيل لوجدنا أن المسيح بحسب ماكتبوه عنه قد وقع في الخطيئة عندما أتته السامرية تسأله بأن يساعدها فأخبرها أنه قد جاء من أجل شعبه فقط وهم أبناء إسرائيل أحباء الله أما غيرهم كائناً من كان ليس من أبناء الله وأحبائه، وفي مكان آخر يشرب فيه يسوع الخمر صانعاً تلك الخمرة بمعجزة من عنده، وخطأ آخر كيف نادى أمه بجلافة قائلاً: يا إمرأة...وهناك الكثير مثل هذه الحالات موجودة في الإنجيل يعرفها أهل المسيح ولكنهم يحرفون تفسيراتها عن طريق التأويل بحيث يجدون لكل حالة مقصداً آخر يدّعون أنه عميق وباطني ليحافظوا على تأليه المسيح أمام المؤمنين به وبتأليه الرسول يعود للطاغوت الشرع والأحكام بدلاً عن شرع الله والطاغوت يرث الرسول ويخلفه في كل شيء وهكذا تقع الشعوب فريسة خدعة الشياطين تحت استبداد السلاطين وجبروتهم فعلاً وتنفيذاً وهم لا يعلمون لماذا كان السلاطين يؤكدون على رفع الرسول باستمرار حتى أوصلوه إلى درجة التأليه في المرحلة الأخيرة.

والرسول الكريم تعرض للفتنه مثلما تعرض غيره من الناس وكادت نفسه أن تميل عن الحق لولا تدخل الله بتثبيته على الحق:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوحَينَآ إِلَيكَ لِتَفتَرِىَ عَلَينَا غَيرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَو لآ أَن ثَبَّتنَاكَ لَقَد كِدتَّ تَركَنُ إِلَيهِم شَيئاً قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقنَاكَ ضِعفَ الحَيَوةِ وَضِعفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَينَا نَصِيراً﴾ - ٧٣ - ٧٥ الإسراء.

والآيات واضحة وهي تبرهن لكل ذي عقل أن الرسول بذاته مثله مثل باقي البشر لا عصمة لديه إلا إذا عصمه الله سبحانه رحمة به فهو الذي كلفه بمهمة صعبة وشاقة يسهل أمامها حمل الجبال ونقلها من مكان إلى آخر.

مثال آخر:

نجد في القرآن كيف عاتب الله رسوله الكريم من أجل عبوسه في وجه الأعمى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَآءَهُ الأَعمَى * وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَو يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكرَى﴾ - ١ - ٤ عبس.

مثال آخر:

في قصة الإفك عندما اتهم الناس عائشة في عرضها وتكلم فيها أصحابه من المؤمنين، الرسول نفسه لم يعلم ببرائتها حتى أتى وحي الله من السماء ببرائتها.

مثال آخر:

عندما امتنع الرسول عن شرب العسل لوحده لم يكن يعلم أنه يحرم على نفسه شيئاً قد حلله الله تعالى فنهاه عنها سبحانه.

مثال آخر:

عندما نوى أن يصلي أو صلى كما تقول الأحاديث على أحد المنافقين واستغفر له الرسول الكريم، نهاه الله أن يصلي على أحد منهم أبداً وكما منعه من الإستغفار لأحد منهم.

مثال آخر:

عندما سأله بعض الناس عن موضوع قال لهم غداً أعطيكم الجواب ظناً منه أن الوحي سوف يأتيه في اليوم التالي كما تعود ولم يقل إن شاء الله تعالى فتأخر عنه الوحي أربعين يوماً حتى يعلّم الله تعالى عبده ورسوله أدب الرجاء والتعامل مع الرحمن كي لا يعود لمثلها.

وأمثلة كثيرة مثلها في كتاب الله وكلها تشير أن الرسول محمد ﷺ بشر مثله مثل كل الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبله يقع في الخطأ فيأتي الله منبهاً رسوله بعد الوقوع فيه والأمثلة عن أخطاء الرسل موجودة في القرآن مثلاً الرسول موسى قتل نفساً فأنقذه الله وعفى عنه والرسول يونس الذي أراد أن لا يبلغ رسالة ربه وأراد الهروب فبلعه الحوت ومن أجل تسبيحه لله أنقذه وبعثه إلى قوم آمنوا به وبربه وكل هذه الأمثلة وضعها لنا سبحانه لنعرف أن كل الرسل والأنبياء هم من البشر مثلنا وأن البشر جميعاً خطاؤون وليس هناك حالة خاصة أو رجل خارق لا يقع في الخطأ إذ قال الله تعالى عن الإنسان:

﴿خلق الإنسن ضعيفا﴾ - ٢٨ النساء.

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ - ٣٤ إبراهيم.

﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ - ١١ الإسراء.

وحتى لا نقع في أخطاء الغير وننقلب على أعقابنا بعد وفاة الرسول وذهابه من بيننا

لأنه بشر قال الله تعالى ناصحاً لنا:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَابِكُم وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهُ شَيئاً وَسَيَجزِى اللهُ الشَّاكِرِين﴾ - ١٤٤ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

تمهيد:
دين الرحمن - دين الحق والحقيقة
دين أرسله سبحانه ليكون دين الرحمة للعالمين.

في هذا الكتاب أبين لشباب المسلمين دين الله، كما بينه سبحانه في كتاب القرآن، حتى إذا شاء المسلم الطموح الغيور على دينه، فأراد أن يتفهمه يعود إليه صحيحاً نقياً كما كان أيام الرسول محمد ﷺ وصحبه الكرام، فيحبه من جديد ولا يخشى أن يلمسه أو أن يمسكه ويقرأه، فإن الله سبحانه لن يحرق عباده لأنهم قرأوا رسالته من غير وضوء يسبقه، ولا يمكن للإنسان أن يتطهر أصلاً قبل أن يعلم ماذا قال الله فيه؟ ثم من بعد فهمه للرسالة ومضمونها وإيمانه بكل تفاصيلها سوف يتطهر ويصلي ويصوم ويفعل ما يأمره به ربه على أحسن ما يستطيع من التطبيق والإلتزام، فيرضى ربه عنه ويرضى هو عن نفسه، وأنا في الحقيقه لم آت بشيء جديد من عندي في كل الكتب الثلاثة التي كتبتها حتى الآن، بل قلت الحقيقة الناصعة مستنداً لحقائق الله وآياته في القرآن، لمن يقصدها من غير تورية أو كناية أو تأويل أو لف ودوران.

فلا تمنعوا أبناءكم وبناتكم من قراءة القرآن بلا وضوء، بل شجعوهم على حب كتاب الله ولمسه وقراءته بلا خوف منه أو من الله، علموهم أن مصدر العلم والمعرفة الحقيقية في الدين هو كتاب الله وآياته، الشاهدة للحق دائماً، إن وضعها على الباطل تدمغه وتظهر خطأ الباطل وتناقضه مع نور الله الحقيقي وبعدها عن الله والدين الإسلامي الحنيف والصحيح. وأنا أستخدم قوة النور والعلم والحق التي تتصف بها آيات الله، لتكون هي الدامغة للباطل الكثير الموجود في ديننا، الذي ورثناه عن آباءنا، وإن كنا نحسن الظن بهم، لكنهم مع الأسف قد وقعوا فيما وقع فيه الذين من قبلهم من الشرك الخفي بالله، وإن كان أغلبنا لا يعلم حقيقة ذلك حتى الآن وكما لا يحب الأكثرية الإعتراف به لأنه سبق ووقع في هوى الحديث.

﴿بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ - ١٨ الأنبياء.

إذا شبهنا أيات الله سبحانه بالبوصلة التي تتجه دائماً للشمال المغناطيسي، فإن آيات الله في القرآن تتجه دائماً للحق، لتدل إلى السبيل الواحد الذي اختاره سبحانه لكل

المؤمنين به من أجل توجيه دفة سفينتهم للإبحار بها عبر بحر الحياة في الدنيا بما فيها من عواصف الأهواء والشهوات وأخطار الشياطين، وعدم الإصطدام بصخور الباطل والأوهام، فمن تمسك بالبوصلة الإلهية الذي هو كتاب الله وحده، نجا ووصل إلى بر الأمان بسلام، وعادت نفسه راضية مطمئنة إلى ربها دون أن تنحرف عن سبيل الله، وأما الذين أضاعوا كتاب الله في الطريق وقبلوا بأن يتسلموا من الشياطين بوصلات جديدة، فقد تفرقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا فيما بينهم في الطرق والسبل الصحيحة، وكل فريق منهم يدعي أنه هو الفريق الوحيد الذي يسير على الصراط المستقيم، ولا يعلم أنه مبحر إلى الجحيم ويكدح للوصول إليه قبل غيره في سباق للشرك محموم، والخلاف فيما بينهم يشتد أحياناً فيقتتلون كما يحدث معهم الآن.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزبِ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٣٢ الروم.

﴿... أَو يَلبِسَكُم شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ...﴾ - ٦٥ الأنعام.

وحتى يعلمنا الله تعالى أن رسولنا بريء مما نحن فيه من تشيع صنعناه، بعد أن تركنا أمر الرسول وخالفناه فتركنا كتاب الله واتبعنا كتباً أخرى، ادعاها رجال دين السلاطين زوراً فاختلفنا فيما بيننا، وأذاق بعضنا بأس بعض، يقول تعالى معلناً براءة الرسول من كل ذلك سبحانه متنبأ عن مستقبل المسلمين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً لَّستَ مِنهُم فِي شَيءٍ إِنَّمَا أَمرُهُم إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾ - ١٥٩ الأنعام.

قد يحتج مشايخ السلطان على هذا المعنى، ليقولوا تأويلاً من عند أنفسهم إن الله تعالى كان يقصد بهم اليهود والنصارى، لأنهم كانوا شيعاً وأحزاباً، فنقول لهم:

«ألم يتفرق المسلمين من بعد الفتنة الكبرى إلى شيع وأحزاب؟»

هل كان للرسول الكريم يد في ذلك التفرق؟

اليوم كل مسلم لوحده أصبح له دينه الخاص، وأنك لن تجد اثنان يتفقان في ما ورد في الحديث، هذا يقبل بحديث عائشة والثاني يرفضه ويقبل بحديث ابن عباس، والثالث يرفض الإثنين ويفضل حديث أبو هريرة، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وحتى لا تحصل هذه الكارثة في الإسلام قال الرسول أمراً لكل المسلمين، وهو أمرٌ صحيح برهنت على صحته سابقاً في كتاب إنذار من السماء، فلماذا لا نطيع الرسول فيما أمر وهو القائل لنا:

«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه.».

إني أحب أن أنبه المسلمين إلى أنه مع وجود سلاح التأويل لا يمكن الوصول بالحوار مع مؤيدي الحديث في إسلام السلطان إلى نتيجة، لأننا حتى لو إكتشفنا وأصبح معنا دليل على أن زيداً قد سرق، وذهبنا إلى أحدهم نشهد أننا قد رأيناه يسرق من الصندوق بأعيننا، لقال لنا شيخ السلطان: صحيح أنكم قد رأيتموه يأخذ من الصندوق، ولكنكم لا تعرفون نيته، إنه لم يكن يسرق بل كان يقترض من الصندوق، إنه كان يريد إعادة ذلك المبلغ، لا أن يأخذه لنفسه، فيخرج الذي أتى ودليل إدانة المجرم بيده، وهو يلوم نفسه على الإستعجال بالشك، بعد ان أقنعه شيخ السلطان ببراءة المتهم، بإختصار شديد إن وضع الحديث في الإسلام اليوم مثل وضع الخمرة في الإسلام، ورأي الرسول والصحابة فيه مثل رأي الله في الخمرة وحكمها في القرآن، فمع أن الله تعالى يعلم بأن في الخمرة منافع للناس، ولكن لعلمه أن ضررها أكبر من فائدتها، فقد منعها كلها ولم يقل لنا مثلاً: يستطيع المسلم أن يشرب كأساً واحداً بعد العشاء، لأنها تنفع ولا تضر كما يقول أصحاب الأهواء من المسلمين الذين يحبون الخمرة اليوم، فماذا قال الله تعالى في الخمرة:

﴿...يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَآ إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَآ أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا...﴾ - ٢١٩ البقرة.

فماذا كان قرار الله في الخمرة في الإسلام:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ - ٩٠ المائدة.

وكما ترون فقد نهى عنها قطعياً، لأن ضررها أكبر من فائدتها، وكذلك الذي يقول في الحديث: «صحيح أن في الحديث كذب كثير، ولكن أيضاً فيه أحاديث جميلة وصحيحة، وإن كانت نسبتها قليلة، ونحب أن نستبقيها»، لكن أمر الرسول والصحابة الكبار واضح وصريح، وأمرهم واجب الإتباع والطاعة، لأن ضرر الحديث الذي يوجد في الإسلام باباً للخلاف والإختلاف أكبر من نفعه، والعودة للقرآن يوحد الشرع والأحكام كما يوحد المسلمين من جديد ويوحد سبيلهم وهذا أولى وأهم.

وهذه الكتب المقدسة أمامكم في التوراة والإنجيل، رغم وجود القليل من نصوصها

التي تتطابق مع نصوص القرآن فإننا لا نأخذ بها كلها لأنها قد حُرِّفت ولعبت بها أيادي أحبارهم، لغايات خاصة فلا نقول بأننا نأخذ بقسم منها ولا نأخذ بالقسم الثاني، وإنما يجب علينا تركها بشكل مطلق.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيْهِ فَاحكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنهَاجاً وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَحِدَةً وَلَكِن لِّيَبلُوَكُم فِى مَآ ءَاتَاكُم فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ ـ ٤٩ المائدة.

من أجل كل الحقائق السابقة وبعد أن بينت للقارئ الكريم ما هو دين السلطان، وعلى ماذا ترتكز أفكاره ومعتقداته، في كتاب كامل أحببت أن أبين له خاصة إذا كان من الذين يحبون الإهتداء إلى الحقيقة ليعلم ما هو دين الرحمن أيضاً في كتاب كامل اطلقت عليه اسم المدخل إلى الحقيقة ـ (دين الرحمن).

مبيناً فيه بالأدلة وبشهادة آيات الله تعالى علم الله ونوره وهديه وسنته وشفاعته ورحمته، مستبعداً ما نهى عنه الرسول الكريم من أحاديث، فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً، وكانت سبباً للخلاف والإختلاف فيما بينهم، وأغلبها كما رأيتم بأعينكم في كتاب «دين السلطان» تناقض بعضها وتناقض القرآن، روايات أغلبها ضال ومُضِل وأوهام بعيدة عن الحق والنور والهدى الحقيقي الموجود في كتاب الله بشكل واضح ومفصل لا يحتاج إلى شرح أو تفسير أو تأويل، بل كل ما يحتاجه هو قلبٍ صافٍ ونية صادقة محبةً لله ولرسوله، تحب التلقي المباشر من نور الله الحقيقي إلى قلب المسلم مباشرة ومن غير وسيط أبداً، عندها سوف يكتشف المسلم من جديد أن دين الله هو دين الرحمة ودين العزة ودين القوة للمؤمنين جميعاً، وهو الدين الوحيد الذي له القدرة الذاتية على رفع المؤمنين بالله وبآياته مع غض النظر عن قومياتهم أو أعراقهم البشرية، من الحضيض إلى المستوى الأكرم اللائق بالإنسان والإنسانية، على مبادئ التراحم والتوادد والتحابب، وتجنب المظالم التي يتفرع منها العنف والإرهاب والقتل والسرقة والنهب والإغتصاب، ويفهم المسلم أن الدين وجد من أجل المحافظة على حقوقه كاملة وحرياته غير منقوصة، ولا يكون لأي إنسان في الأرض حق اغتصابها منه أو حق التسلط عليه لمجرد أن المتسلطين يملكون القوة والنفوذ، وكما رفع سبحانه المؤمنين الذين حملوه مع الرسول الأمين ومن بعده لمدة ربع قرن، فكانت لهم القوة والنور الذي حصلوا عليه

خلال تلك الفترة القصيرة، هي التي أمدت الذين أتوا من بعدهم بقوة الدفع الكافية للإستمرار حتى نهاية الخلافة العثمانية في القرن العشرين، واليوم أصبحنا جميعاً كمسلمين بلا قوة أبداً لأن قوة دفع الإيمان الأولى انتهت منذ زمن قديم، فغدونا جميعاً بلا نور وبلا علم وبلا هدي وأصبحنا كالهباء المنثور في الريح لا رأي لنا ولا قيمة ولا قرار ولا يخشى جانبنا أحد، إن شاءوا جمعونا على رأي ما وإن شاءوا فرقونا، ليختلقوا الفتن مثيرين للخلافات والإختلافات ليوقدوا عليها النيران حتى يقتل بعضنا بعضاً.

والدين الذي عشقناه وما زال أغلبنا يطبقه هو من إختراع علماء السلطان وإفترآتهم ظلماً للرسول الأمين، وإن إتباع هذا الدين المبتدع هو كفر وإشراك والدليل على أنه ليس من عند الله عليه برهان وعلامة منه تعالى في قوله سبحانه:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

وإذا قرأنا كتب الحديث نعجب من كثرة الخلاف والإختلاف، فلا نجد إجماعاً على حديث واحد أبداً إلا إذا كان مناقضاً للقرآن والدليل أمامكم في كتب الحديث التي نقول عنها الصحاح - وما يقوله فريق من رجال الدين لا يقول به الفريق الآخر، حتى ضمن الطائفة الواحدة والمذهب الواحد، فماذا نقول إذا خرجنا إلى طائفة أخرى أو مذهب آخر؟ والذين درسوا الحديث من رجال الدين وعلماؤه صنفوا أنواع الخلاف والإختلافات إلى ثمانون نوعاً، وكان الشيخ أحمد ابن تيمية من الذين اختصروا أنواع الخلاف إلى ست وثلاثين نوعاً، والآن في القرن العشرين يخرج لنا أدعياء بعلوم الدين الإسلامي ليقولوا لنا إن الإختلاف نعمة!!! بدلاً من أن يقولوا أن الخلاف نقمة وإن الإتحاد والوحدة نعمة، وهكذا إنقلبت الأمور والأوضاع بعد أن ضللنا عن سبيل الله، وبما أن رب العالمين يعلم الغيب ويعلم أنه سوف يخرج من المسلمين كثير من الناس وخاصة من أهل الكتاب يحرفون كلام الله، فقد نبهنا سبحانه إلى ذلك في القرآن الكريم في صيغة وصية من رب العالمين لرسوله الأمين، أكدها مرة أخرى في آية لاحقة من نفس السورة:

﴿...وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنهُم مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ طُغيَاناً وَكُفراً...﴾ - ٦٤ المائدة.

ولكن بما أن مشايخ السلطان بيدهم التأويل كما يشاءون فقد أَوَّلوا معنى آيات الله في القرآن الكريم ومنها الآية السابقة، وقالوا أن المقصود بها هو ما رفضه جنود السلاطين من أحاديث وقالوا عنها موضوعة، وادعوا أنهم قد سهروا على الحق والحقيقة، وبدراسة

تاريخ رجال السند الذين رووا الأحاديث، اكتشفوا أنهم كانوا فريقين، فريق من الملائكة لايكذبون ولا يحرفون، فأخذوا منهم وعنهم وهؤلاء كانوا دائماً من رجال الدين المعتمدين عند السلاطين، وفريق كانوا من الشياطين رفضوا أحاديثهم، ولم يأخذوا منهم وعنهم وكانوا غالباً من الأتقياء المخلصين، هذا هو منطق علماء الطاغوت في كل دين.

وما قال عنه مشايخ السلطان أنه صحيح اعتبروه منزلاً من السماء مع القرآن وسموه وحياً، ثم سموه الحكمة، ثم أطلقوا عليه أخيراً اسم السنة النبوية الشريفة، والله سبحانه لم يعط رسوله الكريم توكيلاً منه ليتقول عليه ما يشاء خاصة إذا لم يكن للموضوع شاهد منه سبحانه في كتابه الكريم:

﴿...اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيهِم وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ﴾ - ٦ الشورى.

وحتى نعلم أن الله تعالى لن يقبل من أحد وحتى من رسوله الكريم؛ بأن يتقول عليه ما يشاء، فلقد أنزل سبحانه آيات بينات منبهاً رسوله الكريم ومعه جميع المسلمين:

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّن أَحَدٍ عَنهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذكِرَةٌ لِّلمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾ - ٤٣ - ٥١ الحاقة.

الله تعالى يتكلم عن وحيه وكلامه لرسوله، ويقرر أنه كله من رب العالمين وحده، ليس للرسول الكريم شأن فيه بل هو وسيط للتبليغ فحسب والآيات واضحة تقول بأنه لو تجرأ الرسول وتقوّلَ وحده بعض الأقاويل وقال عنها أنها من الله ماذا يفعل الله به حينئذٍ؟

يقول سبحانه لأمسكناه بيميننا ثم قطعنا له شريان الوتين وهو الشريان الذي يتصل بشريان الأبهر عند الإنسان ويغذي الرأس بالدم عند انقطاعه يحصل الذبح والموت حتماً بعدها، ثم يقول تعالى بعدها: لن يستطيع أحد منكم أن يحجز الرسول عنا ليمنعنا من فعل ذلك به ثم يتابع سبحانه أنه يعلم أن رسوله الأمين لن يفعل ذلك مع ربه ولكن الموضوع كله تذكرة للمسلمين وللمتقين منهم بأن الله تعالى كان يعلم أنه حتى بين صحابة الرسول هناك مكذبين ولو لا وجود المكذبين في صفوف المسلمين لما قال سبحانه «منكم» بدليل أنه سبحانه عندما تحدث عن الكافرين قال الله تعالى «وإنه لحسرة على الكافرين» لأن كتاب الله قد أوقف استغلال أهل السلطة للناس بالتسلط على رقابهم ومنع استغلال أهل الكتاب خاصة من اليهود للمسلمين في موضوع الربا فقد

حرمها الله ولم يعودوا بقادرين على سلبهم أموال المسلمين بالباطل. ثم يقول سبحانه في النهاية أن وحيه الموجود في القرآن الكريم كله من الحق اليقين الذي لا شبهة فيه ولا شك ولا ظن ولا احتمال للخطأ فيه وقد برهنت بواسطة الإعجاز العددي صحة ذلك اليقين بمنطق الأعداد الذي لا يمكن أن يكذبه أحد في كتاب «إنذار من السماء».

هذا عدا الإعجازات الأخرى التي تثبت كلها استحالة أن يكون هذا الوحي إلا من رب العالمين. وهكذا نجد أن الله تعالى إذا سأل رسوله الكريم يوم القيامة: أأنت قلت يا محمد للناس أنك شفيعي وحبيبي المصطفى وإني أنزلت عليك وحياً آخر غير القرآن وقدمت وحدك معجزات لم أذكرها في الكتاب المبين وبدلت شريعتي وأصبحت تعلم غيبي كله وأنا لم أسمح به لأحد في العالمين إلا بشهادة الوحي المنزل والمسجل في كتاب مبين؟

وهذا السؤال نجد له نصاً من رب العالمين بإسم عيسى عليه السلام في القرآن الكريم لنتعظ بما فعله أهل المسيح الذين من حبهم الشديد لرسولهم بالغوا في حبهم حتى جعلوه إلهاً ومنقذاً ومخلصاً لهم من الجحيم، وشفيعاً لهم في الآخرة وذلك كله بدعم من فقهاء واحبار طاغوتهم.

﴿وَإِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابنَ مَريَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَينِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلتُهُ فَقَد عَلِمتَهُ تَعلَمُ مَا فِي نَفسِي وَلآ أَعلَمُ مَا فِي نَفسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلامُ الغُيُوب * مَا قُلتُ لَهُم إِلا مَآ أَمَرتَنِي بِهِ أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم وَكُنتُ عَلَيهِم شَهِيداً مَّا دُمتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد * إِن تُعَذِّبهُم فَإِنَّهُم عِبَادُكَ وَإِن تَغفِر لَهُم فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾ - ١١٦ - ١١٨ المائدة.

وأهل المسيح لا يقرأون القرآن ولم يعترفوا به أصلاً وهذه الآيات موجودة للمسلم المؤمن الذي يقال له أن محمد ﷺ شفيع الله وأنه حبيب الله أو يخصون الرسول الأمين بسنة خاصة به أو هدي خاص به أو حديث خاص به من دون الله ليعرف الجواب من كتاب الله مباشرة في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام خاصة وإن أتباع دين السلطان عند أهل السنة يقولون أن الله طلب من رسوله أن يبين للناس ما أنزل الله. فكان الحديث من وجهة نظرهم وادعائهم أنه بيان الرسول لكتاب الله المبين فهل الكتاب المبين الذي آياته مبينات ومفصلات أحسن تفصيلاً من الله تحتاج إلى بيان

إضافي من الرسول الإنسان الأمي الذي لا علم عنده إلا ما معه من القرآن؟ هذا هو ادعاء أصحاب دين السلطان وحتى لا يكون الحكم لهم أو ضدهم بالهوى والتعصب لا بد أن نبحث في آيات الله تعالى لنبين منه صحة هذا الإدعاء فإلى بحث خاص حول هذا الموضوع في آيات القرآن الكريم.

لاشك أن المسلم الذي قرأ من مقدمة الكتاب (المدخل إلى الحقيقة) دين الرحمن. قد فوجئ بحجم الحقائق والأمور التي كانت غائبة عن أغلب المسلمين، وهل يمكن للمسلم أن يجد الجواب الشافي عن أسباب الضلال وغياب الحقائق إلا ضمن آيات القرآن الكريم؟

فالعلم كله من الله تعالى وهو وحده الذي علَّم الإنسان كل ما يعلم:

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ - ٥ العلق.

دعونا نتلوا آيات الله التالية من كتابه المفصَّل والمبين بذاته والذي لا يحتاج إلى تبيان أو تفسير من أحد:

﴿يَس * وَالقُرءَانِ الحَكِيم * إِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيم * تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيم * لِتُنذِرَ قَومَاً مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُم فَهُم غَافِلُونَ * لَقَد حَقَّ القَولُ عَلَى أَكثَرِهِم فَهُم لاَ يُؤمِنُونَ * إِنَّا جَعَلنَا فِي أَعنَاقِهِم أَغلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذقَانِ فَهُم مُّقمَحُونَ * وَجَعَلنَا مِن بَينِ أَيدِيهِم سَدَّاً وَمِن خَلفِهِم سَدَّاً فَأَغشَينَاهُم فَهُم لا يُبصِرُونَ * وَسَوَآءٌ عَلَيهِم ءَأَنذَرتَهُم أَم لَم تُنذِرهُم لا يُؤمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ وَخَشِيَ الرَّحمَنَ بِالغَيبِ فَبَشِّرهُ بِمَغفِرَةٍ وَأَجرٍ كَرِيمٍ﴾ - ١ - ١١ يس.

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً: كناية على عدم القدرة بالسمو برؤوسهم التي أُخلدت قسراً إلى الأرض مركز الأهواء والشهوات:

﴿وَلَو شِئنَا لَرَفَعنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ - ١٧٦ الأعراف.

والسد الذي من أمامهم والذي من خلفهم كناية عن منع الله تعالى لهم من الرؤية والسمع لحقائق الله بعد اشراكهم بالطاغوت ودعائهم لأحد من الخلق مع الله تعالى وأما قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَن اتَّبَعَ الذِّكرَ﴾ ولم يقل سبحانه: «من اتبع القرآن» والفرق بين التعبيرين شاسع وكبير:

فالقرآن هو كتاب الله المطبوع أو المنسوخ بالحبر على ورق يمكن أن نتصرف به بحيث لا نفتحه أو ننساه أو نرميه وراء ظهورنا مع وجود العلم والخير والنور فيه، أما

الذكر فهو كتاب الله متلواً على لسان عبده المؤمن المتفكر في آيات الله بعقله والباحث عن مقاصد الرحمن هداية لنفسه وبحثاً عن الحق والنور في كتابه الكريم ومتفاعلاً مع أوامر الله ونواهيه متدبراً لها.

بعدها لنتأمل الآية التالية من سورة البقرة:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمعِهِم وَعَلَى أَبصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - ٧ البقرة.

القلب والقلوب والفؤاد بحسب التعبير القرآني هو مركز الفكر والعقل والذاكرة عند الإنسان، جعل الله تعالى عليها ختماً أي حاجزاً حتى لا تتعرف على الحق نقمة من الله تعالى على ظلمها لذاتها بالإشراك بالله العظيم اتباعاً لهوى النفس وقد شرحت سببه بأن العملية ليست سحرية بل حقيقية لأن الذي يؤمن مع الآية بحديث مناقض له لا يمكنه رؤية حقيقة أمر الله في الآية أبداً وهذا هو السر في عدم قدرة كل المسلمين على فهم القرآن وآياته والدليل أمامكم في هذا الكتاب الذي يحوي عشرات بل مئات الحقائق القرآنية التي لم يراها علماء المسلمين إلى اليوم لإشاركهم مع كتاب الله كتباً أخرى منعتهم من الرؤية بوضوح:

﴿أَفَرَءَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ - ٢٣ الجاثية.

أضله الله على علم أي أن الشخص الذي يتحدث عنه الرحمن ليس هو الشخص الجاهل الذي لم يقرأ ولم يكتب بل هو المتعلم ولكنه بدلاً من عبادة الله واتباعه وطاعته اتبع هواه وما كل علماء وفقهاء السوء إلا من هذه الفئة من الناس.

والله تعالى في منع وصول الحق إلى كل من سبق وتلونا آيات الله فيهم لم يظلمهم سبحانه بل هم الذين ظلموا أنفسهم لأن الله تعالى قال مقرراً وهو يصف ذاته:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظلِمُ مِثقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ - ٤٠ النساء.

وإذا كان أي ظلم يصل إلى الإنسان فهو إما من نفسه أو من الشيطان:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظلِمُ النَّاسَ شَيئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ - ٤٤ يونس.

بعدها ننتقل إلى سورة الكهف:

﴿الَّذِينَ كَانَت أَعيُنُهُم فِي غِطَاءٍ عَن ذِكرِي وَكَانُوا لا يَستَطِيعُونَ سَمعاً﴾ - ١٠١ الكهف.

وهؤلاء هم الذين توقفوا عن تلاوة القرآن الكريم تدبراً وتوقفوا عن حب كتاب الله

بعد أن أحبوا الحديث وعشقوه وهم لا يعلمون أنه من تأليف الطاغوت وجنوده وكما توقفوا عن التفكر في آيات الله من أجل جعلها قانوناً وسنةً في حياتهم تطبيقاً بل جلسوا يبحثون وهم يغربلون الأحاديث فيأخذون منها ما يطابق هواهم ويتركون الباقي ولكن بالسكوت عنها وليس بنقضها وإظهار تناقضها مع كتاب الله، ويقولون أنهم مسلمون فإذا كان ما معهم هو وحي صحيح فلماذا يغربلون ويأخذون ببعضه ويتركون البعض الآخر ألم يسمعوا بوحي الله الصحيح في أحسن الحديث يقول:

﴿...أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكفُرُونَ بِبَعضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلا خِزيٌ فِي الحَيَوةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ...﴾ - ٨٥ البقرة.

أليس الذي نحن فيه الآن من عذاب الدنيا هو من خزي الله تعالى ذلاً وهواناً على الله والناس؟

والكافر أو المشرك بعد أن يغادر الدنيا بموته ماذا يقول له الرحمن؟

﴿لَقَد كُنتَ فِي غَفلَةٍ مِّن هَذَا فَكَشَفنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيدٌ﴾ - ٢٢ ق.

ولكن مع الأسف الشديد له فقد فات وقت الإستفادة من رؤية الحق والنور في ذلك اليوم.

بعدها يتابع سبحانه الآيات متمماً المعنى:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَالَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِلخَيرِ مُعتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَأَلقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطغَيتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لا تَختَصِمُوا لَدَىَّ وَقَد قَدَّمتُ إِلَيكُم بِالوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ القَولُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا بِظَلامٍ لِّلعَبِيدِ﴾ - ٢٣ - ٢٩ ق.

الغريب والعجيب أن مسلم اليوم لا يستطيع أن يميز أنه هو المقصود بهذه الآيات وأنه هو الذي جعل مع الله إلهاً آخر هو الطاغوت المتجبر فوق رقبته في حكمه طالما هو في طاعة ذلك الطاغوت، فهذا دليل عبادته له لأن العبادة هي الطاعة، وقال سبحانه مبيناً أن آياته البينات في كتابه بصائر يمكن رؤيتها حتى بالعين إذا آمن بها الإنسان بداية على لسان رسوله الكريم:

﴿قَد جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُم فَمَن أَبصَرَ فَلِنَفسِهِ وَمَن عَمِىَ فَعَلَيهَا وَمَآ أَنَا عَلَيكُم بِحَفِيظٍ﴾ - ١٠٤ الأنعام.

وبعدها يقول سبحانه موضحاً للذين يدَّعون بأن جبريل عليه السلام قد درَّس الرسول الكريم دروساً خصوصية أطلعه من خلالها على غيب الله كله بوحي خاص لم يخبرنا عنه الله في القرآن ولم يسمع به الناس إلا من أوتي العلم من علماء السوء الذين كانوا خدماً للسلاطين:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَستَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمُونَ * اتَّبِع مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلا هُوَ وَأَعرِض عَنِ المُشرِكِينَ * وَلَو شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشرَكُوا وَمَا جَعلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظَاً وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ * وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدوَاً بِغَيرِ عِلمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرجِعُهُم فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ ـ ١٠٥ ـ ١٠٨ الأنعام.

هذا هو منتهى الحرية الفكرية والتي ندعوها نحن اليوم بالديموقراطية الحقيقية يعلنها الله تعالى لرسوله الكريم طالباً منه أن يعرض عن المشركين والكافرين لأنه ليس بوكيل عن الله وليس مسؤولاً عن أفكارهم ومعتقداتهم، وكما يبين سبحانه أن الرسول ليس من حقه أن يشرح ويبسط كلمات الله بإخرى غيرها حتى لا يظن الناس بوجود وحيين أحدهما النص والثاني هو الشرح والبيان حيث قال سبحانه:

﴿وَاتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً﴾ ـ ٢٧ الكهف.

ومعنى ملتحداً بحسب آيات القرآن الكريم «ملجأً» كما في الآية الكريمة. ﴿قُل إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً﴾ ـ ٢٢ الجن.

الله تعالى يقول على لسان عبده: «لو أني بدلت كلمات الله لن أجد بعدها مجيرا أو ملجأً يحميني من غضبه».

﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ ـ ١٨ الجن.

أي أن المساجد لم توجد إلا لعبادة الله وحده وطاعته وحده فإن أشركنا مع الله الطاغوت الذي هو السلطان في هذا نكون قد أشركنا مع الله أحداً ولم نعد من الموحدين أبداً.

وكما لا يجوز الدعاء للسلاطين في المساجد أو بنصرهم في غزواتهم التي يقيمونها من أجل جلب السبايا إلى قصورهم، بل للدعاء لله وحده وعبادة الله وحده وطلب الغفران للمؤمنين من الله وحده وللسجود لله وحده، وما دعاء وعاظ المساجد اليوم

للسلاطين إلا إشراكٌ علنيٌ بالله يتم علناً في بيوت الله.

كل دعاء مع الله لا يقبله سبحانه لبشر أبداً لأنه إشراك بالله صريح والعياذ بالله.

ولما دعا الرسول الكريم الله وحده من دون الدعاء للشفعاء مع الله قامت عليه قريش في مسجد الكعبة وتحلّقوا حوله يريدون الفتك به:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبدُ اللَّهِ يَدعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيهِ لِبَدَاً﴾ - ١٩ الجن.

فيطلب الرحمن من رسوله أن يعلن للناس «ليس لي من الأمر شيء وليس بيدي أن أضركم ولا أن أنفعكم حتى ولو شئت ورغبت وكما أنه ليس تحت تصرفي هدي ولا إرشاد بل الأمر كله بيد الله تعالى يصرفه كيف يشاء ويرغب ووظيفتي تنتهي بتبليغي للوحي الذي أتى مفصلاً من غير حاجة لبيان إضافي من الله تعالى»:

﴿قُل إِنَّمَآ أَدعُوا رَبِّي وَلآ أُشرِكُ بِهِ أَحَداً * قُل إِنِّي لآ أَملِكُ لَكُم ضَرَّاً وَلا رَشَداً * قُل إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً * إِلا بَلاغَاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً﴾ - ٢٠ - ٢٣ الجن.

بعدها يقول سبحانه:

﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً * إِلا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً * لِّيَعلَمَ أَن قَد أَبلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِم وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيهِم وَأَحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ - ٢٦ - ٢٨ الجن.

هذه الآيات الأخيرة إذا تفكر فيها المسلم لوجدها تعني الرسول جبريل عليه السلام الذي يطلعه الله على غيبه المنزل من علم الله من السماء فيحمله الملك الكريم ويجعل سبحانه أمامه وخلفه حرس لحماية السر من المستمعين من الجن الذين يحاولون معرفة غيب الله ويتأكد الرحمن بعدها من إبلاغ الرسالة للرسول من البشر عما وصلهم منها لأن الرسالة في كل عملية إنزال كانت تتبع الإحصاء بأرقام الله تعالى وكانت تأتي دائماً بمضاعفات الرقم تسعة عشر وهي تعداد لأحرف أول آية في القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم)

فأول ما نزل من القرآن الكريم كان بحسب تاريخ السيرة:

﴿إِقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ * إِقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ - ١ - ٥ العلق.

وهي تساوي ستة وسبعون حرفاً أي ١٩ × ٤. وهكذا فإن من تاب وأنكر كتب الظنون وعاد إلى ربه مستغفراً موحداً لربه جعله سبحانه من بعدها قادراً على الرؤية والسمع وأزال عنه الغطاء الذي كان يمنعه من الرؤية والسمع. ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا وَاعتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخلَصُوا دِينَهُم فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ وَسَوفَ يُؤتِ اللَّهُ المُؤمِنِينَ أَجرَاً عَظِيمَا﴾ - ١٤٦ النساء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين وجعلنا سبحانه من التائبين المستغفرين ليهدينا إلى حقه ونوره ويشفع لنا يوم القيامة ويجمعنا في جنته مع رسولنا المبلغ الصادق الأمين لنبلغه حبنا وتقديرنا وامتناننا على ما بذله من جهد وجهاد وما كابده من مشقة وصبر على الشدائد لتبليغ كلمة الحق والشرع صافية مصفاة من دون إضافة أو نقصان بإذن الله لتكون نوراً وسبيلاً واضحاً لله يخرج به الناس من الظلمات إلى النور.

أما أن نرتد بعد هذا النور على أعقابنا ونصبح في جاهلية أكبر من جاهلية أهل مكة القدماء ونجعل لله خليلاً وصاحباً وحبيباً وشفيعاً وندعي للرسول ما ليس له من هدي وسنة وحديث فإن الله تعالى لن يرضى عنا ولن يرضى لنا بل سوف يغضب أشد الغضب وينقم علينا جميعاً.

وما كل ما نراه اليوم من أحوالنا كمسلمين إن لم تكن علائم لغضب الله ونقمته فإنها حتماً ليست من علائم رضى الله ونعمته.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِباً وَلَهواً وَغَرَّتهُمُ الحَيَوةُ الدُّنيَا وَذَكِّر بِهِ أَن تُبسَلَ نَفسٌ بِمَا كَسَبَت لَيسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعدِل كُلَّ عَدلٍ لا يُؤخَذ مِنهَآ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُم شَرَابٌ مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكفُرُونَ * قُل أَندعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعقَابِنَا بَعدَ إِذ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِى استَهوَتهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرضِ حَيرَانَ لَهُ أَصحَابٌ يَدعُونَهُ إِلَى الهُدَى ائتِنَا قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَأُمِرنَا لِنُسلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ - ٧٠ - ٧١ الأنعام.

فالذي يقول لنا اليوم من أصحابنا تعال وانضم إلينا نحن ندعوا إلى هدي محمد إنهم بحسب هذه الآية يشركون بالله ويدعون إلى هدي غير هدي الله تعالى، وكل هؤلاء مع الذين سبقوهم لن يروا نور الله جزاءً وفاقاً حتى يتركوا ويهجروا أفكار الشرك كلها وهذا هو السبب الذي يمنع أغلب المسلمين اليوم من رؤية حقائق الله في كتابه المبين أحببت أن أوضح ذلك قبل أن أبدأ بشرح حقائق الرحمن في كتابه المبين وفقنا الله

تعالى إلى خدمة الإسلام والمسلمين وإظهار الحق والشرع المبين حتى يرضى عنا ربنا رب العزة والرحمة والمغفرة.

والصلاة والسلام على رسولنا الكريم.

﴿قَالَ يَا قَومِ أَرَءَيتُم إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنهُ رِزقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُم إِلَى مَآ أَنهَاكُم عَنهُ إِن أُرِيدُ إِلا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَمَا تَوفِيقِى إِلا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ - ٨٨ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

مدخل إلى الكتاب:

كان موضوع كتابي الأول «إنذار من السماء» شرح الأوضاع القائمة من الناحية الفكرية والتطبيقية لما يطبقه المسلمون ويسمونه دين الإسلام ظلماً، لبعدهم الحقيقي عن جوهر الرسالة الصحيحة وبما أتى به الرسول محمد ﷺ وأمر به وطبقه على الناس لأول مرة في الجزيرة العربية وماحولها من البلاد التي دخلت الإسلام سلماً، وليس حرباً كما يريد كثير من الناس تصويره وتصوره في القرن السابع الميلادي.

وقد حاولت شرح المطبق الحالي، مظهراً النواحي السلبية، مع التنبيه لعدم وجود جوانب إيجابية كثيرة في كل مانطبقه مع الأسف، ونحن نظن أنه دين الإسلام الصحيح ظالمين بذلك أنفسنا. فعمدت إلى كشف الغطاء عن المستور الذي يحاول الكثير من الذين يستفيدون من الأوضاع القائمة بإبقاءها على حالها مع حراسة ذلك السر ومنع التصدي له من أي كان. وإن حاول أحدهم: هاجموه بلا رحمة وهم يصيحون: (ياغيرة الدين لقد ظهر من يخرب ديننا) ويوجهون ذلك لكل من يتصدى بالنقد أو الشرح للدين الذي يفرضونه على الناس على أنه الإسلام الصحيح وشرع الله الحنيف كذباً وافتراء. وهم في كل ذلك لايكون الدين ولايدافعون عنه وإنما يكون ويدافعون عن مصالحهم الدنيوية. وإذا استخدمنا العقل والمنطق لنعرف أين سيقف غالبية الناس من ذلك ماذا نكتشف؟

هل سيقفون إلى جانب من يدافع عنهم ويخاف عليهم وعلى مصالحهم الحقيقية في الدنيا والآخرة؟ أم أنهم سوف يقفون في خندق الباطل مع الذين يأكلون حقوقهم في الدنيا ويحرمونهم حتى من معرفة الحق والله والإيمان كما أتى به كتاب الله رسالة للعالمين؟ سوف يقول لنا العقل أنهم سيصبحون ملكيين أكثر من الملك، وسوف يقاتلون عن الباطل جهلاً وظلماً لأنفسهم لأن أغلبهم لايعلم أي شيء حتى عن حقوقه. فكيف للجاهل أن يعلم الحق؟ ومع علمي بكل تلك الحقائق فقد اخترت أن أكون مع الله سبحانه ومع الرسول ﷺ ومع المؤمنين والمتقين على قلتهم وندرتهم في خندق الحق لأقول الحق، واشهد بالحق، ولا أفرط بالحقيقة خوفاً من شياطين الإنس. فالذي يؤمن أنه مع الله لايحق له أن يخاف من الشيطان بعد ذلك. وقد قال الله سبحانه على لسان ابراهيم في كتابه العزيز:

﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَآ أَشرَكتُم وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُم أَشرَكتُم بِاللَّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ عَلَيكُم سُلطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ إِن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ - ٨١ الأنعام.

والسلطان هنا في الآية السابقة بحسب القرآن هو النص الإلهي الذي عليه برهان من عند الله وليس بين أيدي الناس اليوم مثل هذا النص إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم. والله سبحانه بعد تلك الآية يقرر مَن هو الأحق بالأمن ويقول:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَم يَلبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدُونَ﴾ - ٨٢ الأنعام.

فكشفت فعلاً سرهم وكشفت للناس حقيقة مايدّعون ويفترون بوجود كتاب آخر مع كتاب الله، وبوجود سنة أخرى للرسول ﷺ مع سنة الله. وبوجود حديث آخر للرسول مع حديث الله، وبوجود هدي آخر للرسول مع هدي الله، وبوجود شفاعة أخرى للرسول مع شفاعة الله. وبوجود شريك آخر لله في غيبه وسره وملكوته عندهم، وبينت بشهادة آيات الله سبحانه وتعالى أنه لاشريك له سبحانه في كل مايدعونه، فلا كتاب مع كتاب الله ولا سنة مع سنة الله ولاحديث مع حديث الله ولا هدي غير هدي الله. ولاشفاعة في الإسلام إلا لله وحده لاشريك له ولايعلم الغيب إلا الله وحده، وهذا هو التوحيد الكامل في الإسلام الصحيح لمن أراد التوحيد وسعى إلى سبيله.

ثم بينت وشرحت بالتفصيل مكونات دين السلطان كله واعتماده الأساسي على الظن وعلى روايات متناقضة في مضامينها لنصوص آيات الله الصريحة ويُرى هذا التناقض جلياً في صحيحي البخاري ومسلم. وأن كل مافي تلك الروايات تم افتراؤها بدفع من السلاطين الذين كانوا المستفيدين في الدنيا من تلك الافتراءات. فكان جنودهم يموهون على عامة الناس أهداف السلطان الحقيقية مما يقولون ويفترون على الله والرسول حتى يعطوا القدسية لما يدعون به.

وكان كل ذلك انحرافاً بعقيدة المسلمين، قام به أصحاب الرأي والسلطة دون أن يعيروا أي اهتمام لكل ماورد من الحقائق والعلم والنور في كتاب الرحمن الذي يبين فيه الله سبحانه أن حقوق الناس والأمة تقع دائماً قبل حقوق الحكام، وأن مصلحتهم قبل مصلحة الحكام. وتلك كانت من الحقائق التي لايحبون تذكرها. وقد ساعدهم على تنفيذ خطتهم والوصول إلى مبتغاهم عدم انتشار الطباعة وعدم توفر الورق والكتب

لنشر آيات الله الصحيحة بين الناس. كان ذلك قديماً ولكن ماعذر الناس اليوم بعد أن صار لايخلو بيتُ مسلم من مصحف أو مصحفين؟ ليس لهم عذر إلا أنهم قد أصيبوا بمرض قديم وصفه الله لنا في القرآن الكريم: هو مرض «الآبائية»

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ - ١٧٠ البقرة. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾- ١٠٤ المائدة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - ٢١ لقمان.

هذا هو الجواب الحقيقي لكل المتمسكين اليوم بأفكار الإشراك دون أن يعلموا بأنهم مشركين.

لنستمع للآيات التالية من سورة الزخرف لأنها تصور حقيقة موقفنا تصويراً رائعاً:

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ٢١ - ٢٤ الزخرف.

وقد بينت ذلك كله في كتابي دين السلطان وأثبت أن من يظن بأن آيات الله ليست دائمة أو أنها نزلت فقط لمشركي مكة أو بحسب أسباب النزول ثم توقف العمل بها بعد ذلك فلا يجوز تطبيقها على مشركي كل عصر ومصر مثل مشركي اليوم مثلاً، فإنه مع الأسف الشديد محدود الرؤية والاستيعاب ولم يفهم مقاصد الرحمن من جعل هذا الكتاب كتاباً حياً ورسالةً دائمةً لكل العالمين. وندعو له الله أن يوسع آفاق فكره ومداركه وأن يلهمنا الصبر على الإيمان والثبات على دين الحق وكتاب الحق والنور. وأن يكتبنا من عباده المتقين.

لمعرفة حقيقة ذلك الحق والنور كان لابد لي من كتابة هذا الكتاب «دين الرحمن». الذي أبين فيه دين الله كما بينه سبحانه في كتاب القرآن، حتى يستطيع المسلم الطموح الغيور على دينه أن يفهمه ليعود إليه صحيحاً نقياً كما كان أيام الرسول محمد ﷺ وصحبه الكرام، وأنا في الحقيقة لم آت بشيء جديد من عندي في كل الكتب الثلاثة،

بل قلت الحقيقة الناصعة مستنداً لحقائق الله وآياته في القرآن لمن يقصدها من غير تورية أو تأويل أو كناية أو لف ودوران. ولا أستطيع أن أدعي لنفسي علماً أو معرفة ذاتية بل كان مصدر العلم والمعرفة بالنسبة لي دائماً هو كتاب الله وآياته التي كانت الشاهد لي دائماً، أقيس بها الباطل فتدمغه وتظهر خطأها وتناقضه مع نور الله الحقيقي وبعدها عن الله والدين الإسلامي الصحيح. لقد استخدمت قوة النور والعلم والحق التي تتصف بها آيات الله لتكون هي الدامغة للباطل الكثير الموجود في ديننا الذي ورثناه عن آبائنا. وإن كنا نحسن الظن بهم لكنهم مع الأسف وقعوا بما وقع فيه الذين من قبلهم من الشرك الخفي بالله وإن كان أغلبنا لايعلم حقيقة ذلك حتى الآن.

﴿بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ - ١٨ الأنبياء.

فإذا شبهنا آيات الله سبحانه بالبوصلة التي تتجه دائماً لاتجاه الشمال المغناطيسي، فإن آيات الله في القرآن تتجه دائماً للحق وللصحيح لتدل إلى السبيل الواحد الذي اختاره سبحانه لكل المؤمنين به من أجل توجيه دفة سفينتهم للإبحار بها عبر بحر الحياة الدنيا، بما فيها من عواصف الأهواء والشهوات وأخطار الشياطين والاصطدام بصخور الباطل والأوهام. فمن تمسك بالبوصلة الإلهية الذي هو كتاب الله وحده، نجا ووصل إلى بر الأمان بسلام. وعادت النفس راضية مطمئنة إلى ربها دون أن تضل أو تحرف أو تنحرف عن سبيل الله. وأما الذين أضاعوا كتاب الله في الطريق فسلمتهم الشياطين بوصلات جديدة فقد تفرقوا وضلوا شيعاً وأحزاباً واختلفوا فيما بينهم في الطريق والسبيل وكل منهم يظن أنه هو الوحيد الذي يسير على السبيل الصحيح.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٣٢ الروم.

هذا وقد بينت في هذا الكتاب: «دين الرحمن» علم الله ونوره وهديه الموجود في القرآن الكريم، لعلمي وإيماني بأننا إذا عدنا إليه وحده وفهمناه، بدون الاستعانة بما سبق وكتبوه وأولوه عن آياته من كلام قديم بعيد عن الحق والنور والهدي الحقيقي الموجود في ذات الكتاب بشكل واضح والذي لا يحتاج إلى شرح أو تفسير أو تأويل بل يحتاج إلى قلب صاف ونية صادقةٍ مُحبّةٍ، تحب التلقي المباشر من نور الله الحقيقي إلى قلبه عن طريق كتاب الله. عندها سوف يكتشف المسلم من جديد أن دين الله هو دين الرحمة ودين العز ودين القوة والدين الذي له القدرة الذاتية على رفع المؤمنين به

بغض النظر عن قومياتهم أو أعراقهم البشرية من الحضيض إلى المستوى اللائق بالإنسان والإنسانية، على مبادىء التراحم والتوادد والتحابب وتجنب الظلم والمظالم والقتل والعنف. كما رفع بها الذين حملوه بعد الرسول لمدة ربع قرن واحد فقط، وكانت القوة والنور الذي حملوه خلال تلك الفترة القصيرة، هو الذي أمد الذين أتوا من بعدهم بقوة الدفع الكافية للاستمرار، فقد كانوا يستمدون القوة من تلك الدفعة السابقة التي حصلت قبلهم. كما يستمدون النور من ذلك النور الذي أضاء في تلك الفتر ة القصيرة من تاريخ الإسلام الصحيح. واليوم أصبحنا بلا قوة لأن قوة الدفعة الأولى قد انتهت منذ زمن قديم. واصبحنا أيضاً بلا نور، لأن النور الذي صدر عنهم أيضاً انتهى أثره منذ زمن قديم.

إنني أطرح تساؤلات عديدة أمام نفسي وأمام القارىء وأحاول الإجابة عليها:

١ ـ ماهو الإسلام وماهي شروطه؟ مبيناً أنه ليس في الإسلام شيء اسمه إسلام مفصول عن الإيمان بل كلاهما واحد.

٢ ـ ماهو الإيمان وماهي شروطه؟ علماً بعدم وجود فرق بين الإسلام والإيمان في المعنى.

٣ ـ ماهو الصراط المستقيم وماهي الكبائر (كبائر الإثم) العشرة؟

٤ ـ ماهو الحلال والحرام في دين الرحمن؟

٥ ـ ماهي حدود الله تعالى؟

٦ ـ ماهي العبادات؟ وهي خمسة:

أ ـ تلاوة القرآن وهي القراءة لآيات الله في القرآن وهي أول العبادات وأهمها لأن المسلم يفهم دينه بواسطتها.

ب ـ الصلاة

ج ـ الزكاة.

د ـ الصوم.

هـ ـ الحج.

٧ ـ ماهي قوانين الله في التطور على الأرض؟

٨ ـ ماهو العلم؟

٩ ـ ماهو العمل؟ شروط العمل ـ أهمية العمل في الإسلام الصحيح.

١٠ ـ دور الرجل والمرأة في الإسلام حقوقهما وواجباتهما.

١١ ـ الربا وأثره السيء في دمار المجتمعات الإنسانية.

١٢ ـ الرق والعبودية في الإسلام.

١٣ ـ ماهو السر في كون المؤمن الموحد فعالاً؟

١٤ ـ كيف يعود الراغب إلى دين الرحمن من جديد؟

١٥ ـ القرآن برهان ورسالة.

١٦ ـ تأملات في سورة يوسف.

١٧ ـ هل الشرك ظلم عظيم في حق الله أم في حق الإنسان؟

١٨ ـ هل العبادات في الدين وسيلة أم غاية.

١٩ ـ هل الدين ضروري في حياة الإنسان؟

٢٠ ـ أهمية فصل أخلاقيات الإسلام بالنسبة للكتاب.

أخلاقيات الإسلام التي على المسلمين تطبيقها:

١ ـ التراحم والتوادد وصلة الرحم وبر الوالدين.

٢ ـ المحبة، الرأفة، الشفقة، الرفق، العطف، المغفرة.

٣ ـ الشفاعة.

٤ ـ الصدق.

٥ ـ الوفاء بالعهود.

٦ ـ الإخلاص.

٧ ـ الاستقامة.

٨ ـ الأمانة.

٩ ـ حفظ اللسان، وحفظ السر والأسرار.

١٠ ـ الإحسان وخاصة لليتيم والمسكين وابن السبيل.

١١ ـ التقوى.

١٢ ـ الخوف ـ والخشية من الله.

١٣ ـ النصيحة والموعظة.

١٤ ـ التعاون.

١٥ ـ الصبر ـ احتمال الأذى.

١٦ ـ المراقبة.

١٧ ـ الحكمة.

١٨ ـ الحياء.

١٩ ـ الحلم والأناة.

٢٠ ـ المشورة والشورى.

٢١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٢ ـ العدل.

٢٣ ـ التوبة والاستغفار.

٢٤ ـ الإصلاح.

٢٥ ـ الكرم.

٢٦ ـ الشجاعة.

٢٧ ـ العزة.

٢٨ ـ الوقار والسكينة.

٢٩ ـ السعادة.

٣٠ ـ الدعاء ـ التمني ـ الرجاء.

٣١ ـ العبادة.

٣٢ ـ التوكل.

٣٣ ـ الطاعة.

٣٤ ـ الرضى والقناعة.

٣٥ ـ الشكر.

٣٦ ـ الذكر ـ والذاكرون.

٣٧ ـ التسبيح.

٣٨ ـ الشهادة.

٣٩ ـ الثبات.

٤٠ ـ الطيب ـ الطيبون.

«تذكير لا بد منه»

الكتاب كله عبارة عن أسلوب جديد وطريقة معاصرة لفهم كل مواضيع القرآن وكلماته من خلال آيات الله وحدها ومن سياقها، دون الحاجة للجوء إلى التفاسير القديمة والتأويلات المغرضة التي تعبر عن آراء أصحابها أكثر من إعطاء المعنى الصادق والصحيح للآيات القرآنية الصافية المبينة والمفصلة وحدها.

على القارىء الكريم الراغب بفهم إسلام القرآن على حقيقته من جديد كما شاء له الرحمن بعد ازالة كل الانحرافات التي شاء الذين حاولوا تأويل آيات القرآن الكريم من خلالها إرضاءً لأصحاب السلطة والمصلحة، من أجل تحصيل مصالح وأهداف دنيوية، متناسين مصالح الناس الذين هم الأساس في دين الله.

الرحمن هو الذي أرسل الرسل والرسالات لكل الأمم في العالمين من أجل هدايتهم إلى سبيله الوحيد الذي به تتحقق المصلحة العامة للعباد في الدنيا والآخرة بعكس كل شرائع الأديان المطبقة حالياً تتحقق به مصلحة الأقلية الغنية المتسلطة.

والعودة إلى الإيمان بكتاب الله وحده الذي هو حبل الله على الأرض وسبيله الذي أرسله ليكون هدى ونوراً للعالمين. وبتطبيق كل فقرات وبنود ذلك الكتاب والالتزام به لابد أن نعود أعظم أمة في العالم، وندعو إلى حضارة حقيقية في الأرض هي حضارة الإسلام، لنبني بأيدينا وقوة سواعدنا الجنة الأولى التي كلفنا ربنا بإنشائها في الاستخلاف على الأرض. ونستحق بعد نجاحنا كأمة أيضاً جنة الله في السماء. لكن هذا لايمنع أن يكون الأفراد الملتزمين الذين اتبعوا الرحمن وطبقوا كتاب الله وحده أن لاينجحوا في الدنيا والآخرة. فلكل ملتزم بسبيل الله أجره في الأرض وفي السماء ولن يضيع الله أجر المحسنين أبداً. هذا وأحب أن أنبه القارىء الكريم إلى ماقد يجده في هذا الكتاب من تكرار لبعض الأفكار، أن لايعتبر ذلك من أخطاء السهو والنسيان بل قصدت ذلك التكرار لأن أغلب تلك الأفكار مازالت جديدة على سمع المسلمين وفكرهم، وقد تعودوا خلال عصور طويلة وسحيقة أن يسمعوا.

عكسها دائماً، فأحببت عن طريق إعادة بحثها أن يتعودوا عليها من جديد ويناقشونها في عقولهم وأفكارهم في كل مرة ليزدادوا اقتناعاً بما يمليه العقل بدل التي كانت تمليه الأهواء والعواطف الخا دعة غالباً.

أخيراً:

بحث الكتاب:

التقويم الهجري والأشهر الحرم

١ ـ ما هو الإسلام وما هي شروطه:

في الحقيقة ليس في الإسلام الصحيح تمييزاً بين المسلم والمؤمن بحيث نقول إسلام ونقول بعد ذلك أركان الإسلام ثم نقول بعدها الإيمان ومن ثم أركان الإيمان.

هذا الإختلاف أوجدته الظروف المحيطة بالمعتقدين بالإسلام ديناً خاصة بعد إنحراف المسلمين عن الإسلام الصحيح من بعد الفتنة الكبرى وما أتى بعد ذلك من أحداث وإلى اليوم.

ففي عصر الرسول الكريم وجدت حركات سياسية مناوئة للإسلام ومبادئه وأعلنت الحرب ضد الإسلام ووصل الخلاف حد الدخول في إشتباكات حقيقية للقتل والقتال ومن الزعامات المناوئة كانت عائلة الأمويين ضد العائلة الهاشمية على اعتبار أن العقلية الجاهلية كانت ما تزال مسيطرة في الجزيرة العربية فالأموي وغير الهاشمي كان لا يرفض الحق لمجرد أنه حق بل لأن الذي يدعوا إليه من أسرة كان الأموي يعتبرها أقل مكانةً وشرفاً وعزةً من أسرته وكذلك رؤساء القبائل العربية كان لهم أسباب مشابهة لأسباب الأمويين وبدون أن يستسلم هؤلاء للحركة الدينية السياسية الجديدة لا يمكن للرسول وأصحابه متابعة البلاغ والتبليغ للعالمين فالإسلام لم يكن منذ البداية ديناً لقبيلة أو عشيرة بل أرسلها الله تعالى لتكون للناس كافة وكيف يمكن للمؤمنين أن يواجهوا خطر مواجهة الروم والفرس الذي أصبح مواجهتهم بالقوة حتمياً وما يزال في الجزيرة العربية حركات مناوئة للإسلام لم تنطفئ جذوتها بعد؟

وأنا كرجل بدأ حياته الأولى في الجيش ودرس علومها وتاريخها إلى ما بعد مستوى كلية الأركان أعلم أن ذلك مستحيل!!

وإن كنا نحن كمسلمين أغلبنا لا يعلم هذه الحقائق لكن الله تعالى كان يعلم بها لذلك سمح لرسوله الكريم بحرب ضد كل الحركات السياسية في الجزيرة العربية وطلب من الرسول أن يقاتلهم حتى يرموا السلاح ويعلنوا استسلامهم بعد أن ينطقوا ولو باللسان: «أشهد أن لا إله إلا الله». حتى وإن لم يكن ما يقابل ذلك القول من إيمان في القلب.

وهذا لم يكن حرباً من أجل نشر اللاإسلام كما شاء سلاطين المسلمين تصويره للناس

من أجل متابعة نفس الحروب وإلى ما لا نهاية من أجل حرب غايتها السلب والنهب وسبي العذراوات لتصدر إلى قصور السلطان تحت إسم الله والجهاد الإسلامي كذباً وبهتاناً ومن أجل إنشاء جنتهم على الأرض لأنهم كانوا بحاجة «للحور العين» وحروب السلاطين كان مصدرها.

والله تعالى لم يغير سنته ولن يغيره من أجل أحد فالإسلام لايمكن نشره بين الناس بالسيف أبداً والدليل موجود في كتاب الله المبين وفي آياته البينات لاتحتاج لتأويل أو تفسير أو شرح إضافي:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ...﴾ - ٢٥٦ البقرة.

والله تعالى يقول لكل المسلمين من بعد رسوله المبلغ الأمين حقيقة كبرى يتغاضى عنها المسلمون في الأرض إلى اليوم:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ - ٩٩ يونس.

وحرية العقيدة بالنسبة للإنسان من أهم الحريات التي منحها الله تعالى للإنسان حتى قبل أن يفكر المفكرين بحريات الإنسان وحقوقه في العالم:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ...﴾ - ٢٩ الكهف.

وكما قلت لقد سمح الله تعالى لرسوله الكريم وخلال حياته فقط بحرب خاصة يستطيع سبحانه أن يقودها بالتدخل بالوحي في أي وقت يشاء من أجل تنظيف الجزيرة العربية من المناوئين السياسين وليس من أجل نشر الإسلام والإيمان أبداً وعندما شهد أبو سفيان بعد فتح مكة بالشهادة لا يعلم أحد إلا هو والله تعالى إن كان قلبه مطمئناً للإيمان لأنه قالها مكرهاً بالسيف والقوة ولكن الله تعالى الذي يعلم ذلك ومن أجل أن لا يعود إلى رفع السيف من جديد، عندما تحين له الفرصة جعله هو وزعماء الحركات السياسية من المؤلفة قلوبهم يدفع لهم رسوله من أموال الزكاة وأموال الفيء (غنائم الحرب) تأليفاً لقلوبهم التي كانت تكره الإسلام والله تعالى لم يأمر رسوله بتوزيع مئات الإبل على زعماء القبائل لكونهم من الفقراء والمساكين بل كان يعلم أنهم من الأغنياء والمترفين، لكنه مع ذلك كان يعلم أنهم يحبون المال حباً جماً وكان في قلوبهم كراهية قديمة للإسلام والمسلمين.

لقد كان السبب الوحيد للتكرم عليهم هو تأليف قلوبهم وتحبيبهم بالإسلام لعلم الله تعالى بقلوبهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِى الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ - ٦٠ التوبة.

والحرب التي أعلنها سبحانه ضد كل هؤلاء جعلها بإسم الرسول الكريم وحده ولم يكلف بها المسلمين. لماذا؟ لعلم الله تعالى بأن نفس الرسول سوف تنتهي بموته وينتهي معه هذا النوع من القتال الذي شرح الله سببه في القرآن الكريم وقال عنه:

﴿...عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ - ٨٤ النساء.

وليس من أجل الحصول على إيمان منهم كما قرأتم في الأية المبينه.

فالحرب لم تكن وسيلة ناجعة من أجل نشر العقائد يوماً من الأيام حتى يجعلها سبحانه سنةً في الإسلام فمنطقة الكفر والإيمان لا سلطة للقوة والسيف عليها أبداً فهي محفوظة في سر الإنسان وضميره ووجدانه الداخلي الذي لا اطلاع عليه إلا لرب العالمين وحده. فقال الله تعالى موجهاً القول إلى رسوله الكريم بالذات:

﴿فَقَاتِل فِى سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفسَكَ وَحَرِّضِ المُؤمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ - ٨٤ النساء.

ولو شاء الله الذي بأسه أشد بكثير من بأس المؤمنين جميعاً لخلق الناس مؤمنين بقوة الخلق مثل الملائكة لذلك نبه إلى ذلك أيضاً سبحانه قبل نهاية الآية ذاتها:

﴿...وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ - ٨٤ النساء.

ولكن هكذا كانت مشيئة الله الذي أراد أن يذيقهم بأس المؤمنين واليوم نقتتل فيما بيننا كمسلمين ليذيق بعضنا بأس بعض كمسلمين خرجوا عن سبيل الله:

﴿قُل هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذَاباً مِّن فَوقِكُم أَو مِن تَحتِ أَرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيعاً وَيُذِيقَ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾ - ٦٥ الأنعام.

والله تعالى كان يعلم أن ترك اليهود بين ظهرانيهم في الجزيرة العربية من أخطر الأمور على المسلمين فأمر رسوله بإخراجهم منها جميعاً بالقوة لأنه لا عهد لهم ولا ذمة ولا ميثاق يمكن أن يركن إليهم إنسان أبداً فهم أسباب الفتن والمؤامرات دائماً وأبداً لمرض في أنفسهم ورثوه في دينهم المحرف والمبدل عن دين الله الصحيح الذي كان عليه رسلهم وأنبيائهم الصالحون.

لنستمع أولاً إلى الآية التي تتحدث عن أهل الكتاب في المدينة من بعد ما ظهر

تآمرهم مع الكافرين الذين تجمعوا لحرب المؤمنين في غزوة الخندق (الأحزاب):

﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ - ٢٦ - ٢٧ الأحزاب.

ومن بعد ذلك أخرج المسلمون الباقين من أهل الكتاب والذين كانوا في خيبر من الجزيرة العربية كلها بقدرة الله ونصره للمؤمنين:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ - ٤ الحشر.

في آية الحشر التي وردت في سورة الحشر إشارة هامة جداً لم يلتفت إليها المسلمون جميعاً في تاريخهم الطويل وهي الكلمة التي وردت في العبارة:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ...﴾ - ٤ الحشر.

فماذا تعني عبارة لأول الحشر:

إن كل من يدرس الدراسات العليا في العلوم العسكرية يعلم أن كل عملية حربية كبيرة في التاريخ يسبقها شيء يطلق عيه بالتعبير العسكري الحشد كما فعلت مثلاً أمريكا في حرب الخليج إذا حشدت في منطقة الحرب المخطط لها مئات الألوف من الجنود المدججين بأحسن الأسلحة المتطورة في العالم من الدبابات والطائرات وحاملات الطائرات وقاذفات الصواريخ وغيرها هذه العملية التي نسميها اليوم بالحشد يسميها رب العالمين هنا في سورة الحشر بالحشر وهو من أجل قتال الروم والفرس لأن مواجهتهم بالقوة أصبحت حتمية فلا بد من الإستعداد لها بما يوازي علي الأقل من القوى للتفوق عليها معاً لأن المواجهة سوف تكون ضد الإمبراطوريتين معاً.

الأولى على الأرض التي نسميها اليوم بالعراق ضد قوات الفرس والثانية على الأرض التي تسمى سورية الطبيعية وضد قوات الروم، علماً أن هذه الحرب من ناحية التوقيت أتت في الوقت المناسب لأن إدراك كل العرب في الجزيرة العربية لوجود هذا الخطر

الخارجي بشكل حقيقي ومباشر كان عاملاً لتوحيد صفوف العرب ضد الخطر الخارجي وإن كانت قلوبهم من الناحية الإعتقادية لم تكن متحدة بعد فالخطر الخارجي المباشر أنساهم خلافاتهم الداخلية وهذه قاعدة في كل الأمم يعلمها رب العالمين الذي خلق الناس جميعاً وخلق فيهم كل هذه الإستعدادات والإتجاهات النفسية.

وهكذا نجد أن الله تعالى بعد أن أخرج اليهود من الجزيرة العربية واستتب الأمر كله في حكم الجزيرة للمسلمين أنسى سبحانه الآية التي كانت تخصص للأغنياء من زعماء القبائل أمثال أبو سفيان وصفوان بن أمية والأقرع بن حابس وغيرهم حصص من بيت المال من الزكاة أو من الغنائم فأوقفها الله تعالى بعد تلك الآيات التي ذكرتها سابقاً من سورة الحشر:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنِ السَّبِيلِ كَي لا يَكُونَ دَولَةً بَينَ الأَغنِيَاءِ مِنكُم وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٧ الحشر.

والآية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى توضيح إضافي فإن الآية التي كانت تخصص جزءاً من أموال المسلمين من أجل ظروف كانت موجودة سابقاً لضعف في قوة المؤمنين انتهت فلا داعي بعدها من الدفع للأغنياء من المؤلفة قلوبهم حتى لا تكون أموال المسلمين دولة(*) بين اللأغنياء منهم، وهكذا يتبين لمن يقرأ القرآن وآياته أن الذي أوقف الدفع للمؤلفة قلوبهم لم يكن هو عمر بن الخطاب كما روج له فقهاء السلطان بل الأمر كان من رب العالمين وفي كتابه المبين وأوقفه الرسول الكريم في حياته وليس بعد وفاته.

والذي يتكلم عنه الله تعالى في قوله في الأية السابقة:

﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا...﴾ - ٧ الحشر.

لا تتكلم كما رأيتم عن حديث الرسول وسنته الخاصة التي يدعيها فقهاء السلاطين وإنما تتحدث عن الأموال: فما أعطاكم الرسول منها فخذوها لأنها حقكم وإن منع الرسول منها أموالاً كانت تعطى للأغنياء من المؤلفة قلوبهم أيضاً انتهى أمرها فانتهوا أيضاً أنتم عن إعطائها من بعده لهم.

ولكن السلطان وعلماؤه لا يشاؤون أن يفهمها على ذلك الشكل أحد، لأنهم يريدون كل الأموال لأنفسهم في وحي خاص بهم دون أن يحسبوا حساباً لله تعالى

(*) دولة: بمعنى للتداول.

الذي يعلم سرهم وعلانيتهم ولعلم الله تعالى أن الإيمان الذي ادعاه الأعراب من بدو المدينة الذين عندما أمرهم الرسول الكريم بالقتال تخلفوا عنه فيرد عليهم سبحانه قائلاً ومبيناً للناس حقيقتهم:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِر لَنَا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم مَّا لَيسَ فِي قُلُوبِهِم...﴾ - ١١ الفتح.

والذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه هو المنافق والله لا يستحي من قول الحق فقال عنهم:

﴿مَا كَانَ لأَهلِ المَدِينَةِ وَمَن حَولَهُم مِّنَ الأَعرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرغَبُوا بِأَنفُسِهِم عَن نَّفسِهِ...﴾ - ١٢٠ التوبة.

﴿وَمِمَّن حَولَكُم مِّنَ الأَعرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِن أَهلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعلَمُهُم نَحنُ نَعلَمُهُم...﴾ - ١٠١ التوبة.

لذلك عندما قالت الأعراب آمنا ماذا قال لهم ربهم الذي يعلم بحقيقة نفاقهم:

﴿قَالَتِ الأَعرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّم تُؤمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسلَمنَا...﴾ - ١٤ الحجرات.

أحببت أن أبين هذا الفرق بين الإيمان الحقيقي وبين الإدعاء بالإسلام الذي هو نفاق من آيات الله تعالى حتى يعلم أغلب مسلمي اليوم أنهم مسلمون بالهوية فقط مثل إسلام الأعراب قديماً أما الإيمان الحقيقي الذي من كتاب الله المبين لم يدخل عقولهم (قلوبهم) بعد، وكل أحبار السلاطين مثل أعراب المدينة القدماء لم يروا نور الله بعد ولن يروه أبداً طالما استمروا بالمحافظة على معتقداتهم مؤمنين بصحة ضلالاتهم من دون أن يفتحوا كتاب الله المهجور منهم جميعاً.

لذلك ولكل ما تقدم فعلى الإنسان الذي يسعى من جديد إلى الإيمان الصحيح بدين الإسلام الذي أنزله سبحانه على كل أنبيائه ورسله وخاصة ما كان منه للناس كافة ونزل على رسول الإسلام وخاتم النبيين محمد رضوان الله وسلامه عليهم جميعاً أن يعلم بأن كل ما قيل له عن الإسلام وشروطه وأركانه مفصولاً عن الإيمان وشروطه وأركانه لا وجود لها في إسلام الله إذ لا فصل بين الإسلام والإيمان أبداً إذا كان صحيحاً وإذا تم الفصل بينهما كان من حصة من أسلم فقط هو النفاق ومن حصة من آمن كان الإسلام والإيمان معاً لأنه آمن بالله ورسله وكتبه ولم يفرق بين أحد من رسله وآمن بالغيب عما قرأ منه في الكتاب المبين عن الجن والملائكة والصور والكرسي

وسدرة المنتهى دون أن يتجاوز حدود ما قرأه في كتاب الله المبين وآمن من بعد هذا كله أن الكتاب الوحيد الذي لم يحرف هو القرآن العظيم وأن باقي الكتب قد حرفت وبدلت لا يجوز الإيمان بما ورد فيها أبداً، بل عليه الإيمان فقط بما ورد منها صحيحاً في كتاب القرآن وقد برهنت في كتابي الأول أن رسالة عيسى وموسى عليهما السلام موجودتان ومحفوظتان في القرآن الكريم لمن أراد من أهل الكتاب أن يعود إلى الصحيح منها.

لذلك سوف أكتفي في كتابي هذا بالكلام عن الإيمان وشروطه بعد أن علمنا أنه لا يمكن الفصل بين الإيمان والإسلام أبداً إلا لمن أراد أن يحرف المسلمين عن سبيل الله الصحيح وإلى سبل الشياطين وتفريقهم شيعاً يذيقهم الله بأس بعض غضباً منه سبحانه ويذيقهم عذاب الذل والهوان في الأرض كما يذوقه جميع المسلمين اليوم.

٢ ـ الإيمان وشروطه:

لابد أن يكون مصادر كل الدين بالنسبة للمسلم الذي شاء أن يؤمن بالله باختياره هو كتاب الله المبين وحده فماذا نجد في ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه عن الإيمان وشروطه؟

بداية، نجد أن معنى الإيمان بدليل لغة القرآن وآياته هو: الأمن.

﴿...فَإِن أَمِنَ بَعضُكُم بَعضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ...﴾ ـ ٢٨٣ البقرة.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرضَ...﴾ ـ ٤٥ النحل.

وكذلك نجد أن معنى الآية التالية:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلآ إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَكِن لا يَعلَمُونَ﴾ ـ ١٣ البقرة.

إذا أمن إنسان جانب إنسان آخر معناه أنه وثق به عن تجربة ثقة تامة فلم يعد يخشى من بعد ذلك جانبه أبداً. وبالتالي يؤمن بإخلاص ذلك الإنسان وصدقه وكذلك العبد الذي يأمن جانب ربه ويعرف تماماً ماذا يريد منه ويعلم أن كل ما في كتاب الله من أجل منفعة الإنسان ومصلحته بالكامل وليس لله تعالى منفعة ولا مصلحة من إيمان العبد وطاعته وعبادته بل أن الله تعالى أرسل له الرسل والرسالات رحمة خالصة منه سبحانه الرحمن الرحيم.

هذا الإنسان الذي يؤمن بكل ذلك ويأمن جانب ربه ويعرف تماماً ماذا يريد الله منه أن يفعل فيسلم أموره من بعدها لربه بداية ثم يزداد أمناً وإيماناً يوماً بعد يوم بأنه وضع الثقة لمستحق ثم يزداد إيمانه حتى يبلغ درجة المتقين من عباد الله الصادقين الذين لا يمكن زعزعتهم عن إيمانهم وهؤلاء ليس للشيطان فيهم حصة بإعتراف إبليس نفسه الذي اعترف بعجزه عن فتنة هؤلاء المتقين المستندين دائماً على صخرة العلم المسنودة بالقرآن الكريم وآياته:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغوَيتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِى الأَرضِ وَلأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ ـ ٣٩ ـ ٤٠ الحجر.

هذا هو الإيمان ودرجاته وعكس الإيمان هو الكفر، والكفر بلغة القرآن وآياته هو بمعنى النكران والإنكار والستر والتغطية، بعد هذه المقدمة السريعة عن معنى الإيمان ومصدره لننتقل إلى الآية الكريمة في القرآن والتي تحدد شروط الإيمان وتعدادها:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ - ٢٨٥ البقرة.

من صفات آيات الله البينات الإختصار فليس فيها حشو ولاكلمات زائدة لذلك على الذي يبحث عن معاني ومقاصد الرحمن أن يكون دقيق الملاحظة للكلمات ومقاصدها وإلا هرب منه المعنى ومن شروط فهم كتاب الله الإيمان به تماماًمع الإيمان بالله تعالى من غير إشراك بشيء أو بأحد من خلقه والشيء يمكن أن يكون كتاباً أو حديثاً أو سنة أو هدياً أو شفاعةً والأحد يمكن أن يكون ملاكاً أوجناً أو إنساً رسولاً!!

لأن الذي يشرك بالله أو لا يؤمن باليوم الآخر يمنعه رب العالمين من رؤية الحق في كتابه بدليل آياته البينات.

﴿وَإِذَا قَرَأتَ القُرءَانَ جَعَلنَا بَينَكَ وَبَينَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَاباً مَستُوراً * وَجَعَلنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِم وَقراً وَإِذَا ذَكَرتَ رَبَّكَ فِى القُرءَانِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلَى أَدبَارِهِم نُفُوراً﴾ - ٤٥ - ٤٦ الإسراء.

وهؤلاء إذا ذكرت الله وحده وقلت لهم أن لا شريك له أحد ولا شيء أبداً لا في كتاب ولا في سنة ولا في هدي ولا في شفاعة ولا في حديث ولا في إعجاز ولا في علم للغيب إلا بشهادة كتاب الله تعالى ولوا على أدبارهم نفوراً من ما تدعوهم إليه من دين وهذه هي صفة المشركين المشتركة والدائمة.

ومن الآية البينة الأولى من سورة البقرة السابقة نجد أن من شروط الإيمان:

أولاً - الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له خالقاً ومدبراً ومنظماً لشؤون حياتنا الدنيا.

ونؤمن بعد ذلك بكتابه المبين أنه كامل تام لا ينقصه ولا يزيد عليه حرف واحد. ثم نؤمن بكل ما أتى به الكتاب من معلومات عن غيب الله تعالى. من أهمها الإيمان باليوم الآخر وهو الشرط الخامس للإيمان.

ثانياً - الإيمان بوجود الملائكة وهم خلق الله في السماوات خلقهم ولا يفعلون شراً

أبداً وفضل عليهم جميعاً مخلوقه الأرضي آدم الذي خلقه من دون خلقه كلهم مخيراً بين عمل الخير أو عمل الشر إن أحسن ثُوِّبَ وإن أخطأ عُوقِبَ.

ثالثاً ـ ونؤمن بعد ذلك بأن الله تعالى قد أرسل بالوحي لرسله في الأرض كتباً قبلنا فنؤمن بتلك الكتب التي علمنا عنها في كتاب الله المبين وكل ما لا نجده في القرآن أو كانت آياته تناقض ما ورد في القرآن لا نؤمن بها ولا نأخذ بها أبداً.

علماً أن كتب الأولين ليس لنا بها علاقة من الناحية الشرعية فلهم شرعهم ولنا شرعنا الخاص الموضح والمشروح في كتاب الله بدليل الكتاب نفسه.

رابعاً ـ كذلك نؤمن بالرسل الذين سمعنا عن أخبارهم في القرآن الكريم، وأمرنا أن لا نفرق بينهم أبداً ولا نقول عن أحد منهم أنه كان أفضل من رسولنا وكذلك الأمر لا نقول أن رسولنا هو أفضل منهم وعندما نذكرهم لا نفرق بينهم في الألقاب فنقول بعد ذكر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وإذا ذكرنا باقي الرسل نكتفي بالقول عنهم عليهم السلام مثلاً هذا تفريق واضح لا يجوز فعله والله تعالى يطلب منا أن لا نفرق بينهم أبداً. ويجب أن نعلم أننا إذا رفعنا من شأن رسولنا عن مستوى البشر عملنا هذا لن يكون دليل حب منا بل دليل بأننا نسير في طريق تأليهه والإشراك به وهذا سوف يكون سبب غضب الله علينا جميعاً ولذلك نجد في تاريخ السيرة أن الرسول الكريم كان يقول لأصحابه دائماً «لا تطروني كما كان النصارى يطرون عيسى بن مريم عليه السلام» لأنه كان يخشى بأن نشرك به مع الله كما فعل الذين من قبلنا.

وهكذا نكتشف أن المؤمن إذا لم يفكر وكان ساذجاً لا يشك في الشياطين ضيع إيمانه كله بغفلته وأشرك بالله شيئاً من دون أن يشعر وأصبح من المشركين.

والسذاجة والغفلة والطيبة الزائدة لن يقبلها الله تعالى عذراً من أحد يوم القيامة فكل من كفر أو أشرك من غير تبصر وعودة إلى كتاب الله وآياته البينات مع إجراء المقارنة لما يسمع فيما يقال له بأنه صحيح من الروايات المختلفة سوف يتحمل نتائج غفلته وإشراكه لوحده.

خامساً ـ الإيمان بيوم البعث والحساب ومن بعدها إما إلى النعيم أو عقاباً في الجحيم.

وبعد هذا الجزء من الإيمان النظري فعلى المسلم واجبات عليه أن يؤديها حتى يبرهن على صحة إيمانه أمام نفسه وأمام ربه الذي خلقه.

وهي قيامه بالعبادات تطوعاً وحباً وليست بالفرض والإكراه مع الملاحظة أن تكاسله

فيها دليل نفاقه وابتعاده عنها دليل كفره وليس من دليل على إيمان العبد وصدقه إلا صدقه في العبادات.

هذه الأمور التي ذكرتها حتى الآن تحتاج إلى دليل من كتاب الله لتشهد على صحتها، فكثير من الناس يدّعون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر كذباً وافتراءً على الله والناس:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَـٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلآ أَنفُسَهُم وَمَا يَشعُرُون * فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكذِبُون * وَإِذَا قِيلَ لَهُم لا تُفسِدُوا فِى الأَرضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحنُ مُصلِحُون * أَلآ إِنَّهُم هُمُ المُفسِدُونَ وَلَكِن لا يَشعُرُون * وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلآ إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَكِن لا يَعلَمُون * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحنُ مُستَهزِءُون * اللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغيَانِهِم يَعمَهُون * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُم وَمَا كَانُوا مُهتَدِين * مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي استَوقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَت مَا حَولَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِى ظُلُمَاتٍ لا يُبصِرُون * صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لا يَرجِعُون﴾ - ٨ - ١٨ البقرة.

عشر آيات بينات في وصف علماء السوء الذين تحالفوا مع السلاطين فأصبحوا بعد ذلك في دلغيانهم يعمهون ويقولون على الله غير الحق في فتاويهم وفي أحكامهم وفي شرعهم المدعى على الله كذباً يساعدون السلاطين في التسلط على رقاب الناس ظلماً وبهتاناً وهم يعلمون أن الله لا يظلم مثقال ذرة.

والدليل على أن الكسل والتكاسل في أداء الصلاة وهي من العبادات المهمة دليل نفاق العبد، نجده أيضاً في القرآن الكريم.

﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلا يَذكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا * مُّذَبذَبِينَ بَينَ ذَلِكَ لآ إِلَى هَؤُلآءِ وَلآ إِلَى هَؤُلآءِ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ - ١٤٢ - ١٤٣ النساء.

والدليل أن الله تعالى يريد منه كل الإيمان والعبادات تطوعاً وليس قسراً ولا إكراهاً أو أمراً، قوله سبحانه في كل آيات الكتاب عن كل أعمال العبد المؤمن، طاعةً وطاعات لوجه الله تعالى وحتى أطيعوا ليس معناها الفرض من رب العالمين بل ما زالت في ضمن

حرية الإنسان وبقدرته الطاعة والعصيان.

﴿...وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ - ٢٨٥ البقرة.

وكذلك إذا قال الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ - ١٣٢ آل عمران.

بصيغة الأمر ليس معناها أمرُ وقضاء من الله لأنه لو كان كذلك لأطعناه ونحن صاغرين ولكننا نجد من يطيعه حباً واحتساباً وكذلك نجد من يعصيه كفراً ونكراناً والذي أطاع كانت طاعته بإختياره وبمشيئته الحرة الممنوحة له بإذن منه سبحانه والذي يعصيه اختياراً للشيطان ولهواه متبعاً سبل الشياطين وهذا كله دليل على حرية الإنسان في اختيار ما يشاء من سبيل ثم التطوع للفعل والعمل من غير إكراه من ربه الكريم.

وكما نجد شروط الإيمان كاملة في الآية التالية من سورة النساء مع شروط الكفر:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبلُ وَمَن يَكفُر بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الأَخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ - ١٣٦ النساء.

﴿...وَمَن يَكفُر بِاللَّهِ...﴾

قلنا أن هذا هو الشرط الأول للكفر وعكسه الشرط الأول للإيمان.

﴿...وَمَلائِكَتِهِ...﴾

والكفر بالملائكة هو الشرط الثاني للكفر وعكسه الشرط الثاني للإيمان.

﴿...وَكُتُبِهِ...﴾

والكفر بكتب الله هو الشرط الثالث للكفر وعكسه الشرط الثالث للإيمان.

﴿...وَرُسُلِهِ...﴾

والكفر برسل الله هو الشرط الرابع للكفر وعكسه الشرط الرابع للإيمان.

﴿...وَاليَومِ الأَخِرِ...﴾

والكفر بيوم البعث هو الشرط الخامس للكفر وعكسه الشرط الخامس للإيمان وهكذا وجدنا في القرآن الكريم شروط الإيمان خمسة وهي:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، فقط ومن دون إضافة القضاء

والقدر كما أضافها فقهاء السلطان خدمة لسلطانهم كما شرحت ذلك من قبل.

ولكن مع أن هذه هي الشروط العامة للإيمان فإن إفراد اسم الله تعالى مع رسوله في أول الآية إشارة أساسية للمسلم أن هذا المنطلق هو المنطلق الأساسي للإيمان لأن المسلم لم يسمع بالإيمان ولا بكتاب الله إلا عن طريق الرسول الكريم محمد ﷺ فالإيمان به بداية يكون انطلاقاً لكل إيمان العبد ودينه وهذا هو الشرط الأساسي للإيمان والكتاب الذي نزل على رسوله:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ - ١٣٦ النساء.

أيضاً الإنطلاق بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بقي بقدرة الله تعالى صحيحاً من بين كتب الله كلها يكون إنطلاقاً لإيمان الإنسان وقاعدة له.

﴿...وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ...﴾ - ١٣٦ النساء.

والإيمان بأن كتاب القرآن الكريم مكون من جزئين أساسيين وهما (الكتاب والحكمة) أو بتعبير آخر المكي والمدني على اعتبار أن المكي يحوي على العلوم وغيب الله كله والمدني يحوي الرسالة والدين الإسلامي كله والأول للناس كافة كوسيلة للبرهان أنه من قدرة الله وحده والثاني فقط للذين آمنوا بالله وقبلوا بالإسلام ديناً بعد أن اقتنعوا بالبراهين المقدمة لهم في الكتاب الأول.

﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرقَانِ...﴾ - ١٨٥ البقرة.

وإعجازات القرآن وبراهينها تقع في القسم الأول بينما الآيات البينات للأحكام والشرع تقع في القسم الثاني الذي يقول عنه الله تعالى ﴿...نُوراً مُّبِينًا﴾.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِينًا﴾ - ١٧٤ النساء.

والقسم المكي فيه البرهان والقسم المدني فيه النور المبين لكل أحكام الدين بلا حاجة إلى تبيان إضافي من أحبار السلاطين أبداً. بدليل أن النور المبين لا يحتاج إلى نور إضافي من أحد فلا يستطيع أحد أبداً أن يزيد في ضوء الشمس ضياءً ولو أشعل ما في الأرض من مشاعل لنقرأ الآية مرة أخرى وبتمعن وتفكر أكبر:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِينًا﴾ - ١٧٤ النساء.

وهكذا نجد أن الإيمان بكتاب الله وحده من دون إشراك كتاب آخر معه هو الشرط

الثاني الأساسي من شروط الإيمان وكلاهما غير مذكورين في شروط الإيمان العامة الخمسة إلا بشكل ضمني وكما لم يتطرق إليها فقهاء السلطان وهذا هو الإكتشاف الأول:

والإكتشاف الثاني هو الذي تبرع به أولياء السلطان وأحباره من فقهاء وعلماء بإضافة القضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى هذا بند أوجده علماء السوء لمصلحة السلطان وحده حتى يتخلى بها عن مسؤولياته تجاه أمته في حكمه بعد أن يستأثر لنفسه بكل الأموال والحقوق سالباً جميع الناس حقوقهم وحرياتهم وحتى لايفتح رجل فمه متظلماً مطالباً بحقوقه الشرعية الممنوحة له من الله تعالى والضائعة والمسلوبة منه عن طريق شرع السلطان وزبانيته وإن فعل خرج له فقهائه وهم قائلين:

«هذا ما كتب الله لك وهذا ما قدره لك فهل تريد أن تغير قضاء الله وقدره؟» وعلى هذا الأساس فالقاتل ليس مسؤولاً عن القتل في دين السلطان إذا حصل من طرف السلطان لأن ذلك حصل بقرار مسبق وبإرادة منه سبحانه.

وإذا زنى أحدهم كذلك كان الله قد كتبه عليه فهل يتوقف عن الزنى حتى يثبت أن الله قد قدر ذلك التوقف، وهكذا قلبوا الدين رأساً على عقب وصار عندهم شرعين فإن زنى السلطان كان قضاءً وقدراً وإن زنت إحدى نسائه في قصوره طبق عليها زبانيته حكم الرجم حتى الموت، وهو الحكم الذي اخترعه السلطان وزبانيته ولا أصل له في كتاب الله أبداً.

وحتى لا يكون هذا مجرد تقول وبلا دليل لا بد كما عودتكم في كل كتبي من ان آتي بالدليل:

الحديث رقم ٣٤٠٩ من صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أحتج آدم وموسى فقال له موسى: «أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق؟» فقال رسول الله ﷺ «فحج آدم موسى مرتين». هذا هو منطق السلطان وأحباره في دينهم.

الحديث رقم ٢٦٥٧ من صحيح الإمام مسلم عن ابن العباس عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة».

هذا الحديث يقول للزناة من حاشية السلاطين بشرى لكم جميعاً فإن الله تعالى هو الذي كتب وقدر عليكم ما تفعلونه من الزنى والفاحشة في كل يوم.

وماذا يقول سبحانه في كتابه الكريم من الوحي الصحيح؟:

في سورة الفرقان من الآية الكريمة:

﴿وَعِبَادُ الرَّحمَنِ الذِّينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصرِف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَت مُستَقَرّاً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَم يُسرِفُوا وَلَم يُقتِرُوا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَاماً * وَالَّذِينَ لا يَدعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ وَلا يَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ وَلا يَزنُونَ وَمَن يَفعَلُ ذَلِكَ يَلقَ أَثَاماً﴾ - ٦٣ - ٦٨ الفرقان.

وبما أن الذي يبلغ من الإيمان درجة التقوى التي يتحدث فيها سبحانه في تلك الآيات إذا وقع في كبيرة ومعصية بينة مثل الزنى والقتل وأكل مال اليتيم فإن عقابه لا يكون مثل عقاب المؤمن العادي بل له العقاب مضاعفاً يقول سبحانه بعدها:

﴿يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ وَيَخلُد فِيهِ مُهَاناً﴾ - ٦٩ الفرقان.

لذلك نجد أن دين الرحمن منطقه غير منطق دين السلطان فالقرآن يبني المسؤولية على توافر العقل مع الحرية على الفعل أما من فقد عقله أو أجبر على فعلٍ بعد أن فقد حريته في الإختيار كلاهما لا مسؤولية عليهما بينما في دين السلطان ضاعت المسؤولية واختفت عن المسؤولين وأولادهم وأتباعهم من حاشيتهم وصار ما يفعلونه هو من قضاء الله المقدر والمكتوب وما على الناس إلا الصبر على هذا البلاء، ومن لا يصدق عليه أن يقرأ الأحاديث الكثيرة الموجودة في الصحيحين في كتاب القدر.

وهكذا نكتشف من كتاب الله المهجور من المسلمين جميعاً أن المؤمن يجب أن يكون حريصاً ويعلم بماذا يؤمن وبماذا يكفر حتى لا يكون في عداد الساذجين فيضيع إيمانه كله بغفلته ويقنعه أحد الشياطين بأن يشرك بالله رسولاً بالشفاعة أو بالهدي بل يصر على ما يجده في كتابه بأن الشفاعة والهدي لله جميعاً.

أو يقنعه بأن يشرك بالله شيئاً كالحديث مع حديث الله أو ما يقال عنه السنة النبوية الشريفة حتى يسهل على السلطان وأحباره اعادته إلى قطيع السلطان مسلوب الحرية عارياً من كل حقوقه بعد أن أكرمه الله بهما في كتابه العزيز.

والعاقل هو من يقول كما قال تعالى له:
﴿...مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىءٍ...﴾ - ٣٨ يوسف.
ومن يشرك بالله يصبح وليه السلطان وأحباره والذي يبقى على التوحيد يكون وليه رب العالمين وحده:
﴿...مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشرِكُ فِى حُكمِهِ أَحَدًا﴾ - ٢٦ الكهف.
صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

هل الإيمان وحده (مع العبادات ضمناً) كاف لإدخال الإنسان إلى جنة الرضوان؟

بعد ان تكلمنا في البحث السابق عن الإيمان وشروطه ننتقل خطوة للأمام للكلام عن موضوع آخر يتصل بالإيمان المتضمن للعبادات، هل ذلك كله كاف عند الله تعالى لدخول عبده يوم القيامة إلى جنته أم لله تعالى شروط أخرى؟ الحقيقة أننا إذا أجرينا بحثاً شاملاً في آيات القرآن فلن نجد فيها آية واحدة يشهد فيها الله سبحانه أن المؤمن القائم بالعبادات جميعاً له من الثواب ما يكفي ويجعله مؤهلاً للدخول إلى جنته أبداً. عجباً!! ولكن لماذا؟

إن لله تعالى ثلاث شروط أساسية في القرآن من أجل استحقاق جنته فما هي شروطه سبحانه في كتابه المبين الذي لا يحتاج العبد إلى نور آخر من خارجه لإبانته:

ـ الشرط الأول هو الإيمان بكل ما مر معنا في الفصل السابق من شروط الإيمان.

ـ الشرط الثاني أحياناً يفصله سبحانه لوحده وأحياناً يجعله من ضمن بقية شروط الإيمان في آيات كثيرة وهو الإيمان بيوم البعث والحساب وبالثواب والعقاب في الحياة الثانية الأبدية التي لا يعود فيها أياماً ولا شهوراً ولا سنيناً بل يقول عنها سبحانه كلها يوم، يوم يبعثون ـ يوم ينفخ في الصور ـ يوم محيط ـ يوم مشهود ـ وإلى آخر تلك الصفات.

ـ وحصول هذين الشرطين مع العبادات لا يؤهل الإنسان لنوال جنة الله تعالى في ميزان عدله بدليل قوله تعالى:

﴿...مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ـ ١٨ التوبة.

لم يؤكد سبحانه على دخول هؤلاء إلى الجنة لماذا؟

لأن البند الثالث والأهم غير وارد في هذه الآية لوجوب الدخول إلى الجنة بعد، وذلك الشرط هو شرط العمل في الأرض إصلاحاً وإعماراً بواجب الإستخلاف للعقد الذي عقده آدم مع ربه فاستخلفه في الأرض لإعمارها عملاً ونشاطاً بالأعمال الصالحة المفيدة لكل الناس من صناعات واختراعات لبناء حضارة الإنسان في الأرض وجنته الأولى في الدنيا وقبل الآخرة، ولذلك فللمؤمن الذي يعمل في الأرض بتقوى الله جنتان، جنة الدنيا وجنة الرضوان.

﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ـ ٤٦ الرحمن.

وهل وعدنا الله في الآخرة بجنتين؟

والله تعالى يسخر من الذين كفروا ويقول:

﴿...وَبَدَّلنَاهُم بِجَنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمطٍ...﴾ ـ ١٦ سبأ.

وكان الكلام هنا عن أهل سبأ الذين كان لهم في الأرض جنة وفي الآخرة جنة تقابلها ولكن لكفرهم جعلهما الله جنتين من نوع معاكس جحيم في الدنيا ذاقوه ذلاً وهواناً وجحيم آخر ينتظرهم هناك في يوم الحساب حتى يذوقوا فيه من شجر الزقوم وذلك من شجر جنة الكافرين والمشركين.

وبما أن العمل هو الأهم من بعد الإيمان يقول تعالى:

﴿وَتِلكَ الجَنَّةَ الَّتِى أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ٧٢ الزخرف.

والعمل لا علاقة له بالعبادات بدليل آيات كثيرة من كتاب الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم﴾ ـ ٢٧٧ البقرة.

ونجد سبحانه يؤكد على أهمية العمل فيجعلها في ترتيبها قبل الإيمان أحياناً مع علمه سبحانه وتعالى أن الإيمان هو الأساس والقاعدة الكبرى في الإسلام.

﴿...وَمَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ يُرزَقُونَ فِيهَا بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ ـ ٤٠ غافر.

لذلك نجد أغلب الآيات في القرآن عند توافر العمل مع الإيمان يؤكد سبحانه الجنة عندها لعباده:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ﴾ ـ ٢٥ البقرة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ﴾ ـ ٨٢ البقرة.

لذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه من الناس عليه أن يعمل عملاً صالحاً في الأرض خدمة للناس:

﴿...فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً...﴾ ـ ١١٠ الكهف.

وهذا الشرط هو الأهم بحسب آيات القرآن وهذا ما أسميه في كتبي بواجب

الإستخلاف في الأرض حيث قال تعالى:

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرضِ خَلِيفَةً...﴾ - ٣٠ البقرة.

ليقرر بذلك أن الله سبحانه قد اختار الإنسان ليكون خليفة الله على الأرض وفي تلك الخلافة، على الإنسان واجب مهم وهو العمل، والعمل كما نعلم يكون في الأرض مأجوراً بالمال والرزق هو لله سبحانه ونحن مستخلفون فيه إلى يوم القيامة فقط.

العمل هو الأساس من أجل جني المال وتحصيله وما يجعل للأموال قيمة هو ما فيها من ساعات عمل قضاها العاملون في إنجازها، لذلك فالعمل أساس لتقدير قيمة الأشياء برموز استخدمها الإنسان مثل الذهب والفضة أو العملة الورقية المتداولة.

﴿...وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلِفِينَ فِيهِ...﴾ - ٧ الحديد.

أي أنفقوا من أموالكم التي تجمعت لديكم نتيجة عملكم أو عمل الآخرين بالإجرة عندكم في الأرض صناعة وزراعة وتجارة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِم أُجُورَهُم﴾ - ١٧٣ النساء.

فكما استوفوا أجورهم في الأرض على أعمالهم رزقاً حلالاً كذلك يوفيهم الله عليها في السماء أجوراً أخرى يجدونها في الجنة.

والذين عملوا الصالحات هم وحدهم الذين يستحقون الإستخلاف في الأرض دون غيرهم:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِى الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم...﴾ - ٥٥ النور.

وكم من قوم أخرجهم الله من أرضهم عندما توقفوا عن العمل فيه ودخلوا في منازعات فارغة نتيجة العقلية القبلية العشائرية التي تمتاز بالتباهي والتفاخر الفارغ فأعطاها سبحانه من بعدهم لمن هم أقدر منهم على العمل واستخلفهم فيها ومن لا يفهم آيات الله بهذا الأسلوب يبقى أبد الدهر بين الحفر.

والعمل في الأرض وفي الإستخلاف شرطه أن يكون صالحاً فإن كان مثلاً رجل يبيع الخمور في خمارة للناس أو فتح مطعماً يقدم فيه راقصات عاريات من أجل جلب الزبائن أو فتح مكاناً للدعارة فلن يقبل الله تعالى هذا العمل من الأعمال الصالحة بل يعتبرها له من الأعمال المفسدة في الأرض.

إذاً ماذا عن الفلاح والنجار أو الطبيب والمحامي أو القاضي أو الحاكم أو المدرس أو الشرطي أو الضابط إنها أعمال صالحة طالما يقوم بها الإنسان في تقوى الله وخشية يوم العقاب فيتقن عمله ويخلص فيه من غير إهمال ومن دون أن يقصر في عمله الذي يحقق له الرزق الحلال لنفسه ولأولاده مع تحقيق الحق والعدل في الأرض فيعمل الإنسان مهما كان عمله بسيطاً أو معقداً صغيراً أو كبيراً وكأنه يرى الله ويراقبه في حسن أداء ذلك العمل معتقداً في نفسه أن الله تعالى يراقبه وأنه سبحانه لا تغفل عنه عينه لحظة واحدة.

هذا هو المؤمن الذي ينطبق عليه شروط الله الثلاثة لنوال رضاه وجنته وهذا هو المؤمن الذي يرجوا لقاء ربه ونوال جنته إن لم يرتكب إحدى الكبائر بعد إيمانه:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنهُ نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُّدخَلاً كَرِيمًا﴾ - ٣١ النساء.

وهل يجوز أن يكون المدخل الكريم من الله تعالى إلا أن يكون إلى الجنة؟

أما الذين خلطوا العملين الأعمال الصالحة مع الأعمال السيئة فلهم حسابهم الخاص وحدهم:

﴿وَءَاخَرُونَ اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيهِم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٠٢ التوبة.

أما الذي يتوب ربما عن كبيرة مثل الإساءة للوالدين عقوقاً وعصياناً حتى وإن عاد للإيمان وعمل صالحاً فإنه سوف ينتظر رحمةً من ربه حتى يغفر الله ما سبق ولكن بلا ضمان كامل للجنة ومصيرهم بيد الله وحده:

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسى أَن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ﴾ - ٦٧ القصص.

أما الذي لم يفعل في حياته كلها ما يغضب الله وكان مؤمناً وعمل صالحاً فله ضعف الثواب:

﴿...إلا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُم جَزَآءُ الضِّعفِ...﴾ - ٣٧ سبأ.

وهؤلاء مصيرهم الجنة حتماً يرزقون فيها من دون حساب:

﴿...وَمَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ يُرزَقُونَ فِيهَا بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ - ٤٠ غافر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣ ـ الصراط المستقيم:

لقد وردت كلمة الصراط في القرآن الكريم ٣٨ مرة، نختار منها الآيات التالية: التي وردت في سورة الفاتحة:

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ ـ ٦ الفاتحة.

في كل صلاة بل في كل ركعة يقرأ المسلم سورة الفاتحة، وفي كل قراءة يدعو الله سبحانه أن يهديه إلى الصراط المستقيم، فما هو الصراط ياترى؟

لنتلو الآيات ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ من سورة الأنعام فماذا نجد؟

﴿قُل تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَلِدَينِ إِحسَاناً وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُون * وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلاَ وُسعَهَا وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى وَبِعَهدِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون﴾ ـ ١٥١ ـ ١٥٣ الأنعام.

إذا تأملنا هذه الآيات ماذا نجد؟ نجد عشر وصايا بدليل قوله سبحانه

﴿...ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ...﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

وهي أيضاً إذا عكسناها تصبح عشر كبائر:

١ ـ الإشراك بالله. ﴿...أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً...﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

٢ ـ عقوق الوالدين. ﴿...وَبِالوَلِدَينِ إِحسَاناً...﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

٣ ـ إجهاض الجنين خوفاً من الفقر. ﴿...وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ...﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

٤ ـ الوقوع في الفواحش ماظهر منها ومابطن (الزنا ـ اللواطة) من الفواحش الظاهرة.

أما إتيان الزوجة من الدبر (لواطة) ـ عن غير الطريق الطبيعي (الرحم) للإنجاب، يعتبر من الفواحش الباطنة لأنه لايعلم عنها إلا الله والزوجة ومقترف الكبيرة وهو الزوج.

٥ ـ قتل النفس التي حرم الله إلا بعد محاكمة عادلة (بالحق). ﴿ .وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ...﴾ ـ ١٥١ الأنعام.

٦ ـ أكل مال اليتيم. ﴿وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ...﴾ ـ ١٥٢ الأنعام.

٧ ـ الغش بالكيل والميزان. ﴿...وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ...﴾ ـ ١٥٢ الأنعام.

٨ ـ الكذب. ﴿...وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى...﴾ ـ ١٥٣ الأنعام.

٩ ـ الخيانة. ﴿...وَبِعَهدِ اللَّهِ أَوفُوا...﴾ ـ ١٥٣ الأنعام.

١٠ ـ اتباع السبل وترك دين الله المستقيم ﴿...وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾ ـ ١٥٣ الأنعام. مثل فرق السنة والشيعة المختلفة وكل فرقة لا تقول مثل الأخرى.

لنرتب الوصايا العشر مرة ثانية:

١ ـ عدم الإشراك بالله.

٢ ـ بر الوالدين.

٣ ـ الامتناع عن الإجهاض خوف الفقر.

٤ ـ الابتعاد عن الفواحش ماظهر منها ومابطن.

٥ ـ عدم قتل النفس إلا بالحق.

٦ ـ عدم أكل مال اليتيم.

٧ ـ الابتعاد عن الغش بالميازين والمكاييل.

٨ ـ قول الصدق ولو كان على النفس.

٩ ـ الوفاء بالعهود.

١٠ ـ عدم ترك سبيل الله والتمسك به لنوال رضوانه.

وهذه الوصايا يسميها رب العالمين بالصراط المستقيم كما رأينا في نهاية الآية الثالثة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ...﴾ ـ ١٥٣ الأنعام.

وإذا تتبعنا آيات الصراط نجد أن الله أرسل نفس هذا الصراط لكل الرسل في كل الديانات: مثلاً لعيسى ماذا قال رب العالمين؟.

في سورة آل عمران وفي قصة مريم وعيسى ابتداء من الآية (٤٥ آل عمران نجد الله

سبحانه يقول في الآية (٥٠) والآية (٥١) من نفس السورة:

﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيكُم وَجِئتُكُم بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُم فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون * إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُم فَاعبُدُوهُ هَذَا صِراطٌ مُّستَقِيم﴾ - ٥٠ - ٥١ آل عمران.

وهذا دليل على أن عيسى تلقى الوصايا العشر نفسها، ونحن نعلم أن موسى أيضاً قد تلقى الوصايا العشر كما ذكر القرآن.

وهكذا بعون الله وبكتاب القرآن وحده اهتدينا وعرفنا ماهي آيات الصراط المستقيم في القرآن الكريم وعرفنا منها أيضاً ماهي الكبائر العشر التي نجدها في القرآن أيضاً:

﴿إِن تَجتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ...﴾ - ٣١ النساء.

التي مرت معنا في الفقرة السابقة.

والمسلم الذي يلجأ إلى صحيح البخاري ومسلم سوف يضيعُ حقيقةً ولن يجد جواباً واحداً، حيث سيجد الصراط المستقيم شيئاً آخر غير الذي قال الله في القرآن الكريم، وسوف يجده خطاً مستقيماً كحد السيف ممدود فوق وادي جهنم، ليمر الناس من فوقه. فمنهم من يمر بسرعة البرق ومنهم من يمر بسرعة الريح، ومنهم من يزحف عليه، ومنهم من يسقط من فوقه إلى جهنم، وكل مصادرهم هي كتب أهل الكتاب. وكذلك الكبائر نجدها سبعاً صحيحة ونجدها سبعين صحيحة ونجدها سبعمائة كبيرة صحيحة، والروايات الثلاث تعتبر من الصحاح وقد شرحت كل ذلك في كتاب (دين السلطان).

٤ ـ الحلال والحرام في دين الرحمن.

نتساءل أولاً ماهو الحلال؟ وبدليل آيات الله نجد:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً...﴾ ـ ١٦٨ البقرة.

هذه الآية تدل يقيناً بأن الله سبحانه يحلل كل ماتُنبتُ الأرض للإنسان، فهو حر أن يأكل مايشاء منها بالطريقة والأسلوب الذي يرتاح إليه.

﴿...وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُم وَطَعَامُكُم حِلٌّ لَّهُم...﴾ ـ ٥ المائدة.

لكن لهذا الموضوع استثناء نجده في المحرمات.

والحرام لغة هو عكس الحلال. إن النصارى قالت لوحدها لحم الخنزير ودهنه حلال ولا يجوز أكل هذا من قبل المسلمين لتحريمه عليهم، ولذلك قال الله سبحانه لأهل الكتاب أولاً وهو لنا من بعدهم:

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ...﴾ ـ ١١٦ النحل.

وهذا يدل أن موضوع التحليل والتحريم لابد أن يكون مسنوداً بنص من الله لم يعد مشكوكاً فيه، أي يجب أن يكون له نص في القرآن الكريم.

إذاً فكل الروايات الموجودة في صحيح البخاري ومسلم بأن الله حرم الحمر الأهلية، أو كل ذو ناب أو ظفر، كلها إفتراءات على الله، وأغلبها مأخوذ عن الإسرائيليات. لأن بني إسرائيل حرموا على أنفسهم كثيراً من الأشياء كما حرم عليهم الله عقوبة أشياء من الطيبات أيضاً. ولايجوز أن نأخذ عنهم محرماتهم.

ولكن يجب أن لانفهم أنه إذا كان لحم الحمير محللاً، يجب علينا أكلها فكل إنسان حر في مايأكل وماتشتهي نفسه من المحللات، لكننا لايمكننا أن نقول للفيتنامي إذا أراد أن يتحول إلى دين الإسلام أن لحوم الكلاب محرمة في الإسلام. فالمحرم من المأكولات واضح في الآية:

﴿قُل لآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطعَمُهُ إِلآ أَن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَماً

مَّسفُوحاً أَو لَحمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجسٌ أَو فِسقاً أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٤٥ الأنعام.

عدا ماذكر في هذه الآية كل شيء حلال، وهذا فصل الخطاب ولكن الحلال والحرام ليسا فقط في المآكل، فعندنا مثلاً في موضوع الزواج بالنسبة للرجل هناك الآية ٢٣ النساء تبين المحرمات عليه:

﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهَاتُكُم وَبَنَاتُكُم وَأَخَوَاتُكُم...﴾ - ٢٣ النساء.

وكذلك حرم الله علينا الصيد في الأشهر الحرم وهي أشهر الربيع، وأوائل الصيف، شهر الولادات والإرضاع والحضانة بالنسبة للحيوانات وهذا من رحمة الرحمن الرحيم بمخلوقاته كلها.

لكن المسلمين ضيعوا هذه السنة في عصر الانحدار الإسلامي عندما سكنوا في الكهف لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين، فأضاعوا الشهر المُكَمل، الذي يجب أن يضاف للأشهر القمرية كل ٣٢ شهر، (الشهر النسيء) حتى تتماشى السنين الشمسية مع السنين القمرية. وإن نسينا نحن فإن الله لم يَنسَ بدليل أنه قد وضع لنا الفرق باليوم في المثال الموجود في سورة الكهف:

﴿وَلَبِثُوا فِى كَهفِهِم ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازدَادُوا تِسعاً﴾ - ٢٥ الكهف.

واليهود لازالوا يسيرون على نفس القاعدة. لكنا نحن المسلمين والحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه، قد أضعناها وبالتالي، صرنا نحلل قتل الحيوانات في الأشهر التي حرم الله قتلها فيها، وهي الأشهر الحرم. التي تطابق فترة الولادات والحضانة. بينما الأشهر الحرم عندنا الآن تدور مع السنين عندنا فتصادف مرات في الربيع ومرات في الصيف ومرات في الخريف ومرات في الشتاء.

هكذا فقدنا الغاية من وجود الأشهر الحرم أصلاً، ومن جهلنا فقط، ظلمنا أنفسنا وظلمنا معنا غيرنا من مخلوقات الله البريئة. وقد سمي مسجد مكة بالمسجد الحرام لأن الله تعالى حرم القتال فيه.

وحتى نفهم أن موضوع التحريم والتحليل من الله وحده قال سبحانه:

﴿قُل أَرَءَيتُم مَآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزقٍ فَجَعَلتُم مِّنهُ حَرَاماً وَحَلالاً ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُم أَم

عَلَى اللَّهِ تَفتَرُونَ﴾ ـ ٥٩ يونس.

وهكذا فإن موضوع التحريم والتحليل بيد الله وحده لاشريك له، ومن يحاول أن يفهمنا بغير ذلك نرشده لآيات الله، فهي تحوي أصدق الحديث وأحسنه:

﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ ـ ٦ الجاثية.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ يُؤمِنُونَ﴾ ـ ٥٠ المرسلات.

٥ ـ حدود الله:

أعود إلى بحث حدود الله وقد أوردتها في كتاب (إنذار من السماء الفقرة ٤٩) فماذا نجد:

﴿وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا...﴾ ـ ١٤ النساء.

فما معنى حد ـ وحدود ـ وحدود الله؟

عندما تتحدث عن أي دولة مستقلة بعد ذكر اسمها ونظامها السياسي ننتقل عادة لنعرف حدود الدولة، فالحدود تعني بالنسبة للدولة ملكية الأرض. أين تنتهي حدود ملكيتها للأرض لتبدأ حدود الدولة المجاورة لها.

أما بالنسبة للأشخاص، فكل شخص على الإجمال يكون له عادة أقارب وعائلة وأصدقاء وأصحاب ومعارف وزبائن. ولكل من هؤلاء الناس بذاته وبحسب تكوينه النفسي وعلمه وثقافته ومركزه الاجتماعي وعمره، حدود يضعها لتلك العلاقات ولايسمح لأحد أن يتخطاها. ولكن هذه الحدود ليست على الأرض وليست على الورق، ولا تذكر بالكلام، وإنما أمور تفهم لوحدها من أسلوب العلاقة نفسها، وهذه الحدود تكون مهة جداً بالنسبة لكل إنسان يحترم نفسه ويحترم الناس، فيلزم الناس على احترام حدوده باحترام حدودهم فلا يسمح لهم بتجاوزها.

وللشركات والدول أيضاً شخصيات إعتبارية، وهذه الشخصيات الاعتبارية تتعامل مع باقي الشركات أو الدول بنفس أسلوب الشخص في تحديد حدوده، ولكن يدخل في الاعتبار هنا مدى قوة الدولة وأهميتها سياسياً وعسكرياً، في مجال الدول ومدى قوة الشركة وانتشارها وحركتها المالية إذا كانت شركة، تماماً كالعلاقات مع الأشخاص مع وجود الفوارق المذكورة. والله سبحانه وتعالى أيضاً يتعامل مع الإنسان من منطلق هذا المنطق الذي لايتعدى حدود الواقع والحق والعقل.

فالله سبحانه وتعالى من حيث القوة هو أقوى قوة في الوجود، وخالق كل شيء. ومن حيث الملكية هو مالك كل شيء، ووارث كل شيء في النهاية. وهو الذي يملك ولا أحد غيره يملك شيئاً. وكل مخلوقاته عبيد له، يدخلون في ملكه وضمن تصرفه، فيتصرف فيهم كيف يشاء. فهم جميعاً ضمن حدود مشيئته وإرادته. وكل مخلوق

عاقل مدرك كالإنسان تكون له علاقة مع خالقه ومدبر شؤونه، وتلك العلاقة لها حدود لايجوز تجاوزها على الإطلاق. ومن هنا نبدأ بأن نفهم مامعنى حدود الله. ومما ذكر آنفاً يجب أن نعلم شكل العلاقة بين خالق عظيم ومالك لكل شيء، وبين إنسان عبد صغير ومخلوق من مخلوقات الله الأخرى.

والله سبحانه وتعالى في هذه العلاقة غير المتكافئة طبعاً هو الآمر الناهي المتصرف من طرف، والإنسان هو المأمور المتصرف به من طرف آخر. فسؤاله وموقفه ومخاطبته لله تكون طاعةً وخضوعاً كموقف. ودعاء وتضرعاً كسؤال أو رجاء.

والله سبحانه يريد أن يرى موقف العبد بشكل عملي بعبادته، وطاعته والخضوع له سجوداً وركوعاً ودعاء، الطاعة هي لب العبادة لذلك قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعبُدُونِ﴾ ـ ٥٦ الذاريات.

والله تعالى لايسمح لعباده أن يتعدوا حدوده في العلاقة معه لذلك يقول سبحانه:

﴿لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَن حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ ـ ٢٢ المجادلة.

أي أن المؤمنين إيماناً صحيحاً بالله تعالى لايمكن لهم أن يستمروا في علاقة ودّية مع أناس سمحوا لأنفسهم بتجاوز حدود الله تعالى وإنما نجدهم قد قطعوا تلك العلاقة الودية فوراً.

﴿أَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا...﴾ ـ ٦٣ التوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ ـ ٢٠ المجادلة.

هذه الحدود التي هي لله سبحانه، هي أيضاً حدود لممثله على الأرض في شخص الرسول ﷺ فاعتبر الله أن من يتعدى على حدود الرسول هو اعتداء على حدوده أيضاً، وهذا أمر طبيعي حتى في معاملاتنا على الأرض. فكل دولة تعتبر ممثلها الرسمي يمثل الدولة كلها ومكانتها، فيجب على الطرف الآخر احترام الممثل وكأنه الدولة بحد ذاتها وليس شخصاً رسمياً فقط، أو إنساناً عادياً فالرسول الكريم هو الناطق بلسان الوحي الإلهي وقد ذكر الله تعالى لنا حدوداً أخرى غير هذه الحدود فما هي؟

﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُم هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُم وَأَنتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُم كُنتُم تَختَانُونَ أَنفُسَكُم فَتَابَ عَلَيكُم وَعَفَا عَنكُم فَالئَانَ بَاشِرُوهُنَّ وَابتَغُوا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَكُم وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُم عَاكِفُونَ فِى المَسَاجِدِ تِلكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ - ١٨٧ البقرة.

هذا المعنى مختلف، فالله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان يعرف أفضل من أي إنسان ما هي الشريعة المناسبة له دون أن يكون هناك تعدّي من فريق على فريق آخر، لذلك يبين لنا الله هذا الشرع وتلك الأحكام والحدود التي تحدد علاقات الناس ببعضها البعض، دون أن يكون ذلك مخالفاً للحق الذي شرعه الله لهم وحدد له حدوداً، لايجوز تخطيها من أحد.

يحدد الله في الآيتين السابقتين حقوق الصائم أين تبدأ وأين تنتهي: سمح الله له أن يمارس علاقته الجنسية الطبيعية مع زوجته في الليل من بعد المغرب وإلى ماقبل صلاة الفجر. إذاً عرفنا بداية الحد بالمغرب ونهاية الحد بصلاة الفجر، ثم عرفنا أن ذلك محرم على المعتكف في المسجد، وعلمنا أيضاً أن الأكل والشرب في الليل أي ليلة الصيام مسموح أيضاً من المغرب حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، من الفجر أو كما نسميه أول ضوء.

وكذلك من حدود الله الآية التالية:

﴿وَلَكُم نِصفُ مَا تَرَكَ أَزوَاجُكُم إِن لَّم يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكنَ مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَو دَينٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكتُم إِن لَّم يَكُن لَّكُم وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُم وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكتُم مِّن بَعدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَو دَينٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَو أُختٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُم شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَو دَينٍ غَيرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيم * تِلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ - ١٢ - ١٣ النساء.

وهناك آيات كثيرة في القرآن مثل تلك الآيات تبين حدود الشرائع وأين تبدأ حقوق الإنسان وأين تنتهي، تاركاً الحرية بالتصرف ضمن الحدود. وتحذيره فقط من تخطيها مثلاً: في حدود علاقة الرجل مع زوجته: للرجل حق الاستمتاع بزوجته في كل الأوقات - إلا...... وإلا هذه تحدد الحدود التي لايجوز تخطيها هنا في هذه العلاقة:

إلا إذا كان صائماً.

إلا إذا كان معتكفاً.

إلا إذا كانت زوجته في فترة الحيض فينتظر ولايقربها حتى تطهر.

إلا إذا طلب من زوجته أن يأتيها بأسلوب شاذ.

في هذه الحالات الأربع يكون قد تجاوز حدود الله التي حددها له سبحانه:

﴿وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا...﴾ - ١٤ النساء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٦ ـ العبادات:

العلاقة الوحيدة الموجودة بين العبد وربه هي علاقة العبودية ومنها العبادة والعبادات ومعناها الطاعة والطاعات أما الدعاء فيكون من خلال العبادات. والله سبحانه يقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعبُدُونِ﴾ ـ ٥٦ الذاريات.

بمعنى أني ماخلقت الجن والإنس إلا ليطيعوني، ولكن بالحرية والاختيار وليس بالإكراه والإجبار عليه بالقوة.

﴿...يَعبُدُونَنِي وَلا يُشرِكُونَ بِي شَيئاً...﴾ ـ ٥٥ النور.

إن الله سبحانه ليس بحاجة إلى عبادة العباد لا يتأذى بذاته من كفرهم أو إشراكهم، لكن المؤمن هو الذي يستفيد فائدة مباشرة من الإيمان، والكافر أو المشرك أيضاً هو الذي يتضرر بشكل مباشر من كفره أو إشراكه، فيعيش في الدنيا متخبطاً متأذياً بالشرائع والقوانين التي يسنها له الملوك والسلاطين استبداداً وجهلاً وظلماً من الإنسان الذي قبل بها عن جهل علماً أنَّ الكتاب الوحيد الذي فيه الحق والنور ويبعد الإنسان عن الظلم والاستبداد هو القرآن الكريم:

﴿إِنَّآ أَنزَلنَآ إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعبُدِ اللَّهَ مُخلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ ـ ٢ الزمر.

وبعبودية الإنسان لله يتحرر من عبودية العباد، فلا يعود يسجد إلا لله الواحد الأحد. أما الكافر أو المشرك فهو يسجد لكل ذي سلطة أو جاه أو مال. وهذا ذلٌّ لمكانة الإنسان وقيمته، فقد كرمه الله وأسجد له الملائكة والجن، ليس من أجل أن يأتي بعد ذلك الكافر أو المشرك ليضيع تلك الكرامة ويقبل بالسجود لعباد الله.

هذا منتهى الظلم من الإنسان لذاته، إذا تبصر وفهم وعَلِمَ وأدركَ معنى الحرية والعبودية.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَا فَاعبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلَوةَ لِذِكرِي﴾ ـ ١٤ طه.

وكل رسل الله من بني الإنس هم عبيد للرحمن:

﴿...وَقَالَ المَسِيحُ يَابَنِي إِسرَاءِيلَ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم...﴾ ـ ٧٢ المائدة.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُم هُوداً قَالَ يَقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ...﴾ ـ ٦٥ الأعراف.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَلِحاً قَالَ يَقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ...﴾ - ٧٣ الأعراف.

﴿وَإِلَى مَديَنَ أَخَاهُم شُعَيباً قَالَ يَاقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ...﴾ - ٨٥ الأعراف.

﴿وَلَقَد بَعَثنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَن اعبُدُوا اللَّهَ...﴾ - ٣٦ النحل.

والذي يعبُدُ الشيطان يكون عبداً لهواه وشهواته ونفسه الأمارة بالسوء، فقد ضل سواء السبيل ويعيش في النتيجة في جحيم الأرض، ويؤذي نفسه قبل أن يؤذي غيره:

﴿أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَابَنِى ءَادَمَ أَن لا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ﴾ - ٦٠ - ٦١ يس.

وعبادة الله يربطها رب العالمين دائماً بالصراط المستقيم، لأن الله يعلم بأن العبادة لا تستقيم من العبد إلا باتباع سبيل الرحمن وتجنب الكبائر العشر، لذلك نجد أن الآية:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُم فَاعبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ﴾ - ٣٦ مريم.

تتكرر في مواضيع مختلفة من القرآن مثل الآية ٥١ ـ آل عمران والآية ٦٤ من سورة الزخرف.

ولن يستنكف رُسُلُ الله أن يكونوا عبيداً لله رب العالمين:

﴿لَّن يَستَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبداً لِلهِ...﴾ - ١٧٢ النساء.

ورسولنا محمد ﷺ هو عبدٌ لله:

﴿وَإِن كُنتُم فِى رَيبٍ مِّمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبدِنَا فَأتُوا بِسُورَةٍ مِن مِّثلِهِ...﴾ - ٢٣ البقرة.

﴿...إِن كُنتُم ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلنَا عَلَى عَبدِنَا يَومَ الفُرقَانِ...﴾ - ٤١ الأنفال.

﴿سُبحَانَ الَّذِى أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلاً...﴾ - ١ الإسراء.

﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتَابَ وَلَم يَجعَل لَّهُ عِوَجاً﴾ - ١ الكهف.

والذين يعبدون الله هم عباد الرحمن:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَليَستَجِيبُوا لِى وَليُؤمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ﴾ - ١٨٦ البقرة.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوةَ...﴾ - ٣١ ابراهيم.

وملائكة الرحمن لايستكبرون عن عبادة الله أبداً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسجُدُونَ﴾ - ٢٠٦ الأعراف.

ولكن من البشر من يستكبر على ذلك:

﴿...وَمَن يَستَنكِف عَن عِبَادَتِهِ وَيَستَكبِر فَسَيَحشُرُهُم إِلَيهِ جَمِيعًا﴾ ـ ١٧٢ النساء.

﴿...إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِى سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ـ ٦٠ غافر.

وعباد الرحمن ليس للشيطان عليهم سلطان:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ...﴾ ـ ٤٢ الحجر.

وعباد الرحمن إن قالوا يجب أن يقولوا الأقوم والأحسن:

﴿وَقُل لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحسَنُ...﴾ ـ ٥٣ الإسراء.

وعباد الرحمن هم الذين يرثون جنة الدنيا دائماً:

﴿وَلَقَد كَتَبنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾ ـ ١٠٥ الأنبياء.

ونفس المؤمن الطيبة إذا توفاها الله تعود إلى ربها راضية مرضية لتدخل من جديد بين نفوس عباد الرحمن في السماء:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ * ارجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً * فَادخُلِى فِى عِبَادِى * وَادخُلِى جَنَّتِى﴾ ـ ٢٧ ـ ٣٠ الفجر.

وعبودية الإنسان لله هي من أجل خير الإنسان ورفعتهِ ورفعهِ إلى المستوى اللائق بإنسانيته ومن يستنكف عن تلك العبودية استعبده عبيد الله. والإنسان بطبعه وفطرته الأولى التي خلق عليها يميل للعبادة ويبحث عن معبود، فإن لم يجد من يدلّه على العبادة الصحيحة لخالقه ومدبر شؤونه نراه قد وجد من يُضله من شياطين الإنس ممن لهم مصلحة فجعلوه يعبد عباد الله ومخلوقاته من جديد:

﴿قَالُوا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ـ ٥٣ الأنبياء.

والذي يقع له ذلك ويقبل بعبادة عبيد الله يكون قد ظلم نفسه:

﴿وَيَومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَقُولُ يَالَيتَنِى اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ ـ ٢٧ الفرقان.

ولو فهم الإنسان معنى عبادة الله لسعى إليها ليلَهُ مع نهاره، فالله سبحانه يريده بعبادة الله أن ينقذه من استعباد الناس له لأن الإنسان مخيرٌ بين أمرين إما أن يقبل بعبادة الله في السماء، أو يقبل بعبادة عبيد الله على الأرض، والذي يصبح عبداً للعباد ماذا يكون مصيره في الأرض؟:

﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم إِلَى يَومِ القِيَمَةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٦٧ الأعراف.

إذا انتبهنا لكلمات الآية الكريمة، فإنه سبحانه يتكلم عن أناس تنكروا لله ورفضوا الإيمان به وعبادته وفسقوا في الأرض. فماذا هيأ الله لهم فوراً؟ لأن عقاب الله سريع وفوري، فكل موقف من الإنسان يقابله موقف آني من الله سبحانه وهذا هو عدل الله. يبعث عليهم عباداً آخرين يسومونهم سوء العذاب في الدنيا وحتى قيام الساعة، إذا لم يستخدموا عقولهم ويدركوا حقيقة مايحصل لهم، فيغيرون موقفهم حتى يغير الله سبحانه بالتالي موقفه السابق منهم. وعلى فهم تلك الآية يجب أن نفهم الآية التالية:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُونِى أَستَجِب لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِى سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - ٦٠ غافر.

ومعنى داخرين أي أذلاء ومذلولين.

ولو انتبهنا فإن الله سبحانه لم يذكر الآخرة أو يوم القيامة في تلك الآية وكما أن في الأرض جنة وجنات كذلك فيها أيضاً جحيم.

مثلاً عندنا موقف من الناس الذين يستكبرون على عبادة الرحمن، ربما لمال أو ملك عندهم زائل، ولكنهم لايدركون سرعة تبدل مواقف الله بحسب مواقف الناس فيظنون أن مالهم وملكهم دائم لايزول ولا يحول فيسلط عليهم من يأخذ أموالهم وأملاكهم ومن يسومهم سوء العذاب في الدنيا. أليس ذلك العذاب جدير بأن يصفه الله بأنه جهنم، وماجهنم إلا مكان للعذاب، وأنا لاأنكر أن الله سبحانه سوف يعذبهم أيضاً بعد الحساب على أعمالهم ومواقفهم في الدنيا في نار الجحيم. المهم أن لايظن الإنسان جهلاً بكتاب الله أن عذاب الله لايصله في هذه الدنيا ظناً إن الله سبحانه واقف على الحياد ولايتدخل حتى يوم القيامة، هذا تصور خاطىء وطفولي. إذ لايحصل على الأرض من شيء سواء كان خيراً أو شراً أبداً إلا بإذنه. هذا هو الإيمان الذي يريده الله للإنسان الذي يتلو دائماً آيات الذكر باستمرار.

﴿يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرضِى وَاسِعَةٌ فَإِيَّاىَ فَاعبُدُونِ﴾ - ٥٦ العنكبوت.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أ ـ تلاوة القرآن:

وهي من أهم العبادات وأولها وأهمها في الإسلام، وقد استطاع شياطين الإنس من مساعدي السلطان بدهاء ومكر أن يقودوا المسلمين لنسيانها حتى لايعرف المسلمون حقوقهم الإلهية ليتجرأ أحدهم على المطالبة بها، وساعد تأخر انتشار الطباعة على سحب القرآن من أيدي الناس بسهولة ويسر.

وهذه العبادة لها أصولها وليست مجرد قراءة فقط: فقبل التلاوة لابد من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ـ ٩٨ النحل.

ويجب على المؤمن أن لايتمثل معنى الاستعاذة معنى وهمياً فإنه إذا قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وفهم من ذلك أن هذه العبارة المؤلفة من أربع كلمات وحرفي جر هي تعويذة سحرية لها فعل طرد الشياطين وحرقهم بالنار، يكون واهماً تماماً كما أوهمه شيطان الإنس الذي افترى الحديث التالي على الرسول ﷺ وعلى أبو هريرة رضي الله عنه.

الحديث ١٢٢٢ من صحيح البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إذا أُذنَ بالصلاة أدبَرَ الشيطانُ لهُ ضراطٌ حتى لايسمعَ التأذين» إلى آخر الحديث الذيَ لايعقل أن يقوله الرسول الكريم لأنها ليست من ألفاظه ولا من علمه الذي تعلمه من ربه في أن يكني كما كان ربه يفعل فيقول مثلاً: (إذا لامستم النساء) بدلاً من أن يقولها بشكل مباشر. وهذه آيات القرآن كلها شاهدة والله يشهد لرسوله ويقول:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ـ ٤ القلم.

فقد كان الرسول ﷺ متخلقاً بأخلاق القرآن. ثم نصدق بعد ذلك افتراءات الشياطين على رسولنا العظيم. وهذا ظلم منا عظيم لرسولنا الكريم لايستحقه أبداً. على المسلم أن يفهم معنى الاستعاذة بالله من الشيطان أنه نوع من الدعاء والتحضير النفسي لموضوع التلاوة، فيحاول المؤمن الذي نوى التلاوة أن يركز ويقول في نفسه مثلاً سوف أتلُ اليومَ ماتيسر لي من آيات سورة البقرة التي تتحدث عن موضوع الحج مثلاً لأفهم وأستوعب مناسك الحج في الإسلام من خلال آيات الله في القرآن الكريم. فيطلب

العون من الله أن يجعل استيعابه وفهمه بإلهامه المعاني الرحمانية الحقيقية أكثر، لأننا كما نعلم أن القلوب ضمن مجال عمل الله، فهو سبحانه القادر الوحيد على إلهامها والتصرف بها كما يشاء دون أن تتعارض مع مشيئة الإنسان واختياره، التي يحترمها سبحانه بعد أن جعلها من حقوقه بمشيئة سابقة منه. فيسألُ الله العونَ والمساعدة على إبعادِ الوهم والأوهامُ التي يسببها الشيطان، هذا هو المقصود من قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ولايجوز أن تكون تلاوة القرآن (تَرَفيَّةً) أي للترف والترفيه وبقصد التغني بالكلمات والتفنُّن بألحانها، ومن يفعل ذلك يشبه من يأتي بدستور أمةٍ وقانونها الأساسي فيعطيها للمحنين من أجل التغني بها من قبل المطربين.

فالتلاوة يجب أن تكون بقصد، وبنية فهم المعاني، ومن أجل التدبر والتطبيق الفعلي والالتزام بها كقانون ودستور إلهي واجب التطبيق من قبل من يؤمن بالله وبكتابه. وحتى يرتبط دائماً مانقرأه من القرآن بالخالق يجب أن تكون التلاوة باسم الله أيضاً:

﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ - ١ العلق.

وإذا قرىء القرآن في البيت أو في المسجد، فالذي يحضر القراءة عليه الاستماع والإنصات وعدم الكلام والالتهاء بأي شيء حتى لايمنعه ذلك عن تفهم المعاني الرحمانية ووصولها سليمة إلى قلبه:

﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرءَانُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ - ٢٠٤ الأعراف.

والتلاوة لها آدابها وأصولها: يجب أن تكون بصوت خاشع مسموع، قراءة صحيحة ترتيلاً، ولكن ليس تنغيماً وغناء كما قلنا، حتى لايذهب المعنى بالانتباه للنغم والطرب للصوت وفن الأداء واستحسانه، فهي كلها من البدع التي أدخلها المسلمون إلى دينهم تحت شعار البدعة الحسنة، والقصد من التلاوة هو التعلم والاهتداء للأفضل والأحسن، لأن الكتاب أنزل أصلاً ليهدي الناس للأفضل والأحسن والأقوم منهجاً وتطبيقاً:

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقوَمُ...﴾ - ٩ الإسراء.

ولابد لنا من الإيمان بالله وباليوم الآخر حتى نفهم القرآن: لماذا؟ هذا سر يحتفظ به الله وحده الذي يقول لنا:

﴿وَإِذَا قَرَأتَ القُرءَانَ جَعَلنَا بَينَكَ وَبَينَ الَّذِينَ لايُؤمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَاباً مَّستُوراً﴾ - ٤٥ الإسراء.

والله سبحانه لم يقل عن الكافرين ولا المنافقين، أنهم لايؤمنون بالله بل قال عنهم:

﴿...الَّذِينَ لايُؤمِنُونَ بِالأَخِرَةِ...﴾ - ٤٥ الإسراء.

لأن عدم الإيمان بالآخرة هو حجر الزاوية للتحول من قاعدة الإيمان إلى قاعدة الكفر وأغلب الناس يؤمنون بالله ولكن أكثرهم يشك بالآخرة أو يكفر بها.

وأفضل وقت لتلاوة القرآن وتصور مشاهد يوم القيامة والجنة والنار وتخيل صور القرآن الرائعة بأسلوب الله المعجز هو وقت الفجر:

﴿...وَقُرءَانَ الفَجرِ إِنَّ قُرءَانَ الفَجرِ كَانَ مَشهُوداً﴾ - ٧٨ الإسراء.

علماً أن تلاوة القرآن وآياته لها غاية وهدف واحد هو العلم والمعرفة ليتبعها التطبيق والالتزام بكل مايفهمه المسلم من أوامر الله سبحانه في شرع الله وقانونه. وهكذا فتلاوة القرآن واجب وأمر من الله لكل مسلم ومسلمة لايسقط عن أحد إذا فعله آخر، فهو فرض عين وليس فرض كفاية بدليل الآية:

﴿...وَأُمِرتُ أَن أَكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ * وَأَن أَتلُو القُرءَانَ...﴾ - ٩١ - ٩٢ النمل.

وأما من يفهم هذه الآيات على أنها أنزلت أمراً على محمد رسول الله ﷺ فقط ونحن غير مقصودين بها يكون مع الأسف الشديد لم يعلم بعد بأن هذا القرآن رسالة دائمة للعالمين موجهة لكل إنسان مسلم ومؤمن بالإسلام ديناً. وبالله سبحانه خالقاً ومدبراً وبالرسول محمد نذيراً وبشيراً للعالمين من خلال آيات القرآن الكريم.

لكن الذين كفروا خافوا على مصالحهم من القرآن الكريم فقالوا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسمَعُوا لِهَذا القُرءَانِ...﴾ - ٢٦ فصلت.

لذلك تآمر كل صاحب سلطة بدءاً بأول إنحراف عن سبيل الله وحتى آخر سلطان عثماني حكم المسلمين، على سحب القرآن ومنع قراءته وتلاوته من قبل الناس، فوضعوا بدلاً عنها آيات أخرى ووحياً آخر ادعوه افتراء وسموه آيات الحكمة، وهي في أحسن أحوالها مما قرأتم واطلعتم عليه في صحيح البخاري ومسلم، حيث عرضتها عرضاً شاملاً مع دراسة تفصيلية لها في كتابي (دين السلطان) حتى يعلم المسلم حقيقة تلك الآيات، فيحكم بنفسه إن كانت وحياً قدسياً سماوياً من الله مثل القرآن تماماً أو من مكان آخر، علماً أننا لم نسمع نحن المسلمين حتى الآن أن الله سبحانه قال للرسول: ذكر يامحمد بأحاديث البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وأبو داوود وغيرهم وغيرهم بل قال سبحانه:

﴿...فَذَكِّر بِالقُرءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ - ٤٥ ق.

﴿وَلَقَد يَسَّرنَا القُرءَانَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُّدَّكِرٍ﴾ - ١٧ القمر.

ولكنا سمعنا أصحاب المصلحة من السلاطين يطلبون تلاوة صحيح البخاري بدلاً من تلاوة كتاب الله الكريم. لنقرأ الفقرة التالية من الكتاب الوثائقي: السلطان عبد الحميد والخلافة العثمانية لمؤلفه (موفق بني المرجة) إصدار الكويت ١٩٨٤ الصفحة ٤٦ مايلي:

(وكان من المألوف أن يطلب الوالي أو السلطان إلى أهل الأزهر أن يقرأوا البخاري لنصره أو رفع بلاء أو حرب تبركاً به ففي شهر رجب من سنة ١٢٠٢ هجرية قدم للقاهرة آغا من استانبول ومعه ألف قرش أرسلها السلطان عبد الحميد خان (الأول) لتفرق على طلبة العلم في الأزهر ليقرأوا (ليتلوا) له صحيح البخاري ويدعوا له بالنصر. وليدعوا الله أيضاً أن يرفع الطاعون عن الناس.

وبعد أيام كتب أهل الأزهر إلى الباشا قائلين أن الألف قرش لم تكف (لأن أجرة القراءة تكلف أكثر من ذلك بكثير) فزادها ثلاثة آلاف أخرى وأحضروا أجزاء البخاري وقرأوها، ولكن الطاعون لم يرفع بل زاد وفشا.

وفي رجب أيضاً من العام التالي ورد مرسوم من الدولة يأمر بقراءة صحيح البخاري في الأزهر لينصر الله السلطان على روسيا ويأمر بأن يدعوا أهل الأزهر بذلك بعد الأذان لكل صلاة، فأمر الباشا باختيار عشر علماء من مختلف المذاهب الإسلامية لقراءة البخاري (وتلاوته) في كل يوم ورتب لكل واحد منهم عشرين نصف فضة، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان من السلطان).

وهكذا رأيتم أن السلطان يطلب من عباده تلاوة كتاب السلطان بينما الله تعالى يطلب من عباده تلاوة القرآن وأنتم أيها المسلمون اليوم أحرار فيما تحبون تلاوته كتاب السلطان أو كتاب الرحمن الذي هو القرآن.

والسلطان شاء أن يوظف من يؤولها ويفسرها لنا حسب هواه ومشيئته حتى لايكون فوق كلمته وحكمه كلمةً وحكماً آخر حتى ولو كانت كلمة الله وحكمه.

ثم نظن من سذاجتنا أن شياطين الإنس التي لم تترك قوم موسى في أمنٍ وسلام أربعين ليلة، قد تساهلت وتركتنا نصف مليون ليلة دون أن تجعلنا نشرك بالله سبحانه وتعالى ولو إشراكاً خفياً.

﴿لَو أَنزَلنَا هَذَا القُرءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّن خَشيَةِ اللَّهِ...﴾ ـ ٢١ الحشر.

والقلوب الصافية المؤمنة إذا تلت آيات الذكر الحكيم وتفهمت معاني الرحمن وتلقتها مباشرة من دون وسيط ولامفسر أو مؤول مأجور، تجدها قد خشعت وأشعر جلد قارئها وانهمرت دموعه من غير إرادة. فهل للوحي الثاني البديل الذي هدانا إليه السلطان له نفس التأثير والفعل؟

﴿...وَخَشَعَتِ الأَصوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلا تَسمَعُ إِلا هَمساً﴾ ـ ١٠٨ طه.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذقَانِ يَبكُونَ وَيَزِيدُهُم خُشُوعاً﴾ ـ ١٠٩ الإسراء.

وقال سبحانه:

﴿وَقُرءَاناً فَرَقنَاهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكثٍ...﴾ ـ ١٠٦ الإسراء.

أي لتقرأه بانتظام وثبات على الناس حتى يتعودوا على قراءته والاستماع والإنصات لآياته واستذكاره لتطبيقه وتدبر معانيه في حياة كل مؤمن ومؤمنة.

وأول مانزل على الرسول ﷺ من كتاب الله كانت كلمة (اقرأ) لأهمية القراءة في الإسلام:

﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ * اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾ ـ ١ ـ ٥ العلق.

وكانت القراءة أولى العبادات في الإسلام حيث كان المسلمون الأوائل من الذين آمنوا مع الرسول، يجتمعون ليقرأوا ماتيسر مما نزل من الآيات الكريمة على النبي محمد ﷺ ليفهموا ماذا يريد الله منهم وليتدبروا ويطبقوا ماقرؤوه، وكان هذا قبل فرض الصلاة وباقي العبادات على المسلمين. أم أنسانا السلطان كل شيء حتى تاريخ الإسلام؟ وتاريخ السيرة النبوية؟ وبالقراءة تبدأ كل علوم الإنسان، وبقراءة ماكتبه الإنسان من تجارب في الحياة ومن تجاربه في مخابر العلوم ومن تجاربه وأبحاثه في الأرض يزداد معرفة وتجربة وعلماً مع مرور الزمن، فتتطور العلوم جيلاً بعد جيل وتنتقل بواسطة الكتابة للأولاد والأحفاد، لنقرأ من جديد كل خبرات الآباء وتجاربهم وثمرة كفاحهم وسعيهم، ويتطور الإنسان ويتقدم على الأرض وتُبنى الحضارات، ولولاها لاضطر أن يبدأ كل جيل من بني الإنس من الصفر في كل دورة حياتية، وهذا يبقيه في مصاف باقي المخلوقات من الحيوانات الأخرى، وليس لهذا خلق الله الإنسان على هذه

الأرض، فمن أجله خلق الأرض والمجموعة الشمسية كلها ثم جعل له العقل والمنطق. وميزه عن باقي الحيوانات بالقدرة على القراءة والكتابة، ومنحه الفكر والحرية والإرادة الحرة. وجعل له مشيئة حُرة يختار بها مايشاء. فلم يكن كل هذا من أجل لاشيء ومن أجل أن يجلس الإنسان الذي مُنِحَ كل ذلك، في زاوية من الزوايا زاهداً في كل مامنح من العطايا رافضاً إياها، طالباً الموت البطيء، والانتحار الإرادي هروباً من الحياة.

بل خلقه ليصبح عالماً، ومن بعد العلم ليصبح عاملاً يعمل بمنهج الرحمن خيراً وعدلاً مبتعداً عن الظلم والقتل والعنف مقترباً من الحب والمودة والإحسان والسلام.

فالله قد استخلف الإنسان في الأرض لإعمارها خيراً وعملاً وحباً وعدلاً وسلاماً، ولذلك لم يترك الله هذا المخلوق من بعد ماطوره ومنحه كل تلك المنح الإضافية، والتاريخ الذي يقصه الله علينا في القصص القرآني يبين لنا بطء الإنسان في فهم مقاصد الله وغاياته، وابتعاد الأكثرية كفراً ونكراناً وظلماً لأنفسهم، فيُهلك الذين ظلموا وأفسدوا في الأرض، وينقذ دائماً الذين آمنوا واتقوا وفهموا مقاصد الرحمن، ليجدد من ذرية المؤمنين مرة أخرى التجربة والسباق دون ملل أو كلل. حتى يخرج من أصلابهم أفضل وأحسن ماخرج من الآباء، وهي سنة الله في الخلق، والله سبحانه لم يرسل القرآن الكريم للمسلمين من أجل تحنيطه أو ليجعلوا من آياته لوحات جدارية، أو ليُقرأ ويُتلى على الأموات في المقابر.

إن الأموات قد رأوا اليقين وعادوا إلى ربهم بعد أن انتهت مهمتهم في الأرض، وإنما أرسله من أجل الأحياء بعد أن كلفهم أن يكونوا خلفاءه فيها. أرسله حتى يكون كتاب هداية ونور وعلم للناس الممتلئين حيوية واندفاعاً ونشاطاً وطموحاً للعمل والبناء لحضارة الإنسان وجنته على الأرض، بالأعمال الصالحة دون أن ينسوا أن كل ذلك العمل والنشاط والهمة هو من أجل تحقيق رضى الله ونوال جنته في الآخرة كهدف وغاية في النتيجة.

تدعو آيات القرآن كلها الإنسان ذو العقل وا لبصيرة والذي يختار بإرادته وفهمه وتقديره للحق أن يبقى في جانب الحق وأن يكون مطيعاً لأوامر الله التي تدعوه للبناء والسعي والعمل والتنظيم والتخطيط، بجلد وصبر وجهاد صحيح، حضارةً للإنسان لاتعتمد على أسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهدروجينية وكيميائية وجرثومية. بل تعتمد على مبادىء الحب والتعاون ليعم السلام على الأرض، ودين الإسلام لم يُرسَل

لأمةٍ دون أمة ولا لشعب دون آخر بل كان للناس كافة:

﴿وَمَآ أَرسَلنَاكَ إلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لايَعلَمُونَ﴾ ـ ٢٨ سبأ.

﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدَىً لِّلنَّاسِ...﴾ ـ ١٨٥ البقرة.

وكما تشاهدون وتسمعون فالله سبحانه لم يقل هدىً لبني قريش، ولم يقل هدىً للعرب بل قال سبحانه (هدىً للناس). لذلك فالذي يتلو القرآن من المسلمين يجب أن يتلقى معاني الذكر بقلبه وعقله، فيفهم مقاصد الرحمن ومايطلبه منه، ثم يتدبر مافهم ليستفيد علماً وتطبيقاً، إن كانت الآية تأمره بالصدق صَدَقَ. وإن كانت تأمره بالصبر صَبَرَ، وإن كانت تأمره بالجهاد جاهَدَ في سبيل الله كما طلب منه. وإن كانت تأمره بالقتال دفاعاً عن حقوقه قاتَلَ.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ...﴾ ـ ٨٢ النساء.

أما إذا قرأناها وتلونا الآيات من أجل أن نختم القرآن في ليلة أو أسبوع أو شهر دون فهم ولاتدبر، لن نستفيد ولو ختمنا القرآن ألف مرة، فغاية التلاوة ليست كثرة الترديد، وإنما الفهم ومن بعد الفهم التطبيق لما فُهم وهذا هو تدبّر القرآن. فإذا تلونا آيات الله من دون أن تكون غايتنا وهدفنا الفهم، ومن دون تركيز وإنصات للمعاني للإلهية لن نفهم مقاصده، ولن يصلنا من رحمته شيء، وهذا مايقصده سبحانه أن يفهمنا في مثل الآيات التالية:

﴿وَجَعَلنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِم وَقراً...﴾ ـ ٤٦ الإسراء.

﴿...قُل هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدَىً وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لايُؤمِنُونَ فِى ءَاذَانِهِم وَقرٌ وَهُوَ عَلَيهِم عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ـ ٤٤ ـ فصلت.

﴿...صُمٌّ بُكمٌ عُمىٌ فَهُم لا يَعقِلُونَ﴾ ـ ١٧١ البقرة.

﴿أَفَأَنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ أَو تَهدِى العُمىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ ـ ٤٠ الزخرف.

فقيمة كل كتاب بما فيه من علم ومعلومات، وقيمته تتحقق بقراءة تلك المعلومات والاستفادة منها لابتحنيطها ضمن مغلفات أنيقة في مكتبات جميلة ليتراكم عليها الغبار مع الزمن، فتلك المكتبات تصبح عندها مقابر للكتب، إذا لم تجد من يستفيد منها بقراءتها وفهم مضمونها ثم السعي للعمل على خير مافيها تطبيقاً وتطويراً.

فيتحول ماكان فيها من حبر على ورق بعد العلم بها إلى واقع حقيقي بالعمل الجاد

المثمر الفعال. العمل الصالح هو الذي يحول المخططات والآمال الكبيرة إلى بناء وحضارة حقيقية ورقي للإنسان على الأرض، حتى يكون جديراً بحمل اسم خليفة الله على الأرض.

وهكذا عندما نتلوا القرآن يجب أن نعلم ونشعر أن بين أيدينا كتاب خاص، كتابٌ ليس كمثله كتابٌ آخرَ في كل هذا العالم. كتابٌ كلماته نورٌ وحقٌ من الله العلي القدير، كتابٌ كله معجزات وفيه شفاء لكل أمراضنا الاجتماعية والنفسية، إن توجهنا إليه بقلوبنا وعقولنا نكتشف أسراره وأغواره ومكنوناته من الدر المنثور في عميق معانيه، حيث لم يجعل الله سبحانه أي شيء سهلاً أمامنا، هذه حقيقة يجب أن نعلمها بدايةً، فهو لم يجعل اختبارنا سهلاً لأنه يريدنا أن نسمو بذواتنا وأن ننتصر على شيطان النفس بقوة العقل والإيمان به وحده وأن لانشرك به شيئاً.

فأرسل لنا هذا القرآن إنذاراً من السماء حتى نصحو مما نحن فيه. وهل يمكن لأي إنذار أن يعطي مفعوله إذا لم يقرأ من قبل الإنسان الذي وجه إليه الإنذار وفهم مضمونه؟

إذن فأول مايطلب من الإنسان تلاوة الإنذار، وبما أنه إنذار دائم ومستمر طالما بقي الإنسان حياً على الأرض، يجب عليه متابعة تلاوة نص الإنذار عن بصيرة وفهم، حتى لاينسى ولايسهى لحظة عن أوامر ربه ونصائحه، إلى أن يتسلم ربه نفسَهُ وهي راضيةً مرضية، فيكون هذا الإنسان قد نجح في الاختبار لأنه فهم الإنذار كما يجب، وطبق بنوده كما بينها له ربّهُ وسمع وصاياه ونصائحه ومواعظه ونفذها قدر إمكانه كإنسان. والله سبحانه يعلم مايطيق عبده ما لا يطيق، فلم يحمله أبداً فوق طاقته ولم يرسل له الدين حتى يعسر عليه بل حتى ييسر له كل شيء. وقال له أولاً:

﴿لايُكَلِّفُ اللَّهَ نَفساً إلا وِسعَهَا﴾ - ٢٨٦ البقرة.

وقال له ثانياً:

﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِى الدِّينِ مِن حَرَجٍ...﴾ - ٧٨ الحج.

﴿لَّيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ - ٦١ النور.

والله سبحانه يوجه الدعوة لكل الناس:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم...﴾ - ٢١ البقرة.

وهو يعلم أن قلة من الناس هم الذين سيستجيبون وأن الأكثرية هم الذين سيديرون ظهورهم، ولكنه سبحانه من أجل تلك القلة يرسل الرسل والأنبياء حتى ينقذهم في النهاية ويدمر الذين كذ بوا الرسل وأداروا ظهورهم، ولا يشترط أن يحصل ذلك في جيل أو جيلين، فقد ينتظر سبحانه عليهم مئات من السنين، ولكن في النتيجة ينقذ الذين آمنوا ويدمر الكافرين. والقصص القرآني محوره هذا الموضوع، ولو كان سبحانه لايحقق غاية من كل ذلك وليس له هدف يسعى إليه من هذا التكرار مع الزمن لصار التكرار نوعاً من العَبَث، والله سبحانه يُفهمنا في كتابه بأنه لايلهو ولا يعبث في هذه الحياة الدنيا:

﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً...﴾ - ١١٥ المؤمنون.

﴿لَو أَرَدنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهواً لاتَّخَذنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - ١٧ الأنبياء.

إذن فالله سبحانه يحقق مع كل تكرار غاية خاصة إذا انتبهنا أنه في كل مرة ينقذ دائماً المؤمنين الذين اختاروا الحق بإرادتهم الحرة، ويدمر الذين تحولوا للشر، ولم تستطع فطرة الخير أن تتغلب وتنتصر فيهم. وطالما يجعل الأجيال الجديدة دائماً أحفاداً للمؤمنين الأولين الذين ينقذهم باستمرار، فإن نسبة المؤمنين في كل عملية يكررها رب العالمين لابد أنها في ازدياد دائم. وبما أنه سبحانه جعل الإسلام آخر الرسالات على الأرض، أرسلها هذه المرة موجهة للناس كافة، وحفظ نص الرسالة بقدرة منه سبحانه، وجعل في نص الرسالة أسراراً قالها للذين استلموها أول مرة، هذه ليست لكم بل سوف أظهر معانيها وتأويلها في المستقبل. ثم يصدف بعد مرور ألف وأربعمائة من السنين أن معاني تلك الآيات بدأت تتكشف، تبرهن لكل ذي بصيرة أن دور هذا الدين لم يبدأ بعد حتى ينتهي، وأن بداية فعله الحقيقي سوف يبدأ اعتباراً من الآن. لأن الناس بدأوا يشاهدون بأعينهم معجزات هذا الكتاب باديةً للعيان كالحقائق العلمية الكثيرة التي عرفناها عن القرآن والإعجاز العددي الرائع الذي شرحته في كتابي الأول. وكل ذلك دليل على أن دور الإسلام الحقيقي سوف يبدأ وليس كما يعتقد الكثيرون من صغار النفوس والعقول أن دوره قد انتهى.

فتلاوة المؤمن لكتاب الله بشكل دائم ومع التركيز المستمر تجعله أقدر على فهم مقاصده في كل قراءة وتلاوة جديدة لآيات الرحمن، وأقدر على تلقي النور الذي فيه، فيزداد علماً ومعرفة وإيماناً في كل قراءة جديدة، وهذه حقيقة أعيشها شخصياً مع

القرآن، وقد اعترفت منذ البداية لكم أن القرآن بحر ولا يمكن لإنسان واحد أن يشرب البحر وحده. وبما أن الإنسان بالمقارنة مع الكون ذرة، كذلك علمه بالمقارنة مع علم الله. ولكننا نحن كبشر وكمخلوقات أرضية يجب أن لانستهين بما قَدَّرَ وعلَّمنا الله من علمه حتى الآن، وهو لم يتوقف ولن يتوقف في تعليم الإنسان. حتى يبلغ به الهدف الذي من أجله خلقه ومن أجله أسجَدَ ملائكته أجمعين.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَّبِّكُم...﴾ - ١٧٠ النساء.

هذا نداء لكل الناس على الأرض بأن القرآن يحوي حقائق فقط وليس فيه أوهام وظنون، وبإمكان كل العلماء في الأرض من جميع الاختصاصات أن يستفيدوا من حقائق هذا الكتاب، ليرتكزوا على مبادىء وأسس العلوم وقواعدها الأساسية، بإمكان كل منهم مسك طرف الخيط الحقيقي ليبدأ البداية الصحيحة، دون أن تكون مستندة إلى نظريات وظنون وأوهام، لا برهان لها عندهم بعد. لكن العالم الذي يؤمن بأن هذا الكتاب من خلال البراهين الموجودة فيه أنه كتاب حقيقي لله ليس للبشر كلهم حرف واحد منه، عندها سوف يتغير كل شيء بإيمان أمثاله من العلماء، كما آمن سحرة فرعون وسجدوا له رغم تهديد فرعون لهم أمام موسى عليه السلام من بعد التحدي.

لأن إيمان العلماء إيمان خالص ولا سلطة للشياطين على العلماء الحقيقين إذا تحلوا مع العلم بالإيمان.

الناس قبل ألف سنة لو أتاهم عالم وقال لهم أن الأرض كرة تسبح في الفضاء لقالوا عنه مجنون، اليوم بعد ألف سنة واحدة تغير الموقف ولم يبق على الأرض إلا أعمى البصيرة أو الأبكم أو الأصم لم يقبل بهذه الحقيقة الإلهية، إن العالم الذي يؤمن بأن قانون ازدواجية المادة هي حقيقة إلهية موجودة في كتابه، وقد آمن بالله، يصبح هذا المبدأ عنده يقيناً، فيسعى في علمه سعياً جديداً وسعياً مختلفاً عن عالم آخر لم يسمع ولم يؤمن بذلك بعد، وما يزال عاجزاً عن إثباتها بالبرهان وهكذا في كل الأمور.

ولعلم الله بما يحويه كتاب الله من حقائق وبراهين حقيقية يقول لنا وهو يخاطب عقولنا:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِيناً﴾ - ١٧٤ النساء.

والقرآن فعلاً كل ما فيه من آيات العلوم والأنباء والقصص الذي هو تاريخ البشر على الأرض، كلها براهين حقيقية من التي يسعى إليها الإنسان لمعرفتها وبها يبرهن سبحانه

للكتاب الثاني الذي يحوي الشرع والأحكام والإسلام وهو ما نسميه اليوم بالقرآن المدني الذي يدعوه الله في هذه الآية بالنور المبين.

منذ أيام معدودات شاهدت على شاشة التلفزيون أن العلماء الغربيين استطاعوا تصوير شكل نجم من الغبار، هكذا أطلقوا عليه التسمية، والله سبحانه يقول لنا أنها تشكلت من الدخان، فما هو الفرق بين الغبار والدخان: الغبار ذرات كبيرة الحجم نسبياً تثيرها الريح القوية فتحملها ذرات الهواء معها من الأرض، لكنها لكبر حجمها وثقل وزنها تعود وتتساقط على الأرض مرة أخرى بعد هدوء العاصفة وسكونها.

والدخان ذرات صغيرة جداً من الفحم وومواد أخرى، محمولة على غازات أخرى، مثل غاز الفحم الناتج عن الاحتراق ـ ولصغر حجمها ـ ترتفع في الهواء مع الغازات الخفيفة نتيجة تمددها بالحرارة. هذه الحقيقة مكتوبة في كتابنا منذ: ألف وأربعمائة سنة، واليوم يتحدث عنها العلماء.

﴿ثُمَّ استَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ـ ١١ فصلت.

فليس في طاقة البشر أن يفتروا قرآناً وفيه كل هذه الإعجازات، ولكن مُسيلمة الكذاب لم يكن يعلم عن كل ذلك شيئاً عندما ظن أن القرآن الكريم هو مجرد آيات قصيرة يجمع بينها الجناس والطباق من الكلمات، فظن أن القرآن مجرد كلمات مصفوفة.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرءَانُ أَن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ ـ ٣٧ يونس.

والرسول كما قلنا لم يكن في يوم من الأيام رسولاً لأمةٍ دون أمةٍ اخرى بل أرسله رب العالمين للناس جميعاً منذ البداية، هذه حقيقة يجب أن لاتغيب عن ذهننا نحن المسلمين، لأننا إن لم نكن نحن المستفيدين منه فسوف يكون غيرنا وهذا لاشك فيه أبداً:

﴿قُل يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَمِيعاً...﴾ ـ ١٥٨ الأعراف.

لنسأل أنفسنا سؤالاً مباشراً وبسيطاً: هل نجحنا في تبليغ هذا القرآن الذي هو رسالة للعالمين كما هو واضح في آيات الرحمن إلى الناس جميعاً؟.

إننا مع الأسف الشديد توقفنا عن ذلك بعد أن توقفنا نحن عن قراءته ومعرفة مايحويه من أسرار وحقائق وحتى الشرع الإسلامي توقفنا أيضاً عن تطبيقه وطبقنا غيره بل عكسه تماماً. واتبعنا الأوهام والظنون، مع أن الله سبحانه يؤكد لنا في كتابه الذي

هجرناه بأن الأوهام والظنون هي فقط من الشياطين، والحقائق هي فقط من الله صاحب الهدي والنور والعدل. وماذا كسبنا من أوهام الشياطين؟ لقد كسبنا وحصدنا نتيجة أوهامنا:

الجهل والفقر والضلال وظلمنا أنفسنا بهذا كله.

﴿...يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغيُكُم عَلَى أَنفُسِكُم...﴾ - ٢٣ يونس.

﴿وَمَا ظَلَمنَاهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ - ١١٨ النحل.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ - ٣٣ النحل.

علماً أن شفاءنا ودواءنا نحمله بأيدينا ولانستفيد منه. نسينا قرآننا بعد أن هجرناه إلى غيره مما حُفظنا من أحاديث البخاري ومسلم، ومانفعنا ذلك يوماً حتى ينفعنا اليوم، بل لن ينفعنا في أي يوم قادم.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَتكُم مَّوعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُم وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ...﴾ - ٥٧ يونس.

ولو خننا الشياطين يوماً وخرجنا عن طاعتهم ساعةً، وفتحنا كتاب الله في غفلةٍ عنهم، وقرأنا كتاب الله الحقيقي تعلمنا مطلق الحقيقة عن أوصاف المؤمنين الحقيقيين:

﴿رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوةِ...﴾ - ٣٧ النور

ولو سألنا آيات الله عن ذكر الله بدل أن نسأل شياطيننا لعلمنا الحقيقة:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ الحجر.

﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكرُ إِنَّكَ لَمَجنُونٌ﴾ - ٦ الحجر.

﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٤٤ النحل.

﴿مَا يَأتِيهِم مِّن ذِكرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحدَثٍ إِلا استَمَعُوهُ وَهُم يَلعَبُونَ﴾ - ٢ الأنبياء.

وعشرات الأيات مثلها تقول لنا إن الذكر هو آيات الله المتلوة على لسان العبد وبها تصبح ذكراً لله وبدون تفاعله مع الإنسان يعود كتاباً وقرآناً. ولكننا لم نستطع أن نخونهم فرجعنا لنسألهم فماذا قالوا لنا؟

قالوا: إن الذكر هو أن نجلس في زاوية من البيت أو في المسجد وننقطع عن العمل الصالح في الأرض، ونترك مهمتنا الأساسية في الاستخلاف، لنذكر اسم الله المجرد ونحن نهز برؤوسنا للأمام وللخلف. هكذا كانت نصيحة أساتذتنا وتفسيرهم الذي صدقناه وطبقناه ومازلنا نطبقه حتى يومنا هذا.

وأعطونا بدل آيات الله ونوره آيات أخرى، وأفهمونا الأمور مقلوبة ومعكوسة، فبدلاً من أن نقدر أخلاق الرسول وعقله وحكمته وحبه لله وللمؤمنين، قدسنا لحيته وثوبه، وبدل أن نرى في المسواك رمزاً للنظافة والطهارة قدسنا المسواك وخشب الأراك. وبدل أن نقصد المعنى لحقنا الشكل والمظهر. فبدل الله النعم الأولى التي أنعمها على الرسول وأمته الأولى التي يحدثنا بها ربنا في ظرف الزمن الماضي لعلمه سبحانه أننا نحن اليوم المقصودين بالآية وقال لنا «كنتم» ولم يقل لنا أنتم لعلمه سبحانه مانحن فيه وماسنصبح عليه بعد أن نشرك بالله ونتبع شياطين الإنس:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ باللهِ...﴾ - ١١٠ آل عمران.

كنا خير أمة عندما كانت الأمة متحدة على كلمة واحدة وعلى سبيل الله الواحد. ولكننا لم نعد الآن تلك الأمة أبداً، فقد أعطانا سبحانه بدل كل نعمة نقمة تقابلها، فبقدر ماغيرنا من أنفسنا من الخير للشر كافأنا سبحانه بمثله وبما يكافئه. فأيدينا هي التي أوكَت وأفواهنا هي التي نفخت فلماذا نلوم غيرنا إذن؟ ولم يظلمنا أحد ولكنا ظلمنا أنفسنا بعدم استخدام عقولنا، وبعدم تبصرنا، وباقتدائنا الأعمى بآبائنا دون أن نعلم شيئاً عن شياطين الإنس التي أضلتهم شيئاً ولا عن مآربهم ومقاصدهم ونواياهم ومصالحهم، ولو فعلنا لما كانت هذه حالنا اليوم. وأنا لا أقصد الجلوس والبكاء على ماحصل، ولكني أقصد أن نقوم من مرقدنا هذا ومن كهفنا إلى نور الله تحت الشمس ومعنا نور الله وكتابه من جديد تاركين في الكهف كل كتب السلاطين ونصائحهم ومواعظهم إلى غير رجعة.

يجب أن نتذكر أوامر الرسول الأخيرة في آخر وقفة له وهو يحدثنا وينصحنا بعد أن أدى ماعليه وماكلفه به ربه خير أداء وعلى أكمل وجه، يجب أن لاننسى أبداً ماقاله لنا في حجة الوداع والتي نجدها من غير تحريف في كتب التاريخ للسيرة وحرفت جميعها في كتب الدين بعد إضافة كلمة «وسنتي» إرضاءً للسلاطين:

«أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا أبداً كتاب الله فاعملوا به»(*).

ولكن مع الأسف الشديد خرج من بين من سمع هذه الخطبة بشكل مباشر من ترك

(*) تاريخ البداية والنهاية لإبن كثير الدمشقي، الجزء الخامس، الصفحة ١٧٩، طبع دار الريان، القاهرة ١٩٨٨.

كتاب الله إلى غيره من أجل الدنيا الغرورة. وهذا لم يفاجيء الله بل كان من علمه السابق بما خلق. ونحن إذا أطعنا الرسول فقط هذه الطاعة المفردة وتمسكنا بكتاب الله من جديد فإن نعم الله سوف تعود إلينا أيضاً من جديد، إن كنا من الذين يدركون ويفهمون مصلحتهم، يجب أن نعود إلى ذكر الله المبارك، الذي أنكره آباؤنا وهجروه إلى غيره.

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرُونَ﴾ ـ ٥٠ الأنبياء.

ومن ينس ذكر الله والتفاعل مع آيات الرحمن نسيهم الله وجعل وجودهم كله مثل عدم وجودهم.

﴿...وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُم وَءَابَآءَهُم حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوماً بُوراً﴾ ـ ١٨ الفرقان.

وحتى نفهم معنى بوراً يجب أن لانلجأ لأي قاموس حتى لانضل عن المعنى، فالقرآن هو قاموسنا إن الله سبحانه يقول لنا:

﴿...تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ـ ٢٩ فاطر.

أي تجارة لن تكسد بضاعتها.

والبضاعة الكاسدة هي البضاعة التي لاطلب عليها من أحد، فوجودها مثل قلتها.

وهنا مصدر المعاني فقط من القرآن الكريم، فمن ذِكرِنا نَفهَمُ ماذا يريد أن يقول لنا الرحمن.

لذلك فالذين لاينسون ذكر الله وتلاوة كتابه الذي هو دستور الناس وقانونهم وشرعهم ومبادىء علمهم لاينساهم الله أبداً. والذين ينسونه ينتهي أمرهم في الحياة الدنيا قبل الآخرة ولايساوون بعد ذلك ذباباً ولو كانوا بالعدد يساوون ملياراً من الناس.

روى إبن كثير الدمشقي في تاريخه عن الزهري عن أبي سلمة قال:

سمعت أبا هريرة يقول: «ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتى قبض (مات) عمر فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك هذا معروف عن عمر رضي الله عنه»(*).

(*) كتاب البداية والنهاية الجزء الثامن المجلد الرابع ـ الصفحة ١١٠.

وهل نستطيع اليوم أن ندعي أن أبا هريرة أو الذين يفترون على لسانه أنهم أفقه في دين الله من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؟

وهل كان أبو هريرة يحب الرسول الكريم أكثر من حب عمر بن الخطاب للرسول الكريم؟

﴿...فَوَيلٌ لِّلقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ - ٢٢ الزمر.

والويل لنا دنيا وآخرة. إن الله كما سبق ورأينا في مرات سابقة لم يقل أن المشركين سوف يحرمهم الله من جنة الآخرة فقط، بل حرم عليهم الجنة نوعاً سواء في الدنيا أو في الآخرة وهل نستطيع أن نجدَ وصفاً أفضل لما نحن فيه كمسلمين اليوم للتعبير عما نعانيه من كلمة: عذاب الجحيم؟

أم نحن في جنة الدنيا وأنا لوحدي لا أحس بها؟

﴿...إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ...﴾ - ٧٢ المائدة.

ولم يحددها سبحانه سواء كانت جنة الدنيا أو جنة الآخرة لعلمه سبحانه أن الجنة تعني النعيم والجحيم يعني العذاب.

أي أن الله سبحانه قد حرم على المشرك النعيم في الدنيا والآخرة. ولن يرى من نعيم الله شيئاً. وكل هذا لقلة حيلتنا وقصر بصيرتنا وعدم تمييزنا بين مصدر الحق ومصادر الأوهام، وعدم تمييزنا بين أحاديث شياطين الإنس وبين حديث الله الصحيح:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ - ٢٣ الزمر.

ألا يعلمون أن حديث الله هو الحديث الوحيد المطلوب ذكره وروايته من المسلم؟

أم أن شياطين الإنس أصدق من الله؟

استغفر الله العظيم وأتوب إليه.

﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ - ٦ الجاثية.

أما آن لنا أن نستفيق من غفوتنا التي طالت وزادت عن اللزوم؟

وأما آن لنا أن نخرج من كهفنا العزيز بعد هذا الرقاد الطويل؟.

أما آن لنا أن نعلم أننا بعنادنا الناتج عن جهلنا نظلم أنفسنا وأولادنا وأحفادنا من بعدنا كما ظلَمَنَا آباؤنا بما أورثوه لنا من أسباب الضلال فأعشو بها أعيننا عن ذكر الله وتلاوة كتابه الذي أرسله لنا رحمةً، فعاقَبَنَا ربنا بأن قَرنَنَا بالشياطين:

﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَنِ نُقَيض لَهُ شَيطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ـ ٣٦ الزخرف.

وهل ذكر الرحمن إلا كتابه وقرآنه وفرقانه وآيات أحكامه وشرعه؟

أبعد كل هذا هناك من لايزال في قلبه شكاً أن قراءة القرآن وتلاوة آياته كانت ومازالت عند الله هي العبادة الأولى المطلوبة من المؤمن على هذه الأرض؟

والذي يظن الآية التالية وأمثالها من القرآن يقصد بها الله تعالى أن يتلو الرسول محمد ﷺ كتاباً خاصاً من عنده غير القرآن الكريم فهو واهم ولم يفهم كتاب الله بعد، فالقرآن كتاب دائم للعالمين آياته مستمرة ودائمة وتقصد كل الأحياء الذين يقرؤون كتاب الله.

﴿وَاتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً﴾ ـ ٢٧ الكهف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أهمية إعادة عبادة التلاوة إلى فكر وحياة المسلمين.

حاولت جاهداً في كتابي الأول والثاني، وكما أحاول ذلك أيضاً في هذا الكتاب، أن يستوعب المسلم حقيقة ما مر على آبائنا خلال عهود التخلف التي مرت بها أمتنا الإسلامية، حيث وُجد الكثيرون من المتطوعين والمنافقين والحاسدين والمأجورين ممن ساهموا بأساليب شيطانية على جعل الأمة ترمي كتاب الله وراء ظهرها بعد أن أعطوها البديل الذي حُضِّرَ لها بدهاء ومكر تزول منها الجبال من بعد دراسة ومعرفة للسبل الجديدة التي مهدوا بها لإخراجها عن سبيل الله الصحيح وقد نجحوا في كل ماكانوا يسعون له مع الأسف الشديد فخلقوا عند الناس عقلية جديدة تعتمد على الأساطير والخرافات والجن والعفاريت والوهم والظن والخيال والأهواء والأولياء الصالحين والإعتقاد بالكرامات والسحر والمعجزات.

بدل العقلية التي بدأت تترسخ في العصر الراشدي عند صحابة الرسول وأول التابعين. عقلية العلم والمنطق السليم المعتمد على الحقائق والنور والعقل المستندة إلى كتاب الله وحده والعمل الحقيقي إصلاحاً في الأرض. فمسخ أتباع الطاغوت من علماء الدين فكرة العلم أولاً فصارت الظنون والأوهام علوماً. ثم مسخوا فكرة العمل - ثانياً. فصار الإيمان بالله عملاً. والعبادات أعمالاً ومجرد الحركات، حتى وإن كانت خلال العبادات أعمالاً (مثل بسط الثوب أو مسح الحصى أو البصاق - أو غمز الرجل لزوجته(*).

فقلبت المفاهيم كلها بعد ذلك فأصبح يُفهم التوكل تواكلاً، ويعتقد المسلم أنه مسيّر من الله وأمر تخييره مشروح في كل آيات المشيئة في القرآن الكريم الذي حُرِّمَ عليه لمسه أو قراءته أو محاولة فهمه. ولايعلم أنه قد جاء من يوجه دفة سفينته عن اتجاه الله جاعلين كل طاعاته وعباداته موجهة لطاعة الطاغوت وعبادته من غير أن يعلم أن لب العبادة هي الطاعة بحيث يمكن أن نقول: قل لي من تطيع أقول لك من تعبد.

المسلم الذي يكتشف حقيقة هذه الأمور في نفسه وفيما يراه من حقائق الدنيا من

(*) صحيح البخاري، الأحاديث ذات الأرقام ١٢٠٨ - ١٢٠٧ - ١٢٠٩ - ١٢١٣، كتاب العمل في الصلاة.

حوله يمكنه العودة إلى توجيه دفة سفينته من جديد، إذا فهم أن الوسيلة الوحيدة هي هجر كل ماعدا كتاب الله هجراً لالقاء بعده، وينسى كل الكتب والمكتبات التي قيل له عنها أنها من العلوم النافعة في الدنيا والآخرة، عائداً إلى كتاب الله بقلب سليم صافٍ نقي من كل تلك الشوائب متعلماً ما هو الصحيح من جديد من: بسم الله الرحمن الرحيم إلى نهاية كتاب الله الكامل الصادق في كل مايحويه من نور وحق وعدل وإصلاح.

ولكن هل يكفيه مجرد القراءة؟... أبداً. بل عليه أن يتدبر مايقرأ دائماً.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ...﴾ - ٨٢ النساء.

فيتمثل أوامر الله سبحانه كلها من القرآن مباشرة. فيطيع تلك الأوامر طاعة عن حب وإيمان بأن الله سبحانه يريد له الخير ولايريد له الشر، يحب له الطيبات ويكره له الخبائث. ويجنب نفسه الأمارة بالسوء الوقوع في المعاصي، ويلتزم الصراط المستقيم ويفعل مايأمر به الله من كل القيم التي ترفع الإنسان كالصدق والوفاء والكرم والأمانة والاستقامة والتعاون والعدل والإحسان والإصلاح والتواضع والوقار والحلم والحياء والشجاعة والصبر. وكل ذلك ضمن إطار إنساني من التراحم والتوادد محبة ورفقاً وعطفاً ومغفرة وصلة للرحم.

ويمتنع عما حرم الله من أكل الربا وباقي المحرمات ولايتعدى حدود الله. جاعلاً الرسول الكريم محمداً ﷺ قدوة له في دينه وإيمانه وعمله وحسن خلقه وحبه للمؤمنين، ويعمل عملاً صالحاً نافعاً فيه خدمة للناس، ليؤجر عليها بعد إتقانه لذلك العمل الذي يؤديه وكأنه يرى الله أمامه، ويراقب حسن أدائه وأمانته وإخلاصه في العمل، فينال أجره من خالقه على ذلك. بعد أن ينال أجره على الأرض من صاحب العمل. ولايزهد في دنياه. وكما لايجعلها أكبر همه متذكراً على الدوام أن الإسلام هو دين الوسط بعيد عن التطرف دائماً إلى أن يتسلم الله سبحانه نفسه وهو راض عنه، فيفوز بالدنيا والآخرة، ولسان حاله يقول:

﴿...رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِى الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ - ٢٠١ البقرة.

والمؤمن يجب أن ينصت بقلبه وعقله لما يقرأ من كلمات الله وآياته في القرآن والمقصود بالإنصات هو تركيز الذهن مع التوجه كليةً لفهم المقروء. لمعرفة المطلوب منه بما يقابل ذلك الفهم من تغيير في أسلوب الفكر، أو من تغيير في أسلوب التعامل مع

الإنسان وباقي الأحياء والتعامل مع باقي الموجودات في محيطه الأرضي من الأشياء.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ - ٢٠٤ الأعراف.

ثم يفهم مقاصد الرحمن من المعاني لآياته مثل الآية الكريمة:

﴿ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴾ - ٨٢ الإسراء.

فالقرآن الكريم أنزله سبحانه رحمة للناس جميعاً، لكن من الناس من يتنكر لتلك الرحمة، ويتقبلها المؤمنون فيصيبهم من رحمة الله نصيب أعظم.

وللإنسان في فهم آيات الله موقفان(*): إما أن يكون موقفاً رحمانياً فيفهم مايريده سبحانه من الحقائق. أو أن يكون موقفاً شيطانياً فيفهم مايريده الشيطان أو نفسه الأمارة بالسوء من معانٍ لاتستند على الحق والحقائق بل تستند على الأهواء والظنون.

فإن فهمنا القرآن فهماً رحمانياً شملتنا رحمة الله، أما إذا فهمناه فهماً شيطانياً نكون قد ظلمنا أنفسنا وحرمناها رحمة الله.

ولو كنا نتدبر مانقرأ لاكتشفنا وحدنا أن هذا القرآن يرشد دائماً للأحسن والأفضل والأصوب والأقوم:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ - ٩ الإسراء.

نعود للآية التي قبلها من سورة الأعراف لنعلم كيف يكون موقف الناس من فهم معنى الشفاء والرحمة للمؤمنين فيها.

فإن وقفنا من كلمات الآية موقفاً وهمياً شيطانياً حَسِبنا أن في الحروف والآيات سحراً خاصاً، تلقيناه من أوهامنا وظننّا أنها تشفي من الأمراض المعدية، وتغني عن العمليات الجراحية وتفتح الشرايين المسدودة بالكولسترول وتشفي من السرطان.

وإن كان موقفنا منها موقفاً رحمانياً فهمنا أن للنفس أيضاً أمراضاً كما للجسد مثل الكذب والنفاق والرياء والخيانة وسوء الظن بالناس والحقد والحسد والبغضاء وحب الشر والأذية حتى من دون سبب أحياناً وحب الزنى ومافي أيدي الناس وتفضيله على الحلال. هذه هي الأمراض التي يتعامل معها القرآن وهذه هي الداءات الممكن شفاؤها من خلال الفهم الصحيح لكلمات الله، مع تدبر الفهم وتلازمه بالتطبيق الفعال المسنود

(*) كما شرحت ذلك في كتابي الأول تحت عنوان: كيف يجب على المسلم أن يفهم القرآن؟ وكيف يتعامل مع كلام الله؟

إلى إيمان صحيح وخوف وخشية حقيقية من عقاب الله، ولابأس أن يكون طمعاً بجنة الرضوان.

المهم هو التدبر والسير بما يأمر به القرآن. فالربان الذي يعتمد على بوصلة حرفها له عدوٌ سوف يتوه في البحر. والإنسان الذي يعتمد على الشيطان أن يكون دليله في هذه الحياة الدنيا سوف يضيع أيضاً، لأن الشيطان عدو مبين للإنسان وعلمنا بعداوته لنا من رب العالمين.

﴿...وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ - ١٦٨ البقرة.

وقد كرر الله سبحانه هذه الآية في ثلاث مواضع من القرآن لأهمية فهمها من قبل الإنسان. فالإنسان يجب أن يعلم أن أخطر الشياطين عليه هم شياطين الإنس، ومن أخطرهم على نفسه شيطانه الخاص التي هي نفسه الأمارة بالسوء، فلا داعي أن يتخيل عفريتاً يعيش في داخله إلا نفسه.

هذه النفس هي أخطر الشياطين على كل نفس إنسانية. وبعدها يأتي دور باقي الشياطين من أصحاب ومعارف وأحياناً أقارب وكثير من رجال الدين إذا كانوا يعيشون من فضل عطايا (الطاغوت) الحاكم المستبد بالناس.

ويجب على المؤمن أن ينصت ويركز ليفهم ماهي خطوات الشيطان. يجب على المسلم أن يعلم أن الشيطان ذكي يوجه ذكاءه للشر بدهاء وله كيد وله أساليب ماكرة، فلن يأتيك أحد منهم بصراحة مباشرة. لو كان الشيطان يأتي بمثل هذه الأساليب لما سمي شيطاناً بل سماه الله سبحانه اسماً آخر يليق به أكثر.

بل يأتيك بأمكر الأساليب ويقودك خطوة خطوة وأنت لاتعلم إلى أين تقاد حتى تجد نفسك في النهاية وقد وقعت في الخطيئة وحصل المحظور. لماذا لأنك تساهلت في الخطوة الأولى التي تبعتها خطوات، لذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿...وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ...﴾ - ٢٠٨ البقرة.

قد تكون جالساً مع رفيق في بيته ويعرف مثلاً أنك لاتشرب فيضع أمامك زجاجة خمر فاخرة ذات منظر أخاذ فيؤثر عليك بالمنظر أولاً. ثم قد يعرض عليك أن تشمها مثلاً فتقول في نفسك إن شمها ليس محرماً، ثم يشرب أمامك قدحاً، وقد يعرض عليك أن تذوقه بلسانك دون أن تشربه فتذوقه فيستحسنه شيطانك، إلى أن تشرب منه في النهاية بعد أن يقول لك إن الله لن يحرقك بالنار لأنك قد شربت قدحاً. ومأأظن أن

الله ظالم إلى هذه الدرجة. هذه هي خطوات الشيطان وهذا يصح في كل الأمور الأخرى من المعاصي كلها.

فالإنسان الذي يتدبر آيات القرآن، يكتشف من أولى مبادرات الشيطان وخطواته، ويعرف أن وراءها مكيدة شيطان، فيقوم مستأذناً هارباً من باقي الخطوات الآتية بعدها، ومتخلصاً من الموقف جملةً وهذا هو الفرار المطلوب من المؤمن أمام كل الشياطين.

وقديماً قالوا: لاتضع السيف في موضع الندى. فلا نضع أنفسنا مع الشياطين ثم نلوم الشيطان إذا جر أقدامنا إلى المعاصي، فهذه مهمته.

وداخل كل نفس منا خلق الله لتلك النفس شقين يمكن تخيلهما نفسين، نفس أمارة بالسوء تنقاد وراء الشهوات والأهواء، ونفس تنقاد للعقل والضمير والمنطق السليم. وكلاهما مثل الشجر يمكن مع الرعاية والسقاية والعناية أن ينمو ويكبر وتقوى ساقه وتتفرع أغصانه وجذوره، ولكن من رحمة الله ومشيئته جعل نمو الشجرتين معاً مستحيلاً، فعلى صاحب هذين الشقين من نفسه أن يختار، والمسلم الذي علم بعد إنذاره من السماء بمصير من يختار أن يرعى شجرة الشيطان ويهمل إلى جانبها شجرة الرحمن أعلمه رب العالمين سلفاً بما ينتظره بعد أيامه المعدودات في هذه الحياة الدنيا من مصير أسود وعذاب أليم في جحيم مقيم.

وكما بشر المؤمن الصالح، الذي سار بهدي الله وكتابه ووقى نفسه واتقى، وخاف يوم لقاء ربه فعمل بما يفرح الله ورسوله، وجد أيضاً أن جنة الرضوان في انتظاره، ولكن كما قلت منذ البداية، كلا الشجرتين بحاجة إلى رعاية وعناية وسقاية. ورعاية شجرة الرحمن تحتاج إلى معرفة دائمة ومستمرة بآيات الله وأوامره ونواهيه ـ فمن طبع الإنسان النسيان ـ فلا بد من تذكير النفس بشكل دائم وهذا التذكير لايمكن أن يتم إلا بالأسلوب الذي اختاره الله سبحانه، وهو بالتلاوة لآيات الذكر الحكيم، وبما تيسر منه بدون أي شروط مسبقة إلا النية الصالحة والقصد بالتعلُّم لأحكام الله وأوامره ونواهيه وصراطه وحلاله وحرامه ومايجب الابتعاد عنه واجتنابه من أعمال الشيطان، ومعرفة حدود الله حتى لايتعداها المؤمن عن جهالة. وهذا لن يتم أبداً إلا بالتلاوة الدورية اليومية لما تيسر من القرآن، مع استحسان قراءة الفجر منها لأنها أقرب للعقل والفهم من باقي أوقات النهار لاستيعاب المقروء بشكل أفضل. وبإعادة المسلم عبادة التلاوة إلى باقي العبادات والالتزامات الضرورية. فتأثير التلاوة وطلبها وضرورتها للإنسان لايقل

أبداً عن الصلاة، بدليل أن الله وضعها في ترتيبها قبل الصلاة كما شاهدتم الآيات. وجعل الله لكل عبادة هدفاً بذاته والله ينبهنا في القرآن أن مصلحة وهدف الطاغوت هو أن يضلنا عن آيات الذكر، لعلمه باستحالة وصوله على مايريد منا، طالما بقينا متمسكين بكتاب الله دون سواه من الكتب، لذلك يصف الله لنا موقف الإنسان الذي يختار سبيل شهواته وأهوائه ويتبع شيطانه، ويترك فطرة الخير والحق والعقل والمنطق ونداءها في داخله. ماذا يحصل له في الآيات التالية:

﴿وَيَومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَقُولُ يَالَيتَنِى اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ - ٢٧ الفرقان.

ولا يشترط أن لايكون هذا الظالم ظالماً لنفسه بسوء اختياره.

﴿يَا وَيلَتِى لَيتَنِى لَم أَتَّخِذ فُلاناً خَلِيلاً﴾ - ٢٨ الفرقان.

يتذكر صاحبه الذي كان يلازمه ويرافقه وهو يتتبع خطواته إلى المعاصي في سباق مع الشهوات.

﴿لَّقَد أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكرِ بَعدَ إِذ جَآءَنِى وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ - ٢٩ الفرقان.

ماذا جاءه وكان مع الرسول ﷺ: جاءته الرسالة. وماهي الرسالة؟.

كتاب الله الذي هو القرآن الكريم. إذاً لقد أضله الشيطان الذي هو خليله عن الذكر وبماذا عرّفنا الذكر في مقدمة هذا المقال؟

هو القرآن متلواً بلسان عبد من عبيد الله.

لذلك لم يقل الله سبحاه أضلني عن القرآن. لأن القرآن كتاب موجود ومطبوع ومحفوظ ضمن مصحف لايضل ولايهدي أحداً بذاته. لكن الضلال والهداية تأتي من الإنسان الذي أمره الله تلاوته بلسانه ليصبح ذكراً، فإن تلاه وفهمه وتدبر ماتلى وقرأ فيه، اهتدى بالنور والعلم الذي فيه، فأما الإنسان الذي أضله الشيطان فهجر القرآن وتركه في جيبه أو مكتبته ولم يقرأه لم يقل عنه سبحانه «أضله الشيطان عن الذكر» بل قال: «هو كالحمار يحمل أسفاراً» وهكذا نجد أن من لايتلو الذكر ليتدبر ويتفاعل مع المعاني النورانية في كتاب الرحمن لن يستفيد من كتاب الله أبداً وإن كان سيندم في النهاية يوم لا ينفع الندم، كما يعلمنا بذلك رب العالمين.

والآن إلى سؤال مهم جداً حول هذا الموضوع وهو: هل يحتاج المسلم الذي سيتلو القرآن إلى وضوء مسبق؟.

لم يحدد الله سبحانه اشتراط الوضوء إلا لعبادة واحدة وهي الصلاة، وماعدا تلك العبادة لم يشترط الله الوضوء أبداً في باقي العبادات، لكن إذا تطوع الإنسان مع علمه بعدم تكليفه بالوضوء فتوضأ وقرأ تنطبق عليه معنى الآية الكريمة:

﴿...وَمَن تَطَوَّعَ خَيراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ - ١٥٨ البقرة.

هل يحتاج المسلم الذي يتلو القرآن إلى الغسل من الجنابة؟.

لقد ورد في كل القرآن الكريم آيتين عن الجنابة وهما:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمتُم إِلَى الصَّلَوةِ فَاغسِلُوا وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامسَحُوا بِرُءُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ وَإِن كُنتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُوا...﴾ - ٦ المائدة.

وهي كما لاحظتم للصلاة فقط ثم ننتقل للآية الثانية:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقرَبُوا الصَّلَوةَ وَأَنتُم سُكَارَى حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغتَسِلُوا...﴾ - ٤٣ النساء.

وكما لاحظتم في الآيتين كان الشرط للصلاة فقط. علماً أن الله سبحانه أرسل هذا الدين يسراً ولم يرسله حتى يعسر على الناس. ذكر في تكملة الآيتين أنه في حال المرض أو في حال السفر أو في حال عدم توفر الماء من أجل الاغتسال يمكن الاكتفاء بالتيمم، وهل من تيسير أكثر من ذلك.

كل مسلم يجب أن يسأل نفسه السؤال التالي:

هل أرسل الله سبحانه رسالة الإسلام من أجل هدي الناس إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة أم من أجل إضلالهم؟ أعتقد أن جواب الأغلبية سوف يكون من أجل نفع الناس في الدنيا والآخرة.

إذن مادام الله سبحانه أرسل هذا الكتاب ليهتدي به كل الناس فيجب أن يكون كاملاً لاينقصه شيء حتى يجيب على كل تساؤلات المسلمين، فهل هذا القرآن كامل أم ينقصه أشياء كثيرة لابد من الرسول لإتمامها؟.

فمن نسأل؟

هل تفضلون أن نسأل المفتي أم نسأل الله سبحانه الذي هو على صلة دائمة مع عباده من خلال كتابه؟

فنسأل إذاً كتاب الله ماذا يجيبنا عن هذا التساؤل المهم؟

﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً...﴾ - ٣ المائدة.

علمنا من شهادة الله أنه اكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته ورضي لنا أن يكون الإسلام ديننا نحن المسلمين. فشكراً لله على نعمه ونسأله المغفرة وحسن الختام في الدنيا، ونتأمل منه حسن ثواب الآخرة.

عندما قال الله سبحانه وتعالى، وأنزل تلك الآية على رسوله، هل كان هناك بين أيدي المسلمين كتاب آخر إسمه الحكمة؟ بمعنى كتاب خاص مختلف عن كتاب الله وفيه سنن وأحكام خاصة برسوله؟

أو أحاديث للرسول مجموعة في كتاب تكون مرجعاً هاماً للمسلمين وآياته تنسخ آيات الله التي في القرآن؟ ويعتبرها غالبية المسلمين متممة لكتاب الله الذي سجل يوماً بيوم ولحظة بلحظة من قبل كتبة الوحي. واليوم ونحن في القرن العشرين نكتشف بواسطة الإعجاز العددي في القرآن أنه لايزيده حرف واحد ولاينقصه حرف واحد، كما شرحت ذلك في مكانه أعتقد أن جواب الأغلبية سوف يكون بأنه لم يكن مع كتاب الله كتاب آخر لحظة نزول تلك الآية على رسول الله وسؤال آخر مهم: هل نسي الله أو سهى عن أي موضوع فلم يتحدث فيه ولابد من أجل ذلك أن نعود إلى كتاب الله تعالى لسؤاله حول ذلك الموضوع؟.

أولاً يعلمنا الله عن نفسه في القرآن ويقول:

﴿...وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ - ٦٤ مريم

﴿...لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ - ٥٢ طه.

إذاً فالله يعلمنا أنه ليس من الذين ينسون وليس من الذين يُضِلُّون بل يؤكد لنا رب العالمين:

﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾ - ٣٨ الأنعام.

أي أنه لم يترك أي موضوع يهم المسلمين معرفته إلا وذكره في كتاب الله الذي بين أيدينا نحن المسلمين كاملاً ولاينقصه حرف واحد عما نزل به على لسان محمد ﷺ.

إذاً طالما علمنا بعد كل هذه الأسئلة والأجوبة بشهادة من كتاب الله لو كان المسلم يحتاج في كل سؤال يخطر على فكره عن الإسلام إلى مفتي متخصص بالمذهب الذي

يسير عليه المسلم لاحتاج عندها كل متبع لملة أو مذهب أو طريقة إلى مفتي متخصص.

فإن كان سنياً يحتاج إلى مفتي سني.

وإذا كان سنياً حنفياً يحتاج إلى مفتي سني درس فقه أبو حنيفة النعمان.

وإن كان شيعياً احتاج إلى مفتي شيعي.

وإن كان زيدياً احتاج إلى مفتي زيدي.

وإن كان درزياً احتاج إلى مفتي درزي وهكذا.

في نهاية هذا الحديث يجب أن نقول الحقيقة المرة بعد أن احتفظنا بها مدة طويلة ونحن نخشى الناس أكثر من خشيتنا للذي خلقنا.

﴿...اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلا تَخشَوهُم وَاخشَونِ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِيناً...﴾ - ٣ المائدة.

والحقيقة هي: ليس عند المسلم بعد كتاب الله كتاب آخر بعده إذ لا كتاب بعد القرآن العظيم.

كل إنسان مسلم وإلى جانبه كتاب الله، إذا عاد وفكر في العبادة التي سعى إليها شياطين الإنس كي ينسى المسلمون كتاب الله الحقيقي يكتشف أن الشياطين قد نجحوا نجاحاً باهراً كما نجح السامري، بإضلال قوم موسى خلال أربعين ليلةً، فلماذا إذن نتخيل أن الشياطين قد عجزت عن إضلالنا نحن المسلمين في ١٤٠٠ ضرب ٣٥٤ = ٤٩٥٦٠٠ ليلة؟

طالما علم المسلم وآمن أنه على ضلال فعلي، وأن مايسير عليه فعلاً ويطبقه ليس برسالة محمد ﷺ بل رسالة أخرى لايعلمها إلا الله. لاستطاع عندها أن يؤمن من جديد بأن تلك الرسالة مازالت كاملة وتنتظره في كتاب الله. وهو ليس بحاجة إلى وضوء ولا حتى إلى غسل من جنابة حتى يلمسه ويقرأه كما يشاء، وأن كل ماسمعه من آبائه وأجداده عن الدين ليس بأكثر من ظنون وأوهام، وأن الحقيقة كاملة محفوظة بين يديه لايحتاج إلا أن يمد يده ليفتحه ويقرأ وينهل من نور الله المباشر من جديد من دون رقيب عليه ولا شيطان يسعى لإضلاله.

فهل يعقل لمن يتيسير له هذه المعرفة الجديدة أن يسأل المفتون عن دينه والله إلى جانبه يجيبه بكتابه عن كل مايخطر على فكره من أسئلة، حتى عن العلوم وعن التاريخ

وقصص الأولين ـ ويعطيه أجوبة لاظن فيها ولاتخمين ولا اختلاف. ولايقول له مسألة فيها وجهان ولا يقول له أن في القرآن ثمانون نوعاً من أنواع الإختلاف.

ولايقول له يجوز ولا يجوز، ولايقول له إن الكبائر سبعة وهي تسعة وهي سبعون وهي سبعمائة، وكلها صحيحة. هذه ليست أجوبة الله سبحانه إنها كلها من أجوبة الشياطين حتى يزرعوا الفتنة والاختلاف ضمن الآمة حسداً واستغلالاً للضعف والهوان. أما آن لنا أن نخرج من كهوفنا إلى النور الحقيقي حتى نرى ماذا خلق الله لنا في هذه الدنيا؟.

ماذا قال الله تعالى لأمة المسلمين بعد أن أعزها الله بالإسلام قوة واتحاداً وعلماً وعملاً ورحمة وتراصاً، وهدياً إلى صراط الحكيم الحميد.

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخواناً وَكُنتُم عَلَى شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا...﴾ ـ ١٠٣ آل عمران.

فهل سمعنا الموعظة، وتمسكنا بحبل الله، أم سرنا ونحن نمسك بحبال الشياطين ونحن كالأنعام بل أضل سبيلاً.

﴿...إِن هُم إِلا كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ـ ٤٤ الفرقان.

ويعظنا سبحانه موعظة أخرى مع نفس الآيات:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ...﴾ ـ ١٠٥ آل عمران.

ويعني اليهود والنصارى الذين أصبحوا شيعاً وأحزاباً أيضاً، فهل سمعنا الموعظة وهل نحن اليوم على إسلام واحد وسبيل واحد؟

أم أننا تفرقنا ومازلنا نتفرق حتى سبقنا كل المتفرقين.

وحتى لم يبق لنا إلا أن يتفرق الواحد منا عن ذاته.

وكما ترون وتلاحظون من مجريات الأحداث من حولنا والظروف المحيطة بنا، ومن أوضاعنا كمسلمين في العالم، نزداد ضعفاً يوماً بعد يوم، ومع ضعفنا يزداد هواننا على الله والناس. فقتل مليون مسلم لايساوي في تقدير من بيدهم الأمر والقوة اليوم قتل ذبابة واحدة. هل هذه حقيقة أم أتجنى على أحد؟

أليس هذا هو واقعنا الحالي؟

أليس هذا هو واقعنا الأسود الحزين. فما هي البدائل التي أمامنا؟

هل البديل أن تُلبس الجلابية أو الدشداشة لجميع رجال المسلمين في العالم ونحف شواربهم ونرخي لحاهم. ونُلبس نساءنا الحجاب الشرعي؟

فيرضى الله عنا، ونعود أمة واحدة من جديد. وإن كنا سنفعل ذلك فأين البرهان على ماهو مطلوب في كتاب الله؟ ولكن دعونا قبل أن نفعل ذلك نجلس ونفكر، لنفرض أننا نفذنا كل ذلك هل تعتقدون أن ذلك سوف يغير أي شيء من أوضاعنا الحالية؟

أعتقد أن أغلب الذين يستخدمون عقولهم في هذه الدنيا يتفقون على جواب واحد هو: لا لن يتغير من أوضاعنا المتردية أي شيء أبداً.

إذاً ليس سبب غضب الله علينا لأمور شكلية. فماذا يريدنا الله أن نغير إذن؟.

إن الله تعالى يريدنا أن نغير أسلوب تفكيرنا كله والذي نسميه اليوم بالعقلية.

فالله تعالى يريدنا أن نغير العقلية الوهمية المؤمنة بالخرافات والأوهام والأولياء والصالحين والشفاعات والكرامات والمعجزات، إلى عقلية علمية تؤمن فقط بالعلم والعقل والعمل التي هي أسس كتاب الله ومنهجه في القرآن، وهذا لن يتم لنا أبداً، إذا لم نترك كل مصادر الأوهام في ديننا ونتوجه إلى مصدر العلم والعقل والعمل، ولن نجد ذلك كله إلا في القرآن الكريم وحده ليس لنقرأه فحسب، لأن قراءته وحدها لن تغير شيئاً، بل من أجل تفهم الآيات ومن ثم تطبيقها من قبل كل مسلم منطلقاً من ذاته بنداً بنداً. هذا هو السبيل الوحيد للتغيير والتبديل من نقمة الله إلى نعمة الله في كل شيء.

إذا عدنا لكتاب الله سوف نجد أن الله تعالى لا يعير المظاهر والأشياء الشكلية أي اهتمام أبداً، بل يتركها للمتعارف عليه بين الناس (المعروف) ولم يتكلم سبحانه أصلاً عن اللحى، وليس في القرآن أية تتحدث عن الشوارب واللحى أبداً، إلا ماذكر عن بني إسرائيل على لسان هارون وهو يكلم موسى عليهما السلام.

﴿قَالَ يَابنَؤُمَّ لا تَأْخُذ بِلِحيَتِى وَلا بِرَأسِى...﴾ - ٩٤ طه.

بعد أن غضب موسى عندما رأى بني إسرائيل قد عبدوا العجل خلال غيابه محملاً المسؤولية لهارون أخيه.

وهكذا نكتشف أن إرادة الله في التغيير هي لما في النفوس والعقول، عندها سوف يتدخل سبحانه بسنته وقوانينه الثابتة ليغير بها كما وعدنا من أوضاعنا من دون الحاجة إلى عنف ولاقتال ولاتفجير لأحد.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

وهكذا نكتشف وحدنا كما قلنا قبل قليل، أن دواءنا لن نجده إلا في كتاب واحد وهو الكتاب الذي هجرناه وجعلناه كتاباً للموتى منذ ألف وأربعمائة من السنين، وتركناه للعناكب والغبار، ونحن نخاف أن نلمسه مع أن شفاءنا كله ودواءنا لايوجد إلا فيه. فهل هناك ظلم للنفس أشد من ذلك في العالم كله؟

أليس الله سبحانه الذي يذكرنا بظلمنا لأنفسنا في كتابه:

﴿...يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُم عَلَى أَنفُسِكُم...﴾ - ٢٣ يونس.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُم وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُم...﴾ - ١٠١ هود.

﴿...وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ - ١١٧ آل عمران.

وهكذا كل شهادات الله تشهد بأن مانحن فيه اليوم من جهل وضعف وتفرق وذل وهوان على الله والناس ليس ظلماً من الله ولا من أعدائنا، بل هو ظلم من أنفسنا بعنادنا وعدم تبصرنا على رؤية الشفاء المتاح لنا وبين أيدينا، وقرآننا على بعد أمتار من يد كل واحد منا ينتظر، والله سبحانه وتعالى ينتظر منذ ألف وأربعمائة سنة، وقد ينتظرنا آلاف أخرى حتى يرانا تحركنا وبدأنا نقرأ ونتلو القرآن من جديد، لنعرف الخطأ من الصواب، ولنزيل الغشاوة عن أبصارنا، ونزيل الوَقرَ عن أسماعنا ونتوجه إليه من جديد، نرجو الإيمان بعد أن نسعى تطبيقاً له ولأوامر الرحمن في كتابه، ونعود لنتلو القرآن كل يوم حتى نعرف ماهو المطلوب منا، ونعود إلى منهج الله في ديننا فنعبده وحده، ونخلص له العبادة، ونصلي ونزكي من أموالنا، وندفع حقوق الفقراء والمحتاجين، حتى لايبقى بيننا فقير أو محتاج، لنعود أمةً واحدة لاتفرقنا شيع ولا أحزاب ولامذاهب ولا طرق صوفية.

وما الغشاوة ولا الوقر إلا كتب الطاغوت التي قدسناها بإسم الأحاديث النبوية الشريفة قبل أن نعلم حقيقتها، ولابد من تركها وهجرها جميعاً بدل هجرنا لكتاب الله المبين الحاصل اليوم.

عندها فقط سوف تزول نقمة الله عنا، ويبدلها لنا رب العباد إلى نعيم بقدر سعينا

واجتهادنا وجهادنا لفعل الخير والخيرات، لنعيش في سلم وسلام مع كل العالم ولانقاتل إلا من يحاول أن يعتدي على ديننا أو أرضنا أو عرضنا أو مالنا، أو يحاول التعدي على حرماتنا ومقدساتنا، أو يعتدي على حياتنا أو حرياتنا. فالإسلام دين العزة والقوة لايقبل بالضيم ولا بالذل، فمن قاتلنا أو اعتدى علينا في كل ماذكرنا قاتلناه، ليس تشفياً ولا حقداً وانتقاماً، وإنما عن عدل كما علمنا ربنا في كتابنا الذي هو دستورنا ومنهجنا ومرجعنا وإمامنا ومفتينا، وطالما كتاب الله بين أيدينا ولايفارق ذكره ألسنتنا، فإن الله معنا ولسوف يبقى معنا. ومن كان الله معه لن يخشى بعد ذلك عباد الله، فالله أحق أن نخشاه:

﴿...فَلا تَخشَوهُم وَاخشَونِى وَلأُتِمَّ نِعمَتِى عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ - ١٥٠ البقرة.

﴿...فَلا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ - ١٧٥ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ب ـ الصلاة:

من العبادات الهامة في دين الإسلام كا قلنا سابقاً فإن كل عبادة لها أهداف وغايات حددها رب العباد، وللمؤمن عن طريق الفكر والعقل أن يصل إليها.

وكما رأينا في العبادة الأولى وهي تلاوة الذكر الحكيم، كانت غايتها جعل كل المؤمنين على معرفة دائمة بكل أمور دينهم، وهذا لن يتم كما رأينا إلا بالقراءة والتلاوة عن تفكر وتركيز وتدبر، أي للمعرفة من أجل التطبيق يشترط أن لاتكون التلاوة تَرَفيه وإنما تلاوة من أجل العلم والتعلم لأحكام الله الصحيحة، والمسلم الذي يصل إلى ذلك لم يعد بحاجة إلى فقيه أو مفتي ليفهم منه الدين، بعد أن أصبح أستاذه ومعلمه المباشر هو الله سبحانه من خلال آياته المضيئة بنورها الذاتي، وكما تلاحظون فإني أستشهد دائماً بآيات القرآن الكريم، وليس فيها مايستعصي على الفهم، كما تلاحظون فأنا لا أشرحها ولا أفسرها لأنها مفهومة بذاتها وهل يعقل أن يكون أسلوبي مفهوماً أكثر من أسلوب الله المعجز لكل البشر؟

خاصة في مجال الرسالة. أما في مجال النبوة من الكتاب فما زالت فيه آيات لم يأت الوقت بعد لاظهارها للناس فهي للذين سيأتون من بعدنا من المسلمين وليس من الضرورة فهمها وهي كلها حصرها رب العزة في القسم المكي من القرآن الكريم، حتى لا يتوه المسلم بين ما أنزل من كتابه في مكة المكرمة عن الذي نزل منه في المدينة المنورة.

الصلاة هي العبادة الوحيدة التي لها شروط كثيرة وأوقات محددة وركعات وحركات وقراءات محددة ومطلوبة، فما هي غاية وأهداف هذه العبادة في نفس المؤمن؟ ضربت سابقاً مثل المغناطيس لشرح معنى الإيمان وكيف يشكل الإيمان قوة بعد أن كانت تلك القوة ضائعة بين أفراد الأمة. كما كانت قوة المغنطة ضائعة بين ذرات الفولاذ التي لم تمغنط بعد.

فالصلاة وظيفتها تقوية هذه المغنطة عن طريق النظام والتنظيم داخل النفس والمجتمع، إذن غاية الصلاة تعليم المؤمن النظام والتنظيم حتى يصبح من عاداته اليومية لذلك حدد الله أوقات الصلاة: الفجر ـ الظهر ـ العصر ـ المغرب ـ العشاء، وحدد في كل صلاة

عدد الركعات عن طريق رسوله الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، وحدد طريقة الصلاة وأصولها وآدابها، وماذا نقول إذا نوينا الصلاة وبماذا نبدأ، وماذا نقرأ وماذا نقول إذا ركعنا، وماذا نقول إذا سجدنا، وماذا نقول عندما ننتهي من الصلاة. ولم يترك أي شيء غامضاً. وأغلب شيع المسلمين لم يختلفوا في طرق العبادات خاصة في الصلاة والصوم والحج إلا نادراً.

الصلاة هي أداة المؤمن لتقوية حس النظام والتنظيم ليظهر بعد ذلك في المسجد على شكل حركات وقراءات موحدة بقيادة إمام واحد. والناس الذين علموا ماللنظام وتأثيره على الفرد والمجتمع استخدموا ذلك في الوحدات العسكرية حيث يعلّمون في النظام المنضم هذه الحركات الموحدة ضمن إيعازات، بحيث تنتظم حركاتهم كلها تماماً كما شرحت في حال ذرات الفولاذ بعد المغنطة بتوحيد حركات الالكترونات فتظهر قوة كانت قبلها موجودة وضائعة بالفوضى ظهرت عند التنظيم.

فالصلاة وظيفتها التنظيم من أجل إظهار قوة الإيمان عند المسلمين، بشكل جماعي لأن المقصود في الإسلام هو الأمة وليس الفرد لوحده، فالفرد يعيش داخل هذه الأمة ليؤدي دوره فيها، ولكن إذا لم يكن الفرد قوياً بذاته ومنظماً ومتلائماً مع محيطه، لايمكن أن يضيف قوته إلى قوة المجموع. بل سوف يعارضها، وتعارض قوى مجموع الأفراد في المجتمع الذي لا إيمان يوحده ولاعقيدة تجمعه، ينفرط عقده وتذهب قوته وتصبح قوة الأمة كلها صفراً، كما هو ظاهر لنا في أمتنا اليوم لنفس الأسباب.

﴿...تَحسَبُهُم جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم شَتَّى...﴾ - ١٤ الحشر.

فليس العيب في القرآن ولا في الإسلام وإنما محور العيب كله متمركز في ماهو موجود داخل فكر كل مسلم منا ويعتقد أنه هو الصحيح. ولدينا حجر الكشف لهذه الحقيقة. فإن كان مانعتقد به هو نفس ماهو مذكور في كتاب الله ولا يتناقض معه أبداً، فإننا فعلاً نؤمن بالله العلي القدير ونحن على الصراط المستقيم وعلى سبيل الله الصحيح، ولو كانت الأحاديث النبوية الشريفة تقول تماماً مثل قول القرآن ولا تناقضها لما كان لوجودها هذا الخطر العظيم لكن مع الأسف الشديد فإن الأحاديث تقلب العقيدة الإسلامية رأساً على عقب وهذا هو الذي لا يجوز، فأصبح كل ما في عقول المسلمين من أفكار مناقضاً لما في القرآن الكريم (وهذا كان موضوع كتابي دين السلطان وهدفه) وأصبحنا نؤمن بغير الله ونشرك به وإن كنا لانعلم حقيقة إشراكنا، وقد شرح لنا

الله أن ذلك سهل الحصول للمؤمن الذي لايكون حريصاً من الشياطين خاصة شياطين الإنس، واستبعادنا لهذه الفكرة نحن المسلمين ناتج أيضاً من تخيلنا أن الشيطان سوف يأتينا حسب تصوراتنا وله: وجه قبيح وأذنان مدببتان كبيرتان وذنب طويل ولانعلم أنه سوف يأتينا بصورة محببة إلى أنفسنا، وهو يلبس الجبة والقفطان، وقد حف الشوارب وأرخى اللحى، ويظهر عليه الوقار والسكينة، ليأخذ منا كتاب الله ويعطينا بدلاً عنه كتابه الجديد.

وأنا لم أقل هنا أن كل من يلبس الجبة والقفطان شيطان، وإنما قلت يأتينا الشيطان على تلك الصورة لعلمه أننا نحترم ونجل الذين يلبسون كذلك من فقهائنا الأجلاء وفقنا ووفقهم الله إلى مافيه خير المسلمين أجمعين ولكن علينا أن لا نتوهم أن الذي أتانا عفريت في شكل إنسان بل هو إنسان حقيقي من لحم ودم ولكنه باع نفسه للطاغوت مقابل مال الدنيا.

فالصلاة إذن لها كل تلك الأهداف وهي من العبادات الهامة حيث وضعها سبحانه في الترتيب الثاني بعد التلاوة التي كان هدفها العلم والمعرفة لكون العلم أهم من النظام والتنظيم ويسبقه في الترتيب أيضاً.

فالصلاة هي صلة العبد بربه الكريم، وهي إن كانت صلةً صادقة من العبد ولم تكن مجرد عادة تعودها منذ الصغر لأصبح لها قوة ذاتية في نفس المؤمن، تنهاه بعد المعرفة التي تلقاها من ذكر الله وتلاوة القرآن، عن الفحشاء والمنكر:

﴿...إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ الۡفَحۡشَآءِ وَالۡمُنكَرِ...﴾ - ٤٥ العنكبوت.

لأن الصلاة هي العبادة الوحيدة التي يشعر فيها المسلم أنه يكلم الله تعالى مباشرة من دون وسيط فإذا كانت صلة حقيقية فإنها تمنع صاحبها من فعل ما يغضب الله سبحانه لشعور المؤمن بقرب الله منه وقرب مواعيده التي يلتقي فيها معه خلال أوقات الصلاة أثناء النهار والليل وأول الصبح ولكن الصلاة إذا تحولت إلى مجرد عادة وصارت الصلة بين العبد وربه مفقودة والعبد في أكثر أوقاته يسهو عن الصلاة مفكراً بأمور حياته ومعاشه ولهوه وماذا يرتب لنفسه من فعل للفاحشة بعد صلاة العشاء(*).

(*) قال لي صديق مغترب في نيجيريا أن المسلمون هناك بعد صلاة العشاء يزنون مع القاصرات ويشربون الخمر بعد صلاة العشاء فسألهم كيف تفعلون هذا وأنتم مسلمون فأجابوه بحديث عن الرسول الكريم أن الله تعالى يحب العبد الخطاء الذي يذنب ويستغفر ربه في الصلاة التي تمحوا الذنوب جميعاً.

لماذا حدد الله سبحانه صفة التنظيم للصلاة ولم يحددها للعبادة الأولى وهي الذكر والتلاوة؟

كما علمتم كان هدف الله من الذكر والتلاوة تعليم المؤمن دينه وشريعته وأحكامه وصراطه، وأين تبدأ حقوقه وأين تنتهي، وأين تبدأ حدود الله وأين تنتهي، وماهو الحلال والحرام إلى آخر تلك العلوم الضرورية لكل مؤمن ولم يحدد سبحانه رحمة بالمؤمنين أوقاتاً وطقوساً محددة لهذه العبادة، لعلمه أن الإنسان ليس آلة بل نفس بشرية تؤثر وتتأثر بما يحيط بها، فيكون الإنسان بحسب ذلك مزاجياً رغماً عنه، فله لحظات لايستطيع أن يفهم فيها، إن أجبرناه على القراءة والتلاوة. فهو يكون حراً في انتقاء الوقت الملائم لنفسه بحسب ظروفه حتى يقرأ القرآن كما يشاء ويرغب.. فترك له من أجل كل ذلك مطلق الحرية في انتقاء الأوقات، ولم يقل له سبحانه أنه يجب أن تقرأ وتذكر الله كل يوم، ربما مر على الإنسان أسبوع وأحياناً أكثر من ذلك وظروفه لاتسمح أن يجلس ليتلو القرآن نتيجة ظروف مختلفة يمر بها خلال حياته.

ولكن الصلاة تختلف عن ذلك لاتمنعه ظروفه كلها عن الصلاة، وإن حصل مثلاً حالات مختلفة مثل: السفر أو الحرب أو الخوف فقد شرحها الله تعالى لنعلم ماذا يجب أن نفعل من خلال آيات القرآن الكريم وما وصلنا منها عن طريق التواتر العملي التطبيقي عن آبائنا الأولين. وبما أن الصلاة لها خمس أوقات محددة، فإن كانت صلة حقيقية وفعلية وليست مجرد حركات وسكنات وتمتمات، يمكن عندها أن تمنع المؤمن وتنهاه عن الفحشاء والمنكر كما قلنا، لأن الذي كان مع الله حقيقة في الصباح لايترك للشيطان فرصة حتى صلاة الظهر أن يقوده إلى معصية، وإن أتاه بعد الظهر ليس لديه وقت حتى العصر، وهكذا نجد أن الشيطان قد أفلس مع المؤمن الذي أصبح على صلة حقيقية مع ربه وبصورة دائمة في صلواته وكما رأينا فإن الصلاة الصحيحة السليمة وسيلة المؤمن لغسل النفس وتطهيرها وإن واظب عليها العبد بأوقاتها: خمس مرات في اليوم والليلة نجح في صيانة النفس وابعادها عن الشيطان.

لتمييز الصلاة الصحيحة والسليمة عن غيرها وضع لها سبحانه عبادة أخرى ملازمة وكاشفة لحقيقة الصلاة والمصلي وهي: الزكاة.

الصلاة كما رأينا يمكن أن تكون مجرد عادة، ولكن إن رافقتها الزكاة تطوعاً كانت سليمة لأن الإنسان الذي يستطيع أن يمثل ويرائي وينافق كثيراً بالصلاة، لايستطيع أن

يفعل ذلك بالدفع مما يحب من أمواله زكاةً وإحساناً. فالزكاة هي التي تصدق للصلاة. وسوف أتوسع في ذلك في موضوع الزكاة إن شاء الله. والله سبحانه قد اشترط في عبادة الصلاة أن يسبقها طهارة ونظافة جسدية ليكون فعل الصلاة هو الغسل والطهارة للنفس معنوياً من الداخل بينما الوضوء كان من أجل غسل الجسم من الملوثات المادية بواسطة الماء خاصة لما يتعرض منه للهواء مباشرة:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمتُم إِلَى الصَّلَوةِ فَاغسِلُوا وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامسَحُوا بِرُءُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ وَإِن كُنتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرضَى أَو عَلَى سَفَرٍ أَو جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَو لامَستُمُ النِّسَاءَ فَلَم تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وَأَيدِيكُم مِّنهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجعَلَ عَلَيكُم مِّن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ـ ٦ المائدة.

والله سبحانه الذي خلق الإنسان ويعرف عنه كل شيء يعلم أن خير مايستعين به العبد على المكاره والمصائب في الدنيا هو الصبر المتلازم مع تلك الصلاة الحقيقية التي وصفناها قبل قليل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ـ ١٥٣ البقرة.

﴿وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾ ـ ٤٥ البقرة.

والله طلب المحافظة على الصلوات في أوقاتها لتعليمه النظام والتقيد بالمواعيد ودقتها وأهمية ذلك في دين الإسلام.

﴿...إِنَّ الصَّلَوةَ كَانَت عَلَى المُؤمِنِينَ كِتَاباً مَّوقُوتاً﴾ ـ ١٠٣ النساء.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوةِ الوُسطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ ـ ٢٣٨ البقرة.

وقوموا لله قانتين: بمعنى: قوموا لله طاعة وخضوعاً ونشاطاً وفرحاً.

وهذه هي صلاة المؤمنين بينما نجد الله يصف لنا صلاة المنافقين حتى نعرف كيف نميزها عن غيرها من الصلاة.

﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً﴾ ـ ١٤٢ النساء.

والذي يتبع الأهواء والشهوات يمكن أن يضيع الصلاة:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ...﴾ ـ ٥٩ مريم.

لاحظوا في هذه الآية من دقة الله سبحانه في التعبير القرآني.

حيث قال: أضاعوا الصلاة ولم يقل تركوا الصلاة. حتى نعلم أنهم لازالوا يقيمونه شكلاً وصورة لكنهم ضيعوا قوته ومفعوله في النفس بعد أن أصبحت مجرد عادة وحركات وتمتمات، وليست لها أبعاد فكرية في نفس المصلي. بأن تكون صلة ووقفة حقيقية بين العبد مع ربه حيث يشعر الإنسان أنه في حضرة الله فعلاً وكأنه يرى الله أمامه وعنده إيمان أن الله فعلاً معه ويسمع لصلاته ودعائه ويفكر بمعاني الآيات وهو يقول:

﴿بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ * الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين * الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَومِ الدِّين * إِيَّاكَ نَعبُدُ وَ إِيَّاكَ نَستَعِين * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلا الضَّالِّين﴾ ١ ـ ٧ الفاتحة.

إذا لم يتفكر في كل هذه المعاني الرحمانية ويتمثلها في نفسه فإن الصلة المطلوبة تكون مفقودة.

ولأهمية الصلاة من ضمن العبادات مع فهم معنى العبادة أنها الطاعة الخالصة لله، ينبهنا سبحانه بإقامة الصلاة ومن خلالها تلاوة الذكر من آيات الله:

﴿إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَا فَاعبُدنِى وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكرِى﴾ ـ ١٤ طه.

والمؤمن يجب أن يذكر أهله من زوجته وأولاده وبناته على الصلاة لأنها كما قلنا لها القوة التنظيمية للنفس البشرية واكسابها قوة تظهر من بعد هذا التنظيم والتوجه الصحيح للخالق دون غيره حتى لاتتشتت قوته مثل الإنسان الضائع على سبل الشياطين.

﴿وَأمُر أَهلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصطَبِر عَلَيهَا...﴾ ـ ١٣٢ طه.

ومجرد التذكير بالصلاة غير كاف يجب أن يرافق التذكير بما وعد الله للطائع وبما توعَّد للعاصي مع متابعة التذكير بالحسنى مع الصبر الجميل حتى لايصل لمرحلة الإكراه على الصلاة، لأن ذلك يعطي ردود فعل عكسية تماماً. يجب أن يعلم المؤمن أن عملية الإيمان كلها مع العبادات تطوعية من الإنسان بدون إكراه خارجي من أحد، مهما كان نوع ذلك الإكراه، فيجب أن لانظن أن سوقنا للناس إلى الصلاة بالعصا هو نوع من الأمر بالمعروف أبداً، والله لو شاء فهو أقوى منا جميعاً لجعلنا نصلي شئنا أم أبينا، لكن مشيئة الله سبقت بأن أعطى حرية الاختيار لمشيئة الإنسان بالاتجاه نحو الرحمن أو نحو الشيطان.

ولعلم الله أنه سوف يمر على المؤمن ظروف مختلفة من سفر وترحال وحرب وخوف، بين له سبحانه كيف تكون صلاته حتى لا يضطر المؤمن أن يسأل عن دينه إلا الله في كتابه، فسوف يجد كل الأجوبة في ذلك الكتاب عن كل أمور دينه:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ - ١٠١ النساء.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ - ١٠٢ النساء.

والعبادات كما سبق وشرحت لها غايات عند الله مثل تقوية المؤمن وإظهار قوته الفردية أولاً، من بعد العلم والتنظيم بعبادتي الذكر والصلاة، ثم إظهار قوة المؤمنين معاً كقوة جماعية وذلك بالتمسك معاً بحبل الله جميعاً بلا تفرق أو تحزب أو تشيع.

﴿...فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ - ٧٨ الحج.

فمن كان الله مولاه وهو نصيره فهل يحتاج بعدها إلى حلف أو تحالف أو قوة إضافية؟.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً...﴾ - ١٠٣ آل عمران.

يجب أن يدرك المؤمن الحقيقي أن الله سبحانه موجود مع كل مخلوقاته في آن واحد، وهو موجود بالتالي مع كل بني آدم من الأحياء منهم أيضاً في آن واحد، وهو سبحانه قادر في أي لحظة أن يلهم كل هذه النفوس بما يشاء، ولكن من غير ظلم، أي أن الذي يختار الإيمان بالله طريقاً يلهمه أعمالاً وأفعالاً تزيد من صلاحه وهُداه، والذي يختار الضلال طريقاً له ظلماً لنفسه يتركه سبحانه للشيطان ليلهمه أفعالاً وأعمالاً تزيد من ضلاله وكفره.

أحياناً يقوم شاب متمسك بعقيدة ما باغتيال شخصية سياسية مثلاً وعند التحقيق يقول لك القاتل أنه قتله لأن الله ألهمه فعل ذلك، إن الله سبحانه قادر على الهام كل

نفس في كل لحظة فالخير مباشرة منه، وإن كان شراً فعن طريق الشيطان ولايمكن أن يكون الاغتيال إلا بإيحاء من الشيطان لكن حتى فعل الشيطان هذا إذا فكرنا فيه أنه قد حصل بإذن مسبق من الله الذي سمح له بفتنة المؤمنين.

﴿وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا﴾ - ٧ - ٨ الشمس.

وحتى تكتمل لنا هذه الصورة الشمولية بقدرة الله الدائمة على أن تكون في نفس اللحظة مع كل النفوس، نستطيع أن نتبينها من خلال آيات الله في القرآن الكريم:

ماذا يقول الله سبحانه عن طريق الحساب يوم القيامة:

﴿لِيَجزِىَ اللَّهُ كُلَّ نَّفسٍ مَّا كَسَبَت إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ - ٥١ ابراهيم.

إذا عدنا للصورة التي نجدها في الأحاديث المروية عن الرسول ظلماً، سوف نجد أن الناس مجتمعون في المحشر تحت الشمس الحارقة ينتظرون الحساب وهم في صفوف طويلة ينتظرون دورهم في المرور على الصراط المستقيم الممدودة فوق وادي جهنم، وكلاليب تتخطفهم لتلقي بهم في نار جهنم، والمتقون يمرون بسرعة. فهل تتصورون حجم ذلك الحشر من مخلوقات الله خلال الآلاف من السنين من البشر ونحن من أبناء جيل واحد والأرض بدأت تزدحم بنا عليها. فإن الحساب الذي يقول عنه الله سريع نجده في تلك الصورة المأخوذة من كتب أهل الكتاب حساباً طويلاً جداً (رؤيا يوحنا - اللاهوتي، ورؤيا حزقيال) لماذا هذا التناقض بين الصورتين. لأن آباءنا تخيلوا مثل أهل الكتاب أن الله سبحانه مخلوق آخر يشبهنا في كل شيء إلا بالحجم، فهو ضخم هائل، ونحن بالنسبة إليه صغار هذا هو الفارق الوحيد. لذلك فهو سوف يحاسب كل إنسان لوحده بالدور وعندما ينتهي منه يأتي دور الثاني تماماً كما يحصل على الأرض - أي أن الصورة مأخوذة من الأرض وليست من الله - فماذا يقول الله في القرآن وكيف سوف يكون حسابه سريعاً إذن؟.

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا...﴾ - ١٨٩ الأعراف.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ١ النساء.

﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٩٨ الأنعام.

وهذه حقيقة يؤكدها من الله سبحانه بأنه خلقنا بداية من نفس واحدة. ثم يقول لنا سبحانه حقيقة أخرى:

﴿مَّا خَلقُكُم وَلا بَعثُكُم إلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٢٨ لقمان.

ثم يقول لنا سبحانه:

﴿إن كَانَت إلا صَيحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُم جَمِيعٌ لَّدَينَا مُحضَرُونَ﴾ - ٥٣ يس.

لاحظوا في آية سورة لقمان، يقول لنا في صورة من صور الحشر:

﴿...وَلا بَعثُكُم إلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٢٨ لقمان.

بينما في آية يس يقول:

﴿...جَمِيعٌ لَّدَينَا مُحضَرُونَ﴾ - ٥٣ يس.

قد يظن القارىء أن هناك تناقضاً بين الصورتين لعدم قدرته على تخيل الصورة. إذا عدنا مرة أخرى إلى آية لقمان نلاحظ من دقة الله سبحانه في التعبير القرآني لم يقل (ولابعثكم إلا نفساً واحدة) كما قالها وأقرها في الآيات الثلاث الخاصة بالخلق، وقال خلقكم من نفس واحدة بينما هنا في هذه الآية يضع الحرف (ك) للتشبيه وليس للتقرير. أي أن قوله سبحانه:

﴿...وَلا بَعثُكُم إلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٢٨ لقمان.

ليس فيه تقرير بأنه سبحانه سوف يبعثنا نفساً واحدة فعلاً.

ثم نتخيل بعد ذلك أنه سوف يحاسب أحدنا ويحكم عليه، وهذا الحكم سوف يعم الجميع بعد ذلك. هذا أيضاً تصور خاطىء لأن عدل الله غير مشمول فيه. ولكن الصورة الحقيقية، أن الله سبحانه يوم الحساب سوف يكون مع كل الناس ومع كل النفوس في آن واحد، أي أن المحكمة تتسع لكل البشر حتى يحاكموا أمام الله كلهم دفعة واحدة، وهذه من قدرة الله وحده وليس من ضمن قدراتنا نحن، فليس هناك أرتال ولا انتظار ولا دور، وهكذا سوف يكون الحساب سريعاً. والحكم سوف يصدر على الجميع في آن واحد، ولكن في التدقيق في الصورة تجد أن كل شخص لوحده قد لقي محاكمة عادلة من بدايتها إلى نهايتها مع وجود الشهود.

هذه الصورة لم تعد موجودة ضمن معتقدات المسلمين لسبب بسيط وهام هو تركهم وهجرهم الدائم لتلاوة القرآن الكريم والتفكر المباشر في معاني الرحمن وفهم أسرار القرآن. والكلام السابق ليس تأويلاً بل يمكن فهمه بشكل مباشر من كلمات الله وآياته التي كلها نور وحق.

ولتوضيح الصورة أكثر لنستمع للآيات التالية من سورة الأنفال:

﴿إِذ يُغشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذهِبَ عَنكُم رِجزَ الشَّيطَانِ وَلِيَربِطَ عَلَى قُلُوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدَامَ﴾ - ١١ الأنفال.

الله سبحانه في هذه الصورة هو في جيش المسلمين مع كل جندي منهم على حدة، وفي نفس اللحظة هو مع كل الجنود الآخرين يفعل نفس الشيء. يعلم سبحانه أن الإنسان هو على الغرائز التي خلقه الله بها يحب الحياة ويخشى الموت، فهو في حالة خوف شديد وأعصابه مشدودة فيغشي عليهم نوع من النعاس كمهدىء وتخدير لطيف لتلك الأعصاب حتى يزيل عنهم هذا التوتر النفسي والعصبي، ثم يلهمهم الشجاعة والثبات في وجه أعدائهم وعدم الرعب والخوف منهم. هذه صورة عن طرف المؤمنين فماذا عندنا في الصورة المقابلة في جيش المشركين؟.

﴿...سَأُلقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ...﴾ - ١٢ الأنفال.

أي أن الله سوف يلقي في قلب كل جندي منهم الرعب والخوف الشديد حتى لايقوى على المقاومة والوقوف في وجه المؤمنين، وهكذا نجد أن الذي يقرر النصر فعلاً هو الله سبحانه في كل المعارك. بعد هذه الصورة نكون قد فهمنا كيف يكون الله مع كل الناس في نفس اللحظة. وهذه الصورة كما رأيتم واضحة فقط في آيات الله، وكتاب الله فقط ولن نجدها في أي مكان آخر من كتب أهل الكتاب ولا في الأحاديث بعددها الهائل.

إذ ليس العبرة بكثرة الكلام والكتب والأحاديث وإنما العبرة للمضمون والحقائق.

عدد الصلوات في اليوم والليلة:

لقد حدد الله سبحانه عدد الصلوات بخمس مرات في الآيات التالية:

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيلِ...﴾ - ٧٨ الإسراء.

دلوك الشمس أي غروبها وغسق الليل هو ظلام الليل أي صلاتي المغرب والعشاء.

﴿...لِيَستَئذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَت أَيمَانُكُم وَالَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبلِ صَلَوٰةِ الفَجرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعدِ صَلَوٰةِ العَشَآءِ...﴾ - ٥٨ النور.

وفيها قد ذكر صلاتي الفجر والعشاء وهما الأولى والأخيرة بين الصلوات الخمسة مع ذكر الظهيرة بدون ذكر الصلاة معها.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوةِ الوُسطَى...﴾ - ٢٣٨ البقرة.

والوسطى عادة في الأرقام لاتكون إلا للأرقام المفردة مثل ثلاثة أو خمسة وسبعة حيث يقع الرقم ٢ أو ٣ أو ٤ وسطاً لهذه الأرقام الثلاثة والإصبع الوسطى في يد الإنسان يقع ماقبلها إثنان ومابعدها إثنان، أي يكون مابعدها المغرب والعشاء وماقبلها الفجر وصلاة أخرى لم تتحدد بعد في الآيات. وهي صلاة الظهر. فتكون الصلاة الوسطى هي العصر.

أما عدد الركعات في كل صلاة فسوف أتكلم عنه خلال الحديث عن عبادة الزكاة التي تعتبر قرينة ملازمة للصلاة وكاشفة لها عن حقيقتها كما رأينا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَوةِ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيلِ...﴾ - ١١٤ هود

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

القبلة ـ طريقة وأسلوب الوقوف في الصلاة المطلوبة من رب العالمين:

إن كل مشايخ السلاطين في مساجد الأمة الإسلامية يعلّمون المسلمين ويدربونهم على مواقف الذل حتى يعلم الناس أسلوب الوقوف أمام سلاطينهم ولا يعلّمون كيف أمر الله تعالى في كتابه الكريم أسلوب الوقوف في الصلاة أمام رب العالمين:

إن رجل الدين يطلب من المصلي أن يقف المسلم ذليلاً مكسور الجناح ورقبته مائلة وهو ينظر بين قدميه من الذل أثناء صلاته وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم نرى عجباً:

إن الله تعالى لم يقل لرسوله إني أرى تقلب وجهك بين قدميك وأنت تبحث لنفسك عن قبلة ترضاها بل قال له سبحانه:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾ ـ ١٤٤ البقرة.

وعندما قال تعالى لرسوله:

﴿...فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ ـ ١٤٤ البقرة.

لم يقل سبحانه ولِ وجهك بين قدميك لأن الذي ينظر من أي مكان شطر المسجد الحرام يجب عليه أن ينظر إلى أفق السماء وهذا لا يتيسر للإنسان إذا حنى رأسه إلى الأرض في وقفة ذلٍ بل يتيسر للإنسان إذا وقف وقفة سويةً ووقفة عزٍّ وقوة وإيمان بالله العلي العظيم.

والذي يسلم وجهه لله ينظر بإتجاه السماء ولا ينظر بإتجاه الأرض أبداً:

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ ـ ١١٢ البقرة.

أما الذي يخلد إلى الأرض فهو الكافر أو المشرك بالله الذي قال سبحانه عنه:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ...﴾ ـ ١٧٦ الأعراف.

وماذا عن مواقف الذل؟ ماذا قال سبحانه عنها؟

قال سبحانه عن الذين كفروا بآيات الله من جميع الأمم:

﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ـ ٦١ البقرة.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ...﴾ ـ ٢٧ يونس.

وماذا قال سبحانه عن الذين أحسنوا:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ...﴾ ـ ٢٦ يونس.

وحتى يوم القيامة الكافرون وحدهم مع المشركين هم وحدهم الذين سيقفون وقفة الذل أمام الله تعالى:

﴿خَاشِعَةً أَبصَارُهُم تَرهَقُهُم ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَومُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ - ٤٤ المعارج.

والله سبحانه طلب خشوع العقول التي هي القلوب لله ولم يطلب من المؤمنين به خشوع الأبصار أبداً.

﴿أَلَم يَأنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ اللَّهِ...﴾ - ١٦ الحديد.

لذلك فالخشوع المطلوب في صلاة المؤمنين هي خشوع القلوب لله وليس خشوع الأبصار:

﴿قَد أَفلَحَ المُؤمِنُونَ * الَّذِينَ هُم فِى صَلاتِهِم خَاشِعُونَ﴾ - ١ - ٢ المؤمنون.

أما الكافرين فخشوعهم من الذل:

﴿...وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَل إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُم يُعرَضُونَ عَلَيهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرفٍ خَفِيٍّ...﴾ - ٤٤ - ٤٥ الشورى.

لكن السلطان يحب أن يقف له الناس في الأرض هذه الوقفة استكباراً وتجبراً.

ففعل له علماؤه ما يشاء ودجنوا له شعبه ليقفوا مواقف الذل أمامه يقبلون أقدامه متى يشاء ثم يقولون انهم يعبدون الله وحده وهم ساجدون للطاغوت. كما نجد في الصحاح كلاماً لا يقبل به العقل والمنطق السليم:

الحديث رقم ٣٥٣٢ من صحيح البخاري عن محمد بن الجبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

فهل يعقل أن يقول رسولنا الكريم هذا الكلام المنافي للذوق وللأخلاق بعد أن قال عنه ربه الكريم في القرآن:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - ٤ القلم.

وهل يمكن للرسول الكريم الذي يعلم أن الله تعالى أرسله ليخلص الناس من عبودية العباد للعباد في الأرض إلى عبودية لله حتى يعيد للإنسان كرامته المفقودة وحقوقه وحرياته بعد أن استولى عليها المتجبرون في الأرض من الظالمين والجبارين.

هل يعقل أن يعود عن رسالته كلها يحبب الناس بالعبودية من جديد كما نجد في هذا الحديث المفترى:

الحديث رقم ٢٥٤٨ من صحيح البخاري قال أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ قال:

«للعبد المملوك الصالح أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرُّ أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك».

هل يعقل أن يقول رسولنا الكريم هذا الكلام المناقض للعقل والمنطق ولكتاب الله؟

وأين هذا الكلام مما يؤثر عن عمر بن الخطاب الذي فهم الإسلام وتمثل القرآن حتى قال: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

ولكن يجب ان يعلم المسلم من هو المستفيد من مثل هذه الأحاديث؟

إنهم السلاطين الذين شاؤوا أن يستعبدوا الناس جميعاً من جديد.

ولا بد هنا من أن أوضح نقطة هامة:

هل يجوز للمؤمن بالله أن يقول وهو يذكر الرسول الكريم:

(ياسيدي يا رسول الله) أو أن يقول: (اللهم صل على سيدنا محمد)

إن كلا القولين إشراك صريح بالله تعالى لأن العبودية لله تعالى وحده لا شريك له فيها أبداً ولا سيد للإنسان في الأرض إلا الله وحده.

والملك هو الذي يستتبع العبودية، والله تعالى يبين لنا أن الملك لله وحده بلا شريك أبداً.

وكل ذلك حرصاً على كرامة الإنسان حتى لا يعود بعدها ليدخل في عبودية العباد لأن الذي يسهل عليه أن يقول سيدي محمد، سوف يسهل عليه بعدها أن يقول سيدي السلطان، سيدي أو سيدنا الملك أو سيدنا ابن السلطان أو سيدنا ابن الملك سيدي الشيخ وهكذا...

والذين كان عندهم سادة في الأرض هم الذين قبلوا بالإستبداد والإستعباد:

والإنسان عندما يوحد عبوديته لله يصبح بعدها سيد نفسه ولا سيد له في الأرض من عباد الله أحد: فهذا زكريا يذكره الرحمن في كتابه قائلاً:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ - ٣٩ آل عمران.

والسيد في الأرض هو الذي لا سيد له إلا الله وحده.

لكن أتباع السلاطين لهم سادة:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ - ٦٧ الأحزاب.

صدق الله العظيم وصدق رسولة المبلغ الأمين.

ج ـ الزكاة:

في أغلب الآيات القرآنية التي تذكر الصلاة نجد الزكاة مقترنة ومتلازمة غالباً مع الصلاة، فما هو مقصد رب العالمين من ذلك بحسب آياته وشهادتها؟

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاركَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ـ ٤٣ البقرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم...﴾ ـ ٢٧٧ البقرة.

﴿...لَئِن أَقَمتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرتُمُوهُم وَأَقرَضتُمُ اللَّهَ قَرضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم...﴾ ـ ١٢ المائدة.

لقد راينا في بحث الصلاة أنها كانت لتطهير النفس وإبعادها عن الفحشاء والمنكر من الآثام والشهوات الأرضية المحرمة على المؤمن من الخبائث فقط لأن الطيبات كلها محللة للمؤمنين:

﴿...وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم...﴾ ـ ٦ المائدة.

وكما رأينا فالطهارة لها وجهان: وجه مادي وهو يتم بتطهير الجسد من الأدران والأقذار المادية بالغسل والوضوء، ووجه معنوي وهو يتم بتطهير النفس وإبعادها عن الرجس والخبائث والآثام والأخطاء، والله سبحانه وتعالى يعلم أن ذلك مستحيل بالنسبة للإنسان الذي خلقه الله وعنده الميل للاتجاهين للفجور أو للتقوى.

والصلاة والزكاة وظيفتهما من بين وظائف أخرى هي تطهير النفس التي اكتسبت بعض الآثام والذنوب، وهذا كما رأينا شيء طبيعي وبحاجة إلى تطهير دائم ومتواصل. وقد شرحت وظيفة الصلاة فما هو دور الزكاة الملازمة للصلاة دائماً؟.

قلنا سابقاً أن الصلاة يمكن أن تكون نتيجة عادة تعود عليها الإنسان منذ الصغر فقد لاتزيد عن مجرد حركات وتمتمات ولاتؤدي دورها المطلوب، وكما أنها يمكن أن تكون رياء ونفاقاً لغايات يسعى إليها الإنسان ولايعلمها إلا رب العالمين، فوضع لها سبحانه كاشفاً ليس لله تعالى فهو يعلم بالسرائر وإنما الكشف للإنسان نفسه وللناس، فإذا وجد الإنسان نفسه لايستطيع دفع الزكاة مع أنه يصلي كل الأوقات ولايقطعها. فصلاته غير صحيحة، لأنها لم تستطع أن تؤدي دورها المطلوب.

ويكشفها رب العالمين للناس حتى يعلموا أن الذين يتهربون من دفع الزكاة هم من المرائين الذينَ يمنعون الماعون، ومن المنافقين والدجالين، فكل تقواهم نفاق ورياء وتظاهر ليس له حقيقة ولايسندها إيمان صحيح.

أما إذا اقترنت الزكاة مع الصلاة بشكل دائم من العبد فهو دليل صدق إيمانه وصحة صلاته، وأن عملية التطهير واقعة بشكل حقيقي لنفسه التي تميل للعدل والإحسان والرحمة، وهي كما تشاهدون من صفات المؤمنين وليست من صفات الكافرين ولا المنافقين.

هذا وإن أغلب المسلمين مازالوا يعتقدون خطأ أن الزكاة وجدت لتطهير الأموال، وكما أن في اعتقادهم وجود أموال حلال وأموال حرام وأموال نظيفة وأموال قذرة لاعتمادهم في عقيدتهم إلى اليوم على مصادر الأحاديث المحرفة الموجودة في صحيح البخاري ومسلم، من دون علم بالآيات الموجودة في القرآن الكريم، التي تثبت أن مافي الصحيحين مناقض لآيات القرآن، لأنهم هجروا كتاب الله بعد أن قبلوا نصيحة الشيطان لهم بعدم لمسه أبداً.

ولم يقرأوا مثلاً الآية الكريمة:

﴿خُذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ - ١٠٣ التوبة.

والآية واضحة بذاتها أن التطهير المقصود هو لنفوس المسلمين والمؤمنين وليس لأموالهم. لأن الأموال طاهرة بذاتها. فالمال لايقترف ذنباً، ولم يقل لنا رب العالمين أنه سوف يعاقب الأموال. فالأموال لاتقترف ذنوباً ولذلك فهي لاتتدنس. لكن النفس التي اكتسبتها ربما تكون قد ارتكبت خلال ذلك الاكتساب بعض الآثام والذنوب وهذا هو منطق الإسلام والقرآن.

لذلك نجد مثلاً أن الله سبحانه يخبرنا:

﴿قَد أَفلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ - ٩ الشمس.

أي قد أفلح من طهر نفسه من العيوب والذنوب والآثام ليس بترك الأخطاء والذنوب كلية، لأن ذلك ليس من طاقته وإنما بالصلاة والزكاة.

أما أن يزكي الإنسان نفسه بقصائد من المدائح أو الفخر الكاذب فهذا لن ينفع مع رب العالمين: فقد أخبرنا سلفاً:

﴿...فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ - ٣٢ النجم.

فهو الوحيد الذي يعلم أسرار النفوس وخباياها ويعلم الغيب ولايخفى عليه شيء.

والصلاة والزكاة وحدهما، وإن كانا يطهران النفس لكنهما غير كافيين في برنامج الإسلام للإيصال إلى هدف المؤمن وهو الفوز برضى الله وجنته لذلك يقول سبحانه:

﴿إِنَّمَا يَعمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكَوةَ وَلَم يَخشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ - ١٨ التوبة.

لاحظوا قول الله سبحانه:

﴿...فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ - ١٨ التوبة.

إن الله سبحانه لم يقل كما تعودنا أن نسمع في الأحاديث: (إذا أردتم أن تنظروا إلى أهل الجنة انظروا إلى هؤلاء) وإذا سأل سائل لماذا بحسب آيات القرآن لم يقل سبحانه أن هؤلاء يستحقون الجنة مثلاً؟.

إن الله سبحانه يعلمنا في القرآن الكريم أنه ملتزم بقواعد وأسس ثابتة وبحسب إحصائي للآيات وجدت أن لله سبحانه وتعالى شروط ثلاثة لايقبل بأقل منها للحصول على جنته وهي:

١ - الإيمان بالله تعالى وتشمل العبادات الخمس والالتزام بالصراط المستقيم الذي يحتوي على عشر وصايا ومواعظ وإن عكسناها تصبح عشر كبائر مع الالتزام بما حرم الله والامتناع عنها وعدم تخطي حدود الله تعالى. كما تشمل شروط الإيمان الأخرى.

٢ - الإيمان بيوم البعث والحساب والجنة والنار.

٣ - العمل في الأرض عملاً صالحاً نافعاً حتى درجة الإتقان.

وبدون هذه الشروط الثلاثة لايقرر الله سبحانه الجنة لأحد.

وفي الآية السابقة حيث قال الله سبحانه:

﴿...فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ - ١٨ التوبة.

وضعها لنا ربنا الكريم حتى نبحث عن الشرط غير المتوفر مع كل تلك الشروط السابقة، (آمن بالله واليوم الآخر أقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله).

ليس هناك العمل الصالح الذي يعتبر من أهم الشروط تقريباً بعد الإيمان.

مع أني شرحت هذه الأمور في دين السلطان فسوف أضرب مثلاً بحديثين قصيرين حتى أظهر لبعض المتشككين وجود تناقض حقيقي بين آيات القرآن وأحاديث البخاري ومسلم في الصحيحين لتطمئن قلوبهم بأنني لا اتجنى على أحد: في الحديث رقم ٩٤ المسلسل ١٥٣ صحيح مسلم (بعد ذكر السند التقليدي) قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت: «وإن زنى وإن سرق» (بمعنى وإن ارتكب الكبائر) قال: «وإن زني وإن سرق»، الحديث ٢١٦ صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب فقال رجل: يارسول الله! ادع الله بأن يجعلني منهم. قال: «اللهم اجعله منهم» ثم قام آخر فقال يارسول الله! ادع الله بأن يجعلني منهم. قال: «سبقك بها عكاشة». أي لم يبق لك مكان للدعاء. وهكذا نجد منطقين مختلفين تماماً منطق القرآن الملتزم بالشروط ومنطق الحديث المتحرر حتى من المنطق نفسه.

وهكذا وجدنا أن الزكاة كعامل تطهير للنفس هي الأقوى والأصدق من الصلاة. والله يعلم أن كثيراً من الذين أشركوا بالله اليوم لازالوا يقيمون الصلاة وهم كثيرون لكن الذين يدفعون الزكاة منهم أصبحوا نادرين بدليل كثرة الفقراء اليوم، ولو كان كل الأغنياء يدفعون الزكاة في الأمة لانتهى الفقر بمعنى العوز، لذلك يقول سبحانه:

﴿الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُم بِالأَخِرَةِ هُم كَافِرُونَ﴾ - ٧ فصلت

ولم يقل سبحانه بأنهم لايقيمون الصلاة لعلمه سبحانه أن كثيراً من مقيمي الصلاة صلاتهم ليست دليل على إيمانهم أبداً.

والزكاة لها مستحقيها من الأمة:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِى الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ - ٦٠ التوبة.

والصدقات اسم موسع للزكاة، والله سبحانه يقول عنها فريضة في الإسلام ومعنى الفريضة كما شرحت قبل هذا: إن الدين من أساسه تطوع واختيار وليس عن طريق الفرض والإجبار، لكن الإنسان الذي سبق وقبل الإسلام كمنهج حياتي وإيماني وقال عن نفسه أنا مسلم، يجب أن يلتزم بكل شروط الإسلام والإيمان وإلا فهو غير مسلم أصلاً، فلا يمكن لأي مؤمن حقيقي أن يتهرب من دفع الزكاة لأي سبب من الأسباب،

وكذلك عن الالتزام بباقي العبادات والالتزامات، فالإسلام دين متكامل، فلا يمكن أن أقول أنا مسلم ولكني أختار كذا وكذا ولا أحب كذا وكذا. هذا الخيار لم يعد موجوداً بعد أن قبل من الأساس باختيار منهج الله، وإلا فقد كفر وأصبح خارج الإسلام وهو حر إذا شاء لنفسه الكفر ولكن ليس له الحرية بالبقاء تحت مظلة الإسلام وهو ينفي أي شرط من شروط الإيمان لأن ذلك يعتبر فتنة في الإسلام والفتنة أشد من القتل وهذا الذي فعله الناس بعد وفاة الرسول الكريم وفي زمن أبي بكر الصديق فحاربهم لأنهم كانوا أهل فتنة يريدون قسم الإسلام والمسلمين ولم يكونوا من المرتدين عن الدين كما روج لها السلاطين، لآن إسلام القرآن لا يمنع الإرتداد عن الدين ولكنه يمنع الفتنة في الدين ويمنع الفتنة بين المسلمين من أجل تفريق صفوفهم.

ولابد من شرح بعض الكلمات في الآية السابقة: مثل العاملين عليها: هم الذين يعملون كموظفين جباة لجمع الزكاة من الناس.

المؤلفة قلوبهم: حالة كانت قديماً في أول الإسلام حالة ضعف للمسلمين عددياً وهو دفع بعض الأموال لبعض الزعماء لتحبيبهم بالإسلام والدخول فيه (مثل دفع الرسول مائة ناقة لأبي سفيان بعد معركة حنين) والله تعالى قد أنسى موضوع المؤلفة قلوبهم في آية نزلت قبل وفاة الرسول الكريم في سورة الحشر شرحتها في هذا الكتاب.

الغارمين: هم الذين أفلسوا وخسروا أموالهم في التجارة.

ابن السبيل: هو المقطوع من المال من المسافرين، فيبقى في الطريق وليس معه نفقات السفر للعودة إلى بلاده. الفرق بين الفقير والمسكين: الفقير هو الذي لايملك شيئاً مثل بيت أو أرض لكنه يسكن في بيت متواضع ولو بالأجرة ويعمل في النهار ليقتات في الليل. أما المسكين فهو الذي لايملك شيئاً ولايسكن حتى في بيت وإنما يأوي ليلاً إلى أماكن متفرقة في الأسواق والمقاهي والمساجد.

والفرق بين الزكاة والصدقات: هو بحسب المدفوع من الأموال فإذا دفعنا الحد الأدنى وهو جزء من أربعين - ١ على ٤٠ - من الأموال نقول دفع الزكاة وإن دفع أكثر نقول دفع صدقة.

لننتقل الآن إلى شرح الأسلوب والطريقة التي سمح بها سبحانه لنبيه أن يقرر عدد الركعات في كل صلاة، وقيمة الحد الأدنى من الزكاة وهي جزء من أربعين في السنة من الأموال. باختصار نقول:

إن الله سبحانه الذي يعلم السرائر والغيب كان في علمه أن الرسول محمد ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين يؤلمه ألمهم ويشعر بمصائبهم في مقامهم وترحالهم ويهتم لمعاناتهم ويعلم مايطيقون وما لايطيقون من الأمور:

﴿لَقَد جَآءَكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٢٨ التوبة.

العنت في لغة القرآن معناها: يقال عَنَتَ عن الرجل إذا وقع في أمر يخشى عليه من التلف فهي المعاناة والمكابدة. ومن سياق الآيات نجد نفس المعنى. ولعلم الله بهذه الرأفة والرحمة التي في قلب الرسول تجاه المؤمنين فقد سمح الله له بأن يحدد عدد الركعات في كل صلاة، وأن يحدد الحد الأدنى من الزكاة، ولكن الله لعلمه أن المسلمين حول الرسول قد تعودوا أن يأخذوا دينهم كله من القرآن مباشرة بعد نزول آيات الوحي التي كانت تنزل على رسولهم تباعاً. فقد شاء الله أن ينبههم إلى هذا الأمر المستجد. حتى لايقول أحد من أعداء المسلمين أو من الذين في قلوبهم مرض ولكن أين إذن الله وأين شاهد الرسول على هذا الإذن في القرآن؟ ولما شاء الله أن تكون هذه لمرة واحدة في دين الإسلام فقد عزز هذا الأمر بآية كريمة في القرآن. فما هي تلك الآية؟

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن وكلها تقول: أطيعوا الله والرسول أو تقول:

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، نجدها في تسعة عشر موضعاً مختلفاً من القرآن الكريم. ولكن ورد في القرآن أيضاً ولمرة واحدة الآية التالية: وفيها إطاعة للرسول وحده من دون ذكر اسم الله معه:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ - ٥٦ النور.

وحتى لانفهم أن موضوع الصلاة وموضوع الزكاة كلاهما قد أصبحا بيد الرسول وحده من دون تدخل الله فيهما، نجد الآيتين التاليتين وكلتاهما تتعلقان بموضوع الصلاة والزكاة، لكن طاعة الرسول جاءت مقرونة بطاعة الله فيهما:

﴿...فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ - ١٣ المجادلة.

﴿...وَأَقِمنَ الصَّلَوةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوةَ وَأَطِعنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ - ٣٣ الأحزاب.

ونحن نعلم أن الشيئان الوحيدان في الدين الإسلامي اللذان ليس لهما دليل من القرآن مباشرة، هما عدد الركعات في كل صلاة، وقيمة الحد الأدنى للزكاة. وهذه

الطاعة المفردة للرسول لمرة واحدة في القرآن الكريم تفسر حتى تلك الحالة المفردة كما سبق وشرحت ذلك من قبل.

ولكننا إذا عدنا إلى كتب الحديث فإننا سوف نضيع في متاهة ونسمع عن رسولنا كلاماً لن يسرنا أبداً، ففي حديث المعراج في صحيح البخاري مثلاً، نجد رواية ألفها أحد الحاقدين، ليصور فيها الرسول الكريم صورة مشوهة لصورته الحقيقية التي تعرفنا عليها في آيات القرآن الكريم مثل: الحديث الطويل في الباب ٤٢ (باب المعراج) من صحيح البخاري الجزء الرابع الحديث رقم ٣٨٨٧. سوف أذكر من الحديث آخره لأني قد أوردته بكامله في كتاب دين السلطان (ثم فُرِضَت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أُمرتَ؟ قال أُمرتُ بخمسين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً.

فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأُمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمرتُ بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بمَ أُمرتَ؟ قلتُ: أمرتُ بخمس صلوات كل يوم، قال إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسَلِّم قال: فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضَيتُ فريضتي وخَففتُ عن عبادي» هذه هي الصورة التي يصورها به أحد الحاقدين للرسول محمد ﷺ فهل هذه الصورة صحيحة؟ هل كان الرسول إمّعةٍ ضعيفَ الشخصية مهزوزاً لا رأي له يركض بين موسى وربه وهو لايعلم ماذا يريد، ولايعلم ماذا يتحمل شعبه وأمته. إن هذه الصورة تناقض كل الآيات الكريمة التي وصف بها الله رسوله الأمين في القرآن الكريم، وتناقض السيرة النبوية بما عرف عن الرسول ﷺ بين صحبه من قوة الشخصية مع لطف المعشر وخفة الروح ونبل النفس والحزم والرأي عند الشدائد، وثبات الفؤاد مع الحكمة والعدل، والاحسان مع الشجاعة والكرم. كرم اليد وكرم الأخلاق وكرم اللسان. حتى قال عنه ربه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - ٤ القلم.

فهل نُكذب ربنا الكريم ونصدق رواة الحديث السابق وهم: (حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا هَمام بن يحيى، حدثنا قتادة عن إنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله حدثهم):

يكفي أن يكون بينهم واحد قد فتنهُ الشيطان حتى يكون هذا الحديث من الشيطان تحريفاً على الله وعلى رسوله، فهل في هذا يقينٌ مثل يقين القرآن الكريم؟

فالله تعالى يقول في مواقف عديدة في القرآن الكريم:

﴿...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ - ١١١ البقرة.

والبرهان عند الله لابد أن تكون آية من الله إما آية بصرية مثل آيات موسى التي أيده بها ربه عندما بعثه إلى فرعون.

﴿...فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ...﴾ - ٣٢ القصص.

وإما ان تكون آية من القرآن الذي كل آياته تثبت بأنها من عند الله وقد شرحت البرهان الرياضي العددي وكذلك البرهان العلمي بالمعلومات التي وردت فيه وكلاهما برهانين على أن القرآن كتاب لاريب فيه كل ما فيه تعتبر براهين من رب العالمين، لذلك يقول سبحانه عن القرآن الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ - ١٧٤ النساء.

لعلم الله بوجود هذه البراهين في القرآن وإن لم يعلم بها أهل السلف بدايةً.

لذلك لايمكن أن يكون البرهان إلا إذا كان نصاً حقيقياً من الله لاظن فيه ولاوهم ولا تخمين، وهذا غير متوفر في كل الكون حالياً إلا في كتاب واحد هو القرآن الكريم، الكتاب الذي حفظه الله من التحريف والإضافة أو الحذف، وكل برهان لايستند إلى كتاب الله هذا لايبرهن على أي شيء أبداً بل هو مايزال في مجال الظن:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً...﴾ - ٣٦ يونس.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الالتباس الذي حصل حول الآية الكريمة:
﴿...وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا...﴾ - ٧ الحشر.

لقد شرحت في مقدمة هذا الكتاب، أن الرسول الكريم لم يكن عنده شيئاً حتى يأتينا به، فقد اختاره الله أمياً لم يتعلم علماً من أحد، وكل ما آتانا به كان القرآن المبين، وقد وصلنا والحمد لله كاملاً وصحيحاً ولايزال كما نزل والبرهان العددي اليوم يثبت صحة ذلك بالأرقام والأعداد كما لاحظنا ذلك في الإعجاز العددي في القرآن الكريم. بقي أن نعلم أن في الدين والعبادة أمور عملية مثل الوضوء والصلاة والصوم والحج فيها أمور عملية تحتاج إلى حركات محددة يدعوها الله بالمناسك. وهذه الأمور العملية وصلتنا بالتواتر العلمي بالممارسة والتطبيق عن رسول الله لأن الدين الإسلامي لم ينقطع أبداً من يوم إبراهيم عليه السلام وإلى اليوم.

والذين رأوا الرسول وأخذوا عنه ومنه وعلّموا الذين أتوا من بعدهم حتى تعلّمنا نحن من آبائنا وأجدادنا.

وإلا كيف يمكن تعليم الأخرس حركات الصلاة؟ والوضوء.

ثبت عن الرسول الكريم نهيه نهياً قاطعاً عن كتابة الحديث وثبت وجوده في الصحيحين بأحاديث متواترة: (من كتب عني غير القرآن فليمحه).

كما ثبت بالبرهان أن الخلفاء الأربعة قد تقيدوا بهذا الأمر تقيداً شديداً لدرجة أنهم أحرقوا ماكانوا قد كتبوه قبل ذلك، فلا يجوز من أجل إرضاء أي سلطان أو تحت أي حجة أن نعود لنعصي أمراً قد ثبت وروده في الصحيح بمخالفته تحت حجج واهية، خدمة لصاحب مصلحة أو إرضاء لأحد من الطواغيت الذين لديهم غايات خفية من أجل تبديل شرع الله تحت إسم أحاديث نبوية شريفة.

أما قول الله تعالى في جزء الآية الكريمة:

﴿...مآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا...﴾ - ٧ الحشر.

كما بينت سابقاً ليس له أي علاقة بكلام الرسول أو حديثه بدليل الآية نفسها التي تتحدث عن توزيع الغنائم في الحرب ومن هم المستحقين لها:

﴿مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنُ السَّبِيلِ كَي لا يَكُونَ دَولَةً بَينَ الأَغنِيَآءِ مِنكم وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٧ الحشر.

سبق أن سمح الله سبحانه في ظروف مختلفة بإعطاء أموال من بيت مال المسلمين للأغنياء من أمثال أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية من الذين دخلوا للإسلام إستسلاماً بعد حرب فتح مكة فأخذوا من أموال المسلمين تحت إسم المؤلفة قلوبهم نتيجة لظروف كانت موجودة.

والآن بعد تبدلت هذه الظروف وقوي المسلمون يشاء الله أن يغير الحكم السابق فينسيه سبحانه بآية جديدة يمنع من إعطاء المؤلفة قلوبهم من الأغنياء بقوله تعالى ﴿...كَي لا يَكُونَ دَولَةً بَينَ الأَغنِيَآءِ مِنكم...﴾ وبما أن الأغنياء الذين سبق وأخذوا في مناسبات أخرى من بعد الحرب مثل غزوة حنين وهوزان فإنهم توقعوا هنا أيضاً أن يكون لهم نصيب منها فمنعها سبحانه عنهم قائلاً:

﴿...وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٧ الحشر.

مبيناً أن الأمر ليس بيد الرسول بل بأمر من الله واجب الطاعة فلم يعد للأغنياء نصيب في تلك الأموال بعد اليوم.

أما أن نقلب المعنى ونستشهد بجزء الآية ونوهم الناس بأن الذي آتانا به الرسول هي أحاديثه الواجبة الإتباع فهذا كان إرضاءً للسلاطين الذين أحبوا تبديل شرع الله بشرع خاص بهم كما شرحت في كتبي السابقة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفوَاهِهِم وَيَأبَى اللَّهُ إِلآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ - ٣٢ - التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

حبة القمح:

هذا الموضوع تذكير لكل المسلمين الذين لا يدفعون الزكاة اليوم متحججين بحجج واهية:

فلو حاول إنسان ما في الأرض أن يبيع حبة قمح واحدة لما وجد لها شارياً أبداً ولظن الناس بهذا الإنسان سوءاً في عقله.

لكن تخيلوا مثلاً مليار مسلم يقدم كل منهم حبة قمح واحدة كل مساء لصندوق القمح الإسلامي، فيصبح مالم يكن له في البداية أية قيمة بعد أن اجتمع إلى بعضه قيمةً عظيمة ومفاجأة لم يكن يتوقعها من قبل (هذا المثال يذكرنا بمثال المغناطيس الذي ضربناه عن القوة). فلا يقول المسلم الذي يساهم في فعل الخير مع المسلمين أن القليل الذي يمكن أن يساهم فيه لايمكن أن ينفع في شيء، فالذي يقدم من ماله قرشاً أو ليرة أو ديناراً أو دولاراً أو درهماً أو روبيةً، فإنه في النتيجة أفضل بكثير من الذي يمتنع عن دفعها فلا يستقل أي مبلغ، فدفع ذلك الدرهم أفضل بكثير من إهماله. وعدم التقدير والعلم ماذا يمكن أن يفعل في النتيجة أو يقدم من خدمات. إن المؤسسات والجمعيات الخيرية الإسلامية البعيدة عن النشاطات السياسية هي الأساس لإظهار قوة ونشاط المسلمين في كل بلد إسلامي، شريطة أن يشرف عليها شباب مثقف وواع ويعلم بأمراض المسلمين الحقيقية، ويعلم أين يكون العلاج حتى تساهم تلك الجمعيات مع الدولة مهما كان نظامها السياسي لمساعدتها فعلياً في مهامها الأساسية مثل التدريس بفتح المدارس الإسلامية الخاصة، والمساهمة في النواحي الصحية بفتح المستوصفات والصيدليات التي تداوي الناس من ذوي الدخل المحدود بأجور رمزية، وتبيعهم الدواء أيضاً بتكاليف رمزية. وكما تساهم بفتح دور للحضانة بتكاليف معقولة حتى تستطيع المرأة العاملة أن تضع فيها أطفالها. وبفتح المشاغل مثل مشاغل للخياطة ومشاغل للحياكة، ومعامل صغيرة تحتاج فيها لعمال وعاملات، تساهم مع الدولة في حل مشكلة البطالة وتعلم المسلمين أساليب التعاون وكيف تكون المودة والرحمة بين المسلمين.

وهكذا نجد أن حبة القمح يمكن أن تكون دواء لكثير من المشكلات التي نعاني منها في المجتمعات الإسلامية في أغلب البلاد إن لم تكن كلها. فالحب المجرد وكلمات مثل التراحم والتوادد والمحبة والإخلاص إن لم تترجم إلى أعمال حقيقية لخدمة الناس وتقديم

المساعدة الحقيقية للذين يحتاجون إليها، تبقى مجرد كلمات وشعارات ولافتات للوحات جميلة لكنها لم تستطع أن تقدم معان حقيقية للناس، فالله كلامه حقائق، بمعنى أن الله عندما يقول شمس بلغة الله يصنع شمساً حقيقية، أما اللفظ فهو في لغة الإنسان فقط، لذلك يجب أن نعود لنتعلم كيف نحول كلامنا إلى حقائق من جديد. حتى يكون لها نفعاً حقيقياً. فكل الكتب في العالم لاتحوي سوى كلمات، ومنها كتاب القرآن الكريم الذي هو كتاب الله الحقيقي للإنسان وبلغة الإنسان وليس بلغة الله قطعاً. حتى يفهمها الإنسان. وفهم الإنسان لهذا الكتاب مجرد فهم لايغير من وضع الإنسان شيئاً.

فيجب عليه بداية أن يتدبر ماقرأ في ذلك الكتاب، والتدبر هو عملية تطبيق وعمل وبناء. لكل تلك الأفكار القرآنية على أرض واقع الحياة للإنسان. وبدون هذا التدبر والعمل والبناء يبقى حتى كلام الله مجرد كلمات جميلة مهما تغنينا بها وحَسَّنا فيها الأصوات ترتيلاً وتجويداً فإننا لن نقدم شيئاً في النهاية.

المهم فهم الآية فكرياً وهضم تلك الفكرة وتمثلها في حياة الإنسان ومعيشته في هذه الأرض. والكتاب أتانا ليرشدنا إلى الطريق والعمل والبناء في هذه الأرض لنكون مثل النمل نشاطاً وقوة واندفاعاً وتعاوناً وتنظيماً، ومثل النحل في الإنتاج لما فيه خيرنا وخير المجتمعات الإنسانية الأخرى التي تشاركنا العيش في هذه الكرة الأرضية الصغيرة بأبعادها مقارنة مع كون الله الواسع.

المهم من كل مانتعلمه من القرآن هو التطبيق والتدبر لتلك المعاني وترجمتها إلى أعمال صالحة وأبنية صالحة وخدمات صالحة، ونصلح في الأرض وبيئتها، وليس من حقنا أن نعمل ونحن نفسد في الأرض بنفايات المصانع فنلوث البيئة من حولنا جواً وأرضاً، هذا ليس من حق أحد وليس ضمن مجال حريتنا أبداً. فالأرض ملك الله ومن حق كل عباد الله ومخلوقاته العيش فيها بأمان وراحة واطمئنان وسلام فلا ضرر ولا ضرار. فكما أنه من حقنا أن لانتضرر من الآخرين فمن واجبنا الدائم أن لانحقق الضرر لهم ولحياتهم أبداً ومهما كانت الأسباب.

﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِى النَّاس...﴾ - ٤١ الروم.

فالله يعلمنا في هذه الآية بما فعلتها أيدينا في الأرض من فساد للبيئة لم يكن في أي يوم من الأيام من حقنا أبداً. لابل من واجبنا الدائم إصلاح مانفسده، حيث بدأت دول كثيرة تركب مصفيات للمداخن المنزلية أو مداخن المصانع أو حتى مداخن السيارات، حتى تحول

الغازات السامة التي تفسد الطبيعة إلى غازات أخرى لاتضر بالطبيعة وصحة الإنسان، وهذا هو الإصلاح من جديد لما يفسده الإنسان. وإذا لم نعمل كلنا بهذه العقلية العلمية فإن كل أعمالنا ستعود بالنتيجة إلى ضررنا الشخصي مع ضرر الآخرين معنا حتى من مخلوقات الله الأخرى في الأرض. يجب أن نبتعد عن العشوائية في تفكيرنا وتصرفاتنا، وهذا لايتم إلابتغير العقلية وأسلوب التفكير من الأساس. من عقلية فردية (ذبابية) إلى عقلية جماعية (نحلية). حتى يصبح التخطيط عندنا من أسس العمل ويصبح التنظيم في العمل من أحد مبادئنا التي لانستغني عنها. والعلم والدراسة وتطبيقها في أعمالنا ومشاريعنا أيضاً من المبادىء التي لانحيد عنها. ولا ننساها أو نهملها لأي سبب من الأسباب.

ولو كان تغيير تلك العقلية من المستحيلات على الإنسان لما طلبها الله من بني الإنس أصلاً:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لايُغَيِّرُ مَابِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

فإن الله سبحانه قد اشترط أن لايغير ما بحال القوم من فقر وجهل وتأخر وتخلف إلى الأحسن والأفضل، حتى يبلغهم الغنى والعلم والتقدم وسبق الأمم في البناء والعمل للأعمال الصالحة على الأرض، حتى يتحرك القوم فيبادرون إلى تغيير عقليتهم القديمة كلها، واستبدال كل ماكان في عقولهم من مخلفات الآباء والأجداد، مما كانوا يظنونه من العلوم النافعة. وكلها لاتزيد عن ظنون وأباطيل وأضاليل تعب في تثبيتها شياطين الإنس الذين يخدمون الطواغيت في كل عصر ومصر. وطالما لم يبادر الناس بعملية التغيير هذه لعقليتهم القديمة البالية إلى العقلية التي يدعو إليها الله في آيات صريحة، إلى علم الله الحقيقي الذي يخلو من الظن والباطل والضلال، فإن الله أيضاً لن يستعجل الأمور قبل أوانها فيحاول تغيير أوضاعهم السيئة أبداً. فالله لايتضرر من أحوال الناس مهما ساءت وإذا لم يفهم الإنسان هذه المعادلة: بحيث يبدأ القوم أو الأمة بتغيير ما بأنفسهم (ومابعقولهم من الظن والباطل والضلال) ليبدأ الله سبحانه بعدها بتغيير أحوال القوم أو الأمة إلى الأفضل والأحسن. فإن الذنب ليس ذنب الله سبحانه بل ذنب الإنسان الذي لم يحاول أن يفهم قوانين الله في الكون والأرض، كيف تعمل وكيف تتوقف وكيف يمكن أن تعود للعمل من جديد.

﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ - ١٠٥ التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

د ـ الصوم:

الصوم من العبادات الدورية غير الدائمة وإنما تحصل مرة في كل سنة ولمدة شهر واحد هو شهر رمضان المبارك الذي نزل فيه القرآن.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِديَةٌ طَعَامُ مِسكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيراً فَهُوَ خَيرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُون * شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ وَلِتُكمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُم تَشكُرُون﴾ ـ ١٨٣ ـ ١٨٥ البقرة.

قرأنا ثلاث آيات من القرآن تشرح عبادة الصوم.

ولتبيان معاني بعض الكلمات التي قد تصعب على البعض نقول: كتب: بمعنى أن الله سبحانه ارتأى لكم خيراً فجعلها من الطاعة المطلوبة من المسلم كما سبق وارتآه خيراً لمن سبقتكم من الأمم، وكانت من ضمن الطاعة المطلوبة من المؤمنين منهم. لذلك فالصوم مثل باقي العبادات في الإسلام تطوعي أصلاً بمعنى أن الإنسان قبل بالإيمان والإسلام أصلاً باختياره وتطوعه بدون إكراه من أحد عليه.

لكنه بقبوله بالإسلام وتوقيعه الشفهي على وثيقة الإيمان، أعلن من لحظتها بقبول كل شروط الوثيقة المكتوبة والموضحة في نص الرسالة. أي لم يعد له حق الخيار بأن يقول مثلاً أصلي الظهر والعشاء من الصلوات، وأصوم من رمضان أسبوعاً فيجلس ليضع شروطه من جديد. هذا لم يعد من حقه فكل العبادات ملزمة بالطاعة وعليه طاعتها دون تردد أو تذمر كما يقولون في التعبير العسكري.

إذن فعلى كل مسلم عاقل بالغ قادر. على مبدأ أن الله لايكلف نفساً إلا وسعها، وإذا لم يوجد أي مانع جسدي أو صحي أو عقلي فإن الصيام واجب على كل مسلم ومسلمة طالما يقول عن نفسه وبلسانه أنه مسلم وأنه قبل بالإسلام ديناً وشرعاً إلهياً منذ البداية وآمن بها.

وكما قلنا فكل عبادة وضعها سبحانه لتخدم أموراً كثيرة لمصلحة المؤمن خاصة والمؤمنين عامة من أمة الإسلام. فمن أولى الأهداف النفسية المطلوبة من الصيام:

تدريب النفس وتطويعها وترويضها على طاعة إرادة الإنسان المدعومة بأحكام العقل من قرارات لأن الذي لايستطيع أن يتحكم بشهواته ورغباته هو إنسان أقرب للبهائم التي تحكمها غرائزها وشهواتها.

والإنسان الذي كرمه الله على جميع خلقه بالعقل والفكر مع مزايا أخرى كثيرة جعله قادراً على تحكيم عقله ليكون هو القائد والآمر الناهي للنفس البشرية، وله القدرة مع التدريب على كبح جمح العواطف والغرائز والشهوات، وماالصيام إلا وسيلة من إحدى وسائل الله على هذا التدريب المطلوب.

علماً أن للصيام فوائد نفسية واجتماعية أخرى: فهو أولاً أسلوب لمعرفة فضل الله عليه في رزقه وماله وصحته وفي كل كرم الله على عبده. ليتعلم بالطاعة أسلوب الشكر لله على تلك النعم. وإحساسه بالجوع والعطش وسيلة لتقدير شعور الجائعين من الفقراء والمساكين في الأمة حتى تكون يده سخية في العطاء من الزكاة.

وهو أيضاً بشعوره بعد الجوع والعطش بالضعف وخور العزيمة الجسدية وسيلة من وسائل كبح جماح النفس عن التكبر والتجبر خاصة إذا توفرت له النعم مثل المال والجاه فلا يدخل الغرور بالنفس ليخرجه عن طريق الصواب.

والصيام له فوائد كثيرة صحية ونفسية واجتماعية أخرى للمسلم، شريطة أن تكون على هدي كتاب الرحمن وسنته، لا كما نقوم به نحن المسلمين اليوم وكأنه مجرد تجويع بغرض الدخول في مباراة للطعام والشراب بألوان وأصناف متعددة ومتنوعة عند الإفطار. بل على العكس فإذا كانت مائدة العائلة المسلمة عامرة خلال كل أيام السنة ففي شهر رمضان بالذات يجب الإقلال من تلك الأنواع والأصناف ما أمكن، بحيث يكون الطعام الذي أعد للإفطار كافياً لإسكات الجوع والعطش. وإعطاء القوة اللازمة لليوم الثاني والالتزام بحكمة خير الأمور أوسطها، دون مبالغة احتفالية في كل يوم وكأن شهر رمضان هو شهر الطعام وليس شهر الصيام، للإحساس بجوع الآخرين من الفقراء والمساكين في المجتمع الإسلامي خاصة والمجتمع الإنساني عامة.

ودون أن نجعلها مائدة زهد بالخبز والماء القراح، بل كما قلنا سابقاً بين هذا وذاك وسطاً.

والآية التي تأتي بعدها تعلمنا الأخلاق الإسلامية ومبادىء الدين:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ - ١٨٦ البقرة.

ولكن أغلب مسلمي اليوم حفظوا الشطر الأول من هذه الآية ونسوا أو تناسوا الشطر الثاني منها حيث يقول سبحانه: «فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي» أي أن عليهم أن يستجيبوا أولاً لما طلبته منهم بعد إيمانهم ثم بعدها سوف يفهمون كيف تسير الأمور في هذه الدنيا (لعلهم يرشدون).

وباقي آيات الصيام في القرآن تشرح حقوق الصائم وما هو مسموح له وممنوع عليه:

ففي الآية التي بعدها نجد:

﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُم هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُم وَأَنتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُم كُنتُم تَختَانُونَ أَنفُسَكُم فَتَابَ عَلَيكُم وَعَفَا عَنكُم فَالئَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُم عَاكِفُونَ فِى المَسَاجِدِ تِلكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ - ١٨٧ البقرة.

والآية واضحة بذاتها - أما التنويه الموجود عن قوله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم).

أنه في أول الإسلام عندما فرض الله الصيام على المؤمنين لم يسمح لهم في بدايتها بممارسة الجنس في ليالي رمضان، فلم يطقه كثير منهم، ووقعوا في الإثم فعفا الله لعلمه أنها فوق طاقة احتمالهم الإنساني وسمح لهم بالعلاقة الطبيعية مع زوجاتهم بدءاً من المغرب وحتى أول الفجر - (أول ضوء) وكذلك الأكل والشرب مسموح خلال تلك الفترة، وقد قال عنها بأنها حدود الله حتى لايتجاوز ذلك الحد أي مؤمن رضي بالإسلام ديناً وبالله رباً معبودا.

أما أن نقول للناس يجب أن تصوموا عن الكذب والرياء والنميمة وغيرها في رمضان، هذا الكلام يعطي إنطباعاً عكسياً بأن هذه الأمور كانت مسموحة فيما قبل وبعد رمضان، علماً أنها ممنوعة في جميع الأوقات. سواء في رمضان أو في غيره. فالكذب من الكبائر ولن يصبح كبيرة في رمضان وصغيرة في أوقات أخرى. هذا إذا شئنا أن نتعلم دين الرحمن ونترك ماتعلمناه سابقاً من دين السلطان عن آبائنا الأولين.

أما بالنسبة لصلاة العيد وصدقة الفطر والاحتفال بيوم العيد فكلها من الأمور التي تركها الله سبحانه وتعالى إلى ماهو متعارف عليه بين الناس من المسلمين (العرف - والمعروف) وهذا العرف أو المعروف يصبح قانوناً اجتماعياً إسلامياً يقبل به الله ويوافق عليه ويباركه، مع أنه لم يذكر عنها شيئاً في القرآن الكريم، لعلمه أنها ليست من أمور الدين والشريعة، وهي تتبع أساليب الناس في الاحتفال وإظهار الفرح باختلاف قوميات المسلمين وأعراقهم طالما الإسلام دين عام لكل الناس يضم كل القوميات وأعراقها.

وهذا مطلق العدل حيث جعلها أيضاً تتبع التطور والتغير في المجتمعات ولا اعتراض عليها من قبله سبحانه، طالما لايتعدى المسلمون مابيَّنَه في كتابه من المحرمات أو مااعتبره سبحانه رجساً من عمل الشيطان أو فسقاً أو فساداً أو إفسادا. أو خروجاً عن حدود الله - فيما عدا ذلك فلم يجعل عليهم في الدين من حرج، وترك الناس لحريتهم التامة وراحتهم دون قيود أو شروط مسبقة.

إذ ليس في القرآن مايمنع الفنون والموسيقى أو الغناء طالما لم نخرج في كل ذلك عن المخطط العام الذي فهمناه في تلاوة الذكر لكتاب الله سبحانه.

أما أن نحرم ونحلل دون النظر إلى القرآن، فهذا أولاً ليس من حق إنسان اعتباراً من الرسول محمد ﷺ حتى أصغر إنسان في أمة الإسلام، بل من حق الله وحده لاشريك له. ومن يجعل لنفسه هذا الحق يقول بشكل غير مباشر لنا بأنه شريك لله وهذا محرم علينا قطعاً قبوله من أحد. سواء قال عنه حديث نبوي شريف أو قال عنه حديث قدسي، فكلها في ميزان الله سواء، حيث أنها ظنون أرضية اختلطت بمصالح الشيطان وانتهى حكم القرآن فيها بآيتين وهما:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يَغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئا...﴾ - ٣٦ يونس.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

وهاتان الآيتان كانتا هما الشاهدتين لي في البرهان على أن كل ماعندنا من أحاديث ندعوها نبوية شريفة أو أحاديث قدسية كلها على الإطلاق ليست من الله وليست من وحيه بدليل الآية الثانية، وكلها أيضاً ظنون لاحقائق فيها وأغلبها يناقض نصوص آيات الله في القرآن بشكل صريح، وقد رأينا كل ذلك في مكانه من كتابي الثاني دين السلطان. وهكذا نجد أن الله سبحانه سمح بتلك الحرية إنطلاقاً من آيات العرف:

﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِين﴾ - ١٩٩ الأعراف.

﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوف...﴾ - ١٠٤ آل عمران.

وهكذا نجد أن كلمتي العرف والمعروف شائعتين في آيات الله حتى يطبق المؤمن الموجود في أي بلد كان تلك الأمور التي تعارف عليها الناس طالما ليس فيها شيء يتعارض مع مبادىء الإسلام ولا مع حدود الله ومحرماته.

﴿...قُل هَل يَستَوِى الأَعمَى وَالبَصِيرُ أَم هَل تَستَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّور...﴾ - ١٦ الرعد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أهمية توحيد بدء الصيام ويوم العيد في العالم الإسلامي كله:

لاحظنا جميعاً من خلال دراسة كتاب الله وآياته في الكتب الثلاثة: إنذار من السماء - ودين السلطان - ودين الرحمن. أن الله تعالى جعل الدين الإسلامي ديناً مرناً متطوراً مع كل زمان ومكان، لكنه آخر الرسالات، وبما أنها موجهة للعالمين من الناس وليست لأمة واحدة من الأمم. فهو قابل للتمشي مع عقلية كل عصر وكل زمان وكل مكان لأن الله سبحانه لم يثبت الأحكام بل جعلها قابلة للتبديل مع أعراف الناس وبشكل دائم، وجعل الأشياء الثابتة في الدين للأمور التالية فقط:

أ - الصراط المستقيم، ومايحتوي عليه كما رأينا من الوصايا العشر وهي نفسها الكبائر العشر.

ب - الحلال والحرام في الإسلام.

ج - العبادات الثابتة مثل تلاوة القرآن، والصلاة في أوقاتها خمس مرات، عدد ركعات الفرض في كل صلاة، ثم الزكاة ثم الصوم لمدة شهر واحد في السنة وهو شهر رمضان على الأقل. الحج إلى مكة مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً، مع وجوب الاتجاه في الصلاة إلى البيت. مع رفع البصر عن الأرض إلى أفق السماء حتى يعلم المؤمن بأنه مكرم من ربه فلا يستذله مخلوق بعد ذلك.

د - حدود الله، التي بينها في القرآن ولا يجوز تجاوزها، وفيما عدا ذلك من الأمور ليس هناك ما لا يمكن تعديله من أحكام بحسب استنباط المتخصصين في أحكام القرآن من المسلمين، استنباطاً من القرآن مباشرةً بحيث يكون الهدف مصلحة أمة المسلمين عامة مثلا:

عند ظهور الإسلام في مكة وفي القرن السابع الميلادي كانت وسائل النقل في العالم كله بدائية، وكذلك كانت وسائل الاتصال ونقل الأخبار، وتمشياً مع مثل تلك الظروف كانت أفضل طريقة للاتفاق على بدء الصيام وبدء أول يوم للعيد بعد رمضان هو رؤية الشهر في كل بلد بحسب رؤية القمر وهذا شيء طبيعي جداً، لأن الراكب المسرع في المدينة المنورة لإعلام مكة بالصيام أو الإفطار يحتاج إلى أكثر من ثلاثة أيام بينما رؤية القمر أسرع وأضمن فكان لابد من اتباعها. وتحديد الشهر بالرؤية ورد في

كتاب الله في الآية:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمه...﴾ - ١٨٥ البقرة.

وكما أننا فهمنا من نص الآية أن رؤية كل إنسان للشهر وللقمر غير ضرورية ويكفي أن يراه شاهدان، فاليوم يمكن رؤيته وبشكل أكيد في المراصد الفلكية في كل بلد، فليس في الآية ما يمنع توحيد بدء الصيام، وتوحيد يوم العيد في العالم الإسلامي كله المنتشر اليوم في جميع بلاد العالم قاطبة بناءً على رؤية القمر في المراصد.

كانت وسائل الاتصال والرؤية قديماً عقبة في وجه التوحيد، وكان لابد من الاعتماد على رؤية القمر في كل بلد بالعين المجردة، ولكن ماعذر المسلمين اليوم إلا إذا اعترفوا بأنهم جميعاً اتفقوا على أن لايتفقوا على شيء أبدا. قد تستغربون ذلك، ولكن تلك حقيقة واقعة اليوم غضباً من الله تعالى:

﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٣١ - ٣٢ الروم.

فمع أن وسائل الاتصال العصرية من تلفزيونات على الأقنية الفضائية مع وجود الراديو والاتصالات الهاتفية اللاسلكية في جميع أنحاء العالم مع الفاكسات موجودة وكما أن الغرب قد اتفق على التوقيت عالمياً، معتبراً مدينة غرينتش في الجزر البريطانية خط بدء للتوقيت، يمكن أيضاً أن يتفق المسلمون ببدء توقيت الصيام من بلد إسلامي يقع في أقصى الشرق مثلاً في أندونيسيا، بحيث إذا تمت رؤية القمر في مرصد جاكرتا يوم الاثنين مساء أعلن للمسلمين في العالم كله أن الصيام سوف يكون في جاكرتا والعالم الإسلامي كله يوم الثلاثاء، وإذا كان هذا سوف يتعارض مع التوقيت يمكن اعتبار البلد الإسلامي الذي يمر عليه خط طول غرينتش هو خط بدء الصيام أيضا.

هذا الموضوع من أبسط المواضيع التي تواجه العالم الإسلامي في مجمل مانواجه من مواضيع أخرى أهم وأكبر بكثير، فالموضوع بحد ذاته من الشكليات التي يمكن أن تدرج في جدول أعمال المؤتمرات الإسلامية للتوصل إلى حل واتفاق حوله. من أجل توحيد يوم بدء الصيام عند المسلمين جميعاً، وتوحيد يوم الإفطار وبالتالي يوم العيد أيضاً بالنسبة لجميع المسلمين في العالم، ولكن حتى هذا يستحيل الوصول إليه لحقيقة أخرى نتجاهلها جميعاً وهي أننا جميعاً مشركين ونسينا قول الله تعالى في كتابه المبين:

﴿...بَأْسُهُم بَيْنَهُم شَدِيدٌ تَحْسَبُهُم جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَوْمٌ لا يَعقِلُونَ﴾ - ١٤ الحشر.

فالله واحد ودينه واحد وكتابه واحد ورسوله واحد. ولكن مع الأسف الشديد قلوبنا ليست واحدة وسبلنا أيضاً ليست واحدة، تركنا سبيل الله واتبعنا سبل الشياطين، رغم أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً وَكُنتُم عَلَى شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ - ١٠٣ آل عمران.

وإذا سألني مسلم من بلاد الإسلام السؤال الذي يناسب ماتحدثت عنه: هل تعتقد أن المسلمين اليوم قادرون على الاتفاق على مثل هذا القرار الشكلي البسيط في توحيد بدء الصيام وتوحيد بدء العيد؟.

فلسوف يكون جوابي وجواب كل من يعلم بالحقائق إذا توخوا الصدق أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى ذلك الاتفاق أو اي اتفاق آخر فيه خير للمسلمين حالياً على الأقل. وإذا عاد نفس المسلم وطرح السؤال المنطقي الذي يجب أن يتبع الجواب: لماذا إذن تقترح على المسلمين موضوعاً أنت نفسك غير مقتنع بإمكانية تحقيقه؟ أجيب: حتى يكون فشل المسلمين على أي اتفاق هو دليل غضب الله على هذه الأمة، وعدم رضائه عنها، ليعود بعدها المسلم ويبحث عن أسباب غضب الله فيجد أسباباً ضخمة جدا. فالله تعالى لم يغضب علينا بلا سبب فنحن جميعاً قد أشركنا بالله، ولن نعود للتوحيد إذا لم نعد لكتاب الله وحده، كما لن يزول غضب الله عنا أيضاً إن لم نعد إلى التوحيد. ليس باللسان وحده فنحن باللسان نوحد الله صباح مساء، ولكن يجب أن نوحده فعلاً وعملاً ونية، ولن يتم ذلك ونحن نقول أنا سني وأنا شيعي وأنا فاطمي وأنا يزيدي وأنا حنبلي، وأنا مالكي وأنا شافعي وأنا حنفي. عندما تزول كل تلك الطرق وننسى صحيح مسلم والبخاري مع كل باقي الروايات ونعود لنطبق القرآن ونتدبر أحكامه في حياتنا من جديد عندها فقط سوف يزول غضب الله ويبدل بعد ذلك كل نقمة قديمة إلى نعمة جديدة. والإعتصام بالله هو الإعتصام بكتابه: ﴿...وَمَن يَعتَصِم بِاللهِ فَقَد هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ١٠١ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الحج: حقيقته ـ كيف كان وكيف أصبح؟(*)

الحج:

﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً﴾ ـ ٩٧ آل عمران.

إن كل العبادات المطلوبة من المؤمن تطوعية وليس فيها فرائض أو فروض من الله تعالى أبداً لأن الدين نفسه لم يفرض على الإنسان بل تركه الله تعالى لمشيئتة واختياره إن شاء آمن وإن شاء كفر وحسابه على الله وحده يوم القيامة.

ولكن المؤمن بعد اعلانه لنفسه ذلك الإيمان يلتزم لوحده بأمور لا بد منها حتى يكون من المؤمنين ومن تلك الأمور التي عليه الإلتزام بها هي العبادات لأن من لا يلتزم بها يكون ناقص الإيمان أصلاً ومن تلك العبادات التي يجب أن يلتزم بها كل مؤمن في الإسلام، هي عبادة الحج.مع أنه كما رأينا لم يكلف بها المؤمنون وحدهم بل كان النداء باسم الناس جميعاً.

بينما لاحظنا في العبادات السابقة مثل تلاوة الذكر والصلاة والزكاة والصوم كان الله تعالى يخاطب المؤمنين من الناس وفي موضوع الحج يخاطب سبحانه الناس كافة مؤمنين وكافرين ومشركين بمعنى لو أن الناس يعلمون فضل الله تعالى ونعمه عليهم لحجوا إلى بيته العتيق اعترافاً منهم بالجميل بغض النظر عن دينهم.

فالحج اعتراف من الإنسان بفضل الله وشكره على نعمه التي لا تحصى وفضله على الإنسان عامة وعلى المؤمن خاصة لأنه أدرك حقيقة الله أكثر واعترف بها بعد أن أحس بفضل الله ونعمه فأحب الله وازداد شوقاً إلى لقائه فعزم من شوقه واشتياقه إلى زيارة

(*) (عالم عربي في أمريكا عندما رآني أتأمل شهاداته في مكتبه قال لي ضاحكاً إن هذه الشهادات وجدت حتى تذكر صاحبها أنه ما يزال في أول طريق العلم وأمامه الكثير مما يحتاج إلى بحث وكشف ليدخل بها إلى دائرة المعارف الإنسانية. فتذكرت كثير من الشبان المسلمين الذين حازوا على الألقاب العلمية فظنوا وتوهموا بعدها أنهم قد بلغوا نهاية العلم فحزنت وتألمت من هذه المفارقة.

فموعظتي للشباب المسلم أن يفهموا هذه الحقيقة ويتعلموا أن العلم ليس مجرد حشو الذاكرة بالمعلومات وإنما العلم يتم عن طريق البحث المترافق مع النقد الفكري لما تقرأ مع إجراء المقارنات بين الأفكار المتشابهة ثم الوصول بعدها للإستنتاجات وللإستقراء دون أن تضيع الهدف الذي كنت تبحث عنه أصلاً لمعرفته والقراءة يجب أن تكون دائماً وسيلة من وسائل تحصيل العلم وليست غاية بذاتها.)

بيته قبل لقاء ربه يوم القيامة.

فهي عبادة شكر واعتراف بالجميل من الناس القادرين عليها جسدياً ومادياً.

منشأ وبداية العبادة وتاريخها ومحظوراتها:

يحدثنا القرآن الكريم أن بداية هذه العبادة ومنشأها كان من دعاء إبراهيم عليه السلام لربه وهو يقول:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّى أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيرِ ذِى زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِى إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ﴾ - ٣٧ إبراهيم.

فاستجاب الله سبحانه ببناء البيت وأراه مكانه بدليل الآيات التالية:

﴿وَإِذَا بَوَّأنَا لِإِبرَاهِيمَ مَكَانَ البَيتِ أَن لا تُشرِك بِى شَيئاً وَطَهِّر بَيتِى لِلطَّائِفِينَ وَالقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ - ٢٦ الحج.

كما نلاحظ تأكيد الله في الآية على الإمتناع عن الإشراك بالله ولو شيئاً.

﴿أَن لا تُشرِك بِى شَيئاً﴾ - ٢٦ الحج.

لأن البيت من الأشياء وأرض الكعبة من الأشياء والحجر الأسود من الأشياء وبردة الكعبة من الأشياء وأحجار الكعبة من الأشياء وهكذا فإن الله تعالى لا يريد أن يُدخل في وهم المؤمن فيقدس أي من هذه الأشياء ويجعلها ضمن معبوداته فالعبادة لا تجوز إلا له وحده لا شريك له أبداً.

﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ - ٢٧ الحج.

ما هو المقصود من الحج؟

﴿لِّيَشهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم وَيَذكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ فَكُلُوا مِنهَا وَأَطعِمُوا البَآئِسَ الفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقضُوا تَفَثَهُم وَليُوفُوا نُذُورَهُم وَليَطَّوَّفُوا بِالبَيتِ العَتِيقِ﴾ - ٢٨ - ٢٩ الحج.

علمنا من الآيات السابقة أن الله تعالى استجابة لدعوة رسوله الكريم ابراهيم شاء أن يجعل ذلك المكان مركزاً تجارياً ﴿لِّيَشهَدُوا مَنَافِعَ...﴾ ومركزاً دينياً ﴿...وَيَذكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعلُومَاتٍ...﴾ شكراً لله على ما رزقهم من الأموال والنعم والخيرات

فيقدمون من أنعامهم أضاحي تقدم صدقة وزكاة عن أنفسهم وعن أبنائهم ورحمة بالبائس والفقير والمحتاج من أهل المنطقة أو من الذين قدموا إليها.

وفي الآية الأخيرة يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ لِيَقضُوا تَفَثَهُم...﴾ أي ليطهروا أنفسهم من الخطايا والذنوب التي اقترفوها خلال حياتهم والتفث هو النجاسة والأوساخ، وعلى ما نعلم ليس في مكة حمامات بخارية ولا حمامات مياه معدنية فالمقصود هو إزالة الأوساخ عن النفوس وليس عن الأجساد فالطهارة النفسية أولى بالرعاية مع أن النظافة والطهارة بقصد إزالة القذارات المادية بالماء والمنظفات مطلوبة في كل مكان من المؤمن وليس في مكة وحدها فقط.

﴿...وَليُوفُوا نُذُورَهُم...﴾ والناس قبل الإسلام وفي كل الديانات عندها عرف النذور: لمريض إذا شفي ولغائب إذا عاد ولطالب علم إذا نجح ولهدف ما إذا تحقق شكراً لله.

هدف وغاية الحج من الناحية العقائدية والإيمانية:

قلنا سابقاً أن لكل عبادة من العبادات في الإسلام أهدافاً وغايات وهي كلها تجتمع على تعويد المؤمن بالطاعة الدائمة والمستمرة بذكر الله وطاعته متصلة بالخوف والخشية من الله تعالى وهذا ما يسميه سبحانه (بالتقوى) والمؤمن في العبادات يعبد الله دون أن يراه أو يسمعه بشكل حسي أو مباشر والإنسان بفطرته يميل إلى المحسوسات والملموسات أكثر، ومن هنا تأتي خطورة وسرعة وقوع الإنسان إذا لم يتحرص وينتبه دائماً من الإشراك الخفي بالله بالأشياء المحسوسة والملموسة من غير أن يعلم بحقيقة إشراكه خاصة إذا اعتمد في معتقداته على غير عقله وفكره مباشرة من أب أو شيخ أو صاحب.

فجعل الله تعالى الحج فيه زيارة لأماكن وأشياء مقدسة يعظمها المؤمن في نفسه ويقف على شعائر ويقوم بمناسك محددة دون أن يسمح لنفسه بالوقوع في الإشراك بالله.

فالحج من هذا الباب فتنة وإختبار حقيقي للمؤمن وهذا يأتي غالباً بعد مراحل متقدمة من الإيمان بالله بالنسبة لكل فرد ولا تكون عادة في أول إيمانه.

ومن أهداف الحج:

إعطاء المؤمن شعور بقوة الإسلام الآتي من قوة الإيمان خاصة إذا توحدت الإتجاهات والسبل هذه القوة يشعربها المؤمن في كل مراحل الحج وهو يرى آلاف المؤمنين من حوله يلبسون لباس الإحرام وكأنه يوم الحشر يكبرون ويهللون بإسم الله العظيم، وحتى يتفكر مسلم اليوم بأن هذه القوة الهائلة ضائعة بسبب تنافر النفوس وتنافر السبل وتنافر الأحاديث والكتب والمصادر والمراجع التي أصبحنا نعتبرها مصادر للدين والشرع بعد أن هجرنا كتاب الله المبين وهو الكتاب العزيز الذي اعتبره الله تعالى حبله المتين وطلب من عباده المتقين التمسك به وهو الكتاب الوحيد الذي سلم من أيدي محترفي التحريف من شياطين الإنس تقريباً.

فالقوة الحقيقة تأتي من اجتماع الكلمة واجتماع الهدف واجتماع الغايات مع توحيد كامل لله تعالى وهذا لن يتحقق للمسلمين أبداً وبين أيديهم كتب الإختلاف بل إذا عادوا لكتاب الله الذي هو كتاب المسلمين المبين الذي لم يفرط سبحانه فيه من شيء والدليل أمامكم هذا الكتاب أكتبه ومصدري الوحيد فيه هو كتاب القرآن أكتشف فيه كل ساعة حقيقة جديدة نسيها المسلمون جميعاً، وطالما نتحدث عما نسيه المسلمين فلماذا لا يكون كلامنا مباشرة عما نسيه المسلمون جميعاً من الحج ونجده مذكوراً في القرآن الكريم.

مواسم الحج:

إننا نقرأ في كتاب الله:

﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ...﴾ - ١٩٧ البقرة.

إن الله تعالى يعلن لجميع المسلمين في الأرض أن الحج موسم كامل لفترة زمنية فيها أشهر معروفة وكلمة أشهر تدل على أنها لا تقل عن ثلاثة أشهر.

فما هي أشهر الحج التي يشير سبحانه أنها معروفة ومعلومه للناس ضمن المتعارف عليه أيضاً بحسب علمنا في القرآن الكريم أن عدد أشهر السنة عند الله إثني عشر شهراً ومنها:

١ محرم - ٢ صفر - ٣ ربيع أول - ٤ ربيع ثاني

هي الأشهر الأربعة الحرم التي حرم الله تعالى فيها الصيد التي يجب أن تصدف دائماً في فصل الربيع من السنة بدليل وقوع شهرين فيها بإسم الربيع.

ولقد شرحت في بحث كامل في هذا الكتاب سبب تحريم الصيد فيها لأنها فترة ولادات وإرضاع للحيوانات في البر فحرمها الله تعالى حماية لها من الإنقراض نتيجة جهل الإنسان وطغيانه ورحمة منه سبحانه ونسي المسلمون هذه الأشهر الأربعة في الجاهلية العظمى للمدعين بالإسلام.

أشهر الحج تبدأ مباشرة بعد نهاية شهر رمضان وتنتهي قبل الدخول في الأشهر الحرم من جديد لذلك أصبحت أشهر الحج معلومات لأنها محصورة بين نهاية رمضان ليكون بدايتها وبداية الأشهر الحرم إعلاناً لنهايتها وهذه الأشهر هي الأشهر الختامية للسنة:

١٠ ـ شوال ١١ ـ ذو القعدة ١٢ ـ ذو الحجة

وللمؤمن بحسب كتاب الله تعالى أن يختار ما يشاء من الوقت من تلك الأشهر الثلاثة ليفرض لنفسه فيها حجه الخاص ضمن أيام معدودات وهذا هو مقصد الرحمن:

﴿...فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ...﴾ ـ ١٩٧ البقرة.

أي فرض في تلك الأشهر لنفسه أياماً لحجه هو كفرد مسلم عليه أن ينضم إلى مجموعة الناس الذين فرضوا لأنفسهم نفس الأيام ليشتركوا معاً ويرافقهم في قضاء مناسك الحج كلها وهي تتم خلال فترة محددة يقول الله تعالى عنها:

﴿لِّيَشهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم وَيَذكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ فَكُلُوا مِنهَا وَأَطعِمُوا البَآئِسَ الفَقِيرَ﴾ ـ ٢٨ الحج.

والذي يحج ليس عليه البقاء ثلاثة أشهر في مكة بل فترة زمنية كافية لحجه ولقضاء حاجاته الأخرى إذا كانت له تجارة أو مصلحة فله ذلك ومن حقه:

﴿لِّيَشهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم...﴾ ـ ٢٨ الحج.

ماذا عن المسلم الذي يشاء أن ينهي حجه كله في يومين لأسباب مختلفة منها أن صحة الحاج لا تسمح له بأكثر من ذلك مثلاً فهل في الإسلام ما يمنع ذلك لمن يشاء منهم؟

﴿وَاذكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعدُودَتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَومَينِ فَلآ إِثمَ عَلَيهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلآ إِثمَ عَلَيهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَمُوا أَنَّكُم إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ ـ ٢٠٣ البقرة.

من هذه الآية علمنا أن ذلك مسموح في الإسلام الذي هدفه دائماً هو تقوى القلوب وخشوعها لله وخشيته وهذا هو الأساس والقاعدة في الإسلام وكل الأمور تصبح شكلية بعد ذلك لا قيمة لها في إسلام الرحمن سواء قام بها المسلم أو لم يقم بها

وعلى هذا الأساس نفهم أن الإنسان في الحج حرّ إن شاء طوف حول الكعبة وإن شاء لم يطوف به وإن شاء سعى من بين الصفا والمروة وإن شاء لم يسعى، ولكن إن تطوع وتطوف فلا إثم عليه من ذلك الطواف.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيم﴾ - ١٥٨ البقرة.

من هنا نفهم أن الله تعالى لم يفرض على الناس مناسك معينة للحج لكن الناس منذ أيام إبراهيم عليه السلام تعودوا على بعض الأمور ودخلت إلى أعراف الناس، فالإسلام نقح وصحح وأزال كل ما يشير إلى الإشراك وأبقى على الباقي الذي لا بأس إن فعله الناس ولكن الله تعالى لم يفرض شيئاً معيناً في الحج إلا ما كان الناس قد تعودوا عليه ودخل إلى أعرافهم وعاداتهم منها مما لا يضر إن فعلها الحاج في الحج والله سبحانه حدد الأمور التي على الحاج الإمتناع عنها حتى يتذكر أنه في عبادة لله تعالى وعليه واجب الإلتزام التام بالخشية والتقوى خلالها:

فلا رفث في الحج أي يمتنع المسلم خلالها عن كل أنواع الأفعال الجنسية (ولا فسوق): الفسق كلمة واسعة تضم أمور كثيرة منها:

أ ـ كل فعل أو عمل يخرج عن قواعد ومبادئ الرحمن في الإسلام.

ب ـ اليانصيب بأنواعه المختلفة.

ج ـ أكل اللحوم التي لم يذكر عليها اسم الله.

د ـ القيام بالمعاصي.

هـ ـ الإستقسام بالأزلام.

و ـ عدم الإلتزام بأوامر الله تعالى في القرآن. وهكذا...

ولا جدال في الحج:

أيضاً الجدال في الأمور السياسية أو العقائدية الدينية ممنوعة في الحج.

هذا وقد استمر الحج بشكل موسمي ويستمر ثلاثة أشهر في الجزيرة العربية وكانت تفتح فيه الأسواق يباع فيها كل شيء (في الجاهلية كان الرقص والغناء والبغاء مسموحاً) فمنعها الإسلام لكنه لم يغلق الأسواق بل ظلت تفتح بعد أن منع الفسوق السابق فيها.

مناسك الحج:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَى مَارَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ فَإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسلِمُوا وَبَشِّرِ المُخبِتِينَ﴾ - ٣٤ الحج.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلنَا مَنسَكاً هُم نَاسِكُوهُ...﴾ - ٦٧ الحج.

﴿فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُم فَاذكُرُوا اللَّهَ كَذِكرِكُم ءَابَآءَكُم أَو أَشَدَّ ذِكراً...﴾ - ٢٠٠ البقرة.

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُب عَلَينَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ - ١٢٨ البقرة.

فما هو النسك بدليل الآيات السابقات في الإسلام؟

المعنى العام لها هي مراسيم الحج كعادات وتقاليد ماذا نفعل أولاً ثم ماذا نفعل ثانياً وهكذا وهذه الأمور يعرفها أدلاء الحج عادةً.

وأحياناً تأتي كلمة نسك بمعنى مختلف وتأخذ معنى الذبيحة أو الضحية كما في الآية التالية:

﴿...فَفِديَةٌ مِّن صِيَامٍ أَو صَدَقَةٍ أَو نُسُكٍ...﴾ - ١٩٦ البقرة.

وبشكل عام مطلوب من كل حاج في الحج إتمام مناسك الحج بالنسبة للذي نوى الحج أو إتمام العمرة بالنسبة للذي كانت نيته العمرة فقط.

لنستمع للآية التالية من القرآن الكريم:

﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمرَةَ للهِ فَإِن أُحصِرتُم فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَديِ وَلا تَحلِقُوا رُءُوسَكُم حَتَّى يَبلُغَ الهَديُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَو بِهِ أَذىً مِّن رَّأسِهِ فَفِديَةٌ مِّن صِيَامٍ أَو صَدَقَةٍ أَو نُسُكٍ...﴾ - ١٩٦ البقرة.

وكما ترون فإن الإسلام دين يسر وليس دين عسر أبداً فالذي معه حيوانات من الأنعام يريد أن يصل بها إلى المذبح عليه أن لا يحل إحرامه ولا يحلق حتى ينتهي من تقديم الأضاحي في مكانه.

أما من كان مريضاً ولا يستطيع الإنتظار في حالة الإحرام كثيراً أو كان يشكو من مرض جلدي في رأسه ولا يستطيع أن يصبر على تراكم الشعر فلا بأس من إحلاله ومن حلقه على أن يفتدي ذلك بطاعة أخرى تقابلها من صيام لعدة أيام أو أن يقدم صدقة

من مال أو يقدم ذبيحة يضحي بها كتعويض عما قصر به نتيجة مرضه.

لذلك نجد الله تعالى يقول على لسان عبده المؤمن:

﴿قُل إِنَّ صَلاتِى وَنُسكِى وَمَحيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ - ١٦٢ الأنعام.

فالنسك هنا تقابل الزكاة التي تأتي عادة مقرونة بالصلاة في القرآن ولكن الزكاة عادة شاملة تضم كل ما يقدمه الإنسان من أموال للمستحقين من الفقراء والمحتاجين بينما النسك هنا تأتي بمعنى كل ما يقدمه الإنسان باسم الله تعالى عن نفسه من الذبائح لتصبح رزقاً للفقراء وتوزع عليهم.

كيف يتم تطبيق الحج اليوم؟

إن المسلمين اختصروا أشهر الحج الثلاثة التي جعلها سبحانه وتعالى موسماً كاملاً لحج الناس جميعاً واضعاً في عين الإعتبار دخول الناس كافة للإسلام دون أن يضيق عليهم في شيء لكن الناس من جهلهم ظلموا أنفسهم فجعلوا الحج كله حجة واحدة وكأن الله تعالى قد طلب منهم المستحيل وقال لهم يجب عليكم جميعاً أن تحجوا إلى بيت الله في يوم واحد وأن تقفوا في عرفات في يوم واحد وأن تضحوا بالهدى في يوم واحد، إن الله تعالى لا يطلب المستحيلات من الناس وهو يعلم أنه أرسل رسوله للناس كافة:

﴿وَمَآ أَرسَلنَاكَ إِلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً...﴾ - ٢٨ سبأ.

وكان المطلوب من الناس أن يتوزعوا أشهر الحج موزعين الحجاج إلى أفواج كل فوج منهم معهم أدلتهم ينطلقون للحج في يوم واحد من أيام موسم الحج وهكذا بإمكانهم أن يتوزعوا إلى ثمانين فوجاً على الأقل في مدة الأشهر الحرم الثلاثة.

وللناس حرية الإختيار للحج في الوقت الذي يناسب الحاج من أشهر الحج الثلاثة ولكن في أغلب العصور السلطانية خاصة بعد ضعف السلاطين وانتشار الفقر والبطالة في الإمبراطوربة الإسلامية المترامية الأطراف انتشرت اللصوصية وقطع الطرقات وتشليح المسافرين وفقد الأمن والسلامة للمسافرين فتولت الدولة تنظيم قوافل الحجاج مع تنظيم حراسة لها خوفاً من قطاع الطرق واللصوص فاضطرت تلك الدول نتيجة تلك الظروف الأمنية أن تجعل للحج رحلة واحدة ذهاباً ورحلة واحدة إياباً، تكون تحت حراسة خاصة من قوات الأمن والجيش.

إذا فتحنا تاريخ ابن كثير الدمشقي في فترة ضعف الخلافة العباسية وتفككها: نجد مثلاً في سنة ٣٩٣ هجرية يذكر في تاريخه أنه (انقطع الحج فيها من العراق بسبب الأعراب) (ص ٣٥٥ ـ مجلد ٦ جزء ١١). ولا ننس أن بغداد كانت عاصمة الخلافة الإسلامية في تلك الأيام.

وعن سنة ٣٩٧ هجرية يقول:

(وفيها ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء مظلمة جداً، واعتراضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج فرجعوا إلى بلادهم).

وسنة ٤٠١ هجرية يقول:

(ولم يحج فيها أحداً من أهل العراق)

وعن سنة ٤٠٣ هجرية يقول:

(وفيها جيء بأمير بني فجاجة أبو قلنبة قبحه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى وكانوا قد اعترضوا للحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون وغوروا المناهل التي يردها الحجاج ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو خمس عشر ألفاً، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم في أسوأ حال وأخذوا جميع ما كان معهم فحين حضروا عند دار الوزير سجنهم ومنعهم الماء، ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه حتى ماتوا عطشاً جزاءً وفاقاً)

وعن سنة ٤٠٦ هجرية كتب يقول:

(ولم يحج فيها من العراق ركبٌ لفساد البلاد من الأعراب). (نفس المصدر السابق الجزء ١٢ الصفحة ٣).

وعن سنة ٤٠٨ هجرية كتب يقول:

(ولم يحج أحداً من أهل العراق لفساد البلاد وعبث الأعراب وضعف الدولة)

وعن سنة ٤٠٩ هجرية كتب يقول:

(ولم يحج أحد من درب العراق فيها لفساد وعبث الأعراب) صفحة ٨.

وعن سنة ٤١٠ هجرية كتب يقول:

(ولم يحج في هذه السنة أحداً من العراق) (صفحة ٩).

والغريب بعد هذا نجد وصفاً لقطاع الطرق هؤلاء أنهم كانوا أرحم من الحكام في الوصف التالي: عن وصف أحداث سنة ٣٩٤ هجرية حيث يقول:

(وفيها خرج الركب العراقي إلى الحجاز في جحفل عظيم كبير وتَجَمُّلٍ كثير، فاعترضهم الأصيغر أمير الأعراب فبعثوا إليه بشابين قارءين مجيدين كانا معهم يقال لهما أبو الحسن الرفا وأبو عبد الله بن الزجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة، ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج ويطلق سراحهم ليدركوا الحج، فلما جلسا بين يديه قرءا جميعاً عشراً بأصوات هائلة مطربة مطبوعة، فأدهشه ذلك وأعجبه جداً، وقال لهما: «كيف عيشكما ببغداد؟» فقالا: «بخير لايزال الناس يكرموننا ويبعثون إلينا بالذهب والفضة والتحف.» فقال لهما: «هل أطلق لكما أحد منهم بألف ألف دينار في يوم واحد؟» فقالا: «لا، ولا ألف درهم في يوم واحد.» قال: «فإني أطلق لكما ألف ألف دينار في هذه اللحظة، أطلق لكما الحجيج كله ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار»، فأطلق الحجيج كله بسببهما، فلم يتعرض أحد من الأعراب لهم، وذهب الناس إلى الحج سالمين شاكرين لذينك الرجلين المقرئين)..

وإذا انتقلنا لوصف الحاكم نفسه لوجدناه إرهابياً قاطعاً للحرث والنسل:

حيث يصف لنا أحداث عام ٣٩٨ هجرية يقول:

(فيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح حصوناً كثيرة وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة، وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوء فضة، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الأموال كلها في صحن داره وأذن لرسل الملك فدخلوا عليه فرأوا ما بهرهم وهالهم)

هل كانت هذه الغزوات من أجل نشر الإسلام أم من أجل السلب والنهب؟».

وحتى بداية القرن العشرين كانت الإمبراطورة العثمانية تطبق أسلوب الحج برحلة واحدة نظراً للظروف الأمنية، ولكن ليس لهذا التدبير الإداري الذي يخص الدولة أي علاقة بما ورد عن الحج في كتاب الله تعالى فما زال بإمكان كل إنسان أن يختار من أشهر الحج فيفرض لنفسه منها ما يشاء من الوقت بحسب ما يلائمه للقيام بالحج من دون أي تحديد أو تضييق من أحد. ولم يعد لاتباعنا لسياسة السلاطين وسنتهم في الحج أية معنى طالما أن كتاب الله تعالى بين أيدينا يقول لنا ما هو الصحيح وما هو الخطأ تخلصاً من الضيق والحرج الذي نحن فيه اليوم وكل سنة نفاجئ العالم بضحايا في

الحج سببه الإزدحام الشديد الذي لا مبرر له أبداً.

وليس معنى الإحتفال بنهاية موسم الحج أن يقف كل المسلمين في العالم معاً في عرفة فهذا مستحيل ويمكن توزيع هذا الوقوف على ثلاثة أشهر فيمر كل شيء براحة واطمئنان ونكون قد أزلنا عن المسؤولين في السعودية عبئاً ثقيلاً ومهمة لم يكلفهم بها رب العالمين بالطريقة التي نطبقها اليوم خطئاً لجهلنا لما في كتاب الله المبين.

وليس معنى الآية التالية في سورة الحج:

﴿...وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴾ - ٢٨ الحج.

أن يذكروا اسم الله معاً لكل الناس بل يشترك فيه الذين فرضوا واختاروا ذلك اليوم ليكون بداية لمراسيم الحج عندهم وهكذا يمكن أن يقسم الحجاج إلى أفواج بحسب تاريخ قدومهم فيبدأ في صباح كل يوم فوج جديد خلال موسم الحج كله له مطلق الحرية في تحديد الوقت الذي يناسبه من دون أي فرض أو إحراج:

﴿...فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ...﴾ - ١٩٧ البقرة.

وفرض هنا تأتي بمعنى اختار وارتأى لنفسه وهذا الإختيار انعدم اليوم بفرض أيام الحج على الناس جميعاً مما بدأ يسبب الكوارث بسبب الإزدحام الشديد الذي لا علاج له إذا استمر المسلمون بمتابعة الحج على هذا اللامنطق واللامعقول الذي يتم به اليوم والذي كان مجرد تدبير إداري ولظروف أمنية خاصة كانت سيئة وقد زالت كلها اليوم والحمد لله فلا داعي لإتباع سنة لم يفرضها الله تعالى ولا رسوله الكريم بل أن سنة الله واضحة في آيات الحج بحيث يمكن تنظيم ثمانون رحلة كما رأينا للحجاج في موسم واحد للحج وكل فوج يبدأ حجه في يوم مختلف عن الفوج الآخر بينما نحن اختصرناه إلى فوج واحد وهذا مستحيل لو فكرنا فيه خاصة في أيامنا هذه، فالله سبحانه قد اختار أن يكون تقديم الأضاحي خلال موسم الحج كله بحيث يمكن توزيعه بسهولة في فترة موسم الحج كلها على الفقراء والمحتاجين لأن الغاية أصلاً من الأضاحي والمقصود منها من رب العالمين هو الإستفادة من لحومها لفائدة البائس والفقير ويأكل منها الجائع والمقطوع عن بلاده:

﴿...فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ...﴾ - ٢٨ الحج.

بينما الذي يجري اليوم جنون كامل ومذبحة كبيرة بلا معنى فقدت الغاية من تقديم الأضاحي فلا يستفيد منها إلا القليل من الفقراء والبائسين الذين لم يعد لهم مكان أصلاً

في الحج بين الحجاج من شدة الإزدحام في شكل الحج المطبق حالياً من دون العودة إلى كتاب الله الصحيح.

كما أن ذبح مليون ضحية في يوم واحد ظلم وكفر بنعمة الله وخروج عن المنطق والمعقول علماً أن الدين أصلاً لو أخذنا بالقرآن أساساً هو كله دين عقل ومنطق ولكل شيء في الإسلام سببه وحجته ولكنا بعد أن طلقنا العقل والحجة أصبحنا نتصرف مثل من غاب عقله عنه، علماً أن تطبيق السعودية اليوم للحج بدأ بالتقنين على الحجاج لأن المكان أصلاً لا يمكن أن يستوعب الحجاج دفعة واحدة بينما إذا عدنا إلى كتاب الله لوجدنا من عسرنا يسراً وأننا كنا نظلم أنفسنا من جهلنا فقط ولا يظلمنا الله رب العالمين ﴿يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر﴾ - ١٨٥ البقرة.

وتطبيق الحج بالإسلوب الموضح في كتاب الله تعالى هو المخرج الأكيد من هذه الأزمة الحقيقية الآن التي يعاني منها كل المسلمين بما فيهم المشرفون على الأماكن المقدسة ونص القرآن الكريم واضح لا يحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل ولكن يحتاج فقط إلى تناسي الأحاديث الضالة في الموضوع كله لأن القرآن هو الأساس في الدين الإسلامي كله. والله تعالى من رحمته يهدي من يبحث عن الهداية لنفسه في كتابه المبين ويضل من يبحث عنها في غير ذلك الكتاب:

﴿...ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ...﴾ - ٨٨ الأنعام.

شعائر الحج:

في الحج شعائر جمع مَشعَر كقوله تعالى:

﴿...فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ - ١٩٨ البقرة.

والشعائر هي الأماكن والمعالم الظاهرة في منطقة الحج حول مكة والحاج يقوم ببعض المناسك ويقول بعض الأدعية أو يكبر ويذكر اسم الله تعالى ويضحي بالهدى أو يطوف أو يرمي الجمار مثل تلك الأفعال والأقوال والأدعية في أماكنها هي التي أطلق الله تعالى عليها مناسك الحج كما رأينا قبل هذا...

وأصل الهدي والتضحية في الحج تبدأ بالرسول إبراهيم عليه السلام حيث بعد أن دعا ربه قائلاً:

﴿رَبِّ هِب لِى مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعىَ قَالَ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ فَانظُر مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّآ أَسلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ * وَنَادَينَاهُ أَن يَآإِبرَاهِيمُ * قَد صَدَّقتَ الرُّءيَآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجزِى المُحسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَؤُا المُبِينُ * وَفَدَينَاهُ بِذَبحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكنَا عَلَيهِ فِى الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجزِى المُحسِنِينَ * إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُؤمِنِينَ﴾ - ١٠٠ - ١١١ الصافات.

هذا الذبح العظيم هو ما أصبح من أحد مناسك الحج في الإسلام.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَروَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ...﴾ - ١٥٨ البقرة.

وأحياناً يأتي معنى شعيرة بمعنى المنسك كما في الآية التالية:

﴿وَالبُدنَ جَعَلنَاهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ اللَّهِ لَكُم فِيهَا خَيرٌ فَاذكُرُوا اسمَ اللَّهِ عَلَيهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَت جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنهَا وَأَطعِمُوا القَانِعَ وَالمُعتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرنَاهَا لَكُم لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ - ٣٦ الحج.

في هذه الآية قد تصعب بعض الكلمات على بعض المسلمين من القراء لقلة تداول هذه الكلمات في كلام الناس العاديين اليوم:

البُدنَ: وهو من البَدَن الذي هو الجسم أو أجسام الهدي (الأضاحي) التي تقدم باسم الله في الحج.

صوافّ: أي تبقى كاملة عند الذبح بصوفها ولا يجوز أن تجز قبل الذبح مثلاً.

(فَإِذَا وَجَبَت جُنُوبُهَا) أي توقف أطراف الضحية عن الحركة بعد الذبح دليل ثبوت موتها.

القانع: هو الفقير العزيز النفس الذي يتعفف عن السؤال.

المعترّ: إذا رجعنا إلى أصل الكلمة لوجدنا أن العتيرة وهي الذبيحة ومنها يكون المعتر هو القائم بعملية الذبح.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقوَى القُلُوبِ﴾ - ٣٢ الحج.

وتعظيم شعائر الحج يترافق مع ذكر الله وتعظيمه في الحج.

وأهم شيء في الشعائر كلها هي تقوى الله وخشيته وليست مجرد الحركات والسكنات والمناسك بذاتها، وروح الدين هو التقوى.

لذلك رأينا أن التجاوز أحياناً عن الطواف بالكعبة أو الطواف بالصفا والمروة بالسعي بينهما لا جناح عليه يمكن فعلها ويمكن التجاوز عنها:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾ - ١٥٨ البقرة.

والمعنى واضح أي لا إثم عليه أن يطوف بهما وكما ذكرت سابقاً فإن موضوع الطواف كان من عادات الناس القديمة قبل الإسلام وصارت من أعرافهم وكان الناس قد أدخلوا عليه أشياء كثيرة فأزال سبحانه المحرم منها مثل الأصنام والأوثان وأبقى على الأمور التي لا بأس من وجودها مثل الطواف إن كانت الغاية منها تعظيم الله وحده لا شريك له ولكن كما تلاحظون جميعاً لم يقل سبحانه أنه قد فرض على المسلمين الطواف وكما أن الحاج يمكن أن يتاجر في موسم الحج.

﴿لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ١٩٨ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٧ ـ أسلوب الله تعالى وسننه في التطور لمخلوقاته في الأرض والكون، خاصةً للإنسان

يمكننا ملاحظة تلك القوانين من ملاحظة أسلوب خلقه في مخلوقاته التي حولنا في هذا الكون الواسع الممتد الأطراف مع ملاحظة تطور الأنسان كمخلوق اصطفاه الله من باقي مخلوقاته ليصل به إلى هدف وغاية يسعى إليهما الرحمن:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ـ ١٣ الحجرات.

ماذا نلاحظ في هذه الآية الكريمة من أمور تلفت النظر وتتعلق بأسرار الله في الخلق؟

يقول سبحانه: ﴿...إِنَّا خَلَقنَاكُم...﴾ فهل خلقنا الله عبثاً ولهواً ولعباً وتسلية؟

ـ أم خلقنا لهدف ولغاية يريد الله الوصول إليها من خلال عملية الخلق؟

إن الله نفسه يجيب عن هذا التساؤل في القرآن الكريم:

﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً...﴾ ـ ١١٥ المؤمنون

﴿وَمَا خَلَقنَا السَّمَآءَ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا لاعِبِينَ * لَو أَرَدنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهوَاً لاتَّخَذنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ـ ١٦ ـ ١٧ الأنبياء.

من هنا نكتشف أن الله قد خلقنا لهدف ولغاية يريد الله الوصول إليها من خلال عملية الخلق هذه. ولكن لازالت أمامنا عقبة كأداء وهي من الأفكار التي تحجرت في فكر المسلمين خلال سني الانحدار الإسلامي الطويلة.

هذه الفكرة: هي الفرضية الإسلامية القديمة والخاطئة التي لا أصل لها في كتاب الله.

(بما أن الله كامل كمالاً مطلقاً والكامل لايسعى إلى شيء أو إلى هدف أو إلى غاية. لأننا إن قلنا أنه يسعى إليها فمعنى ذلك أنه ناقص ويريد أن يكمل ذاته بذلك الشيء أو بذلك الهدف أو بتلك الغاية) ومن ثم اعتبرنا هذا الكلام حقيقة وقانوناً وقاعدة، فصار طابعاً على تفكيرنا الإسلامي كله.

نحن الذين فرضنا هذه الفرضية ونحن الذين لجمنا تفكيرنا كله والله بريء مما فعلناه

من ظلم بأنفسنا، وليس بين أسماء الله الحسنى إسم الكامل لله تعالى أبداً في القرآن.

الله سبحانه وتعالى الذي وضع قوانين الخلق كلها هو الذي وضع قوانين التطور أيضاً، وهو يعلم بالنتائج العامة قطعاً وكما يعلم بفاعلية قانون التطور الذي أوجده عن خبرة يجعله واثقاً ومتأكداً فيقسم على أنه سوف يصل بالنتيجة إلى الهدف والغاية المرسومة في خطته منذ البداية. وإلا لما بذل الجهد بإرسال الرسل من بعد الرسل إبتداء من آدم وحتى محمد ﷺ آخر الأنبياء منذراً ومبشراً وداعياً خلال رسله ورسالاته كل شعوب الأرض وأممها إلى الإيمان بالله والعمل الصالح والابتعاد عن الكفر والإشراك بالله. وقد أعاد الله نفس الاختبار مرة بعد أخرى خلال تاريخ طويل جداً وحتى اليوم وسوف يعيده أيضاً مرات عديدة حتى يصل إلى هدفه وغايته. والذي يهمنا معرفته هو أن هذه الأرض جزء من مخبر الله في الكون، ونحن البشر جزء من عملية الاختبار هذه وأن الله سبحانه لا يلهو ولا يلعب بنا والله سبحانه يريد أن يصل إلى نتائج معينة في هذا الاختبار كله سبق وخطط لها سلفاً بعلمه وخبرته.

ماهو الدليل المادي في آيات الخلق والقرآن التي تثبت صحة هذا الكلام؟ إن علماء الأحياء والأجنة يعلمون اليوم بأن الذكور من المخلوقات في كل لقاء جنسي يطرحون ملايين كثيرة من النطف تدخل بعد عملية القذف في سباق حقيقي يشبه سباق الدراجات النارية أو العربات مما نشاهده اليوم من عبث الناس، ولكن هذا السباق الذي يجريه الرحمن بين تلك النطف لا يكون عبثاً ولم يوجده الخالق عبثاً بل له هدف وغاية ألا وهو وصول الأقوى والأنشط منها ليكون هو الفائز وكل الملايين الذين تأخروا خلفه خسروا السباق ينتهي أمرهم.

فلو كان الله سبحانه لا يقصد هدفاً من هذا السباق بالذات لاكتفى بخلق نطفة واحدة هي التي تلقح البيضة التي تنتظره في مكان ما من الرحم.

مثال آخر من الطبيعة التي هي مجال آيات الله في الخلق: أسلوب تلقيح ملكة النحل. آلاف مؤلفة من ذكور النحل خلقها الله فقط من أجل الدخول في سباق واحد ثم ينتهي دور كل هذه المخلوقات في لحظة واحدة هي لحظة اكتمال تلقيح الملكة. تجلس الملكة في فترة الظهيرة من نهار مشمس في مكان ظاهر بحيث يراها كل الذكور الذين يحومون حولها متحفزين للدخول في السباق، ثم تنطلق الملكة فجأة باتجاه الأعلى وكأنها متجهة للشمس فيلحقها كل الذكور حتى يصل إليها الذكر الأقوى

والأنشط والأسرع فيلقحها وينتهي السباق بقتل باقي الذكور الذين فشلو في السباق وانتهى دورهم، علماً أن الفائز أيضاً يموت بعد ذلك اللقاء المنشود والمطلوب من قبل الله غاية ووسيلة لابتداء دورة جديدة في الحياة. مثال آخر: في المدارس اليوم تجري مسابقات واختبارات حتى آخر المراحل الدراسية يتم من خلال تلك المسابقات والاختبارات معرفة المتفوقين في كل العلوم فالمتفوقون في الجيولوجيا يدرسون علم الجيولوجيا، والمتفوقون في علم الأحياء يدرسون علم الطب، والمتفوقون في علوم الرياضيات يدرسون الهندسة والجبر والحساب، وهكذا تتم عمليات فرز أخرى، قاعدتها: المسابقات والاختبارات للطلاب ا لمتسابقين وذلك حتى يتم فرز العلماء الحقيقيين في كل علم على حده، وماهي وظيفة هؤلاء العلماء في النهاية؟ هل هي فقط نيل الجوائز العلمية والجلوس من بعدها في المقاهي والبيوت، وليس لهم هم أم أن عليهم تطوير العلوم التي اختصوا فيها؟

إذن غاية الإنسان من وصوله لهؤلاء الأفضل في هذا الباب هو تطوير العلم الذي اختص به العالم، وحتى يتوصل هؤلاء إلى أمور لم يتوصل إليها أساتذتهم الذين علموهم نفس العلم في السابق على مقاعد الدراسة وتحصيل العلم.

هذه هي سنة الله تعالى المطلوبة من عباده في الأرض وهي نفس السنة التي يجريها سبحانه في سنة الخلق.

إذن لماذا نستبعد عن الله سبحانه طالما قال لنا بصراحة في آيات الله بأنه لم يخلقنا عبثاً وأنه لم يخلقنا لاعباً ولا لاهياً، بل خلقنا من أجل هدف وغاية محددة. أن يكون هدفه وسعيه هو تطوير الإنسان من مرحلته الحالية والوصول به إلى مراحل أعلى في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

الآن لنعد إلى آيات القرآن الكريم ونلاحظ المواضيع التالية:

في القصص القرآني:

لنبدأ بآدم: ماذا كانت نتيجة إختباره والعلامة التي حاز عليها من الله؟

﴿وَلَقَد عَهِدنَآ إِلَى ءَادَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزماً﴾ - ١١٥ طه.

لقد رسب في الاختبار حيث لم يجد الله له عزماً.

إذن فالله سبحانه في عملية الخلق كلها يبحث عن الأفضل والأحسن والأقوى والأذكى، وهذا مايجريه الخالق العليم الخبير في الخلق بتطوير المخلوقات ومن ضمنها

الإنسان مع الزمن متجهين باتجاه الأفضل والأحسن والأقوم والأتقى، ومن تعريف التقي عند الله نستطيع أن نتعرف على صفاته:

﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكَوةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى البَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ البَأسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ - ١٧٧ البقرة.

والآية الكريمة تؤكد على:

اختبار الإنسان بعقله وبحريته وإرادته وكل تصرفاته بعد الإيمان بالله وقدرته على الإلتزام بمواعظ الله وصراطه وحدوده وشرعه الحنيف.

بحيث يظهر دليل صدق إيمانه بشكل أفعال تظهر في حبه للناس جميعاً وصدقاً في تعامله وعطفاً ورأفة بالفقراء والمساكين بدفعه من ماله الذي يحبه زكاةً وصدقةً.

وكما تظهر في استقامته وأمانته وعدله وإحسانه للناس وصبره على المكاره وكرمه وعزة نفسه وإبائه ووقاره، فكل صفات المؤمن سوف تظهر عليه فعلاً لا رياءً وهو بعد ذلك سوف يطيع الله فيما أمر في العبادات ويعمل الصالحات.

وهذا هو الإنسان الذي كتب عنه أفلاطون وهو يبحث عنه في جمهوريته فلم يكن هذا المفكر بعيداً عن هدف الله من خلق الإنسان، لأن الله يسعى أيضاً إلى الوصول لهذا الإنسان المتفوق في الأرض، ولكن ليس خيالاً فقط كما فعل أفلاطون. والذي يؤكد أن الله سوف يصل إلى هدفه هذا هو ماقاله بنفسه في القرآن الكريم مقسماً:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ - ٢١ المجادلة.

بماذا سيغلب الله تعالى هو ورسله؟

وماهي أهداف الرسالات التي أرسلها الله مع الرسل إلى العالمين؟ إن هدف الله تعالى هي الوصول إلى الإنسان التقي الذي يختار التقوى طريقاً لنفسه من غير إكراه، وأن يصل الله سبحانه وتعالى إلى مجتمع إنساني يكون فيه المتقون هم الأكثرية وليسوا الأقلية وذلك عن طريق التطوير للإنسان بأساليب الله التي يشرحها الله في القرآن الكريم.

فما هو أسلوب الله في الوصول لهذا الإنسان المتفوق ليكون الفرد الفعال في مجتمع الإنسان القادم ليعيش على هذه الأرض ويكون قادراً على تأسيس مملكة الإنسان التقي، بحيث تكون مملكة للمتقين كما يشاء الله ويرغب ويسعى إليه كهدف وغاية؟ لنعد إلى قصص القرآن الكريم: لنرى ماذا يخبرنا الله عما حدث قبلنا في عملية التطوير هذه التي مازلنا حتى اليوم أحد عناصرها. فنحن مازلنا في الاختبار نفسه حتى اليوم. لنبدأ القصة مبتدئين بنوح عليه السلام لأن الله شاء أن لايخبرنا عمى سبق من الرسل في تاريخ الإنسان على هذه الأرض.

﴿وَلَقَد أَرسَلنَا نُوحاً إِلَى قَومِهِ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ - ٢٥ هود.

وماذا كانت نتيجة رسالة نوح؟

﴿...وَلا تُخَاطِبنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغرَقُونَ﴾ - ٣٧ هود.

إن الله سبحانه يريد أن ينجي الذين آمنوا من قوم نوح ويغرق الباقين. وطالما سوف ينجي الله تعالى هؤلاء المتقين في سفينة واحدة فبإمكاننا أن نتخيل أنهم كانوا أقلية بالنسبة إلى أكثرية ساحقة من الذين اختاروا الكفر على الإيمان والتقوى. وعلمنا أيضاً من الآية بأنه قد قتل جميع الذين كفروا بإغراقهم في الماء. ليس ظلماً وإنما لأنهم ظلموا أنفسهم بسوء الاختيار. إذاً فالله تعالى يعلمنا بنفسه عن نتيجة اختبار كاملة فأخذ مايشاء أن يأخذه من الناس الذين اختاروا الإيمان بالله وبرسوله لماذا؟ حتى يبدأ هؤلاء الذين أنقذهم الله بالتكاثر على الأرض من جديد وليعيد الله الاختبار من جديد على أحفاد الذين كانوا من المتقين وأنقذهم الله من الموت مع نوح عليه السلام.

ثم ينتقل الله بنا مباشرة إلى قوم عاد حيث أرسل لهم رسولاً منهم هو هود عليه السلام.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُم هُوداً قَالَ يَاقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلا مُفتَرُونَ﴾ - ٥٠ هود.

وماذا كانت نتيجة رسالة هود؟

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمرُنَا نَجَّينَا هُوداً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّينَاهُم مِّن عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ - ٥٨ هود.

وماذا حصل بالذين كفروا؟

﴿وَتِلكَ عَادٌ جَحَدُوا بِئَايَاتِ رَبِّهِم وَعَصَوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتبِعُوا

فِي هَذِهِ الدُّنيَا لَعنَةً وَيَومَ القِيَامَةِ أَلآ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُم أَلا بُعداً لِّعَادٍ قَومَ هُودٍ﴾ - ٥٩ - ٦٠ هود.

نتبين من الآية بأن الله أرسل لهم أكثر من رسول لكنهم أصروا على الكفر فأنقذ الله الذين آمنوا وقتل الباقين بوسيلة من وسائله سبحانه وعلمنا أنهم قاسوا من عذاب غايظ إلى أن لاقوا ربهم.

ثم ينتقل الله بنا إلى قوم ثمود:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحاً قَالَ يَاقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَهٍ غَيرُهُ وَهُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرضِ واستَعمَرَكُم فِيهَا فَاستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ - ٦١ هود.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمرُنَا نَجَّينَا صَالِحاً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِّنَّا وَمَن خِزيِ يَومَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ - ٦٦ هود.

وماذا حصل للذين كفروا؟

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةَ فَأَصبَحُوا فِى دِيَارِهِم جَاثِمِينَ﴾ - ٦٧ هود.

هذه الدورة التي رأيناها حتى الآن تكررت مع ثلاث رسل نراها تتكرر مع كل الرسل في القرآن الكريم. فما هي السنة وماهو القانون الذي يطبقه الله في ذلك؟

﴿فَإِن تَوَلَّوا فَقَد أَبلَغتُكُم مَّآ أُرسِلتُ بِهِ إِلَيكُم وَيَستَخلِفُ رَبِّى قَوماً غَيرَكُم وَلاتَضُرُّونَهُ شَيئاً...﴾ - ٥٧ هود.

فما هو القانون الإلهي في هذه الآية؟

﴿...وَيَستَخلِفُ رَبِّى قَوماً غَيرَكُم...﴾ - ٥٧ هود.

أي أن الله سبحانه يتخلص من الذين خسروا الامتحان وفشلوا فيه ولم يعد الله سبحانه ينتظر خيراً فيهم. ويُدخل للامتحان آخرين ليرى الله من جديد كيف ستجري الأمور معهم وما هي النتائج التي سيحصلها هؤلاء من جديد؟

في عمليات المسابقات الرياضية المختلفة ماذا نلاحظ كملاحظة عامة في موضوع النتائج؟ هناك رقم قياسي لكل مسابقة ومع الزمن يأتي متسابق آخر أفضل من السابق ويكسر ذلك الرقم برقم جديد، هذه العملية بحد ذاتها هي عملية تطور للأحسن والأفضل، وكذلك أيضاً في مباريات ومسابقات التقوى والإيمان في الأمم، أحب الله أن يقص علينا أولاً وأخبرنا أن آدم قد فشل ولم يكن له عزماً ولكن من ذرية آدم بدأ

يظهر من جديد مع الزمن أولي العزم ولكن أسلوب الله في التطوير كما لاحظنا ولله المثل الأعلى هو دائماً كأسلوب الفلاح الذكي الذي اكتشف سنة الله فيحضر بذاره للعام القادم من أحسن ماأنتج في هذا العام، حتى يكون إنتاجه للعام الذي يليه أفضل مما كان في السابق، وكذلك سبحانه بعد كل عملية اختبار في التاريخ يتخلص من الذين فشلوا في الاختبار ويبدأ دورة جديدة في التاريخ من الجيل الذي خرج وظهر من جديد من آباء نجحوا في الاختبار سابقاً. ويهمل الذين فشلوا ويخرجهم من عملية الإستخلاف باستمرار، ولو كانت العمليات هذه في التاريخ لا تقدم نجاحات ولا زيادة في عدد المؤمنين والمتقين بعد كل عملية تاريخية، لما كان هناك تطور ولما كان لكل تلك العمليات من مغزى أو معنى، لكن الذي يحصل أن عدد المؤمنين والمتقين في الأمم وعدد الذين يستخدمون العقل ويغلّبونه على الأهواء هو في ازدياد مضطرد، وهذا مايسعى إليه الله في عملية تطوير الإنسان على الأرض حالياً. العمليات التي ذكرها لنا الله سبحانه في القرآن الكريم تنتهي إلى الأمم والشعوب التي عاشت قبل رسالة الإسلام في القرن السابع الميلادي وفي منطقة الشرق الأوسط بالذات.

أما ماحصل بعد ذلك في تاريخ البشرية فلم يتعرض له سبحانه لأن ذلك لم يكن من التاريخ بعد.

مثلاً فقد تخلص الله سبحانه في أمريكا من شعب فشل في الاختبار وأشرك بالله ولحق الأوهام وترك الحق والحقائق فسلط الله عليهم شعب آخر ليستخلفهم في أرضهم هذا مانجده في الآية:

﴿...وَيَستَخلِفُ رَبِّي قَوماً غَيرَكُم...﴾ - ٥٧ هود.

ليدخل الله هؤلاء إلى الاختبار من جديد، وهذه هي دورة التاريخ التي يجريها الله من أجل الوصول إلى الإنسان التقي على هذه الأرض، وقبل اليوم الآخر حتى يبني المتقون الجنة الحقيقية الأولى في الحياة الدنيا قبل تحقيق جنة الله التي في السماء.

وهذه الجنة لايمكن أن تبنى إلا بالذين آمنوا بالله رباً، وبدين الله الذي هو الإسلام ديناً واحداً، وبكتاب الله الذي بقي على الأرض محفوظاً من غير تحريف فيه كتاباً واحداً، وبشرع الله الصحيح ودستوره المكتوب في ذلك الكتاب شرعاً واحداً ويمكن وصول الإنسان إلى مملكة الحق في الأرض، حيث يعم العدل والإخاء والسلام والمحبة العالم كله، وهذا لن يتم على الأرض بفضل شعب أو أمة أو قومية معينة، بل بفضل

المؤمنين المتقين من كل الناس من كافة الأمم والشعوب والقوميات، حيث تلغى كل تلك الفوارق فتجمعهم الإنسانية إخوة أجمعين.

وإدراك المؤمن منا بحقائق الله هذه ولحقيقة الاختبار الذي يجريه الله علينا كأفراد وعلينا كأمم وشعوب، حيث جعل الله سبحانه لكل أمة وجوداً خاصاً بها وعمراً وأجلاً مستقلاً مثل أجل الإنسان، لأن الله سبحانه له تلك النظرة الشمولية المحيطة وإن كان البشر كأفراد ليست لهم مثل تلك النظرة. التي تبتعد كثيراً عن ذاتهم ومحيطهم.

﴿مَاتَسبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَستَئخِرُونَ﴾ - ٤٣ المؤمنون.

والله سبحانه وتعالى سبق وخلق الناس كلهم أمةً واحدة على الأرض في البداية: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلآ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ - ١٩ يونس.

ولكن ماالذي فرقهم وجعلهم أمماً وشعوباً؟ ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاختَلَفُوا...﴾ - ١٩ يونس.

أي أن الاختلاف هو الذي فرق الناس وفرق الأمم، والمسلمون حتى بداية الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية كانوا أمة واحدة ولكن ماذا حصل للمسلمين بعد ذلك؟ ماذا يقول لنا الله سبحانه في سورة الروم؟

﴿...وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشرِكِينَ * مِن الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ - ٣١ - ٣٢ الروم.

هل نحن بعيدون عن قول الله هذا أم ينطبق علينا تمام الانطباق؟ ألم يقل الله لنا:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ البَيِّنَاتُ...﴾ - ١٠٥ آل عمران.

إذن ماهو القانون الأساسي الذي يسير عليه الله في كل الدورات التاريخية التي مررنا بها في قصص القرآن الكريم؟

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِى الأَرضِ...﴾ - ٥٥ النور.

وماذا وجدنا الله يفعل في كل دورة تاريخية بالذين كفروا وأشركوا وعملوا السيئات وأفسدوا في الأرض بدل اصلاحها؟

﴿...فَدَمدَمَ عَلَيهِم رَبُّهُم بِذَنبِهِم فَسَوَّاهَا﴾ - ١٤ الشمس.

﴿قَالُوا لَئِن لَّم تَنتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخرَجِينَ﴾ - ١٦٧ الشعراء

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهلِي مِمَّا يَعمَلُونَ * فَنَجَّينَاهُ وَأَهلَهُ أَجمَعِينَ * إلا عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرنَا الأَخَرِينَ * وَأَمطَرنَا عَلَيهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ - ١٦٩ - ١٧٣ الشعراء.

وماذا قال الله عن قوم حكم عليهم بالتدمير نتيجة ظلمهم للناس ولأنفسهم؟

﴿وَإِذَآ أَرَدنَآ أَن نُّهلِكَ قَريَةً أَمَرنَا مُترَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرنَاهَا تَدمِيراً﴾ - ١٦ الإسراء.

وهكذا من ملاحظة آيات الله في القرآن وملاحظة آيات الله في الخلق نتبين بأن الله سبحانه يسعى إلى هدف محدد من خلق الإنسان واختباره في الأرض ليصل بهم في النتيجة: إلى أمة واحدة كما كانوا في البداية أيضاً، أمة واحدة قبل أن يسمحوا للشيطان بالدخول بينهم لزرع أسباب الخلاف والاختلاف ليتفرقوا شيعاً وأحزاباً وأمماً وشعوباً. وكل فرقة منهم تظن نفسها أنها الأفضل والأحسن عند الله، مع أنهم كلهم على سبل الشيطان وليس منهم على سبيل الله إلا المؤمنين الحقيقيين الذين يطلق عليهم الله اسم المتقين، ورأينا صفاتهم في مقدمة هذا الكلام، لكن الله سبحانه ليس عجولاً مثل الإنسان ولو أعاد الاختبار آلاف المرات فإنه كتب على نفسه أنه سوف يكون هو الغالب في النهاية، وسوف يصل من خلال تكثير المؤمنين من ذرية آدم حتى يعود سبحانه ويجعلهم أمة واحدة على دين الله الواحد من جديد ولكن بدون إكراه وبدون استخدام القوة وكله بالإختيار من الإنسان الذي يتبين عن طريق عقله أن مصلحته الحقيقية هي دائماً باتجاه تقوى الله مع إطاعة أوامر الرحمن باستمرار مع الإمتناع عن العصيان.

والله تعالى ليس عنده تعدد أديان:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ...﴾ - ١٩ آل عمران.

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ - ٣٣ التوبة.

هذه الآية قَسَمٌ من الله سبحانه وتعالى على نفسه. فهل يشك في قسم الله إلا من كان عديم العقل والإيمان؟

نعم سوف يصل الله إلى هدفه، هذا لاشك فيه، ولكن كل ماأرجوه لنفسي وللمسلمين من أهلي وللناس ممن يملكون من العقل مايكفي لفهم هذه الحقائق أن يعودوا إلى حصن الله الحصين. إلى الإيمان به في كتابه والعمل بما أمر به وأن يدعوا الله

صباح مساء بأن يجعلنا من المتقين الفعالين الذين سينجيهم سبحانه ليكون من ذريتهم: الذين سوف ينشؤون مملكة الله على الأرض لتكون مملكة المتقين. ولتكون دار سلم وسلام لكل العالمين نقول هذا بلساننا ونفعل ماوجب علينا دون تقصير، حتى يكتبنا لنكون في الآخرة أيضاً من المقربين. من أصحاب الريحان وجنة النعيم. وأن نكون من الذين هداهم الله في الدنيا وكانوا فيها من المفلحين المصلحين.

﴿أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُون﴾ - ١٥٧ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف بدأ الله تعالى تجربته مع الإنسان؟ ودربه ربه ليكون عالماً عاملاً في الأرض لبنائها

عندما قرر الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان. اختار مما خلق في هذا الكون الواسع من شموس مع توابع لها مثل كواكب شمسنا الحالية مع كواكبها الإثنى عشر. ثم اختار من بين تلك الكواكب في مجموعتنا الشمسية كوكب الأرض لما يعلمه الله تعالى من موقع ملائم لظروف المخلوق الجديد الذي سوف يخلقه من تراب نفس الكوكب، لأن موقعه وبعده الملائم عن موقع الشمس هو الذي يؤمن الحرارة الملائمة بحيث لاترتفع في النهار لقصره النسبي عن حد معين ولاتنخفض أيضاً لقصر فترة الليل النسبية عن حد لايلائم حياة هذا الكائن الحساس فتكون دورته حول نفسه في فترة زمنية ملائمة.

ثم هيأه سبحانه بكل المستلزمات الضرورية لحياته وحياة المخلوقات التي ارتآها الله ضرورية لوجودها عليه خدمة لهذا المخلوق ومن أجله، وأول المستلزمات الضرورية كان الماء الذي لم يكن موجوداً عليه أساساً فأتى به من مكان ما من الكون الواسع وأسكنه سبحانه فيه.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرضِ...﴾ - ١٨ المؤمنون.

وكما يقول الله سبحانه فقد كانت كمية ذلك الماء بقدر محسوب، لأنه إن زاد عن المطلوب فطغى على كل اليابس منه فصار الظاهر من سطحه كله ماء وبحاراً فلا يلائم الحياة التي ينويها سبحانه، وإن قل عن المطلوب صارت كميته غير كافية لتشكل الأمطار وكفاية اليابسة من حاجتها للمياه الحلوة التي تصلح للسقاية والشرب.

وجعل سبحانه فوق اليابسة والماء هواء شكله من غازات مناسبة لتتنفس فيه الأحياء غازاً لايمكن الحياة بدونه هو الأوكسجين، وجعل سبحانه من تركيب خاص من ذلك الغاز طبقة علوية لتحمي المخلوقات من أشعة الشمس الضارة والقاتلة حتى لاتستطيع الوصول عبر تلك الطبقة المصفية. إلى الأحياء تعارف عليها الناس اليوم وسموها بطبقة الأوزون.

ولو عمدنا أن نصف بالتفصيل الدقائق التي أوجدها الله في الأرض لتكون ملائمة

لحياة الإنسان عليها لاحتجنا في وصف ذلك إلى كتب قبل أن ننهي الوصف وهذا مما دخل إلى علمنا ومالم يدخل إلى علمنا أكثر والله تعالى يختصر لنا ذلك ويقول:

﴿وَإِن تَعُدُّو نِعمَةَ اللَّهِ لا تُحصُوهَآ...﴾ - ١٨ النحل.

وكل تلك الأمور التي جعلها وأوجدها سبحانه من نعم الله على الإنسان.

وحتى يعلم الإنسان أن كل مايراه حوله ومايجده من ظروف ملائمة لحياته لم تكن بالصدفة بل بحساب دقيق يقول سبحانه:

﴿...مَن إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتِيكُم بِلَيلٍ تَسكُنُونَ فِيهِ...﴾ - ٧٢ القصص.

فلم يكن هذا الليل الذي ننام فيه ونرتاح من عمل النهار إلا من نعم الله التي اختارها وأوجدها لنا عن قصد ونية وحساب.

﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبصِراً...﴾ - ٦١ غافر.

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان طبعاً في هذه الأرض ومن ترابها ولم يخلقه في السماء أو في مكان آخر:

﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ مَهداً وَسَلَكَ لَكُم فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخرَجنَا بِهِ أَزوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارعَوا أَنعَامَكُم إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لأُولِى النُّهَى﴾ - ٥٣ - ٥٤ طه.

ثم يقول الله بعد تلك الآية مباشرة: ﴿مِنهَا خَلَقنَاكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُم وَمِنهَا نُخرِجُكُم تَارَةً أُخرَى﴾ - ٥٥ طه.

والله سبحانه كان يتكلم عن الأرض كما لاحظنا ذلك في الآيات التي سبقت تلك الآية من السورة نفسها.

أما فكرة أن الله سبحانه خلق آدم في جنة السماء فقد بينت أن مصدر هذا العلم أتانا من الكتب المحرفة الموجودة عند أهل الكتاب ومنها كل علم علمائنا الأبرار. وليس من علم الله الصافي الموجود في القرآن الكريم أبداً.

والله سبحانه خلق الإنسان ولايعلم شيئاً: ثم تولى سبحانه تعليمه:

﴿الرَّحمَنُ * عَلَّمَ القُرءَانَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ - ١ - ٤ الرحمن.

﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾ - ٤ - ٥ العلق.

فالله سبحانه وتعالى خلق باقي المخلوقات ووضع فيها علمه بالغريزة وزرعه فيها زرعاً

- فالنحلة بعد أن يكتمل نموها تعلم كل ماتحتاجه ولاتحتاج إلى تعليم إضافي وكذلك باقي الحيوانات.

بعكس الإنسان لايعلم شيئاً ويحتاج إلى تعلم كل الأشياء من بعد الولادة.

وقلنا أحد أساليب الله في تعليم الإنسان التقليد: بأن يفعل مايراه ويلاحظه من فعل الحيوانات من حوله، فالإنسان لم يكن يعلم أنه يجب أن يدفن موتاه، أرسل له سبحانه من يعلمه مالم يعلم من قبل:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبحَثُ فِي الأَرضِ لِيُرِيَهُ كَيفَ يُوَارِي سَوءَةَ أَخِيهِ...﴾ - ٣١ المائدة.

حتى الجنس تعلمه الإنسان من ملاحظة ماتفعله الحيوانات من حوله وهكذا كما تلاحظون قد شاء الله تعالى أن لا يبرمج مخلوقه الإنسان سلفاً بل يجعله حراً في برمجة نفسه عن طريق العلم والتعلم مع حرية الإختيار لنفسه بعكس الملائكة الذين خُلِقوا وهم مبرمجين على فعل الخير وحده ومن دون إعطائهم فرصة الحرية بالإختيار بين النقيضين (الخير والشر).

ونحن نرى أن الإنسان اليوم تعلم الطيران من الطيور، وتعلم صنع البواخر والغواصات من الأسماك والأحياء المائية.

وهكذا كان مصدر علم الإنسان مما خلق الله له من حوله، فيكتشف صفاتها بالتجربة والملاحظة، فاكتشف قوانين صنع السفن مما اكتشف من صفات الماء وقوانين الفلك مما اكتشف من أسرار النجوم وملاحظتها. وكان الله يرسل الأنبياء والرسل لتعليم الإنسان الأشياء التي لايمكن ملاحظتها واكتشافها بشكل مباشر من الطبيعة.

والله يذكر لنا أن معدن الحديد لم يكن من معادن الأرض ولكن لضرورتها التي يعلمها الله سبحانه أنزل له الحديد أيضاً من مكان من السماء لا يعلمه إلا هو:

﴿...وَأَنزَلنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعَ لِلنَّاسِ...﴾ - ٢٥ الحديد.

ثم علم الإنسان مالم يكن يعلمه عن هذا الحديد.

فعلم ذو القرنين على ماذكر لنا الله في القرآن الكريم الفن العالي الذي بدونه لايمكن التوصل إلى معدن الحديد الذي لايوجد في الأرض إلا بشكل مركبات من أكاسيد الحديد، وقد شرحت ذلك كله في مكان آخر واكتفي بذكر الآية بلا شرح في هذا المقام:

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ ءَاتُونِى أُفرِغ عَلَيهِ قِطراً﴾ - ٩٦ الكهف.

وعلم داوود عليه السلام طريقة الحصول على الحديد اللين وهي تحتاج إلى تقنية وعلم:

﴿...وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ - ١٠ سبأ.

وكما علم داوود عليه السلام صناعة الدروع الحديدة من زرد الحديد:

﴿وَعَلَّمنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَّكُم لِتُحصِنَكُم مِّن بَأسِكُم...﴾ - ٨٠ الأنبياء.

والله هو الذي يعلم الأنبياء والرسل وهو الذي علم عيسى بن مريم عليه السلام.

﴿...وَإِذ عَلَّمتُكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ...﴾ - ١١٠ المائدة.

وهو الذي علم آدم النطق وعلمه كيف يسمي ويذكر صفات الأشياء وميزاتها:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَآءَ كُلَّهَا...﴾ - ٣١ البقرة.

والله هو الذي علم يوسف تأويل الأحلام وهو علم قائم بذاته:

﴿رَبِّ قَد ءَاتَيتَنِى مِنَ المُلكِ وَعَلَّمتَنِى مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ...﴾ - ١٠١ يوسف.

وليس عند الإنسان أي علم إلا وكان مصدره من الله سبحانه: حتى علم الملائكة:

﴿قَالُوا سُبحَانَكَ لا عِلمَ لَنَآ إِلا مَا عَلَّمتَنَآ...﴾ - ٣٢ البقرة.

والقرآن وعلومه التي آتانا بها الرسول محمد ﷺ هو علم كامل متكامل من عند الله سبحانه وتعالى.

وإلى هنا علمنا أن الله سبحانه يعلم الإنسان بالوسائل التالية:

١ - التقليد حيث يقلد الإنسان مايراه حوله من مخلوقات الله الأخرى.

٢ - يتعلم مباشرة من الله سبحانه، كتعلم الأنبياء والرسل بعلوم مكتوبة (الرسالات) التي ينقلونها للناس وهم وسطاء مبلغين فقط.

٣ - أو بعلم مباشر مثل علم تأويل الأحلام الذي علمه ليوسف عليه السلام. أو علوم في الصناعة مثل التي ذكرناها لذو القرنين وداوود عليه السلام.

٤ - الإلهام المباشر لعلماء الأرض الذين يصلون إلى مرحلة من علم الله بحيث تكون لديهم القدرة على استيعاب قوانين الله في المادة وفي الكون، وقد ضربت عليها مثالاً

بالعالمين اسحق نيوتن الذي اكتشف قانون الجاذبية، والعالم كبلر الذي اكتشف قوانين كبلر الفلكية. أو العالم الذي علم بقانون الزوجية من القرآن فبحث عن العنصر الرابع في تكوين الذرة فاكتشف البوزيترون.

أو العالم المصري الدكتور محمد رشاد خليفة الذي اكتشف موضوع الإعجاز العددي في القرآن والأمثلة حول هذا الموضوع أكثر من أن يحده إحصاء أو حصر.

والله سبحانه وتعالى يعلم الإنسان بالتدريج بحسب استعداده للفهم والاستيعاب وبحسب تطوره العلمي، لذلك يخبرنا أن بعض الأمور التي لانعرفها الآن سوف يأتينا نبأ علمها في المستقبل الآتي من الزمان.

﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ - ٨٨ ص.

لماذا لأن الإنسان الحالي غير قادر على استيعاب الموضوع وفهمه. وعندما يكون الإنسان بجهده وسعيه للعلم توصل إلى المرحلة اللازمة عندها يعلمه الله بنبأ الموضوع الذي كان يسأل ويبحث عن معرفته.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّستَقَرٌّ وَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ - ٦٧ الأنعام.

والعلم نوعان: علم يقيني نافع وهي العلوم الصحيحة مثل العلوم المجردة في الرياضيات ومن ثم علوم الفيزياء والكيمياء والفلك والجيولوجيا، والبحار، والأحياء والطب. وعلوم ضارة مثل كل علوم السحر الأسود والعلوم الظنية التي أوجدت لإضلال الناس مثل علوم الحديث والدين في كل الديانات التي تخدم مصلحة الطواغيت في الأرض متناسية مصلحة الإنسان الذي هو محور كل العلوم التي تعتمد في مصادرها على مصادر فيها الظن والوهم ومن أهمها كل كتب أهل الكتاب التي لم يبق فيها يقين بعد أن دخل فيها الظن والشك من بعد التحريف والتبديل الذي جرى لها وكل كتب المسلمين الدينية ما عدا القرآن الكريم.

﴿...سُبحَانَكَ لا عِلمَ لَنَآ إِلا مَا عَلَّمتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ - ٣٢ البقرة.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلكِ سُلَيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولآ إِنَّمَا نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلا بِإِذنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ مِن خَلاقٍ وَلَبِئسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا

يَعلَمُونَ﴾ ـ ١٠٢ البقرة.

﴿تِلكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ ـ ٦ الجاثية.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

بعد هذه المقدمة الضرورية ننتقل لأهم عاملين من عوامل تطوير الإنسان في الأرض للوصول به إلى الهدف الذي من أجله خلقه الله تعالى واستخلفه في الأرض وقال للملائكة وقتها بأنه يعلم ما لا يعلمون:

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعلَمُ مَا لا تَعلَمُونَ﴾ ـ ٣٠ البقرة.

وهذين العاملين هما:

أولاً عامل العلم الذي كله من رب العالمين يعلمه للإنسان.

ثانياً عامل العمل المطلوب من الإنسان بواجب عقد الإستخلاف ويكون العمل بموجب العلم الذي تعلمه الإنسان للإصلاح في الأرض وبناء الجنة الأولى على الأرض وبها يستحق الإنسان جنته الثانية في السماء هذا الكلام بصفة عامة عن الإنسان أما بالصفة الفردية فكل إنسان مسؤليته تنتهي بالقيام بدوره المطلوب خلال حياته القصيرة فقط.

فإلى العامل الأول والأهم:

٨ ـ العلم:

العلم هو عكس الجهل والباطل والوهم والظن على خط مستقيم. هو النقيض التام لكل تلك الأمور وهو من نعم الله الكبرى على عباده المخلصين. مع أن أمة المؤمنين وغالبية المتقين ليسوا بحاجة إلى أن يصبحوا علماء ولكن من الضروري أن تتحول عقولهم ومصادر التلقي والفهم والتذكر عندهم إلى العقلية العلمية التي تمتاز بالمنطق السليم والميزان الدقيق للأمور، بعكس الشعب أو الأمة المشركة، تتحول عقليتها إلى عقلية وهمية ظنية تؤمن بالسحر والمعجزات والخرافات والأولياء والصالحين وكراماتهم، وينسون الله وكتابه ويتبعون كتباً أخرى، أعدتها لهم شياطين الإنس من أجل مصالح ندعوها اليوم المصالح السياسية للحاكم والطبقة الحاكمة المستغلة لثروات الأمة. لأن نوم الأمة ضروري بالنسبة لهم لتحقيق مآربهم لعلمهم أن الذي يعلم حدود حقوقه ليس من السهل استغلاله ولا أكل حقوقه أبداً. فالذي يؤمن بحقه في الحرية لايمكن أن يستعبد إلى الأبد، ولابد أن يأتي يوم يطالب فيه بحقه عندما يجد في نفسه القوة لذلك.

وكل الدلائل تشير إلى أننا اليوم أمة مشركة وعلى سبل الشياطين ولم يبق منا أحد على ما كان عليه الرسول وصحبه أيام الخلافة الراشدة.

وسبل الشياطين والإشراك بالله عليها اليوم كل أمة المسلمين بدون استثناء، بدليل أننا جميعاً هجرنا القرآن حقيقة، واتبعنا كتباً أخرى من إعداد أهل السلطة بدأوا بها منذ أكثر من ألف وأربعمائة من السنين، فأفهمونا أن مايعلموننا من مفترياتهم من الأمور التي أطلقوا عليها العلوم النافعة في الحياة الدنيا، أما علوم الله الأخرى مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الأرض وعلوم الحياة والطب والفلك والتاريخ وعلوم النفس والاجتماع إلى آخر تلك العلوم النافعة، قالوا عنها تلك علومٌ، العلم بها لاينفع، والجهل بها لايضر.

من المؤسف أنهم نجحوا في كل خططهم نجاحاً باهراً وجعلوا الأمة كلها تؤمن بما قدموه لها من علوم ظنية. لا بل عشقت الأمة تلك العلوم واحبتها ولاتريد بديلاً عنها، ولا تريد لمس القرآن ولا قراءته بل تشاءمت من سماعه ضمنياً لأنها تعودت أن لا

تسمعه إلا منغماً وفي مناسبات الموت والأموات، فارتبط صوت المقرىء عند أغلبهم بالموت الذي يكرهونه ولايحبونه بل يخافون منه أشد الخوف.

حدث ذلك كله بالتدريج بعد أن استطاعوا سحب القرآن من أيدي الناس، وحصر قراءته بمقرئين متخصصين هم الوحيدون القادرون على فنه، أما عبادة التلاوة المفروضة على كل المسلمين وكونها من أهم العبادات فقد أزالوها من نفوس المسلمين بالتدريج، لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي استعصى عليهم تحريفه ومافيه من علوم وحقوق تكشف كل خططهم ونواياهم، وهي إن انكشفت إستحال عليهم بعدها أكل حقوق الأمة كما تعودوا أن يفعلوا دائماً، فهم يعيشون دائماً في ترف وتخمة والأمة تعيش دائماً في فاقة وفقر وعوز. وهكذا يريد طاغوتهم الذي هو إلاههم أن تكون المساواة والعدالة وميازينها عندهم، وظنت باقي الأمة التي تسمع الشعارات وتصدقها على أنها حقائق. واعتقدت إن مجرد نداء المؤذن على أصوات المكبرات الصوتية (أشهد أن لا إله إلا الله) كل يوم خمس مرات كافٍ لتحقيق وحدانية الله، ولايعلمون أنهم جميعاً قد غرقوا في الشرك والإشراك بالله لأنهم عند التنفيذ والتطبيق نفذوا وطبقوا مؤلفات ومفتريات السلاطين على اختلاف جنسياتهم خلال عصور الظلام والتأخر في التاريخ الإسلامي، الذي له وجهان: وجهٌ متألقٌ وناصعٌ إذا نظرنا إليه من وجهة نظر السلطان ومعاونيه ومساعديه ومااستطاعوا تحقيقه من مال ومن ترف. ووجهٌ آخر مظلمٌ لانرى فيه إلا الفقر والجوع والجهل والذل والألم والمرض والبؤس إذا نظرت إليه من وجهة نظر الأكثرية العامة للأمة، التي لم يسأل فيها أحد بعد أن نسوا الله فأنساهم حقوقهم، فظُلموا لأنهم ظلموا أنفسهم بقبول استبدال كتاب الله بكتب الطاغوت (السلطان).

ولو تمسكوا به وحده كما نصحهم الرسول الكريم لنجحوا وعاشوا في عز وغنىً وكرم ونعمة من الله في الدنيا والآخرة.

لكنهم استكانوا ونسوا وتركوا للشيطان مايريد وظلموا أنفسهم فضاعت حقوقهم بعد ذلك كلها وماتزال ضائعةً حتى اليوم. بدليل بقاء الظلم والبؤس والفقر والجهل على حاله. لنفرض أن زيداً من الناس علم أن تحت بيتك الذي ورثته عن أجدادك وتسكنه أنت، كنزٌ عظيمٌ، وعلمَ أن خبر ذلك الكنز مذكور في كتاب واحد تحتفظ به أنت في المكتبة التي ورثتها عن جدك أيضاً، ومعرفة الكنز واكتشافه متيسر للذي يدرس ذلك الكتاب ويفهمه، ومن خلال الفهم يمكن استنتاج مكان الكنز ومخبئه، فإن زيداً الذي علم قبلك بتلك

الحقيقة إن كان من أتباع نفسه الأمارة بالسوء التي تنقاد عادةً لأهواء النفس من شهوات الدنيا سوف يحاول المستحيل حتى يمنعك من فتح ذلك الكتاب أو قراءته، و سيحاول إبعاده عنك بشتى الوسائل المختلفة. لأنه يعلم أنه إذا نجح في مسعاه وأقنعك بعدم فتحه أو قراءته أو لمسه فإنه بعد ذلك يستطيع أن يحصل منك على بيت جدك بما تحته من كنوز بوسائل مختلفة، إما أن يغريك بالسعر أو يوهمك بأخبار وإشاعات أقلها أن البيت معرض للإزالة من البلدية من أجل التحسين والتجميل للمدينة.

وهكذا لن يعدم وسيلة من إخراجك من بيتك ودارك ليحصل هو على كنز أجدادك وحده. وأصحاب السلطة كانوا يعلمون أن معرفة الناس لما في القرآن وآياته سوف يجعلهم يقفون في وجههم كما وقف الأعرابي في وجه عمر بن الخطاب يحاكمه علناً أمام الناس في المسجد عن ثوبه الطويل، فوقف وأراه ثوبه القصير، وكان الخليفة قد وزع على المؤمنين أقمشة وردت عليه من العراق والشام فلم يقتنع الأعرابي حتى وقف ابن عمر (عبد الله) واعترف بأنه أعطى قطعته الخاصة لأبيه حتى تكون القطعتين كافيتين لتفصيل ثوب كامل لعمر. فقال الإعرابي بعدها: الآن لك السمع والطاعة ياعمر.

لكن معظم السلاطين الذين تتابعوا على خلافة المسلمين كانوا من الفئة التي لاتريد أن تقف مثل هذا الموقف من الناس الذين يعلمون حقوقهم فيطالبون بها علناً. فرأوا بعدها منع الأمة عن تلك المعرفة، فدفعوا آلاف الدنانير لجندهم الأوفياء الذين يعرفون وعندهم القدرة على أن يحرفوا الحق إلى الباطل، والذين هم جميعاً حاضرون وجاهزون لمثل تلك الخدمات، فسحبوا كما ذكرت كتاب الله بالتدريج من بين أيدي الناس وأخافوهم من محاولة فهمه أو تأويله أو تفسيره. وأعطوهم بدلاً عنه كتباً أخرى كثيرة فيها المعلومات المحضرة والمجهزة لهم في مطابخ جنود السلطان، لتقرأ عليهم صباح مساء، لتثبيتها في نفوسهم على أنها الحق الذي لايعلى عليه، وذلك كله حتى يحصل هو وجنوده كما اختاروا لأنفسهم على جنة الدنيا ونعيمها ومالها ويعدون باقي الأمة بجنة الآخرة التي سهلوها عليهم وقالوا لهم لاتخافوا إن كل من قال بلسانه ولو مرة واحدة في حياته لا إله إلا الله فإنه سوف يدخل الجنة بلا حساب. كما لم ينسَ الجنود من الإكثار من المواعظ والنصائح من على منابر المساجد في صلاة الجمعة وخطبتها، طالبين من الناس الصبر الجميل والتحمل لظروف الفقر في الحياة الدنيا، قائلين لهم أن الذي يصبر أكثر دون تأوه أو تذمر سوف يكون ثوابه أكبر عند الله حتى وإن كان الظلم من السلطان وأعوانه. ويقولون لهم. مفتريات ويدعون أن الرسول محمد ﷺ هو

قائلها، علماً أن الله تعالى قال في القرآن الكريم أن الناس تبعٌ لله في الخير والشر بينما يريد السلطان أموياً كان أم عباسياً أن يكون الأمر والتبعية لقريش حتى لاينافسه فيها أحد فيقول على لسان الرسول افتراء:

ـ الحديث ١٨١٩ صحيح مسلم حدثني يحيى بن حبيب حدثنا روح، حدثنا جُرَيج. حدثني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال النبي ﷺ: «الناس تبعٌ لقريش في الخير والشر»

ـ الحديث ١٨٣٦ صحيح مسلم عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك. ومنشطك ومكرهك. وأثرة عليك». وفي حاشية شرح أحاديث مسلم للنووي نجد في تفسير وأثرة عليك مايلي: (وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي اسمعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم).

فهل هذا وحي الله تعالى؟ أم هو وحي من السلطان ياأولي الألباب؟ متى أذن الله تعالى بالظلم وأباحه الرحمن للناس؟

ـ الحديث ١٨٤٣ صحيح مسلم حدثنا اسحق بن ابراهيم وعلي بن خشرم قالا: أخبرنا عيسى بن يونس وكلهم عن الأعمش منتهياً بعبد الله:

الذي لاكنية له في الإسلام: قال: قال رسول الله ﷺ: «انها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يارسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».

وهل يريد السلاطين على هذه الأرض أكثر من ذلك؟ أفلا تعقلون؟

وهكذا فمن حكم عقله وقارن بين آيات القرآن وبين مكتتبات السلاطين فسوف يجد فوراً أنها تناقض الحق، الذي قاله الله تماماً، ولايحتاج المرء إلى ذكاء خارق لمعرفة ذلك بل يحتاج بصراً ليقرأ وبصيرة ليفهم. لكن لعبة السلاطين استمرت مع المسلمين أكثر من اللازم، فقد مات آخر سلطان عثماني مع أنه لم يكن من قريش منذ قرابة ثلاثة أرباع القرن ونحن مازلنا نردد ماتعلمناه منهم إلى اليوم.

أما آن لنا أن نستفيق من نومنا الطويل ونعرف ونتعلم الحق والحقائق يوماً!! والله تعالى لايقول عن كل المعرفة الدينية علماً بل يسميها فقهاً وتفقهاً في الدين تمييزاً لها عن باقي العلوم الأخرى في هذا الكون:

﴿...فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِّنهُم طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ...﴾ - ١٢٢ التوبة.

أما العلم فعلى ماذا يطلقه الله اسماً؟ وماهي العلوم التي ذكرها سبحانه وتعالى في القرآن الكريم؟

تحدثت عن هذا الموضوع في كتابي الأول في الفقرة (٤٢) تحت عنوان مامعنى علم الله بدليل آيات القرآن الكريم:

﴿...ذَلِكَ لِتَعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرضِ...﴾ - ٩٧ المائدة.

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَآءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَاخَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الأَيَاتَ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ - ٥ يونس.

وقد قال سبحانه في نهاية الآية (لقوم يعلمون) ولم يقل لقوم يفقهون مثلاً، فالعلم لابد له من دارس حتى يفهمه ويتعلمه ويطبقه أي أنه يقصد العلوم التطبيقية.

﴿قَد عَلِمنَا مَا تَنقُصُ الأَرضُ مِنهُم وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ - ٤ ق.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيثَ وَيَعلَمُ مَا فِى الأَرحَامِ...﴾ - ٣٤ لقمان.

﴿يَعلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرضِ وَمَا يَخرُجُ مِنهَا...﴾ - ٢ سبأ.

﴿...وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلا رَطبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ - ٥٩ الأنعام.

وهذا مانسميه اليوم بالعلوم الإحصائية التطبيقية.

﴿...وَمَا تَحمِلُ مِن أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلمِهِ...﴾ - ١١ فاطر.

هل هذه من علم طب الأجنة أم هي من علوم الدين؟. وهكذا نجد كل آيات الله في كتابه شاهدة على صحة مانقول بأن العلم هو غير الفقه في الدين.

ماذا قال الله سبحانه أنه يعلم عن الإنسان؟

﴿...وَأَعلَمُ مَا تُبدُونَ وَمَا كُنتُم تَكتُمُونَ﴾ - ٣٣ البقرة.

﴿وَلَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ وَنَعلَمُ مَا تُوَسوِسُ بِهِ نَفسُهُ...﴾ - ١٦ ق.

﴿وَإِنَّا لَنَعلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ - ٤٩ الحاقة.

﴿...يَعلَمُ سِرَّكُم وَجَهرَكُم وَيَعلَمُ مَا تَكسِبُونَ﴾ - ٣ الأنعام.

﴿يَعلَمُ خَآئِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخفِى الصُّدُورُ﴾ - ١٩ غافر.

﴿يَعلَمُ مَابَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً﴾ - ١١٠ طه.

إن الله سبحانه في كل ماسبق يقرر فقط بأنه يعلم عن الإنسان حتى اللحظة الحاضرة، ولايريد أبداً أن يتخطى تلك اللحظة فلا يقرر للإنسان ماسيفعله مستقبلاً من مختلف الأعمال والأفعال، وكما لايتدخل أيضاً بما سيختاره الإنسان لنفسه مستقبلاً خيراً كان أو شراً. بل يترك له مطلق الحرية في ذلك الاختيار. ومن أجل ذلك منح الإنسان تلك الإرادة الحرة المسؤولة، وشاء رب العالمين أن يوقف حد معرفته إلى ذلك الحد الذي رأيناه في تلك الآيات، وهذا هو مطلق العدل في المعاملة مع هذا الكائن الذكي الذي أكرمه بالعطايا والميزات عن باقي خلقه من المخلوقات الأخرى. فجعل له مشيئة خاصة تسبق مشيئة الله في الأمور التي تتعلق بمجال إرادة الإنسان واختياره. وهذا كله لايمنع أن يكون في علم الله الكلي محصلة أفعال البشر بحسب معتقداتهم ومعرفة نسبة الذين سيختارون طريق الكفر أو طريق الإيمان، وهذا مايسميه بعض علماء المسلمين الحقيقيين علم الله بالكليات مع ترك الحرية للناس في الجزئيات.

وقد علمنا من آيات الله سبحانه أنه شاء وأراد أن يختبر الإنسان على الأرض، وحمله الأمانة التي هي حرية الاختيار مع القبول على تحمل مسؤولية ذلك سلباً أو ايجاباً، وقد رأينا كيف هيأ هذا المخلوق ليكون قادراً وعلى مستوى تلك المسؤولية الكبيرة واستخلفه في الأرض مُسَلِّماً له مقاليدها، ليكون مسؤولاً عن إعمارها بالأعمال الصالحة مع الابتعاد عن الأعمال الفاسدة المفسدة لتراب الأرض ومائها وهوائها ومخلوقاتها.

ثم جعله سميعاً بصيراً، وجعله عاقلاً مفكراً، وجعله ناطقاً، وله القدرة على التعلم والقراءة والكتابة والقدرة على الإبداع والاكتشاف والاختراع، كل تلك الصفات أتت إليه بعد نفخة الروح التي منحها له عندما اختار واصطفى آدم من بين البشر ليكون الإنسان الأول على الأرض، ثم تولى سبحانه تعليم الإنسان كما رأينا في مقدمة هذا الموضوع بوسائل أربعة:

١ ـ التقليد المباشر من ملاحظة الإنسان لما تفعله الحيوانات من حوله.

٢ ـ التعلم المباشر من الله سبحانه مثل تعلم الأنبياء والرسل عن طريق الوحي وهؤلاء بالتالي هم الذين يعلمون الناس مما علمهم الله. وهي مثل الرسالات لكل الأمم ومنها رسالة الإسلام وعلوم القرآن حيث خصص سبحانه للأنباء والعلوم القرآن المكي وخصص للرسالة والدين القرآن المدني.

٣ ـ علم مباشر لبعض من يختارهم الله من الأنبياء والرسل (دون أن يكون الموضوع له علاقة برسالة للبشر) مثل تعليم يوسف عليه السلام علم تأويل الأحلام أو تعليم داوود عليه السلام صناعة الدروع الحديدية وأسلوب استخراج الحديد اللين من الحديد القاسي (الصب).

٤ ـ بالإلهام لعلماء الأرض عن مواضيع علمية بحيث يكون العلماء قد هيأوا أنفسهم علمياً لفهم موضوع الإلهام الذي يتلقاه العالم من الله، بأن يكشف له سراً من أسرار ذلك العلم. بعض الناس يظنون أن هذا يحصل بالصدفة. ولكن في مواضيع العلوم لايوجد صدف وإنما يوجد علم وقصد وتخطيط مسبق من الله سبحانه وتعالى.

وهكذا نجد أن الله سبحانه يسعى إلى هدف وغاية بعيدة عن تخطيط وتنظيم دقيق وهو يلاحظ مايطرأ على الإنسان من تغيرات وتبدلات في عقيدته وتصرفاته، سواء منها ماتطرق للخير أو للشر دون أن يتركه ضائعاً تائهاً بل يجعله تحت تصرفه المباشر عن طريق الرسل والأنبياء.

﴿أَيَحسَبُ الإِنسَانُ أَن يُترَكَ سُدًى﴾ ـ ٣٦ القيامة.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ ـ ١٤٢ آل عمران.

﴿...وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَآ إِلا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَاقِبَيهِ...﴾ ـ ١٤٣ البقرة.

﴿...وَلِيَعلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَآءَ...﴾ ـ ١٤٠ آل عمران.

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادفَعُوا قَالُوا لَو نَعلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعنَاكُم هُم لِلكُفرِ يَومَئِذٍ أَقرَبُ مِنهُم لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفوَاهِهِم مَّا لَيسَ فِى قُلُوبِهِم وَاللَّهُ أَعلَمُ بِمَا يَكتُمُونَ﴾ ـ ١٦٧ آل عمران.

﴿...لِيَعلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالغَيبِ...﴾ ـ ٩٤ المائدة.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تُترَكُوا وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَلَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ ـ ١٦ التوبة.

ومعنى وليجة: أولياء، أي لم يتخذوا من المشركين أولياء وأصحاب يخالطونهم ويتبادلون معهم المودة وطلب المشورة والرأي، والله سبحانه عندما قال لنا:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لايُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

اشترط أن يبدأ الناس بالحركة الأولى وبالمشيئة الأولى للتغيير في ماهو موجود في عقولهم ونفوسهم من أفكار وأوهام وظنون لها تأثير مباشر على إبقاء الأوضاع القائمة لهم بشكل متأخر ومتخلف.

ومالم يتحرك الإنسان بتغيير تلك الأفكار والأوهام إلى علوم حقيقية دون الإبقاء على وهم أو خرافة أو ظن من كل الروايات والكتب التي ورثناها عن الآباء والأجداد، والعودة حباً بالله سبحانه وتعالى، من عقلية الحديث الوهمية إلى عقلية القرآن العلمية فإنه بالمقابل لن يستعجل الأمور فيبادر إلى تغيير أوضاع الناس أو القوم من ظروف تدل على النقمة إلى أوضاع وظروف مغايرة تدل على النعمة أبداً.

لقد بقينا في كهفنا ألفاً وأربعمائة سنة وفي كل يوم نزداد ضعفاً ومهانة على الله والناس، وأحوالنا تتدهور من سيء إلى أسوأ، وسوف تستمر الأمور على ذلك آلافاً أخرى من السنين، إن لم نبادر بتلك الحركة الأولى التي ينتظرها الله، أن تكون منا أولاً عن وعي وإدراك لما نحن فيه بأنه الصحيح وشياطيننا يعلمون بعدم صحته أصلاً. لكنهم انقادوا وراء مصالح وأهواء وشهوات فكفروا بالآخرة بعد أن حصروا إيمانهم في متع الدنيا. فلماذا لانقاد نحن أيضاً وراء مصالحنا وهي تقع في فهمنا أننا خلقنا أحراراً في كل شيء، والحرية من أولى الحقوق التي منحها الله لنا، ويجب أن نقدس الحرية ونحافظ عليها وهذا ما لايريده كل السلاطين لنا. فلماذا لانمد أيدينا وسواعدنا إلى مصدر الهدي والعلم والحق والنور وهو على بعد أمتار من أيدينا، مهملٌ في زاوية من منازلنا حيث تركناه مهجوراً، ونحن نخشاه ونخاف أن نلمسه أو أن نفتحه لنقرأه، وكأننا إن فعلنا ذلك سوف يصعقنا الله. ولانعلم أن كل مانحتاجه لانقاذ أنفسنا وأبنائنا وأمتنا موجود في ذلك الكتاب الذي أهملناه وتركناه دون أن نستفيد من النور والعلم الذي فيه شيئاً على الإطلاق.

عندما نفعل ذلك ونبدأ بالفهم كل ما حصل لنا في كهفنا، وكيف استطاع فقهاء السلاطين الذين هم شياطيننا، فتنتنا عن الحق، وجعلونا نترك سبيل الله إلى سبل أخرى ليس فيها سبيل واحد صحيح. ونبدأ بتغيير مافي عقولنا من ظنون وأوهام إلى علوم حقيقية من نور الله وحقه في الكون، سوف يبدأ الله تعالى بتغيير ظروف واقعنا إلى غنى بعد فقر، وإلى قوة بعد ضعف، وإلى وحدة بعد تفرق، وإلى علم بعد جهل، وإلى نور

بعد ظلام وضلال، وإلى عدل بعد ظلم، إذاً فلا بد لنا من لمس ذلك الكتاب ونفض الغبار المتراكم عليه وقراءته عن رغبة صادقة بتعلم العلم الحقيقي الذي أرسله الله لنا ليخرجنا به من الظلمات إلى النور. لابد لنا من تفهمه وتدبره حتى تتحسن أمورنا يوماً بعد يوم.

لن يحتاج الأمر إلى قرون، فإن إنساناً من الذين عاصروا الجاهلية من صحابة الرسول قُدِّرَ له أن يلبس سواري كسرى. إن التغيير لايحتاج لأكثر من جيل أو جيلين إذا كان المنهج مركزاً ومدروساً من كل من له القدرة على الإسهام فيه، ألا ترون أن كل مانسميه علوماً عندنا كلها ظنون وأوهام:

﴿...مَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ...﴾ - ١٥٧ النساء.

﴿...فَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ١٤٤ الأنعام.

﴿...هَل عِندَكُم مِّن عِلمٍ فَتُخرِجُوهُ لَنَآ...﴾ - ١٤٨ الأنعام.

وهكذا نجد أن كل ما معنا من صحيح البخاري ومسلم وكل كتب الأحاديث الأخرى ماهي إلا أوهام تعبت في تحصيلها النفوس، وماكان تعبها إلا عذاباً من الله سبحانه، وبدعة مما ابتدع الناس بجعل كتابٍ مع كتاب الله ونوره: القرآن الكريم. والنبي الكريم يصرخ فينا ويقول: (لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) عن أبي سعيد الخدري في الصحيحين.

ونحن نقول كما قال المشركون من قبل: إنها كانت إرادة الله ومشيئته متهمين الله بما جنت أيدينا وبما حصل لنا متبرئين من مسؤولياتنا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشرَكُوا لَو شَآءَ اللَّهُ مَاعَبَدنَا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ...﴾ - ٣٥ النحل.

ولكن الله يعلم أن الهدى والضلالة تحصل بإرادة ومشيئة واختيار من الانسان الذي يحب دائماً أن يلقي اللوم على غيره:

﴿...لَو شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشرَكنَا وَلآ ءَابَآؤُنَا...﴾ - ١٤٨ الأنعام.

متهرباً بشكل مستمر من تحمل تبعات المسؤولية.

ويجب أن نعلم أن العلم هو في العلوم الحقيقية فيجب أن نعود إلى قرآننا ونسعى كما يطلب الله منا إلى كل تلك العلوم:

﴿قُل سِيرُوا فِي الأَرضِ فَانظُرُوا كَيفَ بَدَأَ الخَلقَ...﴾ - ٢٠ العنكبوت.

هذه دعوة صريحة من الله بالسعي إلى كل علوم الجيولوجيا: (علم طبقات الأرض) وعلوم البيولوجيا (علم الأحياء)،

﴿قُل سِيرُوا فِى الأَرضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ - ١١ الأنعام.

وهذه دعوة أخرى لدراسة فلسفة التاريخ للإستفادة منها حتى لايحصل للإنسان الحاضر ماحصل لكل الأمم التي بادت لأسباب يوضحها التاريخ وقصص القرآن، وهي أنهم تركوا منهج الله الصحيح إلى مناهج ابتدعها أصحاب المصلحة الآنية أو اللحظية من أولي السلطة والجاه والقوة في كل عصر. والذين يسميهم سبحانه بالملأ دائماً.

﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِى الأَرضِ فَتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلُونَ بِهَآ...﴾ - ٤٦ الحج.

وهذه دعوة إلى كل العلوم الأرضية من علم الزراعة، من ملاحظة النباتات وتفهم أسرار نموها وتطورها. إلى علم الحيوان، من دراسة حيوانات الطبيعة لنعرف كيف نسخرها للإنسان، إلى علم الحشرات لمعرفة منافعها ومضارها حتى نستفيد منها أو نمنع عنا ضررها. إلى علوم المعادن والعناصر لاستخراجها من الأرض. وإلى كل علوم الأرض حتى نرقى في سلم الحضارات علماً وثقافة ونوراً فنكون جديرين بالاستخلاف في الأرض، لا أن نجلس في زوايا ونقول: إن من نعيم الله علينا أن الله سخر لنا الغربيون حتى يتعلموا ويتعبوا ويخترعوا ويصنعوا كل شيء لنا لنشتري نحن بعد ذلك مصنوعاتهم من غير أن نتعب في شيء. بما وهبنا الله إياه من بترول لم نتعب في صنعه ولا في استخراجه. وهل سيدوم هذا البترول إلى ماشاء الله؟ أم أن لكل كم محدود نهاية؟ وهكذا نجد أنه بدون المبادرة إلى تغيير عقلية الوهم والأوهام ليحل مكانها عقلية العلم والعلوم والحقائق والنور بعلوم حقيقية وصحيحة لن يحصل شيء وسنبقى في ذلك الكهف إلى ماشاء الله.

﴿...إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾ - ٢٦ ص.

وهل هناك عذاب أكبر وأشد من الذي نعانيه نحن الآن بسبب ضلالنا جميعاً كأمة إسلامية والله كما تلاحظون لا يتحدث عن عذاب الآخرة.

﴿...مَن يَهدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهتَدِ وَمَن يُضلِل فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرشِداً﴾ - ١٧ الكهف.

فمن هو الذي سيهديه الله؟ هل هو الذي اختار هواه إلهه؟

فإن هذا لن تجده إلا في ضلالٍ مبين. فهل هو الذي ظن أن في صحيح البخاري ومسلم هدايةً إلى سبيل الله؟. والله يقول:

﴿...وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً﴾ - ٢٨ النجم.

وحتى نعلم أن كل مافيها من أحاديث ليست من الله ولا من رسوله بدليل قوله سبحانه عنها:

﴿...وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

إذاً فالوحيد الذي عنده فرصة للهداية هو من يبحث عنها في كتاب الهدي الذي هو القرآن المرسل من رب العالمين ليخرج به الناس من الظلمات في كهوف الجهل إلى نور الشمس والحق والحقائق.

علم الله سبحانه الذي علمه للإنسان:

﴿اللَّهُ يَعلَمُ مَا تَحمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرحَامُ وَمَا تَزدَادُ وَكُلُّ شَىءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ﴾ - ٨ الرعد.

من هذه الآية نعلم أن علم الله علم محسوب ومقدر بالأعداد والأرقام.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الأَرضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزقُهَا وَيَعلَمُ مُستَقَرَّهَا وَمُستَودَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ - ٦ هود.

وعلم الله دقيق ومرتب وله سجلات خاصة بأسلوبه سبحانه:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُهَآ إِلا هُوَ وَيَعلَمُ مَا فِى البَرِّ وَالبَحرِ...﴾ - ٥٩ الأنعام.

أي لايغيب عن علم الله شيء سواء كان في البر أو البحر وعنده مفاتيح الغيب وحده.

﴿قُل لا يَعلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ الغَيبَ إلا اللَّهُ...﴾ - ٦٥ النمل.

والغيب هو كل المعلومات عن كل الأمور الخارجة عن محيط وملاحظة الإنسان المباشرة بحواسه أو ماأدخله الإنسان تحت الحواس بالأجهزة العلمية التي اكتشفها أو اخترعها كالهوائيات الضخمة والتلسكوبات المنظارية والالكترونية أو المجاهر لرؤية الأشياء الدقيقة والمخلوقات التي لم تكن تقع تحت حواسه المباشرة قبلها.

مثلاً تاريخ الكون، وطريقة تشكل الأجرام السماوية هي من غيب الله، الذي يعلمه

للإنسان بالتدريج، أما أمور المستقبل فكل علم الإنسان عنه ظني واحتمالي ولايمكن أن يصبح علماً يقينياً، فالله هو الوحيد الذي يحيط علماً بكل تلك الأمور.

﴿يَعلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرضِ وَمَا يَخرُجُ مِنهَا...﴾ - ٢ سبأ.

وهو علم حسابي ودقيق لكل مايدخل في الأرض من الكون، وكل مايخرج أيضاً من الأرض ويفقده من حرارة أو إشعاع أو أي أمور أخرى يعلمها الله بالأرقام الدقيقة.

﴿...وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلا رَطبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ - ٥٩ الأنعام.

وهذا مانسميه اليوم بالعلم الإحصائي. فعلم الله سبحانه يسبق كل العلوم الإنسانية دقة وتنظيماً وإحصاءاً وأرقاماً.

﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيلِ وَيَعلَمُ مَا جَرَحتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبعَثُكُم فِيهِ لِيُقضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيهِ مَرجِعُكُم ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُون * وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَيُرسِلُ عَلَيكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوتُ تَوَفَّتهُ رُسُلُنَا وَهُم لا يُفَرِّطُون * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَولاهُمُ الحَقِّ أَلا لَهُ الحُكمُ وَهُوَ أَسرَعُ الحَاسِبِين﴾ - ٦٠ - ٦٢ الأنعام.

وهكذا نرى في آيات الأنعام هذه دقة علم الله واستمراريته وشموله وإحاطته بكل شيء. والله يعلمنا في القرآن أن المواضيع والأنباء التي تكلم عنها رب العالمين خاصة العلمية منها ولم نعلم لها معنىً لعدم معرفتنا بالأسرار العلمية بعد، سوف يكون لتلك الآيات معانٍ في المستقبل بعد أن تكتشف، بمعونة الله، ويصبح لها عند ذلك معنىً مفهوماً: وهذا مايقصده سبحانه في الآية:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّستَقَرٌّ وَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ - ٦٧ الأنعام.

أما إذا حاولنا تأويله قبل ذلك فإننا نرتكب خطأً كبيراً لأننا نقول بما لانعرف، وقول الإنسان بما لايعرف يصبح نوعاً من التخريف لايليق بالإنسان المحترم الذي يؤمن بالله ويتقيه. لذلك نجد الله سبحانه يقول:

﴿...وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلا اللَّهُ...﴾ - ٧ آل عمران.

والله سبحانه هو الذي يكشف عنها الغطاء حين يشاء ويجعلنا نعلم تأويلها ولكن لكل أجل كتاب وميقات معلوم عند الله ولايجليها إلا لوقتها الذي لايعلمه إلا هو سبحانه:

﴿...قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقتِهَآ إِلا هُوَ...﴾ - ١٨٧ الأعراف.

﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ - ٨٨ ص.

وهذا الحين والأجل يكون بعلم الله وحده.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعدُودٍ﴾ - ١٠٤ هود.

وكما لاحظنا فذلك الأجل محسوب بدقة أعداداً وأرقاماً كما يؤكد على ذلك رب العزة وكل مخلوقات الأرض والسماء والكون، لها آجال تنتهي عندها ويسميها الله سبحانه الأجل المسمى، وحتى قيام الساعة له أجل وميعاد لايعلمه إلا الله وحده.

﴿يَسئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقتِهَآ إِلا هُوَ...﴾ - ١٨٧ الأعراف.

والله سبحانه كما رأينا يعلم عن الإنسان كل صغيرة وكبيرة.

﴿وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعلِنُونَ﴾ - ١٩ النحل.

﴿يَعلَمُ مَابَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً﴾ - ١١٠ طه

علم الإنسان:

كل علم الإنسان مصدره من الله سبحانه وتعالى:

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾ - ٥ العلق.

وكل علم الإنسان بالمقارنة مع علم الله هو مثل مقارنة الإنسان بالله سبحانه.

إذا كانت الأرض التي يسكنها كل بني الإنسان لاتساوي في الكون الذي خلقه الله حبة رمل واحدة، فأين الإنسان بعد ذلك وأين علمه كله؟

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلا قَلِيلاً﴾ - ٨٥ الإسراء.

والإنسان يخلط أحياناً الظن والوهم بالعلم.

﴿...مَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ...﴾ - ١٥٧ النساء.

وعندما يختلط إيمانه بالظنون والأوهام يشرك بالله من دون علم منه ويحاجج بما عنده ظناً منه أنها من العلوم فيقول الله لهم:

﴿...فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ...﴾ - ٦٦ آل عمران.

إلا أن الراسخين في العلم وهم أقرب الناس لله لأنهم أقربهم للحق والحقيقة.

﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ مِنهُم وَالمُؤمِنُونَ يُؤمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ...﴾ - ١٦٢ النساء.

الإنسان الذي يعلم أنه لايعلم ويعترف بعدم معرفته أفضل بكثير من الذي عنده كثير من الأوهام والظنون ويعتقد بأنها علوم صحيحة، كما حصل ويحصل معنا اليوم من الذين يدعون العلم في العالم الإسلامي وكل ماعندهم لايزيد عما ذكرناه. وكل من يظن أن علمه يزيد بحرف واحد عما ذكر في كتاب الله الذي هو القرآن الكريم خاصة في العلوم الفقهية أو في العلوم الأخرى المذكورة في كتاب الرحمن فهو واهم، وكل من يظن أن كتب أهل الكتاب مصادر يقينية للعلم أيضاً واهم أكبر، لأنهم كما اشرت قبل هذا قد حرفوا كتبهم فلم تعد مقبولة لتبقى مصادر للعلم الصحيح بعد ذلك، لذلك فكل الإضافات التي أضافها علماؤنا لديننا ومصدرهم فيه الإسرائيليات مردودة كلها، ولايجوز قبولها من الأساس، وكل علومهم تقع تحت قول الله تعالى كما ذكرت سابقاً:

﴿وَمَالَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ...﴾ - ٢٨ النجم.

وكل مايجادلون به لايمكن اعتباره علماً ولا هدى:

﴿...وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدَىً وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ - ٢٠ لقمان.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - ٢١ لقمان.

أو يقولون أن عندهم أحاديث الرسول الصحيحة، ولايعلمون أن كل ماعندهم هو من لهو الحديث الذي يضل به الشيطان عن سبيل الله إلى سبل أخرى متعددة لايعلم عددها إلا الله سبحانه وحده:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِى لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ٦ لقمان.

والرسول الكريم عندما سئل أن يحدثهم حديثاً عن الله والإسلام أنزل الله الآية التالية لتكون خطاب فصل لكل الأحاديث بعد ذلك:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِىَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ - ٢٣ الزمر.

والخطوة الأولى الصحيحة للإنسان أن يتعلق قلبه بالله وحده من دون أن يعلقه مع الله بأحد غيره من رسول أو نبي حتى يبعد نفسه عن الإشراك بالله من غير علم.

﴿...وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ - ١١ التغابن.

وعلم الإنسان يبدأ من الله وينتهي علمه أيضاً من الله فلا علم إلا وكان مصدره من رب العالمين:

﴿قَالُوا سُبحَانَكَ لا عِلمَ لَنَآ إِلا مَا عَلَّمتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ - ٣٢ البقرة.

والظن لايساوي أمام العلم شيئاً أبداً:

﴿...إِنَّ الظَّنَّ لا يَغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفعَلُونَ﴾ - ٣٦ يونس.

والهوى دائماً من الشيطان:

﴿...وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهوَآئِهِم بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ١١٩ الأنعام.

ولكن من الناس من يفتري الكذب على الله ليضل به الناس.

﴿...فَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ١٤٤ الأنعام.

مثل كثير من علماء السوء الذي أفتوا للسلطان بما يشاء وهم يعلمون أنهم يحرفون الحق ويفترون على الله والرسول الكذب وهم يعلمون: ووصية الله الدائمة للإنسان أن لايتبع أي شيء من دون علم:

﴿وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ...﴾ - ٣٦ الإسراء.

وأن لايجادل في الله من غير علم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدَىً وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ - ٨ الحج.

ولكن الناس الذين آتاهم الله علماً حقيقياً عندما يرون العلم الحقيقي الموجود في القرآن فإنهم سوف يؤمنون بالله سبحانه صاحب ومصدر كتاب الله الحقيقي:

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ...﴾ - ٥٤ الحج.

ومصدر العلم للناس دائماً من الله:

﴿يَاأَبَتِ إِنِّى قَد جَآءَنِى مِنَ العِلمِ مَالَم يَأتِكَ...﴾ - ٤٣ مريم.

﴿...وَإِنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِّمَا عَلَّمنَاهُ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٦٨ يوسف.

وليس عند أحد إلّا العلم الذي مصدره من الله:

﴿قَالُوا سُبحَانَكَ لا عِلمَ لَنَآ إلا مَا عَلَّمتَنَآ...﴾ - ٣٢ البقرة.

وقال يوسف إقراراً بعلم الله الذي تعلمه:

﴿رَبِّ قَد ءَاتَيتَنِى مِن المُلكِ وَعَلَّمتَنِى مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ...﴾ - ١٠١ يوسف.

وقد يتعلم الإنسان بعض العلوم الضارة من الشيطان بإذن الله:

﴿...وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ...﴾ - ١٠٢ البقرة.

﴿...فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ...﴾ - ١٠٢ البقرة.

وإليكم الآية كاملة:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلكِ سُلَيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُليمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبَابِلَ هَارُوتَ ومَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولآ إِنَّمَا نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلا بِإِذنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الأَخِرَةِ مِن خَلاقٍ وَلَبِئسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ - ١٠٢ البقرة.

ثم يتابع الله تعالى ويقول بعد ذلك:

﴿وَلَو أَنَّهُم ءَامَنُوا وَاتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ مِّن عِندِ اللَّهِ خَيرٌ لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ - ١٠٣ البقرة.

وهناك أمثال كثيرة لايعقلها في القرآن إلا الذين يعلمون ببعض علوم الله الحقيقية:

﴿وَتِلكَ الأَمثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهآ إِلا العَالِمُونَ﴾ - ٤٣ العنكبوت.

فالمثل الذي ضربه الله في سورة يوسف عن يوسف وأخوته في الحلم الذي رآه يوسف: ﴿إِذ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّى رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لِى سَاجِدِينَ﴾ - ٤ يوسف.

هذا المثل لن يفهمه إلا العلماء من الذين سيكتشفون كما قدر الله منذ البداية، أن عدد الكواكب في المجموعة الشمسية هي اثنى عشر كوكباً وأن الشمس والقمر ليست من الكواكب كما ظن الإنسان قديماً حتى بعد الإسلام بكثير، وظل يعتقد أن عدد الكواكب ستة ثم سبعة دون أن يعلم أن عددها الحقيقي هو اثنى عشر. وظل الإنسان يعتقد بأن الأرض هي مركز الكون حتى اكتشف أنها مجرد كوكب صغير من ضمن كواكب المجموعة الشمسية. وظل يعتقد أن الأرض مستوية إلى أن عرف أنها كروية.

وهكذا عندما يصل الإنسان للعلوم الحقيقية التي يعلمها الله للناس بالتدريج يكتشف دائماً بأن ماكان عنده قبل ذلك كان من الأوهام، وأن ماعند الله دائماً هو الصحيح.
والله علَّم سليمان منطق الطير:

﴿...وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمنَا مَنطِقَ الطَّيرِ...﴾ - ١٦ النمل.

وحتى نعلم أن قوة العلم أكبر من كل القوى الذاتية التي قد تكون عند بعض المخلوقات يقول سبحانه في سورة النمل:

﴿قَالَ يَاأَيُّهَا المَلَؤُا أَيُّكُم يَأتِينِى بِعَرشِهَا قَبلَ أَن يَأتُونِى مُسلِمِينَ * قَالَ عِفرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ - ٣٨ - ٣٩ النمل.

أي أن عفريت الجن عنده القدرة الذاتية بأن يأتي بذلك العرش بسرعة أعلى من سرعة الصوت وبدون أن يؤذي عرش الملكة أو يسبب له أضراراً مادية كالعطب والكسر مثلاً.

ولكن لنسمع ماذا قال الذي عنده علم من الكتاب ولم يقل عنه سبحانه أنه من الجن:

﴿قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُكَ...﴾ - ٤٠ النمل.

أي أن الذي عنده علم من علم الله الحقيقي قادر على أن يأتي بالعرش بسرعة الضوء وهي أعلى السرعات المعروفة حتى اليوم علمياً ولكن الإنسان لم يتوصل إليه في وسائل النقل إلى اليوم.

والعلماء هم أكثر الناس خشية لله لأنهم أكثر الناس معرفةً به.

﴿...إِنَّمَا يَخشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَؤُا...﴾ - ٢٨ فاطر.

وعلوم الأرض كلها مصدرها من الله حيث يُعَلِّمُ الله الذي يسعى لتعلّم العلم وعَلَّم الله بعض رسله وانبيائه حتى يُعَلِّموا الناس من ذلك العلم:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَينَاهُ حُكماً وَعِلماً...﴾ - ٢٢ يوسف.

﴿...ءَاتَينَاهُ رَحمَةً مِّن عِندِنَا وَعَلَّمنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلماً﴾ - ٦٥ الكهف.

﴿وَلُوطاً ءَاتَينَاهُ حُكماً وَعِلماً...﴾ - ٧٤ الأنبياء.

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا دَاوُدَ وَسُلَيمَانَ عِلماً...﴾ - ١٥ النمل.

وكثير من الناس يقولون ظناً وكذباً من غير علم صحيح:

﴿بَل كَذَّبُوا بِمَا لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ وَلَمَّا يَأتِهِم تَأوِيلُهُ...﴾ - ٣٩ يونس.

مثل بعض رجال الدين من السلف الذين قالوا وأولوا الآيات المتشابهة من القرآن مستندين إلى كتب أهل الكتاب، وهم يظنون أنها علوم صحيحة، فقالوا أقوالاً غير صحيحة عن الأرض والشمس والقمر ومعنى الرواسي من الجبال التي جعلها الله أوتاداً، وعن عدد الكواكب وعن أسلوب الخلق وعمر الكون قالوا عنه سبعة آلاف سنة حتى يوم القيامة؟ وكل الأمور التي لم يحيطوا بها علماً ولم يأتهم تأويله بعلم صحيح من الله سبحانه وتعالى كالعرش والكرسي، وكل العلوم التي يتعلمها الإنسان اليوم لاتحصل بالصدفة، بل إن الله الذي له دائماً معرفة مافي رؤوس الناس جميعاً، هو الذي يلهم منهم من يكون على استعداد لمعرفة قانون الله، مثلاً عندما كان (كبلر) العالم الفلكي قادراً على فهم قانون الله، ألهمه القوانين الفلكية المعروفة الآن بقوانين (كبلر) في الفلك. وكذلك عندما أصبح (نيوتن) قادراً على فهم قانون الجاذبية، ألهمه ذلك القانون إلهاماً أساسه من الله، (فنيوتن) لم يأت بجديد من عنده بل بقانون من قوانين رب العالمين لذلك يقول سبحانه في القرآن:

﴿...قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقتِهَآ إِلا هُوَ...﴾ - ١٨٧ الأعراف.

وهذا الوقت يعلمه الله وحده وهو الذي يختاره بنفسه لكل شيء.

ومعرفة الناس بعلم الله يكون دائماً بما شاء الله أن يعلّمه للناس:

﴿...وَلا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِّن عِلمِهِ إِلا بِمَا شَآءَ...﴾ - ٢٥٥ البقرة.

ودعاء الإنسان الذي يسعى إلى علم الله وإلى تعلمه مستجاب، لذلك يعلمه الله الدعاء الصحيح:

﴿...وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلماً﴾ - ١١٤ طه.

ولكن إذا قال ذلك الدعاء من ظن أن كتب الوهم والظن هي مصادر صحيحة للعلم:

﴿...رَّبِّ زِدنِي عِلماً...﴾ فإن الله لن يزيده إلا ضلالاً، لأنه اختار السبيل الخاطىء واستعان لتعلم العلم بالشيطان بدل الاستعانة بالله العلي العليم.

فهذا ليس من ذنب الله بل ذنب الإنسان الذي ضل الطريق واستعان بمضل للسبيل

بدل الاستعانة بالله سبحانه وتعالى الهادي إلى الهدى والنور والذي لا يضل عباده بشكل مباشر أبداً، ويتم بإذن منه للشياطين مع التنبيه المسبق على عدائه وكيده ومكره للمؤمنين.

﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدَىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرقَانِ...﴾ - ١٨٥ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف علم الله صناعة الحديد وأسلوب تحويل فلذه المستخرج من الأرض للإنسان:

إن الحضارة الغربية التي بهرت مسلمي اليوم المتمسكين بالأوهام والظنون بدلاً عن العلم والعلوم جعلتهم لايميزون الحقائق من الأوهام، ولا أن يفهموا تلك الحضارة، بسبب أبصارهم التي أصبحت كليلة وضعيفة نتيجة مئات السنين الطويلة التي بقي فيها المسلمون في الظلام، من غير أي نور على الاطلاق. لاشك أن الحضارة الغربية هي من صنع الإنسان الغربي الذي طرق أبواب علوم الله، وعرف كيف يستدل إلى مستقره ومستودعه، فالهمهم الله من تلك العلوم الشيء الكثير. حيث يجب أن نعلم أن علم الله مثل رزقه لايحبسه سبحانه وتعالى على طالب يسعى في تحصيله، بغض النظر عن اتجاهه في العقيدة سلباً أم ايجاباً، أي سواء كان مؤمناً أم كافراً.

لكن الفرق أن الكافر الذي لايؤمن بيوم الحساب ولايؤمن بكتاب الله يبقى علمه مبتوراً ناقصاً لأنه يمكن أن يصيب في أمور ويخطيء في الأمور النفسية والاجتماعية التي تعتمد في قوتها على مدى إيمان الإنسان بالله واليوم الآخر. ومع مرور الزمن يمكن لتلك الأخطاء أن تكبر وتتعاظم وتسبب مشكلات سرطانية قاتلة لكل بناء الحضارة المادية.

إن الله تعالى الذي خلق البشر أولاً بعد أن طورهم خلقاً من بعد خلق من خلية في الطين ثم حولهم بنفخة الروح في آدم البشر محولاً آدم إلى إنسان متميز عن البشر والمخلوقات الأخرى وكان فعل الله هذا مايسمى اصطفاء آدم من البشر. والله تعالى يعلم أنه بدون مساعدة ذرية آدم وعونه المباشر الدائم بإرسال الرسل والأنبياء إليه من أجل تعليمه تمييز الخير من الشر والحسن من السيء لايمكنه لوحده أن يجد الطريق الصحيح بالصدفة العمياء. فالله سبحانه هو أول العالمين أن الصدفة العمياء غير قادرة

على فعل شيء إلا الأعمال العمياء القاصرة دائماً. فتعهد الله الإنسان منذ البداية ولم يتركه لوحده أبداً، بل أرسل له الأنبياء من بعد الأنبياء يعلمه دائماً مالم يعلم عن الزراعة والصناعة. والنبي معناه الإنسان الذي يكلفه الله تعالى بنقل أنباء عن علوم الله للناس ومصدر كلمة النبي من نبأ.

﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينِ﴾ - ٨٨ ص.

فالله سبحانه ينقل إلينا نبأ جديداً لم نكن نعرفه قبل ذلك في القرآن الكريم في قوله:

﴿...وَأَنزَلنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعَ لِلنَّاسِ...﴾ - ٢٥ الحديد.

هذا النبأ لايعلمه أحد في الأرض قبل القرآن الكريم.

واليوم يصرخ علماء الذرة أن عنصر الحديد بالذات ليس من العناصر التي يمكن أن تتشكل على الأرض لأنها تحتاج إلى كتلة أكبر من كتلة الأرض الحالية بأربع مرات على الأقل لتشكل الضغط الكافي في المركز لتكوين ذرة الحديد. فوضعوا نظريات لابرهان لها عندهم بعد، مفادها أنه لابد من وجود نيازك كثيرة اصطدمت بالأرض خلال مرورها في منطقة تفجر فيها نجم كان يحوي معدن الحديد، ولكن كما شاهدتم فإن القرآن يجيب على كل تساؤلات العلماء بالحقيقة البسيطة أن الله تعالى أتى به من مكان يعرفه هو فقط في السماء ولكن تاريخ هذا النبأ كان قبل ١٤٠٠ عام عند نزول الوحي من السماء على رسولنا الكريم وكذلك كان إخباره عن الماء. الذي يقول عنه أيضاً علماء اليوم أنه لايمكن أن يتشكل على الأرض لأسباب أخرى. فيعلمهم رب العالمين عن الخبر اليقين:

﴿وَأَنزَلنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدرٍ فَأَسكَنَّاهُ فِي الأَرضِ...﴾ - ١٨ المؤمنون.

أي لم يكن مسكنه الأساسي في الأرض بل أتى به من مكان آخر يعرفه الله تعالى فقط. وتلك الآية تختلف عن آيات كثيرة في القرآن تقول مثلاً:

﴿...وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ...﴾ - ١١ الأنفال.

﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَتُصبِحُ الأَرضُ مُخضَرَّةً...﴾ - ٦٣ الحج.

وكذلك ضربت المثل بالحديد لأهميته القصوى لأن حضارة اليوم كلها يمكن أن تدرج تحت اسم حضارة الحديد، فهو المعدن الأساسي الذي تعتمده هذه الحضارة الحالية حرباً وسلماً.

فماذا علم الله الإنسان عن الحديد الذي أتى به لغاية هو يعلمها إلى هذه الأرض، مع أنه ليس من عناصر الأرض ولا من مكوناتها الأساسية؟، إن الحديد كعنصر لايمكن وجوده حراً في الطبيعة للأسباب الآتية:

بما أن معدن الحديد شره جداً لعنصر الأوكسجين الذي هو العنصر الرئيسي في تكوين الماء، وهو موجود في الهواء بنسبة معينة وكذلك في الماء، ولتعرض الحديد للماء وللهواء الرطب مع مرور الزمن، يحوله إلى فلذ هو أكسيد الحديد وأكسيد الحديد له أنواع بحسب درجة تأكسد المعدن به، وتسمى تلك المركبات بعد ذلك بأكاسيد الحديد لتعددها. والذي يهمنا أن نعلمه أن الحديد لايمكن أن نجده في الطبيعة إلا بشكل تلك الأكاسيد. وبما أن عنصر الأوكسجين بالذات محبوب جداً لذلك المعدن يتمسك به بقوة شديدة، لتخليص الحديد من الأوكسجين نحتاج لجهودٍ كبيرة وتقنية عالية لايمكن أن تأتي بالصدفة مثلاً: لو تعرضت كمية من الصخور التي تحوي لفلذات أكاسيد الحديد لنار شديدة الحرارة بالصدفة لن يسيل منها معدن الحديد ليكتشفه الإنسان، والعملية ليست بمثل هذه البساطة.

إذن كيف اكتشف الإنسان الحديد إذا كان لايمكن بالصدفة العمياء اكتشافه؟

سؤال جاد ويحتاج إلى جواب محدد.

إن العلم اليوم عاجز عن إيجاد أي جواب مقنع على هذا السؤال البديهي البسيط، لكننا إذا بحثنا عن الجواب في القرآن نجد أنه قد عَلَّم هذا لذي القرنين في التاريخ وإن كنا لانعلم يقيناً من هو ذو القرنين، بالتأكيد، ولو كانت معرفته بالذات ضرورية لأعلمنا بها الله وطالما لم يحدده لنا نكتفي بما علمناه من علم الله ولانسعى فيما ليس من ورائه طائل.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى جَعَلَهُ نَاراً قَالَ ءَاتُونِى أُفرِغْ عَلَيهِ قِطَراً﴾ - ٩٦ الكهف.

إن هذه الآية تشرح صناعة الحديد ولم يعلم بها مسلموا الأرض إلى اليوم لأنهم كانوا يقرؤونها من دون علم ولاتدبر لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين، ولكن كيف؟ اليوم عندما تدرس عنصر الحديد وأسلوب استخراجه من فلذاته الطبيعية المتوفرة في الأرض فإن الكتاب يشرح لك أن لاستخراجه لابد من الفرن العالي. والفرن العالي ببساطة هو فرن ذو مدخنة واسعة من الأسفل يضيق عادة كلما ارتفعنا إلى الأعلى ويبنى عادة من الآجر الأحمر في الأفران التي شاهدتها في أوروبا وكذلك أيضاً في الفرن

العالي الموجود في حلوان في جمهورية مصر العربية. وتطحن فلذات الحديد عادة بمطاحن مثل مطاحن الأحجار ثم تخلط بطحين آخر للفحم الحجري بنسبة يقدرها خبراء الكيمياء في المعمل. ويوقد الفرن عادة من الأسفل بالفحم الحجري وهو بشكله الصخري كمصدر رخيص للحرارة العالية. ثم ينفخ على تلك النار بنافخات ضخمة للهواء من الأسفل لزيادة درجة الحرارة إلى حوالي ثلاثة آلاف درجة مئوية، فيمر الهواء الشديد الحرارة من خلال تلك النار المتأججة بشدة وقد فقد الأوكسجين الذي كان يحويه لأنه أحرق الفحم واتحد به مشكلاً غاز الفحم $Co2$. فترتفع تلك الغازات مع المتبقي من غازات الهواء الأخرى التي بلغت درجات حرارة عالية كما رأينا، والغازات عادة مع الحرارة تتمدد فيخف وزنها فتصعد للأعلى لتنطلق من المدخنة العالية التي تضيق كما قلنا من الأعلى بالتدريج فيصبح تياراً غازياً شديد الحرارة والسرعة كافية لحصول التفاعل الكيميائي المطلوب والذي يسمى عادة بتفاعل الإرجاع. (والإرجاع يكون عادة عكس الأكسدة). وفي مسافة محددة من تلك المدخنة هناك فتحة جانبية تدخل منها الفلزات المطحونة والممزوجة مع الفحم كما قلنا فتتساقط بالثقالة إلى الأسفل مارة ضمن ذرات الغازات المتصاعدة ذات الحرارة الشديدة رافعة درجة حرارة تلك المواد، ولعدم وجود الأوكسجين اللازم من أجل احتراق الفحم المتساقط مع ذرات فلزات الحديد، علماً أن الفحم يزداد شراهة للأوكسجين طرداً مع ارتفاع حرارته، فلا يجد حوله من الأوكسجين إلا ماهو متحد بذرات الحديد في الفلز المتساقط معه فتعمد ذرات الفحم إلى أخذ ذلك الأوكسجين المتوفر الوحيد قريباً منه فتحترق به متحولة إلى غازات الفحم $Co2 + Co$ أول أكسيد الفحم وثاني أكسيد الفحم، لأن قوة شراهة الفحم للأوكسجين في تلك اللحظات تكون أكبر من شراهة معدن الحديد للأوكسجين وهذا هو الذ ي يساعد على تفاعل الإرجاع، فيسقط الحديد حراً ويتجمع في الأسفل كسائل حديدي يمكن صبه في قوالب حضرت من أجل ذلك وهو مازال بشكل ناري ومتوهج من الحرارة من خلال فتحات يسيل منها إلى تلك القوالب بحسب الأشكال والأحجام المطلوبة.

وهذا المعدن الذي حصل عليه مباشرة من الفلز تجرى عليه عمليات معقدة أخرى وفي أفران تختلف عن الفرن العالي للحصول على الحديد بالنقاوة المطلوبة للصناعة، لأن الحديد الأول يحتفظ بنسبة معينة من الفحم فيه وتكون غير مرغوبة الصفات حيث يسمى بالحديد الصب.

ومن صفات هذا الحديد أنه قاسي وغير لينٍ ولايصلح لصناعة السيوف والدروع والأسلحة والأدوات الحديدية كلها:

أولاً: لنتكلم عن وصف الله في القرآن لنحدد فيه أجزاء الفرن العالي:

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ الحَدِيدِ...﴾ - ٩٦ الكهف.

وهي فلزات أكاسيد الحديد الموجودة في الطبيعة تستخرج من الأماكن المتوفرة لهذه الفلزات. (مثلاً في جمهورية مصر العربية في منطقة أسوان هناك فلزات من أكاسيد الحديد فيها نسبة مقبولة من تلك الأكاسيد للاستخراج الصناعي)

﴿...حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ...﴾ من الواضح بأنه تم بناء جدارين عاليين ومتقابلين وبينهما فراغ. بدليل قول الله بين الصدفين وقد تم بناء ذلك داخل الردم.

﴿...قَالَ انفُخُوا حَتَّى جَعَلَهُ نَاراً...﴾ - ٩٦ الكهف.

من الواضح أيضاً أنه أشعل ناراً في الأسفل وهم ينفخون عليه بتيار هوائي من أجل زيادة الحرارة، لأنه بدون ا لنفخ لاترتفع الحرارة للدرجة المطلوبة من أجل التفاعل. وأخيراً ماذا فعل بعد أن صار الفرن العالي جاهزاً والنار متأججة في أسفله مع وجود تيار هوائي شديد نتيجة النفخ؟

قال:

﴿...قَالَ ءَاتُونِى أُفرِغْ عَلَيهِ قِطَراً﴾ - ٩٦ الكهف.

أقرب مايكون القطر هو للقطران ويستخرج عادة من الفحم لكن المقصود بالقطر هنا هو البترول الخام بدليل قول الله تعالى في القرآن لسليمان عليه السلام:

﴿...وَأَسَلنَا لَهُ عَينَ القَطرِ...﴾ - ١٢ سبأ.

والعين هو النبع بحسب لغة القرآن، ولا ينبع القطران من الأرض بل ما ينبع من الأرض هو البترول الخام وهو كما نعلم شديد الإحتراق وشره جداً للأوكسجين. فبإفراغ القطر مع زبر الحديد فوق النار من أعلى الصدفين يتساقط للأسفل ماراً بتيار الهواء الشديد الحرارة والمتصاعد للأعلى فيحصل تفاعل الإرجاع مما يشكل الحديد الصب الذي تتكلم عنه الآية.

لنستمع للآية التي بعدها ماذا تقول:

﴿فَمَا استَطَاعُوا أَن يَظهَرُوهُ وَمَا استَطَاعُوا لَهُ نَقباً﴾ - ٩٧ الكهف.

أي أنهم بعد أن تم لهم ذلك الجدار الحديدي لم يستطع أعداؤهم أن يغلبوهم وكما لم يستطيعوا أيضاً أن يثقبوا ذلك الجدار أبداً. ليدخلوا عليهم من خلاله.

﴿...وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ - ٩٧ الكهف.

ثانياً: في نهاية الوصف قلت أن الحديد الذي حصلنا عليه كان حديداً قاسياً وهو الحديد الصب، وهذا الحديد يحتاج كما قلت إلى تقنية جديدة تحتاج إلى علم ومعرفة من أجل تنقية الحديد الصب من النسبة العالية للفحم إلى أقل مايمكن، هذه العملية هي عملية الحصول على الحديد المطاوع أو الحديد اللين المستخدم في صناعة الأدوات الحديدية في الزراعة وأدوات الحروب مثل السيوف والدروع، وقد ذكر الله سبحانه أنه علم داوود عليه السلام هذه التقنية في الآية:

﴿وَلَقَد ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ - ١٠ سبأ.

فعملية إلانة الحديد كانت ضرورية لأنه بدون ذلك لايمكن استخدام الحديد الصب لقساوته وعدم مرونته وتعرضه للكسر بسرعة كالزجاج، بعكس الحديد اللين الذي له صفات أخرى مطلوبة في الصناعة. خاصة في الصناعة التي علمها الله له:

﴿وَعَلَّمنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَّكُم لِتُحصِنَكُم مِّن بَأسِكُم...﴾ - ٨٠ الأنبياء.

وهي صناعة الدروع الحديدية التي تصنع من زرد الحديد ولايمكن أن يصنع الزرد أصلاً إلا من الحديد اللين. وهكذا يتبين لنا من آيات القرآن الكريم، أن كل تقنيات صناعة الحديد تمت بعلم من الله سبحانه، وبتعليم الناس في الأرض، ثمَّ تطويرها بالطبع مع الزمن، لكن الأفكار الأساسية لهذه الصناعة والتي لايمكن أن تحصل بالصدفة العمياء تمت مباشرة بتعليم من الله سبحانه وتعالى لأنبياء وأشخاص أختارهم سبحانه وتعالى لهذه المواضيع الهامة.

والآيات التي تقول بأن الله سبحانه علم الإنسان مثل هذه الأشياء كثيرة في القرآن الكريم. خاصة وأن الله سبحانه علم الإنسان أموراً كثيرة غير الصناعة، فكل علم الإنسان مصدره الله سبحانه كما رأينا ذلك في آيات القرآن الكريم دائما. فالله تعالى علم آدم صفات الأشياء كلها وأهمية آدم في الموضوع أنه الأول الذي خزن في رأسه كل المعلومات المطلوبة للإنسان بداية من رب العالمين، ويجب أن نعلم أن عقل الإنسان هو بحسب لغة العصر كمبيوتر من صنع الله، متقدم جداً عن الكمبيوتر الذي صنعه الإنسان حديثاً بإذن الله وبعلمه.

فالله هو مصدر العلم للإنسان دائماً وهو معلمه الأول.

أحببت أن أبرهن باختصار أن وراء كل علم صحيح يقف الله سبحانه وتعالى معلماً عن طريق أنبيائه، فوظيفة الأنبياء كانت دائماً تعليم الناس ماآتاهم الله وعلّمهم من أنباء الغيب الذي كله من علم الله. أو مما ألهمه بشكل غير مباشر لعلماء الأرض الذين كانوا يبحثون عن الحقيقية في أماكنها متتبعين سبلها الصحيحة.

فألهمهم الله الصواب لأنه هو الذي يملك القلوب كلها.

ولكن بدأت تظهر على الإنسان علامات الغرور، فيقول له الله سبحانه حتى لايشتد غروراً: فيعلمه حقيقة موقفه:

﴿...وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلا قَلِيلاً﴾ - ٨٥ الإسراء.

وهذا دليل قاطع من الله سبحانه أن العلم الموجود لدى الإنسان هو علم أتانا الله تعالى به وحده ولم نحصل عليه وحدنا، وماحصلنا عليه حتى الآن قليل بالنسبة للعلم الممكن تحصيله من الله سبحانه، لو سعينا مستخدمين الوسائل الصحيحة من أجل بلوغ درجات متقدمة في علم الإنسان، لكن الإنسان الذي يحاول أن يبتعد عن الله بقلبه وعقله ويستكبر عن عبادته والإقرار بالعبودية له، والإيمان باليوم الآخر، الذي هو يوم الحساب، ومن ثم يحاول أن يبني حضارته مستنداً إلى عقله ومعتمداً على ماورثه من العلم الصحيح المتوفر قديماً عند آبائه وأجداده، لو سعى بجده ونشاطه إلى تعلم الأكثر ليطور تلك العلوم، لم يبخل عليه سبحانه بما يستطيع استيعابه وفهمه وتطبيقه من العلوم، وهكذا يلهم الله العلماء بكل الاختراعات والاكتشافات، وكل عالم يتلقى الإلهام الإلهي في اللحظة المناسبة عندما يصبح ماتوفر عنده من العلم كاف لاستيعاب الجديد الذي لم يسبق أن عرفه الإنسان من قبل بغض النظر عن موقفه العقائدي مؤمناً كان أم ملحداً.

لكن الناس اعتقدوا فيما بعد غروراً أنهم أتوا بذلك العلم بفضل جهودهم وحدها، وقوة عقولهم وتميزها، ولايعلمون دور الله تعالى في الموضوع لبعدهم النفسي عنه، فيضيعون في أمور أخرى يجهلونها وهي الأمور النفسية والاجتماعية المعقدة، فيسنون القوانين والشرائع والأنظمة رجماً بالغيب وظناً منهم أنها الأفضل لسياسة بلادهم وقيادة أممهم، فيصبح كثير من مخططاتهم وقوانينهم وشرائعهم سبباً لدمار كل ماسبق وبنوه فوق رؤوسهم، في لحظة لم يكن أحد منهم يتوقعها أبداً.

﴿أَوَلَم يَسِيرُوا فِى الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبلِهِم كَانُوا هُم أَشَدَّ

مِنهُم قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى الأَرضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِم وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ - ٢١ غافر.

﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِى الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم كَانُوا أَكثَرَ مِنهُم وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى الأَرضِ فَمَآ أَغنَى عَنهُم مَّا كَانُوا يَكسِبُونَ﴾ - ٨٢ غافر.

وهنا يتحدث لنا ربنا عن أن العلم الذي حصله الكافرون من الله لم يغنهم شيئاً، لأن مشيئة الله تعالى من أجل تحصيل سعادة الإنسان والوصول إلى جنة الدنيا ونوال جنة الآخرة بعدها لن تكون إلا عن طريق الإيمان بالله الواحد الأحد وبشرعه ودستوره المسجل في كتبه والتي لم يبق منها سليماً بلا تحريف من شياطين الإنس إلا كتاب القرآن وحده الذي حفظه الله بقدرة خاصة منه لآنه شاء أن تكون هذه الرسالة للناس كافة.

ونرى أن سبب بعد المسلمين اليوم عن العلم الحقيقي والعلماء هو إشراكهم الخفي الذي وقعوا فيه ولم ينتبهوا له إلى الحد الكافي لجعلهم يتحركون بشكل إيجابي للخلاص منه كأمة. ولكن يجب على المسلم المؤمن بالله المحب لله ولأمته، أن يستخدم عقله الذي هو ميزانه وجهاز كشفه من الله تعالى ليعرف به الحق ويميزه عن الباطل، ومن خلال فهمه سوف يجد أن أهم أسباب تأخر المسلمين اليوم هي:

- مسخ فكرة العلم في فكر المسلمين غالباً هذا أولاً.
- ومسخ فكرة العمل في فكر المسلمين بسبب عدم تمييزهم للعمل وهذا ثانياً.

ومسخ هاتين الفكرتين حصلتا خلال العصور الإسلامية السلطانية والتي تتابعت على أجيال المسلمين خلال قرون عديدة كان المسلم فيها يجد من يُدخل في وهمه أن العلم ليس إلا مايتحدث عنه علماء الحديث باسم علوم الحديث، وعلماء القرآن بما يسمونه من علوم القرآن، وهي لاتتعدى القراءات المختلفة والتفسيرات والتأويلات البعيدة جداً عن الواقع والحقيقة، والدخول إلى مجال الأوهام الشديدة والمتناقضة خاصة في تأويل الآيات المتشابهة التي منع الله تعالى والرسول الكريم تأويلها أو تفسيرها، لأن الله تعالى لم يكتبها ولم يرسلها لعصرهم بل لعصر العلم حيث سوف تُظهر الاكتشافات العلمية الحديثة معاني تلك الآيات وتأويلها. وهذا ماحصل في القرن العشرين إذ ظهرت معاني كثيرة من تلك الآيات واضعة كل علماء الحديث في إحراجات شديدة بسبب المعاني التي نسبوها افتراءاً للرسول الكريم، فأتى ماتقولوه مناقضاً للعلم، بينما بقيت آيات الله وحدها مطابقة للعلم مظهرةً أكاذيب كل تلك التقولات في الميدان، كاشفةً كذبهم الشديد على الله وعلى الرسول.

ماذا نتوقع لملايين المسلمين اليوم وليس لفقهائهم الذين يتسمون بالعلماء ظلماً أي علم ولافقه حقيقي، وليس بين رجال الدين عالم حقيقي، يستطيع أن يقدم مخططاً أو منهجاً لأمته من أجل الاستخلاف في الأرض أو من أجل بنائها، وإعمارها على المنهج الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتاب القرآن الكريم، لأن المسلمين في أغلب عصور التخلف الإسلامي ظنوا أن القرآن ليس فيه علم ولا علوم، بل ظنوا أن العلم والعلوم كلها موجودة في كتب أهل الكتاب، ولذلك هجروا القرآن والتفتوا لدراسة التوراة والإنجيل حتى حولوه بالكامل تقريباً لدين الإسلام كما برهنت على ذلك في كتاب دين السلطان تحت اسم أحاديث نبوية شريفة.

ولكن ضياع رجال الدين الإسلامي خلال كل تلك الفترة الطويلة أثر بشكل سلبي على كل مسلمي الآمة حيث شوهوا كل شيء تقريباً. لقد زرعوا في مخيلة المسلم أن مجرد الإيمان بالله عمل وهذا خلط خطير جداً.

وقالوا له إن الصلاة عمل. وأن الحج من أحسن الأعمال، وأن الدعاء عمل، وأن الحركات في الصلاة عمل، وأن الاهتزاز للأمام وللخلف أثناء القراءة للنصوص المقدسة عمل، وأن مجرد ترديد اسم الرحمن على مسبحة من الأوهام عمل، حتى بات المسلم لايستطيع أن يعطيك تعريفاً صحيحاً عن العمل إن سألته أبداً، لأن العلماء وهم القدوة الصالحة للأمة، وتلك كانت نماذج عن فهمهم للأعمال الصالحة قدموها عن العمل الحقيقي، خلال كل تلك العصور التي استمرت مع الأسف إلى اليوم. وكل مالديهم من كتب ليس فيها إلا الأوهام والظنون والخرافات والأباطيل وهي غالباً أبعد ماتكون عن الحق والحقيقة والله والعلم والقرآن.

فماذا يمكن لأمة هكذا يفكر أكابر وأفاضل علمائها أن يقدموا للعالم؟

وماذا يمكن أن نتوقع منهم؟ وهم في الحقيقة من أكبر الجهال في مجال كل العلوم الحقيقية.

فهل تتوقعون أعمالاً أو اكتشافات أو اختراعات؟

ومن أين يمكن للأعمال والاكتشافات والاختراعات أن تأتي إليهم؟

إنهم جميعاً مع الأسف الشديد لم يقدموا إلا كسلاً وتخلفاً وجهلاً وأمراضاً مستعصية، جسدياً ونفسياً وعقلياً تحتاج إلى علاج حقيقي ـ طبياً ونفسياً للأفراد وفكرياً واجتماعياً للأمة.

فهل تستغربون بعد ذلك لماذا يغضب الله علينا ويزداد غضبه كل يوم عن اليوم الذي سبقه، بدليل أن أمورنا في الحياة الدنيا تسوء يوماً بعد يوم، حتى لنجد أن اليوم الذي قضيناه كان أفضل من اليوم الذي يليه، ويدرك ذلك من بقي لديه بعض الإدراك.

لذلك لا أمل لنا أبداً في التحسن والتغير نحو الأفضل إن لم نغير مافي عقولنا عن مصادر هذه العلوم كلها، ونهرب من كل ماعندنا من المصادر الموهومة التي ليس فيها كما اكتشفنا إلا الأوهام والظنون التي لايمكن أن تكون قاعدة لأي شيء حقيقي يمكن أن ينفع الناس يوماً هرب السليم من المجذوم، لنتعلم من جديد، ومن بعد العلم نتعلم العمل الحقيقي ونتعلم كيف نميز الأعمال أيضاً عن الأوهام، فلا نظن بعد اليوم أن الإيمان بالله عمل، أو نعتقد بأن القيام بالعبادات عمل، فالعمل يجب أن يكون شيئاً حقيقياً في إعمار هذه الأرض التي يسكنها الإنسان وإصلاحها، فأين نحن المسلمين اليوم من العلوم المعاصرة: علوم الفلك والفضاء والطب والهندسة والأحياء والفيزياء والالكترونيات وغيرها.

أين نحن من العلم والعلوم والتكنولوجيا؟

إننا مع الأسف لسنا حتى على أول الطريق من كل ذلك، بل لازلنا على طرقنا القديمة وأوهامنا العزيزة على نفوسنا. والذي صار بيده كل تلك العلوم السابقة يحاول أن يوهمنا من جديد أن الأفضل لنا جميعاً هو بقاءنا في أحلامنا القديمة. لابل صاروا يساعدوننا ويداوون من كان يقلق منا ولاتستمر أحلامه وخيالاته لفترة طويلة بالدخان الأزرق، حتى يرى أوهاماً أعجب مما كان يرى آباؤه وأجداده قبلها. فإلى متى سوف نبقى هكذا وبلا حراك فيما نحن فيه، وكتاب الله الذي يدعو إلى اليقظة مهجور من الجميع، ألم يحن الوقت لنقرأ ذلك الكتاب ونعلم ماذا يريد الله منا ولماذا خلقنا على هذه الأرض. وماهو المطلوب منا وحتى نعلم منه على الأقل: أين نحن وإلى أين نتجه في دروب ضلالنا. وإلى أين نسير بكل أوهامنا وظنوننا. إن الذين يعرفون الحقائق عن أمتنا يعلمون تماماً أن غالبية علمائنا من المشايخ خاصة المتصوفين منهم يستخدمون الحشيش والأفيون للوصول إلى حالات التجلي الموهومة حتى يشعروا بسعادة التوحد في الله وهم لا يعلمون أنهم يمارسون خيالات وأوهام الحشاشين. ولو كانوا يعلمون بأحكام القرآن لعلموا أن كل أنواع المخدرات محرمة في الإسلام ومن بينها التدخين مع العلم أنه أقلهم ضرراً بغض النظر عن أنواعه السيجارة، السيجار، النرجيلة، الشيشة، الجوزة إلخ....

٩ ـ العمل:

مامعنى العمل في دين الرحمن.

قبل أن أبدأ الموضوع أحب أن أنوه بأن بعض المواضيع التي سبق وذكرتها في موضوع العلم تكررت في بحث العمل مرة أخرى وهذا شيء يدعو إليه ارتباط الموضوعين ارتباطاً وثيقاً لا انفصام فيه، حيث لاعلم بلا عمل ولا عمل بلا علم يمكن أن ينجح أبداً.

وإذا أحببنا أن نعرف العمل من خلال آيات القرآن يمكن أن نقول:

العمل هو الجهد المقدس المطلوب والمفروض على كل إنسان من الله للمشاركة في عملية الاستخلاف في الأرض وإعمارها، فلا بد على كل مسلم مؤمن من تقديم عمل ماخدمةً للناس، شريطة أن يكون عملاً صالحاً مصلحاً في الأرض بعيداً عن الفساد، يتوجه به العبد إخلاصاً وصدقاً في أدائه، وكأنه يرى بنفسه مراقبة الله له ولعمله، فيساهم بعمله هذا في سبيل رفع مكانته ومكانة أمته الحضارية بين الأمم الإنسانية. والعبد يرجو من وراء عمله رضى الله أولاً ويعتبر نجاحه وإتقانه في العمل نجاحاً في مهمة استخلاف الله له في الأرض.

كما يرجو من وراء عمله المتقن أجراً ورزقاً وعيشاً كريماً في الدنيا والآخرة، والأجر في الدنيا إما أن يكون أجراً من رب العمل يقابله أجر من رب العالمين في الآخرة على قدر الإتقان والإخلاص في العمل. أو أن يكون ربحاً حلالاً. إذا كان هو صاحب العمل وأجره في السماء جنة عرضها السموات والأرض.

لكن المسلمين مع الأسف الشديد لايفهمون العمل إلى اليوم على هذه الحقيقة القرآنية لأن مصادر علمهم اختلفت بعد أن هجر المسلمون كتاب الله بالجملة. فأفهِم المسلمون بغير ما قصد الرحمن فكان لذلك الفهم الخاطىء تأثيره على أسلوب تفكير المسلمين كله، وبالتالي على أساليب معيشتهم وأعمالهم وواقعهم الحياتي في هذه الدنيا إلى اليوم.

قسم كبير من الذين يظنون أنفسهم أنهم الوحيدون المتدينون والذين يفهمون الدين أفضل من غيرهم، مازالوا يرددون ما ورد في صحيح البخاري ومسلم، أن الإيمان بالله

عمل، وأغلب أولئك المسلمين هم من الآبائيين المناصرين لكل ماورثوه عن الآباء بثقة عمياء لابصر فيها ولاتبصر بالعقل والمنطق. فنجد ماورد في صحيح البخاري يناقض ماورد في كتاب الله تماماً.

حيث نجد في صحيح البخاري مثلاً باباً كاملاً اسمه: (باب من قال أن الإيمان هو العمل) لقوله تعالى:

﴿...تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ـ ٤٣ الأعراف.

فنجد معنى الآية يطابق تعريفي للعمل الذي استنبطته من القرآن الكريم، ونجده يناقض نص الحديث المعلن عنه (من قال أن الإيمان هو العمل). كتاب الإيمان ـ الجزء الأول الصفحة ١٤ من صحيح البخاري.

وقد ذكرت مراراً في كتبي أن الإمام البخاري رحمه الله كان يعلم كل ذلك، وكان يريد أن يشير للمسلمين إلى المتناقضات، فأوردها كلها في صحيحه دون أن يكون له الحرية في قول ذلك بصراحة، لعدم توفر حرية الرأي في زمانه، من كثرة مراقبة علماء أهل الكتاب لكل المكتبات.

وهكذا نلاحظ أن السلف قد قتل العمل الذي اعتبره الله تعالى من أهم واجبات الإنسان على الأرض، ومن أهم الأمور التي يجب أن يهتم بها المؤمن بل هو أهم عبادة مطلوبة من الله للإنسان في الأرض وبدونه لايتم عقد استخلاف آدم في الأرض (خليفة)، وهكذا قتلوه بطعنة واحدة في القلب.

وفي الحديث رقم ٢٦ من صحيح البخاري نفس الباب: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» وكل ذلك ليس من الأعمال مع الأسف الشديد.

وفي الحديث رقم ٢٩ المسلسل ٤٧ من صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت أنه قال: دخلت عليه (أي على رسول الله ﷺ) وهو في الموت فبكيت فقال: «مهلاً لم تبك؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعنَّ لك، ولئن استطعت لأنفعنك. ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم. وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: (وهنا بيت القصيد في الحديث كله) «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

حرمت عليه النار» لاحظوا: أن مجرد القول باللسان بدون اشتراط حتى الإيمان بالله وباليوم الآخر كاف لدخول الجنة بلا سؤال ولا حساب.

وإذا بحثنا في كل القرآن لن نجد لهذا الكلام مثيلاً أبداً. بل سوف نفاجأ أن لله ثلاث شروط دائمة لاتتغير وهي: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، وهي تتضمن القيام بكل العبادات، وتنفيذ بنود الصراط المستقيم في القرآن، وعدم تخطي حدود الله وممنوعاته ومحرماته أبداً. والتمسك بكتابه فهماً وتطبيقاً. وهذا كله يشكل الشرطين فقط والشرط الثالث والأهم هو العمل الصالح، الذي بدونه لايمكن أن يُحصل المسلم شيئاً.

لذلك نجد في كتاب الله أن الشرط الأهم لتحصيل الجنة من قبل العبد هو العمل الصالح. وقد يأتي من يجادل نتيجة مايحمله من أفكار مصدرها الأحاديث ويقول، إن الإيمان في القلب والعمل هو الصلاة وباقي العبادات، نقول له استناداً لما ورد في القرآن الكريم: إذا آمن المسلم بقلبه الذي هو عقله قطعاً فيجب أن يظهر إيمانه هذا عليه بالعبادات، فالعبادات هي ظواهر تصديق العقل بالإيمان، لذلك فالعبادات ليست من الأعمال أبداً، والدليل دائماً يجب أن يكون من الله سبحانه ومن كتابه الصادق الذي ليس في صدقه احتمالين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ...﴾ - ٢٧٧ البقرة.

كما تلاحظون فقد ذكر سبحانه كل واحدة منفصلة عن الأخرى. ولو كانت الصلاة والزكاة من الأعمال لقال سبحانه. وعملوا الصالحات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة) والآيات الشواهد في كتاب الله كثيرة لمن أحب أن يستزيد، وحتى نعلم علم اليقين أن العمل الذي يقصده الله سبحانه هو العمل المنتج الذي يقوم به العبد على الأرض خدمة لإخوانه من الناس ولمنفعتهم جميعاً وليس لضررهم نجد له شاهداً من نوع جديد، الكل يعلم أن الإنسان عندما يقوم بعمل ما لايقوم به مجاناً وإنما يقوم به خدمة للناس وخدمة لنفسه، لذلك يأخذ مقابله أُجرة ليكون له رزقاً حلالاً يعيش به هو وأسرته. فالذي يعمل خبازاً أو معلماً يأخذ أُجره إما من الناس مباشرة أو من الجهة المسؤولة، وكل عمل في هذه الدنيا مأجور سواء أخذ الإنسان أجره بشكل ربح إن كان يعمل عملاً مستقلاً بنفسه ولايعمل عند أحد، أم كان يعمل بالأجر عند أحد من الناس أو عند الدولة:

﴿...مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم...﴾ - ٦٢ البقرة. فالله تعالى يقول في الآية بعد ﴿...وَعَمِلَ صَالِحاً...﴾ ﴿...فَلَهُم أَجرُهُم...﴾ لأن سبحانه يقصد عمله الذي قدمه وكان يؤجر عليه في الدنيا، كذلك سوف يؤجره بأجر آخر مقابل ذلك العمل الصالح المتقن الذي قام به العبد وهو يتقي الله في عمله.

قد يسألنا آخر ويقول كيف يكون العمل المأجور صالحاً وكيف يكون فاسداً؟

أقول لهذا المتسائل إن الذي يعمل حداداً أو نجاراً أو يعمل موظفاً أو مدرساً أو قاضياً. أو يعمل طبيباً أو محامياً، والكل يعمل في تقوى الله هذه هي الأعمال الصالحة طالما جميعهم يؤدون خدمة صالحة للناس ولايخالفون في أعمالهم كتاب الله ولا يقومون بما يغضب الله في تلك الأعمال.

أما إن كان القاضي يعمل في القضاء مرتشياً، والمحامي يدافع عن المجرم الحقيقي ليظهر براءته بدهائه مقابل أموال يحصل عليها، والطبيب يهتم لأجره أكثر مما يهتم لحياة الناس وأرواحهم، والمدرس لايهمه سواء تعلم طلابه أم لم يتعلموا، والموظف لايهمه سواء سهل أمور المواطنين أم عقدها، والنجار لايهمه سواء أعجب الناس ماصنع أم لم يعجبهم وكذلك الحداد، عندها يكون الفساد قد دخل إلى العمل وصارت أعمالهم توصف بأنها فاسدة. أما من يعمل ساقياً في بار للخمرة، أو بائعاً ومروجاً للمخدرات في مدرسة، أو يعمل عضواً في عصابة للسرقة، أو يعمل في أي عمل فيه ضرر مباشر للناس من حوله، فهو من المفسدين في الأرض ومن الذين يقومون بعمل مفسد، وهذا هو الفرق بين الفاسد من الأعمال والمفسد أو المفسدين في الأرض.

ويجب أن يكون المسلم دقيقاً في قراءة القرآن وفهم معاني الكلمات، فكل كلمة في القرآن لها مدلولها الخاص، وليس في آيات القرآن كلمات حشو ولامترادفات، فالعمل يأتي بمعنى العمل لكن أحياناً الكلمة نفسها يمكن أن تحمل أكثر من معنى، وهذا لايمكن معرفته إلا من سياق الآية نفسها ومن المعنى العام.

فقد تأتي كلمة كفاراً مثلاً مرة بمعنى الكافرين ومرة بمعنى المزارعين من أهل الكفر أصحاب الخبرة في الزراعة. وقد تأتي مثلاً كلمة نساء بمعنى النسوة في آية، وقد نجدها في آيات أخرى تأخذ معنى الأحفاد على أساس مصدر الكلمة من نسيء أي المتأخر، وهذا كله لايمكن معرفته إلا من سياق الآيات كما في الآيات التالية:

في المعنى الأول لكلمة كفار:

﴿وَعَدَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّم...﴾ - ٦٨ التوبة.

أو: ﴿وَسَيَعلَمُ الكُفَّارُ لِمَن عُقبَى الدَّارِ﴾ - ٤٢ الرعد.

أو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُم كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيهِم لَعنَةُ اللَّهِ...﴾ - ١٦١ البقرة.

ونجد بالمعنى الثاني لكلمة كُفار في الآية الكريمة:

﴿...كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصفَرّاً...﴾ - ٢٠ الحديد.

هنا سياق الآية يدل على أنه لاعلاقة بالمعنى العام للكفر أو للكافرين بل الموضوع يتعلق بخبرة المزارعين من أهل الكفر.

وكذلك بالمعنى الأول لكلمة نساء: في الآية:

﴿...يُذَبِّحُونَ أَبنَآءَكُم وَيَستَحيُونَ نِسَآءَكُم...﴾ - ٤٩ البقرة.

أو: ﴿نِسَآؤُكُم حَرثٌ لَّكُم فَأتُوا حَرثَكُم أَنَّى شِئتُم...﴾ - ٢٢٣ البقرة.

وبالمعنى الثاني في الآية:

﴿...أَو بَنِى إِخوَانِهِنَّ أَو بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَو نِسَآئِهِنَّ...﴾ - ٣١ النور.

﴿وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَاظَهَرَ مِنهَا وَلِيَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو ءَابَآئِهِنَّ أَو ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو أَبنَآئِهِنَّ أَو أَبنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو إِخوَانِهِنَّ أَو بَنِى إِخوَانِهِنَّ أَو بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَو نِسَآئِهِنَّ أَو مَامَلَكَت أَيمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيرِ أُولِى الإِربَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَو الطِّفلِ الَّذِينَ لَم يَظهَرُوا عَلَى عَورَاتِ النِّسَآءِ...﴾ - ٣١ النور.

في هذه الآية يبين لنا سبحانه من هم الذكور الواجب أن لا تحرج المرأة إن ظهر أمامهم ماتخفي من زينتها من جسدها.

وفي القرآن وردت كلمة (نسائهن) مرتين فقط وفي المرتين تأخذ نفس المعنى السابق وإليكم الآية الثانية:

﴿...وَلا أَبنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَآئِهِنَّ وَلا مَامَلَكَت أَيمَانُهُنَّ...﴾ - ٥٥ الأحزاب.

وفي القرآن كلمات كثيرة مثلها يجب الانتباه لها ومعرفة معناها من سياق الآية.

نعود مرة أخرى لموضوع كلمة العمل ومدلول تلك الكلمة في القرآن:

﴿...أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعدِهِ وَأَصلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ﴾ - ٥٤ الأنعام. بسبب الالتباس الشديد الحاصل في كتب الحديث من التراث الإسلامي في موضوع العمل، فهذه الآية ومثيلاتها في كتاب الله، يفهمها المسلمون غالباً بنفس العقلية المشوشة، فيظنون أن معنى من عمل سوءاً هنا معناها مثلاً من ارتكب كبيرة كالزنا أو أغضب والديه، أو أكل مال اليتيم، أو قتل نفساً من غير حق إلى آخر تلك الكبائر. وهذا غير صحيح على الإطلاق لأنه لو قصد ذلك سبحانه لقال: (من فعل فعلته) الذي يقع عادة في فعل الكبائر وهي تعتبر جرائم وجنايات في الإسلام مثل قول الله مخاطباً موسى عليه السلام:

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ - ١٩ الشعراء.

لاحظوا لم يقل سبحانه مثلاً عملت عملتك التي عملت حتى لايخلط العمل بأي شيء آخر، أو مثل قوله تعالى:

﴿...أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ - ١٧٣ الأعراف.

أو مثل قوله سبحانه:

﴿...أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ...﴾ - ١٥٥ الأعراف.

أو: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ - ٧٩ المائدة.

وهكذا فالأمثلة كثيرة لمن شاء في كتاب الله لتمييز فعل الإثم عن العمل والأعمال.

لنعد إلى آيتنا الأولى: في الآية رقم ٥٤ من سورة الأنعام حيث يقول سبحانه:

﴿...مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجَهَالَةٍ...﴾ - ٥٤ الأنعام.

فالموضوع يتعلق بالعمل وليس بالأفعال كما رأينا، وجهالة هنا بمعنى الجهل الذي يعاكس العلم. مثلاً لو فرضنا أن زيداً عمل في معصرة للعنب، وكان يظن أن هذا العنب المعصور يباع عصيراً طازجاً للناس، ثم اكتشف بعد ذلك وعلم أن ذلك العصير يخمر ويباع خمراً للناس، فهذا العامل إذا ترك عمله فوراً وذهب ليعمل أو يبحث عن عمل آخر فيه خدمة نافعة للناس أو تاب عن عمله فإن الله سوف يغفر له عما سبق، لأن عمله في السابق كان يقع في مجال الجهل، وكذلك الشاب الجاهل الذي لم يكن يُقَدرُ الإيمان وأهميته كثيراً وعمل في نفس المعمل وهو يعلم أنه مصنع للخمور، ولكن بعد فترة طويلة أو قصيرة وصل إلى قناعة وإيمان أن مايعمله خطأ في حق نفسه وفي حق الناس، فتاب وترك العمل. كذلك يغفرُ له ربه. وهذا هو معنى الآية السابقة أن الله

سوف يغفر له عما سبق، وعمله عن جهل وجهالة. وكذلك مثلاً العامل الزراعي الذي كان يعمل في زراعة القنب الهندي وهو يعلم أو لايعلم أن ما يزرعه يستخرج منه الحشيش ليباع نوعاً من أنواع المخدرات ضرراً للناس، فإذا توقف عن عمله وتركه وتاب عنه يمكن أن يغفر الله له ماعمله سابقاً.

مثال آخر: أب يزوج ابنته الشابة من ثري بعمر أبيها أو جدها:

وهذا لايندرج تحت قائمة الأعمال، وإنما تحت قائمة الأفعال، لأن هذا الأب قد اقترف أكبر جريمة ظلم في حق ابنته الشابة من أجل المال.

مثال ثالث: عرس يقام في أحد المدن الإسلامية وبتكاليف خيالية كافية لحل مشكلة مائة شاب وشابة، من مشاكل السكن والزواج المستعصية في مجتمع المسلمين. فيها جناية الإسراف التي ينهى عنها الله، فهو لو دفع تلك الأموال لمنظمة إسلامية خيرية لفائدة المسلمين يجد ثوابه عند الله في الدنيا والآخرة، لكن أغلب أغنياء المسلمين اليوم لم يعودوا يؤمنون بيوم القيامة، فكل إيمانهم تحول وانحصر في جنة الدنيا وحدها وذلك أيضاً يندرج تحت أفعال السوء.

وأمثلة كثيرة، فهناك رجل مسلم يبيع عينيه وآخر يبيع كليته من الحاجة والفقر وجاره إلى جانبه متخم ولايشعر بضيق جاره. وهجرة خيرة الشباب الإسلامي إلى الغرب بحثاً عن الرزق والعمل، والبلاد الإسلامية تجمد أموالها إما بشكل أرصدة في البنوك الأجنبية، أو بشكل ذهب سبائك، أو بشكل ذهب موجود في معاصم السيدات، ولو استخدمت تلك الأموال المجمدة لشغّلت كل تلك الطاقات المجمدة من الشباب المسلم.

وهكذا فإن الأفعال السيئة لاتعد ولاتحصى، مع ندرة الأفعال الحسنة في بلادنا العزيزة. وكل ذلك من الأفعال الظالمة والضارة، لكن الاستثمارات والأعمال التجارية التي بدأت تنحرف عن الاستثمار والعمل التجاري السليم وتتحول إلى نوع من الاحتكارات والمضاربات التجارية الممنوعة أصلاً في الإسلام هي من الأعمال المفسدة في الأرض.

إن الأمثلة على الأعمال الفاسدة والمفسدة كثيرة في عصرنا الحالي خاصة في بلاد المسلمين، لأننا نذكر الله بألسنتنا بعد أن أسكنا الشيطان في قلوبنا. فلم يعد للرحمة والشفقة والإحسان أي معان حقيقية واقعية في حياتنا العملية. ففي سبيل المنفعة الخاصة أو مانسميها بالمصلحة نسينا كل القيم والمثل الأخلاقية. الكلام كثير والادعاء أكثر. لكن الأفعال الحقيقية للخير والإحسان قليلة ونادرة وكذلك الأعمال الصالحة.

هذه الإزدواجية حالة حقيقية يعيشها كل المسلمين اليوم.

ونحن جميعاً أحوج مانكون لأن نفهم كتاب الله الذي فيه كل الحقائق عن أمراضنا كلها، وفيه أيضاً الوصفات الناجعة والشافية لكل تلك الأمراض فالله لم يترك ولم ينس واحدة منها.

ومن أهم هذه الأمراض فهمنا الخاطىء للعمل ولكل مايتعلق بشؤون العمل الصالح المصلح في الأرض. ويجب أن نعلم أن تشخيص المرض وحده لن ينفعنا إذا لم نبادر بمعالجة الأمراض التي استفحلت فينا قبل أن نحاول معالجة أمراض جارنا. فالعلاج يجب أن يبدأ بالذات، من الفرد، من كل واحد منا لنفسه قبل ابنه. لنفسه قبل زوجته، لنفسه قبل أخيه، لنفسه قبل جاره، لنفسه قبل أهله. وإذا عدنا لكتاب الله وعالجنا أنفسنا به بصدق وإخلاص كان فيه الخلاص الحقيقي لكل مانعاني منه اليوم. ولن يتغير شيء حتى نبدأ ونتحرك. بتلك الخطوة السهلة الصعبة،فنحن المسلمين من أمهر الناس في إلقاء اللوم على الآخرين مع تنزيه الذات، دون أن نرى تقصيرنا وإهمالنا وعيوبنا أبداً.

في أغلب البلاد الغربية والأوروبية لاتجد عمالاً للتنظيفات العامة إلا الذين يعملون على نقل وتحميل النفايات على العربات الخاصة وجمعها، سواء من الأسواق أو من المناطق السكنية في أوقات محددة مرة أو مرتين في الأسبوع. أما تنظيف الشوارع أمام المحلات والبيوت فغالباً مايقوم بها أصحاب المحلات أو البيوت بأنفسهم دون حاجة إلى شرطة أو أوامر وتعليمات من البلديات. هذه الأعمال دخلت في مجال العرف والعادة للناس حتى في القرى، ولن تجد إنساناً يرمي بعقب سيكارة من يده مباشرة لأرض الشارع، سواء كان سائراً على قدميه أو راكباً في عربته أو على دراجته، علماً أنه ليس من يراقبه إلا نفسه وذاته، فهو قد وصل إلى مرحلة من احترام الذات لكي لايفعل مايؤمن بأنه خطأ، فالقاعدة تقول من يؤمن بشيء يجب أن يبدأ بالتطبيق على نفسه أولاً. وقد بدأت بهذا الموضوع لأنه من أبسط الأمور في حياتنا كلها. بينما نجد في كل البلاد الإسلامية ـ علماً أن الإسلام أول مايدعو إلى الطهارة والنظافة ـ أقل الناس التزاماً بالنظافة هم المسلمون في بلادهم، وقد لاحظت في أغلب العواصم الإسلامية وجود عمال نظافة ينظفون الشوارع يومياً لكن بدون نتيجة، لعدم وجود تجاوب شعبي من الناس، فالناس لايتعاونون في هذا الموضوع، فتجد النفايات منتشرة خاصة في الأحياء الشعبية وكأنه عن قصد.

قال لي أحدهم: لاتستغرب ذلك، إنهم يفعلون ذلك عن قصد لأنه المجال الوحيد المتاح لهم للتعبير عن احتجاجهم، فهي الحرية الوحيدة التي بقيت لهم من كل باقي الحريات. فهل هذا صحيح ياترى؟

من الملاحظ في كل البلاد الإسلامية صب كل الطاقات والإمكانيات في بناء مساجد ضخمة جداً وفخمة جداً في أغلب الأحياء السكنية من المدن، فلماذا لايفكر المسلمون بإنشاء مدارس ومستوصفات ومستشفيات وأندية رياضية للشباب والشابات كأقسام متصلة مع بناء المسجد نفسه، فإن نفس تكاليف المسجد تغطي كل هذه الخدمات، إذا تجاوزنا موضوع فخامة المسجد، وهذه كلها تكون مساهمات خيرية خدمة للشعب والوطن وطاعة لله وللرسول.

فالعمل الصالح واضح في القرآن الكريم بأنه العمل الذي يقوم به الإنسان خدمة لإخوانه من بني الإنس مسترشداً بهدي الله ونوره وحقه الموجود في كتاب الله، مؤتمراً بما أمر به ربه ومبتعداً عن كل مانهى عنه الرحمن أيضاً. لأن العمل بدون الاسترشاد بنور الله وكتابه ومنهجه قد يدخل في مجال الأعمال غير المرغوب فيها أو يكون من الأعمال المفسدة. والعمل إذا كان صالحاً ومصلحاً يوصف بأنه إصلاح في الأرض، وإذا كان فاسداً ومفسداً يوصف بأنه إفساد في الأرض، فالقرآن مثلاً يعلن اشتراط الله سبحانه أنه لنوال رضاه وجنته لابد من ثلاثة شروط لايمكن إغفال واحدة منها أبداً وهي:

ـ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتشتمل على الإقرار بالعبودية، وقبول الصراط المستقيم سبيلاً، والالتزام بحدود الله وحرامه وحلاله، مع التطوع بقبول العبادات الخمس والالتزام بتطبيقها.

ـ الإيمان باليوم الآخر، وتشتمل على الإيمان بالبعث بعد الموت، وبالإيمان بالحساب على أعمال الإنسان.

ـ العمل الصالح في الأرض.

﴿...مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ ـ ٦٩ المائدة.

وغالباً مايجمع الله سبحانه الإيمان به مع الإيمان باليوم الآخر في إيمان واحد معاً اختصاراً. كما في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَآءً الحُسنَى...﴾ - ٨٨ الكهف.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدخِلُهُم جَنَّاتٍ...﴾ - ٥٧ النساء.

هنا كما تلاحظون قال الله آمن أو آمنوا بشكل عام، ولكن في آيات أخرى فَصلَ الإيمان وشروطه والإيمان باليوم الآخر. وحتى يلفت الله نظرنا إلى أهمية بند العمل في شروط الله نجد آيات مثل:

﴿مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكَوةَ وَلَم يَخشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ - ١٨ التوبة.

هذه الآية قصد فيها الله أن لايذكر فيها العمل الصالح وأنزل بدلاً عنها الصلاة والزكاة لعلمه أن كثيراً من المسلمين سوف يخلطون الزكاة والصلاة بالعمل الصالح. فبين لنا ربنا في هذه الآية التي ذكر فيها الصلاة والزكاة مع الإيمان، والإيمان باليوم الآخر غير كافية لنوال رضى الله كاملاً، لأن العمل الصالح غير متوفر فيه وهو غير مذكور: فقال في نهاية الآية:

﴿...فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ - ١٨ التوبة.

ولم يقل لقد أصبحوا من أهل اجنة، والآية ناطقة بذاتها لاتحتاج لشرح أو تأويل أو تفسير من أحد.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَم يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعلَمُون * أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِم...﴾ - ١٣٥ - ١٣٦ آل عمران.

ساروا وراء أنفسهم الأمارة بالسوء عن جهالة أيضاً لفترة من الزمن، أو عن ضلال وإضلال من رفاق السوق، ثم يكتشف المسلم أنه كان على السبيل الخطأ، وأنه ظلم نفسه بارتكاب فعل الكبائر.

ويعترف لنفسه بخطئه ويعود إلي حصن الله تائباً مستغفراً قاصداً سبيل الصواب والصراط المستقيم، فيجد الله غفوراً رحيماً، ثم يلتزم بعد ذلك بما أمره الله به من عبادات ومن حرام وحلال، ولايتعد حدود الله أبداً، بل يسير على هديه مبعداً نفسه عن الوقوع مرة أخرى في حبائل الشيطان، ويختار لنفسه عملاً صالحاً يفيد به مجتمعه، فيكسب حَمدَ الناس وثقتهم ورضى الله والوالدين، ويأخذ أجرته في الدنيا، والله لن

ينس نصيبه من الأجر الذي وعده به على ذلك العمل في الآخرة، فينال به جنة الرضوان خالداً فيها أبداً.

﴿إلا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ...﴾ - ٦٠ مريم.

والله سبحانه يقصد بالإصلاح في الأرض المعنى المادي العملي ولايقصد المعنى المعنوي، بدليل استخدام الله لكلمة أصلح في القرآن الكريم.

﴿فَاستَجَبنَا لَهُ وَوَهَبنَا لَهُ يحيَى وَأَصلَحنَا لَهُ زَوجَهُ...﴾ - ٩٠ الأنبياء.

فالآية هنا في مجال الحديث عن النبي زكريا، فماذا يعني الله بعبارة: ﴿فأصلحنا له زوجه﴾. لنعد إلى دعاء زكريا إلى ربه:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرنِى فَرداً وَأَنتَ خَيرُ الوَارِثِينَ﴾ - ٨٩ الأنبياء.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَب لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ * فَنَادَتهُ المَلَئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى المِحرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّن اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّلِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَمٌ وَقَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذلِكَ اللَّهُ يَفعَلُ مَايَشَآءُ﴾ - ٣٨ - ٤٠ آل عمران.

من هذه الآيات نعلم أن زوجة زكريا عاقر وهذا مانع من موانع الحمل لسبب فيزيولوجي لابد من إزالته، وهذا الموضوع يعرفه تماماً أطباء وعلماء الحمل والأجنة اليوم. وبدون إزالة هذا المانع يستحيل الحمل هذه من سنن الله التي أوجدها الله واكتشفها الإنسان، وإذا أزال الإنسان المانع الفيزيولوجي يمكن للمرأة أن تحمل بشكل طبيعي. وهذه العملية هي عملية إصلاح، لذلك يقول الله الذي أزال فعلاً ذلك المانع الفيزيولوجي بأسلوب الله. فقال: ﴿...وَأَصلَحنَا لَهُ زَوجَهُ...﴾ لتحمل بعدها وتأتي بالنبي يحيى عليه السلام.

في القرآن الكريم آيات كثيرة مثل الآية التالية:

﴿...فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلايُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ - ١١٠ الكهف.

هنا ينصح الله سبحانه عباده بنصيحتين هامتين:

الأولى: أن يعمل عملاً صالحاً مصلحاً يقوم على فائدة الناس ونفعهم.

والثانية: أن لايشرك بعبادة ربه أحداً.

وقد يتساءل أحدنا كيف يمكن للإنسان المؤمن بالله الذي يعمل عملاً صالحاً ويسعى إلى تقوى الله أن يشرك بالله؟ إن الله يعلم أن الوقوع في الشرك سهل على المؤمنين الذي لايحرصون كفاية فيقول مثلاً بلسانه كل يوم مرات عديدة في صلاته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولكن بأفعاله الناتجة غالباً عن أوهامه يشرك بالله شيئاً آخر من دون شعور بذلك الاشراك كما حصل ويحصل الآن مع كل مسلمي هذا العصر تقريباً. وواقع حالهم ينطق ويشهد مؤيداً إشراكهم لظهور نقمة الله على أوضاعهم، بدل أن تظهر عليهم نعمة الله. وأغلب مسلمي اليوم يشركون بالله لاعتقادهم وهماً بوجود كتاب آخر مع كتاب الله يجب الإيمان بهما والعمل حسبهما وهما القرآن وأحاديث الرسول ﷺ الموجودة في أحسن أحوالها في الصحيحين. كل هذه الأمور من الإشراك الصريح بالله، وكما قلت دائماً إن الله لعلمه سهولة وقوع المؤمن بالإشراك بمثل هذه الأمور، قال سبحانه موضحاً للمؤمن الحريص:

﴿وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ إلا وَهُم مُّشرِكُونَ﴾ ـ ١٠٦ يوسف.

كثيرون من المسلمين اليوم، يظنون وهماً أن المؤمن والمسلم الحقيقي يجب أن يزهد بالدنيا ويسعى فقط إلى تحقيق جنة الآخرة، متناسياً بل متغاضياً عن كل آيات الله في كتابه العزيز والتي تؤكد كلها أن لاينسى المسلم الدنيا ونصيبه فيها، وأن الله خلقه واعتبر العمل الصالح من أهم العبادات وأهم الأمور التي يقوم بها الإنسان على الأرض، والله تعالى استخلف الإنسان على الأرض ليرى نتائج عمله ونتائج إصلاحه في الأرض من زرع وبناء وحضارة وإيمان وإصلاح ومحبة وتمسك بحبل الله وسبيله.

﴿وَقُل اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ـ ١٠٥ التوبة.

الآية واضحة ولاتحتاج لتأويل أو تفسير، لكن المنافقين الذين استلموا دفة توجيه الدين في الإسلام لم يهن عليهم أن يسير المسلمون بموجب تلك الآية، لأنها تؤدي حتماً إلى نجاحهم وتفوقهم في الحياة الدنيا، فحرفوا الآية وأمثالها من القرآن وأفهموا المسلمين عكسها، وقالوا للمسلمين إن العمل المطلوب منكم هو فقط العبادات وترديد اسم الله. وقد شرحت سابقاً نظرة أحاديث البخاري للعمل. فشوهوا بمثل تلك الأحاديث العمل الصالح وأبعدوه عن المسلمين، حتى الآية التالية فهموها بالمقلوب:

﴿وَابتَغِ فِيمَآ ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا وَأَحسِن كَمَآ أَحسَنَ

اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبغِ الفَسَادَ فِى الأَرضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ﴾ - ٧٧ القصص.

علماً أنَ المعنى واضح فالله تعالى يقول للمؤمن أني خلقتك في هذه الحياة الدنيا لتجعلها دار سعي للرزق والعمل والبناء، شريطة أن لاتجعلها هدفك وهمك الأكبر وتنسى الآخرة، فمن حق المؤمن الاستمتاع بما حلل الله له من الطيبات من غير إسراف ولا ترف ولا بخل ولاكِبرَ، قاصداً في سعيه الإكثار من عمل الخيرات. وكيف للمؤمن أن يكثر من الخيرات إذا كانت يداه فارغتان من مال الدنيا التي هي القوة الفاعلة والوسيلة لفعل أغلب الخيرات، فالمنطق يقول أن يكثر المؤمن من العمل الصالح ليزداد به رزقه، ومع ازدياد رزقه يزداد إحسانه وفعله للخير من دون الوقوع حتى بالإسراف في البذل والعطاء، حتى لايعود فقيراً فيحتاج إلى من يحسن إليه من جديد، لذلك نجد المحمود في الإسلام من الصفات دائماً هو الصفات الوسط. فالكرم مطلوب في الإسلام لأنه الحد الوسط بين الإسراف والبخل، والشجاعة مطلوبة من المؤمن لأنها الحد الوسط بين الجبن والتهور، والقناعة مطلوبة من المؤمن لأنها الحد الوسط بين الزهد والطمع، وهكذا كل الصفات المحمودة في الإسلام هي صفات الوسط. فالله سبحانه وتعالى ينهى عن التطرف يميناً أو يساراً فالتطرف مكروه بجميع أشكاله. فالإنسان الذي يسعى في هذه الدنيا من دون رادع أو وازع أو مبدأ أو خلق أو دين، كما نشاهد الذين يسعون للمال والدنيا في هذه الأيام غالباً، إنما قد خرجوا عن منهج الله في السعي لتحصيل جنة الأرض. فيسعون إلى خراب جنتهم ودمارها بأسرع مايمكن لأن شرههم للمال وطمعهم المتعاظم لتحصيله بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، منعهم من أن يلاحظوا أو يعطوا الأهمية لما يفسدون من طبيعة الأرض من إفساد الهواء المحيط بالكرة الأرضية وتلويثه بمخلفات الصناعة من الغازات الضارة. أو بما يفسدون به تراب الأرض من بقايا ونفايات تلك الصناعات على اختلاف أنواعها، أو بما يصبونه في البحار من بقايا تلك الصناعات من نفايات تلوث البحر عن طريق الأنهار التي تعود وتصب في البحار، أو بما يلوث البحر مباشرة مثل انسكاب البترول الخام في البحار نتيجة انفجار أو تحطم حاملات النفط العملاقة على سطحها. وتوقفهم عن دفع الزكاة أدى إلى انتشار الجوع والفقر والبطالة والفاحشة في الأمة، كل هذه الأمور تسبب كوارث بالنسبة للبيئة وللإنسان وللحيوانات التي تعيش في البر والبحر. والإنسان مكلف ومستخلف على هذه الأرض لإعمارها وإصلاحها وليس لخرابها وإفسادها.

﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِى النَّاسِ...﴾ - ٤١ الروم.

هذه الآية تنبيء بما حصل اليوم من فساد للبيئة في البر والبحر بما كسبت أيدي

الناس. والناس في كل عصر تأسرهم فكرة أن المال سبب للسعادة وسبب لتحصيل القوة، فيسعون للإكثار من جمع المال ظناً منهم أن خلودهم مرتبط بكثرة مايجمعون والله سبحانه يذكر هؤلاء الناس ويقول لهم:

﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم كَانُوا أَكثَرَ مِنهُم وَأَشَدَّ قُوَّةً وءَاثَاراً فِي الأَرضِ فَمَآ أَغنَى عَنهُم مَّا كَانُوا يَكسِبُونَ﴾ - ٨٢ غافر.

وهذا الوهم يكون سبباً في دمار أممهم وشعوبهم لأنهم ضيعوا منهج الله. وتلك هي سنة الله في الأرض. ولفهم هذه السنة سأضرب مثلاً بجسم الإنسان أو الجسم الحي من أي مخلوق حي على هذه الأرض ولله المثل الأعلى:

إن أي جسم لكائن حي يتكون من اجتماع لمليارات عديدة من الخلايا الحية ضمن حيز واحد مستقل هو جسم هذا الإنسان أو الحيوان، فلو فرضنا جدلاً أن كل خلية من خلايا هذا الكائن مخلوق مستقل وله عقل مستقل وجلست كل خلية لوحدها من كل تلك الخلايا لتفكر في مصلحتها الذاتية الخاصة بغض النظر عن مصلحة الكائن ككل وبدون فهم للقوانين والأنظمة المعقدة التي تنظم سلامة وصحة الكائن الحي كله، فخلايا العظام مثلاً تأتيها أوامر أن لاتتكاثر إلا كل شهر مرة، ولو فرضنا أيضاً أن خلايا الجلد تأتيها أوامر أن لاتتكاثر إلا كل خمسة عشر يوماً مرة، وتأتي أوامر لخلايا البنكرياس أن لاتتكاثر إلا كل أسبوع مرة. وهكذا كل نوع من أنواع الخلايا يأتيها قانون صارم للالتزام به في موضوع التكاثر. حتى يحافظ الجسم على شكل معين خلال حياته كلها بشكل طبيعي وسليم بلا إفراط ولا تفريط مع قيام كل نوع من تلك الخلايا بوظائف معينة ومحددة لخدمة الجسم.

والآن لنفرض أن عوامل خارجية من منبهات ومخرشات ومؤثرات كيميائية بدأت تضايق إحدى أنواع تلك الخلايا. وبما أننا افترضنا فيها العقل والإدراك منذ البداية، فلنفترض أنها أحست بالخطر وفكرت لوحدها فيه، وظنت أنها يجب أن تقوم برد فعل ما للعمل على إزالة هذا الخطر الجديد الذي ظهر في حياتها، فلا تجد في يدها شيئاً إلا التكاثر بسرعة ظناً أنها بذلك تحافظ على بقائها أكثر وأفضل. لكن كل هذه الخلايا التي لاترى لأبعد من محيطها فلا ترى مثلاً بقية الأنواع الأخرى من الخلايا الحية المتعايشة معها في نفس الجسم كما أنها لاتدرك ولاترى ولاتعلم أنها تعيش في جسم كائن حي متكامل سلامته مرتبطة بالتزام كل أفراد تلك الخلايا بتلك القوانين، وإلا لظهر عمل

الخلايا بالتوالد السريع بشكل مرض خطير يقضي على الكائن كله نسميه اليوم بالسرطان، ويقضي بالتالي بالموت أيضاً على الخلايا نفسها التي ظنت بتكاثرها أنها تحافظ على بقائها فدمرت نفسها بجهلها مع دمار الكائن كله في نهاية المطاف، وهذا مايحصل في أمراض السرطان، وهذا تقريباً هو مايحصل في المجتمعات التي يتحول أفرادها إلى خلايا سرطانية، ليس في التوالد الطبيعي فقط وإنما في جمع المال بدون التقيد بشروط جمع المال مع توقف في دفع الزكاة والصدقات فيحصر المال بيد فئة قليلة من الأمة، وحصره بالكامل في فئة دون الفئات الأخرى يخرب كل شيء جميل.

لذلك الله سبحانه يذكرنا دائماً في كتابه أن الخروج عن منهج الله بالنسبة للذين يسعون لتحصيل جنة الله في الأرض يسعون إلى خراب الأرض مع خراب جنتهم ودمارها بأسرع مايمكن من دون أن يلاحظوا ذلك. فالمال يجب أن يستثمر لصالح العدل الاجتماعي بإعطاء الزكاة دائماً لمستحقيها لمنع تراكم المال في يد فئة واحدة من الناس ومنعها عن فئة أخرى. لأن هذا المنع يسبب مواتاً في بعض أقسام جسم المجتمع ينتج عنه موت المجتمع كله ودماره في النهاية، ولولم تلاحظ ذلك الفئة التي تكالبت على جمع المال بكل الوسائل. فبدل استخدام المال كقوة إيجابية للمجتمع ذاته إصلاحاً في الأرض وعدلاً بين أفراده، استخدم للتجبر والتعسف والتكبر والإفساد في الأرض، عندها يجابه سنة الله وإن كان يجهلها (إن من يفعل ذلك يسعى إلى دمار ذاته من دون أن يعلم).

نموذج لفهم معاني آيات سورة النحل المكية بشكل مباشر من القرآن: مع إظهار علاقة هذه السورة بمفهوم العمل باعتبار أنها مثل من الله تعالى عن العمل المنتظم تنظيماً إلـهياً:

قد يظن المسلم الذي يسمع عن سورة النحل ثم يقرأها لأول مرة أنه قد أخطأ السورة المقصودة، لأنه سوف يفاجأ بأنه لن يسمع أي شيء عن النحل في بداية السورة، ثم يكتشف أن الآيات التي تعرض الله تعالى فيها عن النحل هي آيات معدودات في تلك السورة العظيمة التي تحوي أشياء كثيرة، تتناول مواضيع شتى بأسلوب إلهي معجز:

﴿أَتَى أَمرُ اللَّهِ فَلا تَستعجِلُوهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾ - ١ النحل.

الله تعالى يخاطب كل الناس من الذين أتوا من بعد نزول هذه الآية على الأرض

وإلى يوم الدين، ويقول لهم: بشراكم، لقد أتى أمر الله إليكم ضمن كتاب الله فلا تستعجلوه، لأنه سبحانه سوف ينزله منجماً على قلب رسوله الأمين خلال ثلاث وعشرين سنة، وأمر الله في كتابه يختلف كثيراً جداً عن كل مالدى الإنسان من كتب يشرك بها مع كتاب الله ظناً ووهماً أنها أيضاً من الله وهي ليست كذلك.

والمشركون سابقاً ولاحقاً موقفهم واحد لكن الله لم يكلمنا كثيراً عن المستقبل بل كلمنا عن الماضي حتى نتعظ: فكل من له عقل وبصيرة من مسلمي اليوم ويجد قومه وآباءه يشركون مع كتاب الله كتباً أخرى ظناً منهم أنها من الله، يجب أن يقول ماقاله سبحانه في القرآن على لسان هود عليه الصلاة والسلام:

﴿...قَالَ إِنِّي أُشهِدُ اللَّهَ وَاشهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشرِكُونَ﴾ - ٥٤ هود.

وسنة الله في الأرض أن ينزل الوحي على أحد عباده المختارين فيكلفهم بمهمة الرسالة والنبوة لينذر به كل الأقوام والأمم في الأرض، حتى لايكون لأحد منهم حجة يوم القيامة أنه لم يسمع عن الرحمن شيئاً ولا عن الحق والنور والعدل من رسوله الإنسان الذي يكلمه بلغته.

﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ أَن أَنذِرُوا أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ - ٢ النحل.

وكما نعلم من كتاب الله فالله حق ويخلق بالحق كل الحقائق في الكون وفي الأرض، فليس عند الله أحلام ولا أوهام ولا ظنون ولا أباطيل، وإن دخل من ذلك إلى نفوسنا شيئاً فهو دائماً من جهلنا ومن شياطيننا، لأن الشيطان هو الذي يمثل الباطل والوهم والظن في هذا الكون بإذن الله.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾ - ٣ النحل.

ثم ينتقل سبحانه إلى الحقيقة الأولى عن الإنسان أن الله تعالى بدأ خلقه بداية من نطفة (خلية مفردة) وهكذا يعلمنا الله تعالى أن محور حياة الكرة الأرضية ومخلوقاتها كلها هو الإنسان الذي فضله على باقي مخلوقاته في تلك الأرض، بدأ خلقه بدايةً من خلية واحدة. وهي كانت بداية خلق الإنسان في عملية تطور طويلة جداً بالنسبة لأزمنتنا الأرضية.

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ - ٤ النحل.

ثم يحاول ربنا أن يلفت نظرنا إلى نعم الله في الأرض ومنها:

﴿وَالأَنعَامَ خَلَقَهَا لَكُم فِيهَا دِفءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنهَا تَأكُلُونَ * وَلَكُم فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ * وَتَحمِلُ أَثقَالَكُم إِلَى بَلَدٍ لَّم تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُم لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ـ ٥ ـ ٧ النحل.

وكما نلاحظ فإن الله تعالى يلفت نظر الإنسان في مخلوقات الله من حوله إلى شيء آخر غير المنفعة المادية. يلفت نظر الإنسان إلى الناحية الفنية الجمالية فيها:

﴿وَلَكُم فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ﴾ ـ ٦ النحل.

وتلك لم تكن المرة الأولى ولا الأخيرة حيث لفت الله نظر الإنسان للناحية الجمالية:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ ـ ٦ الصافات.

﴿...وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنيَا بِمَصَابِيحَ...﴾ ـ ١٢ فصلت.

﴿...حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَهَا وَازَّيَّنَت...﴾ ـ ٢٤ يونس.

﴿قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزقِ...﴾ ـ ٣٢ الأعراف.

﴿وَالخَيلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا وَزِينَةً...﴾ ـ ٨ النحل.

﴿إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى الأَرضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلاً﴾ ـ ٧ الكهف.

﴿اعلَمُوا أَنَّمَا الحَيَوةُ الدُّنيَا لَعِبٌ وَلَهوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَينَكُم...﴾ ـ ٢٠ الحديد.

﴿يَابَنِى ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ...﴾ ـ ٣١ الأعراف.

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ الحَيَوةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَينَ أُمَتِّعكُنَّ وَأُسَرِّحكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ ـ ٢٨ الأحزاب.

﴿وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو ءَابَآئِهِنَّ....﴾ ـ ٣١ النور.

آيات كثيرة يذكر فيها سبحانه الزينة والجمال في الأشياء والمخلوقات.

فموضوع التناسق والتناغم وعدم التنافر بالشكل واللون، وحتى بالطعم والرائحة والصوت، لكل مخلوقات الله التي حولنا موضوع هام يجب على الإنسان المتأمل في خلق الله الدارس والباحث عن أسرارها، فالإنسان المتأمل المفكر المتفكر في خلق الله يمكن أن يرى الله تعالى في مخلوقاته، يراه في الوردة وتناسقها شكلاً ولوناً ورائحة وحجماً ووزناً.

يمكن أن يرى الإنسان عظمة الله وإبداعه في الخلق من منظر فراشة على زهرة، أو في عصفور يغرد على غصنٍ من شجرة ظليلة، إن مخلوقات الله كلها تتصف بالدقة

والإبداع بالشكل والمضمون. فالعصفور آية في كل ما خلق له، والسمكة آية في كل ماخلقت لها وبما يحيطها، فلا يمكن أن تكتشف في العصفور عيوباً تمنعها من أداء مهمتها، وكذلك لايمكن أن نكتشف في السمكة عيوباً تمنعها من الحياة في الماء، فشكل كلاهما آية في الكمال لما خلقت لها ولايمكن للإنسان أن يجد مايمكن تعديله في تصميمها أبداً.

وكذلك الإنسان:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحسَنِ تَقوِيمٍ﴾ - ٤ التين.

ولم يترك الله الإنسان بعد خلقه جاهلاً بل زينه بالعلم:

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾ - ٥ العلق.

وكل ذلك كان في تفكير وتدبير من الله تعالى مبدع كل شيء.

مبدع الأكوان كلها رب العالمين.

والماء هو عنصر الحياة على الأرض وهو الرزق الحقيقي الذي ينزل إلينا في كل موسم إلى الأرض:

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ١٠ - ١١ النحل.

فالمتأمل المتفكر في خلق الله سوف يجد في ذلك الزرع المختلف ألوانه وأنواعه وثماره، فمنه مايصبح خبزاً وهو من الزرع، ومنه مايصبح دهناً وهو الزيتون، ومنه مايصبح سكراً وهو النخيل، ومنه مايصبح حامضاً فترة وهو من الأعناب في وقت الحصرم ثم يتحول إلى عنب شهي المذاق ويصبح بعد ذلك زبيباً ويبساً، وكلها تخرج من نفس التربة ويسقى من نفس الماء، ومايحولها إلى كل ذلك إلا قدرة الله تعالى وتدبيره.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ١٢ النحل.

إذا نظرنا حولنا في هندسة الكون فلا نجد من فوضى ولاتنافر ولا اصطدامات، وليس في الكون والعلم صدف عمياء بل كل شيء محسوب حساباً دقيقاً، الليل

والنهار وطولهما بالنسبة للأرض جرى حسابه بدقة حتى لاتزداد الحرارة من طول النهار ولاتشتد البرودة من طول الليل. بعد الشمس عن الأرض مقدر ومحسوب بدقة. ميل محور الأرض على مستوى دوران الأرض حول الشمس خلال دورتها الفلكية محسوب ومقدر لتعطي الفصول الأربعة في أقطار الأرض كلها خاصة المأهولة منها. دوران القمر حول الأرض دورات منتظمة لمعرفة الأشهر ثم الدورة الاقترانية كل تسعة عشر عاماً مرة بين الشمس والقمر بحيث يمكن بواسطتها مطابقة السنين الشمسية مع السنين القمرية حتى يعلم الإنسان الفصول الأربعة، المهمة جداً بالنسبة للزراعة والدورة الزراعية على الأرض. وكما أنها مهمة أيضاً بالنسبة للحيوانات كلها التي تتوالد عادةً في موسم محدد، فحرم الله الأشهر الأربعة التي يتم توالد الحيوانات فيها ويتم فيه الحمل والإرضاع من كل سنة، ولولا أن العرب والمسلمين كانوا يعرفون تلك القاعدة من قبل كما كان يعرفها أهل الكتاب فليس من أي معنى لوجود أشهر اسمها ربيع أول وربيع ثاني إذا كانت تلك الأشهر لاتصادف دائماً وفي كل عام أشهر الربيع في المواسم الزراعية. لكن غرق المسلمين في الجهل خلال عصور الظلام. وبعد دخولهم للكهف نسوا كل الحقائق التي في الكون فلم يعودوا يعلمون من بعد علم شيئاً.

ولم يعد أحد منهم يعلم أن أجدادهم كانوا يضيفون إلى الأشهر كل ٣٢ شهر شهراً اسمه النسيء أي الشهر الذي يأتي متأخراً فقط من أجل المطابقة للسنة القمرية مع السنة الشمسية بانتظام ودوام(*).

﴿وَمَاذَرَأَ لَكُم فِي الأَرضِ مُختَلِفاً أَلوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لِّقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ - ١٣ النحل.

إن هذا الموضوع من المواضيع الهامة في الطبيعة، فلو أن الله خلق كل الأشياء بلون واحد في الطبيعة لاختلطت الأمور على الناس، ولما استطاع الإنسان تمييز منطقة عن منطقة أخرى، وجبلاً عن جبل آخر، بينما كون صخور أحد الجبال بيضاء وأخرى رمادية وثالثة بنية ورابعة سوداء وخامسة تميل للاحمرار، مع اختلاف ألوان الأشجار وأوراقها خلال مواسم السنة، واختلاف ألوان المزروعات والثمار تعطي بحسب اختلاف ألوانها قدرة على التذكر والتمييز عدا مالتأثير العامل اللوني على جمال الطبيعة، بما تأخذه من ألوان مختلفة بحسب الأضواء في مختلف الأوقات صباحاً أو مساء أو بحسب المواسم الأربعة في السنة.

(*) راجع بحث الأشهر الحرم والتقويم الهجري في هذا الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحرَ لِتَأْكُلُوا مِنهُ لَحماً طَرِيّاً وَتَستَخرِجُوا مِنهُ حِليَةً تَلبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ـ ١٤ النحل.

هذه الآية تعدد فوائد البحار للإنسان المتأمل: ومن تلك الفوائد القريبة التي يراها الإنسان مايصطاد منها من الحيوانات والأسماك، ويستخدمها طعاماً لما تمتاز به لحومها من الطراوة والليونة وهذه حقيقة علمية من حقائق الله في القرآن قياساً على لحوم الحيوانات البرية، ويذكر الله الإنسان بما يستخرج من البحار من لؤلؤ ومرجان ليصبح حليةً، كما جعل سبحانه إمكانية طفو السفن عليها بالدافعة التي اكتشفها أرخميدس. فيستخدم الإنسان السفن كوسائل للنقل رخيصة تسير بالأشرعة وقوة الرياح. ومن الفوائد البعيدة التي قد تغيب عن البعض وهي الفائدة الأهم من كل تلك المذكورة سابقاً في قوله تعالى: ولتبتغوا من فضله، والضمير في فضله يعود للبحر، لأن الكلام كله كان عن البحر وليس عن الله تعالى فما هو فضل البحر، بمعنى مايفضل من البحر؟ وذلك هو مايتبخر منها نتيجة تأثير حرارة أشعة الشمس فتصبح بعد ذلك سحاباً ثم مطراً يهطل بحسب المواسم في القارات. حتى تستخدم في سقاية المزروعات ويتشكل ،منها أنهاراً تستخدم في الزراعة والمواصلات. وهذا الماء هو الرزق الحقيقي الذي ينزل من السماء للناس وينتظره الإنسان من الله، ولولا ذلك الرزق أو ذلك الغيث لتوقفت الحياة على الأرض، وإن استمرت في البحار حياة الحيوانات البحرية. ولا يغيب عن ذهننا أن مياه البحار يجب أن تحوي على أوكسيجين من الهواء من أجل تنفس كل الأحياء التي في البحار، وذلك الأوكسجين في البحار يتشكل من عوامل كثيرة وهي حركة الأمواج حركة شديدة بحيث تتكسر الأمواج مشكلة رغوة بيضاء، وفي تلك الرغوة يختلط أوكسجين الهواء مرة أخرى في مياه البحر، وهكذا نستطيع أن نتخيل أن البحار تتنفس دائماً فتطرح غاز الفحم وتأخذ الأوكسجين من الهواء بشكل دائم من أجل حياة الحيوانات فيه وكذلك الحال بالنسبة للبر حيث الغابات والمزروعات كلها تطرح غاز الفحم في الليل وتبدأ بطرح الأكسجين اعتباراً من الصباح الباكر لذلك نجد الله تعالى يقول واصفاً ذلك في كتابه المبين:

﴿وَالصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ـ ١٨ التكوير.

فمن الذي قَدر وحسب لكل هذه الأمور إن لم يكن رب العالمين؟

﴿وَأَلقَى فِى الأَرضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُم وَأَنهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ ـ ١٥ النحل.

إن من يعلم أن في باطن الأرض سائل ملتهب يراه كل الناس أحياناً في البراكين المتفجرة في العالم، حيث يسيل ذلك السائل الناري الملتهب أنهاراً فوق الأرض ثم عندما يُبرد يشكل صخوراً. الجبال ألقاها الله في ذلك السائل الناري كراسيات السفينة تلقيها في البحر عندما تريد التوقف والثبات وتمنع السفينة من الحركة. ووجه الشبه بين رواسي السفينة والجبال هو في وظيفتها لأنها أيضاً استخدمها سبحانه لمنع حركة القارات حركة زلزالية قوية تمنع إعمار الأرض وسكناها. الجبال مثبتات للقشرة الأرضية من الحركة:

﴿وَأَلقَى فِى الأَرضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُم...﴾ - ١٥ النحل.

أي أن تتحرك بكم الأرض وتهتز. وهي إحدى فوائد الجبال الأساسية هذه حقيقة علمية لم تعرف إلا في القرن العشرين عن القرآن الكريم، ومن فوائد الجبال الأخرى الهداية للقوافل السائرة على الأرض فتصبح علامات يُهتدى بها. لتدقيق ومعرفة الاتجاه الصحيح.

وهكذا فإن نعم الله كثيرة لاتعد ولاتحصى للمتأملين المتفكرين في خلق الله وإبداعه:

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللَّهِ لا تُحصُوهَآ...﴾ - ١٨ النحل.

ثم يبين الله تعالى لكل المشركين أن كل من تعتقدون به وتؤلهونه من غير الله إن كان من الرسل أو من الناس أو من الجن أو الشجر أو الكواكب أو الشمس والقمر كلها مخلوقات عاجزة ليس بيدها شيء ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، لاتستطيع أن تنفع نفسها ولا أن تضرها إلا بإذن الله أبداً. لذلك فكل من يشرك بالله رسولاً ويعتقد فيه القدرة على المعجزات والكرامات أو بيده وحده التحليل والتحريم والخلق والأمر والشفاعة جميعاً من يعتقد بوجود الأولياء والصالحين ووجود قوى ذاتية لها تستطيع أن تنفع أو تضر هو من المشركين الواهمين، ويبين لنا ربنا حقيقة ذلك في الآية التالية:

﴿وَالَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخلُقُونَ شَيئاً وَهُم يُخلَقُونَ * أَموَاتٌ غَيرُ أَحيَآءٍ وَمَا يَشعُرُون أَيَّانَ يُبعَثُونَ﴾ - ٢٠ - ٢١ النحل.

وهذه الآيات تنطبق على كل الأنبياء والرسل من محمد رسول الله، إلى آخر الأولياء والصالحين الذين يؤمن ويعتقد بهم المسلمون، إنهم جميعاً أموات غير أحياء ولايعلمون في أية لحظة يمكن لله أن يبعثهم من جديد وهم غير قادرين على أي شيء إطلاقاً، ولا أن ينفعوا أحداً إلا بأذن الله، فهو الوحيد القادر على النفع والضرر، لذلك

يجب التوجه إليه فقط بالدعاء والرجاء دون غيره أبداً، لأنه هو وحده أرحم الراحمين وأرحم من عباده قطعاً، وكل ماعدا ذلك إشراك بالله مع الأسف الشديد. ثم يعلمنا ربنا بعد ذلك أن الذين أصلحوا بالأعمال وأحسنوا للناس وللأحياء في هذه الحياة الدنيا سوف يوفيهم ربهم أجورهم بما يستحقونه بحسب سعيهم السابق وإحسانهم، ويوصينا جميعاً بأن الدار الآخرة خير وأبقى من هذه الدنيا، علماً أن لهم نصيبهم منها ولهم حق التمتع بها وبطيباتها وحلالها، فالمتقين لهم الجنتين الأولى والآخرة.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُم قَالُوا خَيراً لِّلَّذِينَ أَحسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعمَ دَارُ المُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدنٍ يَدخُلُونَهَا تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ لَهُم فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَلِكَ يَجزِى اللَّهُ المُتَّقِينَ﴾ - ٣٠ - ٣١ النحل.

أما الذين ظلموا أنفسهم فكانوا يعملون في هذه الدنيا الأعمال الفاسدة ويفعلون السيئات فلقوا مايستحقون من عقاب مناسب:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشرَكُوا لَو شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدنَا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ نَّحنُ وَلآ ءَابَآؤُنَا وَلا حَرَّمنَا مِن دُونِهِ شَيءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَهَل عَلَى الرُّسُلِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٣٥ النحل.

وهكذا رأينا الذين آمنوا ثم رأينا الذين كفروا وأخيرا رأينا الذين أشركوا، إنهم بقوا في أوهامهم وفي ظنونهم فكما أنهم ظنوا في الحياة الدنيا أن لامشيئة لهم ولا إرادة لهم على الإطلاق فتوهموا لوحدهم أن كل شيء مقدر ومكتوب سلفاً، لأعمارهم وأرزاقهم وأعمالهم وحتى مصيرهم الأخير للجنة أو للنار، وبحسب ذلك لم يبق لهم شيء على الإطلاق وهذا هو منتهى الإشراك بالله. لأنهم آمنوا بكتب الوهم وتركوا كتاب الحقائق الذي هو القرآن الكريم. وهكذا هم كل المشركين في العالم يعيشون في أوهامهم العزيزة ولايحبون أن يستفيقوا منها أبداً، وعدم إستخدامهم لعقولهم ليس ذنب أحد بل هو ذنبهم وحدهم فهم الذين يتحملون الآن وفي كل آن نتائج اشراكهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَد بَعَثنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنهُم مَّن هَدَى اللَّهُ وَمِنهُم مَّن حَقَّت عَلَيهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَانظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ - ٣٦ النحل.

ويختصر الله سبحانه وتعالى لنا تاريخ كل الشعوب والأمم في آية واحدة ناصحاً أن يترك الناس دين السلطان «لطاغوت» ليتبعوا دين الرحمن.

فالقصة واحدة تتكرر مع كل الشعوب ومع كل الأمم: الله تعالى يرسل عادة الرسل لكل الأمم من أجل أن تعرف حقوقها وشرعها الإلهي الذي يحفظ حقوقها كاملة في هذه الأرض. مبيناً لهم سبيل الله الوحيد حتى يتبعوه ويسيروا بموجبه على صراطه المستقيم الذي يتلخص بعشر وصايا دائمة، مبيناً لهم الحرام والحلال والممنوع والمسموح وماهي العبادات المطلوبة من الإنسان سواء كان رجلاً أم امرأة حتى يصبحا من المتقين ثم يبين لهم شرع الله وقانونه مانحاً الإنسان حقوقه وحرياته ومبيناً حقوق وواجبات أولي الأمر منهم.

لكن الطاغوت وملأه الذين أسميهم بالسلطان وجنوده في كل أمة لايعجبهم ما يأتي به كل الرسل من رسالات، ولايعجبهم شرع الله للناس، لأن كلاهما فيه المصلحة العامة للناس، السلطان لايبحث عنها وإنما يبحث عن مصلحة الأقلية الحاكمة كما يسميها أعوانه بالنخبة. وكيف يعجبهم شرع الله الذي يمنعهم من الاستبداد والانفراد بالحكم والجاه والمال لوحدهم ليبقى سواد الأمة يقاسون وحدهم من الفقر والحاجة والظلم والاستبداد وأكل حقوقهم، لذلك يسنون لهم شرعاً آخر وسنناً أخرى خدمة لمصالحهم التي تفوت على غالبية الأمة المبعدة قصداً عن العلم والعلوم والمعرفة والمعارف، كما فعل فرعون وكهنته بشعب مصر، وفعل مثلها بعدهم كل قياصرة روما وروسيا مستعينين أيضاً برجال الدين المسيحي. وكما فعل مثلهم أيضاً سلاطين وخلفاء المسلمين مستعينين برجال الدين الإسلامي في كل العصور السلطانية.

ومن أراد منا أن يرى الحقائق فالله تعالى يطلب منه أن يسير في الأرض ويدرس ماذا حصل في التاريخ لكل الأمم السابقة واحدة بعد أخرى. نفس القصة تتكرر مع الزمن. كما رأيتم الطاغوت بأسماء مختلفة مستعيناً برجال يدعون الدين ويستخدمونه مهنة لإرضاء السلاطين يفترون له شرعاً وسنناً تناسب مصالحهم. ناسخين شرع الله وسننه الصحيحة بحجج مختلفة، وقد تختلف الوسائل لكن النتائج واحدة والهدف مشترك وواحد دائماً مع الطغاة.

تلك الفئة التي تنغمس في الترف والملذات وتؤمن بخلود الدنيا وتنكر الآخرة. وإن كانوا يدّعون غير ذلك اضطراراً عندما يخاطبون الشعب فيقولون لهم: أما أنتم أيها الأعزاء الأوفياء فلكم الدار الآخرة خالصة لكم وحدكم وإذا ظلمناكم في الدنيا عليكم أن تشكونا لربكم الذي في السماء يوم القيامة التي هم بها كافرون.

﴿وَأَقسَمُوا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمَانِهِم لايَبعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعداً عَلَيهِ حَقًّاً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٣٨ النحل.

ومع أنهم لايؤمنون بالآخرة فالله تعالى يقول:

﴿...بَلَى وَعداً عَلَيهِ حَقًّاً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٣٨ النحل.

أي أن يوم القيامة للأموات حق. ويوم الحساب حق ويوم توجه أهل اليمين لدار السلام والنعيم حق، ويوم توجه أهل الشمال لدار الجحيم حق. وفي ذلك اليوم سوف يعلمون بكل الحقائق التي اختلفوا فيها هنا في هذه الدينا ولسوف يعلم الكافرين أن كل أقوالهم وشرعهم وسننهم كانت كاذبة، وهم يعلمون بكذبها، كذلك كان الله يعلم بكذبها منذ البداية فلن يستطيعوا أن يخدعوا أحداً إلا الذين ظلموا أنفسهم بتركهم المنطق والعقل الذي هو ميزان الله في معرفة الحق من الباطل فلم يستخدموه، بل آمنوا بمشايخهم وهم لايعلمون شيئاً عن نواياهم واتبعوهم فأشركوا بالله فاستحقوا حكم الله وهو حرمانهم من جنة الدنيا التي أخذها كاملة السلطان وأعوانه وليس لهم أيضاً في الآخرة من نصيب.

﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرضِ مِّن دَآبَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُم لا يَستَكبِرُونَ﴾ - ٤٩ النحل.

ألا يرى الإنسان أنه هو المخلوق الوحيد في هذه الأرض الذي يستكبر ويتجبر ويكفر بالله ولايريد السجود له، مع أن كل المخلوقات الأخرى في كل هذا الكون الفسيح، من مجرات ونجوم وشموس وكواكب وأقمار ومن مخلوقات الأرض الأخرى ومخلوقات السماء من الملائكة، كل ذلك يسجد ويطيع الله ويسبح بحمده ولا يستطيع أحد أن يرفض لله أمراً ولا طلباً إلا هذا الإنسان الذي أعطاه الله حرية الإرادة والاختيار بين الفكر والإيمان من دون ضغط أو إكراه ومن دون تدخل في مشيئة الإنسان بمشيئة سابقة من الله تعالى بعدم التدخل.

إذا جعلنا القرآن دليلنا الوحيد للإجابة على كل تلك التساؤلات لوجدنا الحقيقة كاملة في كتاب الله وحده، وإن اعتمدنا على غير القرآن من الكتب كانت نتيجتها الفشل والضلال والضياع في متناقضات الأجوبة التي لاعلم فيها بل الظن والوهم والباطل والاختلاف فماذا يقول القرآن؟

فالله تعالى يقول لنا في كتابه أنه خلقنا ليختبرنا حتى يعلم منا الأمور التالية:

﴿...وَلِيَعلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ - ١٤٠ آل عمران.

﴿أَمْ حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ ا ُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ - ١٤٢ آل عمران.

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ - ١٦٧ آل عمران.

﴿...لِيَعلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالغَيبِ...﴾ - ٩٤ المائدة.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تُترَكُوا وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم...﴾ - ١٦ التوبة.

﴿...وَلِيَعلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيبِ...﴾ - ٢٥ الحديد.

﴿لِيَعلَمَ أَن قَد أَبلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِم وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيهِم وَأَحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ - ٢٨ الجن.

وهكذا نكتشف من القرآن الكريم أنه لم يخلقنا عبثاً، بل خلقنا حتى يعلم عنا أشياء بالتفصيل ومن أجل ذلك ترك لنا حرية المشيئة الأولى والاختيار الأول، وتركها لنا حتى نكون مسؤولين مسؤولية كاملة عن كل اختياراتنا وأعمالنا وأفعالنا. فالله تعالى شاء أن يعلم كما رأيتم من هو الذي سيُغلّب قوة ميزانه وعقله وفكره على شهواته وأهوائه، فيرفعه الله تعالى بذلك الاختيار إلى مستوى المتقين ويكرمه في الدنيا بجنتها وفي الآخرة بجنة الرضوان.

وكما شاء أن يعلم من الذي سوف يختار الكفر بإرادته ويختار الميل مع شهواته الأرضية باتجاه الأرض وتميل نفسه مع الشيطان لهذه العاجلة التي زينتها له نفسه كافراً بالآخرة فيجعله الله من سكان الجحيم.

وكما شاء أن يعلم من الذي سوف يختار الإشراك بالله فيتخذ إلهين أو يشرك بالله فيجعل لله كتابين أو سنتين أو وحيين أو كلامين أو حديثين، كل ذلك من الإشراك الواضح بالله تعالى شيئاً والسنة والهدي والشفاعة من الأشياء التي نهانا عنها سبحانه أن نشرك بها معه.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَينِ اثنَينِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارهَبُونَ﴾ - ٥١ النحل.

والناس عادة وخاصةً رجال الدين الذين مالت نفوسهم للدنيا يعرفون ويحرفون، فإذا وقعوا في حرج عظيم من الله عادوا للتوحيد إلى أن ينقذهم الله من ذلك الضيق أو الحرج بعدها يعودون إلى سابق عهدهم.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَابِكُم مِّن نِّعمَةٍ

فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ * لِيَكفُرُوا بِمَآ ءَاتَيناهُم فَتَمَتَّعُوا فَسَوفَ تَعلَمُونَ * وَيَجعَلُونَ لِمَا لَا يَعلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقناهُم تَاللَّهِ لَتُسئَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَفتَرُونَ * وَيَجعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَومِ مِن سُوءِ مَابُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَآءَ مَا يَحكُمُونَ * لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالأَخِرَةِ مَثَلُ السَّوءِ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ - ٥٢ - ٥٩ النحل.

إن صفة الإشراك هي الصفة العامة التي تجمع أغلب أتباع الأديان في العالم اليوم، وهذه حقيقة لم تفاجىء الله تعالى بل أنه هو الذي يعلمنا عن تلك الحقيقة في الآية الكريمة:

﴿وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ إِلا وَهُم مُّشرِكُونَ﴾ - ١٠٦ يوسف.

وكما شرحت مراراً فأصحاب السلطة وملأهم هم دائماً الداعون الحقيقيون لتلك الحالة الدائمة التي تسببها مصالح السلطان وقلة تبصر الشعوب والأمم في مواضيع الأفكار الدينية التي يروج لها السلاطين وأتباعهم، فيقعون في الإشراك جهلاً وغفلة. ويؤمنون بما يضرهم ويكفرون بالذي ينفعهم. فيصبح من طبع الناس الإشراك بالله إشراكاً خفياً وهم يعتقدون أنهم من أحسن المؤمنين بالله والمتقين. فتتغير مواقفهم بعد عمليات غسيل الدماغ التي يقوم بها رجال دين السلطان بصورة دائمة في المعابد أو المساجد أو الكنائس. فتصبح الشعوب كلها عجينة مشابهة لبعضها وكلها مشركة بالله والمسلمون اليوم إذا قلت لهم لا إله إلا الله ولا كتاب إلا كتابه ولا هدي إلا هديه ولا سنة إلا سنته ولا حديث إلا حديثه ولا شفاعة إلا شفاعته كفروا وإن قلت لهم كل ذلك جاعلاً الرسول محمد ﷺ شريكاً في السنة والهدي والشفاعة والحديث آمنوا.

﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحدَهُ كَفَرتُم وَإِن يُشرَك بِهِ تُؤمِنُوا...﴾ - ١٢ غافر.

كل الشعوب والأمم والأديان كما رأيتم تقع فريسة ذلك الإشراك بالله من جديد، ولكن لابد في النهاية أن تخرج أمة تتمسك بكتاب الله من جديد ولا تريد أن تحيد عنه، وتجبر سلاطينها على إطاعة حكم الله ليس بالعنف والقوة ولكن إرادة الأمة إذا توحد رأيها تصبح أقوى من أي قوة سياسية أخرى لايمكن لأحد أن يرفضها، وهذا قادم وسوف يحصل على هذه الأرض وسوف يتحقق لكتاب الله الذي هو القرآن الكريم ولو كره المشركون والكفار معاً، والدليل هو قول الله وهو أصدق القائلين ولايقول ذلك في كتابه عبثاً:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ - ٣٣ سورة التوبة.

قد يظن البعض أن هذا قد حصل وانتهى فأقول لهم إنكم مخطئون والدليل أيضاً من القرآن الكريم:

- إن الله تعالى أرسل هذا الدين للناس كافة وهو لم يبلغ للناس كافة بعد.

- إن الله تعالى لم يرسل مع هذا الدين أي معجزات من البصائر مثل معجزات موسى وعيسى، وبين الله سبب ذلك بأنه اختار أن تكون معجزات هذا الدين من نوع آخر يمكن رؤيته من كل الناس في كل زمان ومكان، ولكن يشاء الله أن لاتظهر معجزات هذا الكتاب إلا في القرن العشرين، ومعنى ذلك بأن الله لم يجعل توقيت ظهور معجزات كتابه في القرن العشرين قرن العلم عبثاً بل إنه يريد أن يقول لنا من خلال ذلك أن رسالة الإسلام الحقيقية سوف تبدأ الآن، ولم تبدأ بعد، وأن هذا الدين سوف يعم الأرض شاء أم كره المشركون، لأن معجزات الكتاب لايمكن أن يرفضها عالم أو عاقل أبداً لأنها تخاطب أصحاب العقل بالمنطق، أما أهل الجهل فسوف يبقون على كفرهم وإشراكهم حتى ينتهي دورهم.

﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ...﴾ - ٥٤ الحج.

أذاعت محطة أمريكية للتلفزيون خبراً عن عالم مسلم آمن بالقرآن وآياته وصحتها العلمية فلفتت نظره الآية الكريمة:

﴿اذهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلقُوهُ عَلَى وَجهِ أَبِى يَأتِ بَصِيراً...﴾ - ٩٣ يوسف.

فقال العالم لنفسه طالما ليس عند الله أوهام وكل مالديه حقائق فلا بد أن يكون في هذه الآية حقيقة علمية.فدرس العالم الاحتمالات فوجد أن قميص يوسف لايمكن أن يمتاز بحقيقة إلا أن يحتفظ ببعض مواد العرق الإنساني. فركز العالم دراسته وأبحاثه على تأثير عرق الإنسان على العين، خاصة العيون التي تصاب بالعمى نتيجة تشكل طبقة بيضاء فوق قرنية العين نتيجة الحزن الشديد مع استمرار البكاء، فاكتشف فعلاً أن بعض تلك المواد الموجودة في العرق لها خاصية وإمكانية إذابة تلك الطبقة بالتدريج من العين ليعود الإنسان ويرى بعد ذلك. وقد سجل العالم اكتشافه في الولايات المتحدة الأمريكية.

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَآ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَةً لِّقَومٍ يَسمَعُونَ﴾ - ٦٥ النحل.

ذكرت هذا الموضوع في أكثر من مكان، فالله تعالى يقصد بنزول الماء من السماء عندما كانت الأرض ميتة فأحياها ربنا وجعل الحياة على الأرض ممكنة. أما إذا فهمناها بأن الغيث يهطل في المواسم على الأرض نكون قد تجاوزنا معنى الآية، فالله تعالى يقول إن الأرض كانت ميتة ولا حياة فيها، بينما إذا تصورناها تموت في كل عام فلا يستقيم المعنى، لأن الأرض في أوروبا وفي خط الاستواء وفي مناطق الغابات حيث الأشجار دائمة الخضرة، فإن الحياة لاتتوقف كل عام ويموت كل شيء لتعود الحياة مرة أخرى في الموسم القادم إلا لبعض الأعشاب وبعض المزروعات الحقلية. وهكذا نعلم أن الله يتحدث عن الماء الأول الذي أنزله الله من مكان ما من السماء وأسكنه في الأرض بقدر محسوب كما رأيناه في آية أخرى.

ثم يذكر لنا الله بعدها آية أخرى نمر عليها عادة مرور الكرام بلا تفكر ولا تدبر:

﴿وَإِنَّ لَكُم فِي الأَنعَامِ لَعِبرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَينِ فَرثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّارِبِينَ﴾ - ٦٦ النحل.

فكل من سبق ورأى شاة تسلخ بعد ذبحها أمامه ونظر إلى أحشائها من الداخل، سوف يجد الخلايا التي تصنع الحليب محاطة من جميع الجهات بالشرايين والأوردة والشعيرات الدموية التي تحوي على الدم الأحمر المالح الطعم، وسوف يجد تلك الخلايا قريبة جداً من الأمعاء والأحشاء الأخرى التي تحوي (الفرث) الذي هو نفايات المأكولات بعد عملية الهضم التي تقابل الغائط بالنسبة للإنسان. ومع ذلك ماذا يخرج لنا من بين ذلك كله؟

(لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) لبناً صافياً ليس فيه جراثيم ولا فايروسات وطعمه مستساغ ولايشبه مايحيط به من مواد أخرى أبداً. وهكذا يمكن للإنسان أن يرى إعجاز الله في الخلق في كل مخلوقاته ولكن ذلك لايتم إلا لمن يرى ويتفكر في خلق الله سبحانه وعنده القدرة على أن يعقل مايرى. لذلك نجد الله تعالى يطالب غالباً بعد آيات التفكر والإعجاز بالتعقل كما في الآية التالية:

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَراً وَرِزقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ٦٧ النحل.

شجرة النخيل مثلاً إذا تابع الإنسان مراقبته للحمل ونضج الثمار، ماذا يمكن أن يلاحظ؟ تأخذ الشجرة من الأرض مواد تحولها بالتدريج إلى ثمر في شجر النخيل، ففي

البداية تكون الثمرات مرة الطعم لها خاصية قابضة، ثم تتحول بالتدريج بقدرة الله مع مرور الزمن إلى ثمار سكرية الطعم. وكذلك في العنب تكون في البداية طعمها مراً ولها خاصية القبض ثم تتحول إلى ثمار حامضة (الحصرم) ثم تتحول بالتدريج إلى ثمار لذيذة الطعم وكل نوع له طعم مميز منها عن النوع الآخر ويمكن استخدام ذلك بإسلوبين إما بتخميره لشراب مسكر أو اتخاذه رزقاً حسناً كل ذلك يحصل أمام كل شخص في مزرعته ولايعلم أنه يرى معجزة من معجزات الله وآياته، لكثرة ماتعود على أن يرى ذلك في الطبيعة فظن أن كل ذلك حصل ويحصل دائماً بالصدفة العمياء من دون أن يكون وراءها مصمم ومهندس الكون الأعظم الله رب العالمين، ثم ينتقل سبحانه إلى موضوع النحل لأول مرة في سورة النحل:

﴿وَأَوحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعرِشُونَ﴾ - ٦٨ النحل.

أي أن الله تعالى قد سجل في رأس كل نحلة ما يجب عليها أن تفعله بالتفصيل وبدقة متناهية لحد الإعجاز. ثم تأتي الآيات:

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّختَلِفٌ أَلوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لأَيَةً لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفَّاكُم وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرذَلِ العُمُرِ لِكَى لا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعضَكُم عَلَى بَعضٍ فِى الرِّزقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَآدِّى رِزقِهِم عَلَى مَا مَلَكَت أَيمَانُهُم فَهُم فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعمَةِ اللَّهِ يَجحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّن أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالبَاطِلِ يُؤمِنُونَ وَبِنِعمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرُونَ * وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَملِكُ لَهُم رِزقاً مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ شَيئاً وَلا يَستَطِيعُونَ * فَلا تَضرِبُوا لِلَّهِ الأَمثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبداً مَّملُوكاً لا يَقدِرُ عَلَى شَىءٍ وَمَن رَّزَقنَاهُ مِنَّا رِزقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرّاً وَجَهراً هَل يَستَوُونَ الحَمدُ لِلَّهِ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَينِ أَحَدُهُمَآ أَبكَمُ لا يَقدِرُ عَلَى شَىءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَولاهُ أَينَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأتِ بِخَيرٍ هَل يَستَوِى هُوَ وَمَن يَأمُرُ بِالعَدلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ * وَلِلَّهِ غَيبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَمَآ أَمرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمحِ البَصَرِ أَو هُوَ أَقرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ﴾ - ٦٩ - ٧٧ النحل.

وهي كلها من الآيات المفهومة لوحدها بدون شرح إضافي.

﴿وَاللَّهُ أَخرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعلَمُونَ شَيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ

وَالأَفئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ - ٧٨ النحل.

هنا يعلّمنا الله تعالى حقيقة علمية جديدة هي أن الطفل الإنساني يخلق على هذه الأرض ولايعلم شيئاً ليس مثل النحلة مثلاً تخرج وتعلم كل شيء عليها أن تفعله في كل حياتها. هذا هو الفرق الأساسي بين الإنسان والحيوان. فالإنسان كائن يخلق ولايعلم شيئاً ويتعلم كل شيء من محيطه بوسائل مختلفة يجب أن لا ننسى أن سبب طفولة الإنسان الطويلة هو تلازم تعليم الإنسان مع مراحل تطور جهازه الفكري الذي يتكامل تماماً عند بلوغ الإنسان أربعين عاماً، ووسائل نقل العلم والمعلومات للإنسان هي حواسه الخمسة، إلى مركز العلم والذاكرة وإعطاء القرارات في دماغ الإنسان الذي دعاه الله تعالى أسماء مختلفة في كتاب الله، لكنها جميعاً لاتخرج عن المعنى العام الذي يقول عنه جهاز العقل أو الفكر للإنسان.

نجد في تلك الأسماء مثلاً (القلب والقلوب وذات الصدور والألباب وأولي الألباب، ونجد بعد تلك الأسماء صفات مرافقة لها مثل (يعقلون) (يفقهون) (يتفكرون) (يعلمون) (يعرفون) وكل تلك الأمور مركزها العقل. ثم في الآية التي بعدها يبادر إلى ذكر حقيقة ومعجزة إلهية لرب العالمين:

﴿أَلَم يَرَوا إِلَى الطَّيرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ٧٩ النحل.

هذه الآية دعوة للإنسان أن يتأمل في الطيور وكيف تستطيع الطيران في الهواء ولايمسكها شيء، إذن فلابد من وجود قواعد وأسس إذا درسها الإنسان وبحثها، توصل إلى علوم الطيران، وهذا ماحصل فعلاً بعد أن أدرك الإنسان لتلك السنن والقوانين التي ألهمها الله للعلماء القادرين على فهمها، فعرف الإنسان الطيران. فالله تعالى قد خلق النماذج للإنسان حتى يتعلم منها مثلاً: تعلم الطيران من الطيور، وتعلم صناعة السفن والغواصات من الأسماك والحيتان، وهكذا. فأغلب الأشياء الموجودة في الطبيعة نماذج جاهزة لفكر الإنسان وأبحاثه ودراساته.

﴿وَيَومَ نَبعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيهِم مِّن أَنفُسِهِم وَجِئنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ (وقف تام) وَنَزَّلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدَىً وَرَحمَةً وَبُشرَى لِلمُسلِمِينَ﴾ - ٨٩ النحل.

إن الآية مكونة من جزئين الجزء الأول حتى (الوقف التام) يعلم الله سبحانه الرسول

الكريم أنه سوف يكون شهيداً لما شهد من أحداث ومواقف من عصره من مختلف الفئات - المؤمنين والمنافقين - مواقف أهل الكتاب ومواقف مشركي مكة وباقي المشركين، فالشهادة لاتكون إلا لما شاهد الإنسان بعينيه بدليل الآية التالية في قول عيسى عليه السلام:

﴿مَا قُلتُ لَهُم إِلا مَآ أَمَرتَنِى بِهِ أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُم وَكُنتُ عَلَيهِم شَهِيداً مَّا دُمتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيدٌ﴾ - ١١٧ المائدة.

هذه الآية هي القول الفصل بالنسبة للشهادة فكل إنسان تنتهي معرفته ومعلوماته في الشهادة بما رأى وسمع أثناء حياته الدنيا، وعيسى بن مريم إنسان له صفات إنسانية وليس بإله وليست له صفات خارقة ومختلفة عن صفات البشر أبداً. والرسول محمد صلى الله عليه وسلم إنسان وله صفات إنسانية وليست له صفات خارقة ومختلفة عن صفات البشر فشهادته تنتهي بما رأى وسمع، ولذلك فكل تصورات المسلمين من خلال الأحاديث المفتراة غالباً والتي تقول أن الرسول ﷺ سوف يشهد لأمة الإسلام كلها من يوم بعثه إلى يوم القيامة، فهذا ليس فقط افتراء على الله والرسول وإنما أيضاً دعوى قائمة على إشراك محمد مع الله والعياذ بالله، وكذلك المسلمون فكل مسلم شهادته تكون بما رأى وسمع في حياته فقط ولايتعدى ذلك كلمة أو حرفاً. والشهادة العامة دائماً لله لذلك يقول سبحانه:

﴿...إِنَّ اللَّهَ يَفصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيدٌ﴾ - ١٧ الحج.

﴿...أَوَلَم يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيدٌ﴾ - ٥٣ فصلت.

ثم تأتي آيات بشكل مواعظ يشرح فيها سبحانه مبادىء دين الإسلام التي نجدها غالباً في آيات الوصايا التي يقول عنها سبحانه بآيات الصراط المستقيم:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَآئِ ذِى القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَآءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ * وَأَوفُوا بِعَهدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّم وَلا تَنقُضُوا الأَيمَانَ بَعدَ تَوكِيدِهَا وَقَد جَعَلتُمُ اللَّهَ عَلَيكُم كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَاتَفعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَت غَزلَهَا مِن بَعدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيمَانَكُم دَخَلاً بَينَكُم أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَربَى مِن أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُم يَومَ القِيَامَةِ مَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ * وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسئَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعمَلُونَ * وَلا تَتَّخِذُوا أَيمَانَكُم دَخَلاً بَينَكُم فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّم عَن

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُم عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلا تَشتَرُوا بِعَهدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ * مَا عِندَكُم يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَاكَانُوا يَعمَلُونَ * مَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَاكَانُوا يَعمَلُونَ﴾ - ٩٠ - ٩٧ النحل.

وفي الآية الآخيرة يبين سبحانه أهمية العمل في الإسلام فيضع لأول مرة العمل قبل الإيمان في الترتيب وهناك مرة أخرى فقط في كل القرآن نجد فيه ذكر العمل قبل الإيمان وهي:

﴿وَمَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ يُرزَقُونَ فِيهَا بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ - ٤٠ غافر.

ثم تأتي بعد ذلك ثلاث آيات هامة يجب من كل مسلم أن يفهمها ويحسن فهمها لأنها قاعدة لفهم الإسلام والإيمان. الآية التالية:

﴿فَإِذَا قَرَأتَ القُرءَانَ فَاستَعِذ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ - ٩٨ النحل.

هذه الاستعاذة يجب أن لا يفهمها المسلم تعويذة سحرية تعمل بمفعول سحري، بل يجب أن يفهمها تحولاً فكرياً بالإرادة، فالمؤمن الذي ينوي نية كاملة وصادقة متجهاً لله أن يفهم معاني الآيات الرحمانية في آيات الله مستعيناً به فإن الله سوف يلهمه المعاني الرحمانية فيفهم الآيات فهماً أفضل، أما إذا فهمها تعويذة سحرية فإنه سوف يظن ويتوهم أن مجرد قوله (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) سوف يلهب بها ظهور الشياطين بسياط من نار، فيولي الشياطين هاربين إلى غير رجعة هذا وهم لا وجود له في دين الإسلام ولا في كتابه.

والآية الثانية يشرح فيها ربنا للمؤمن أن الشيطان لاقدرة ولا سلطة له على المؤمن الذي يعبد الله وحده ولايشرك بربه شيئاً، أي لايشرك رسولاً ولا كتاباً ولا سنة ولا كلاماً ولا حديثاً مع كتاب الله، فيتمسك المؤمن بكتاب الله وحده عندها لاقدرة للشياطين عليه لأن كتاب الله هو حبله الدائم في الأرض من تمسك واعتصم به متوكلاً على الله نجا.

﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾ - ٩٩ النحل.

وفي الآية الأخيرة يبين لنا أن سلطان الشيطان فقط على الذين يقعون في الإشراك الخفي فيعتقدون بما يبشر به أتباع الطاغوت بوجود وحي آخر مع وحي الله في القرآن،

وبوجود كتب أخرى مع كتاب الله، عندها يصبح المؤمن فريسة سهلة لكل الشياطين يقودونه حيث يشاؤون ويأكلون حقوقه في الدنيا وتضيع عليه حتى الآخرة، فغضبٌ في الدنيا وغضبٌ في الآخرة والعياذ بالله.

﴿إِنَّمَا سُلطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشرِكُونَ﴾ - ١٠٠ النحل.

إذاً فسلطان الطاغوت وأعوانه من شياطين الإنس يكون فقط على الذين يتولون السلطان (الطاغوت) ويجعلوه وليهم وحبيبهم وقائدهم ويشركون به الله من غير علم.

﴿وَإِذَا بَدَّلنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَآ أَنتَ مُفتَرٍ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ - ١٠١ النحل.

في هذه الآية يشير الله تعالى بها إلى حادثة فريدة هي الحادثة الشهيرة في تاريخ السيرة النبوية عندما شاء الله أن يبرهن لكل المسلمين أن كل الرسل بمن فيهم محمد رسول الله غير معصومين عن الخطأ ولا من الشيطان إلا رحمة من رب العالمين. فيجعل الله تعالى الشيطان يلقي في أمنية الرسول كلمات كانت بحسب السيرة:

(تلك الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى) ثم يعود سبحانه فيرسل جبريل ليعاتب الرسول وينسخ ماألقى الشيطان وينزل عليه آيات رحمانية لتكتب مكانها وكانت الآيات:

﴿وَمَنَوةَ الثَّالِثَةَ الأُخرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلكَ إِذاً قِسمَةٌ ضِيزَى﴾ - ٢٠ - ٢٢ النجم.

عندها قال المنافقون للرسول، إنما أنت مفتري تفتري علينا كلاماً وتقول هذا من عند الله وعندما لايعجبك تبدله كما تشاء. فيؤكد الله للناس أن أكثر الناس لايعرفون الحقيقة. وأن الذي فعل ذلك هو رب العالمين الذي شرح الموضوع كله بوحي أنزله على رسوله الكريم، يثبت الذين أمنوا على إيمانهم وليستيقن المسلمون ان رسولهم بشر غير معصوم من الشيطان أومن الخطأ بذاته.

﴿قُل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدَىً وَبُشرَى لِلمُسلِمِينَ﴾ - ١٠٢ النحل.

ثم بدأ المنافقون من جديد بالأقاويل والأكاذيب عن الرسول الكريم بأن أعجمياً، هو الذي يعلمه القرآن الكريم وآياته فيجيبهم الله أن الذي تدَّعون له العلم والمعرفة لسانه أجنبي ولسان القرآن ولغته من اللغة العربية البليغة فكيف للأعجمي أن يؤلف في لغة

يجهلها كتاباً بليغاً معجزاً بالبيان؟

﴿وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ - ١٠٣ النحل.

وبعدها يخبرنا الله تعالى بسنة إلهية دائمة وحقيقة تقع كل يوم، فالله لاييسر فهم القرآن ولافهم آياته للذين لايؤمنون به أو للذين يشركون مع كتاب الله كتاباً آخر، لأنه سبحانه هو الذي يملك وحده القلوب فيستطيع أن يلهم مايشاء بحسب مواقف الناس، فإن كانت النفس ظالمة بعيدة عن الإيمان تركها الله في ظلمها وفي غيها ولم يقرب لها معاني الرحمن:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ - ١٤٤ الأنعام.

وهكذا إذا تابعنا آيات القرآن نعرف من هم الذين يستثنيهم تعالى فلا يهدي قلوبهم:

﴿...وَاللَّهُ لا يَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ﴾ - ٣٧ التوبة.

﴿...وَاللَّهُ لا يَهدِى القَومَ الفَاسِقِينَ﴾ - ١٠٨ المائدة.

﴿...وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهدِى كَيدَ الخَائِنِينَ﴾ - ٥٢ يوسف.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى مَن هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ - ٣ الزمر.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذَّابٌ﴾ - ٢٨ غافر.

والمشرك إين يقع في كل ذلك؟

إنه يقع مع الظالمين، لأنه يظلم نفسه أشد الظلم بقبوله الإشراك بالله ولو إشراكاً خفياً من دون علم، لأنه لم يتبصر ولم يستخدم عقله وميزانه الإلهي للحكم على الأشياء بل آمن ووثق بما قيل له دون التأكد والتثبت عما قيل له من الشياطين الذين لبسوا له لباس التقوى.

فالله تعالى لايهدي ولايقرب المعاني الحقيقية لكتابه لكل الذين ذكرتهم في الآيات السابقة، بل يلهمها للمؤمنين الموحدين الذين آمنوا بالله وحده وتمسكوا بكتاب الله وحده كمصدر للعلم والمعرفة في الإسلام الصحيح. وهذا هو دين الرحمن. لذلك نجد الله تعالى يقول في سورة النحل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ١٠٤ النحل.

وحتى نفهم سر تلك الآية، وكيف يحجب الله الإيمان عن قلوب الناس الذين

لايستحقونه وماهو أسلوبه حتى لايهدي الكافرين والظالمين والفاسقين والمشركين والكاذبين والخائنين والمسرفين يقول سبحانه في الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾ - ٤٥ الإسراء.

ونتيجة ذلك الحجاب لايستطيع كل أولئك الذين ذكرتهم والذين لايؤمنون بالآخرة أن يفهموا حقائق القرآن ونور الله الحقيقي الموجود في كتاب الله وحده، فهو ليس مثل باقي الكتب مجرد حبر مطبوع على الورق. إن الكلمات والآيات التي فيه لها مفعول خاص في عقول المؤمنين الذين يتلقونه مباشرة من الله بدون أي حجاب مانع لذلك التلقي. فكتاب الله يحوي في ذاته مايبرهن لكل الناس اليوم من معجزات كالمعجزة العددية والمعجزات العلمية التي كلها ليست من طاقة البشر ولا من قدرتهم ولا من معلوماتهم، خاصة عندما نزلت للناس أول مرة في القرن السابع الميلادي، بينما كل مايدعيه جنود السلطان من كتب ليس فيها أي إعجاز عددياً كان أم علمياً، وليس لها القدرة على أن تثبت قوتها إلا بقوة السند: أي: أن فلاناً قال عن فلان حتى يصل إلى سابع فلان والمسلم لايعلم مَن مِن كل هذه الفلانات الذي افترى على الله الكذب. وكما رأينا قبل قليل فإن الله تعالى يبرهن لنا أن رسوله غير معصوم من الخطأ ولا من الشيطان بذاته فكيف إذاً نصدق ونتخيل أن رواة الأحاديث وهم من الإنس جميعاً كانوا معصومين من الشياطين ومن الخطأ ومن الكذب. لذلك يقول الله تعالى بعد الآية السابقة في سورة النحل:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِئَايَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ - ١٠٥ النحل.

ولأنهم غالباً لايؤمنون بآيات الله هجروا كتابه إلى اليوم ولحقوا تلك الأقاويل فاليوم لم تعد تسمع في أي مسجد إسلامي إلا قال أبو هريرة وقال ابن مسعود وقال عبد الله وقال فلان وقال علان، حتى قول الله تعالى إذا حدث وذكروه عادوا ليشرحوا ويفسروا معاني الرحمن بقال فلان وقال علان من جديد. ثم نستغرب لماذا يغضب الله علينا ويزيد من نقمته ويشتد علينا يوماً بعد يوم.

ثم يخبرنا رب العالمين عن مصير المسلمين الذين يرتدون عن دين الإسلام كل يوم في أقطار الأرض، نتيجة إغراءات كثيرة وهرباً من سوء أحوال المسلمين المتدهورة يوماً بعد يوم:

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إِيمَانِهِ إِلا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدراً فَعَلَيهِم غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - ١٠٦ النحل.

ويشرح لنا رب العالمين دوافعهم في الكفر فيقول:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم استَحَبُّوا الحَيَوةَ الدُّنيَا عَلَى الأَخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ﴾ - ١٠٧ النحل.

فيبين لنا سبحانه بعد ذلك كيف يغضب على أولئك فيحرمهم من العودة للإيمان، ويحجبهم عن الحق والحقائق، ويعطل حواسهم حتى لايستطيعون رؤية الحقائق من جديد:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم وَأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ * لاجَرَمَ أَنَّهُم فِى الأَخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ - ١٠٨ - ١٠٩ النحل.

ويستثني منهم الذين عادوا وبرهنوا من جديد على حسن إيمانهم وحسن عودتهم فيغفر لهم الله لأنه دائماً غفور رحيم:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعدِ مَافُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١١٠ النحل.

فيؤكد لنا ربنا أنهم لن يظلموا عند الله بعد ذلك:

﴿يَومَ تَأتِى كُلُّ نَفسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا عَمِلَت وَهُم لا يُظلَمُونَ﴾ - ١١١ النحل.

وللتأكيد على أهمية العمل في سورة العمل التي هي سورة النحل يؤكد الله أن كل نفس ستوفى ماعملت. وكما تلاحظون فإن الله تعالى لم يقل ماعبدت ولا ماأطاعت بل أكد على موضوع العمل بالذات.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ١١٤ - ١١٧ النحل

يبين الله الحلال والمحلل من المأكولات في الإسلام وماهو المحرم من المآكل في دين

الله، ثم يبين لنا أن موضوع الحلال والحرام بيد الله وحده وليس بيد الناس لأن ذلك من حق الألوهية فقط فلا يستطيع مخلوق أن يحلل ويحرم إلا بنص من الله، والنص لن يكون من خارج كتاب الله الذي لم ينس أي موضوع هام على الإطلاق. ثم يحدثنا الله تعالى في الآية التالية عن محرمات اليهود ويبين اختلافها عن محرمات الإسلام:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمنَا مَا قَصَصنَا عَلَيكَ مِن قَبلُ وَمَا ظَلَمنَاهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ ـ ١١٨ النحل.

مع أننا نحن مسلمي اليوم نحرم مثل اليهود تماماً لأننا نتبع كتبهم بعد أن تركنا كتابنا مهجوراً واتبعنا علماء من أهل الكتاب دون أن نعلم حقيقة إسلامهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعدِ ذَلِكَ وَأَصلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ـ ١١٩ النحل. والمقصود بالذين عملوا السوء بجهالة، الذين مارسوا أعمالاً فاسدة سيئة وهم يجهلون، أو قبل أن يتمكن الإيمان من قلوبهم، مثل الذي عمل في بيع الخمور فترة ثم تاب بعدها مثلاً.

ونرى في الآيات التالية:

﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ * شَاكِراً لأَنعُمِهِ اجتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ * وَءَاتَينَاهُ فِى الدُّنيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ـ ١٢٢ النحل.

يتكلم الله سبحانه عن إبراهيم وأنه لم يكن من المشركين بل كان حنيفاً مسلماً ومن المتقين. ثم يقول سبحانه لرسولنا محمد ﷺ:

﴿ثُمَّ أَوحَينَآ إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبتُ عَلَى الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ النحل.

ثم يقول لرسولنا كيف يجب أن يكون أسلوب الدعوة إلى الإسلام في كل زمان ومكان من بعد الرسول وإلى يوم الدين:

﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ ـ ١٢٥ النحل.

وهذا هو أسلوب الرحمن في الدعوة إلى دينه القويم، فلا يجوز بعدها أن يفكر اي إنسان بالعنف أو بالسيف أو بالإكراه، لأن ذلك كله يُنَفِّر من الدين ولا يحبب به، والله

لو شاء أن يُكرهنا بالقوة، هو أقوى الأقوياء جميعاً، لخلقنا مؤمنين بالقوة كما خلق الملائكة وانتهى الأمر، لكن شاء الله أن يحملنا الأمانة وهي المسؤولية. مسؤولية تحمل الحرية والاختيار بالعقل والفكر للأنسب والأصلح للإنسان بلا إكراه من أحد فمن شاء آمن ومن شاء كفر.

في الآيات الختامية من سورة النحل ينصح الله رسوله وكل المؤمنين بدينه من بعده، كيف عليهم معاملة الناس حتى الذين أساؤوا إلينا، فلنا أن نعاقبهم عند المقدرة بمثل ماعاقبونا ومثل مافعلوا معنا، ثم ينصحنا إن استطعنا أن نعفوا ونصبر على ماأصابنا فهو خير للصابرين، ولكن ليس كل الناس عندهم تلك القدرة. فالرسول استطاع أن يعفوا عندما انتصر في مكة حتى عن الذين قتلوا عمه حمزة غدراً، ثم يقول الله أخيراً إنه دائماً مع الذين اتقوا الله ومع الذين يحسنون في الدنيا بكل قدراتهم من غير إسراف ولا تفريط حتى يلاقوا ربهم الكريم.

﴿وَإِن عَاقَبتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَيرٌ لِّلصَابِرِينَ * وَاصبِر وَمَا صَبرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحزَن عَلَيهِم وَلا تَكُ فِي ضِيقٍ مِّمَّا يَمكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَّالَّذِينَ هُم مُحسِنُونَ﴾ - ١٢٦ - ١٢٨ النحل.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٠ ـ دور الرجل والمرأة في الإسلام وحقوقهما وواجباتهما:

إن للإسلام بحسب القرآن نظرتين مختلفتين للإنسان:

إحداهما كنفس إنسانية وعندها فكل الناس نفوس بدون أي تمييز بينها ذكوراً كانوا أم اناثاً.

﴿وَاتَّقُوا يَوماً لا تَجزِى نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلا يُقبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤخَذُ مِنهَا عَدلٌ وَلا هُم يُنصَرُونَ﴾ ـ ٤٨ البقرة.

﴿...لا تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلا وُسعَهَا...﴾ ـ ٢٣٣ البقرة.

﴿...ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت وَهُم لا يُظلَمُونَ﴾ ـ ٢٨١ البقرة.

﴿يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَّا عَمِلَت مِن خَيرٍ مُّحضَراً...﴾ ـ ٣٠ آل عمران.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفسٍ أَن تَمُوتَ إِلا بِإِذنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً...﴾ ـ ١٤٥ آل عمران.

وهكذا نجد أن الله عندما يتكلم عن النفوس لايعود يفرق بين نفوس الرجال ونفوس النساء، لأنه الذي خلقها من الأساس ويعلم ماذا قد خلق:

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا...﴾ ـ ١٨٩ الأعراف.

فألبس كل نفس لباساً مادياً يخدم الوظيفة التي من أجلها خلق له الجسد، الرجل ليكون أباً والمرأة لتكون أماً. حتى يتم عن طريق بدء الخلق وإعادته بالولادة إعمار الأرض بالذرية. وكلها من الأساس خرجت من نفس واحدة. ومن حيث كونها نفس فإنه لافرق بين كل تلك النفوس أبداً من ناحية قيمتها الذاتية، لكن كل نفس وهي في الجسد تصرفت لوحدها، فكسبت واكتسبت، فالاختلاف بينها يوم الحساب يكون بحسب ذلك الكسب والاكتساب الذي حصل لها، وهي على الأرض بشكل مادي. وبعد ذلك فكل نفس في النهاية لابد أن تذوق الموت لتعود لخالقها حتى تحاسب بمااكتسبت في الحياة الدنيا من أفعال وشرور أو بما كسبت من عمل الخيرات.

﴿كُلُّ نَفسٍ ذَآئِقَةُ المَوتِ وَنَبلُوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيرِ فِتنَةً...﴾ ـ ٣٥ الأنبياء.

وهناك في الآخرة تنصب الموازين لتحاسب كل نفس بلا ظلم أبداً وكل نفس تحاسب وحدها في محكمة الله.

﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئاً...﴾ - ٤٧ الأنبياء.

والنفس لايمكن أن تعلم إلا بحاضرها وماضيها أما المستقبل فقد غيبه الله عنها:

﴿...وَمَا تَدرِى نَفسٌ مَّاذَا تَكسِبُ غَداً مَا تَدرِى نَفسٌ بِأَىِّ أَرضٍ تَمُوتُ...﴾ - ٣٤ لقمان.

وهكذا نرى مئات من الآيات القرآنية وكلها تتحدث عن النفس بهذا الأسلوب دون أن يكون وجود للذكورة أو الأنوثة التي كانت أصلاً في الحياة الدنيا من أجل غاية محددة انتهت بعد أن لالزوم للتوالد وإنجاب للأولاد الذين كانوا وسيلة للتجدد مع الزمن للمخلوقات الفانية على الأرض، إن سكنتها نفوس إنسانية احتفظ بها الله لغاية في نفسه ليحاسبها في السماء بما اكتسبت في هذه الدنيا من شرور وخطايا، وكسبت من أعمال صالحة تؤهلها في النهاية للعقاب أو للثواب.

بحسب الدور المطلوب من كل من الأب والأم فقد شاء الله أن يجعل الأب هو الأقوى جسدياً، والأقل عاطفة، والمسؤول عن الأسرة التي هي أساس للمجتمع الإنساني كله. كما جعل بالمقابل المرأة هي الأضعف قوة والأكثر عاطفة والأكثر حباً وحناناً، وذلك كله من أجل دورها كأم مسؤولة عن تربية وحضانة الأطفال في فترة طفولة طويلة إذا ماقورنت بباقي المخلوقات الأرضية الأخرى.

وبسبب هذه الفوارق الفيزيولوجية فقط أعطى الله سبحانه درجة للرجل على المرأة في الأرض وليس في السماء:

﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ...﴾ - ٢٢٨ البقرة.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ...﴾ - ٣٤ النساء.

وهكذا نرى أن هذه القوامة أعطيت للتفضيلات الفيزيولوجية التي شرحناها قبل قليل بينما هما كنفسين لافرق بينهما على الإطلاق.

وحتى فكرياً لانستطيع من الناحية العقلية والقدرات الدماغية أن نعتبر أن الرجل أذكى أو أقدر عقلياً، إلا أن وجود العاطفة أقوى عند المرأة منها عند الرجل يجعل قراراتها أكثر عاطفية من الرجل. وهذا طبيعي بالنسبة لدور المرأة في الأسرة وأفضل لنفسية الأطفال الذين يحتاجون لهذا العطف والحنان في فترة الطفولة بشكل مركز من مصدر الأم.

وهكذا نجد أن الله سبحانه يختار الرجال ليكونوا رسلاً له دون النساء، لكون

أجسادهم أقدر على تحمل الأذى والصعاب من الناس أثناء التبليغ وقراراتهم أقرب للعقل والمنطق عن الهوى والعاطفة.

﴿وَمَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ إلا رِجَالاً نُّوحِى إِلَيهِم مِّن أَهلِ القُرَى...﴾ - ١٠٩ يوسف.

ولنفس الأسباب المذكورة سابقاً اعتبر شهادة الرجل معادلة لشهادة امرأتين لعلمه تعالى أن المرأة كما قلنا تميل عن الحق بعاطفتها المختزنة فيها، وهذا أمر ليس بيدها والله تعالى يعلم ذلك تماماً.

أما إعطاء المرأة نصف حق الرجل في الميراث فلم يكن بسبب هذا التفاضل الفيزيولوجي على الإطلاق بل لأسباب أخرى، منها أن الله جعل المسؤول المالي عن الأسرة وعن الإنفاق على المرأة والأطفال فيها هو الرجل وحده في الشرع الإسلامي المنزَّل، والمرأة مسؤولة داخل البيت فقط، فحاجتها للمال أقل من حاجة الرجل دائماً بسبب حجب هذه المسؤولية عنها، أما في الأنظمة الحالية بعد أن أصبحت النساء مسؤولات مادياً عن البيت ومستلزماته فمن الظلم الإبقاء على أحكام الشرع في هذه المجتمعات بدون تعديل، لأن شريعة الله شريعة متكاملة يجب تطبيقها من الألف إلى الياء، أما أن نطبق شيئاً ونترك أشياء أخرى فهذا لايستوي وفيه ظلم كبير للمرأة، التي نطبق عليها مانشاء من القوانين.

هل للرجل الحق بالزواج من أربعة في أي وقت يشاء في الإسلام؟

إن هذا الموضوع بعد الرجوع لآيات القرآن الكريم غير صحيح على الإطلاق بدليل مادي ملموس وموجود، وهو أن الله سبحانه وتعالى لو كان يريد أن يخصص لكل رجل أربعة من النساء لخلق عندها عدد النساء في الأرض أربعة أضعاف عدد الرجال، ولكن الإحصائيات الحديثة في العالم تدل على تساوٍ طبيعي لعدد الرجال مع عدد النساء بشكل تقريبي، مع زيادة طفيفة لعدد النساء على عدد الرجال في بعض البلدان والمدن. وقد برهنت الاحصائيات المتطورة أن الأمة كلما مالت للترف والغنى تصبح نسبة النساء أكثر بقليل من نسبة الرجال، والله تعالى أعلم ماهو السبب في ذلك.

أما الحالة المشروحة في القرآن الكريم في سورة النساء:

﴿وَءَاتُوا اليَتَامَى أَموَالَهُم وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأكُلُوا أَموَالَهُم إِلَى أَموَالِكُم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرا * وَإِن خِفتُم أَلَّا تُقسِطُوا فِى اليَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

النِّسَآءِ مَثنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِن خِفتُم أَلا تَعدِلُوا فَوَاحِدَةً أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُكُم ذَلِكَ أَدنَى أَلا تَعُولُوا﴾ - ٢ - ٣ النساء.

فهي حالة خاصة تحصل في كل المجتمعات التي قد تتعرض للحروب التي يذهب ضحيتها عادة الشباب من الرجال فيزداد عدد الأيامى واليتامى في المجتمع، ولحل هذه المشكلة الاجتماعية بدون أن يتعرض المجتمع للفسق والفجور والفاحشة بسبب عدم التوازن الطارىء هذا، يسمح الله للرجل أن يأخذ من هذه الأيامى واليتامى الثانية والثالثة وحتى الرابعة إن كان له القدرة على العدل بين أولاده وأولادها، أو بين أولاده وإخوة اليتيمة التي تزوجها ولها إخوة أيتام صغار. أما إذا كان لايستطيع القيام بهذا العدل بين أولاده وهؤلاء الأيتام فعليه أن يكتفي بما عنده سابقاً، لأن شر هذه الزيجات وضررها على نفسية الأطفال الأيتام سوف يكون أكبر مما لو ربّوا على اليتم العادي، وكل هذه الأمور مشروحة في الآية ٣ من سورة النساء. وقد يظن البعض أن العدل المذكور في الآية هنا هو العدل بين النساء. وهذا غير صحيح لأن الله سبحانه لاينسى ولايسهى فقد قرر سابقاً هذا الموضوع وانتهى منه في آية أخرى وقال أن العدل بين النساء ليس من طاقة الرجال أصلاً:

﴿وَلَن تَستَطِيعُوا أَن تَعدِلُوا بَينَ النِّسَآءِ وَلَو حَرَصتُم...﴾ - ١٢٩ النساء.

فالله لم يسبق أن عاد وغير رأيه في موضوع ثابت أبداً، أما آيات النسخ الإنساء فتختلف لأنها خاصة بالأمور المتغيرة مع الزمن بالنسبة للإنسان، فقال في أول الإسلام:

﴿...لا تَقرَبُوا الصَّلَوةَ وَأَنتُم سُكَارَى...﴾ - ٤٣ النساء.

ثم بعد أن قوي الإسلام في نفوس الناس قال:

﴿...إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ...﴾ - ٩٠ المائدة.

لذلك فإن موضوع فتح الإسلام باب الزواج من أربع غير صحيح أبداً إذا كان مرجعنا هو القرآن الكريم، لكننا إذا اعتمدنا على الأحاديث فإن الباب مفتوح لأكثر من ذلك بكثير، لأن السلطان قد فتح هذا الباب خاصة بعد أن جعل الجهاد في الإسلام مرادفاً للقتال في سبيل الله وجعله دائماً في الإسلام، حتى يكون باباً دائماً للغنائم والسبايا الجميلات يتوافدن عليه من البلاد المفتوحة جديداً باسم الإسلام ظلماً، فصار عنده منهن بالآلاف باسم ماملكت أيمانكم التي أبقاها جنود السلطان مفتوحة أيضاً،

حتى صار للمشايخ من رجال الحديث الآلاف من النساء فكيف بالسلاطين وهناك نقطة ثانية في الآية:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِن أَموَالِهِم...﴾ ـ ٣٤ النساء.

حيث نجد قوامة الرجال على النساء تقع ضمن سببين السبب الأول هو السبب الفيزيولوجي الذي شرحته والسبب الآخر هو بما أنفق الرجل من ماله على المرأة فهو المسؤول عنها وعن كسوتها في بيته بشكل كامل، بينما للحساب أمام الله لانجد أي فرق بينهما في العقاب أو الثواب:

﴿وَمَن يَعمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظلَمُونَ نَقِيراً﴾ ـ ١٢٤ النساء.

وقد يسأل أحدهم: وماذا تعمل المرأة من الصالحات؟

إن عمل المرأة في بيت زوجها مربية ومدبرة له ولأطفاله وتعليمهم هو أكبر عمل صالح في الكون كله، لأن تربية الأطفال وتنشئتهم النشأة الصالحة القويمة يقدم أكبر خدمة للمجتمع الإسلامي كله.

ومقياس التفاضل الوحيد من الله هو مقياس التقوى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ـ ١٣ الحجرات.

وهكذا نستطيع أن نقول أن هذه الآية قد أغلقت كل أبواب التمييز الجنسي (ذكر، أنثى) (رجل، امرأة)، أو المتعلقة بالتمييز العنصري القومي عائلة ـ عشيرة ـ قبيلة ـ شعب ـ قوم ـ أمة. فلا تفاضل بالجنس ولا تفاضل بالأنساب، وكذلك أيضاً أغلقت التمييز بلون البشرة الأبيض والأسود أو الأصفر والأحمر. وإنما التفاضل يكون فقط بالتقوى فردياً كان أم جماعياً، بمعنى أن الشعب الذي أفراده يتقون الله أكثر ويسيرون بحسب منهج الله يكونون الأقرب والأفضل، وبالتالي سوف تظهر علائم رضى الله ونعمته في الحياة الدنيا قبل الآخرة على ذلك الشعب عن شعب آخر ضل أفراده السبيل الصحيح ويسيرون في سبل بعيدة عن سبيل الله المستقيم. فيظهر عليهم في النهاية علائم غضب الله ونقمته واضحة جلية في أحوالهم ومعيشتهم فلا تحتاج إلى دليل أو برهان حتى تميز ذلك. والله فيما عدا ذلك لايفرق بين النساء والرجال.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَلِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَلِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ ـ ٧ النساء.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكتَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكتَسَبنَ وَسئَلُوا اللَّهَ مِن فَضلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾ ـ ٣٢ النساء.

والمستضعفون من الرجال يصبحون بمرتبة النساء أصلاً. لأن الفارق كما قلنا كان بسبب القوة التي أعطيت للرجال، فكانت لهم تلك الميزة، فإذا زالت تلك القوة من صفات الرجال يعود ويصبح في مرتبة النساء إذ لافضل له عنها أبداً لذلك نجد الله تعالى يقول عن المستضعفين من الرجال والمستضعفين من النساء:

﴿إِلا المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالوِلدَانِ لا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهتَدُونَ سَبِيلا﴾ ـ ٩٨ النساء.

طبعاً ليس كل النساء أيضاً من تلك الصفة بل بعض النساء المستضعفات من الجاهلات فقط.

ولكن من الناحية الإيمانية ليس هناك فرق بين الرجال والنساء أبداً لذلك يقول سبحانه:

﴿...وَلَولا رِجَالٌ مُّؤمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤمِنَاتٌ لَّم تَعلَمُوهُم...﴾ ـ ٢٥ الفتح.

﴿...وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ...﴾ ـ ٧٣ الأحزاب.

﴿...وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ...﴾ ـ ١٩ محمد.

﴿يَومَ تَرَى المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ يَسعَى نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم...﴾ ـ ١٢ الحديد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ ثُمَّ لَم يَتُوبُوا فَلَهُم عَذَابُ جَهَنَّمَ...﴾ ـ ١٠ البروج.

والله لايفرق بين الذكر أو الأنثى في الحقوق الإيمانية أصلاً:

﴿وَمَن يَعمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ﴾ ـ ١٢٤ النساء.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم...﴾ ـ ١٣ الحجرات.

فمقياس التفاضل الوحيد عند الله ليس للذكورة أو للأنوثة وإنما هو للتقوى، وهكذا عندما نقرأ القرآن وحده نفاجأ نحن المسلمين الذين تعودنا أن نقرأ في الأحاديث التي

نظنها أنها صحيحة من التراث المخلف لنا من كهفنا العظيم عن المرأة بأنها شيطان، أو أن المرأة شر لابد منه. أو أن المرأة سبب كل المصائب في الكون، أو أن المرأة سبب خروج آدم من الجنة. وأنه لايقطع الصلاة إلا المرأة والحمار والكلب. وأن أكثر ساكني جهنم هم النساء وأن المرأة خلقت من ضلع آدم الأعوج وأن المرأة كلها عورة، شكلها عورة، وصوتها عورة، وشعرها عورة، ووجهها الذي هو هويتها الشخصية عورة، وصوت كعبي حذائها عورة.

ومسلموا اليوم الذين أيقنوا أن هناك خطأ ما في تطبيقهم لدينهم بدليل ظهور غضب الله على أحوال وأمور المسلمين كلها، حجب عنهم بعض الحاقدين من المنافقين أسباب غضب الله الحقيقية ثم استغلوا تلك الحالة فأفهموا هؤلاء بأن سبب تأخر وتخلف المسلمين عن العالم كله اليوم هو فقط بسبب سفور المرأة، وأقنعوهم بأنهم إذا غطوا شعر المرأة وجسدها زال غضب الله عن المسلمين كلهم ورضي عنهم جميعاً فهل يقول الله في كل القرآن الذي هو كتاب الله الوحيد إن الله لن يغير مابقوم من التأخر ومن أسباب التخلف حتى يغطي النساء شعرهنَّ؟

أو حتى يلبسوهن النقاب أو الجلباب؟

أم يقول لنا رب العالمين:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ - ١١ الرعد.

فأين مجال التغيير الذي يطلبه الله؟ هل هو مجال مادي بتغييراللباس أم هو مجال معنوي لتغيير مافي النفوس من جهل إلى علم.

لقد حاول قبلنا مصلح اجتماعي في تركيا وهو مصطفى كمال أتاتورك الذي يعتبره الأتراك أباهم الروحي في العصر الحديث بأن يغير لباس الأتراك من الشكل الشرقي إلى الشكل الأوروبي المتقدم ظناً بأنه المطلوب، فلم يحصل على أي تغيير حقيقي. وكذلك نحن اليوم نحاول أن يكون مجال تغييرنا في الشكل دون المضمون، والله يطالبنا أن يكون مجال التغيير بما في النفوس والعقول من أسباب للجهل والوهم والتخلف، عندها فقط سوف تتدخل سنن الله وقوانينه الثابتة فيحصل التغيير تلقائياً، ثم لماذا يصر الرجال في كل البلاد الإسلامية على إخفاء مفاتن المرأة ويصرون أنها تفتن وتغري الرجال وهذا هو سبب غضب الله علينا، لماذا يحاولون أن ينكروا أن الرجال أيضاً مصدر فتنة للنساء، أم نسينا آيات القرآن في قصة يوسف عليه السلام:

﴿وَرَاوَدَتهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيتِهَا عَن نَّفسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوَابَ وَقَالَت هَيتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحسَنَ مَثوَاىَ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٢٣ يوسف.

امرأة العزيز فتنت بمفاتن الرجل (يوسف) وأغلقت دونه الأبواب تريد أن تغتصبه، والناس في مثل هذه الأحوال لايسكتون بل يتكلمون فماذا قالوا:

﴿وَقَالَ نِسوَةٌ فِى المَدِينَةِ امرَأَتُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفسِهِ قَد شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَت بِمَكرِهِنَّ أَرسَلَت إِلَيهِنَّ وَاعتَدَت لَهُنَّ مُتَّكأً وَءَاتَت كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخرُج عَلَيهِنَّ فَلَمَّا رَأَينَهُ أَكبَرنَهُ وَقَطَّعنَ أَيدِيَهُنَّ وَقُلنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِن هَذَآ إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَت فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَد رَاوَدتُّهُ عَن نَّفسِهِ فَاستَعصَمَ وَلَئِن لَّم يَفعَل مَآ ءَامُرُهُ لَيُسجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ - ٣٠ - ٣٢ يوسف.

وهكذا نجد أن للرجل مفاتن كما للمرأة تماماً، فكما أن المرأة الجميلة تفتن الرجل ويرى كل شيء فيها عورة كذلك المرأة ترى في الرجل الوسيم مفاتن كثيرة وكلها عورات، فعورات من إذن سوف نغطي الآن؟

لماذا يسمح كل الرجال من المسلمين لأنفسهم بلباس الاستحمام في البحر ويرون هذا كله محرم على النساء. فإذا كان الموضوع موضوع مفاتن وعورات يجب المنع على الطرفين. وإذا كان النقاب حقاً على طرف فهو حق على الطرفين. أم أن الموضوع كله مجرد قوة وتسلط؟

إننا يجب أن نحكم عقولنا ومنطقنا قبل أن نحكم أهواءنا وعواطفنا في أي موضوع، فاللباس من الأمور التي تتبع الأعراف وتتغير مع تغير المكان والزمان في العالم، وهي لايمكن أن تكون ثابتة أبداً، إذ لايمكن أن نطلب عقلاً توحيد اللباس بين أهل خط الاستواء مع أهل وسكان منطقة القطبين المتجمدين، فالحرارة الشديدة في خط الاستواء تتطلب لباساً يناسب تلك الحرارة والبرودة الشديدة أيضاً في القطبين تتطلب لباساً من نوع آخر مختلف ومتناسب مع تلك البرودة. فهل في هذا المنطق شذوذ؟

وهل يمكن بأي منطق توحيد اللباس بين سكان القطب وسكان خط الاستواء؟

ومن المعروف اليوم بأن قبائل منطقة الأمازون من خط الاستواء عراة تماماً، فلو ذهبت بعثة تبشيرية تريد التبشير بالإسلام إلى تلك المنطقة فلا يمكن عقلاً ولا منطقاً أن تطلب من الناس هناك أكثر من الحشمة، ولايمكن اعتبار الحشمة بأكثر من ورقة التوت التي يمكن أن تغطي سوءات الرجال والنساء هناك.

﴿...بَدَت لَهُمَا سَوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخصِفَانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ...﴾ - ٢٢ الأعراف.

أما أن نطلب منهم النقاب الشرعي كما يسميه البعض فهذا أكثر من المعقول. واللباس يعتبر من المظاهر الخارجية التي تتبع الأعراف وليست ثابتة، والمنطق يقول بأن الشخص الذي تحكمه الظروف بأن يعيش في بلد مثل السعودية مثلاً يلبس هو وزوجته ماتعارف عليه السعوديون من لباس في بلادهم، وإذا عاد نفس الشخص وزوجته وانتقلا إلى لبنان أو سورية عليهما أن يلبسا مثل مايلبس الناس في سورية ولبنان والوسط في ذلك هو الحشمة.

والرسول محمد ﷺ لم يميز نفسه يوماً بعد الإسلام بزي خاص ولا بشكل خاص، لحلاقة الشعر أوالذقن أو الشوارب، والدليل أن من كان يسأل عنه وهو لايعرفه في المسجد كان يسأل: من منكم محمداً؟ ولو كان مميزاً بلباسه أو شكل حلاقته لشعره ولحيته لعرفه الناس بذلك الشكل المميز، فالرسول لم يأت أصلاً ليغير الأشكال وإنما ليغير مافي النفوس من جهل وجهالة ووهم وباطل إلى علم وحق ونور وإيمان، فغير الله أمورهم من فقر وتخلف وضعف وتفرق إلى غنىً وتقدم وقوة وإتحاد، ومن ذلٍ إلى عز وكرامة، ومن شركٍ بالله إلى إيمان وتوحيد لله وحده لا شريك له، هذه هي التغييرات التي من أجلها أرسل الله سبحانه هذا الدين هدى للعالمين، واليوم لاتحتاج أن تسأل عن الإمام لأنه مميز بالجبة والعمامة والقفطان، وأنا لا أنتقد الحجاب ولا آيات الحجاب في القرآن الكريم ولا أقول أن الحجاب للمرأة خطأ، ولكني أقول للناس لاتضيعوا الهدف. إن هدف المسلمين كلهم يجب أن يتجه إلى تغيير مافي نفوس الناس من إشراك وأوهام وجهل إلى توحيد وحقائق وعلم، هذا هو مجال التغير الذي يجب أن نبحث عنه. يجب علينا جميعاً أن نفهم أن الحق والعلم والحقائق مصدرها هو في كتابنا الذي هجرناه جميعاً وهو القرآن الكريم، فعلينا أيضاً جميعاً أن نعود إليه من دون خوف من لمسه أبداً ونقرأه ونعتبره كتابنا المقدس الذي لانستغني عنه لحظة، ليس لقراءة كلماته وآياته آلاف المرات بل لتطبيق مافي تلك الآيات من حقائق وأوامر علينا جميعاً تطبيقها آية آية، عندها فقط سوف تبدأ أمورنا بالتحسن وظروفنا بالتطور للأفضل، وسوف نجد الله معنا وهو راضٍ عنا ونجد نعمة الله تعود إلى ديارنا من جديد، وسوف نجد البركة في أموالنا وأولادنا وسوف نجد لذة نعيم الدنيا وطيباتها في أفواهنا بعد أن تعودنا على طعم المرارة المستديم. ونحاول أن نكون من المتقين الذين يخشون الله حتى لايحرمنا

رب العزة من جنته في الآخرة. حيث يكون دعوانا فيها سبحانك اللهم، وتحيتنا فيها سلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿دَعوَاهُم فِيهَا سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلامٌ وَءَاخِرُ دَعوَاهُم أَنِ الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ ـ ١٠ يونس.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

المرأة أمام محاكم الشرع الإسلامي:

إن أغلب البلاد الإسلامية اليوم لاتطبق في محاكمها البدائية والمدنية والجزائية وحتى الجنائية أحكام الشرع الإسلامي في دستورها وقوانينها، وإنما اختارت النظم العلمانية المطبقة في الغرب أصلاً، فاختارت لنظامها القضائي نفس قوانين الغرب المأخوذة إما عن القانون الانكليزي أو من القانون الفرنسي، وكلا القانونين هما محصلة خبرات شعوب أوروبا كلها مع ماأخذوه أصلاً من القوانين القديمة مثل القوانين الإغريقية أو القانون الروماني الذي ساد أوروبا فترة طويلة من الزمن حتى في بلدان الشرق الأوسط التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

والبلاد الإسلامية التي فعلت ذلك بإرادتها واختيارها. حبذا لو أكملت المشوار دون أن تقع في الخطيئة الفادحة التي ارتكبتها عندما شاءت أن تطبق من جديد أحكاماً عفا عليها الزمن من مخلفات عصر الانحدار الإسلامي وعصر السلاطين ـ تحت اسم الشرع الإسلامي ـ لو أعادت النظر فيها مع إعادة التدقيق لمعرفة صلاحيتها للتطبيق على الناس في القرن العشرين. لكنها بدل أن تفعل الذي كان مفروضاً فعله فإنها أسرعت وافتتحت باباً جديداً للقضاء واختارت له شيئاً جميلاً واحداً وهو الاسم: «محاكم الشرع الإسلامي» دون أي مراعاة لوجود تطابق بين الاسم وبين مادة القوانين التي شاءت أن تطبقها على الناس.

فالظلم لم ينشأ كما رأينا من البادرة الطيبة باختيار باب القضاء الإسلامي. وكما لم ينشأ الظلم من الاسم الذي تم اختياره لتلك المحاكم. فإنه اسم محبب، ولكن الظلم حصل ومايزال يحصل من سوء اختيار المصدر للتطبيق. ومن سوء اختيار القوانين التي لو أمعنا النظر فيها لاكتشفنا أنها لاتصلح للإنسان على الأرض أبداً، نعم لقد تم تطبيق تلك القوانين في عصر الظلمات وعصر الظلم باسم الإسلام. ولو بحثنا أكثر عن مصادر

تلك الأحكام لاكتشفنا أنها تعود بالاسناد إلى أحاديث مفتراة على الله والرسول بدليل تناقضها مع أحكام القرآن. وكما تستند إلى تفسيرات وتأويلات خاطئة لآيات الله الواضحة الصريحة من أجل غايات ومصالح سلطانية كانت موجودة ولا يمكن أن نتجاهلها بسهولة. وكما أننا لانستطيع قياس الغائب على الشاهد ولا قياس ماحصل قبل ألف سنة في بغداد ودمشق والمدينة المنورة يوماً ليصبح عاماً فيطبق في كل مكان وزمان. لا بل إن الله سبحانه قد نبهنا على هذه الناحية بإصراره الدائم في مواضيع الأحكام بالذات على ربطها دائماً بالمعروف وهو الصالح العام المتعارف عليه بأنه خير في كل زمان ومكان، فجعل القاضي الذي يحكم في قضية وهو في أمريكا أن يحكم بحسب أعراف الناس في أمريكا، والذي يحكم أيضا في باكستان أن يحكم بحسب أعراف الناس في باكستان. وهذا مطلق العدل في الإسلام وفي شرع الإسلام الحقيقي إذا أحببنا أن نبقى مسلمين. فالله سبحانه يطالبنا دائماً خاصة في آيات الأحكام أن لانثبت في أحكامنا بل نتطور دائماً مع أعراف الناس ومع تطور الظروف وتطور مافي عقول الناس، وقد فهم صحابة الرسول الكريم هذه الأمور فطبقوها عملياً، مثلاً في ظروف ضعف المسلمين ومن أجل توحيد صفوف الناس في الجزيرة العربية وحتى لا يكون هناك أعداء داخل الجزيرة العربية للأمة الإسلامية التي تحشد إمكانياتها للدفاع عن الإسلام ضد الغزو الخارجي الذي أصبح أمراً لا مفر منه بعد أن علم الفرس والروم بخطر الإسلام الحقيقي على وجودهما كطواغيت في الأرض في تلك الظروف أنزل الله تعالى الآية القرآنية التالية:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِى الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ - ٦٠ التوبة.

ولكن بعد إستكمال قوة المسلمين عاد الله تعالى فألغى وأنسى الآية السابقة بآية جديدة أخرى مزيلاً حق الأغنياء من أموال الفيء أو الزكاة أو الصدقات من بين مستحقي الصدقات وأموال المسلمين التي يجب أن تكون لمستحقيها فقط إلى يوم الدين بعد أن قوي الإسلام ولم يعد بحاجة إلى شراء بعض النفوس لتقوية موقف المسلمين السياسي فأنزل سبحانه الآية التالية:

﴿مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ كَى لا يَكُونَ دُولَةً بَينَ الأَغنِيَآءِ مِنكُم وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٧ الحشر.

هذه اللآية تلغي فئة المؤلفة قلوبهم بقوله:

﴿...كَى لا يَكُونَ دَولَةً بَينَ الأَغنِيَآءِ مِنكُم...﴾ - ٧ الحشر.

أي حتى لا يتداول أموال المسلمين فيتوزعوها الأغنياء فيما بينهم كيفما يشاءون ويرغبون تماماً كما حصل بعد أن استلم السلاطين للحكم الإسلامي.

أما قوله تعالى في هذه الآية بالذات التي تتحدث عن إعطاء الأموال:

﴿...وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا...﴾ - ٧ الحشر.

تتحدث عن العطاء المالي من الرسول والمنع المالي لبعض الناس من الأغنياء الذين كان لهم نصيب سابق كما رأينا لظروف خاصة لكن شياطين السلاطين استخدموا هذه الآية بالذات ليفهموا المسلمين أن الذي ءاتاهم الرسول هو كتاب ءاخر فيه سنة أخرى وهدي ءاخر غير موجود في كتاب الله الأساسي، فقبله المسلمون عن غفلة وعن جهل قبل أن يعلموا الموضوع الذي تتحدث عنه تلك الكلمات من جزء الآية التي نزلت أصلاً لإظهار كيفية توزيع الأموال على المسلمين وكثير من المسلمين يظنون إلى اليوم أن ما فعله الفاروق عمر قد كان اجتهاداً منه دون أن يعلموا أنه كان مستنداً إلى نص صريح في آيات القرآن الكريم وهو نص آية الحشر السابقة التي أنست آية التوبة الأولى وهذا كله طبعاً حصل في حياة الرسول وقبل وفاته طالما أن الآية تشهد بذلك في القرآن الكريم.

يجب أن نعلم ونؤمن أن كل ماحصل ويحصل الآن معن وحولنا مما يعجبنا ولايعجبنا يحصل كله بإذن الله تعالى، ولكن الله أيضاً أعلمنا أين يمكن للإنسان أن يتدخل ويغير من الظروف التي لاتعجبه بتغيير مابنفسه أولاً، وبأسلوب معالجته للأمور فيغير الله بعدها له ماكان يسعى إليه الإنسان أيضاً هذا يحصل بإذن الله وبرغبته وليس رغماً عنه أبداً سبحانه.

أما أن نعود بعد كل هذا ونفتتح محاكم للشرع الإسلامي، ثم نعود لنفتح من جديد ملفات ومكتتبات الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه أو غيره من أئمة المسلمين، لنجعل من تلك المكتتبات قوانين حقيقية لنحكم بها على الناس، فهذا مطلق الظلم بل هو الظلم بعينه.

لقد كانت المرأة مقهورة ومظلومة في كل عصور السلاطين الإسلامية التي جعلت

الرجل سلطاناً عليها وحدها، ومستبداً بأمورها، استناداً لحديث سبق أن تحدثت فيه في موضوع (ثلاث أحاديث) في كتابي «دين السلطان». وكأننا مازلنا في عصرنا هذا نرغب بإبقاء المرأة على الوضع الذي رتبه لنا أجدادنا، ونبقيها حيث هي مقهورة مذلولة ومظلومة، فأعدنا من أجلها محاكم التفتيش على الأرض مرة أخرى!!! مازال غالبية المسلمين إلى اليوم يحرمون المرأة حتى من الحقوق الطبيعية التي منحها الله سبحانه لكل البشر مثل: حق التعليم.

وكما حرمناها من أهم الحريات بالنسبة للإنسان وهي:

حرية الرأي حتى في التصرف بنفسها فيما تختار من زوج لتعيش معه بقية عمرها. فرب أب يبيع ابنته لثري من أجل المال، دون أن ينظر ماذا فعلت يداه، هل هناك ظلم على الأرض أشد من ذلك، أب يبيع ابنته من أجل المال باسم الزواج الشرعي، وقد يكون العريس بعمر جدها. لايهم طالما قد دفع المطلوب. ثم إن عادت بعد أن طلقها الزوج استقبلناها في المحاكم الجديدة التي أنشأناها خصيصاً من أجلها لا من أجل أن ننصفها كما أمر الله به في كتابه، بل كما أمر به السلاطين في عصر ظلمات المسلمين وبالافتراءات التي أوجدها معاونوه من أجل تحقيق رغبات السلطان العزيز.

وسبب تركيزي على موضوع المرأة في كتابي هذا أننا نحن المسلمين، إذا لم نحل هذه العقدة التي مازالت مستحكمة فينا جميعاً، في نظرتنا للمرأة نتيجة العقلية السلطانية التي ورثناها ومازلنا نرددها في مساجدنا باسم أحاديث نبوية شريفة، وليس فيها من النبوة ولا من الله أي شيء إذا بقينا على هذه الأفكار فلا مجال للتطور نحو الأفضل أبداً. وقد تستغربون ما أقول ولكن إليكم الدليل: إن المرأة تشكل نصف المجتمع ونصف العالم ونصف المسلمين، فإن حافظنا على هذا النصف مشلولاً فإننا لن نصلح لشيء أبداً. لأن هذا النصف غير موجود في قارة والنصف الآخر في قارة أخرى، بل إن هذا النصف موجود في كل بيت وفي كل أسرة، وهكذا يمكن أن نتصور أن شلل هذا النصف يؤدي إلى شلل كامل في مجمل الأمة. ونحن نعلم أن الأرض يتبدل عليها الناس، أجيال تخلق وأجيال تستلم زمام الأمور وأجيال تودع الحياة وتموت، هذه هي السنة التي أوجدها الله على الأرض، فمن الذي يهيء الأجيال الجديدة لاستلام زمام الأمور؟

إنها المرأة والأم، في كل بيت. فإذا كانت هي نفسها عاجزة نتيجة الظروف التي

حكمنا بها عليها. وهي نفسها جاهلة لأننا حرمناها من حقها في التعليم. وهي نفسها مهزوزة الشخصية والنفسية لأننا أنشأناها تحت ظروف الاستبداد، استبداد وتسلط وظلم وقهر، ثم بعد كل هذا قلنا لها إليك هؤلاء الأطفال فأحسني تربيتهم، فإن الإناء لاينضح إلا بما فيه، ولايمكن أن نتوقع منها أكثر مما أعطيناها، وسوف تخرج لنا أسوأ جيل. فإذا كان هناك محكمة وقضاء وكُنتَ قاضياً فيها. هل تحكم على المرأة لأنها أساءت تربية أطفالها؟

إن حكمت عليها تكون قد ظلمتها ولم تنصفها. وإن حكمت على الرجل الذي هو زوجها تكون أيضاً قد ظلمته لأنه هو نفسه لايعرف الصحيح من الخطأ، إذن أين يجب أن يكون حكمك ومن هو المسؤول عما يحصل؟

إن المسؤولية تقع على المفكرين من كل أمة، إذ لم يخلق الله أمة بلا مفكرين، فالله سبحانه يمنح الحكمة لكثيرين من عباده، وطالما تلقى العبد تلك الحكمة أصبح من مسؤوليته استخدامها وإلا لما حمل الأمانة ولما قام بواجبه. يجب أن يقوم كل المفكرين بتنبيه الناس على الأخطاء ونواحي الضعف ومصادرها. يجب على المفكرين أن ينبهوا الناس أن مصادر العلم أهم بكثير من معاهد التعليم، فالإنسان الذي يعرف ماذا قال الله في القرآن الكريم يمكن أن يعتبر من الراسخين في العلم كما كان الرسول وصحبه، وكما أن الذي يحفظ مليون حديث من الأحاديث المفتراة على الرسول محمد ﷺ دون أن يعلم أن كل مامعه يناقض ما أمر به الله في القرآن فهو من أشد الجاهلين وأكثرهم ضرراً لنفسه وللناس. لأنه بما معه من مصادر للضلال يُضل به نفسه والناس من حوله ولايهديهم إلى كتاب الله الذي بقي مهجوراً.

فمسلم اليوم مازال يفكر في المرأة كما كان آباؤنا الأولون في عصر الجاهلية يفكرون فيها بأنها مصدر العار:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَداً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلَى هَونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَآءَ مَا يَحكُمُونَ﴾ ـ ٥٨ ـ ٥٩ النحل.

إن هذه العقلية الجاهلية عادت لتستحكم بنا من جديد بعد أن ضيعنا الطريق الذي كان عليه الرسول محمد وصحبه في صدر الإسلام ودخلنا بعدها إلى عصر جاهلية أكبر وأعظم من الأولى.

يجب أن يكون مصدر علمنا ومعرفتنا كله من القرآن العظيم، فليس في ذلك

الكتاب ظن ولا تخمين بل كل مافيه حق ونافع إلى يوم الدين. فالله سبحانه لايفرق في ذلك الكتاب بين الذكر والأنثى إلا في أمور ثلاثة شرحتها قبل هذا وهي:

١ ـ موضوع اعطاء درجة للرجل على المرأة في القيادة.

٢ ـ جعل شهادة المرأة تعادل نصف شهادة الرجل.

٣ ـ جعل حظ الذكر في الميراث مثل حظ الانثيين.

فيما عدا هذه الأمور الثلاثة التي لها أسبابها الخَلَقيةُ ليس هناك من أي فرق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات أبداً.

اللهم إذا كان مصدر علمنا هو القرآن الكريم وحده أما إذا اعتبرنا مايقال في الأحاديث المدعاة للرسول ﷺ فإن الموضوع يختلف جداً.

ونعود إلى الأوضاع القائمة عندنا الآن. لأن هذا من هذا، فالظلم الذي نعاني منه هو مما نحمله من مصادر للعلم وهي كلها ليست كذلك أبداً.

والذي يظن أن أسلوب المحافظة على المرأة ومكانتها وشرفها هو أسلوب حجزها والحجر على حريتها وتصرفاتها وسجنها في البيت. يكون قد أخطأ الأسلوب والوسيلة. إن أفضل أسلوب للمحافظة على المرأة هو تعليمها العلم الصحيح، وأن نقوي من قوتها في نفسها وفي جسدها ومن معنوياها، ونجعل منها إنسانة واثقة من نفسها وعلمها ودينها وربها ومعرفتها لمكانتها ولدورها الذي أسنده الله إليها، والذي لا يقل عن دور الرجل إن لم يزد عليه. وأن تعرف أن الغريزة الجنسية ودوافعها أوجدها الله سبحانه من أجل التزاوج والتوالد وتجديد الأجيال على الأرض وليست لمجرد المتعة، بل لها هدف نبيل قصده الله سبحانه وأن عليها أن تختار بنفسها بعد ذلك ممن يتقدمون إليها لخطبتها من معارفها وأصدقائها أو أقاربها من تجد فيه الصفات التي تراها ملائمة في زوج المستقبل الذي تحلم به لتكافح هي معه في هذه الحياة الدنيا، وتعمل على إنشاء جيل جديد أفضل من جيلها، وتحاول أن تعطيه من الحقوق أكثر مما أخذت هي من والديها وتطلب منه من الواجبات أيضاً أكثر مما طلب منها، حتى تساهم في عملية تطوير المسلمين وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والسياسية في العالم كله، بتقديم جيل أفضل من جيلها للمستقبل. والسنة التي يسعى إليها ربنا في هذه الحياة كلها، سنة التطور دائماً نحو الأحسن والأفضل، لأن الله سبحانه يسحب عقد الاستخلاف في الأرض من الذين يفشلون في فهم قوانين وسنن الله في الأرض ومن لايصدق ليقرأ قصص القرآن.

وكمثال على ظلم المرأة في الشرع الذي اختاروا تطبيقه عليها سوف أضرب مثلين من الواقع الحالي ليكونا شاهدين على هذا الظلم الحقيقي الذي يحدث اليوم:

لو فرضنا حالة مطلقة ميسورة الحال مادياً طلقت من زوجها وعندها ابنتان وولدان في أعمار تتراوح بين العشر والأربع سنوات ولاتريد من زوجها نفقة إضافية فوق المذكور لها في آية القرآن، مثل حق نفقتها هي، وحق نفقة الرضيع، لكنها شاءت واختارت أن تربي أطفالها بنفسها وتحت رعايتها المباشرة وإشرافها وتريد أن تحمي أطفالها من ظروف وجود امرأة أب لما يمكن أن يقاسوه من عذاب والم جسدي ونفسي، ولا تريد أن تتزوج وتريد أن تضحي بشبابها إنقاذاً لأطفالها من شر قادم. الآن: ماهو الذي يمنع القاضي الشرعي إذا كان مصدر حكمه من القرآن الكريم وأن يحكم لهذه المرأة بحق الحضانة الدائمة لأطفالها، على أن لايسقط حق الزوج من أن يراهم أو يأخذهم أحياناً في نهاية الأسبوع للتعرف على أبيهم الذي من حقه أيضاً أن يحبهم، طالما هو غير قادر على تلك التضحية والجلوس في البيت للتفرغ لأطفاله بل يريد أن يتزوج من جديد؟

أقول لكم صدقاً لقد بحثت في كل آيات الله في القرآن فلم أجد مايمنع ذلك، بل رايت كثيراً من الآيات تشجع عليه بدليل المعروف الذي هو المتعارف عليه بين الناس على أنه خير وصالح للمجتمع. إن الله سبحانه عندما أراد أن يحدد للناس عدد الركعات في كل صلاة، وقيمة مايستطيع دفعه الناس من أموالهم كزكاة جعل رسوله محمد ﷺ الإنسان هو الذي يقرر بنفسه ماذا يتحمل أمثاله من بني الإنس ولم يشأ سبحانه أن يحددها. كذلك ترك الله سبحانه أن يقرر الناس لأنفسهم أحكامهم، شريطة أن لايتعدوا حدوده وطالما لم يتجاوزوا تلك الحدود فهم يسيرون في شرع الله - وهذا هو المهم - فليس ما يمنع القاضي من أن يحكم بما يراه أنه العدل الذي يتماشى مع آيات القرآن، طالما يحكم في ذلك كله عقله الذي هو الميزان. وإن أخطأ فهذا أفضل بكثير من أن نعطيه نص لايمت لشرع الله بشيء ونقول له نحن لانريد منك أن تحكم عقلك وإنما نريد أن تطبق هذا النص على الناس، فأين العدل في هذا القضاء؟

لن تجدوا مهما بحثتم في آيات القرآن الكريم ونصوصه، أن الأطفال إذا حصل الطلاق هم دائماً من حق الرجل، صحيح الدين لم يفرض على المرأة ذلك، وإنما ترك الفريضة على المسؤول مالياً وهو الرجل لكن في هذا المثال الذي قدمناه فالمرأة هي التي

تطلب دون أن يفرض عليها.

وأحكام شرع القرآن تميل دائماً للتيسير دون التعسير، حتى المحرم من المأكولات يسمح بها الله سبحانه في حالات الاضطرار، أفلا يسمح لأم أن تربي أطفالها إن شاءت؟ إن الله سبحانه الذي يقول عن نفسه بأنه لايظلم مثقال ذرة لايمكن أن يكون شديد الظلم على المرأة أبداً وإنما هذا الظلم من الإنسان للإنسان.

ثم على افتراض أن المرأة ليست قادرة مالياً، لكن عندها الاستعداد لتربية أطفالها دون أن تتزوج، ماالذي يمنع أن يكون في ميزانية الدولة أو ميزانية وزارات الأوقاف مال مخصص لمثل تلك الحالات تنفق على العائلات حتى لايتخرج في المستقبل شباب وشابات يحتاجون للمعالجة النفسية لفترة طويلة حتى يعودوا أفراداً أسوياء نفسياً وعقلياً.

يجب أن لا نخجل من قول الحقيقة ونطمر رؤوسنا في الرمل، بل يجب علينا أن نعترف أن كل ماعندنا من أنظمة القضاء والشرع الإسلامي بحاجة إلى إعادة النظر. أما أن نحكم على هذه المرأة وأمثالها بحسب فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، أو أي إمام آخر من القرن العاشر الميلادي: فإن ذلك يعتبر منتهى الظلم في العالم كله ولايمكن أن يقبل به شرع ولاعقل ولا منطق سليم أبداً.

والمثال الثاني الذي أريد أن أضربه هو:

حتى يكتمل ظلمنا للمرأة بعد أن حرمناها من حقها في العلم، وحقها في حرية الاختيار لزوجها، زوجناها زواجاً تعسفياً ونحن نقول سكوت البكر دليل رضائها دون أن نعلم كيف تم إسكاتها وكتم أنفاسها، فتعود بعد أن يطلقها زوجها مطلقة ومعها رضيع أو رضيعين من ثمرات زواج فاشل نحن ساهمنا مساهمة مباشرة في فشلها. فوضع هذه المطلقة من أسوأ الأوضاع التي يمكن تصورها على الأرض، فلا مال يحميها ولا بيت يؤويها إذا كانت يتيمة، فهي إما أن تقبل أن تكون خادمة في بيت أحد إخوتها، وهي تهان علناً أمام الجميع كل يوم، أو أن تعمل خادمة في المنازل لتطعم أطفالها، إن لم تضطر أن تفعل ماهو أسوأ من ذلك.

والمثال هو التالي: إذا رأى أحدنا هذه المطلقة مع رجل لايعرفه بدأ في التقول عليها في عرضها وشرفها، مع أن الرجل الذي لم يعرفه قد يكون أحد محارمها الشرعيين، فلو حدث أن تقول رجل أو تقولت إمرأة على هذه المطلقة فتقدمت إلى المحكمة الشرعية بدعوى قذف باسم القاذف أو القاذفة، ليحكم لها بشرع الله ماذا نجد في شرع الله

الذي هو القرآن الكريم حول هذا الموضوع؟

﴿وَالَّذِينَ يَرمُونَ المُحصَنَاتِ ثُمَّ لَم يَأتُوا بِأَربَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجلِدُوهُم ثَمَانِينَ جَلدَةً وَلا تَقبَلُوا لَهُم شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ - ٤ النور.

أي أن حكم الشرع هو جلد الرجل أو المرأة ثمانين جلدة بلا رحمة ثم سحب الحقوق المدنية منهما.

فلماذا لاتطبق المحاكم الشرعية عندنا إذن هذه الأحكام على الذين يفترون الكذب، ويرمون المحصنات كل يوم دون رحمة ولاخجل ولا خوف من الله سبحانه.

أنا أعلم ماذا سوف يكون جواب المحاكم الشرعية عندنا اليوم، سوف يقولون روى فلان عن فلان حتى آخر فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ويأتون بمقولة تلغي مفعول آية القرآن الكريم وينسخون أمامك القرآن وأنت تقف أمامهم. وهذا هو الدين الذي بقي عندنا ونحن نسميه بدون أن نخجل من أنفسنا ومن الله سبحانه أنه الإسلام، فاين الإسلام من كل مانحن فيه الآن؟

تساؤلات لابد منها تتعلق بوضع المرأة العام ونظرة المسلمين الدينية؟

لابد لكل مسلم ومسلمة يهمهما إصلاح الأوضاع القائمة حالياً في مجتمع المسلمين من أن يتساءلا قائلين: هل نحن المسلمين خاصة والشرقيين عامة أقل ذكاء واستعداداً ومواهباً من الغربيين؟

وأجيب عن نفسي كأحد المتسائلين وأقول: من الملاحظ بل والملفت للنظر أن الطلاب المسلمين الذي سمحت لهم الظروف بالدراسة والتخصص في معاهد وجامعات الغرب، كانوا من المتفوقين على زملائهم الغربيين، وقد قابلت من يعرف بهذه الحقيقة من الغربيين أنفسهم سواء من الذين درسوا كزملاء مع المسلمين الشرقيين أو من الذين كانوا يُدَرّسون كأساتذة للعلوم المختلفة.

ولا أريد أن أصل إلى نتيجة غير حقيقية وغير صحيحة وأقول أننا أفضل منهم عقلياً، ولكني أريد أن أقول أننا لانقل عنهم أبداً وقد يكون سبب التفوق الظاهر ناتجاً عن أسباب أخرى مساعدة، وهي كون الطلاب الشرقيين الذين ذهبوا إلى الغرب من أجل الدراسة تاركين خلفهم آباء وأمهات وأهل يتوقعون منهم النجاح وقد ضحوا من أجلهم وقطعوا عن أنفسهم حتى يتيحوا لأبنائهم علما ودراسة وظروفاً أفضل مما وجدوه وتلقوه

من آبائهم، وتلك هي سنة الله في التطور نحو الأفضل والأحسن. هذا مع دوافع شخصية وتربوية أخرى تجعل منهم طلاباً أكثر جدية والتزاماً بالدراسة وأوقاتها واختباراتها وامتحاناتها مع قدرتهم على تأجيل ساعات المرح واللعب والتسلية التي تعود عليها طلاب الغرب أكثر منهم.

إذن فالنتيجة النهائية للجواب على التساؤل الأول أنه ليس من فرق أبداً بين الشرقي والغربي من ناحية الإمكانيات والقدرات والمواهب الممنوحة لكل أفراد الأمم من قبل الله بدون تمييز أمةٍ على غيرها من الأمم.

التساؤل الثاني: هل هناك فرق كالفرق الذي يحس به الشرقي عندنا إذا كان عنده أربع بنات مثلاً عن الشعور الذي يحس به الغربي الذي عنده أيضاً أربع بنات؟

أولاً لنصف شعور الشرقي النموذجي بحسب العقلية الحالية إذا كان عنده أربع بنات: إنه شعور من عنده أربع مصائب من الله، أربعة شرور لابد منها، وهو ملزم على تقبلها والله بذلك يختبر صبره وإيمانه. فعند هذا الأب خوف دائم من أن تتعرض سمعته وشرفه للعار في مجتمعه في يوم من الأيام فيختار الوسيلة الخاطئة، لجهله أولاً ولعدم وجود مصادر للحق بين يديه ثانياً فكل المصادر المتوفرة حوله مصادر للضلال سواء لجأ للمتوفر من الكتب أو لجأ لعلم من نسميهم بالعلماء، فإنه لن يحصل إلا على النصيحة بحجرهن بعد سن العاشرة أو ماقبلها، بعد أن تعلمن كما نقول بالتعبير الشرقي فك الخط وقراءة القرآن الكريم. فيطبق جهلاً منه وأنانيةً تلك النصيحة فيعمد على حبسهن داخل جدران البيت بحجة أنه لايتأخر عنهن بشيء لمجرد قيامه بإطعامهن وكسوتهن، قائلاً لهن أن مستقبل البنت زواجها، دون أن يهيئها للحياة ولتحمل مشاقها ودون أن تعرف أصول الكفاح والجهاد في الحياة. بل يهيئها لعائلة المستقبل، لتكون أماً جاهلة تماماً مثل ماكانت أمه حتى لايتقدم المسلمون ولايتحركون من أماكنهم في هذه الحياة أبداً. ودون أن يعلم أن تسليح الفتاة بالعلم والثقافة أمران ضروريان حتى لو كانت لن تستخدمها الفتاة كوسيلة من وسائل كسب الرزق وقد قال الله تعالى لنا لنميز ذلك:

﴿...قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعلَمُونَ...﴾ - ٩ الزمر

لا يمكن بأي عرف أن تتساوى الفتاة المتعلمة المثقفة مع الفتاة الجاهلة أبداً طالما نتحدث عن تربية وتعليم البنات.

لأن الفتاة التي نحرمها عمداً عن الدراسة والعلم مع الإكتفاء بتركها في فراغ كامل

في البيت مع أم جاهلة أيضاً مثلها، لن تستطيع أن تجد وتعرف بجهلها هذا حتى هواياتها ورغباتها الشخصية ولن تُكتشف مواهبها الحقيقية التي لا تظهر إلا من خلال التنافس الحر على مقاعد الدراسة فلا تسمع في البيت من أمها وجاراتها إلا الكلام عن الطبخ والنفخ أو الكلام عن الملبوسات الفاخرة والذهب والألماس والحلي ومستحضرات التجميل مع كثير من الكلام على الناس استغابة وحسداً وظناً قد يتعرض حتى لأعراضهم وقذف المحصنات جهلاً وعندما تكبر الفتاة وتنضج أنوثتها وتبدأ غددها الجنسية بالإفراز للعمل، تكون عندها لم تحضر عقلياً وتربوياً لهذه المرحلة بعد، فتبدأ لتتعلم عن الجنس والغريزة من صديقاتها من مثيلاتها الجاهلات أموراً جد خطيرة على نفسيتها وعذريتها، فينحصر تفكير الفتاة كله في تلك المرحلة نتيجة التنشئة الخاطئة في الجنس مع عدم وجود مصادر صحيحة لتتعلم منها حولها، لا من أم ولا من كتاب علمي تربوي عن الأمور التي يجب أن تعلمها كل فتاة.

ويجب أن يكون في علمنا أن الفتاة التي ربيت تحت مثل هذه الظروف وأنشأت مثل هذه النشأة الخاطئة إمكانية واحتمال سقوطها في الخطأ أكبر بكثير من الفتاة التي أنشأت تحت إشراف أبوين مثقفين في ظروف توفر الحرية والتطبيق للمساواة والديموقراطية الحقيقة بين البنت والولد في البيت دون فارق في المعاملة مع إتاحة نفس الإمكانيات للجميع دون تفريق بما يتعلق بالعلم والدراسة مع مساهمة الأب والأم في توعية أولادهم حتى من الناحية الجنسية وعدم الخجل والحرج الغير طبيعي للكلام عن هذه المواضيع فمن حق الفتاة أن تعلم من أمها كل أسرار جسدها مع ما يرافق هذه التغيرات من غرائز وعواطف وميل طبيعي نحو الذكور من جيلهم. وهذه المعرفة العلمية حتى من المدارس ومعاهد التربية أفضل من أن يكون الحصول عليه بأساليب خاطئة وفي أوقات متأخرة من خارج البيت والمدرسة، لذلك يجب أن يعلم الأب أن ما يصون ابنته ليس حبسها ولا حجرها داخل جدران البيت، عن العلم والدراسة، وليس الحجاب الشرعي مهما طال واستطال ومهما غطى فإنه لن يحفظ ويصون المرأة إلا عقلها الذي يجب أن يسلح بالعلم الصحيح دائماً، فهو مجال الحجاب الحقيقي فعلى كل أب غيور يريد أن يصون عرضه وشرفه أن لا يحرم بناته من العلم الصحيح وعن مصادر العلم الصحيح أبداً لأنه لن يصون ابنته وعفتها إلا إرادتها الحرة خاصة إذا كانت تلك الإرادة صادرة عن إنسانة قوية الثقة بنفسها وعلمها ودينها وربها وبأبويها ومحبتهم لها وعطفهم الكبير عليها.

ولو فرضنا بعد ذلك أن رجلاً غربياً عنده أربع بنات فماذا يكون موقفه اليوم؟

إن الرجل الغربي خاصة المثقف لم يعد يميز كثيراً أن يكون عنده أربع بنات أو أربع أولاد أو ولدين وبنتين في البيت، فهو ينظر للجميع بعين المساواة مع معرفة الفروق الفيزيولوجية طبعاً. لكنه لايقصر من ناحيته وكما لاتقصر زوجته التي لاتقل علماً وثقافة عنه من كل نواحي الاهتمام، ومنح الإمكانيات وإتاحتها للجميع دون أي تفريق على الإطلاق، والذي يقرر في النهاية ماذا يختار ليدرس هو الشاب أو الشابة لوحدهما، وكل مايمكن أن يتدخل به الأبوان قبل وصولهما إلى مرحلة اتخاذ القرار هذه، هو مجرد التوجيه الصحيح مع النصيحة ومع مراعاة المواهب المكتشفة من البنت أو الولد قبل ذلك خلال مرحلة الدراسة.

أنصح القارىء أن لايقع في خطيئة الحكم على الغربيين من خلال مايشاهده من أفلام هوليود، فتلك الأفلام لاتمثل أبداً حياة ونفسية الغربيين، والغربي مثلنا إنسان له عقل ومشاعر ويحب ويكره ويغار على عرضه ويخاف على بناته ويعتبر الكذب من أكبر الخطايا، ويعلم ماهي الوصايا العشر، ويعبد الله ويذهب إلى الكنيسة كل أسبوع وله شرعه ودينه، لكن إذا تصورناه إنساناً بلا مبادىء ولا أخلاق ولا قيم ولا عادات ولا أعراف يسير بموجبها، فإن هذا الإنسان عاجز عن أن يعيل نفسه فكيف إذن نتصور بناء الحضارة الغربية التي قامت ونعيش فيها اليوم؟

هل تمت هكذا سحراً بدون سواعد حقيقية تعبت وعرقت كثيراً من أجل بنائها؟

لماذا لاننظر في كتابنا الذي يقول لنا الحقائق دائماً؟

﴿لَيسُوا سَوَآءً مِّن أَهلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيلِ وَهُم يَسجُدُونَ * يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأخِرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفعَلُوا مِن خَيرٍ فَلَن يُكفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ﴾ - ١١٣ - ١١٥ آل عمران.

- يُكفَروهُ: هنا بمعنى يُجحَدوهُ أي أن الله لن يجحد بحق هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب بل سوف يجازيهم بما يكافيء أعمالهم حسنات في الآخرة.

وكما قال الله سبحانه لعيسى عليه السلام في القرآن الكريم:

﴿...وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَومِ القِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرجِعُكُم فَأَحكُمُ بَينَكُم فِيمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ - ٥٥ آل عمران.

لذلك يجب أن نبتعد عن الظن ولانحكم هكذا من دون علم حقيقي على الغربي وأخلاقه وقيمه ودينه ومثله وأساليب تربيته بأنها خاطئة سلفاً، ونحكم لأنفسنا بالنزاهة والعلم والمعرفة والدين والأخلاق.

وأرجو من القارىء أن لايفهمني خطأ ويظن أني أدعو الشرقي ليصبح غربياً.

إن هذا عكس ماأدعو إليه تماماً. أنا أدعو الشرقي المسلم المؤمن بدين الإسلام أن يبقى على دينه ويزداد به وبربه إيماناً ولكن عن طريق الإيمان والعمل بكتاب واحد هو القرآن، الذي يدعو إلى العلم الصحيح والعمل الصحيح، وهذا تقريباً مايطبقه كثير من الغربيين باتباعهم للعلم، فنعمد إلى معرفة الأساليب العلمية في التربية الإسلامية، بعد أن ننسى كل ماكنا نظنه من مصادر للعلم التي مازلت أردد على مسامع الجميع بأنها مصادر للظن والوهم والباطل.

فتسليح الشاب والفتاة بالعلم والمعرفة الحقيقية، بشكل طبيعي ودون مواقف الحرج والتشنج أو الخجل الذي يكون غالباً في غير مواضعه. لابل يحبذ للأم المثقفة أن تتولى هذه الأمور مع بناتها كما يتولى الأب المثقف ذلك مع أبنائه. أما إذا حكمت الظروف بأن يكون الأب هو الوحيد في البيت الذي على علم وثقافة ودراية بمثل هذه الأمور، فلا بد عندها من أن يتولى بنفسه رعاية الطرفين ذكوراً وإناثاً. متدبراً أموره بما يلهمه الله من أساليب ليجد الطريقة الأفضل لإدخال الحقائق في عقولهم الفتية مع المثابرة على تثقيفهم، خاصة مع بداية مرحلة المراهقة حتى يعلموا أسباب التغيرات الحاصلة في أجسامهم ونفسياتهم. وهذا حق شرعي أساسي للأولاد والبنات على حد سواء.

فالفتاة التي تنشأ على مبادىء العلم الصحيح وتعيش حياة طبيعية في أسرة متفاهمة متناغمة، يسود فيها روح الديموقراطية والتشاور والتباحث في الأمور الهامة، دون أن يكون من حق أحد على فرض الأمور دون طرحها للمناقشة الحرة بغض النظر عن الأعمار، فهذا الحق متاح للصغير قبل الكبير. عندها سوف نجد الفتاة أو الشاب قادرين على أن يحفظا نفسيهما من جميع الأخطار المحيطة بهما من جنس ومخدرات ومشروبات وحتى من التدخين أكثر من البنت التي حجرنا عليها بحبسها في البيت، ونحن نظن أننا نفعل الخير الذي يطلبه الله في شرعه ونطبقه بحذافيره عليها. مختارين الشرع الخاطىء، وأكثر من الشاب الذي منحناه كل الحريات قبل أن يكون جاهزاً لمعرفة الصح من الخطأ، وقبل أن نسلحه بالعلم والثقافة والمعرفة اللازمة لتحمل

مسؤولياته تجاه الحقوق التي أخذها وهو لايقدرها بعد حق قدرها. ودون أن نعلّمه حجم الأخطار التي ستقابله وهو سوف يواجهها حتماً كحقيقة واقعة في محيطه كله سواء في المدرسة أو في العمل أو في خضم الحياة كلها.

فنحن لم نخطىء السبيل فقط باختيار المبادىء الخاطئة لتربية البنات، بل أخطأنا أيضاً السبيل باختيار المبادىء الخاطئة لتربية الأولاد والشباب أيضاً. إذن نستطيع أن نلخص التساؤل الثاني كما يلي:

إن التربية التي أساسها العلم والثقافة مع معرفة حقيقية لأساليب التربية النفسية والعلمية الصحيحة أفضل وأنجع وأنفع بكثير مما نفعله ونتخذه من أساليب أساسها ومصادرها الظن والتخمين الممزوجة بمشاعر الخوف من العار. على أن كل الأساليب التي نتبعها إلى اليوم خاطئة سواء في تربية البنات معتمدين على مبادىء الحجر والمنع والرفض مع الاستبداد بالرأي والقهر للأنثى في جميع مراحل حياتها، مع إنكار وجود نفس إنسانية مستقلة بشخصيتها وإرادتها، وإنكار كيانها الذاتي وحقها الشرعي من الله في اختيار ماتشاء بإرادتها الحرة لكل شيء. خاصة بعد بلوغها سن الرشد والعقل، وذلك لن يكون إلا بعد تجاوزها سن المراهقة. أو في تربية الذكور في كل مانختاره من أساليب خاطئة وذلك بمنحهم الحرية كاملة قبل أن نعلمهم مسؤولياتهم والتزاماتهم مقابل تلك الحريات، إذ يجب أن يتعلموا سلفاً أن كل حق في هذه الحياة يقابله واجب ومسؤولية والتزام واجب الأداء، وليس من حق في هذه الحياة مجاناً وبلا مقابل أبداً والمقابل هو واجبهم الإنساني تجاه ذلك الحق.

وهكذا بعد أن تكون الفتاة قد تلقت مع أخيها الشاب العلم الصحيح مع التربية الدينية والثقافية اللازمة، وصارا قادرين على تحمل مسؤوليات الحرية والتزاماتها، يجب أن يعلما أنهما مخلوقان قد منحهما الله سبحانه حقوقاً كاملة باستعمال واستخدام حرية الإرادة بالاختيار لكل قراراتهما الهامة بأنفسهما، مع العلم أنهما أيضاً تحت طائلة المسؤولية المترتبة على ذلك الاختيار الذي تعلموه من آبائهما من شرع الله الصحيح الذي مصدره كتاب الله الوحيد في هذا العالم كله، ليكون مصدر الحق والنور الأول للإنسان. فالله سبحانه يُعَلِّمُ الإنسان من خلال آيات الكتاب ويشرح لنا محاسن ومساوىء كل اختيار. وطالما قد فهم أبناؤنا وبناتنا شرع الله الصافي مباشرة منه سبحانه بدون تدخل مفسرٍ أو مؤوّلٍ أو ناقل لحديث مفترى يقلب معاني الله رأساً على عقب،

فلا خوف على أبنائنا فإن معهم أعظم سلاح للمعرفة. معهم كتاب الله الذي يقول لهم الحق والصواب في كل شيء. فالله سبحانه لم ينس أي شيء مهما كان صغيراً، فكل الإجابات لكل الأسئلة سوف يجدونها في ذلك الكتاب الذي تعلموه من أبويهما. علينا فقط أن نعلمهم بأن الخير دائماً موجود في القسم الذي يختاره العقل وا لمنطق السليم، وأن الدين كله علم ومنطق، كما أن الشر بشكل دائم موجود في القسم الذي تختاره الأهواء والشهوات التي لايكون العقل والمنطق يقبلان بها أصلاً.

يجب أن نعلم أولادنا أن العقل والمنطق هما جهاز واحد ومنحة إلهية من روح الله منحها الله للإنسان اعتباراً من لحظة النفخة الأولى التي تلقاها آدم المصطفى من روح الله. ويجب أن نعلمهم أن هذا الجهاز يكبر وينمو بالعلم والمعلومات وبالتعلم بالقراءة من الكتب والكتابة بالقلم والاستخدام المستمر للعقل من قبل الإنسان:

﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ ـ ١ العلق.

﴿اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ﴾ ـ ٣ ـ ٤ العلق.

وكما يجب أن نعلمهم أن نفس الجهاز يصغر ويضمر ويصبح ضعيفاً هزيلاً بترك العلم ومصادر العلم الصحيحة، فيوصف صاحبها بالجاهل، ومن أجل ذلك نرى الجاهل تسيطر عليه غرائزه وأهواؤه لأنها تصبح في جسده أقوى من عقله الذي ضعف وضمر من الإهمال، والذي يُحشى دماغه بمعلومات خاطئة وكلها ظنٌّ وتخمين وليس فيها علم صحيح أبداً يصبح أخطر من الجاهل الحقيقي. لأن ضرره يتعدى نفسه باتباعه الجهلاء وهم يظنون أنه مصدر نافع للعلم وليس معه من العلم شيء.

التساؤل الثالث: ماهو الأحسن والأفضل والأنفع للفتاة ومستقبلها وحياتها؟

هل هو الجمال في الخلق والصورة في الشكل واللون والطول موهبة من الله سبحانه؟

أم أن الأفضل لها هو الجمال المكتسب الذي يدوم معها من العلم والتربية والثقافة والأدب والدين الذي كله علم، خاصة إذا كان من القرآن الكريم؟

مثال: لنفرض أن عائلة مسلمة عندها أولاد وبنات في سن الشباب والمراهقة، وصدف بين البنات من تميزت بجمال خاص ملفت للنظر بحسب الأعراف والمقاييس السائدة في المجتمع. إن المحيط الشرقي الإسلامي الحالي والمتميز بالجهل كصفة عامة يوجِدُ حول تلك الفتاة الجميلة هالة خاصة، فالكل من الأهل والأقارب والأصحاب

والمعارف يطرون جمالها علناً، حتى أمام باقي أخواتها البنات، فيخلق عند البنت نفسها نوع من المباهاة والتفاخر بشيء لافضل حقيقي لها فيه، فهي لم تفعل أي شيء من أجل تحقيق هذا المكسب المجاني لتتميز به هكذا علناً على أخواتها، وهنا يبدأ أول الظلم الناتج عن الجهل الحقيقي الذي نعيشه كحقيقة واقعة في هذا الشرق العزيز.

ولنفرض أن أمها أيضاً كانت جاهلة مثل أغلب الأمهات اللاتي تركن جاهلات عن قصد وتعمد عندنا. فإنها سوف تباشر بالمساهمة مدفوعة بجهلها الذي أصبح طبيعة فيها، وتزرع في فكر ابنتها التي لاتقل جهلاً عن أمها ميزة تفوقها في جمالها على أخواتها وأقرانها، فتبدأ بتوجيهها للزواج المبكر على أنه سنة من سنن الإسلام المحببة وسنة سنها الرسول ﷺ الذي تزوج بعائشة رضي الله عنها وهي في سن التاسعة، علماً أن المسلمين جميعاً لايعرفون حقيقة هذه الأمور إلا ظناً من خلال روايات متناقضة وكل رواية تنقض أختها. فتزوجها العائلة في سن مبكرة جداً - بعد أن يكونوا قد حشوا مخيلتها بالأوهام والروايات عن العز والمال والجواهر والخدم والحشم - إلى ثري كان يبحث عن جسد جميل للمتعة. ثم يسمون هذا كله زواجاً شرعياً، والفتاة لم تكن بعد قد وصلت إلى السن التي تستطيع أن تحكم فيها بنفسها على أمورها أو أمور أحد فكيف لها أن تحسن القرار في موضوع زواج يقرر مصيرها كله.

أما بقية الأخوات اللاتي لم يتميزن بذلك الجمال، فقد تعمد الأسرة إلى تدريسهن بحجة أن العلم سلاح يمكن أن يفيدهن في المستقبل إذا لم تستطع أحداهن أن تجد لنفسها زوجاً مثل أختها المحظوظة، فتدرس حتى تحصل على شهادة في الطب أو الصيدلة أو أي مجال آخر من المجالات، فنجد أن الفتيات اللاتي تسلحن بالعلم الحقيقي قد نجحن في حياتهن على جميع المستويات أكثر من الفتاة الأولى التي صارت جارية جديدة من جواري ثري من الأثرياء، وفشلت في حياتها كلها، ولم تحقق شيئاً أبداً.. وهذا كان ظلماً أساسه مصادر الوهم عندنا.

كما يمكن أن يحصل العكس أيضاً، إذا كانت الأسرة من النوع المتزمت، فمنعت باقي البنات حتى من تحصيل العلم، وحجرتهن في البيت، وعشن ظروفاً غير طبيعية بتفضيل الأخت الجميلة عليهن جميعاً، فنكون قد زرعنا الحقد والحسد والبغضاء في نفوسهن تجاه أختهن، وهكذا نكتشف خطوة بعد أخرى أن أغلب المشاكل الاجتماعية التي نعاني منها منشؤها سوء التربية والجهل وعدم معرفة مصادر العلم من مصادر

الجهل. وكتاب الله سبحانه لايسمح أبداً بهذه المظالم لو جعلناه مصدرنا الوحيد للشرع والعلم والمعرفة لكل المسلمين، دون قبول باقي المصادر الأخرى مهما كانت عزيزة علينا وعلى آبائنا الأولين، لأنها بالفعل هي مصدر كل المصاعب والمصائب والمشاكل التي حوْلنا، ونسبح فيها سباحة ويغرق فيها الكثيرون.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ...﴾ - ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الطلاق بين شرع السلطان وشرع الرحمن في الإسلام:

بما أن المسلمين عامة وأهل السنة خاصة هجروا كتاب الله تعالى ظناً وإيهاماً من أولي الأمر في دين السلطان بأنه صعب على الفهم الإنساني واعتقدوا إضلالاً بأن الروايات الظنية التي بين أيدهم ويقال لهم عنها افتراءً بأنها أحاديث نبوية شريفة فتوهموا بأن تلك الروايات الشديدة الإختلاف والشديدة التناقض كما برهنت لكم ذلك كله بالتفصيل الممل في كتاب دين السلطان هي التي فيها الحق وفيها الشفاء العاجل لمشاكل المسلمين العامة والخاصة.

وظنوا وهماً من عند أنفسهم وإيهاماً من المضللين الذين تآمروا مع السلاطين في قلب الحق الموجود في كتاب الله إلى وهم باطل في تلك الروايات فعاش المسلمون مئات عديدة زادت عن الألف سنة وهم في ظلام دائم وفي تأخر وتخلف مستمر ونور الله في كتابه المهجور ينتظر من يفتحه ويرى ويستفيد مما فيه من حق وعدل وموعظة وعلم حقيقي، وحتى لا يكون هذا الكلام بلا دليل سوف أضرب عليه بعض الأمثلة من حياتنا وفي موضوع عام يعاني منه المجتمع الإسلامي وكل المجتمعات التي لا تسير بهدى الله تعالى وبعلمه.

لنفرض أن زوجاً وزوجة يعيشان حياة طبيعية وهما قد تزوجا عن حب وتراض من الطرفين مع رضى الأهل وتبريكهم ولنفرض أنه في لحظة غضب لها أسباب كثيرة خاصة في مثل هذه الأيام بأنه قد رمى يمين الطلاق على زوجته التي عاشت معه أياماً كثيرة وسنيناً عديدة.

فماذا يتبادر إلى ذهننا أن يكون التصرف حيال هذه المشكلة التي تقع كل يوم بحسب ما تعلمنا من آبائنا وقالوا لنا عنه أنه الشرع الإسلامي الحنيف وإذا حدث ذلك

التصرف من قبل الزوجين لم يفتح إنسان في المجتمع الإسلامي فمه بإعتراض عما حصل ويحصل كل يوم بدليل أن ما قام به الزوج وما حدث من الفراق المباشر بعد الطلاق بحيث غادرت المرأة بيتها فوراً وعادت باكية إلى بيت أهلها لوحدها أو مع أطفالها إذا كان الزوج ما زال يحتفظ ببعض اللباقة والإنسانية.

المجتمع الإسلامي لا يعترض على ما حصل لأنه يؤمن أن ما حصل هو شرع الله وهذا حكمه بدليل ما لديهم من أحاديث وروايات كلها تؤكد أن هذا حق، أقول للجميع لماذا لا نخون الشيطان مرة واحدة في حياتنا ونفتح كتاب الله تعالى بشكل مباشر ونفتح على سورة الطلاق لنرى ماذا يقول الله ومارأيه في هذه المشكلة الإنسانية؟

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُم وَلا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخرُجنَ إِلآ أَن يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ وَلا تَدرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحدِثُ بَعدَ ذَلِكَ أَمراً﴾ - ١ الطلاق.

أولاً يجب أن نتسائل هل هذه الآية التي يبدأها سبحانه بنداء موجه لرسوله ونبيه محمد رضوان الله عليه خاص به وبنسائه أم عام له ولنساء المسلمين.

إن الله تعالى يتحدث بصيغة الجمع قائلاً ﴿...إِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَآءَ...﴾ فهل هذا الجمع للتفخيم كما نفعل اليوم عندما نخاطب الملوك والأمراء؟

لايمكن لأي دليل من خارج كتاب الله أن يكون دليلاً إلا إذا كان دليلاً علمياً مسنوداً بسلطان العلم فلنبحث في آيات القرآن عن آية يخاطب الله تعالى فيها الرسول وحده ولنقارن الإثنين معاً فمثلاً في الآية التاية يقول الله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبتَغِى مَرضَاتَ أَزوَاجِكَ...﴾ - ١ التحريم.

هذه مشكلة خاصة حدثت في بيت الرسول الكريم يخاطبه فيها سبحانه بصيغة المفرد ولم نعتد بأن نقرأ في القرآن بأن الله قد خاطب رسوله بصيغة الجمع تفخيماً ولكن الله تعالى قد خصص ذلك لنفسه وقال:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ الحجر.

وهذا يعني أن مشكلة الطلاق التي أتت في سورة الطلاق هي مشكلة عامة تخص المؤمنين جميعاً فماذا يقصد الله تعالى بعبارة:

﴿...فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾ - ١ الطلاق.

والعدة هي فترة ثلاثة أشهر بالنسبة للنساء اللآتي توقف حيضهن أو القاصرات اللآتي لم يبدأ أصلاً حيضهن أما بالنسبة للاتي يأتيهن الحيض فثلاث قروء أي ثلاث حيضات كاملات وهي تقريباً ثلاثة أشهر قمرية.

هنا يتوارد لذهننا سؤالين مهمين أولهما:

ماذا يقصد الله تعالى بالعدة؟

وثانيهما: ما هو قصد الله تعالى بقوله ﴿...وَلا تُخرِجُوهُنَّ...﴾ بصيغة الأمر نهياً؟

إن المسلمون يظنون لما يسمعونه من الفقهاء بأن سبب وجود العدة هو فقط من أجل معرفة كون المرأة حاملاً أم لا. نتيجة ما عندهم من روايات الظنون وهذا ليس إتهاماً مني لهم وإنما هو رأي الله تعالى بكل من يتبع كتاباً غير كتاب الله إذ أنه قال في كتابه العزيز:

﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً﴾ - ٢٨ النجم.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً...﴾ - ٣٦ يونس.

فلماذا لا نترك الظنون ونفتح كتاب الله لنرى مافيه من حق ونور؟

وإذا تابعنا قراءة الآيات في نفس السورة نجد أن الله تعالى يقول:

﴿وَاللائِى يَئِسنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُم إِنِ ارتَبتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشهُرٍ وَاللائِى لَم يَحِضنَ...﴾ - ٤ الطلاق.

ومن المعلوم أن القاصرات أو اللاتي يئسن من النساءِ لا يحملن أصلاً فلماذا وجبت عليهن العدة علماً أنه لا حمل هناك؟

يصعب أن نكتشف السبب إذا لم نعد للآيه السابقة لنقرأ من جديد ﴿...وَلا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ...﴾ والمرأة المتزوجة أين بيتها؟ طبعاً هو بيت الزوجية. لماذا يأمرنا رب العالمين بأن لا نخرج مطلقتنا من بيتها لمدة ثلاثة أشهر؟ لابد من وجود سبب وحكمة وإن كانت خافية علينا نحن المسلمين بعد أن هجرنا القرآن الكريم وجعلناه كتاباً للأموات ليتلى في مناسبات الموت في القبور على الأموات. مع أنه رسالة من رب العالمين أرسله رحمة للعالمين من أجل أن يعيشوا تحت نور ذلك الكتاب في جنة الأرض ونحن لأننا هجرناه نعيش في جحيمها وفي ظلماتها.

إذا تفكرنا في الموضوع نكتشف غاية الرحمن من كل ذلك بكل سهولة.

الله تعالى يعلم أن أغلب حالات الطلاق يكون سببها الغضب، والغضب من الشيطان، فيريد إبقاء الوضع بعد الطلاق على ما كان عليه لمدة ثلاثة أشهر والزوج يرى زوجته في بيته كل يوم وهو أمام أحد أمرين إما أنه يكرهها ولا يستطيع الإستمرار معها فيفارقها بالحسنى وبالمتعارف عليه بين الناس بأن يعطيها حقوقها كاملة من مؤخر صداق ومن نفقة بعد نهاية العدة وأمام شهود الطلاق.

أو أن يعود فيمسكها بعد أن يزول الغضب وأسبابه من نفسه تماماً في أي وقت يشاء خلال فترة العدة، وهذا لا يمكن أن يتيسر للزوجين إذا غادرت المطلقة فوراً إلى بيت أهلها كما يحصل اليوم، والله سبحانه يستثني حالة واحدة ولا يطالب فيها بالعدة وهي الحالة التي يتأكد فيها الرجل أن امرأته تخونه مع رجل آخر.

﴿...إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ...﴾ - ١ الطلاق.

عندها لا داعي من العدة كلها لأن الرجل لا يمكن أن يرجع عن قراره في الطلاق بمراجعة للنفس فتخرج المرأة بعد الطلاق مباشرة إلى بيت أهلها.

ولكننا نحن المسلمين اليوم نطلق جميع نساءنا على هذا المبدأ وكأن كل طليقاتنا قد ارتكبن الفاحشة وهذا حرام في شرع الله تعالى، وحرام في حق أنفسنا وحرام في حق أطفالنا، وحرام في حق زوجاتنا، حرام في حق المجتمع حرام في حق الإسلام البريء من كل ما نفعل على أنه شرع الله الحنيف.

إنه أيها الأخوة شرع الشيطان وليس بشرع الله أبداً.

دعونا نقرأ الآيات مرة أخرى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُم وَلا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخرُجنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ وَلا تَدرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحدِثُ بَعدَ ذَلِكَ أَمراً * فَإِذَا بَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَو فَارِقُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ وَأَشهِدُوا ذَوَى عَدلٍ مِّنكُم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً﴾ - ١ - ٢ الطلاق

﴿وَاللائِى يَئِسنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُم إِنِ ارتَبتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشهُرٍ وَاللائِى لَم

يَحِضنَ وَأُولاتُ الأَحمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعنَ حَملَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مِن أَمرِهِ يُسراً * ذَلِكَ أَمرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيكُم وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّر عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِم لَهُ أَجراً﴾ - ٤ - ٥ الطلاق.

أتحدى كل عشاق الأحاديث بأن يأتوا بحديث أبلغ وأبين وأفصح من هذه الآيات البينات في موضوع الطلاق في الإسلام من كل ما عندهم من ملايين الأحاديث.

وكما أعتقد أن هذه الأيات البينات أوضح من أن يبينها أي إنسان لهذا أنتقل إلى موضوع الوحي الثاني المتبع والمطبق منا نحن المسلمين على أنه هو حكم الإسلام والشرع:

قد سمعنا قبل قليل بأن حدود الله تعالى وهي ثلاثة أشهر للمطلقات اليائسات والصغيرات وثلاثة قروء للنساء اللاتي تأتيهم الحيض بشكل منتظم والقرء هنا هو الحيضة كما رأينا حالة الحامل وهي بأن تضع حملها تقضيها المرأة في بيت الزوج الذي أقسم يمين الطلاق ورأينا حالة واحدة مستثناة وهي حالة المرأة التي قامت بفاحشة مبينة أي بشهادة شهود أو برؤية الزوج نفسه عندها فقط تخرج المرأة مباشرة بعد الطلاق إلى بيت أهلها:

لنستمع للحديث التالي من صحيح البخاري في كتاب الطلاق:

الحديث رقم ٥٣٢٠ من صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية نفست (حاضت) بعد وفاة زوجها بليال فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت)

أولاً هذه المرأة توفي زوجها وهي غير مطلقة وإنما أرملة وعدة الأرملة لها عدة خاصة في كتاب الله:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزوَاجاً يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَربَعَةَ أَشهُرٍ وَعَشراً فَإِذَا بَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا فَعَلنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالمَعرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعمَلُون خَبِير﴾ - ٢٣٤ البقرة.

والأية واضحة بذاتها ولا يمكن للرسول الكريم أن يحكم للمرأة بعكس ما بلَّغ من رسالة ربه الذي يقول أن عدة الأرملة وحدودها هي:

أربعة أشهر في حال كونها غير حامل وعشرة أشهر في حال ثبوت حملها أما تفسير العلماء بأنها أربعة أشهر وعشرة أيام هذا لا يجوز وهم يعلمون بأنه في اللغة العربية لا نستطيع أن نعطف شيئين مختلفين إلا من بعد التمييز أي لو كانت الأربعة تشير إلى أشهر والعشرة تشير إلى أيام لابد من القول أربعة أشهر وعشرة أيام وهذا هو التمييز. أما إذا قلنا في العربية أربعة أشهر وعشراً من غير تمييز هذا معناه أن «عشراً» أيضاً من الأشهر

وهي من أجل أولات الحمل من الأرامل وعندما قلت عن الأحاديث بأنها ظنون لابد أن بعض القراء وقد قالوا: «أين دليل الكاتب على أن الأحاديث هي من الظنون؟»

إذا عدنا لنفس الحديث السابق ذو الرقم ٥٣٢٠ ثم قرأنا الحديث الذي قبله لقرأنا كلاماً يناقض الحديث الأول: الحديث رقم ٥٣١٩ من صحيح البخاري حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن يزيد أن ابن شهاب كتب إليه أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه أنه كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سبيعة الأسلمية كيف أفتاها النبي ﷺ فقالت: أفتاني إذا وضعت أن أنكح.

من هذا الحديث نعلم أنها كانت حاملاً والرسول أفتاها حتى تنتظر إلى ما بعد الولادة وفي الحديث ٥٣٢٠ حاضت بعد أيام من وفاة زوجها فأذن لها الرسول فنكحت والحديث ٥٣١٩ إذا قارناه بالقرآن نجده يناقض القرآن لأن عليها أن تنتظر من أربعة إلى عشرة أشهر.

أربعة أشهر إذا لم تكن حاملاً وعشرة إذا ثبت حملها أما الحديث ٥٣٢٠ لا يقر بحملها أصلاً. وكيف لقاضي في الشرع أن يقضي بالعدل بين الناس وما بين أيديه من قوانين كلها متناقضة مع بعضها ولا حق فيها بل كلها ظن فإن قلنا أن الحديث الأول هو الصحيح خرج لنا من يقول أن الثاني ربما كان هو الصحيح وهكذا.

وكيف للرسول الكريم أن يقول لمرأة تسأله حكم الشرع والحكم فيها واضح في كتاب الله الذي بلَّغه الرسول نفسه إذا كانت غير حامل بثبات حيضها فمهلتها أربعة أشهر فكيف يقول لها الرسول انكحي مخالفاً ما بلَّغ من شرع يؤكد للعالمين أن عليها أن تنتظر.

ونجد أحاديث كثيرة في صحيح البخاري تقول لا يجوز طلاق الحائض، هل يعرف الرجل عندما يغضب أن يفرق بين الحائض أو غيرها إنه قد يرمي يمين الطلاق في أي وقت وكله طلاق لا يختلف عليه سواء كانت حاملاً أو حائضاً أو غيره ليس في كتاب الله شيء من هذه الظنون.

وهناك اعتقاد أيضاً مصدره الظن والأحاديث الظنية فيظن المسلمين أنه إذا قال الرجل لزوجته أنت طالق ثلاثاً أو قالها مكررة ثلاث مرات بأنها طلقت طلاقاً باتاً لا رجعة فيه من دون أن يعلموا أن كل الطلاقات يمكن أن تكون طلاقاً بالمليون ولا تعتبر إلا طلقة واحدة لأن العبرة للحدث نفسه وليس العبرة للكلمات.

وحتى يتأكد المسلم أن الحديث أغلبه غير صحيح وكله ظنون في ظنون لنستمع للحديث التالي تحت الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزوَاجاً يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَربَعَةَ أَشهُرٍ وَعَشراً فَإِذَا بَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا فَعَلنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالمَعرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ - ٢٣٤ البقرة.

وهو الباب الذي يأتي مباشرة بعد الحديث ٥٣٢٠ من صحيح البخاري:

وقال إبراهيم فيمن تزوج في العدة: فحاضت عنده ثلاث حِيَضٍ: بانت من الأول ولا تحتسب به لمن بعده وقال الزهري تحتسب وهذا أحب إلى سفيان (يعني قول الزهري) وقال معمر: «يقال أقرأتِ المرأةُ إذا دنا حيضها، وأقرأت إذا دنا طهرها» وهكذا حسبنا الحيضة الواحدة حيضتين.

وكما تجدون أن العلماء من أمثال إبراهيم والزهري وسفيان ومعمر هم الذين أضاعوا الدين والشرع الإسلامي وهم يحتكمون إلى الظنون والأقاويل دون الرجوع إلى الأصل الذي في كتاب الله ليجعلوه حكماً، لذلك سوف نبقى إلى يوم القيامة مختلفين ولا نستطيع الإتفاق على شيء أبداً إذا لم نميز الحق من الباطل ونعلم أن الحق كله في كتاب الله وحده والباطل من ديننا كله أيضاً في الكتب التي نقدسها وننسبها لله وللرسول نقلاً عن آبائنا الأولين دون أن نعلم أنها من مكتتبات شياطين الإنس فعلوها بإذن الله فتنة للمسلمين حتى يخرج فئة من المسلمين يحتكمون للعقل والمنطق الصحيح ليكتشفوا أن الصحيح لا يمكن أن يكون إلا في كتاب الله الذي عليه برهان بأنه كتاب لاريب فيه من رب العالمين والكتب الأخرى التي تنسب له ولرسوله فيها الريب والشك لكل من له عقل يبحث عن الأدلة والبراهين قبل الإطمئنان للشياطين.

وإذا سأل سائل وماذا عن المرأة إذا كانت حاملاً ووضعت حملها بعد أيام معدودات من طلاقها؟

أقول: حكمها هو حدود الله تعالى فالحد الأدنى للعدة هو ثلاثة شهور إذا كانت غير حامل أما إذا كانت حامل فيجب أن تنتظر حتى الإنتهاء من حملها وقد تنتظر تسعة أشهر من أجل حملها وشهراً من أجل ولادتها وانتهاءها من آلام الوضع تصبح عشرة أشهر فالحد الأعلى كما رأينا عشرة أشهر.

وبما أنها ولدت بعد طلاقها مباشرة عليها أن تتم الحد الأدنى الذي هو ثلاثة أشهر وكأنها لم تكن حاملاً، أما إن فهمنا أننا بإمكاننا أن نخرجها من بيتها مباشرة بعد

ولادتها نكون قد تجاوزنا حدود الله تعالى المبينة في كتابه المبين وهذا لا يجوز لنا قطعاً.

بعدها ننتقل إلى موضوع آية أخرى من آيات الطلاق في كتاب الله المبين: وهي الآية الثانية من سورة الطلاق:

﴿فَإِذَا بَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَو فَارِقُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ وَأَشهِدُوا ذَوَى عَدلٍ مِّنكُم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً﴾ - ٢ الطلاق

في الحقيقة هذه الآية تشرحها آية أخرى من آيات الطلاق وهي:

﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ - ٢٢٩ البقرة.

بحسب هذه الآية والآية التي قبلها فإن الرجل إذا قال لزوجته أنت طالق هذا هو الطلاق الأول.

أما إذا أتمت المرأة في بيت زوجها فترة العدة التي شرحتها سابقا فإنه أي الزوج أمام موقفين لا ثالث لهما:

إما أن يصالح زوجته ويمسكها بمعروف بلا حاجة إلى كتاب أو شهود وهو الحل الأول أو أن يسرحها إلى بيت ذويها بإحسان مع كامل حقوقها الشرعية من بعد شهادة شاهدين على الأقل وهذا يعتبر الطلاق الثاني.

وليس للمرأة والرجل الحق بعد ذلك في العودة لبعضهما حتى ولا بكتاب جديد ومهر جديد إلا بعد أن تتزوج المرأة وتطلق فيطبق عليها نص الآية:

﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾

هذه الأمور الواضحة في كتاب الله ضاعت نتيجة وجود الأحاديث المختلف عليها والمناقضة لكتاب الله المبين فاختلف في تفسيرها من نسميهم العلماء وَهْماً وهم لا يعلمون من العلم إلا الظنون والظن لا يغني من الحق شيئا.

من هذه الآيات يستطيع الفقيه الحقيقي أن يستنبط الأحكام للظروف المختلفة ويفهم ظروف الطلاق وملابساتها.

مثلا لو فرضنا أن رجلا طلق زوجته وأعادها قبل أن تخرج من بعد العدة إلى بيت ذويها وأهلها فتلك تحسب عليه طلقة.

أما إذا عاد الزوج وطلقها مرة ثانية بعد فترة زمنية أخرى هل تخرج المرأة مباشرة من بيت زوجها أم عليها أن تقضي أيضا العدة ثم له بعدها أن يقيها أو يسرحها بإحسان؟

أيضا نجد الجواب في كتاب الله:

﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ - ٢٢٨ البقرة

فإذا تبين أنها حامل فالله تعالى يعطي في هذه الحالة درجة للرجل فمن حقه إعادتها أما إذا كانت غير حامل أو من الكبيرات اللاتي يئسن من المحيض أو من الصغيرات اللاتى لم يحضن بعد فلا بد من تسريحها مباشرة بعد الطلاق الثاني وبدون الحاجة لفترة العدة لأن الرجل قد استنفذ الطلاقين حيث رأينا في الآية الأولى تصريح من الله بقوله الطلاق مرتان لا ثالث لها أما مانطبقه نحن المسلمون على أنه الطلاق الإسلامي لا علاقة له بالإسلام بدليل تناقضه مع آيات الطلاق فى القرآن وأما ماهو موجود وما يزال مطبقا على أنه شرع الإسلام في الطلاق غير صحيح بدليل تناقضه مع آيات الله البينات.

١١ ـ الربا وآثاره الماحقة والساحقة في المجتمعات وأسباب تحريمه تحريماً شديداً في الإسلام.

كما رأينا في دين الرحمن المنزل للعالمين في القرآن. الدين أنزل ليخدم مصلحة الأكثرية العامة من الأمة دائماً، لذلك فالإسلام دائماً مع مصلحة الأمة التي تدين بها في الدنيا والآخرة والإسلام يعالج الأمراض والمشاكل الإجتماعية مستنداً إلى ذلك المبدأ.

الربا يعتبر من أكبر وأهم الأمراض السامة لكل المجتمعات وهو يقوم على أكل أموال الناس من غير حق وأخذ أموالهم وإضافتها إلى أموال الأغنياء بحيث لا يبقى في الأمة بعدها إلا أقلية من أغنياء مترفين ومتخمين نشأت على حساب أغلبية ساحقة من فقراء معدمين ذهبت أموالهم وممتلكاتهم التي أكلتها الربا جيلاً بعد جيل، وقد كان سبب هجرة أغلب الأوربيين إلى أمريكا الشمالية هو الربا الذي قضى على الطبقة الوسطى في أوروبا وجعلهم معدمين فاضطروا للهجرة بعد أن فقدوا كل شيء عن طريق المرابين اليهود.

والشعب الوحيد الذي يستحل الربا في الأرض دينياً ويجعلها حلالاً في دين حرفه الأغنياء لمصلحتهم هم اليهود وما عندهم من مكتتبات في التوراة والتلمود وكلها تبيح أكل الربا إذا كان اليهودي يتعامل مع غير اليهود ونجده مازال محرماً من اليهودي لليهودي.

(لا تقرض أخاك بربا * ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا * وللأجنبي (لغير اليهودي) أقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها) العهد القديم سفر التثنية الإصحاح ٢٣ الفقرة ١٩ ـ ٢٠.

وقد بين سبحانه للناس جميعاً تحريفهم لدينهم وتبديلهم لآيات الله وتحليلهم للربا بعد تحريمه عليهم في آيات بينات من القرآن الكريم:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيمًا﴾ ـ ١٦٠ ـ ١٦١ النساء.

ولعلم الله تعالى تأثير الربا الساحق للمجتمعات والماحق للخيرات فقد أكد سبحانه قائلاً:

﴿يَمحَقُ اللَّهُ الرِّبَوا وَيُربِى الصَّدَقَاتِ...﴾ - ٢٧٦ البقرة.

وقال سبحانه مبيناً أن الزكاة عكس الربا، أموال تخرج من جيوب الأغنياء لتعود إلى أصحاب الحق من الفقراء حتى يخفف عبئ الفقر وضغط الحاجة والعوز عن الناس بينما الربا يأخذ ما تبقى من بعض الأموال عند الفقراء حتى يكتمل به فاقتهم ليصبحوا من بعده من المعدمين:

﴿وَمَآ ءَاتَيتُم مِّن رِّباً لِّيَربُوَا فِي أَموَالِ النَّاسِ فَلا يَربُوا عِندَ اللَّهِ وَمَآ ءَاتَيتُم مِّن زَكَوةٍ تُرِيدُونَ وَجهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُضعِفُونَ﴾ - ٣٩ الروم.

لذلك شجع سبحانه الأغنياء بفتح أيديهم بالعطاء وعدم منعها عن المحتاجين حتى لا يتشكل في المجتمع طبقة مظلومة ومحرومة بسبب تجمع المال في أيدي الأغنياء.

والدواء لمثل هذا المرض الإجتماعي هو بالعطاء المشروح في الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِالَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٢٧٤ البقرة.

وأفضل مكان نجد فيه شرحاً للربا وتأثيره الرهيب على المجتمعات مع أفضل أنواع المعالجة لمثل تلك الأمراض نجدها في الآيات المبينة من سورة البقرة:

﴿الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَوا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا إِنَّمَا البَيعُ مِثلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَن جَآءَهُ مَوعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَن عَادَ فَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُون * يَمحَقُ اللَّهُ الرِّبَوا وَيُربِى الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم﴾ - ٢٧٥ - ٢٧٦ البقرة.

وعندما يعود الإنسان إلى دين الرحمن وكان له عند الناس أموال من الربا عليه أن يسامح الناس بكل الربا ولا يطالبهم إلا برأس ماله الأساسي ومن لا يفعل ذلك في شرع الإسلام لا يقبل منه وحتى إذا كان المديون معسراً فعلى الدائن أن ينتظره حتى يتيسر ويصبح معه ما يرده إليه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُو اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوا إِن كُنتُم مُّؤمِنِين * فَإِن لَّم تَفعَلُوا فَأذَنُوا بِحَربٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبتُم فَلَكُم رُءُوسُ أَموَالِكُم لا تَظلِمُونَ وَلا تُظلَمُون * وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُون * وَاتَّقُوا يَوماً تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت وَهُم لا يُظلَمُون﴾ - ٢٧٨ - ٢٨١ البقرة.

وكما رأينا في الآيات السابقات نجد سبحانه يشجع على اعتبار حتى رأس المال من الصدقات في حال كون المديون معسراً وسوف يعوضه سبحانه أضعافاً يوم القيامة وذلك أفضل للذين يعقلون ويعلمون بأن الدنيا دار الزوال والآخرة هي دار البقاء والدوام.

وحتى لا تضيع الحقوق بين الناس فالله تعالى ينصحنا في أطول آية في القرآن أن نسجل كل أنواع عقود المداينة ونشهد عليها الشهود ببيان لا يحتاج إلى تبيين إضافي وبتفصيل لا يحتاج إلى تفصيل إضافي من أحد من العالمين:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْئَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ـ ٢٨٢ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

إبتعاد الإنسان عن منهج الرحمن وشرعه المحدد بحدوده والمقام على الصراط المشروح في كتابه يكون هو السبب الرئيسي لدمار المجتمعات الإنسانية:

ـ إن في القرآن آيات كثيرة تدل على أن حضارات كثيرة مرت في تاريخ البشرية الطويل وإن كنا لانعلم عنها كثيراً، لكن بإمكاننا أن نعلم أنهم كانوا أكثر قوة وآثاراً بدليل آيات الله في القرآن الكريم: وكلها تؤكد نفس الموضوع:

١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ـ ٩ الروم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِئَايَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ـ ١٠ الروم.

٢ ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ

مِنهُم قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ - ٤٤ فاطر.

﴿وَلَو يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَاتَرَكَ عَلَى ظَهرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُم إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُم فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ - ٤٥ فاطر.

﴿...فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَستَقدِمُونَ﴾ - ٣٤ الأعراف.

أي أن الله سبحانه يعطي الفرص متكافئة للناس ثم ينظر ماذا يفعلون؟ هل يؤمنون بالله ويتقونه ويسعون في سبيله. أم هل يتكبرون ويتجبرون ويكفرون بالله؟

٣ - ﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيهِم وَلِلكَافِرِينَ أَمثَالُهَا﴾ - ١٠ محمد.

وهكذا يجب أن نعلم أننا لن نعجز الله بكفرنا وإنما سوف يصيبنا ماأصاب غيرنا إن لم نتدبر كتاب الله وآياته التي تخبرنا الحقيقة واضحة صريحة. إذا تابعنا السير على نفس السبل التي نسير عليها اليوم يجب أن لا نتوقع إلا دماراً قادماً فوق رؤوسنا طالما لانسير على سبيل الله الواضح في كل رسالاته. خمس دمارات يعلمنا بها الله كانت أسبابها ظلم الناس للناس أو لأنفسهم إن لم نتوقف عنها يجب أن نتوقع مثلها وإنها تنتظرنا جميعاً إن لم نتدبر أمورنا.

٤ - ﴿أَوَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبلِهِم كَانُوا هُم أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَءَاثَاراً فِي الأَرضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِم وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانَت تَأتِيهِم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ - ٢١ - ٢٢ غافر.

٥ - ﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم كَانُوا أَكثَرَ مِنهُم وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِي الأَرضِ فَمَآ أَغنَى عَنهُم مَّا كَانُوا يَكسِبُونَ * فَلَمَّا جَآءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ العِلمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوا بَأسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحدَهُ وَكَفَرنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشرِكِينَ * فَلَم يَكُ يَنفَعُهُم إِيمَانُهُم لَمَّا رَأَوا بَأسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَد خَلَت فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾ - ٨٢ - ٨٥ غافر.

وهكذا نكتشف من كتاب الله ماهو المصير الذي ينتظرنا جميعاً على هذه الأرض إن نحن تابعنا المسير على نفس السبل المنحرفة التي اخترناها لأنفسنا.

ونجد أن الحضارة التي تعب ببنائها الإنسان بقواعد وقوانين وأسس من دون إتباع

منهج الله وكتابه لن يكتب لها الاستمرار والبقاء على الإطلاق. والإنسان إذا لم يحاول أن يتعلم من القرآن القواعد السليمة لبناء المجتمعات والحضارات وأبقى ذلك الكتاب بوصلة دائمة ورائدة لكل مايبنيه الإنسان ومايقدره من قوانين وسنن فإن الله في النهاية لن يخسر شيئاً لكن الإنسان يخسر كل ماتعب في تحصيله وبنائه على هذه الأرض ويذهب تعبه هباءاً منثوراً. والإنسان هو الذي بعناده وإصراره على إتباع سبل يخترعها ويفضلها على سبيل الله يعاني ويتعذب بسبب هذا الجهل وذلك العناد وعدم محاولته الاستماع لنصائح الله المكتوبة بوضوح أمام عينيه، ولاتحتاج إلا إلى عقل متفتح وعين مبصرة وبصيرة ناتجة عن إيمان صحيح بحقيقة الله وحقيقة وجوده، وبأن ماقاله الله في كتابه الكريم صحيح صحةً لاشك فيها. وكل مافيه لفائدة الإنسان وخلاصه من عذابه الدائم في هذه الحياة الدنيا وإخفاقه بمهمة الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة.

والإنسان إن استطاع رؤية الحق الذي عليه برهان من الله وعلم بكتاب الله الحقيقي الذي فيه سوف يجد الطريق سهلاً ومعبداً لنيل جنة الآخرة التي وعدها الله للمتقين من المؤمنين. ويترك أبناءه يعيشون في نعيم الأرض التي بناها الإنسان الذي فهم أخيراً أن إنشاء الجنة على الأرض ليس مستحيلاً إذا فهم الإنسان أن المطلوب الوحيد هو الاهتداء بهدي الله والسير على سبيله المشروح في كتاب الرحمن الذي هو رسالة الله للعالمين إلى يوم الدين.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ وَأَهلُهَا مُصلِحُونَ﴾ ـ ١١٧ هود.

أي أن الأساس في منهج الله للإنسان هو العمل الصالح في الأرض وعدم الإفساد فيها مع الإيمان بالله واتباع كتاب الله والتمسك به وبتطبيقه مااستطاع وكل إنسان منا عليه أن يهتدي بهدي الآيات التالية:

﴿قَالَ يَاقَومِ أَرَءَيتُم إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنهُ رِزقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُم إِلَى مَآ أَنهَاكُم عَنهُ إِن أُرِيدُ إِلا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَمَا تَوفِيقِى إِلا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ * وَيَاقَومِ لا يَجرِمَنَّكُم شِقَاقِى أَن يُصِيبَكُم مِّثلُ مَآ أَصَابَ قَومَ نُوحٍ أَو قَومَ هُودٍ أَو قَومَ صَالِحٍ وَمَا قَومُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاستَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ـ ٨٨ ـ ٩٠ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٢ ـ هل هناك رق وعبودية في الإسلام؟

مقدمة:

إن الله سبحانه وتعالى الذي بدأ خلق الإنسان من طين فبدأ خلقه من النطفة ثم خلقه علقة ثم خلقه مضغة، وهكذا حتى وصل به خلال ملايين عديدة من السنين إلى شكله الحالي الذي نراه فيه اليوم. ماراً به من طور إلى طورٍ آخر:

﴿وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾ ـ ١٤ نوح.

حتى جعله في أحسن تقويم، ثم اصطفى آدم ونفخ فيه من روحه وأعطاه أموراً لم يمنحها لغيره من المخلوقات مثل القدرة على النطق مع القدرة على التعلم بالقراءة والكتابة مع القدرة على التفكير حتى بالمجردات، مع إعطائه الحرية والإرادة فصارت له القدرة على أن يحب ويكره كما يشاء، ويطيع ويعصي بمشيئته، ويؤمن أو يكفر أيضاً بما يشاء من أفكار بحسب مايختاره بعقله أو بأهوائه، فخلق في داخل الإنسان صراعاً بين عقله ونفسه.

فإن غَلَّبَ الإنسان بإرادة منه عقله وصل إلى الإيمان بالله والعدل والخير. وإن غَلَّبَ هواه على عقله وسار وراء شهوات النفس وصل به إلى الكفر بالله واليوم الآخر والظلم والشر. والإنسان في صراعه الداخلي هذا بين الخير والشر ارتكب مظالم كثيرة واعتاد على أمور كثيرة أخرى اعتبرها من أعرافه (المعروف) والله سبحانه يشرح لنا تاريخ الإنسان بعد آدم فيبين لنا أنه أرسل إلى كل أمم الأرض رسالات مع رسل منهم يتكلمون بلغتهم وبلغوا رسالاتهم. وكان هدف الله منها هديهم إلى سبيل الله مبيناً ماهي منافع اتباع ذلك السبيل لهم، ونهاهم عن اتباع سبل الشيطان مبيناً مضار تلك السبل عليهم في الدنيا والآخرة. كما أرسل لهم أنبياء كثيرين علمهم بواسطتهم علوماً كثيرة لم يكونوا يعلمون عنها شيئاً قبل ذلك، ومن القرآن نعلم مثلاً كيف علَّم داوود صناعة الحديد وصناعة الدروع الحديدية. وذكر لنا كيف علم ذو القرنين استخراج الحديد بالأفران العالية.

وهكذا فكل علوم الأرض من الله إما يلهمها سبحانه للقادرين على استيعابها وفهمها مثل قانون دافعة أرخميدس. أو قانون الجاذبية لإسحق نيوتن أو علمها لأنبياء يكلفهم سبحانه بتعليمها للناس.

والناس خلال تاريخهم الطويل بحسب القصص القرآني مروا بمراحل كثيرة تكررت فيها مواقفهم مقابل موقف الله ورسله. فكان موقف الكفر والرفض للإيمان هو الموقف العام، لكن الله لم يتوقف عن إرسال الرسل لغاية وهدف يسعى إليه سبحانه:

﴿ثُمَّ أَرسَلنَا رُسُلَنَا تَترَا...﴾ - ٤٤ المؤمنون.

وكانت مهمة هؤلاء الرسل إنذار قومهم على مايفعلون من ظلم وشرور ودعوتهم للإيمان بالله واتباع أوامر الله التي هي فعل الخير والعمل الصالح والإصلاح في الأرض.

﴿وَمَآ أَرسَلنَا فِى قَريَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ - ٣٤ سبأ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِى قَريَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقتَدُونَ﴾ - ٢٣ الزخرف.

كما تلاحظون في كل تلك الرسالات كان يؤمن عدد قليل من الناس مع الرسول وتكفر الأكثرية بزعامة الملأ الذين هم الأغنياء الكبراء من أصحاب القوة والجاه والنفوذ في كل أمة، فيغضب الله منهم فيدمرهم بأسلوب الله وينجي منهم فقط الرسول مع من آمن به واتبعه مهتديا بعقله ومنطقه الذي لا يقتنع بالحق الذي ليس عليه برهان أو حجة أو دليل.

﴿إِنَّآ أَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحاً صَرصَراً فِى يَومِ نَحسٍ مُّستَمِرٍ﴾ - ١٩ القمر.

﴿إِنَّآ أَرسَلنَا عَلَيهِم صَيحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ﴾ - ٣١ القمر.

﴿إِنَّآ أَرسَلنَا عَلَيهِم حَاصِباً إِلآ آلَ لُوطٍ نَّجَّينَاهُم بِسِحرٍ﴾ - ٣٤ القمر.

والناس خلال تاريخهم الطويل هذا الذي يبينه لنا في القصص القرآني، دخل إلى أعرافهم موضوع استعباد الإنسان لأخيه الإنسان من بعد حروبهم الكثيرة التي كان يحصل فيها قتل الرجال مع استباحة النساء والأطفال. فكانوا يوزعون مع غنائم الحرب بين المقاتلين المنتصرين كما يشاء الملك أو صاحب السلطة. فتدخل شعوب بأكملها في الرق والأسر لشعب آخر انتصر عليهم حرباً فيستخدمونها في شتى الأعمال من زراعة وصناعة وخدمة في البيوت. كما تعارفوا أيضاً أن مالك العبد له حرية التصرف به، تصرفه بما يملك من الأشياء والحيوانات الأخرى، فيحق له ضربه أو قتله متى يشاء وكيف يشاء بدون أية مسؤولية قانونية أو أخلاقية، أقصد أن المجتمع الذي هو منبع القوانين والأحكام الأرضية قبل إقراره بالقوانين والأحكام السماوية، لم يعتبر هذه الأمور

من الأعمال المستهجنة عرفاً وعادةً. وكما قلت من البداية فالله سبحانه الذي طور الإنسان من خلية واحدة حتى وصل به إلى مرحلة آدم. ثم بدأ تطويره من بعد آدم ليرقى به على سلم آخر في تطوير هذا الكائن. يعلم طبعاً أن الرق من المواضيع التي سينساها الإنسان ويرتقي منها إلى مراحل أبعد من ذلك تطوراً في سلم التطور الإنساني.

لكن شاء قضاء الله أن يصدف إرسال آخر الرسالات للإنسان على الأرض، ومايزال الرق ضمن أعراف الناس المقبولة من قبل كل الأمم، والله يعلم وإن كنا نحن لانعلم أن مواضيع الأعراف هذه تحتاج إلى مراحل تاريخية لتطويرها، بإلغاء مالا يناسب الإنسان وإدخال أعراف جديدة لم يكن الناس قد تعارفوا عليها من قبل.

فالإسلام مثلاً قد ألغى عرف التبني لأن هذا الإلغاء لايؤثر بنتائج سيئة على المسلمين إذا بقي باقي الناس من أتباع باقي الديانات على سنة التبني عندهم مثلاً. لكن الإسلام لايستطيع أن يلغي عرف الرق والاسترقاق عند المسلمين، ولازالت باقي أمم الأرض تعتبرها ضمن أعرافهم المقبولة والمشروعة.

لأنه في حال وقوع المسلم وأهله في الأسر أثناء الحروب الكثيرة التي حصلت بين المسلمين وغير المسلمين في التاريخ، كان سوف يعرض المسلمين للرق والعبودية، بينما لايعرض أعدائهم الذين يقعون في الأسر عند المسلمين لنفس المصير، وهذا ليس فيه عدل بل فيه ظلم على طرف دون آخر، والله الذي يقول عن نفسه بأنه لايظلم مثقال ذرة، يعلم أن ذلك ظلم، لذلك أبقى موضوع الرق والعبودية وتركه سبحانه للزمن فهو الذي يعلم الغيب ويعلم ماهو آت من الأيام، ويعلم كيف سيكون وضع البشر في كل عصر من العصور، فهو الذي يتولى موضوع تطويرهم خطوة خطوة، فيعلم أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا الإلغاء. ثم بعد ذلك عندما يعلم بأن الوقت المناسب قد أتى عندها فقط يتم الموضوع المؤجل.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ - ١٠٤ هود.

قلت منذ البداية في شرحي لآيات القرآن أن القسم الذي يسميه الله بأم الكتاب أو القسم الذي يحوي على رسالة الرسول محمد ﷺ للمسلمين من أجل تطبيقه ديناً. والذي يحوي على الصراط المستقيم وحدود الله والعبادات والحلال والحرام وهي كلها كما نلاحظ من ثوابت الدين.

ثم عندنا أحكام الشرع التي تحوي على شؤون الحكم هذه كلها قابلة للتطور وهي

غير ثابتة في الإسلام. بمعنى أن الله لم يثبت أي شيء من أحكامه بدليل ربط كل تلك الأحكام بالمعروف الذي هو المتعارف عليه بين الناس، وهذا المعروف يغيره الناس مع الزمن ولايغيره الله بإنزال آيات أحكام جديدة في كل مرة. والدليل على ذلك أن الإسلام سعى إلى تطوير العقل الإنساني بالتحرك نحو تحرير العبيد. مقابل كثير من الأخطاء والآثام يقع فيها الإنسان فتكون كفارته عن تلك الآثام والأخطاء: هو تحرير رقبة:

﴿...وَمَن قَتَلَ مُؤمِناً خَطَئاً فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤمِنَةٍ...﴾ - ٩٢ النساء.

﴿...فَإن كَانَ مِن قَومٍ عَدُوٍّ لَّكُم وَهُوَ مُؤمِنٌ فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤمِنَةٍ...﴾ - ٩٢ النساء.

﴿...وَإن كَانَ مِن قَومٍ بَينَكُم وَبَينَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إلَى أَهلِهِ وَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤمِنَةٍ...﴾ - ٩٢ النساء.

﴿...فَكَفَّارَتُهُ إطعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِن أَوسَطِ مَا تُطعِمُونَ أَهلِيكُم أَو كِسوَتُهُم أَو تَحرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ - ٨٩ المائدة.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِم ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ - ٣ المجادلة.

ولايمكن لأي إنسان يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويقول مثلاً:

(إن الإسلام ينادي بالرق كنظام اجتماعي ولايقبل بإلغاء الرق والعبودية في العالم) بل بالعكس، هذا الكلام مناقض لروح القرآن كله، لأن القرآن يدعو إلى تطبيق المعروف بشكل دائم وهي الكلمة التي نراها تتكرر في كل الأحكام. لأن الله يعلم وإن كنا نحن لانعلم، أن الأعراف تتطور في هذه الأرض بين الأمم متجهة من الهمجية ومرتقية في سلم الإنسانية على مفاهيم الرحمة والعدل والإحسان.

والدين الإسلامي شريعة عالمية أرسلت لتكون ديناً للناس كافة مستوعبةً كل الأمم على اختلاف أعرافها.

والعرف شريعة خاصة لا يشترط أن تكون مكتوبة بل يقرها أفراد الأمة التي اكتسبتها من الأباء نتيجة خبرة فأصبحت عادة مقبولة ومطلوبة من الجميع وعلى الدين الإسلامي أن يستوعب كل هذه الأعراف ضمن حدود الله فما لم يتعارض مع حدود الله قبله الدين وما تعارض معه رفضه، وقد ضربت سابقاً مثلاً لا بأس من اعادته هنا:

في فيتنام تعارف الناس أن يأكلوا لحم الكلاب فإذا دخل الفيتنامي إلى الإسلام لا

نقول له إن أكل لحم الكلاب حرام لأن القرآن لم يحرم أي لحم إلا ما كان لحم خنزير! أو ميتاً أو مخنوقاً أو الدم أو فسقاً أهل لغير الله.

في شمال القفقاس يعيش الشركس والشيشان والأباظة وكلها قبائل من نفس العرق وأغلبهم مسلمون، عندهم عرف قديم يعتبرون بنات الخال والخالة وبنات العم والعمة مثل الأخوات تماماً فلا يتزاوجون أبداً، هذا العرف لم يتجاوز حدود الله ولم يناقض كتاب الله في المحرمات، إذ ليس في القرآن ما يمنع هذا العرف.

في بلاد التيبت قبائل جبلية تعارفوا أن زوجة أكبر الأبناء في الأسرة تكون زوجة مشتركة لجميع الأبناء في الأسرة والأولاد ينسبون عادة للإسرة وليس لأب معين من الأخوة، هذا العرف يتعارض مع حدود الله فإذا دخل أحد من هذه القبائل إلى الإسلام نقول له إن هذا العرف يتعارض مع حدود الله في القرآن لابد من تركه في الإسلام.

والأسلام إذا توسع سوف يكون حاوياً لأمم أخرى لها أعرافها الخاصة لذلك فالمشرعون الإسلاميون بعد توصل الأمم إلى عرف إلغاء الرق والعبودية في العالم، يجب أن يكونوا سباقين بإصدار أحكام جديدة مستنبطة من القرآن لإلغاء العبودية إلغاء تاماً عملاً بالمعروف المقرر به في القرآن الكريم. لا أن نسمع حتى اليوم بأن بعض الشعوب الإسلامية لازالت تعتبر الرق والعبودية ضمن النظام الإسلامي المعترف به شرعاً عندها. أو نجد أن أئمة المساجد في الدروس الدينية لازالوا يتكلمون عن العبد الآبق في الإسلام حتى في البلاد الإسلامية التي ألغت الرق عندها منذ زمن طويل.

إن كل الآيات التي وردت وفيها كلمات مثل: ماملكت أيمانكم:

﴿...فَمِن مَّا مَلَكَت أَيمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ المُؤمِنَاتِ...﴾ ـ ٢٥ النساء.

﴿إلا عَلَى أَزوَاجِهِم أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُهُم فَإِنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ـ ٦ المؤمنون.

﴿...وَمَا مَلَكَت يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيكَ...﴾ ـ ٥٠ الأحزاب.

تعتبر بحكم المنسية، فعبارة ملكت أيمانكم أو ماملكت يمينك ـ لم يعد لها أي مفعول في الإسلام الحالي. وكل الآيات التي وردت فيها كلمات مثل أَمَة ـ إمائكم ـ عبادكم ـ العبد ـ كما في الآيات التالية:

﴿...وَلأَمَةٌ مُّؤمِنَةٌ خَيرٌ مِّن مُّشرِكَة وَلَو أَعجَبَتكُم...﴾ ـ ٢٢١ البقرة.

﴿...كُتِبَ عَلَيكُمُ القِصَاصُ فِى القَتلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبدُ بِالعَبدِ...﴾ ـ ١٧٨ البقرة.

تعتبر بحكم المنسية لالتغاء العبودية كعرف بين الناس وانتهائها من الأرض.

والله سبحانه وتعالى من أجل إلغاء عبودية الإنسان للإنسان أصلاً سعى إلى ربط العبودية بالله مباشرة، لأن العبد لايستطيع أن يخلص لسيدين يملكانه في آن واحد، كما أن المالك أيضاً لايحب أن يشاركه فيما يملك أحد غيره. وبما أن الله سبحانه يعرف هذه الطباع في الإنسان يذكره بها في موضوع العبودية:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّن أَنفُسِكُم هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَت أَيمَانُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقنَاكُم فَأَنتُم فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أَنفُسَكُم كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ٢٨ الروم.

إذن فالاستنتاج المطلوب إدراكه من هذه الآية هو: طالما أن الإنسان يرفض - بحسب أعرافه - أن يشترك معه أحد مثلاً في ملك جارية بحيث يكون له فيها مثل حقه تماماً. كذلك الله سبحانه في موضوع العبودية لايقبل أن يشاركه في تلك العبودية أحد لأن ذلك في منطق القرآن هو الإشراك، ومن هنا يجب أن نعلم أن العبودية من الأمور التي قصد الله سبحانه إنهاءها على الأرض إذا كانت من الإنسان للإنسان، لذلك رفض سبحانه أن يقبل الإنسان بالعبودية للطاغوت على الأرض كما يرفض أي نظام سياسي وراثي لأنه يناقض مبدأ الشورى في الإسلام.

﴿قُل إِنِّى أُمِرتُ أَن أَعبُدَ اللَّهَ مُخلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ - ١١ الزمر.

والإنسان لايمكن أن يخلص بعبادته لله إذا كان هناك من يدعي بملكية أخرى عليه (ويقول له أنت عبدي يجب أن تطيعني أنا أولاً) فهنا الإطاعة توزعت بين الله ومالك العبد، وهذا إشراك بالله لذلك الذي أنهى العبودية في الأرض ضمن خطة هو سبحانه الذي وضعها ونفذها بحسب مواعيد محددة ومحسوبة كما رأينا في الآية السابقة.

١٣ - ماهو السر في كون المؤمن الحقيقي هو الموحد فعلاً وهو المسلم الفعال؟

بينما نجد المؤمن الذي يقع في الإشراك فاقداً للفعالية؟

لفهم هذه الفكرة لابد أن نضرب عليها مثلاً: وهذا المثل آية من آيات الله في الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وهو المغناطيس وفكرة المغنطة.

ولفهم تلك الفكرة لابد أن نتكلم عن التركيب الفيزيائي للمواد وخاصة لمعدن من المعادن الهامة في الأرض والتي خصص لها الله لأهميتها سورة خاصة سبحانه للفت نظر الإنسان إليه وهو معدن الحديد. ومايهمنا من معدن الحديد في موضوع بحثنا هذا هو قابليته الفريدة للمغنطة والتمغنط. فمعدن الحديد المطاوع العادي قابل للمغنطة لكنه يفقد تلك الميزة بمجرد زوال المؤثر الخارجي عنه ويعود كما كان. فماذا يحصل داخل الحديد لاكتساب المغنطة وكيف يفقد الحديد تلك الميزة بعد زوال القوة المؤثرة مغناطيسياً.

قال الله في القرآن الكريم أنه خلق كل شيء أزواجاً، فالذرة من داخلها في تركيبها مكونة من زوجين، وأصغر العناصر في الأرض مما يقع تحت تجربتنا الإنسانية هو عنصر الهدرجين الذي يتكون في تركيبه من:

الزوج الأول: بروتون موجب (+) ضخم وهائل الكتلة نسبياً ويقع مستقراً في نواة الذرة ومركزها، ويقابله جسيم آخر دقيق وصغير جداً بالنسبة للبروتون وسالب كهربائياً اسمه الالكترون (-) والمقصود بالإيجابية والسلبية هي صفة الشحنة الكهربائية التي تمتاز بها تلك الكتلة. والشحنتان متعادلتان في القوة ومتعاكستان في الاتجاه، لذلك باجتماعهما داخل الذرة تتعادلان كهربائياً.

الزوج الثاني: نيوترون متعادل كهربائياً (+ -) ضخم الكتلة نسبياً وتعادل كتلته كتلة البروتون ويوجد مستقراً داخل نواة الذرة مجاوراً للبروتون، ويقابله جسيم آخر دقيق وصغير جداً بالنسبة للنيوترون ومتعادل كهربائياً اسمه البوزيترون (+ -)، وكل من الإلكترون وكذلك البوزيترون يدوران حول النواة في مدار فلكي إهليلجي مستقل لكل منهما وبسرعة هائلة، والعناصر الأخرى الموجودة في الطبيعة تتكون من ذرات فيها نفس هذين الزوجين لكن بأعداد مختلفة، فكل عنصر يختلف في عدد البروتونات

والنيوترونات عن (العنصر) الآخر وبصفاتها الفيزيائية الكيميائية، فتتكون من تلك (العناصر) كل المكونات لكل الأشياء التي حولنا كلها.

ومايهمنا من هذا الوصف المبسط أن نعلم التركيب الذري لمعدن الحديد الذي له صفة خاصة به، وهي صفة المغنطة. والمغنطة قوة. مثلاً إذا جئنا إلى المخبر بكيلو غرام واحد من الفولاذ غير الممغنط، ووزناه بميزان إلكتروني دقيق جداً، وتأكدنا من وزنه تماماً وبأنه يساوي (١٠٠٠) غرام، أي واحد كيلو غرام بالتمام والكمال، وهو غير ممغنط، أي أن قوته المغناطيسية تساوي الصفر تماماً. ثم مغنطنا تلك الكتلة بساحة كهربائية بحيث تحولت الكتلة بعدها إلى مغناطيس كامل، لأن الفولاذ يحتفظ بالقوة المغناطيسية بعد زوال المؤثر ولايفقده مثل الحديد المطاوع.

ثم جربنا تلك الكتلة على كمية من برادة الحديد نجده قد اكتسب قوة هائلة على الجذب فصار يجذب أضعاف وزنه من برادة الحديد. إذا عدنا الآن وأعدنا عملية الوزن الدقيق مرة أخرى نكتشف أن الوزن بقي كما كان ولم يتغير أبداً.

نستنتج من ذلك أن القوة الجديدة التي ظهرت في ذرات الفولاذ هي ليست قوة خارجية أتت من خارج المعدن. بل قوة ذاتية كانت موجودة داخل الفولاذ بشكل ضائع، واستطعنا إظهارها وإعادتها للوجود بواسطة المغنطة. فما الذي حصل داخل الذرات حتى ظهرت تلك القوة التي كانت ضائعة قبلها؟ إن الالكترونات والبوزيترونات في مدارات ذرة الحديد كانت تدور حول النواة في كل ذرة بشكل منعزل ومنفرد عن باقي الذرات، وكل ذرة لوحدها تشكل مغناطيساً كاملاً في ذلك المعدن. لكن بما أن كل ذرة تدور الكتروناتها وبوزيتروناتها بانتظام داخل الذرة نفسها، بدون أن تتوازن وتتناغم مع دورانات مثيلاتها من الإلكترونات والبوزيترونات في باقي الذرات المجاولة لها، بحيث تدور باتجاهات عشوائية بالنسبة إلى جاراتها، كل ذرة تعمل لوحدها بدون وجود إيقاع ينظلم تلك الدورانات مع جاراتها، بحيث تصبح القوة العامة في كامل الكتلة في النتيجة تساوي الصفر، لأن كل الاتجاهات العشوائية بحسب قوانين الاحتمال تلغي بعضها البعض دائماً.

لكن القوة المغناطيسية الأساسية التي مغنطت تلك الكتلة أتت من الخارج فمغنطت الكتلة، وبذهاب تلك القوة تظل الكتلة محتفظة بقوتها، فما هو الجديد الذي ظهر في مادة تلك الكتلة من الفولاذ؟

هي عملية تنظيم وتوحيد للاتجاه بالنسبة للالكترونات وبعضها مثل وحدة عسكرية عدد أفرادها الألف، موجودين في ساحة ويتحركون بعد الانصراف إلى جميع الاتجاهات، هذا منظر قبل المغنطة، ثم عن طريق صوت صفارة جمعت الوحدة العسكرية وبإيعاز من قائد الوحدة صارت الوحدة كلها تتحرك باتجاه محدد وبخطوات منتظمة. ماهو الفرق بين الحالتين ـ الفرق هو التنظيم الذي أوجد بعد أن كان مفقوداً. في الحالة الأولى مع وجود الحركة في الحالتين. فالذي أريد الوصول إليه أن عملية التنظيم بحد ذاتها أظهرت قوة كانت ضائعة قبلها، لكن تلك القوة لم تأت من الخارج وإنما كانت موجودة وضائعة أعادتها وأظهرتها من جديد المغنطة الخارجية بالقوة.

وبالنسبة للإنسان هذه القوة الممغنطة الخارجية هي العقيدة والدين، والإنسان خلال التاريخ وبفكره اكتشف أهمية العقيدة في إعطاء قوة للمجتمعات الإنسانية لم تكن موجودة قبلها.

والله الذي يعلم أهمية هذا الموضوع بالنسبة للإنسان والمجتمعات الإنسانية لأن هذا المخلوق خلق حتى يكون إجتماعياً ولم يخلق ليعيش منفرداً لوحده. ففي خلال التاريخ الإنساني كله الذي نجده مسجلاً في كتاب واحد في هذا العالم يثبت ذاته بذاته بأنه ليس من كتب البشر بل كتاب من الله. وهو القرآن الكريم نجد في قصصه التاريخ البشري كله تتكرر في عملية المغنطة هذه من قبل الله بقوة حقيقية وأفكار سماوية يأتي بها رسول إلى كل أمة، يعلمهم أصول المغنطة بالأفكار وبالأسلوب السماوي الإلهي ولمصلحة الأكثرية الساحقة من مجموع الأفراد في ذلك المجتمع الإنساني. لكن الله ترك إمكانية ذاتية لمغنطة معاكسة لحزب آخر هو الحزب الذي لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر، هذا الحزب يحاول بالتدريج أن يجعل الأفراد يتركون الفلك الذي كانوا يدورون فيه إلى أفلاك أخرى، وهم يقولون لهم بأفواههم (عظيم) لازلتم تفعلون تماماً مايريد الله منكم، ويحولونهم من دون أن يشعروا بالفرق في الدوران من النظام الإلهي إلى النظام الطاغوتي الذي فيه مصلحة الطاغوت وأعوانه، فيقع المجتمع في الإشراك فيفقد القوة الذاتية الأولى التي ظهرت نتيجة المغنطة الحقيقية بالتدريج، وتعود الذ رات لتدور باتجاهات مختلفة من جديد كما يفقد المجتمع قوته من جديد، ويعود الأفراد أيضاً يدورون في أفلاكهم المستقلة بغض النظر عن أفلاك الأفراد الأخرى، فتموت الأمة إجتماعياً، أي تصبح مرة أخرى قوتها الإجمالية صفراً من جديد.

إن أساس الفكر الإلهي أن يكون الدفع لاتجاه مصلحة الأمة والناس، فيأتي الملأ(*) الذين هم أصحاب الفكر والمال والقوة والجاه والنفوذ في الأمة وبالتدريج يجعلون الناس يدفعون بالاتجاه المعاكس الذي يريدونه، فيحققون مايريدون ويعيشون على شقاء هؤلاء الناس المعذبين. ولو عادت قوتهم إلى الصفر من جديد فهذا لايهمهم كثيراً. طالما أن قوانينهم هي التي تنفذ مع شرائعهم. لذلك إذا راقبنا المجتمعات المشركة في الأرض، بغض النظر عن اسم الدين نجدها هي المجتمعات التي صارت قوتها تساوي الصفر، وعملتها تساوي الصفر تقريباً. لأنها نسيت دور العمل وأهميته وأهمية التنظيم في المجتمع، بينما المجتمعات الكافرة، أي التي تكفر بالآخرة بما أنها تؤمن بالعلم وبالعمل لم تفقد قوتها الذاتية. ولايشترط بالمجتمع الكافر أن لايؤمن بالله. بل قد يؤمن بالله لكنه لايؤمن بالبعث بعد الموت وبيوم الحساب.

(*) ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من إله غيري﴾ - ٣٨ القصص
﴿إلى فرعون وملَئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمنُ لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدين﴾
وهكذا نجد أن الملأ دائماً هو مصيبة الشعب والأمة في كل زمان.

١٤ ـ كيف يعود الراغب إلى دين الرحمن من جديد؟

إن الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه أرسله رب العالمين ليكون عظيماً بشخصه وبكرم أخلاقه وصفاته الشخصية الإنسانية، من دون زيادات إعجازية كما يتخيل بعض المتوهمين. بل كما خلقه الله بشكل طبيعي متصفاً بكرم الأخلاق وبالأمانة والبعد عن الهوى والقرب من الحق، والمتصف بالذكاء الفطري وبعد النظر، وقد وهبه الله سبحانه موهبة الحكمة والقدرة على قيادة الناس حباً لاتسلطاً، قدوةً لاستبداداً، فكان هذا الإنسان العظيم هو الذي حمل عبء الرسالة من أهل العزم من الرسل لتبليغها للناس، فآمن بربه وبدأ مهمته مبلغاً ماأمره به سبحانه، من الأقرب إلى الأبعد، فأول من آمنت به زوجته خديجة وأيدته معنوياً تأييداً كان له تأثيره القوي في نفسية الرسول الكريم في شد عزيمته، ثم آمن به صِدّيقَهُ أبو بكر وابن عمه علي رضى الله عنهما، وهكذا بدأت حلقة المؤمنين تتسع وجاهد وكافح وناضل وصبر وتحمل الكثير حتى بلغوا السبعين رجلاً في سنين طويلة رضي الله عنهم أجمعين.

واليوم عندما يريد الشباب المسلم العودة إلى دين الرحمن من جديد لابد أن يمروا بنفس الطريق، وإن كان طريقهم أي طريق الشباب سوف يكون اقل أشواكاً وأقل معاناةً وجهاداً وكفاحاً، لأنهم سوف يجدون الطريق قد مهد فسوف يجدون أمامهم كثيراً من المؤمنين المحبين للعودة إلى رحاب الله من جديد، بعد أن سئموا من رحاب السلاطين وأكاذيبهم التي لاتسمن ولا تغني من جوع، فسوف يفرحون بلقاء أخوانهم وينضمون إليهم ويتطوعون في الدعوة السلمية للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. سوف يفرحون لأنهم وجدوا السبيل الذي كانوا يبحثون عنه ولايجدونه.

ومشوار الدعوة بالنسبة لهم لن يكون طويلاً كما كان مع الرسول الكريم الذي اضطر أن يقاتل في سبيل الله من أجل تثبيت القاعدة الأساسية للإسلام في الأرض. لكن المسلمين العائدين إلى إسلام الرحمن لن يحتاجوا للعنف أبداً، فكل دعوتهم سلمية وبالحسنى والقاعدة الأساسية لا إكراه في الدين فمن شاء اتبعهم ومن شاء تركهم، لأن الذين لايريدون الانضمام إليهم لن ينضموا مهما تعبوا في سبيل هدايتهم وعرقوا جهداً في سبيل ذلك. فمن الأفضل أن لايضيعوا الوقت مع الذين يديرون ظهورهم أو يبدون الكراهية. فالذين كانوا يبحثون عن نور الله وهديه والحق الذي أرسله، هم فقط الذين

سيفرحون بلقائهم والانضمام إليهم فيتدارسون كتاب الله صباح مساء، ويعودون إلى دين الله وتوحيده من دون إشراك، ويتمسكون بحبل الله جميعاً ويعملون الصالحات من الأعمال في هذه الدنيا ويؤمنون أنهم سوف يجدون ماوعدهم ربهم حقاً.

﴿...أَلَآ إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ - ٥٥ يونس.

إن الراغب في العودة إلى دين الله الصحيح يجب أن يفهم بأن دوره مثل النملة أو النحلة في المجموعة المتكاملة كمسلمين حقيقيين وفعالين. فله كيان ووجود فردي مستقل، وله حقوق وعليه واجبات، لكن يجب أن يفهم أن هذا الكيان كله مرتبط بشكل عضوي مع حياة المجموعة بكاملها، بدون انفصال عنها، فله أجر، وعليه واجب العمل، وعليه أن يؤمن أن عمله الذي يؤديه هو للمجتمع الإنساني كله، سواء كانت أعماله تصل إلى المسلمين أو لاتصل إليهم ويجب أن يكون ذلك العمل صالحاً لخدمة المجتمع ومن أجل صلاحه لا من أجل إفساده بأي شكل من الأشكال. ويجب أن يقوم بذلك العمل على أتم وجه بدون الحاجة لمراقبة أحد، فهو يجب أن يكون رقيباً على نفسه، ويجب أن يصل إخلاصه في عمله وكأنه يخدم نفسه بل أكثر. وهذا العمل هو الذي عليه الثواب والأجر ومن أجله يحصل على الجنة من الله في اليوم الآخر، وكل ماعدا ذلك يعتبر من الأفعال المساعدة. وغياب العمل الذي هو العبادة الرئيسية والأساسية في الأرض لا يؤهل أحداً لجنة السماء حتى ولو كان الإنسان مؤمناً بالله وباليوم الآخر وصام وصلى وزكى وحج إلى البيت وقرأ القرآن ووصل الرحم وأحب الله ورسوله ولم يفعل أي من الكبائر.

كل هذه الأمور من الأمور المساعدة لنيل رحمة الله وشفاعته فقط بدليل قول الله تعالى في الآية:

﴿وَالمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعضٍ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ...﴾ - ٧١ التوبة.

وكل ماورد في هذه الآية لم يكن كافياً ليقول عنها سبحانه بأنها سوف تأخذ بصاحبها مباشرة إلى الجنة، لأنه ينقصها ماكان الله قد كلف الإنسان به عندما قبل الأمانة، فاستخلفه في الأرض ليعمل فيها صالحاً. فالعمل الصالح هو الذي ينقص في هذه الآية.

وعند إضافة العمل الصالح، نراه يدخل الجنة بلا سؤال:

﴿...وَمَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةِ يُرزَقُونَ فِيهَا بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ - ٤٠ غافر.

وهكذا نجد الله يذكر العمل لفظاً قبل لفظ الإيمان في تلك الآية مع أن الإيمان شرط أساسي لدخول الإنسان للجنة. ولكي نفهم دور المؤمن بالكامل يجب أن نرافقه في كل المراحل ابتداء من البيت والأسرة في رحلة العودة للراغب إلى دين الرحمن أولاً دوره كأب:

عليه أن يكون الزوج الصالح المتفهم لدوره وخطورة كونه رب أسرة إسلامية مسؤول عن راحة زوجته التي كانت هدية الله له في مشوار حياته في هذه الحياة الدنيا:

﴿وَمِن ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً لِّتَسكُنُوا إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَّوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٢١ الروم.

فهذه النفس التي خلقها الله له ليسكن إليها وتطمئن نفسه ويشعر وهو بجانبها بالرضى والسكينة، هي من نعم الله سبحانه وتعالى عليه، وجعل بينه وبين هذه الإنسانة التي تشاركه حياته في السراء والضراء مودة ورحمة بين قلبه وقلبها، فهو يميل إليها ويحبها وهي كذلك تبادله المودة والمحبة، ومن فضل الله قد يرزق ببنين وبنات فيعمل بجد واجتهاد على تنشئتهم النشأة الصالحة على دين الله الذي آمن به هو وزوجه، فيعلمان أطفالهما حب الإسلام ومحبة المسلمين لكل الناس الطيبين الذين يتواصون بفعل الخير والأمر بالمعروف لطفاً وإحساناً، وينهون عن المنكر بأدب ولباقة، مبتعدين عن الفظاظة والغلاظة التي ينفر منها طبع الإنسان الحقيقي. يجب أن يعود المسلمون إلى الزواج الإسلامي المبني على التكافؤ والتفاهم والتناسب والموافقة من قبل الطرفين، لتكون بداية سليمة وصحيحة لبناء الأسرة الإسلامية التي هي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي وعلى قوتها تعتمد قوة المسلمين كلها. ويهجرون كل أساليب الزواج القديمة، حيث كانت النساء تباع بيع الجواري لمن يدفع أكثر ويملك أكثر، متناسين أننا بذلك نتهاون في أقدس العلاقات الإنسانية التي أنشأها الله بين الرجل والمرأة.

والزواجات الفاشلة تأتي بأولاد فاشلين نتيجة تربية فاشلة، فيزداد المجتمع الإسلامي فوق فشله الفكري والإيماني فشلاً جديداً.

على الشباب الجديد الذي تفهم أن مصدر دينه هو القرآن أن يضع كل ذلك الماضي خلفه ويسير إلى الأمام، وكله قوة وإيمان بأنه قادر على الاستخلاف في الأرض وبناء

جنة الأرض ليستحق بها جنة السماء من رب العالمين.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيَا وَحُسنَ ثَوَابِ الأَخِرَةِ...﴾ ـ ١٤٨ آل عمران.

﴿...لِلَّذِينَ أَحسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ خَيرٌ...﴾ ـ ٣٠ النحل.

﴿وَابتَغِ فِيمَآ ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا...﴾ ـ ٧٧ القصص.

﴿...وَءَاتَينَاهُ أَجرَهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ـ ٢٧ العنكبوت.

قد يكون الأمر صعباً وقد يجد المؤمن صعوبات شتى تعترضه في الطريق. وهداية الناس إلى طريق الحق لم تكن سهلة في يوم من الأيام حتى يكون سهلاً على أحد، فقد أعجزت كثيراً من أولي العزم من الرسل أحياناً، لكن الإنسان يجب أن لاييأس، وأن تكون ثقته بالله عظيمة وإيمانه بالله قوياً.

وعلى المؤمن أن يكون قدوة لزوجته ولأطفاله ولجيرانه ولأصحابه وأصدقائه وأقربائه. قدوة في الخير والإحسان والكرم والنبل وعلى المؤمن أن يكون قدوة في عمله. وأن يكون في ذهنه وهو يذهب إلى عمله وكأنه يذهب إلى المعبد الأكبر لعبادة الله وهي الأهم في هذه الحياة الدنيا، وأقدس شيء عند الله هو عمل الإنسان عملاً صالحاً. وعليه أن يحسن عمله كماً ونوعاً. ويتقنه أكان صاحب العمل يراه أو لايراه إعتقاداً منه أن الله يرى عمله كله:

﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ـ ١٠٥ التوبة.

والعمل من أهم الأمور التي نسيناها خلال الألف والأربعمائة عام من التخلف والانحدار. فعودة المؤمن إلى دين الرحمن إذا حصلت تكون أكبر زاوية انحراف يمكن أن يحدثها المسلمون في تاريخهم الطويل السابق للعودة إلى الفعالية في التاريخ من جديد، لأنهم الآن قد أصبحوا خارج هذا التاريخ وخارج فعاليته، والواقع الأليم الذي نعيشه كأمة إسلامية شاهد على هذه الحقيقة المؤسفة.

يجب أن يعلم الشباب أن أمامهم عملاً ضخماً يحتاج إلى جهد شاق، وقوة في العزيمة، وإيمان بالله سبحانه، وصبر ورجاء من الله على المساعدة لتذليل الصعوبات وطلب المعونة من الله تعالى للتغلب عليها، وإن كانت تعادل الجبال حجماً وتنتظر من يزيلها عن طريقنا، علماً أننا لن نجده مفروشاً بالورود خاصة وأن الغرب الذي تهمه هذه البلاد كسوق استهلاكية وكمصدر للثروات الطبيعية، يحب الإبقاء على الأوضاع

الحالية، ولن يسعده أبداً أن يجد المسلمين الغارقين في نوم عميق وطويل قد بدأوا يفتحون أعينهم مستفيقين من نومهم، خاصة هذه الأيام، بل يسعده مايرى من مبادرات البعض بإعادة الأفكار السلفية وإعادة ماكتبه المسلمون داخل الكهف خلال عصور الانحدار الإسلامي حين لم يعد هناك أي مصدر للضياء والرؤية على الإطلاق.

إن كل ذلك التراث الذي يباع الآن في الأسواق بورق لماع وأغلفة أنيقة وكل مافيها من أخبار وأنباء وأوهام لاتدعو إلا إلى حفلة زار جديدة ترافقها كل أنواع المخدرات في العالم، حتى ننام من جديد إلى عصر جليدي آخر - لاسمح الله - ولكن علينا أن لانفقد الأمل فإن الله سبحانه قد حفظ لنا هذا القرآن العظيم لسبب هو وحده الذي يعلمه. وإن ظهور معجزات الله في هذا الكتاب وفي هذا العصر بالذات أيضاً له دلالات جديدة وإشارة واضحة وطيبة، وتبشر بالخير خاصة بعد أن نستعيد في ذاكرتنا قول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ - ٣٣ التوبة.

ربما أن وقت إظهار هذا الدين على الدين كله قد أتى زمنه، وإن كنا نحن لانعلم ذلك. كما أننا يجب أن لانفقد الأمل، ونؤمن بنصر الشيطان علينا سلفاً هكذا تخاذلاً واستسلاماً فما كل شياطين الجن والأنس سوى مخلوقات لله وتحت تصرفه المباشر مهما مكروا، حتى ولو كان مكرهم يزيل الجبال فماذا قال الله تعالى عنهم وعن مكرهم كله:

﴿وَقَد مَكَرُوا مَكرَهُم وَعِندَ اللَّهِ مَكرُهُم وَإِن كَانَ مَكرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبَالُ﴾ - ٤٦ إبراهيم.

﴿قَد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَأَتَى اللَّهُ بُنيَانَهُم مِّنَ القَوَاعِدِ...﴾ - ٢٦ النحل.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكرَ اللَّهِ فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللَّهِ إِلا القَومُ الخَاسِرُونَ﴾ - ٩٩ الأعراف.

كل تلك الآيات لها دلالات بأن الوقت مازال في صالحنا ولم نخسر كل شيء بعد، فإننا إن استطعنا أن نغير العقلية القديمة وإزالة كل الإضافات إلى عقيدتنا الإسلامية ورسالتنا التي هي القرآن الكريم، والعودة لنصوص ذلك الكتاب بقلبٍ متشوق للعلم والعمل والنشاط، فإننا سوف نحقق المعجزات خلال جيل أو جيلين، إن شاء الله، بإعادة العقلية العلمية للمسلمين ومع عودتها سوف تعود الإرادة للعمل الصحيح من أجل البناء على أسس سليمة من جديد، فيعود المسلمون ليتعلموا أسلوب العمل بعقلية

النحل التعاونية وليس بعقلية الذباب الانفرادية. والله سبحانه وتعالى هو أصدق من وعد حيث قال:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

وطالما تحركنا أخيراً وغيرنا مابأنفسنا، لابد عندها من أن يغير مابنا من تأخر وتخلف، ويعيدنا إلى مانستحق في هذه الحياة الدنيا من ثواب، وتعود فعاليتنا إلى العالم كأمة مؤثرة وفعالة بين الأمم، ولانبقى أذلة كما نحن الآن، وكأننا ذباب أو أقل شأناً، ولا وزن لنا في هذه الأرض مع كل عددنا الهائل وأموالنا الطائلة. مأكولين ومذمومين. وليس من أحد يحسب لنا حساباً. لا بد أن كل هذا حصل ويحصل تحت نظر الله وإرادته ومشيئته:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - ٢٦ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبغ الأمين.

١٥ ـ القرآن: برهان ورسالة:

إن الله سبحانه وتعالى عندما يختار من كل أمة رسولهم ويبعثه فيهم نذيراً ومبشراً، يعلم بأن الملأ الذين هم أصحاب المال والقوة والنفوذ والرأي من كل أمة، هم الذين سيتصدون لرسوله مكذبين. فكان يؤيد رسوله بآيات (معجزات بصرية) لتكون برهاناً منه لرسوله على صدق رسالته.

ولكن حتى تلك الآيات والمعجزات التي يعجز عنها البشر، لم يعجز الملأ من تكذيبها: فقد قالوا عنه أنه سحر مبين وقالوا عن الرسول بأنه ساحر كذاب.

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد في قصصه اعتباراً من أول رسول ذكره الله لنا وهو نوح عليه السلام، وحتى آخر الأنبياء والرسل، أن القصة تتكرر دائماً تقريباً بنفس المرافق وإن اختلفت بالتفصيلات والمواقف الشخصية.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ـ ٥٩ الأعراف.

فتصدى له الملأ وقالوا:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ـ ٦٠ الأعراف.

الله سبحانه يعلم أن حب الدنيا وترفها ونعيمها وشهواتها وزينتها وأموالها قد استولت على قلوب الملأ، فجعلت كل تلك الأمور غشاوة على أعينهم فلا يستطيعون أن يدركوا حقيقة كبرى من حقائق الدنيا وهي أن كل ماوصفنا من متع زائل وغير دائم لأحد. ولكن من طبع العين أن تصدق ماترى خاصة إذا كان ماتراه مما تحب وتشتهي، فلا تستطيع بعدها رؤية الحقيقة من خلال كل تلك الأضواء التي توجد مايشبه الغشاوة، فلا يستطيع أحد منهم أن يتبين الصدق والحقيقة في أقوال الرسول للناس، فيتصدون له يدفعهم إليه دافعين:

أولاً: إدراكهم خطورة مايبشر به على مصالحهم التي عددناها وهم لتلك المصالح عاشقين، وأبعد الناس عن العقل والمنطق هم العشاق.

ثانياً: أنهم لايستطيعون رؤية الحقائق لوجود الغشاوة التي تشكلت على أعينهم، فيدافعون بحماس عن تلك المصالح ويكذبون الرسول وكل آياته ومعجزاته، ولا يريدون

سماع رسالته ولاتعجبهم المثل العليا التي يتكلم بها، كالصدق والعدل والإحسان والخير الذي يدعو إليه.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِى الفُلكِ وَأَغرَقنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَآ...﴾ - ٦٤ الأعراف.

وبعد ذلك ينتقل القرآن ليحدثنا عن قوم عاد ورسولهم هود عليه السلام:

﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ إِنَّا لَنَرَكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ - ٦٦ الأعراف.

وهكذا تتكرر القصة، فالملأ لايستطيع أن يصدق أن كل مايغرق فيه من نعيم يمكن أن يزول عنه في لحظة وعن أولاده وأحفاده من بعده، بل يعتقد أن ماهو فيه من نعيم يراه ويحسه ويعيشه خالد باقٍ لايمكن أن يفنى ولايستطيع التصور أو التصديق بوجود يومٍ للقيامة والبعث والحساب، ولا بوجود دار أخرى غير تلك التي عشقها أبداً. فيخسرها كلها في لحظة كان يظن أنها بعيدة جداً عنه:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤمِنِينَ﴾ - ٧٢ الأعراف.

وهكذا تتكرر المواقف نفسها في القرآن الكريم حتى نصل إلى أكبر قصة وأهم قصة من قصص القرآن الكريم، وهي قصة بني إسرائيل بما فيها قصة موسى مع فرعون وملأه، قصة تتكرر في أغلب سور القرآن، ويتناولها الله بأشكال مختلفة لعلمه سبحانه أن نفس المواقف مع اختلاف الزمان والمكان والأشخاص سوف تتكرر مع المسلمين، حتى يتعلموا منها كيف يجب أن يتصرفوا وكيف يجب عليهم تصحيح الأخطاء وإعادة دفة السفينة إلى اتجاه سبيل الله بعد كل انحراف عنه. ولكننا مع الأسف الشديد لم نستفد من كل ذلك حتى الآن لأننا هجرنا القرآن دفعة واحدة وتركناه وحيداً في أحد أركان البيت من منزل كل مسلم منا، دون أن نستفيد من كل الهدي الذي فيه مع حاجتنا الشديدة له كالظمآن في الصحراء الملتهبة الذي بلغ أبواب الموت من العطش وهو يحمل على ظهره ماء زلالاً صافياً بارداً مما يشتهيه قلبه وقد أنساه الشيطان (شياطين الإنس وشيطان نفسه الأمارة بالسوء) ذلك الماء.

وهكذا نعلم من الله سبحانه في قصص القرآن ماهي معجزات موسى وآياته التسعة التي أحدثها الله على يديه باستخدام عصاه - التي أيده بها ربه لتكون برهاناً له بأنه رسول رب العالمين إلى أمته وإلى فرعون حتى يؤمنوا بالله العلي القادر على كل شيء ومالك كل شيء.

وكانت أكبر معجزات الله وآياته على يديه انشقاق البحر ومسيرهم على أرضه وإلى يمينهم ويسارهم يقف الماء كالطود العظيم محجوزاً عنهم بقدرة الله العلي العظيم.

﴿فَأَوحَينَآ إِلَى مُوسَى أَن اضرِب بِّعَصَاكَ البَحرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرقٍ كَالطُّودِ العَظِيمِ﴾ - ٦٣ الشعراء.

ومع كل تلك البراهين والآيات العظيمة من الله سبحانه، حتى الذين آمنوا مع موسى واتبعوه وبلغوا معه صحراء سيناء وصاروا من أصحابه وأتباعه المؤمنين، استطاع شيطان واحد من الإنس وهو السامري أن يفتنهم عن دينهم خلال غياب قصير لموسى لم يزد عن أربعين ليلة غاب فيها لموعد ولقاء مع ربه الكريم. فعاد إليهم موسى وقد أشركوا بالله وعبدوا العجل الذهبي مع السامري، وأخو موسى هارون مازال بينهم يصيح فيهم ماذا فعلتم بأنفسكم ياقوم لقد أضعتم أنفسكم وأضعتم كل شيء ولا من سميع.

هذه القصة لم تكتب في كتاب المسلمين حتى يقرأها بنو إسرائيل فهم لم يعترفوا بهذا الكتاب ولا برسولنا حتى اليوم. هذه القصة كتبت لنا نحن المسلمين لنفهم مغزاها ونتعظ بها لكننا مع الأسف الشديد فعلنا عكس المطلوب منا تماماً.

إن الله تعالى يريد أن يعلمنا أن الإشراك بالله سهل جداً على المؤمنين خاصة إذا كان إيمانهم لا يستند إلى عقل يسنده برهان ودليل ليطمئن قلب المؤمن الذي هو جهاز تفكيره عليه.

وكل إيمان لا يستند للعقل والبرهان يسهل على كل الشياطين اختراقه بسهولة، هذا هو الدرس الذي شاء الله تعالى أن يعلمنا إياه من قصة موسى وغيابه أربعين ليلة. وسبب تركيز الله تعالى على الليل في هذا الموعد هو لعلم الله أن الليل غالباً فيه مجال الضلال أوسع فالنهار بضيائه لا يسمح للإنسان أن يضل لوجود نور الشمس الدائم خلاله.

كما أن الله سبحانه يفهمنا بقصة موسى مع قومه أن البراهين البصرية والمعجزات التي يشاهدها الناس مرة لاتنفع كثيراً في تغيير عقائد الناس، لأن تأثيرها يزول بسرعة فينساها المرء بعد فترة، ولكن البراهين الباقية هي البراهين العقلية فقالها لنا سبحانه بصراحة مع أن الكثير منا لم يرد أن يفهمْها والآيات في لغة القرآن هي المعجزات.

﴿وَمَا مَنَعنَآ أَن نُّرسِلَ بِالأَيَاتِ إِلآ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ...﴾ - ٥٩ الإسراء.

فالله سبحانه يقول إن مامنعني أن أعطي لرسولي محمد المعجزات البصرية وتأييده بها هو أن كل تلك المعجزات البصرية التي أيدت بها رسلي من قبله قد كُذ بت وقالوا عنها سحر وقالوا عن رسلي سحرة كاذبين. لكن معظم المحدثين عندنا في الإسلام أصروا أن يضعوا أحاديث باسم رسول الله ﷺ بأنه قد قام بمعجزات أكثر وأكبر من معجزات كل الرسل، فأصبح كل محدث منهم يضيف بما يتفتق عنه ذهنه من خيال، ليحبك قصصاً ويؤلف معجزة للرسول الكريم، والله والرسول بريئان من كل تلك الافتراءات. هذا يقول ظهر نبع الماء من بين أصابع الرسول حتى سقى به جيشاً. وذلك يقول أتت الشجرة إليه باكية وتحدثت معه، وذلك يقول أنه شفى الأعمى، وبعضهم يجعل المعجزة في ماء وضوئه، وآخر يجعلها في ريقه، وآلاف القصص من الافتراءات، وليس بين المسلمين من يقول كفى كذباً وافتراء أيها الناس، إن الحقيقة موجودة في كتابكم. فافتحوا ذلك الكتاب واقرؤوه كما أمركم ربكم، ونصحكم به رسولكم الكريم. فالمعجزات كلها مازالت موجودة في كتابكم يمكن في كل لحظة أنتم وأبناؤكم وأحفادكم أن تروا معجزات الله بأعينكم وبعقولكم. والعقول هي المجال المطلوب للتأثير.

وهكذا نجد أن كل براهين الله وآياته لم تنفع ملأ فرعون الذين قالوا:

﴿قَالَ المَلأُ مِن قَومِ فِرعَونَ إِنَّ هَذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ - ١٠٩ الأعراف.

وشاهَدنا كيف كان موقف أصحاب موسى والذين آمنوا معه، ماذا حصل لهم بعد فتنة واحدة من الشيطان، ونحن المسلمين نستبعد عن أنفسنا فكرة أن يكون الشيطان قد فتننا خلال النصف مليون ليلة التي قضيناها بعد أن ودعنا الرسول محمد ﷺ وعادت نفسه الكريمة راضية مرضية إلى ربها وقد فعلت كل ماطلبه الله منها. بعد أن غفر الله وهو مايزال حياً في هذه الأرض ماتقدم لتلك النفس الطاهرة من ذنب وماتأخر، ولم يخبرنا الله سبحانه أنه فعل ذلك لأحد من مخلوقاته إلا له. وهكذا نجد أن براهين الله التي كان يدعم بها رسله لم تمنع أصحاب المصالح من الملأ وأصحاب العقول الجاهلة من الأمة عن الكفر والتكذيب بكل آيات الله وبراهينه للناس، حتى كانت آخر الرسالات التي شاء الله لها أن تكون هذه المرة ليست لأمة أو لشعب من الشعوب بل للناس كافة:

﴿وَمَآ أَرسَلنَاكَ إلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً...﴾ - ٢٨ سبأ.

وغير الله سبحانه أسلوبه بالبرهان والمعجزات فشاء أن تكون معجزة أخر أنبيائه ورسله مختلفة عن معجزات وبراهين الأنبياء والرسل الآخرين لسببين: وقد ذكرت السبب الأول في الآية التي تقول بأن كذب بها الأولون والسبب الثاني وهو الأهم حتى تكون معجزةً وبرهاناً دائماً باقياً مع بقاء الرسالة بين أيدي الناس إلى يوم الدين، يستطيع أن يراها كل من يشاء من الناس في كل عصر ومصر على اختلاف شعوبهم وأممهم وألوانهم ولغاتهم، فوضع سبحانه معجزته وبرهانه هذه المرة في نص الرسالة نفسها وفي القرآن الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِينَا * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدخِلُهُم فِي رَحمَةٍ مِنهُ وَفَضلٍ وَيُهدِيهِم إِلَيهِ صِرَاطاً مُّستَقِيمَا﴾ - ١٧٤ - ١٧٥ النساء.

لكن الملفت للنظر هو ظهور معجزات القرآن الكريم وبراهينه الحقيقية من معجزات عددية إحصائية تشمل أحرف القرآن وكلماته وآياته وسوره، إلى معجزات علمية لم يكتشفها الإنسان إلا حديثاً. في هذا العصر عصر العلم الحديث، ألا يشير كل ذلك إلى شيء؟

لقد رأينا أن الرسالة من الأساس وجهت للناس كافة والناس كلهم لم يتبلغوا الرسالة بعد.

ألا ترون معي أن كل مسلم مؤمن بالله ويؤمن بالقرآن كتاباً ويعلم بمعجزات القرآن وبراهينه، يستطيع أن يتحول إلى مبلغ لرسالة الإسلام في محيطه، شريطة أن يكون مؤهلاً لذلك بما يكفي من المواهب، وليس من الصعب على الإنسان أن يدرك ذلك نتيجة سعيه، فإن وجد أن عمله يجد أذاناً ومستمعين ومهتمين استمر في التبليغ وإن اكتشف أن الناس ينفرون من أسلوب تبشيره توقف عن ذلك، لأن ضرره في تلك الحال سوف يكون أكبر من نفعه.

وميزة آيات ومعجزات القرآن اليوم أن باستطاعة كل الناس رؤيتها والإحساس بها سواء الذين يعرفون العربية ويقرؤون القرآن باللغة العربية، أو يقرؤون القرآن باللغات الأجنبية من بعد ترجمتها.

فالإعجاز العددي يمكن وصفه حتى يتم إدراكه من قبلهم بسهولة، وكذلك

الإعجازات العلمية الموجودة في آيات القرآن لايغير منها ترجمتها شيئاً، فالحقيقية العلمية تبقى حقيقة علمية سواء سمعناها بالعربية أو بالانكليزية. ومن أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن تطور الجنين داخل الرحم، وثنائية الخلق في كل شيء.

كذلك ما جاء في القصص القرآني:

يعتبر القصص القرآني حقائق تاريخية ليس فيها وهم ولا ظن، وقصص القرآن تؤكد على صحة مايكتشفه الإنسان.

مثلاً: الاكتشاف الذي عرفه الناس بأن الرسول يوسف عليه السلام قد دخل إلى مصر في عصر البطالسة ولم يكن في العصر الفرعوني - فآيات القرآن تصدق صحة هذا الاكتشاف. لأن نظام الحكم عند البطالسة كان نظاماً ملكياً، حيث يدعون رئيسهم وقائدهم بالملك، بينما عند الفراعنة كانوا يدعونه باسم فرعون. ففي قصة يوسف نجد دائماً:

قال الملك - رأى الملك ولانسمع عن فرعون، بينما في قصة موسى في القرآن نقرأ قال فرعون. أتى فرعون. ولانسمع عن ملك. فهذا دليل من القرآن على صحة هذا الاكتشاف، علماً أن التوراة الذي هو كتاب بني إسرائيل ما زال يخلط إلى اليوم ويقول في قصة يوسف قال فرعون ورأى فرعون حلماً.

ومن إعجازات القرآن تعليم الإنسان، فالذي يقرأ القرآن يكتشف أن الذي يعلم الإنسان بدءاً من آدم هو الله سبحانه وحده، وأن، مصدر العلم والإكتشاف والإختراع الوحيد للإنسان هو الخالق سبحانه.

﴿وعَلمَ آدم الأسماء كلها﴾ - ٣١ البقرة.

ثم علم كل الرسل:

﴿...وَإِذ عَلَّمتُكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ...﴾ - ١١٠ المائدة.

وعن يوسف عليه السلام:

﴿...وَإِنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِّمَا عَلَّمنَاهُ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٦٨ يوسف.

حيث علمه الله تأويل الأحلام.

وكما علم داوود تقنية تحويل الحديد الصب إلى حديد مطاوع (لين).

﴿...وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ * أَنِ اعمَل سَابِغَاتٍ وَقَدِّر فِي السَّردِ...﴾ - ١٠ - ١١ سبأ.

والسابغات صفة للدروع الكاملة الصنعة والتامة، والسرد هو نسج الدرع من الزرد الحديدي.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَّكُم لِتُحصِنَكُم مِّن بَأسِكُم...﴾ - ٨٠ الأنبياء.

هذه أيضاً عن داوود عليه السلام كيف علمه الله صناعة الدروع الحديدية.

وهكذا نكتشف أن آيات مثل:

﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾ - ٤ - ٥ العلق.

هذه حقيقة، الله فعلاً كان يرسل الأنبياء من أجل تعليم الإنسان أموراً كان يجهلها، وذلك كله من أجل تحضيره للمهمة التي من أجلها استخلفه تعالى على الأرض، من أجل أن يؤمن بالله أولاً ويصبح من المتقين الذين يخشون ربهم ويطيعونه بالأخذ بنصائحه ووصاياه ثانياً. ثم من أجل أن يكون خليفة الله على الأرض ليقوم على إصلاح الأرض وإعدادها ليبني فيها جنة وحضارة دون أن يجعل أكبر همه ذلك كله، بل يكون هدفه الأكبر أن ينجح في مهمة الدنيا بما كلفه الله به، حتى ينال أجره في السماء بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أمثاله. هذه بعض براهين الكتاب التي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب كتاب القرآن الحقيقي، وما محمدٌ ﷺ إلا رسول رب العالمين المكلف بحمل هذه الرسالة للناس كافة، فمن صدق بهذه البراهين يجب أن يصدق ويؤمن بأن الرسالة الموجودة بين يدي القرآن المكي في قسم الأحكام الذي يشكل القرآن المدني هي التي يشير الله تعالى إليها في الآيات التي مرت معنا قبل قليل بقوله:

﴿...تِلكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾ - ١ يونس.

فالكتاب الحكيم هو الكتاب الذي يحوي أحكام الشرع الإسلامي كله. أما آيات (الكتاب وقرآن مبين) أو قوله سبحانه: ﴿...تِلكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾ - ١ يوسف.

فهي الآيات التي تبين الحق من الباطل والصحيح من الخطأ، وهي كلها من الآيات المتشابهة التي فيها كما رأينا كل المعجزات والآيات والبراهين والعلوم وأنباء الأقدمين الصحيحة في قصص القرآن الكريم، وليس فيها آيات عن الحلال والحرام أو آيات آمرة للإنسان: افعل أو لاتفعل وهذا ما قلنا عنه القرآن المكي.

إذن بعد أن عرفنا أن آيات الكتاب الحكيم هي آيات الرسالة فماذا نجد ضمن رسالة

الله إلى الناس كافة، وإلى أي شيء يدعو الله سبحانه بني الإنسان؟

يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده لاشريك له، وإلى الإيمان برسوله الذي يبلغهم رسالة ربهم، وإلى الإيمان بكتاب الله ورسالته التي أرسلها ليخرجهم بها من الظلمات إلى النور.

ويدعوهم إلى الإيمان بملائكة الرحمن وعما ورد عنهم في كتاب القرآن، وإلى الإيمان بأن الله أرسل قبل رسولهم أنبياء ورسلاً إلى باقي الأمم. وأرسل لكل تلك الأمم رسالات وكتب وشرائع يخرجهم بها من الظلمات إلى النور. وكل تلك الأمور نجدها في آية واحدة.

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ - ٢٨٥ البقرة.

وهناك إيمان مكمل لهذا الإيمان وملازم له، هو الإيمان بما وعد به الرحمن:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ - ٥ الذاريات.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ - ٧ المرسلات.

﴿...كَأَنَّهُم يَومَ يَرَونَ مَايُوعَدُونَ لَم يَلبَثُوا إِلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ...﴾ - ٣٥ الأحقاف.

﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَومِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ﴾ - ٦٠ الذاريات.

﴿...أَلَآ إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ - ٥٥ يونس.

﴿...فَإِذَا جَآءَ وَعدُ الأَخِرَةِ جِئنَا بِكُم لَفِيفا﴾ - ١٠٤ الإسراء.

﴿...إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَوٰةُ الدُّنيَا...﴾ - ٣٣ لقمان.

والله يسمي ذلك اليوم أحياناً بيوم البعث:

﴿...فَهَذَا يَومُ البَعثِ وَلَكِنَّكُم كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ - ٥٦ الروم.

وأحياناً يسميه الآخرة، أو اليوم الآخر:

﴿...وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِى الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِى الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ - ١٣٠ البقرة.

وأحياناً يقول عنه يوم القيامة:

﴿...فَاللَّهُ يَحكُمُ بَينَكُم يَومَ القِيَامَةِ...﴾ - ١٤١ النساء.

والذين يؤمنون بالله يؤمنون بكتاب الله الذي هو القرآن الكريم. والذين يؤمنون بالقرآن يؤمنون بكل ماورد فيه ولذلك فهم يؤمنون بالآخرة كما يقول سبحانه:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِم يُحَافِظُونَ﴾ - ٩٢ الأنعام.

وتلك هي صفات المؤمنين.

وإلى ماذا يدعو الله بعد الإيمان؟

إنه يدعو عباده إلى عبادته والإخلاص له وحده:

﴿...أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَا فَاعبُدُونِ﴾ - ٢٥ الأنبياء.

﴿إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَا فَاعبُدنِى وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكرِى﴾ - ١٤ طه.

﴿وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً...﴾ - ٣٦ النساء.

والعبادة لها أصول ومناسك وهي خمسة أنواع، وهي بالترتيب: عبادة التلاوة للذكر الحكيم: وقد ذكرها الله قبل الصلاة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ...﴾ - ٢٩ فاطر.

﴿الَّذِينَ ءَاتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَـئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ...﴾ - ١٢١ البقرة.

والذكر هو القرآن الكريم:

﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٤٤ النحل.

﴿وَهَذَا ذِكرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلنَاهُ﴾ - ٥٠ الأنبياء. لذا يقول سبحانه:

﴿رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ...﴾ - ٣٧ النور.

وكما رأينا بعد عبادة القراءة والتلاوة للقرآن تأتي عبادة الصلاة ومعها الزكاة:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاركَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ - ٤٣ البقرة.

وبعد ذلك عندنا عبادة الصوم:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ...﴾ - ١٨٣ البقرة.

وبعد الصيام عندنا عبادة الحج:

﴿...وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً...﴾ - ٩٧ آل عمران.

وبعد العبادات نجد في كتاب الرسالة موضوع الحلال والحرام وهي على أنواع:

النوع الأول: الحلال والحرام في الإسلام بما يخص المأكولات.

اعتبر الله سبحانه وتعالى المحرمات في موضوع مايمكن أكله محدوداً جداً ونجدها في الآية:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾ - ١٧٣ البقرة.

ومن هنا نستطيع أن نعرف الحلال:

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُم قُل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...﴾ - ٤ المائدة.

والطيبات هي كل مايخرج من الأرض أو من المخلوقات البرية والبحرية، فكل ذلك من الطيبات. وتأتي أعراف الناس لتختار ماتشاء وتأكل ماتستحب دون إكراه ودون أن تقول هذا حلال وهذا حرام، إلا لما قال عنه سبحانه أنه حرام.

النوع الثاني: ما يحرم على الذكر والأنثى من الزواج:

﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ النِّسَآءِ إِلا مَا قَد سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقتاً وَسَآءَ سَبِيلاً * حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهَاتُكُم وَبَنَاتُكُم وَأَخَوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُم وَخَالاتُكُم وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُختِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِى أَرضَعنَكُم وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُم وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتِى دَخَلتُم بِهِنَّ فَإِن لَّم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيكُم وَحَلائِلُ أَبنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِن أَصلابِكُم وَأَن تَجمَعُوا بَينَ الأُختَينِ إِلا مَا قَد سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيما * وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلا مَا مَلَكَت أَيمَانُكُم كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكُم وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَلِكُم أَن تَبتَغُوا بِأَموَالِكُم مُّحصِنِينَ غَيرَ مُسَافِحِينَ فَمَا استَمتَعتُم بِهِ مِنهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاجُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا تَرَاضَيتُم بِهِ مِن بَعدِ الفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيما﴾ - ٢٢ - ٢٤ النساء.

وبعد ذلك بين لنا الله في الرسالة ماهو الصراط المستقيم وماهي آياته:

﴿قُل تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم...﴾

١ - ﴿...أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً...﴾

٢ - ﴿...وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً...﴾

٣ - ﴿...وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم...﴾

٤ - ﴿...وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ...﴾

٥ ـ ﴿...وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُون...﴾

٦ ـ ﴿وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ...﴾

٧ ـ ﴿...وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلا وُسعَهَا...﴾

٨ ـ ﴿...وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى...﴾

٩ ـ ﴿...وَبِعَهدِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون﴾

١٠ ـ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون﴾ ـ ١٥١ ـ ١٥٣ الأنعام.

وبعد الصراط يجب أن نعلم أننا إذا قلبنا هذه الوصايا العشرة بدليل أنه سبحانه يقول لنا في نهايتها:

﴿...ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون﴾ ١٥٣ الأنعام.

نحصل بعملية القلب على عشرة كبائر يسميها الله سبحانه كبائر الإثم، ويجب على الإنسان أن يتفادى الوقوع فيها لأنها موجبة إلى عقاب الله بناره. إلا لمن تاب وأصلح وللإنسان عند الله توبتان فقط مثل الطلاق (انظر الآية ١٣٧ ـ النساء) ثم بعد ذلك يبين الله سبحانه في الرسالة حدود الله: وهي منتشرة في كتاب الرسالة على المؤمن أن يتبينها في أماكن مثل:

﴿وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا...﴾ ـ ١٤ النساء.

فإذا قال الله هذا حرام وفعلنا بعد ذلك ماحرم الله أو أكلنا ماحرم الله. نكون قد تعدينا حدود الله. وإذا قال الله في الصيام يجب أن لايأكل الصائم من وقت كذا إلى كذا وأكلنا قبله أو بعده نكون قد تعدينا حدود الله.

وقد قال الله سبحانه إن الطلاق مرتين فإن زدنا على ذلك طلقة ثالثة نكون قد تجاوزنا حدود الله لأن المطلقة مرتين لايجوز إعادتها إلا بعد أن تتزوج زواجاً شرعياً طبيعياً دون تلاعب فيه، وتعيش مع الرجل الجديد. فإن حدث وطلقها يحق لها وله العودة إلى بعضهما بعد عقد زواج ومهر جديد إذا ظنا أنهما قادران على العيش معاً بلا مشاكل مع إقامة حدود الله). وهذه أيضاً من حدود الله.

بقي أن نذكر ماهي الأمور التي أمرنا الله سبحانه تعالى اجتنابها:

﴿...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...﴾ - ٩٠ المائدة.

والاجتناب لا يعني أبداً أنه أخف من التحريم ولكن أسباب التحريم تختلف عن أسباب الإجتناب والله سبحانه أعلم بها.

نحن نعلم أن قتل النفس عمداً من غير وجه حق جريمة كبرى والإسلام دين عقل ومنطق قبل كل شيء لذلك يجب أن لانتجاوز بكلامنا فيه تلك الحدود أبداً. وقد يسأل سائل وهل هناك أكبر من الجريمة الكبرى يمكن أن يطلق على فعل يقوم به الإنسان؟ أقول نعم هناك أكبر من الجريمة الكبرى.

مثلاً: كما قلنا قتل النفس البريئة جريمة كبرى، وقتل أحد الأبوين عمداً أكبر.

مثال آخر: الزنى جريمة كبرى، لكن الزنى بأحد المحارم جريمة أكبر لماذا؟

لوجود جريمتين في فعلٍ جرمي واحد مع تعدٍ لحدود الله سبحانه.

ثم ماذا عندنا من الأمور والله يطالبنا باجتنابها؟

﴿وَلَقَد بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ - ٣٦ النحل.

والذي يلفت النظر في مواضيع الاجتناب كلها أن الذي ينفذ المطلوب كما أمره الله يبقى في حدود الله، والذي تجاوز الأمر يقع في حدود الشيطان، لذلك يقول سبحانه:

﴿...وَاجتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ - ٣٠ الحج.

ونحن نعلم أن قول الزور هو الشهادة الكاذبة، وهي من الكبائر العشرة، وبما أن الله سبحانه عاد فطلب منا أمر اجتنابها فقد دخلت في حدود الله، والذي يقول الزور يكون قد خرج من تلك الحدود ودخل في حدود الشيطان. أي أنه كفر. فالذي يقول الزور لايمكن أن يقولها وهو مؤمن أبداً.

وكذلك نحن نعلم أن الحق من الله والظن دائماً من الشيطان، لذلك يقول سبحانه:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ...﴾ - ١٢ الحجرات.

لاحظوا هنا أن الله طلب منا اجتناب الظن، وعلمنا أيضاً أن من يقع في الظن يكون قد تخطى حدود الله والعلم ووقع في حدود الشيطان والظن، لكن الله سبحانه لم يقل عن الظن إنه من كبائر الإثم، بل قال عنه إثم بدون أن يجعلها من الكبائر.

﴿إِن تَجتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم﴾ - ٣١ النساء.

ومن هذه الآية نحن نعلم بأننا جميعاً مأمورون باجتناب الكبائر كلها.والوقوع في الكبائر معناه الوقوع في حدود الشيطان والخروج عن حدود الرحمن فكل من يقترف كبيرة لا يفعلها وهو مؤمن أبداً، لكن كما لاحظتم أن موضوع الاجتناب وحده ليس هو الذي يقرر حجم الفعل إن كان جريمة كبرى أو جريمة، أو جناية كبرى أو جناية، أم جنحة وهكذا، فالذي يحدد ذلك شناعة الفعل نفسه وحجم ذلك الفعل وأثره في الأخلاق العامة ورد فعل المجتمع والعرف والعادة.

بعد ذلك ماذا بقي لنا في الرسالة؟

بقي عندنا الشرع الإسلامي كله الذي يشرح لنا كل شيء يتصل بحياتنا الفردية والجماعية. وماهي حدود علاقاتنا مع الآخرين وتنظيم هذه العلاقات وشكلها، وأن يكون أساس هذه العلاقات كلها موضوع الشورى والتشاور في الأمر والابتعاد عن موضوع التسلط والاستبداد بالرأي، وهذا مانعبر عنه بلغة عصرنا بالديمقراطية، فالإنسان يجب أن يكون ديموقراطياً في بيته وعمله ومع زملائه ومرؤوسيه وأبنائه، وفي علاقاته الاجتماعية برفاقه وأصدقائه. الديموقراطية هي الشورى ومبدأ التشاور بالرأي ومحاولة الوصول للأفضل والأصلح.

ونظام الحكم أيضاً يجب أن يكون ديموقراطياً مستمداً من نفس العلاقات القاعدية، لأن الناس إذا كانوا جميعاً استبداديين في كل شيء في العمل والبيت ومع الناس لايمكن تطبيق الحكم الديموقراطي عليهم كنظام سياسي، لأنه لايتماشى أصلاً مع عقليتهم الاستبدادية، فهذا النظام أول مايفشل يفشل في البلاد التي تعودت على أن تقول كما أمرهم السلطان مرة. وظنوا بعد ذلك أن الأمر كان من الله وحياً للرسول ﷺ (كلكم راعٍ وكلُكم مسؤولٌ عن رعيته) إلى آخر هذا الحديث.

لأننا إذا فكرنا في الموضوع فإن الراعي إنسان له رأي وله قرار والرعية قطيع لا رأي له ولا قرار. فعقلية الراعي أن لايسأل القطيع عن رأيه أبداً، ومن هنا كانت عملية زرع الاستبدادية في النفوس منذ الصغر، فالذي يقبل بعقله ويؤمن بهذا الحديث لايمكن أن يكون ديمقراطياً على مبدأ الشورى أبداً، والشعب الذي يؤمن به أيضاً لايمكن أن يقبل بالحكم الديموقراطي، ولكن الشيطان الذي أشار على السلطان بهذا الحديث كان يعلم أنه يحول الناس كلهم إلى قطيع دائم أبداً.

وحتى يتعلم المسلم كيف يقوم بعملية التحويل لما في نفسه من الإشراك إلى التوحيد

عليه أن يعلم أصلاً أن الاستبداد من الإشراك الذي هو الطاغوت والذي يأمر بالشورى والتشاور والديموقراطية هو الله الواحد الأحد. إذن لتحويل العقلية من الأسلوب الإشراكي إلى الأسلوب التوحيدي لابد من رفض كل الأفكار الاستبدادية التي منبعها كلها من الأحاديث، وطالما أبقى الإنسان على تلك الأحاديث وآمن بها فهو لايستطيع أن يتخلص من إشراكه أبداًوكما لا يمكن أن يقبل بالنظام الديموقراطي أيضا.

والإنسان الذي لايستطيع أن يتحول كلية إلى كتاب الله وحده، لايستطيع أن يتحول إلى التوحيد به أصلاً. وهذا بسيط ولايحتاج إلى نقاش وجدال. وهو لا يَصدُق إلا على من أغلق على نفسه كل منافذ العلم والمعلومات، بعد أن ظن أنه اكتمل علماً ومعرفة ووصل إلى درجة الكمال المطلق التي لم يدع الله سبحانه أبداً أنه وصل إليها.

والشرع هو الذيَ يشرح لناً العلاقات الإنسانية على مبادىء الصدق والصراحة والعدل والمحبة والمغفرة والعفو. على مستوى كل العلاقات الإنسانية ابتداء من البيت ومع الزوجة والأطفال ثم العلاقة مع الأقارب وعلى رأسهم الأبوين ثم الأخوة والأخوات فالأعمام والعمات وأولادهم صعوداً، ثم الأخوال والخالات وأولادهم صعوداً، ثم الجد والجدة صعوداً، ثم الأولاد والأحفاد نزولاً.

وبعد ذلك يبين لنا أيضاً علاقات العمل وعلاقات البيع والشراء والدين والمداينة، ووجوب كتابة العقود ووجوب الشهود مع شروط الشهادة وواجبات الشاهد. وأهمية الشهادة. ولم ينس الشرع شيئاً حتى الوصية قبل الموت وإشهاد الشهود. كما حرم الله الربا في العلاقات المالية لأن الربا هادمة للبيوت العامرة وماحقة للبركة ومخربة للمجتمعات، فالربا هو العنصر السام الذي يفسد كل العلاقات ويجعل للشيطان مجالاً واسعاً ليفسد على الناس كل شيء والله سبحانه لعلمه كل ذلك قال:

﴿يَمحَقُ اللَّهُ الرِّبَوا وَيُربِى الصَّدَقَاتِ...﴾ - ٢٧٦ البقرة.

﴿...وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا...﴾ - ٢٧٥ البقرة.

﴿وَمَآ ءَاتَيتُم مِّن رِّباً لِّيَربُوَا فِى أَموَالِ النَّاسِ فَلا يَربُوا عِندَ اللَّهِ...﴾ - ٣٩ الروم.

ومن الأمور التي ركز عليها الشرع الإسلامي كما رأينا ذلك في أخلاقيات الإسلام التراحم والتوادد والشفقة والشفاعة والإخلاص والاستقامة والأمانة وحفظ اللسان والإحسان للناس، خاصة لليتيم والمسكين وابن السبيل، وتقوى الله وتقديم النصيحة والموعظة للمؤمنين مع التعاون معهم في إنجاز أمورهم والصبر والاحتمال عند الشدائد،

ومراقبة النفس وردها عن الهوى والحياء والابتعاد عما يغضب الله، والحلم والأناة خاصة على السفهاء من الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدل بين كل الناس، والتوبة والاستغفار عند الوقوع في الأخطاء الصغيرة والابتعاد عن الكبيرة قطعاً. والإصلاح بين الناس والكرم في العطاء عند اللزوم، والشجاعة في القول والعمل، والجهاد والقتال إذا لزم الأمر. وأن يكون المؤمن عزيز النفس ذو وقار وسكينة متواضعاً. يدعو الله دائماً ولا يدعوا غيره أبداً:

﴿...رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِى الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ - ٢٠١ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٦ ـ تأملات في سورة يوسف:

للبحث عن حقائق علمية مع إجراء مقارنه حقيقية بين قصة يوسف في القرآن الكريم مع نفس القصة في التوراة.

كثير من أهل الكتاب يعترضون المسلمين قائلين: إقرؤوا قصة يوسف في القرآن وبعدها أقرؤوا قصة يوسف في العهد القديم (الذي نسميه نحن المسلمين بالتوراة) سوف تجدون أن رسولكم قد نقل القصة من العهد القديم بالحرف!! لاشك أن الله تعالى كان يعلم في غيبه ماسيقوله أهل الكتاب من هذا الكلام، فجعل في سورة يوسف وفي قصته بالذات دلائل ومعجزات علمية كثيرة، حتى يبرهن لجميع الناس من المسلمين ومن أهل الكتاب، أن مصدر هذه القصة في القرآن هو من الله سبحانه، وأن قصة يوسف في القرآن تحوي على معجزات علمية كثيرة بينما لايمكن لأحد أن يجد في قصة يوسف التي في العهد القديم أية معجزة على الإطلاق.

فالآية الأولى من السورة تقول:

﴿الر تِلكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾ ـ ١ يوسف.

في تلك الآية إشارة إلى الأحرف المقطعة ألف لام راء إلى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، وهذا الأعجاز وحده يعتبر من أكبر إعجازات الكتاب، وهو لوحده برهان على أن القرآن كتاب من الله لأنه يستحيل أن يستطيع الإنس والجن على تأليف كتاب فيه هذا الالتزام والتعقيد بالأرقام من أول الكتاب إلى آخره بالطريقة التي شرحتها في الأعجاز العددي للقرآن في كتابي (إنذار من السماء).

ثم ننتقل إلى إعجاز علمي من نوع فريد في القرآن الكريم حيث تحدثت في أماكن أخرى عن الحقائق العلمية التي يخبرنا بها الله في القرآن الكريم فتكون دليلاً للعلماء المؤمنين بالقرآن الكريم، للاسترشاد بتلك الحقائق ولاكتشافها بشكل تطبيقي عملي، كما حصل بالنسبة للعالم الذي آمن بازدواجية المادة فاكتشف البوزيترون ثنائي النيوترون في الذرة بعد أن كان الإلكترون هو ثنائي البروتون في الذرة.

وهنا عندنا حقيقة علمية في القرآن الكريم تدعو من جديد إلى اكتشاف ثلاث كواكب أخرى في المجموعة الشمسية ولكن كيف نجد هذه الأنباء في القرآن الكريم؟

أولاً يدلنا الله بوجود تلك الحقيقة العلمية كما يلي في الآية الكريمة التالية:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ - ٧ يوسف.

والآية التي فيها الحقيقة العلمية هي:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُم لِي سَاجِدِينَ﴾ - ٤ يوسف.

إن في هذه الآية مجموعة من الآيات والحقائق العلمية وهي:

١ - إن عدد الكواكب في المجموعة الشمسية هي أحد عشر كوكباً وإذا أضفنا إليها الأرض يكون عددها أثني عشر كوكباً وهي تمثل إخوة يوسف في المثال.

٢ - إن الشمس والقمر ليسا من الكواكب في تلك المجموعة.

٣ - إن الأرض هي من إحدى تلك الكواكب الإثني عشر وهذا الكوكب يمثل يوسف في المثال باعتبار أن الكواكب الإحدى عشرة الأخرى مسخرة وساجدة للأرض الذي فيه الحياة وفيه الإنسان الذي سخر الله له كل ذلك. وماذا نجد في القرآن الكريم حقائق أخرى حول نفس الموضوع:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ - ٦ الصافات.

هذه الآية حقيقة علمية تدلنا أن أقرب شيء مما نراه في السماء بالنسبة لنا هي تلك الكواكب، أما باقي النجوم والمجرات فهي بعيدة جداً وليس من السماء الدنيا:

﴿أَلَم تَرَوا كَيفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَالشَّمسَ سِرَاجاً﴾ - ١٥ - ١٦ نوح.

هذه الآية حيث يقول الله، وجعل القمر فيهن نوراً، والشمس سراجاً، دليل من الله أن كلامه يخص مجموعة الكواكب السابقة فقط.

ثم قول الله تعالى:

﴿...خَلَقَ اللَّهُ سَبعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ - ١٥ نوح.

دليل أن فوق الأرض سبع أفلاك لسبع كواكب أبعد من الأرض بالنسبة للشمس تقع في تلك السماء. وهذا يدل أن فيما قبل الأرض باتجاه الشمس، هناك أربع كواكب، وبعد الأرض باتجاه السماء سبع كواكب أخرى، وأن ترتيب الأرض في تلك المجموعة إذا بدأنا العد اعتباراً للأقرب إلى الشمس تكون الخامسة في الترتيب.

والآن ماذا اكتشف الإنسان حتى اليوم من تلك الحقائق. إن عدد الكواكب المكتشفة تسع، اثنان منهما قبل الأرض وبالاتجاه الأقرب للشمس وهما (Mercury) عطارد الأقرب للشمس ثم (Venus) الزهرة. وهذا يدل على وجود كوكبين آخرين في نفس الإتجاه ولم يكتشفهما الإنسان بعد.

وماذا عن الاتجاه الآخر حيث نجد: (Mars) المريخ. (Jupiter) المشتري. و (Saturn) زحل وأورانوس (Uranus) ونبتون (Neptune) وبلوتو (Pluto) وهي ستة، وهذا دليل آخر أنه مازال هناك كوكب آخر موجود في الفضاء ينتظر اكتشافه من قبل العلماء في ذلك الاتجاه.

فالله أعلم من عباده بما خلق وعلمه دائماً هو اليقين وعلم الإنسان أصلاً من علم الله الكامل، وفوق كل ذي علم من مخلوقات الله، الله العليم الذي وسع علمه كل شيء:

﴿...وَفَوقَ كُلِّ ذِى عِلمٍ عَلِيمٌ﴾ - ٧٦ يوسف.

ثالثاً في الآية ٢١:

﴿...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمرِهِ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٢١ يوسف.

هذه حقيقة علمية وكونية وإلهية وإن كان كثير من الناس لايعلمون ذلك ولايؤمنون به.

رابعاً في الآية ٤٣ -

﴿وَقَالَ المَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبعَ بَقَرَاتٍ...﴾ - ٤٣ يوسف.

يذكر القرآن الكريم في سورة يوسف أن رئيس السلطة الحاكمة في مصر يدعى الملك بينما في عهد موسى يقول القرآن (قال فرعون) بدليل أن السلطة ليست بيد الفراعنة بل في بيد البطالسة، وهذه حقيقة تاريخية في القرآن لاتجدها في باقي الكتب ولا حتى في توراة بني إسرائيل.

خامساً: في الآية ٨٤:

﴿...وَابيَضَّت عَينَاهُ مِنَ الحُزنِ...﴾ - ٨٤ يوسف. ٢ هكذا يحدد لنا نوع العمى الذي أصاب عين أبيهم يعقوب بتشكل طبقة بيضاء فوق قرنية العين مغطياً كل مساحة القزحية، وأن السبب كان بسبب عامل نفسي هو الحزن. ثم نجد في الآية ٩٣

﴿اذهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلقُوهُ عَلَى وَجهِ أَبِى يَأتِ بَصِيراً...﴾ - ٩٣ يوسف.

ثم نجد في الآية:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ البَشِيرُ أَلقَاهُ عَلَى وَجهِهِ فَارتَدَّ بَصِيراً...﴾ - ٩٦ يوسف.

وهكذا يتيسر لعالم مؤمن انتبه إلى تلك الآيات وآمن بصدقها العلمي، فبحث فوجد أن المتيسر الوحيد والميزة الوحيدة لقميص يوسف وجود العرق الإنساني فيه، فاجرى تجارب بتأثير العرق الإنساني ومركباته على هذا النوع من العمى، فاكتشف أنه بإمكان تلك المركبات من إزالة تلك الطبقات البيضاء من العين ويمكن للإنسان أن يعود بصيراً بعدها بدون الحاجة إلى إجراء أي عمل جراحي للعين.

حقيقة علمية جديدة نستطيع الوصول إليها والرائد فيها آيات القرآن الكريم.

سادساً تنفرد سورة يوسف عن سور القرآن كلها بوجود كلمات لم يستخدمها رب العالمين إلا صفةً لنفسه، وهذه الكلمات نجدها في سياق القصة، ويجب أن ينتبه إليها كل من يحصي كلمات الله، فلا يعد تلك الكلمات مع باقي كلمات القرآن الكريم، لأنها تزيد من عدد الكلمات عن الحد المطلوب، فتخرج الأعداد عن القاعدة إلا للذي ينتبه أن هذه الكلمات مستثناة لأنها لاتعني الله تعالى، وهي مثل الكلمات التالية:

﴿...قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحسَنَ مَثوَاىَ...﴾ - ٢٣ يوسف.

يقصد به يوسف سيده وليس المقصود رب العالمين.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعدِ مَا رَأَوُا الأَيَاتِ...﴾ - ٣٥ يوسف.

المقصود بالآيات هي الثبوتيات والبينات بأن قميص يوسف كان قد قد من الخلف وليس من الأمام تلك الكلمة لا تعني آيات الله.

﴿...فَيَسقِى رَبَّهُ خَمراً...﴾ - ٤١ يوسف.

المقصود سيده.

﴿...اذكُرنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكرَ رَبِّهِ...﴾ - ٤٢ يوسف.

المقصود بربك وربه هو سيده وليس الله تعالى.

﴿قَالَ ارجِع إِلَى رَبِّكَ فَسئَلهُ مَا بَالُ النِّسوَةُ الَّتِى قَطَّعنَ أَيدِيهِنَّ﴾ - ٥٠ يوسف.

﴿...إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ - ٥٥ يوسف.

هذا قول يوسف عن نفسه وليس ماسمعناه اسم من أسماء الله الحسنى.

﴿...وَأَنَا خَيرُ المُنزِلِينَ﴾ - ٥٩ يوسف.

وهذا أيضاً هو قول يوسف عن نفسه وليس المقصود رب العالمين. بينما نجد في كل القرآن نفس العبارة والمقصود بها رب العالمين:

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ - ٢٩ المؤمنون.

﴿...فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٦٣ يوسف.

كما نجده في الآية التي قبلها:

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ١٢ يوسف.

بينما لانجد في كل القرآن مثيلاً لنفس العبارة إلا في سورة الحجر حيث يقول سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - ٩ - الحجر

﴿...كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ - ٧٥يوسف.

والمقصود به هو قول يوسف وليس هذا قول الله: أي ليس على لسان الله كما نجدها في الآية الكريمة التالية:

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ - ٤١ الأعراف.

﴿...وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً...﴾ - ١٠٠ يوسف.

وهذا أيضاً المقصود به يوسف وليس رب العالمين.

بينما نجد أن المقصود هو الله تعالى في الآية التالية:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً...﴾ - ١٥ السجدة.

والقائم بالإحصاء لكلمات الله وأحرفه، إذا لم ينتبه لتلك الكلمات والاستثناءات الموجودة في سورة يوسف، لوجد أن أرقامه لاتطابق الأرقام الصحيحة.

مثلاً: إذا جمعنا مشتقات كلمة رب في القرآن الكريم لوجدنا أن العدد يساوي (٩٧٤) ولو طرحنا من ذلك الرقم المرات الخمس المذكورة في سورة يوسف لكلمة - ربه - ربك - ربي - التي لاتعني الله تعالى كما رأينا يعود الرقم إلى ٩٦٩، وهذا الرقم إذا قسمناه على عدد أحرف بسم الله الرحمن الرحيم المساوية للرقم (١٩) نجد الجواب مساوياً للعدد (٥١) بدون باقي. علماً بأن عدد الكلمات رب الواردة في فهرس الكلمات للقرآن للسيد فؤاد عبد الباقي ينقصها الآية الثانية من سورة الفاتحة:

﴿الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ - ٢ الفاتحة
حتى يصبح العدد ٦٨ بدلاً من ٦٧ الواردة في ذلك الكتاب.

وهكذا نجد إشارات كثيرة من رب العالمين إلى أن سورة يوسف في القرآن تختلف كثيراً عن سورة يوسف الموجودة في العهد القديم، وإن لم ينتبه أهل الكتاب ولا أهل الإسلام إلى تلك الفروق إلى اليوم.

ثم إننا نجد في الآية الآخيرة إشارة واضحة إلى تقولات أهل الكتاب وإلى جواب الله على تقولاتهم:

﴿لَقَد كَانَ فِي قِصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفتَرَى وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ١١١ يوسف.

في قوله سبحانه عبرة لأولي الألباب، إن في السورة وفي القصة أمور تحتاج إلى أصحاب العقول حتى يفهموا ويدركوا معجزات الله في تلك السورة. ثم يؤكد سبحانه أن تلك الآيات والمعجزات هي كلها تصديق وبرهان لرسالة محمد ﷺ، وتصديق لشرع الله وحلاله وحرامه وحدوده بأنها من رب العالمين، لعدم وجود براهين في تلك الأمور. فالذي يثبت صدق هذه الآيات هي الآيات الأولى التي فيها البراهين العلمية التي لايمكن لذي عقل أو منطق سليم أن يرفضها أبداً والموجودة كلها في القسم المكي من القرآن الكريم.

١٧ ـ هل الشرك ظلم عظيم في حق الله أم في حق الإنسان؟

وكيف يمكن أن نفهم مقاصد الرحمن من خلال آيات القرآن الكريم؟

﴿...يَابُنَيَّ لا تُشرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ـ ١٣ لقمان.

للجواب على هذا السؤال الهام سوف أتناول موضوعي التوحيد بالله والإشراك به وأقول:

ما هي مقاصد الرحمن بالدعوة إلى توحيد الله في الأرض وعبادته وحده وما هي بالتالي مقاصده بالنهي عن الإشراك به في الأرض للإنسان نهياً شديداً والجواب طبعاً يجب أن يكون بالإستناد إلى آيات الله في القرآن الكريم.

للدخول إلى مواضيع واسعة مثل هذين الموضوعين الكبيرين لابد للإنسان من دراسة القرآن دراسة تفصيلية لآياته بحيث يمكن معرفة ما ورد منها في كل موضوع حتى لا يغيب عنه شيء منها له تأثير في الموضوع المطروح للبحث. ومن أهم الأمور التي يجب البحث عنها في كتاب الله للجواب على تساؤلنا هو أولاً:

هل يستفيد الله تعالى من إيمان الإنسان وتقواه وعبادته أم أن الفائدة كلها للإنسان؟

هل يتضرر الله تعالى من كفر الإنسان وطغواه وإفساده في الأرض أم أن الضرر كله يصيب الإنسان؟

والجواب على هذين التساؤلين لا يمكن أن يكون بالظن وإنما من خلال شهادة الله تعالى علماً أن شهادته وبرهانه لا يتمان إلا من خلال شهادة آياته البينات التي يمكن أن تجيب على تساؤلات الإنسان خاصة إذا عرف كيف يتعامل مع آيات الله تعالى في كتابه العزيز.

وهذا هو سر التعامل مع آيات القرآن الكريم الذي اعتبره الله تعالى رسالة دائمة للإنسان في الأرض ومفتاحاً دائماً لفتح أزرار النور في كل الجوانب المظلمة من الفكر الإنساني. وعدم معرفة الإنسان كيفية استخدام كتاب الله الموجود بين يديه يعتبر ظلماً شديداً لذاته ويشبه إلى حد كبير الأسير المسجون في زنزانته ومفتاح تحرره معلقاً برقبته دون أن يحاول استخدامه ليتحرر به من الأسر الذي يتعذب ويقاسي منه ألماً وهواناً موصلاً ليله بنهاره.

وبدلاً من استخدام هذا المفتاح بيديه وفكره وحركته وعمله وسعيه يظن هكذا من وهمه أن مجرد التمني للخلاص لما هو فيه من حال بائسة، هو الحل المطلوب منه دون أن يعلم أن سبحانه ينتظر منه الحركة فكراً وعملاً وعلماً للخلاص من حبائل الشيطان ومن فتنته وخداعه له بعد أن يعلم أن الله تعالى هو بذاته الذي سمح وأذن للشيطان أن يتسلط على الإنسان إذا غفل أو نام عن حقوقه.

للدخول إلى موضوعنا يجب أن نجمع الآيات التي تقول بغنى الله واستغنائه عن مخلوقاته كلها في كتابه العزيز أولاً:

﴿...وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ - ٩٧ آل عمران.

هذه آية واضحة وصريحة تعلن لكل الناس جميعاً أن الله تعالى ليس له أي مصلحة ذاتية من كل ما نرى من حولنا من مخلوقات الله في العالمين وكذلك فليس له من مخلوقه الإنسان أي مصلحة ينتظرها منه في شيء أبداً.

وكذلك الآية:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ أَنِ اشكُر لِلَّهِ وَمَن يَشكُر فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ - ١٢ لقمان.

هذه الآية البينة تبين جوانب أخرى من علاقة الإنسان بربه، يطلب الله من عبده الشكر ولكن يعلن له سبحانه أن شكره لا يستفيد منها سبحانه وإنما فائدة الشكر تعود فقط على ذات الإنسان والله غني عنه وعن شكره ولكنه يحب عبده الشكور الذي يحمد الله على نعمه.

وكذلك الآية:

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ - ٦ العنكبوت.

فكل عمل يقوم به الإنسان وهو يقصد به وجه الله ليس لله مصلحة فيها بل المصلحة دائماً للعبد نفسه وليس لرب العالمين، لذلك فعبودية الإنسان لله تعالى تحرره دائماً من عبودية الإنسان للسلاطين ولأصحاب المصلحة ومن استعباد كل الظالمين في الأرض باسم الله تعالى والرسول الكريم كذباً وتحريفاً للحق المذكور في القرآن الكريم.

وهكذا نجد في آيات كثيرة من القرآن، الله تعالى يعلن للإنسان بصدق إستغنائه عنه وعن العالمين. وهنا يتبادر للإنسان سؤالاً لابد منه طالما ليس لله تعالى أي مصلحة مع

عباده فما هو الشيء الذي يربط الله بعباده إذاً؟

لنلاحظ الآية الكريمة التالية:

﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحمَةِ...﴾ - ١٣٣ الأنعام.

مع أن الله تعالى غني عن عباده جميعاً ولكنه ذو رحمة بعباده ومن صفاته الحسنى سبحانه أنه «الرحمن الرحيم»

﴿وَإِلَٰهُكُم إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لآ إِلَٰهَ إِلا هُوَ الرَّحمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ - ١٦٣ البقرة.

وهو الغفور الرحيم:

﴿...وَاستَغفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٩٩ البقرة.

وهو الذي يقبل التوبة رحمةً بالعالمين:

﴿...فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيهِم وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ - ١٦٠البقرة.

والله رحيم ودود:

﴿وَاستَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ - ٩٠ هود.

والله رؤوف رحيم:

﴿...إِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ٧ النحل.

والله قوي شديد ومع ذلك فهو رحيم بعباده:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ - ٩ الشعراء.

والله تعالى رحمته واسعة وسعت كل شيء وكذلك علمه:

﴿...رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلماً...﴾ - ٧ غافر.

والله تعالى كتب على نفسه الرحمة والتزم بها مع عباده جميعاً:

﴿...فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفسِهِ الرَّحمَةَ...﴾ - ٥٤ الأنعام.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُم ذُو رَحمَةٍ وَاسِعَةٍ...﴾ - ١٤٧ لأنعام.

والله تعالى أرسل لنا كتابنا القرآن وفصَّلَه وبيَّنه للعالمين حتى لا نحتاج من بعده لشارح أومفسر أومؤول كما أرسل مثلها لمن كانوا قبلنا فأضاعه الأولون وكان كتاباً لقوم واحد هو قوم بني اسرائيل وحدهم.

فكان لقوم ولم يكن للعالمين:

﴿وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدَىً وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ٥٢ الأعراف.

ثم أرسل لنا بعدها كتابنا ليكون هدىً ورحمة للعالمين وليس رحمة لقوم معين أبداً:

﴿إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ﴾ - ٨٧ ص.

﴿وَمَآ أَرسَلنَاكَ إِلا رَحمَةً لِّلعَالَمِينَ﴾ - ١٠٧ الأنبياء.

والآية التالية أنزلها الله تعالى عندما طالب المشركون في مكة من الرسول الكريم أن ينزل لهم من عند ربه معجزة حتى يؤمنوا له بأنه رسول مرسل وما يقوله صدق:

﴿...قُل إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُم وَهُدَىً وَرَحمَةٌ...﴾ - ٢٠٣ الأعراف.

والبصائر هي المعجزات التي يمكن رؤيتها بالبصر. فقال الله تعالى أن معجزات القرآن يمكن رؤيتها بالبصر للمدقق والمتأمل فيها طبعاً وليس للذين رموها وراء ظهورهم بعد أن هجرها المسلمون ولحقوا بعدها الروايات والظنون. فهمنا حتى الآن موضوعين هامين:

وهما أولاً موضوع استغناء الله استغناءً كاملاً عن عباده.

والثاني بأن علاقة الله بمخلوقاته ليست علاقة مصلحة وإنما هي علاقة حب ومودة ورحمة مثل علاقة الأب القوي الغني بأولاده وهذا التشبيه لعلاقة الله بعباده مثل علاقة الأب بأبنائه استخدمها سبحانه في الآية:

﴿فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُم فَاذكُرُوا اللَّهَ كَذِكرِكُم ءَابَآءَكُم أَو أَشَدَّ ذِكراً...﴾ - ٢٠٠ البقرة.

وهذا لا يعني أن الله هو أبانا فعلاً لأن هذا هو الكفر الذي وقع فيه الأولون كالمسيحية واليهود وغيرها من الأديان وذلك بفهم مقصد الرحمن خطأً عن قصد وإشراكاً بالله العظيم.

بقي علينا أن نعلم هل العلاقة المطلوبة من عباد الله هي علاقة الند للند أم هي علاقة الفقير الضعيف المحتاج إلى الغني القوي؟

للجواب على هذا التساؤل نعود مرة أخرى إلى آيات القرآن الكريم لتكون وحدها هي الشاهدة:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ - ١٥ فاطر.

وهل الله تعالى بحاجة إلى أضاحينا ولحوم نذورنا ومناسكنا؟

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقوَى مِنكُم...﴾ - ٣٧ الحج.

وهل بإمكان العبد سواء كفر أو آمن أن يضر الله أو أن ينفعه في شيء؟

﴿...وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهُ شَيئاً...﴾ - ١٤٤ آل عمران.

﴿وَلا يَحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفرِ إِنَّهُم لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيئاً...﴾ - ١٧٦ آل عمران.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشتَرَوُا الكُفرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيئاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ١٧٧ آل عمران.

بعد أن علمنا أننا لن ننفع الله أو نضره حتى ولو شئنا ننتقل لنعلم نوع علاقة الله تعالى مع عباده:

هل يمكن لله تعالى أن ينشئ مع عباده علاقة مشتركة كأن تكون علاقته مع عباده كعلاقاتنا نحن البشر بعضنا بعضاً صاحباً أو صاحبةً، رفيقاً أو رفيقةً، ولداً بالولادة أو بالتبني، حبيباً أو خليلاً أو كليماً؟

لايمكن أن نجد الأجوبة على كل هذه االتساؤلات إلا في القرآن الكريم وفي آيات الله البينات وليست في روايات أبو هريرة ولا ابن العباس رحمهما الله واعتقد أن المنافقين من الذين خربوا علينا ديننا هم الذين اتهموهما بتلك الروايات.

أولاً يجب أن نعلم أن آيات الإستنكار من الله تعالى أقوى من آيات النفي لذلك فقول الله تعالى استنكاراً:

﴿...وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبحَانَهُ...﴾ - ١١٦ البقرة.

أو قوله تعالى:

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ...﴾ - ٦٨ يونس.

وهكذا نجد قوله تعالى على لسان الجن في القرآن الكريم:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾ - ٣ الجن.

هل يجوز بعد هذا الإنكار والنفي أن نتقول على الله ما لا نعلم لنقول: «إن الله تعالى لم ينكر إلا الصاحبة والولد» ولكنا إن قلنا أن الله تعالى قد اتخذ صاحباً وبنتاً عندها لا بأس بقولنا ولا بادعائنا (استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم وأتوب إليه).

إن الله تعالى لم يتخذ ولن يتخذ من عباده صاحباً ولا صاحبة ولا ولداً ولا بنتاً والسبب قاله الله منذ البداية: لآنه غني عن العالمين وغناه ليس مثل غنى عباده بالأموال

والنِّعم وإنما غناه من الإستغناء عن العالمين وله كل شيء وما علاقته بمخلوقاته كما برهنا قبل قليل إلا علاقة رحمة ومودة وحب وليست علاقة مصلحة وحاجة مثل علاقات الناس ببعضهم التي أغلبها مصالح لذلك يقول سبحانه مستنكراً قول المشركين:

﴿أَفَأَصفَاكُم رَبُّكُم بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُم لَتَقُولُونَ قَولاً عَظِيماً﴾ ـ ٤٠ الإسراء.

ومن تلك الأقوال العظيمة ما يقوله المسلمون اليوم خطأً في تشكيل القرآن ولم ينتبه إليه العرب جميعاً لأنهم أقل الناس في العالم تدقيقاً في النصوص المكتوبة وأقلهم معرفة لما يمكن أن يغير تشكيل واحد من نص ما إذ يمكن أن يعكس المعنى تماماً مثل قراءتنا:

﴿...وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ ـ ١٢٥ النساء.

فإذا رفعنا (اللهُ) ونصبنا آخر (ابراهيمَ) قلبنا المعنى فصار كفراً وجعلنا ربنا يتخذ من عباده صاحباً وخليلاً لنفسه وهذا لا يجوز، لذلك كان علينا أن ننصب آخر لفظَ الجلالة (اللهَ) ونرفع آخر (إبراهيمُ) حتى يكون فعل الإتخاذ لإبراهيم الفقير إلى الله وليس العكس فإبراهيم هو الإنسان المخلوق الضعيف الذي بحاجة إلى كل ما عند الله تعالى.

وكذلك في قول الله تعالى:

﴿...إِنَّمَا يَخشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَؤُا...﴾ ـ ٢٨ فاطر.

حيث نجد لفظَ (اللهَ) منصوباً وآخر اسم (العلماءُ) مرفوعاً وهذا التشكيل صحيح كما هو في القرآن الكريم، لذلك علينا أن نصحح ما أخطأ فيه الأولون ونعيد الفتحة إلى آخر لفظ الجلالة (اللهَ) ونرفع آخر اسم (ابراهيمُ) لأن الحق أن ابراهيم هو الذي اتخذ ربه خليلاً وحبيباً وصاحباً وهو العبد الفقير إلى الله تعالى والرحمن غني عنه وعن العالمين.

بعدها ننتقل لنعلم أن تلك الثغرة التي أوجدها المنافق الذي جعل من ابراهيم خليلاً لله فتح باب الإشراك على المسلمين واسعاً فتقدم بعده من يقول متبرعاً بأن موسى هو كليم الله.

فمن أين أتى مصدر هذا الكلام من القرآن الكريم؟

﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكلِيماً﴾ ـ ١٦٤ النساء.

هذا معناه أن الله تعالى قد كلم موسى مباشرة بدون وسيط، ولكن هذا ليس معناه أبداً أنه اختاره ليكون نديمه وجليسه وصاحبه وكليمه.

لقد قال الله تعالى:

﴿...إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ...﴾ - ١٣٢ البقرة.

لأن الإصطفاء لايكون إلا بالإختيار والإنتقاء لشيء مع ترك الباقي.

فاختار الله دين الإسلام ليكون دينه للعالمين من بين أديان الأرض كلها التي هي من صنع الطواغيت والسلاطين والقياصرة والأباطرة والفراعين.

والله تعالى اختار مريم لتكون أول امرأة وآخر امرأة تلد بإذن الله من غير أن يلمسها ذكر من نوعها أو من نوع آخر ملاكاً كان أوجناً:

﴿...يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ﴾ - ٤٢ آل عمران.

والله تعالى اصطفى آدم وحده من نوعه كله وأهمل الباقين حتى ينفخ فيه من روحه ويحوله من حالة البشر إلى حالة جديدة وهي الإنسان الحر ذو العقل والإرادة الحرة والقادرة على الخلق والإبداع بإذن الله ليستخلفه في الأرض ويعطيه زمامها ليعمرها بالأعمال الصالحة عمراناً حقيقياً وحضارة مبنية على العلم والإيمان والسلم والسلام.

الله تعالى اصطفى نوحاًومن آمن به وأهمل الباقون وأغرقهم جميعاً في الطوفان لكفرهم وإشراكهم ولظلمهم لأنفسهم برفضهم سماع الحق، الله تعالى اصطفى ابراهيم ونسله ليكون على أيديهم نهاية رسالات العالم ويخرج منهم أخر رسول يحمل رسالة الله للعالمين جميعاً.

لذلك قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ - ٣٣ آل عمران.

وقد كان اصطفاء آل عمران باصطفاء مريم عليها السلام لقوله تعالى:

﴿إِذ قَالَتِ امرَأَتُ عِمرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرتُ لَكَ مَافِي بَطنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّل مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمِ * فَلَمَّا وَضَعَتهَا قَالَت رَبِّ إِنِّي وَضَعتُهَآ أُنثَى وَاللَّهُ أَعلَمُ بِمَا وَضَعَت وَلَيسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيتُهَا مَريَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا المِحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً قَالَ يَامَريَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَت هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ - ٣٥- ٣٧ آل عمران.

وهكذا نجد أنه ليس في القرآن الكريم أي اصطفاء أو تعيين بالإسم لرسولنا الكريم

محمد ﷺ ونحن لا نستطيع أن نتبرع من عندنا ونتقول على الله ورسوله ما نشاء إن هذا أمر خطير وله حدود منه سبحانه لا يمكننا تجاوزها.

وحدود الله هي آياته البينات المفصلات في كتابه المبين الذي لا ريب فيه ولا يمكن أن يشكك فيه أحد خاصة أن أحرف القرآن الكريم قد كتبت في لحظة نزولها على الرسول الكريم من قبل ثمانية عشر من الصحابة كانوا يُدعَونَ بكتبة الوحي ذكرت أسمائهم في كتاب إنذار من السماء.

(وقولنا اليوم بأن الله تعالى قد اصطفى محمد ﷺ يعني كما رأينا أنه اختاره من بين رسله وأنبيائه وأهمل الباقين وهذا غير صحيح أبداً ومرفوض كلياً من آيات القرآن الكريم وهذا يختلف عن قولنا أنه أحد رسل الله وأنبيائه المختارين من آل إبراهيم عليه السلام دون أن نجعل له ميزة خاصة لم يميزه بها رب العالمين في كتابه المبين)

لذلك حتى لا نقع في مثل هذه الخطيئة التي وقع فيها الأولون فقالوا عن عيسى عليه السلام بأنه إبن الله وحبيبه ومخلصنا من عذاب الله يوم القيامة عدنا نحن فجاريناهم حتى إذا دخلوا في جحر ضب دخلنا معهم بل وحاولنا أن نسبقهم لكي يكون رسولنا أفضل من رسولهم فقلنا عنه أنه صفي الله وحبيبه وشفيعنا الذي سوف يخلصنا من عذاب الله يوم القيامة تبرعاً وإشراكاً بالله وقد حدث ذلك جهلاً من العامة وعلماً من علماء السلاطين وفقهائهم ونالوا به من أموال المسلمين وعاشوا في ترف يشبه ترف السلاطين وفي قصورهم مئات من حور الأرض من ضحايا سبي جيوش السلاطين التي كانت تنهب كنوز الأرض باسم الجهاد ونشر دين الإسلام بالسيف والساطور مخالفين به شرع الله الذي يقول في كتابه (لا إكراه في الدين).

أما إذا تركنا الأمر للروايات وإلى سند الرجال فلم يعد لدينا بعدها حق نستند إليه. نكون عندها مثل الذي قد تمسك بالقش في البحر لإنقاذه تاركاً حبل الله ومن يستبدل حبل الله المتين المنزل إليه من السماء لانقاذه بكل القش الذي في العالم فلن يلوم إلا نفسه وسوف يكون خسرانه مبيناً.

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا...﴾ - ١٠٣ آل عمران.

ومن يتبدل الباطل بالحق والظن بالعلم والكفر بالإيمان فقد ضل الطريق الصحيح ولن يصل إلى الحق بعدها أبداً

﴿...وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالإِيمَانِ فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾ - ١٠٨ البقرة.

﴿...قَالَ أَتَستَبدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدنَى بِالَّذِى هُوَ خَيرٌ...﴾ - ٦١ البقرة.

وهذا ينطبق على الذين عشقوا الأحاديث الظنية وهجروا آيات الله اليقينية.

بعدها ننتقل إلى كلمة موضوع الحب والحبيب.

إن الله تعالى لم يخبرنا أبداً بأنه قد اختار أحداً ليجعله حبيباً له من خلقه وإنما نعلم من كتابه أن حبه ومودته ورحمته واسعة تعم الجميع دون استثناء وإلا لما بعث فينا الرسل والأنبياء وإذا أراد الله أن يستثني من عباده عن المحبة فإنه يستثني الكفار والمنافقين والحاسدين والظالمين والمشركين.

وأما كلمة حبيب الله فهي كلمة تبرع بها أحد الحاقدين علينا وعلى ديننا مدفوعاً من الشيطان ليدخل بها المسلمين إلى باب الإشراك بالله كما أدخل الذين من قبلنا في كل الأديان من قبل (ملأهم)، وكل من يدرس قصص القرآن سوف يتأكد بأن (الملأ) هم دائماً وراء إعادة كل المؤمنين إلى الكفر والإشراك بالله من جديد وما الملأ إلا أصحاب المال والقوة والنفوذ من كل أمة تسعى لمصالح تلك الأقلية على حساب الأمة والله تعالى يشجع المؤمنين لتحقيق مصالح الأمة جميعاً ولذلك فالملأ دائماً هم أعداء الحق والدين والشرع والله والرسل في كل الرسالات وفي القرآن عشرات الآيات تتحدث عن الملأ وكلها تقول للرسل:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَى إِلا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَومِهِ عَلَى خَوفٍ مِّن فِرعَونَ وَمَلإِيهِم أَن يَفتِنَهُم...﴾ - ٨٣ يونس.

والمقصود بكلمة ملإهم هو ملأ قوم موسى من بني اسرائيل ولو قصد الله تعالى ملأ فرعون لقال وملإهِ أي بالمفرد وكما تلاحظون فإن الله دقيق جداً في استخدام الكلمات ليست مثل أحاديث الظن التي تقول شيئاً في رواية لتقول عكسه في رواية أخرى حتى في أحسن الصحاح كما رأيتم في كتاب البرهان دين السلطان.

الشفيع والشفاعة:

إن الله ينكر الشفاعة عن عباده جميعاً بدليل آيات كثيرة جداً في القرآن الكريم علماً أن الشفاعة بالذات كانت سبب إشراك أهل مكة القدماء وكثير من الناس يظنون إلى اليوم خطأً أن أهل مكة كانوا من عبدة الأوثان فكانوا يعبدون الشمس والقمر والشجر هذا غير صحيح تاريخياً وعلمياً بدليل آيات القرآن الكريم نفسها التي تقول:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ - ٦١ العنكبوت.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُم لا يَعْقِلُونَ﴾ - ٦٣ العنكبوت.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ - ٨٧ الزخرف.

وهكذا آيات كثيرة في القرآن الكريم تعترف بأنهم كانوا يعلمون بحقيقة الله ولكنهم مع ذلك كانوا يظنون أنهم بحاجة إلى أن يكون لهم شفعاء ليكونوا وسطاء حتى تصل رحمة الله ونوره إليهم فظنوا أن بعض الملائكة لها تلك المقدرة وذلك الإمتياز عن باقي خلق الله فصاروا يدعونها مع الله.

تماماً كما أصبح مشركوا اليوم الذين يؤمنون بكل ما سبق وذكرته عن إيمان أهل مكة يشركون مع الله الرسول الكريم فيدعون الرسول قائلين (اللهم أدخلنا إلى جنتك بشفاعة رسولنا محمد) فهل يتخيل المسلمون اليوم أن رسولهم الكريم أرحم بعباد الله من الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة والذي جعل رحمته أوسع من أي شيء؟ وهوالذي خلق الرسول الذي يطلب الرحمة لنفسه من الله؟

ألم يسمعوا بآيات الله في القرآن وهي تقول مستنكرة الشفاعة إن لم تكن من الله وحده:

﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ - ٢٥٥ البقرة.

وبعدها نجد الآيات المنكرة للشفاعة:

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ - ١٠٠ الشعراء

﴿فَمَا تَنفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ - ٤٨ المدثر.

﴿...لَيسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ - ٥١ الأنعام.

﴿...أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبلِ أَن يَأْتِيَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ...﴾ - ٢٥٤ البقرة.

وأخيراً يختمها الله تعالى بقوله:

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ - ٤٤ الزمر.

إن سوء فهم المسلمين لموضوع الشفاعة ولآياتها في القرآن الكريم نتج أساساً من

الأحاديث المناقضة لكتاب الله والموجودة حتى في الصحاح فيتخيل المسلم خطأً يوم القيامة المنقول بحسب الأحاديث من كتب أهل الكتاب كما بينت ذلك في كتاب دين السلطان متخيلين يوم القيامة والحساب تخيلات خاطئة فالله بحسب التوراة يشبه آدم ولكنه كبير وانتقل هذا إلى الإسلام في حديث لأبي هريرة وضعته في مكانه: (إن الله خلق آدم على صورته)

عندما سمع المسلمون بآيات الله تعالى مثل:

﴿...إِنَّ اللَّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ - ١٤ الحج.

﴿...إِنَّ اللَّهَ يَحكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ - ١ المائدة. ﴿...إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ - ١٠٧ هود.

وآيات أخرى في المشيئة تقول:

﴿...وَاللهُ يُؤتِى مُلكَهُ مَن يَشَآء...﴾ - ٢٤٧ البقرة.

﴿...وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٦١ البقرة.

﴿...فَيَغفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٨٤ البقرة.

﴿...وَيُرسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ...﴾ - ١٣ الرعد.

﴿...إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧ الرعد.

﴿...وَيَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٤ ابراهيم.

إلى آخر آيات المشيئة المماثلة لها.

تخيلوه مثل سلطانهم الذي يتصرف أيضاً كيف يشاء بلا قانون ولا دستور يحد من مشيئته أبداً فتحول إلى مخلوق مكروه مستبد وظالم.

ولو أنصف المسلمون لقرأوا القرآن ومن ذلك الكتاب لاكتشفوا الحقيقة وعلموا أن الله تعالى قد وضع لنفسه قوانين وأسس وقواعد يلتزم بها جميعها.

لذلك لن نجد أن طول اليوم مرة ٢٤ ساعة ومرة اسبوعاً ومرة شهراً.

ولن نجد أن الشمس أشرقت من الغرب أبداً.

ويجب أن نعلم أن سنن الله جعلها ثابتة لا تتحول ولا تتبدل ووضع لنفسه حدوداً منها مثلاً:

أنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة... لماذا؟ لأنه ملتزم بقوانين مانعة لحدوث الظلم من

طرفه أما السلطان بما أنه لا يتقيد بأي قانون ولا يلتزم بأي دستور أو قاعدة فظلمه واضح لايحتاج إلى برهان.

إن تخيل المسلمين اليوم الله مثل السلطان يفعل ما يشاء وما يريد بلا سنة ولا قانون ولا إلتزام يجعلهم يظلمون أنفسهم ظلماً شديداً بابتعادهم عن حقائق كتاب الرحمن الملتزمة بالرحمة.

إن إيمان المسلمين بمحرفات أهل الكتاب التي انتقلت إليهم بافتراءات منسوبة للرسول الكريم جعلهم يؤمنون ويجمعون على أمور ساذجة لا يقبل بها الأطفال.

نتيجة تخيل المسلمين أن الله مخلوق محدود مثل الإنسان سوف يجمع كل خلق الله الذين عاشوا على الأرض بحسب التوراة في سبعة آلاف سنة وهو عمر الكون بحسب ذلك الكتاب فتخيل المسلمون أن الله يحتاج إلى خمسين ألف سنة من أجل الحساب والكل ينتظر دوره وهم يقفون في الشمس المحرقة وعرقهم قد وصل إلى رقابهم أي يسبحون فيه، ولو أنهم تركوا كتب أهل الكتاب كلها وعادوا للقرآن وحده لاختلف معهم كل شيء فالله في الإسلام لا يشبه آدم وليس له أي مثيل أو شبيه أصلاً والله تعالى عنده القدرة أن يكون مع كل خلقه الذي خلقه في هذه الأرض وفي كل الكون في آن واحد، إذا فرضنا أنه كان مثل كوكبنا الأرضي مليارات الكواكب وخرج من كل كوكب مليارات النفوس فإن الله تعالى قادر على أن يحاسبهم وكأنه يحاسب نفساً واحدة ومن أجل أن نفهم ذلك قال سبحانه:

﴿مَّا خَلْقُكُم وَلا بَعثُكُم إلا كَنفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ - ٢٨ لقمان.

في كل لحظة يخلق الله في هذا الكون العظيم مليارات من المخلوقات مثلنا نحن بني آدم والله يخلقهم وكأنه يخلق نفساً واحدة لأنه يستطيع أن يكون مع كل تلك المخلوقات جميعاً خلال حياتها ويعلم بماذا يفكر كل منهم، وكذلك عند البعث والحساب، ومن قدرة الله تعالى أن يكون مع كل خلقه في آن واحد وكأنهم جميعاً نفساً واحدة وهذا ما تشرحه الآية السابقة من غيب الله الذي يناقض غيب الحديث المأخوذ عن كتب أهل الكتاب ومن أجل ذلك يقول الله تعالى مميزاً نفسه بأنه سريع الحساب:

﴿...إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ - ٤ المائدة.

فكل إنسان سوف يعود يوم القيامة إلى ربه فرداً ومعه كل ما قاله وفعله في حياته

كلها وحتى تتوضح الصورة أكثر لنستمع للآيات التالية:

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرداً﴾ - ٨٠ مريم.

وليس لهذا الموضوع أي استثناء مثلاً الرسل، الصالحين، المتقين أو الكافرين والمشركين، كلهم بلا استثناء سوف يكونون لوحدهم وليس معهم أحد من قريب أو شفيع أبداً يوم القيامة.

﴿وَكُلُّهُم ءَاتِيهِ يَومَ القِيَامَةِ فَرداً﴾ - ٩٥ مريم.

لذلك يقول سبحانه في كتابه لكل المسلمين وكأن هذا قد حدث فعلاً ليكون يقيناً في نفسه:

﴿وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - ٩٤ الأنعام.

فكما أن كل إنسان منا خلق لوحده وخرج من بطن أمه وحيداً حتى لو كان له توأم يخرج لوحده إما قبل أخيه أو بعده ولكنه ينزل وحيداً.

وهكذا يكون حشر الناس يوم القيامة كل نفس لوحدها مع الله.

هذا الإختلاف الشاسع والواسع للوصفين وصف القرآن ووصف كتب الحديث المعتمدة على كتب أهل الكتاب غيرت فكر المسلمين الذين أبعدوا عن كتاب الله عن قصد فلم يعد أحد منهم يعلم ماذا في كتاب الله أبداً، فيتخيل الأعاجيب عن حساب الله من الذي نجده في كتب الإنجيل والتوراة والتلمود وكلها قد نُزِّلت بقدرة الطاغوت وأمره لتكون أحاديث نبوية شريفة في الإسلام علماً أن الله تعالى قد حذر رسوله من أن يأخذ من كتب أهل الكتاب.

﴿...وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ...﴾ - ٤٨ المائدة.

﴿...وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم وَاحذَرهُم أَن يَفتِنُوكَ...﴾ - ٤٩ المائدة.

الحقيقة أن الرسول الأمين لم يفعل ذلك أبداً ولكن التابعين هم الذين افتروا وكذبوا ونسبوا افتراءاتهم للرسول الكريم ظلماً وعدواناً.

ويجب أن نتبصر في آيات الله التي تقول لنا:

﴿...وَلا تَتَّبِعُوا أَهوَآءَ قَومٍ قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا...﴾ - ٧٧ المائدة.

ولكننا مع الأسف الشديد وقعنا في كل ذلك بدون تبصر وقد أضلونا فعلاً وما نزال في ضلالنا إلى هذه الساعة. طالما تأكدنا من كتاب الله الحقيقي ومن آياته البينات بعدم

وجود شفاعة لأي وسيط بين العبد وربه فماذا تعني الآيات التالية علماً أنه ليس في آيات الله تناقض أو اختلاف أو تصادم في المعاني والمقاصد أبداً وإذا وجد مثل ذلك يكون سببه سوء الفهم من الإنسان لمقاصد الرحمن.

فهمنا أن الله قد انكر الشفاعة من الوسطاء فقط.

فماذا عن شفاعة الإنسان لنفسه أمام رب العالمين وهو واقف أمامه بدون وسيط ويحاكمه بما فعلت يداه يوم القيامة فرداً؟

ولابد أن كل عبد مهما كان صالحاً وتقياً طالما كان من الإنس ومن نسل آدم إلا أن تكون له أخطاءٌ ومعاصي في فترة من فترات حياته، ألا يستطيع هذا العبد أن يطلب من بارئه مناجياً إياه وهو يقول: (اللهم اشفع لي واغفر لي خطاياي وادخلني إلى جنتك يا أرحم الراحمين).

بل أن كل الناس سوف يحاولون طلب شفاعة الرحمن يوم القيامة، والله تعالى يعلمنا منذ الآن من منهم سوف تقبل شفاعته ومن منهم أيضاً سوف ترفض شفاعته بل سوف يرفض حتى محاولته وإذنه للطلب.

مثلاً إذا كان العبد من الذين عاهدوا الله على الصدق والوفاء بالأمانات في حياتهم ووفوا بما عاهدوا الله عليه ولم يكذبوا ولم يخونوا الأمانات وهو من الذين اتخذوا عند الله عهداً وصدقوا في عهودهم سوف يشفع لهم يوم القيامة ليغفر الله تعالى في مقابلها لهم من خطايا وآثام لا يعلمها إلا هو وحده:

﴿لا يَمِلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمَنِ عَهداً﴾ - ٨٧ مريم.

فهل تتخيلون أن الله تعالى سوف يأذن للذين كفروا به وأشركوا به وضلوا عن سبيله أو كفروا باليوم الآخر في حياتهم بأن يقول الله تعالى لهم تعالوا يا أحبائي لأشفع لكم.

إذاً طلب الشفاعة من الله تعالى مباشرة لا تقبل يوم القيامة إلا للمؤمنين المتقين الذين عاشوا وخشية الله لم تفارق قلوبهم أما الذين تجبروا وظلموا حتى ولو طلبوا الشفاعة لأنفسهم فلن يسمع لهم ربهم ولن يستجيب لهم كما لن يأذن لهم وهذا هو معنى الآية الكريمة:

﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلا لِمَن أَذِنَ لَهُ...﴾ - ٢٣ سبأ.

وماذا عن الآية الكريمة؟:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ - ٢٧ - ٢٩ ق.

إن هذا المشهد هو من مشاهد يوم القيامة القادم وليس القائم وفي محاكمة لله تعالى للإنسان الظالم ومعه قرينه وكان من الضالين والكافرين بدليل قوله تعالى في الآيات التي سبقتها:

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ - ٢٢ - ٢٦ ق.

فهل بعد حديث الله نبحث عن أحاديث لمخلوقاته. ﴿...فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ - ٦ الجاثية.

وحتى الهدي لا هدي إلا لله وحده لا شريك له.

﴿...وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ...﴾ - ٤٣ الأعراف.

فليس من قائل بعد هذا: لو هدانا موسى عليه السلام، أو لو هدانا عيسى عليه السلام أو لو هدانا محمد ﷺ بل لله الهدايه جميعاً وقال لرسوله منبهاً المسلمين:

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

بعد أن استعرضنا آيات الله الكريمة مستشهدين على بعض المواضيع التي يقع فيها أغلب المسلمين التباساً لما في رؤوسهم من إختلاف الأحاديث والروايات الظنية فأصبحوا من بعد علم لا يعلمون إلا ظناً وقد قال الله تعالى آيتين فاصلتين في الموضوع كله الآية الأولى وصفاً للمفتريات من الآيات المدعاة وحياً لله ظلماً وافتراءً حتى يستطيع المسلم بعدها أن يميز الحق الذي في كتابه عن غيره من كتب السلاطين فقال:

﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

وعلماء الحديث اليوم يقرون بحسب تصنيفاتهم أن في الحديث ثمانون نوعاً مختلفاً من أنواع الحديث وهل يمكن أن نجد اختلافاً أكثر من ذلك وهم جميعاً يعلمون أن الحديث كله قائم على الظن وإذا قلنا لهم اتركوا الحديث وعودوا إلى كتاب الله لرفض الجميع. لماذا؟ لأنهم جميعاً قد وقعوا في هوى وعشق الحديث تماماً مثل الذي وقع في هوى شيء يحبه مع علمه بضرره لا يستطيع أن يعترف بوجوب تركه مثل المدمن على

الدخان أو المدمن على شرب المشروبات الكحولية أو حتى المدمن على الحشيش والأفيون طالما هو يحب كل ذلك فسوف يحاول أن يوجد لنفسه المبررات والأعذار لكل تلك الأمور التي يعترف بضررها العالم كله.

وكذلك محبي الحديث لا يستطيعون الإعتراف بوجوب تركه لأنهم في حالة عشق للحديث وقعوا فيه منذ الصغر وقبل الوقوع في عشق كتاب الله وصاروا من الآبائيين الذين يقدسون ما قدس الآباء من غير بصيرة ولا عقل. والآية الثانية تثبت أن كل ما مع الناس غير كتاب الله الذي لا ريب في صحته كلها ظنون في ظنون علماً أن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إِلا ظَنًّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً...﴾ - ٣٦ يونس.

بعد هذه الجولة في آيات الله خرجنا بحصيلة كبيرة من العلم والنور الموجود في آياته التي كانت تنتظرنا لإستخدامها في استجلاء الحقائق ننتقل بعدها لنستفهم من القرآن عن موضوع آخر خطير له علاقة بما نبحث عنه في مجال بحثنا هذا:

طالما ذكر الله لنا يوم البعث والحساب والجنة والجحيم فهل لله تعالى مصلحة في حرق الناس في ناره أو في وضع الآخرين في نعيمه؟

إن الله تعالى يجيب عن هذا التساؤل بشكل مباشر وصريح:

﴿مَّا يَفعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُم إِن شَكَرتُم وَءَامَنتُم...﴾ - ١٤٧ النساء.

إن الله تعالى لعلمه أن الإنسان يتعذب في الأرض من دون شرع الله ودستوره ويتخبط في الأرض ضلالاً من غير هدي الله ونوره وعلمه، أرسل لهم الرحمن الرسل والأنبياء رحمة بالعالمين ليخرجهم به من العذاب المقيم إلى النعيم في الأرض وجعل من رحمته ثواب الذي يستمع له ولآياته نعيماً آخر في السماء وتوعد وهدد الذين اداروا ظهورهم لرسله ورموا بكتبه خلف ظهورهم جحيماً آخر في السماء، فالدين كله بدايةً ونهايةً لمصلحة الإنسان الذي لم يتعلم بعد مصلحته أين تكون. نعود الآن إلى محوري الموضوع كله وهما التوحيد والإشراك طالما علمنا أن مصلحة الإنسان في التوحيد لله ومضرته تأتي من الإشراك بالله لابد الآن من تركيز الأضواء وتسليط نور الآيات على هذين الموضوعين بالذات حتى تتوضح الفكرة للجميع:

ما هي فائدة الإنسان من توحيد الله وحده وتوحيد العبادة له وحده؟

أولاً يجب أن نعلم أن توحيد الله يستلزم توحيد كتابه.

وتوحيد كتابه يستلزم توحيد دينه.

وتوحيد دينه يستلزم توحيد شرعه.

وتوحيد شرعه يستلزم توحيد سنته.

وتوحيد سنته يستلزم توحيد هديه.

وتوحيد هديه يستلزم توحيد شفاعته.

وتوحيد شفاعته يستلزم توحيد عبادته.

وما العبادة إلا الطاعة وإذا كانت تامه وكاملة من غير نقص سماها الله تعالى سجوداً مثل سجود الشمس والقمر والنجم والشجر لأن طاعتها له مطلقة وكذلك الملائكة طاعتهم سجود:

﴿وَالنَّجمُ وَالشَّجَرُ يَسجُدَانِ﴾ - ٦ الرحمن.

أما الجن والإنس لأنهما مخيران بإذنه ولهم بعد ذلك مشيئة خاصة وحرية وإرادة في أن يقولوا نعم أو لا.

فطاعتهما المطلوبتان هما طاعة التطوع والإختيار للحق بالعقل وليس عن طريق القوة والسيف والساطور.

والله تعالى صمم شرعه كله لمصلحة الإنسان وبحيث تكون ثمرة تطبيق شرع الله تعالى لمصلحة الإنسان بشكل عام وبحيث تكون ثمرة تطبيق شرع الله تعالى لمصلحة الأكثرية العامة من الأمة ومن المؤمنين ومن عباده المتقين.

وشرع الله تعالى مصمم على الإعتراف بحقوق الإنسان كلها قبل أن يفكر المفكرون في العالم بحقوق الإنسان بشكل لا يتعارض مع حريات الآخرين وحقوقهم والحكم في شرع الإسلام هو الحكم بالإنتخاب للأقوم والأتقى والأحسن والأعلم والأحكم من الذين يطبقون شرع الله ولا يشذون عن توحيده أبداً وكل الدين في النهاية يصب لمصلحة الإنسان في الأرض ليعيش في جنة الأرض آمناً في سلام لا يخاف فيه على ماله وعرضه وأرضه ومحرماته ومقدساته، دين الله صمم ليعم الناس جميعاً، ليس من أجل تطبيقه على أمة دون أخرى وهدف الله تعالى في النهاية أن يصل الإنسان إلى أمة واحدة متحدة أغلبيتها من المثقفين والمتعلمين المؤمنين مع وجود المشركين والكافرين كأقلية كما أن الله تعالى بدأ اختبار الناس الذين كانوا في البداية

أمة واحدة وكلهم من الكافرين توحدهم مصالحهم المشتركة في تحقيق شهواتهم وأهوائهم الدنيوية:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ...﴾ - ٢١٣ البقرة.

وما الحياة الدنيا إلا من أجل اختبار الإنسان في الأرض وتحويله من تلك الأمة المتحدة على الكفر والضلال في البداية إلى أمة متحدة على مبادئ الرحمن بالسلم والسلام وعلى دين الإسلام وشرعه في النهاية ومن أجل ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ - ٢١ المجادلة.

وطالما فهمنا منحنى التاريخ العام والإتجاه المخطط من رب العالمين كهدف ليصل إليه في النهاية وطالما علمنا أنه لم يخلقنا عبثاً ولا لهواً بل لهدف محدد:

﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً...﴾ - ١١٥ المؤمنون.

﴿وَمَا خَلَقنَا السَّمَآءَ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا لاعِبِينَ * لَو أَرَدنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهواً لاتَّخَذنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - ١٦ - ١٧ الأنبياء.

نجد أن الإنسان يخضع مع كل ما منح من ميزات إلى اختبار كبير جداً يحتاج معه إلى جهد كبير للإحاطة بحجم ذلك الإختبار.

اختبار مع تواجد الخير والشر، الحق والباطل، مع تسليح الحق الضعيف لوحده بالعلم والإيمان ليجابه الباطل القوي في غياب الحق المدعوم بشياطين النفوس الأمارة بالسوء ولكن شتان مابين القوتين، قوة الخير والنور والرحمن مع قوة الشر والباطل والشيطان.

﴿بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ - ١٨ الأنبياء.

والآن نأتي إلى الفقرة الأخيرة من موضوعنا ألهام والتي توضح مقاصد الرحمن بالنهي عن الإشراك به في الأرض؟

إن الإشراك عكس التوحيد كما أن للشيطان مقاصد عكس مقاصد الرحمن لذلك فسبل الإشراك تؤدي لخدمة الشر والباطل والظلم في الأرض، لذلك فلابد من وقفة قصيرة على كلمتي الخير والشر، لكي ندرك أنهما كلمتان نسبيتان ولا معنى لهما بدون وجود الإنسان على الأرض كمخلوق متميز ومتفكر ومتدبر، له حقوق وحريات وعليه

مستلزمات وواجبات، والقانون الأخلاقي الذي ينظم للإنسان كل ذلك هو القانون الإلهي الذي نسميه الدين أو الشرع الإلهي، فإذا سعت أقلية في الأرض لتحقيق مصالحها على حساب الأكثرية وهي من وجهة نظر الأقلية خير، ولكن ذلك الخير يتعارض مع مصالح الأغلبية الساحقة في الأرض التي تعتبر ذلك السعي شراً. وكما قلت من البداية إن شرع الله تعالى مصمم لخدمة مصالح الأكثرية العامة من الأمة لذلك فالخير والشر من وجهة نظر الشرع الإسلامي الصحيح هو الشرع الذي ينظر إليه من وجهة نظر الأكثرية دائماً وهذا هو الحق والخير في دين الإسلام ولهذا فكل أشكال الحكم التي تؤدي في النهاية إلى تسلط الأقليات الطبقية أو العرقية مرفوضة في شرع الله تعالى ودينه القويم الذي لايقبل بالإعوجاج، وليس هناك مصلحة فوق مصلحة الأمة في الإسلام حتى ولو كان للسلطان نفسه الذي تسلح بالأحاديث من مفتريات فقهائه ورجال دينه الأمناء والمخلصين له وحده وهم يفترون على الله والناس:

فنجد في صحيح البخاري تحت باب اسمه (الأمراء من قريش) الحديث رقم ٧١٣٩ من صحيح البخاري منتهياً إلى معاوية بن أبي سفيان الذي كان عنده وفد من قريش وكان قد بلغه قبلها أن عبد الله بن عمر بن العاص يحدث أنه سيكون من بعده ملك من قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال وهو يخطب في الوفد القرشي:

«أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب ا لله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ وأولئك جهالهم فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»

فأيده فقهاءه من بعده بأحاديث كثيرة جداً تؤيد ما ذهب إليه افتراءً على الله والرسول معاً وهي أكثر من أن تحصى في الصحاح فكيف بباقي الأحاديث؟.

وكما نجد الحديث التالي تحت باب (السمع والطاعة للإمام) الحديث رقم ٧١٤٣ من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ:

«من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»

وماذا إذا كانت الجماعة ضالة؟ والأمير كان ظالماً يأكل حقوق الناس؟

وإذا سألنا هذا السؤال لفقهاء السنة والحديث لقالوا لنا الحديث التالي جواباً له:

من صحيح الإمام مسلم رقم ١٨٣٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثره عليك».

ونجد الشرح التالي في حاشية شرح الكتاب الصحيح نفسه:

«وقال العلماء في شرح معنى وأثره عليك: هي الإستئثار والإختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا «وأموالها وشهواتها وأهوائها التي تمرغوا فيها ظهراً لبطن» ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم». أليس هذا هو الظلم بعينه؟

وماذا قال الله تعالى في كتابه العزيز عن الظلم والظالمين؟ إنها أكثر من أن تحصى في كتاب الله:

﴿...إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٢١ الأنعام.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ - ١٤٤ الأنعام.

﴿...إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ٢٢ ابراهيم.

﴿قَالُوا يَاوَيلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ - ١٤ الأنبياء.

والظلم بالذات من أكبر المعاصي في الأرض فكيف يحل العلماء الكرام هذا الإشكال الذي أوقعوا أنفسهم فيه قالوا أولاً أنه لا طاعة للأمراء في معصية الله، قلنا أنهم أكلوا حقوق الرعية ظلماً وتسلطاً على العباد. قالوا هذا من حقهم، ومتى كان الظلم من حق الظالم في شرع الإسلام؟ فهل في كتاب الله آية واحدة تسمح بذلك؟

إن المؤمنين يطالبونكم بأن تستشهدوا من القرآن لأنهم لا يريدون الإستشهاد بأحاديث السلاطين التي نزلت عليهم بوحي من الشيطان والله والرسول بريئ من افترائاتهم جميعاً، ولكن الذين استلموا دفة حكم المسلمين من بعد الخلفاء الراشدين وإلى هذا اليوم لم يعودوا يسألون عن شرع الله تعالى ولا عن حقوق المسلمين، وكما لم يعد يهمهم كثيراً المبادئ والمثل التي تخدم المصلحة العامة للأمة بل صار الإهتمام الأكبر متجهاً لتحقيق الشهوات والأهواء للتمرغ فيها ظهراً لبطن:

قال معاوية بن ابي سفيان: «أما أبوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده،وأما عُمَر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن.»(*).

(*) البداية والنهاية للشيخ أبو الفداء الحافظ الشهير بابن كثير الدمشقي نشر دار الريان للتراث الجزء السابع الصفحة ١٣٨.

وهكذا فالراشدون مع رسولهم كانوا على مبدأ الله وشرعه في التوحيد والسلاطين الذين شاؤوا أن يتمرغوا ظهراً لبطن في الدنيا ومتعها لم يعد ما في كتاب الله يخدمهم بل صار ما في كتاب الله بالذات عائقاً وحاجزاً أمامهم وأمام شهواتهم وهم أمام أحد أمرين:

إما أن يتابعوا الطريق على نهج السلف من الصالحين وعندها لا يستطيعون أن ينالوا من الدنيا أكثر مما نال الأولون.

أو أن يخطُّوا لأنفسهم طريقاً أو طرقاً أخرى لتحقيق ما تصبوا إليه نفوسهم التي ضعفت أمام الشهوات وإغراء الشياطين من مال وخمور وعذارى بدلاً عن الحور العين فبدلوا شرع الله بغيره بإدعاء وحي آخر لله مع القرآن ولوجود المال تحت تصرفهم الدائم لم يعجزوا فيما أرادوا بل نجحوا ومايزال المسلمون يعانون مما ورثوا من دينٍ عن آبائهم، فريق منهم هجر الدين كله لعلمهم أن هذا المطبق باسم الله والرسول كذب لا خير فيه بدليل أنه يدعو إلى خير الأقلية ونعيمها، دون أن يكترث السلاطين وعلماؤهم بما يعانيه الأكثرية من جحيم الفقر والجهل الذي أصبح من صفات المسلمين المستديمة في كل مكان فيه سلطان للمسلمين.

وفريق مثل الأغنام يطبقون ما سمعوه ويرددون في المساجد خلف أئمة الجهل أماني على الله لحل مشاكلهم كلها وهم نائمون، ويقولون سلفاً عندما يسمعون أحداً يقول: قال رسول الله: صدق رسول الله ﷺ قبل أن يسمعوا المقولة ليتأكدوا أصدقاً سوف يقول أم أنه سيَتَقَوَّلُ على الله ورسوله كذباً؟

وهؤلاء قد أصبحت أدمغتهم مغلقة بقفول مانعة للنفاذ لأي شيء يمت إلى الحقيقة والنور حتى ولو كان من الأشعة السينية.

ولكن مع الأسف الشديد بقي الدين كله بزعامة هؤلاء الذين يقولون على الله والرسول ما لا يعلمون أو يقودهم شياطين من الإنس يقولون بحسب مصالحهم ومصالح من يدفع لهم أكثر من أصحاب المصلحة في ترويضهم وإسكاتهم على ما يواجهون من ظلم شديد في الدنيا، والغريب العجيب أن تجد أكثرهم ملكيون أكثر من الملك يدافعون عن حقوق ظلامهم ومستعبديهم باسم الرسول، وفريق ثالث وقف خارج هذا المنظر على الحياد دون أن يتصرف أو يقول حتى رأيه فيما يدور ويجري ظناً أن هذا الموضوع لا يهمه ولا يعلم أن إساءة الفريق الأول في استخدام الدين المكذوب على الله

والرسول وبما يتصرف به وعلى أساسه الذين يدّعون الإسلام يسيئون أكبر الإساءة له لأنه محسوب منهم ومعدود ضمن تعدادهم.

فعندما يقول الناس مثلاً: المسلمون إرهابيون. أو أن الإسلام هو دين القتل والإرهاب، وتتغير نظرة كل الناس في الأرض نحو المسلمين هل يظن من وقف على الحياد متفرجاً أصبح يُنظر إليه من منظار مختلف؟

إنه مشمول مع الجميع فليس في هذا الموضوع حياد، وليس من حق أحد الوقوف أصلاً على الحياد لابد لكل من لا يزال عنده عقل وفكر أن يقوم من غفوته ليستلم زمام الأمور من جديد لأن مصيره مرتبط بمصير هذا الدين طالما لم ينكر ذلك بنفسه، عليه أن يزيل الشبهات بيديه عما ألحقه أصحاب المصالح المغرضة إساءةً للدين ولأصحابه.. يجب أن يعود إلى صفوف المجاهدين الحقيقين ليس من أجل حمل السلاح للعنف والقتال فإن الإسلام يدعوا العالمين إلى دين المحبة والسلم والسلام ولا يدعوا إلى دين الكراهية والحرب والقتال أبداً.

﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ...﴾ - ١٢٥ النحل.

وإذا سألني سائل من المسلمين بعد هذا كله: أين طاعة الله والرسول في كل هذا الذي سمعناه إلى الآن. أقول له: لنقرأ معاً الآيات الكريمة التي فيها كلمة «قل» مثل:

﴿...قُل إِنَّ الأَمرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...﴾ - ١٥٤ آل عمران.

﴿...قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى...﴾ - ١٢٠ البقرة.

﴿قُل ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَينَا...﴾ - ٨٤ أل عمران.

والأيات التي فيها «ويسألونك»:

﴿يَسئَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَآ إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾ - ٢١٩ البقرة.

﴿...وَيَسئَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاحٌ لَّهُم خَيرٌ...﴾ - ٢٢٠ البقرة.

﴿يَسئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ...﴾ - ١٨٩ البفرة.

والآيات التي فيها النداء «يا أيها»:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم...﴾ - ٢١ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً...﴾ - ١٦٨ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ...﴾ - ١٨٣ البقرة.

والآن لنسأل المسلمين جميعاً:

من هو صاحب المقولة والأمر والجواب عن التساؤلات كلها في ما قرأتم من آيات الله؟

اعتقد أن الجميع لن يختلفوا في الإجابة بأنه هو الله تعالى طبعاً.

ومن هو الذي نطق بصوته هذه الأوامر في الأرض وبين شعبه مبلغاً عن ربه أليس هو الرسول الأمين محمد ﷺ؟

وطالما أن الناس يسمعون الأوامر مباشرة من إنسان مثلهم ناطقاً بالأوامر الإلهية فالطاعة هنا تكون للرسول الإنسان الذي يأمر الناس ويبلغهم أوامر ربهم لأنه لم يسبق لله تعالى أن كلم عبيده بشكل مباشر وإنما دائماً عن طريق رسول من البشر ينقل لهم كلام ربهم وأوامره بكل أمانه، ومن خلال طاعة الناس للرسول فيما أمر من أوامر قد أنزلت إليه بالوحي، تتحقق إطاعة الله تعالى، والجندي الذي يطيع أوامر قائده مباشرةً إنما يطيع أوامر القائد العام دون أن يراه أو أن يسمع صوته بشكل مباشر، وهكذا نكون قد فهمنا بأن طاعة الرسول لا يمكن فصلها عن طاعة الله بما يتعلق في القرآن الكريم لذلك فحتى المسلمون اليوم عندما يقرأون آيات الله ويطيعون الأوامر التي فيها هم يطيعون الله ورسوله معاً وهذا متصل دائماً في رسالة الإسلام ولكن كان للرسول أيضاً طاعة أخرى زمانية مفصولة عن هذا الموضوع الدائم انتهت بإنتهاء حياته وعودة نفسه التي كلفت بمثل تلك الطاعات التي لم تكن دائمة في الإسلام إلى بارئها راضية مرضية، هذا وقد شرحت هذا الموضوع بالتفصيل في مكان آخر من هذا الكتاب.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ - ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٨ ـ هل العبادات في الدين وسيلة أم غاية

كل بحث يجب أن يستند إلى شهادة آيات القرآن الكريم.

ـ إن الله تعالى يعلن في كتابه المبين ذو الآيات المبيّنات أن الله تعالى غني عن العالمين والغني يأتي من الإستغناء.

إذاً فالله تعالى ليس بحاجة إلى كل العبادات ولا إلى الطقوس والمناسك، وإنما الطقوس والمناسك والعبادات أوجدت لمصلحة ومنفعة الإنسان نفسه:

﴿...وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ ـ ٩٧ آل عمران.

وقلنا في بحث سابق أن علاقة الله تعالى مع استغنائه عن عباده هي علاقة رحمة ومودة:

﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحمَةِ...﴾ ـ ١٣٣ الأنعام.

والله الرحيم الغفور لا يمكن أن يتلذذ بعذاب عباده في الجحيم وما الجحيم عند الله إلا وسيلة للترهيب والتخويف لإعادة عباده إلى سبيله الصحيح وصراطه المستقيم:

﴿مَّا يَفعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُم إِن شَكَرتُم وَءَامَنتُم وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ ـ ١٤٧ النساء.

فالله يخوف عباده رحمةً ورأفةً بهم وليس حباً بتعذيبهم حتى ينهاهم عن الظلم والطغيان في الأرض على بقية العباد:

﴿...وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُم إِلا طُغيَاناً كَبِيراً﴾ ـ ٦٠ الإسراء.

والله تعالى يخوف الظالمين بعذاب ناره حتى يعودوا إلى خشية الله عباداً صالحين.

﴿لَهُم مِّن فَوقِهِم ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحتِهِم ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ ـ ١٦ الزمر.

والله يبشر بعد تلك الآية مباشرة من يكفر بدين السلطان (الطاغوت) باجتناب دينه ويعود إلى عبادة الرحمن ويعتبرهم من ذوي العقل والبصيرة:

﴿وَالَّذِينَ اجتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ البُشرَى فَبَشِّر عِبَادِ * الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الأَلبَابِ﴾ ـ ١٧ ـ ١٨ الزمر.

والله صادق وسوف يعذب الذين استحقوا العذاب من عباده ولكننا لا نعلم عن شكل ناره شيئاً ولا عن عذابه لأن ذلك ليس من مستوى إدراك أحاسيسنا الأرضية اليوم وفي الآخرة لن يكون لنا أجسام مثل أجسامنا الفانية اليوم.

والذي يتبع هدى الله وقرآنه الكريم ووصايا الله ومواعظه لا خوف عليه من أحد:

﴿...فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٣٨ البقرة.

وقد وصى الله تعالى رسوله الكريم بأن لا يتجبر في الأرض على الناس ويتحول إلى سلطان مستبد وسلطته على الناس لا تزيد عن التذكير بالحق:

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ - ٤٥ ق.

ولم يقل لرسوله: فذكر بروايات أبي هريرة التي كلها من كتب أهل الكتاب المحرفة من توراة وتلمود كما برهنت لكم في كتاب دين السلطان، ماذا قال الله تعالى عن العبادات ولماذا أوجدها سبحانه في الدين، ماذا قال الله تعالى عن الصلاة؟

﴿...إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنهَى عَنِ الفَحشَآءِ وَالمُنكَرِ...﴾ - ٤٥ العنكبوت.

إذاً فالصلاة وسيلة من وسائل الإتصال بالله تعالى من العبد إلى ربه وإذا كانت هذه الصلة موجودة وخشية العبد من الله موجودة في قلبه طمعاً في جنته وخوفاً من عذابه فيفعل المؤمن ما أمره الله تعالى في كتابه المبين من عبادات وطاعات ويعمل عملاً صالحاً في الأرض فيه خير للناس عندها تكون صلاته هي الصلاة الإسلامية التي أمر بها الله عباده أما إذا تحولت الصلاة إلى مجرد حركات وتمتمات وقراءة لبعض الآيات ترديداً للكلمات والألفاظ من دون التفكر في معاني ما يقرأ ومن دون أن تكون خشية الله في قلب العبد، هذه الصلاة لاتكون خالصة لله رب العالمين، الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر هي الصلاة التي لا فعل لها أبداً، ماذا قال الله تعالى عن الزكاة؟ الزكاة هي لتزكية النفس وليست لتزكية المال:

لذلك قال الله تعالى عن النفس:

﴿قَد أَفلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ - ٩ الشمس.

وقال تعالى عن الأموال التي يدفعها المسلم زكاة للمستحقين من عباد الله مبيناً أن التزكية للنفوس وليس للأموال:

﴿خُذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ - ١٠٣ التوبة.

والله تعالى جعل الصلاة والزكاة مقرونتان دائماً في كتابه لأن الأول تطهير نظري للنفس والثانية من الأفعال وهي لذلك تطهير فعلي للنفس، والزكاة هي المحك على صدق العبادة والإيمان لأن الذي لا يستطيع دفع الزكاة من ذاته إلى المستحقين لم يبلغ إيمانه الحد الأدنى المطلوب من الله تعالى حتى يكون العبد مؤمناً صحيحاً بالله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُم لِلزَّكَوةِ فَاعِلُونَ﴾ - ٤ المؤمنون.

بعد ذكر الصلاة والزكاة أعود إلى العبادة الأولى في الإسلام والتي نها عنها السلطان ومنع عباده من قراءة القرآن مباشرة بحجة أنه لا يلمسه إلا المطهرون الصالحون من رجال دينه، ولن يفهمها غيرهم أبداً.

الذي يتلو كتاب الله يجب أن يكون قدوة صالحة للناس في الأرض يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مطبقاً ذلك على نفسه قبل تطبيقه على الناس:

﴿أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتلُونَ الكِتَابَ...﴾ - ٤٤ البقرة.

والمقصود بالكتاب هو كتاب الله تعالى وليس الروايات المتناقضة شديدة الإختلاف في كتب الأحاديث من صحيحها إلى ضعيفها، والدليل أن التلاوة لكتاب الله في الإسلام قبل الصلاة والزكاة نجدها في الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقنَاهُم سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ - ٢٩ فاطر.

وتلك العبادات الثلاث هي العبادات الأساسية في الإسلام، وأما الذين كفروا بالله أو أشركوا به فقد غضب الله تعالى عليهم ومنعهم عن رؤية حقائق الرحمن في كتابه الكريم كما شرحت سابقاً وفي بحث كامل، حتى ولو قرأوا القرآن ألف مرة فلن يفهموا مقاصد الرحمن، لماذا؟ الجواب في الآية التالية علماً أن العملية ليست سحرية بل ببساطة: الحديث يقوم مقام الحاجز والغشاء أو الغطاء فيمنع فهم الآية القرآنية ويشوش عليها، مثل إنسان يسمع أمرين متناقضين معاً فلا يفهم المقصود مما سمع:

﴿الَّذِيَن كَانَت أَعيُنُهُم فِي غِطَآءٍ عَن ذِكرِي وَكَانُوا لا يَستَطِيعُونَ سَمعاً﴾ - ١٠١ الكهف.

والذكر هو القرآن متلواً على لسان العبد:

﴿...وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٤٤ النحل.

وماذا قال الله تعالى عن الصوم والصيام؟

﴿...فَمَن تَطَوَّعَ خَيراً فَهُوَ خَيرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم...﴾ - ١٨٤ البقرة.

ففائدة الصيام إذاً للإنسان وليس لرب العالمين، وماذا قال الله تعالى عن الحج؟

الحج هو خاتمة العبادات وهو نوع من أنواع الشكر لله والإعتراف من الإنسان بفضل الله تعالى عليه من نعم يسرها له في الأرض رحمةً منه سبحانه إذ هداه إلى السبيل القويم فأرسل له الرسالات ليخرجه بها من ضلالات الطواغيت المتجبرين في الأرض وأديانهم إلى دين الرحمة والمودة والسلام، لذلك فالحج شكر خالص لله تعالى على نعم الرحمن حيث قال الله تعالى موجهاً كلامه للناس كافة وليس للمؤمنين وحدهم:

﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً...﴾ - ٩٧ آل عمران.

وماذا عن مناسك الحج والشعائر؟

هل الطواف في الحج مطلوب من الإنسان؟

﴿...فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ - ١٥٨ البقرة.

الطواف غير مطلوب ولكن لعلم الله أنها عادة قديمة من قبل الإسلام فيقول سبحانه أن من فعلها منكم لا جناح عليه سواء كان في حج أو كان في عمرة.

هل التجارة والعمل والسعي للرزق حرام أثناء فترة الحج؟

أولاً كما شرحت سابقاً موضوع الحج بدليل أيات القرآن هناك بالنسبة لكل حاج فترتان فترة لا جناح عليه إن عمل في التجارة والإسترزاق وفترة أخرى ليتم فيها مناسك الحج.

﴿لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ١٩٨ البقرة.

وهكذا فهمنا أن العبادات وجدت وسيلة من وسائل الله لصعود العبد بها درجات التقوى والإيمان وليست غاية أبداً والله في غنىً عنا وعن عبادتنا كلها ولا يربطه بنا سوى رحمته الواسعة.

من هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من عباد الله؟

لنفتح كتاب الله تعالى ونقرأ آيات الله البينات ونحصي من هم برأي الله تعالى

عباده الصالحون الذين لا خوف عليهم من ناره ومن عذابه أبداً في الدنيا والآخرة، هم أولاً من اتبعوا هدى الله وحده المذكور في كتابه المبين من غير إشراك بذلك الكتاب أي مصادر للهدي إضلالاً من شياطين الإنس والجن خدمة لأصحاب السلطة والمصالح الدنيوية في الأرض:

﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٣٨ البقرة.

﴿بَلَى مَن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَلَهُ أَجرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ١١٢ البقرة.

والذي أسلم وجهه لله تعالى وحده يكون فقط هو الذي أسلم عقله وفكره لكتاب الله وحده فلم يشرك بالله شيئاً:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنّاً وَلآ أَذًى لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٢٦٢ البقرة.

﴿قَولٌ مَّعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتبَعُهَآ أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ - ٢٦٣ البقرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٢٧٧ البقرة.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِهِم مِّن خَلفِهِم أَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ١٧٠ آل عمران.

﴿أَلا إِنَّ أَولِيَآءَ اللَّهِ لاخَوفٌ عَلَيهِم وَلاهُم يَحزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشرَى فِى الحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَفِى الأَخِرَةِ لا تَبدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ - ٦٢ - ٦٤ يونس.

﴿وَمَا نُرسِلُ المُرسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَن ءَامَنَ وَأَصلَحَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٤٨ الأنعام.

﴿يَابَنِى ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِّنكُم يَقُصُّونَ عَلَيكُم ءَايَاتِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصلَحَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٣٥ الأعراف.

﴿وَيَومَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهَهُم مُّسوَدَّةٌ أَلَيسَ فِى جَهَنَّمَ مَثوًى لِّلمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِم لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٦٠ - ٦١ الزمر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٦٢ البقرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ - ٦٩ المائدة.

وهذه الشروط الثلاثة هي الشروط الواجبة حتى يكون العبد من الذين يحبهم الله، فمن يحب الله من عباده؟

﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم...﴾ - ٣١ آل عمران.

وإتباع الرسول الكريم يكون بتطبيق شرع الله الذي أتى به الرسول من ربه في القرآن، بينما اتباع الحديث معناه اتباع ما نجد من محرفات أهل الكتاب في التوراة والإنجيل والتلمود وهذا يغضب الله ولا يرضيه والدليل في كتاب الله لمن أحب أن يتأكد.

١ - إن الله تعالى يحب من عباده التوابين العائدين إلى رحابه وإلى الإيمان به وبكتابه:

﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾ - ٢٢٢ البقرة.

٢ - إن الله تعالى يحب من عباده المتطهرين جسداً ونفساً:

﴿...وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِين...﴾ - ٢٢٢ البقرة.

﴿...فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾ - ١٠٨ التوبة.

٣ - إن الله يحب من عباده الموفون بعهودهم والمتقين:

﴿بَلَى مَن أَوفَى بِعَهدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ - ٧٦ آل عمران.

٤ - إن الله يحب من عباده الكاظمين للغيظ والعافين عن الناس والمحسنين:

﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ - ١٣٤ آل عمران.

٥ - إن الله تعالى يحب الصابرين:

﴿... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين﴾ - ١٤٦ آل عمران.

٦ - إن الله تعالى يحب من عباده المتوكلين على الله:

﴿فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِين﴾ ـ ١٥٩ آل عمران.

٧ ـ إن الله تعالى يحب من عباده الحاكمين بين الناس بالقسط:

﴿وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِين﴾ ـ ٤٢ المائدة.

٨ ـ إن الله تعالى يحب من عباده الذين يقاتلون في سبيل الحق ودفاعاً عن الحقوق في صفوف متراصة تلاحماً وتعاوناً:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بِنيَانٌ مَرصُوصٌ﴾ ـ ٤ الصف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٩ ـ هل الدين ضروري في حياة الإنسان؟

هل كتاب الله الحاوي على دينه وصراطه وسنته يدعوا إلى توحيد السبيل بين المؤمنين به؟ أم يدعو إلى الإختلاف والتفرق بحيث يكون لكل مؤمنٍ سبيلاً مختلفاً؟.

إذا أتينا إلى مجموعة من العلماء الحقيقين وطرحنا عليهم السؤال التالي:

كيف يمكن أن يكون شكل مخلوق يعيش في ظروف انعدام الوزن إذا كان جسمه يتشكل من وحدات مستقلة عن بعضها يحيط بها سائل تسبح فيه ولكن في مركزها قوة تجذب كل الوحدات الأخرى إليها فلا تستطيع الإبتعاد عن تلك القوة الجامعة؟

سوف يعود الجميع ليقولوا جواباً واحداً متفقين بأن الجسم سوف يكون كروي الشكل. وإذا أعدنا عليهم السؤال بشكل مختلف وقلنا لهم افترضوا الآن أن القوة الجامعة في المركز قد أزيل والوحدات لم يعد شيء يجمعها معاً والجسم ترك في الفضاء الكوني!!

أيضاً سوف يتفق الجميع بالجواب بأن الجسم سوف يزول من الوجود بسرعة تتناسب مع الزمن والجسم سوف تتوزع ذراته في الفضاء الكوني كله مثل توزع الدخان في الهواء وزواله بالتدريج.

وكذلك الأمم إذا وجدت العقيدة الصحيحة جمعتها كما جمعت المسلمين في أول الإسلام وإذا العقيدة زالت والقوة الجامعة استبدلت بقوة أخرى تدعوا إلى التنافر فإن القوة سوف تزول والأمة يصبح شأنها مع كثرة عددها مثل غثاء السيل لاقيمة له ولا قوة فيه!!.

الغريب أن تجد اليوم وفي هذا العصر بالذات من يتصدرون الكلام على أجهزة التلفزة لإعلام الناس باسم الله والدين ليقولوا علناً وبلا خجل أن التفرق سنة الله في الأرض والإختلاف قانون الله الدائم وليس الإتفاق ولا الإتحاد!! ويدّعون علناً أن التفرق والإختلاف نعمة من الله تعالى.

صحيح أن العقيدة عندما تكون من صنع الإنسان مثل العقائد الإشراكية الموجودة حالياً في كل أديان الأرض التي كان لها أصول سماوية من يهودية أو

مسيحية أو سنة أو شيعة أو غيرها من المذاهب والسبل التي اخترعها الطواغيت في الأرض عندها يصبح القانون والسنة هو التنافر والتناثر فكرياً وعقائدياً وإلى يوم يبعثون لعدم وجود ما يجمع بين أفراد الأمة أو الديانة الواحدة التي استبدلت عبادة الله الواحد الأحد الذي يدعوا الناس إلى حرية الإنسان وحقوقه مؤكداً على تأمين مصلحة الأكثرية العامة للأمة فيستبدلها السلاطين بأفكار أخرى تخدم مصالحهم مؤكدين أن الخير في التفرق والخير في تأمين مصلحة الأقلية من طبقة الأغنياء والخير في ظلم الأكثرية الغالبة من الأمة والخير في تركهم فقراء جهلاء يطبق عليهم شرع الراعي والرعية بدل شرع الله الذي أسجد لآدم ملائكته أجمعين حتى يرفع من مقام الإنسان بدلاً من جعله عبداً للسلطان الذي هو الطاغوت في القرآن الكريم.

لذلك فالعقيدة عندما تكون من صنع الإنسان وشيطان نفسه الأمارة بالسوء سوف يكون وضعهم مثل الذين صنعوا لأنفسهم إلاهاً من التمر لأن حياتهم كانت تعتمد على إنتاج التمور وزراعة النخيل والتجارة ببيع منتجاتهم كل عام ولكن عندما شح المطر وقل الإنتاج وانعدم وحدثت مجاعة اضطروا إلى أكل الههم ومعبودهم.

فالإله المعبود يجب أن تأتي سلطته فوقية قاهرة لكل من يفكر أن يتسلط على عباد الله والعلاقة به تكون علاقة رحمة ومودة من طرف المعبود وعلاقة خوف وخشية ممزوجة بالحب من طرف العابد، والعلماء المفكرين من أمم الأرض من الذين أدركوا حقيقة هذه الضرورة بالنسبة للشعوب ومن الذين مالت نفوسهم للدنيا وأموالها ومتعها عرضوا خدماتهم لأصحاب المال والسلطة فاستخدموهم ليستغلوا العاطفة الدينية الموجودة عند الناس كفطرة لتوحيد شعوبهم ولكنهم فعلوا ذلك لمصلحة فئة وأقلية صغيرة من الأمة وهي الفئة الغنية التي تتصدر الزعامة السياسية للأمة وبيدها أيضاً الزعامة الإقتصادية فاشتروا بأموالهم الزعامة الفكرية ووظفوها لخدمتهم ليقرروا بهم مصير أفراد الأمة بحسب تغيرات مصالحهم وامزجتهم الخاصة دون اعتبار كثير لمصالح الأكثرية الساحقة إلا بالكلام والشعارات والإدعائات التي تكون غالباً خالية أساساً من أي مضمون حقيقي وما كانت أصلاً إلا مثل استخدام المحاليل السكرية من أجل جمع الذباب لعلمهم أنها لا تجتمع إلا عليها. وكل أديان الأرض المطبقة حالياً على جميع الشعوب في العالم ينطبق عليها هذا الكلام من دون استثناء لدين واحد أبداً. خاصة إذا

كان النظام المطبق هو الأسلوب الديني للحكم، أو أن الحكم يستغل العاطفة الدينية لمصلحته.

أما في الدول التي يقال عنها اليوم بأنها من الدول العلمانية في البلاد الإسلامية بما فيها تركيا وباكستان مع الدول العربية الأخرى، هذه أيضاً لا تختلف عن النظام الديني لأنها في الحقيقة ترفع شعار الديموقراطية اسماً وتطبق أسوأ أنواع حكم الفرد والإستبداد المطلق فكل المؤسسات مثل البرلمانات ومجالس الشيوخ والأعيان صورية تردد ما يقوله الحاكم المطلق في كل نماذج هذه الحكومات. وأنا شخصياً لا أرى أن الملام في هذا الوضع الذي لا شذوذ عليه أبداً في بلاد الإسلام هم الحكام ولا ما عندهم من حكومات تدير لهم هذا النوع من أنواع الحكم وإنما ألوم علماء المسلمين وفقهائهم من الذين لا يعملون أجراء لدى السلطة لماذا لا يتحركون للتخلص من منابع الأوهام واستبداله جميعاً بمنبع العلم والحقائق والنور الذي يخرج به الله الناس من الظلمات إلى النور، ولكن إذا فكرنا بإمعان فإننا نكتشف أنه لا يوجد علماء للمسلمين وفقهاء في الدين لا يعملون، أجراء للسلطة بشكل أو بآخر فمصدر رزقهم مرتبط بالسلطة غالباً هذا أولاً وحتى إن وجد منهم من لا يعمل للسلطة فإنهم غالباً من الجهال الآبائيين ولا يعلمون أن القرآن هو الأصل وهو الأساس في الإسلام وأن كتب الحديث ألفها الطواغيت على مر الزمن خدمةً للإستبداد والطغيان.

وقد قال وزير المستعمرات البريطانية في عام ١٨٩٥ السيد غلادسون في إجتماع لمجلس الوزراء البريطاني وهو يرفع كتاب القرآن بيده قائلاً:

«بريطانيا لن تستطيع أن تحقق أهدافها في البلاد الإسلامية إلا إذا سحبت عنهم سلطة كتاب القرآن.. أخرجوا هذا الكتاب من أيديهم تتحطم أمامكم كل السدود».
ولكن إبقاء الحال على ما هو عليه هو ظلم شديد للناس أولاً من أنفسهم لأنهم لا يعودون إلى كتاب الله مباشرة حتى يعرفوا الحق من الباطل وهو ظلم أشد من رجال الدين لأنهم لا يقولون الحقيقة الناصعة للناس إرضاء للحكام أو جهلاً من أنفسهم لأنهم مثل أفراد الأمة يظنون أن الصحيح في صحيح البخاري وليس في كتاب الله. لذلك عندما قال الشاعر:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعلةٍ لا يظلم

كان يقرر واقع الحال ويعتبرها حكمة من الله تعالى.

لأنه يراها حقيقة مطبقة في جميع الشرائع التي تدعي لنفسها أنها من الله سبحانه ولولا وجود القرآن الذي لا يتلوه إنسان إلا نادراً لفهمه وتدبره والسير بموجبه وإنما يتلوه إما ترفاً أو طرباً أو إحصاءً لعدد المرات التي ختم فيها القرآن وعند التطبيق يطبق غيره من الكتب التي قيل له أنها أيضاً من الله تعالى، لما آمنت بوجود دين حقيقي في الأرض ولتابعت مثل غيري أقول كما يقولون: «الدين أكبر خرافة خلقها الإنسان!!» ولكن القرآن الكريم يقلب كل هذه الأفكار وكل تلك الموازين رأساً على عقب!! لماذا؟

لأنه كتاب يحوي على براهين لا تعد ولا تحصى وكلها تثبت أن ما فيها كله فوق طاقة الإنسان في كل شيء. وأهم ما فيه مما يهمنا إعجازان حقيقيان:

الإعجاز الأول:

القرآن هو أسهل كتاب للحفظ في العالم.

هذه حقيقة علمية ثابتة وعليها براهين حقيقية أما البراهين التي تُدَّعى للحديث الموجود بين أيدي المسلمين بأنه سهل الحفظ مثل القرآن افتراء على الله وعلى كل المسلمين لمصلحة دين السلطان لاصحة له أبداً. ومن لا يصدّق عليه أن يجرّب.

الإعجاز الثاني:

القرآن أسهل كتاب في العالم للفهم إذا انطلق الإنسان من معرفة كون الكتاب مؤلفاً من كتابين، الأول هو القرآن المكي الذي نزلت سوره في مكة المكرمة وهو يحوي غيب الله تعالى من علوم وقصص حقيقي من الناحية التاريخية وهذا القسم لا يمكن فهمه إلا للراسخون في العلم ومع تطور العلوم لذلك نبه سبحانه إلى ذلك في الآية الكريمة:

﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينِ﴾ - ٨٨ ص.

وكان المسلمون يسمون هذا القسم «القرآن» لذلك كانوا يقولون: (وكنا لا نسأل عن القرآن في شيء) بل كانوا يسلّمون به حتى وإن لم يفهموا مقاصد الرحمن في تلك الآيات التي بدأت الان في القرن العشرين تصبح من أكبر معجزات القرآن التي يستطيع اليوم رؤيتها علماء الأرض كلهم.

وأما الكتاب الثاني فيقع ضمن الكتاب وبين يدي الكتاب الأول فعلاً لأن أول سورة في القرآن هي سورة الفاتحة وهي سورة مكية وآخر سورة في القرآن أيضاً مكية وهي سورة الناس. لذلك يعبر عن هذا الوضع رب العالمين فيقول: في تسع آيات بينات مؤكداً على هذه الحقيقة حتى ينتبه إليها المسلمون أذكر منها ثلاث آيات كمثال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ..﴾ - ٣ آل عمران.

﴿...مَا كَانَ حَدِيثاً يُفتَرَى وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيهِ...﴾ - ١١١ يوسف.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤمِنَ بِهَذا القُرءَانِ وَلا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيهِ...﴾ - ٣١ سبأ.

وماذا نجد في الكتاب الثاني الذي يقع بين يدي الكتاب الأول؟

نجد السور المدنية التي فيها آيات الرسالة والدين والأحكام والحدود والقتال والشرع والعبادات والصراط المستقيم وكل ما يهم المسلم من تفصيلات دينه وبدون ترك أي موضوع يهم المسلمين معرفته إلا ووجد جوابه في القرآن الكريم:

﴿...مَّا فَرَّطنَا فِى الكِتَابِ مِن شَىءٍ...﴾ - ٣٨ الأنعام.

﴿...وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ إِلَيكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً...﴾ - ١١٤ الأنعام.

﴿...وَكُلَّ شَىءٍ فَصَّلنَاهُ تَفصِيلاً﴾ - ٢ الإسراء.

الإعجاز الثالث:

أنه بعد تلاوة القرآن الذي هو الذكر تطمئن القلوب المؤمنه ويزول عنها الخوف والقلق وكل الظروف النفسية الصعبة من أحزان ومصائب وهذا إعجاز يحس به كل المسلمين الذين يتلون آيات الذكر الحكيم ولكن لم يسبق أن سمعت أحداً يقول أنه بذكر روايات أبو هريرة تطمئن القلوب!!.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ - ٢٨ الرعد.

الغريب أن فقهاء السلاطين إلى اليوم يؤكدون على المسلمين أن كتب السلاطين ضرورية لتفصيل وبيان آيات الله التي قال عنها ﴿الأَيَاتُ المُبَيِّنَات﴾ وعن الكتاب كله يقول: ﴿الكِتَابُ المُبِينُ﴾ أي الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان إضافي. إن أمر الفقهاء عجيب والأعجب منه أنهم يجدون من يصدقون مما لا يصدقه عاقل أبداً.

ونصيحتي لشباب المسلمين أن يعودوا إلى قراءة القرآن والتفكر في آيات الله مباشرة من غير الإستعانة بكتاب تفسير ولا حتى بمعجم لمعرفة معاني الكلمات فالقرآن يفسر نفسه بنفسه استعن مع القرآن الكريم بكتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم هذا الكتاب سوف يعلمك كيف تعرف معاني الكلمات التي تصعب عيك في القرآن ولا أنصح أحداً بكتب التفسير لأن صاحب التفسير يحتكر لنفسه معاني آيات الله التي يجب أن تدخل إلى قلب المؤمن مباشرة من خلال تلاوته للذكر وفكرة التفسير أصلاً خاطئة وضالة لأنها تفترض أن الإنسان أقدر على تفسير كتاب الله من الله نفسه، وهذا كفر صريح بقدرة الله تعالى القادرة على كل شيء والذي لا يعجزه شيء أبداً.

وإذا صدف وخرج من المسلمين من يدعي أن معنى خاتم الأنبياء هو زينتهم أي مثل الخاتم الذي يتزين به الرجل أو تتزين به المرآة وأعلنها على الناس خرج من المسلمين من يرد عليه إذا كان فهمه من القرآن مباشرة من غير اعتماد على المفسرين ويقول له إنك مخطئ فخاتم هنا بمعنى الختم والنهاية بدليل القرآن الذي يقول:

﴿أَفَرَءَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمعِهِ وَقَلبِهِ...﴾ - ٢٣ الجاثية.

والختم يأتي كغطاء لينهي ما قبله ولذلك فرسالة الإسلام كانت نهاية الرسالات لتكون رسالة للعالمين مُنْهيةً مفعول الرسالات التي قبلها وخاتمةً لها لأن الشرع فيها كان حدياً والشرع في الإسلام حدودي والفرق كبير بين الشرعين وضحته سابقاً في هذا الكتاب.

والله سبحانه القادر على كل شيء والفعال لما يريد لن يعجزه أبداً أن يرسل كتاباً يسهل على كل إنسان فهمه بحسب خلفيته الثقافية والفكرية وهو لا يحتاج إلى دراسة الفلسفة اليونانية حتى يفهم القرآن، وكل من يقول عكس هذا الكلام يعاكس ما قاله الله تعالى بدليل أن الله تعالى لم يقل في كتابه للناس تحتاجون إلى مفسرين أو تحتاجون إلى فقهاء في الدين أو تحتاجون إلى شرح وتبيان من الرسول الكريم فالله تعالى لم يترك حتى موضوع التفسح في المجالس إلا وذكره في القرآن فهل يترك موضوع هام ويتعلق بكتابه وطريقة فهمه لو كان كتابه بحاجة إلى شرح إضافي من أحد؟

لكن مع الأسف هكذا وضع فقهاء السلاطين الإسفين في عقائد المسلمين حتى لم يبق بين أيديهم صحيحاً منه سوى الإسم وشهادة لا إله إلا الله وما عدا ذلك كله من افتراءات أتباع السلاطين ومحرفات أهل الكتاب من توراة وتلمود وإنجيل.

﴿قَالَ يَا قَومِ أَرَءَيتُم إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنهُ رِزقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُم إِلَى مَآ أَنهَاكُم عَنهُ إِن أُرِيدُ إِلا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ - ٨٨ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٠ ـ أهمية فصل أخلاقيات الإسلام بالنسبة للكتاب.

إن أهمية هذا الفصل المكون من أربعين صفة من صفات المسلمين بالنسبة للكتاب لا تعود إلى نفس الصفات أنما إلى أسلوب فهم تلك الصفات واستنباط معانيها من القرآن مباشرة بدون العودة إلى كتب التفسير القديمة المعتمدة على الأحاديث المضللة ولا لكتب المعاجم التي اختلف الناس أصلاً في معانيها.

فلجأت إلى أسلوب جديد ومبتكر لم يستخدمه أحد في فهم الإسلام والقرآن من قبل والأسلوب باختصار يعود لإعجاز القرآن الذي لا يشبه غيره من الكتب فالله تعالى قد جعل إمكانية الحصول على معاني الكلمات من سياق الآيات حيث يمكن للباحث استنتاج معاني الكلمات بشكل مباشر من المعنى العام للآية.

مثلاً إذا أحب المسلم أن يفهم معنى: (بارَ ـ بوراً ـ يبور ـ تبور ـ بوار) أفضل مكان للمعرفة هي آيات الله مباشرة كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقنَاهُم سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ـ ٢٩ فاطر.

ماذا يرجو التاجر عادة؟

يرجو رواج بضاعته والطلب عليها حتى يبيع ويربح بعد أن يستعيد رأس ماله الأساسي.

وماذا يخشى التاجر أكثر ما يخشى؟

إنه يخشى كساد بضاعته وتوقف الطلب عنها.

ومن هنا فهمنا أن التجارة التي بارت هي التي توقف الطلب على بضاعتها فخسرت بعد ان كَسَدَت، إذاً علمنا أن (بارَ) بمعنى (كَسَدَ) وبما أن المسلمين وخلال أربعة عشر قرناً يرددون أن القرآن لا يمكن فهم معانيه إلا عن طريق ما يدَّعونها من تفاسير قديمة وأسباب نزول مختلف فيها وعليها وتاويلات ما أنزل الله بها من سلطان سوف أحاول أن أضرب عليها بعض الأمثلة من صحيح البخاري الذي حاول أن يبرهن للمسلمين تناقض التفسير المدعى بالأحاديث مع النص القرآني دون ان يكون له القدرة على الإفصاح عما في نفسه مباشرة إلا بوضع المتناقضات مع بعضها التي سوف أشير إليها في هذا الموضوع.

المثال الأول سوف أبين معنى (تمتع) عن طريق آيات القرآن نفسها أولاً معنى التمتع هو الإستمتاع بالنعمة بدليل قول الله تعالى أمراً لرسوله حتى يقول لنسائه:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ الحَيَوةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَينَ أُمَتِّعكُنَّ وَأُسَرِّحكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ - ٢٨ الأحزاب.

وكذلك في قوله تعالى:

﴿...وَمَتَّعنَاهُم إِلَى حِينٍ﴾ - ٩٨ يونس.

وكذلك في قوله تعالى:

﴿...قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ...﴾ - ١٢٦ البقرة.

وكذلك قوله تعالى:

﴿...وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ٤٨ هود.

وبما أن النعمة أصلها من الأنعام ومن الأموال فعند قول الله تعالى للمطلقات من النساء من قبل لمسهن: تأتي بمعنى إعطاءهن من متاع الدنيا أي أموالها:

﴿لا جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَآءَ مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالمَعرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحسِنِينَ﴾ - ٢٣٦ البقرة.

وكذلك إذا قلنا:

﴿...فَإِذَآ أَمِنتُم فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمرَةِ إِلَى الحَجِّ...﴾ - ١٩٦ البقرة.

العمرة والحج ومواسمها بالنسبة للقدماء كانت مثل السياحة والتمتع بها في أيامنا هذه والحج أصلاً كان دعوة للناس جميعاً وليس للمؤمنين وحدهم بدليل قوله تعالى دائماً عن الحج.

﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ...﴾ - ٢٧ الحج.

﴿...وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً...﴾ - ٩٧ آل عمران.

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَومَ الحَجِّ الأَكبَرِ...﴾ - ٣ التوبة.

لذلك نجد الحج الذي يقابل السياحة موجهة لكل الناس في القرآن ولم يحدد

سبحانه أن تكون للمؤمنين منهم أبداً ولم يقل أبداً فيها (يا أيها المؤمنون) والتمتع بالحج نوع من التنعم في فترة من السنة تقع عادة في فصل الشتاءحيث الجو والمناخ في منطقة مكة ملائمة والأسواق حول الكعبة وحول مكة معقودة والوقت من السنة ليس وقت زراعة ولا وقت حصاد بل وقت تمتع وتنعم بنعم الله في الأرض ونوع من السراح سراحاً جميلاً.

هذه هي معاني تمتع الحج في القرآن الكريم ولكننا إذا إنتقلنا إلى دين السلطان تغير المصدر وتغير معه المعنى مباشرة فإلى أمثلة من شرع السلطان من الحديث، ومفهوم الدين المقلوب عما وجدناه في كتاب الله الكريم.

في الباب ٣٣ من صحيح البخاري نجد تحت جزء الآية الكريمة:

﴿...فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمرَةِ إِلَى الحَجِّ...﴾ - ١٩٦ البقرة.

الحديث رقم ٤٥١٨ صحيح البخاري عن عمران بن الحصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات (الرسول) والمتعة بحسب مفهوم دين السلطان (الحديث) هو التمتع بالنساء.

أي فعل الزنا مقابل مال يدفعه المتمتع.

علماً أن هذه العادة كانت في الجاهلية وأعادها السلطان بعد انتصاره على جنود الحق في الفتنة الكبرى.

والحديث التالي يروي جزء من ذلك التاريخ الذي يشير إليها البخاري رحمه الله تحت جزء الآية الكريمة:

باب ﴿لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ١٩٨ البقرة

ونجد الحديث التالي تحته مباشرة:

الحديث ٤٥١٩ صحيح البخاري عن ابن عباس رضي اله عنه قال:

(كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجبروا في المواسم فنزلت:

﴿لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُم...﴾ - ١٩٨ البقرة

في مواسم الحج).

والجزء الذي لا نجده في الحديث أن في تلك الأسواق في الجاهلية كانت تفتح بيوت فيها غانيات وراقصات ومغنيات يستطيع من انتهى من حجه أو عمرته أن يتمتع بهن مقابل مال يدفعه لهن، وهذا هو أصل المتعة في الحج الجاهلي الذي ألغاه الإسلام وأعاده السلطان عن طريق الأحاديث المفتراة.

المثال الأول الذي يشير إليه البخاري رحمه الله هو تناقض الآية مع تفسيرها تحت باب:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ...﴾ - ١١٠ آل عمران.

الحديث ٤٥٥٧ عن أبي هريرة قال أن رسول الله ﷺ في تفسير: (كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ)

قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام».

تصوروا رسول الإسلام في دين السلام الذي بلغ عن ربه أن (لا إِكرَاهَ فِى الدِّينِ) في آية مبينة يعود فيقول عكس ما أمره به الله في حديث يدَّعى أنه أيضاً من الله لينسخ ما قاله سابقاً.

وهل يجوز لحديث ظني أن ينسخ آية ثابتة يقينية لا ظن فيها ولا وهم؟ يجوز ذلك في دين الطاغوت عندما يجد عالم السوء من يدفع له مقابل ذلك ما يجعله يعيش عيشة الملوك في زمن كان المسلم لا يجد فيه خاتماً من حديد ليتزوج به على شرع الله ويكون له وحده في قصوره ألف امرأة على شرع الطاغوت.

المثال الثاني: ننتقل بعدها إلى الباب التاسع في تفسير القرآن تحت الآية الكريمة:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٨٧ المائدة.

حيث يشير لنا البخاري رحمه الله عن تناقض الحديث مع المعنى المقصود في كتاب الله بالحديث ٤٦١٥ التي تأتي تحت تلك الآية: عن عبد الله؟؟؟ رضي الله عنه قال: كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتمتع بالمرأة بالثوب ثم قرأ:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٨٧ المائدة.

أولاً الآية نزلت تبين الطيبات من المأكولات وليس من النساء بدليل قول اله تعالى

متمماً قوله:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم وَلا تَعتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِين * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤمِنُون﴾ - ٨٧ - ٨٨ المائدة.

المثال الثالث: بعدها ننتقل إلى المثال الثالث في الحديث، أيضاً في كتاب تفسير القرآن في الباب ٣٩ تحت الآية الكريمة:

﴿نِسَآؤُكُم حَرثٌ لَّكُم فَأتُوا حَرثَكُم أَنَّى شِئتُم وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم...﴾ - ٢٢٣ البقرة.

الحديث رقم ٤٥٢٧ من صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عن رسول الله في شرح وتفسير آية (فاتوا حرثكم أنى شئتم) قال: يأتيها في.... وتركها البخاري فارغة حياءً منه على كتابتها بينما نجد في حاشية الكتاب شرحاً لهذا الفراغ يقول: قوله: (في) بحذف المجرور وهو الظرف أي في الدبر أسقطه المؤلف لإستنكاره (كذا ورد في الشارح). إن خجل البخاري عن ذكرها هو قرار منه أن الرسول الكريم لا يمكن أن يكون هو قائلها ولكنه أشار إليها لإستنكاره لها ومناقضتها لكتاب الله في الآية التي قبلها:

﴿...فَأتُوهُنَّ مِن حَيثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ...﴾ - ٢٢٢ البقرة.

واللواطة بالمرأة تعتبر من الفاحشة الباطنة المحرمة في إسلام القرآن وإن حلله إسلام السلطان المعتمد على الحديث بدلاً من كتاب الله الكريم.

المثال الرابع في تفسير قول الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) من كتاب تفسير القرآن للبخاري.

الحديث رقم ٤٧٣٠ من صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم يذبح... إلى أخر الحديث الذي يقول في نهايته ثم قرأ:

﴿وَأَنذِرهُم يَومَ الحَسرَةِ إِذ قُضِيَ الأَمرُ وَهُم فِي غَفلَةٍ...﴾ - ٣٩ مريم.

ليس في القرآن الكريم أي إشارة بأن الموت مخلوق حي يموت في النهاية ولكننا إذا بحثنا في كتب أهل الكتاب نجد في كتاب الإنجيل سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الذي

يذكر بأن الله تعالى يذبح الموت يوم القيامة والمحدث الإسلامي أضاف عليه بجعله كبشاً أملح وهذا ليس من علم الله الذي يشهد في آياته البينات أبداً.

المثال الخامس: نجد في كتاب تفسير القرآن لتفسير قوله تعالى على لسان عيسى:

﴿...رسول مِن بَعدِى اسمُهُ أَحمَدُ...﴾ - ٦ الصف.

الحديث رقم ٤٨٩٦ صحيح البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن لي أسماءً: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»

لم يكن أحداً من رسل الله من الجبارين المتكبرين لعلمهم أن الله تعالى يكره هذه الصفات في عباده فكيف في رسوله الكريم محمد؟

ولم يكن رسولنا الكريم الذي كانت القرآن أخلاقه من الرجال الذين يمكن أن يقولوا للناس مثل سلاطين الطغاة في الأرض من الجبارين.

«أنا الذي يحشر الناس على قدمي» أبداً.

وكل إنسان حرّ في أن يؤمن بما يشاء وحسابه على الله رب العالمين.

المثال السادس: نجده في باب تفسير القرآن لتفسير قوله تعالى:

﴿يَومَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ...﴾ - ٤٢ القلم.

الحديث ٤٩١٩ صحيح البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يكشفُ ربُّنا عن ساقِهِ فيسجدُ له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنة ويبقى من كان يسجدُ في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجدَ فيعودُ ظهرُهُ طَبَقاً واحداً».

إن تصور الله تعالى على أساس أن له كل أعضاء الإنسان ويشبهه استوردناها من كتب التوراة وقد بينت سابقاً بأن الأحاديث المنسوبة لأبي هريرة تجعل التوراة والتلمود من صلب دين الإسلام وعقيدته رغم نهي الله ورسوله الكريم عن الأخذ عن أهل الكتاب وعن كتبهم قد ثبت تحريفها جميعاً ولم تعد تصلح لتكون مصادر موثوقة من رب العالمين، والحديث الذي أشير إليه هو حديث أبو هريرة الذي يقول:

«خلق الله آدم على صورته» المنقولة عن التوراة:

«فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه» سفر التكوين الإصحاح ١ الفقرة ٢٧.

وهكذا إذا أمسكنا كتاب تفسير القرآن للبخاري نجده بالكامل يناقض ما أتى به الرسول الأمين وهذا هو دليلي أن البخاري رحمه الله كان يشير إلى هذا التناقض بين ما في كتاب الله الصحيح وبين ما كُتِبَ في كُتُبِ الطاغوت المفتراة والمسلم حرٌ في أن يصدق من يشاء وحسابه على الله رب العالمين.

أحببت خلال ما سبق من تمهيد أن يتأكد القارئ الكريم ويلمس بنفسه أن القرآن الكريم هو جوهرة الإسلام النقية التي يجب على المسلم أن يحتفظ بها وهو الكتاب الثمين الذي لا ريب فيه من رب العالمين، ولا يحتاج لفهمه إلى راهب ولا شيخ فالله سبحانه قد سهلها عليه وجعل فيه إعجازاً خاصاً بحيث يفهمه كل إنسان لوحده على قدر عقله وثقافته وهذا هو حاجته المطلوبة منه ويجب أن لا يطمع المسلم لأكثر من ذلك شريطة ان يفهم المسلم أنه في كتاب القرآن أمام كتابين أحدهما المكي وهو بحر كبير لا يمكن فهمه كاملاً لأي إنسان وكثير منه سوف يأتي نبأه بعد حين. والكتاب الثاني هو القرآن المدني الذي فيه الدين والشرع والرسالة كاملة وهذا القسم مفهوم بذاته خاصة إذا حاول الإنسان ان يستعين بالإرشادات التي وضحتها له في هذا الكتاب.

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجراً كَبِيراً﴾ ـ ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ـ أخلاقيات الإسلام الواجب تطبيقها من قبل المسلمين المتمثلين بالقرآن.

١ ـ التراحم والتوادد وصلة الرحم وبر الوالدين.

٢ ـ المحبة ـ الرأفة ـ الشفقة ـ الرفق ـ العطف ـ المغفرة.

٣ ـ الشفاعة.

٤ ـ الصدق.

٥ ـ الوفاء بالعهود.

٦ ـ الإخلاص.
٧ ـ الإستقامة.
٨ ـ الأمانة.
٩ ـ حفظ اللسان وحفظ السر والأسرار.
١٠ ـ الإحسان وخاصة لليتيم والمسكين وابن السبيل.
١١ ـ التقوى.
١٢ ـ الخوف ـ والخشية من الله.
١٣ ـ النصيحة والموعظة.
١٤ ـ التعاون.
١٥ ـ الصبر واحتمال الأذى.
١٦ ـ المراقبة.
١٧ ـ الحكمة.
١٨ ـ الحياء.
١٩ ـ الحلم والأناة.
٢٠ ـ المشورة والشورى.
٢١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢٢ ـ العدل.
٢٣ ـ التوبة والإستغفار.
٢٤ ـ الإصلاح.
٢٥ ـ الكرم.
٢٦ ـ الشجاعة.
٢٧ ـ العزة.
٢٨ ـ الوقار والسكينة.
٢٩ ـ السعادة.

٣٠ ـ الدعاء. التمني والرجاء.

٣١ ـ العبادة.

٣٢ ـ التوكل.

٣٣ـ الإطاعة.

٣٤ ـ الرضى والقناعة.

٣٥ ـ الشكر.

٣٦ ـ الذكر والذاكرون.

٣٧ ـ التسبيح.

٣٨ ـ الشهادة.

٣٩ ـ الثبات.

٤٠ ـ الطيب والطيبون.

أخلاقيات الإسلام والمسلمين بدليل آيات القرآن الكريم.

١ ـ التراحم والتوادد وصلة الرحم وبر الوالدين.

﴿وَمِن ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً لِّتَسكُنُوا إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَّوَدَّةً وَرَحمَةً...﴾ ـ ٢١ الروم.

من فضل الله تعالى على الإنسان أن خلق له زوجة تؤنسه في وحشته وتساعده في غربته وتواسيه في كربته وتمسح عن جبينه العرق في مرضه وتفرح معه في فرحه.

تحبه وتحب أولاده وتشقى في تربيتهم وجعل الله بينهما حباً ومودة يجمع بين القلبين فتوده كما يودها وترحمه كما يرحمها والرحمة من الرحم فالمرأة أكثر رحمة وعطفاً وحناناً من الرجل.

من صفات المسلمين الذين هم على طريق الرحمن وهديه «التراحم والتوادد» مع إخوانهم، فلا يكون مسلماً من يقطع رحمه وينبذ أخاً له أو أختاً لمال أو إرثٍ أو أي خلاف دنيوي.

فالناس وإن كانت قلوبهم قاسية بعد أن يؤمنوا بالله العلي القدير يجعل بقدرة منه قلوب المؤمنين تمتلئ رأفة ورحمة.

﴿...وَجَعَلنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأفَةً وَرَحمَةً...﴾ ـ ٢٧ الحديد.

فالله لا يرحم الذين لا يرحمون من في الأرض.

وإذا اختلفت فئتان من المسلمين وظلمت فئة الفئة الأخرى فالله تعالى يطلب من المؤمنين أن يقاتلوا التي ظلمت حتى تعود عن ظلمها إلى أمر الله ثم يطلب منهم سبحانه أن يصلحوا بينهما بالعدل ويوزعوا الحقوق بالميزان الذي لا يظلم أحداً هذا ما طلبه الله منا إن كنا مؤمنين.

ولكنه لم يطلب منا أن نظلم ونجور بالظلم على التي ظَلَمَت فالظلم لا يداوى بظلم أشد بل بالعدل.

﴿وَإِنَّ طَآئِفَتَانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقتَتَلُوا فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا فَإِن بَغَت إِحدَاهُمَا عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَت فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا بِالعَدلِ وَأَقسِطُوا إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ * إِنَّمَا المُؤمِنِينَ إِخوَةٌ فَأَصلِحُوا بَينَ أَخَوَيكُم وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ - ٩ - ١٠ الحجرات.

ومن صفات الله الدائمة الرحمة:

فقد كتب الله سبحانه على نفسه الرحمة وهذا معناه أنه بالنسبة له قانون ودستور والله تعالى يلتزم ويحترم سننه وقوانينه وما تعهد به من العهود بعكس الطواغيت في الأرض الذين يسنون القوانين فقط من أجل تطبيقها على الآخرين من دون حتى النية في الإلتزام بها بالنسبة لأنفسهم فنجدهم أول من خرقها وفعل عكسها.

﴿...فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفسِهِ الرَّحمَةَ...﴾ - ٥٤ الأنعام.

﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحمَةِ...﴾ - ٥٨ الكهف.

وأوسع شيئين في في هذا الوجود بحسب ما يخبرنا به الله سبحانه:

هو علم الله ورحمته:

﴿...رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحمَةً وَعِلماً...﴾ - ٧ غافر.

﴿... عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَآءُ وَرَحمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ...﴾ - ١٥٦ الأعراف.

﴿مَّا يَفتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَهَا...﴾ - ٢ فاطر.

﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحمَةِ...﴾ - ١٣٣ الأنعام.

الله سبحانه يعلّم الإنسان أدب الدعاء والرجاء في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والرسل المكرمين وكلها تشير إلى طلب الرحمة والمغفرة للإنسان الظالم لنفسه الظالم لأهله ولبني جنسه في سبيل أطماع وشهوات دنيوية زائلة حيث يتوب عائداً إلى رحاب الله.

﴿وَقُل رَّبِّ اغفِر وَارحَم وَأَنتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ﴾ - ١١٨ المؤمنون. ﴿... رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنَآ إِن نَّسِينَآ أَو أَخطَأنَا رَبَّنَا وَلا تَحمِل عَلَينَآ إِصراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعفُ عَنَّا وَاغفِر لَنَا وَارحَمنَآ أَنتَ مَولانَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ - ١٨٦ البقرة

قال الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام:

﴿...قَالَ رَبِّ لَو شِئتَ أَهلَكتَهُم مِّن قَبلُ وَإِيَّايَ أَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِن هِيَ إِلا فِتنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغفِر لَنَا وَارحَمنَا وَأَنتَ خَيرُ الغَافِرِينَ﴾ - ١٥٥ الأعراف.

إن أعظم فضل على كل إنسان بعد فضل الله عليه هو فضل الوالدين فيوصيه الله دائماً بوالديه:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعبُدُوا إِلآ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً إِمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَولاً كَرِيماً * وَاخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ - ٢٣ - ٢٤ الإسراء.

والذي لا يستطيع أن يكون رؤوفاً رحيماً بوالديه لا يستحق حمل إسم إنسان أصلاً ولا أن يكون في المجتمع الإنساني لأنه بعدها لن يستطيع أن يحمل الحب لأحد والذي لا يحب أحداً لا خير فيه أيضاً لأحد من خلق الله لأنه سوف يكون بعدها قاسياً ظالماً لا يعرف العدل أو الإحسان أو الرحمة.

- والله أرسل الرسل للناس رحمة منه لينقذهم مما هم فيه من ظلم وظلام وضلال الطواغيت إلى العدل والنور والهداية ليعيشوا في الأرض محبة وسلاماً.

ومن أجل ذلك أرسل الله لنا رسولنا محمد عليه السلام ومعه رسالة الإسلام هدىً ورحمة للعالمين:

﴿وَمَآ أَرسَلنَاكَ إِلا رَحمَةً لِّلعَالَمِينَ﴾ - ١٠٧ الأنبياء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أ: المحبة وهي من صفات المؤمن الأولى وأول الحب لله وحده لاشريك له:

﴿...وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ...﴾ - ١٦٥ البقرة.

والمؤمن الذي يمتلىء قلبه بِحُبِّ الله يمتلىء حباً للخير يعم كل المؤمنين والمسلمين:

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحبَبتُ حُبَّ الخَيرِ عَن ذِكرِ رَبِّي...﴾ - ٣٢ ص.

ومن يحب الله لابد أن يتبع ماأمر به الله أن يُتَّبَعَ في رسالة الإسلام:

﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم...﴾ - ٣١ آل عمران.

ولكن الإنسان بطبعه وفطرته إذا لم يجبر نفسه على منهج الله ماذا يحب؟

إنه يحب المال:

﴿وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ - ٢٠ الفجر

ويحب الدنيا:

﴿كَلا بَل تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾ - ٢٠ - القيامة.

والانسان يحب شهوات الدنيا:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأنعَامِ وَالحَرثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحَيَوةِ الدُّنيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسنُ المَئَابِ﴾(*) - ١٤ آل عمران.

ويحب الخير لنفسه:

﴿إِنَّهُ لِحُبِّ الخَيرِ لَشَدِيدٌ﴾ - ٨ - العاديات.

ويستحب الدنيا على الآخرة:

﴿الَّذِينَ يَستَحِبُّونَ الحَيَوةَ الدُّنيَا عَلَى الأَخِرَةِ...﴾ - ٣ إبراهيم.

ولكن الله يحب من هؤلاء فقط:

﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾ - ٢٢٢ البقرة.

﴿...وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ - ٢٢٢ البقرة.

﴿بَلَى مَن أَوفَى بِعَهدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ - ٧٦ آل عمران.

﴿...وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ - ١٣٤ آل عمران.

﴿...وَمَا ضَعُفُوا وَمَا استَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ - ١٤٦ آل عمران.

﴿...فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ - ١٥٩ آل عمران.

﴿...وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾ - ٤٢ المائدة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرصُوصٌ﴾ - ٤ الصف.

والحب عاطفة والعاطفة غادرة أحياناً، خاصةً إذا وضعت في غير مكانها الصحيح لذلك يقول سبحانه:

﴿...وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ - ٢١٦ البقرة.

وإن نوال الإنسان للبر والتقوى ليس سهلاً بل يجب أن تنفق في سبيله مما تحب:

﴿...لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ - ٩٢ آل عمران.

(*) الأنعام: هي المواشي من بقر وغنم وإبل. الحرث: الأراضي الزراعية لأنها قابلة للحراثة (الفلاحة).

والمؤمنون يحبون نصر الله:

﴿وَأُخرَى تُحِبُّونَهَا نَصرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتحٌ قَرِيبٌ...﴾ - ١٣ الصف.

والمؤمن لايكون مؤمناً حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه، ومع حبه للمال عليه أن ينفقه في سبيل الله حباً بالخير.

﴿...وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ...﴾ - ١٧٧ البقرة

والله سبحانه يعطينا المقياس حتى نعلم من هو المسلم الذي على منهج الرحمن ومن هو المسلم على منهج الإشراك في الآية الكريمة التالية:

﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكَوةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى البَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ البَأسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ - ١٧٧ البقرة.

وحين البأس (أي في وقت القتال في سبيل الله)

ومن طبع الناس أنهم لايحبون الذين ينصحونهم من الذين تهمهم مصلحتهم من أب وأم وأخ عطوف أو رسول كريم:

﴿...وَنَصَحتُ لَكُم وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ - ٧٩ الأعراف.

والإنسان يحب إذا اغتنى: الاختيال والفخر والله لايحب في العبد هاتين الصفتين:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُختَالاً فَخُوراً﴾ - ٣٦ النساء.

إن الله سبحانه لايحب التطرف في الصفات بل يحب الوسط دائماً، فهولايحب البخل ولا الإسراف بل يحب الكرم الذي هو الوسط بينهما:

﴿...وَءَاتُوا حَقَّهُ يَومَ حَصَادِهِ وَلا تُسرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾ - ١٤١ الأنعام.

فالذي يتصدق بكل ماله مثلاً يعتبر من المسرفين:

﴿...وَكُلُوا وَاشرَبُوا وَلا تُسرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾ - ٣١ الأعراف.

وفي هذه الآية نفهم عدم الإسراف بما يأكله الإنسان ويشربه أيضاً. لأن الطعام والشراب حاجتان ضروريتان من أجل إقامة حقوق الجسد من الطاقة والمحافظة عليها،

بينما الإسراف في الطعام والشراب للمتعة خاصة فيه إسراف أيضاً.

والله سبحانه لم يذكر حب الرسول إلا مرة واحدة في القرآن موصولة وغير مفصولة عن حب الله.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ - ٢٤ التوبة.

فالله في هذه الآية ذكر كل الأشياء التي يحبها الإنسان في هذه الحياة الدنيا منبهاً أنه إذا أحب كل ذلك أكثر من حبه لله ورسوله، وجعل تلك المحبة موصولة وليست مفصولة حتى نفهم أن موضوع الحب واحد، وهو فضل الله ورسوله على الإنسان في موضوع الرسالة الإيمانية التي أتت للإنسان في كتاب القرآن. أما أن نفصل هذا الحب ونجعله حباً لله وحده وحباً للرسول وحده سوف يتبعه أن نفصل أيضاً بين هدي الله وهدي رسوله وسنة الله وسنة رسوله وحديث الله وحديث رسوله وشفاعة الله وشفاعة رسوله، بحيث نخصص المدائح النبوية للرسول ﷺ ونجعل له يوماً خاصاً لولادته نحتفل به حتى نحتفل أيضاً بيوم ولادة السلطان، ونجعله تقليداً واجباً في الإسلام، فهذا إشراك واضح بالله لم يقصده الله ولم يحبه لعباده حتى يجنبهم إشراك الطاغوت وظلمه للعباد.

لذلك لم يعد الله بعد تلك الآية يذكر محبة الرسول في كل القرآن أبداً، حتى لايفسر الناس أن محبة الرسول واجبة على كل مؤمن مفصولة عن محبة الله وحتى لايستغل ذلك السلطان فيجعله مدخلاً للإشراك بالله، للرسول ﷺ أولاً، وغايته أن يصبح هو الشريك الأول من بعد الرسول ﷺ قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ - ٣١ آل عمران.

ولم يقل أبداً: فأحبوني بل قال فاتبعوني واتباع الرسول الأمي لا يكون إلا باتباع ما أتى به من ربه من كتاب (رسالة) القرآن.

والله تعالى قال في القرآن الكريم إن الله يحب وإن الله لايحب، ولم يقل أبداً إن الله ورسوله يحبان، أو أن الله ورسوله لايحبان أبداً، حتى لايفكر مسلم أبداً بإشراك الرسول مع الله في العبادة أو في الحب أو في الدعاء، حتى لايكون باباً مفتوحاً للإشراك لكل من أحب أن يستغل ويدخل من تلك الباب إلى عقول الناس وقلوبهم.

﴿...فَسَوفَ يَأتِى اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ...﴾ - ٥٤ المائدة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ - ١٦٥ البقرة.

أي إننا إذا أحببنا الرسول ﷺ كحبنا لله سواء ذكرناه كذكرنا لله أو أشد، فإننا نكون قد أشركنا محمداً مع الله من دون أن نعلم، وهذا من الإشراك الخفي بحيث إذا ذكر الله لا نعظمه وإذا ذكر الرسول قلنا فورا صلى الله عليه وسلم أو قلنا عليه الصلاة والسلام وهذا معنى قوله تعالى (كذكرنا لله أو أشد).

كثيراً ما أدخل للمسجد يوم الجمعة لأستمع إلى خطبة الجمعة فلا يزيد الخطيب أو يذكر أحاديث يقول عنها بأنها أحاديث قدسية وأخرى بأنها أحاديث عن الرسول ﷺ ولايذكر في كل الخطبة آية واحدة من آيات الله من القرآن الكريم. فهذا نوع من الإشراك لا شك فيه.

ويجب أن نعود لنتفهم معنى الآية الكريمة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ - ١٦٥ البقرة.

فحبنا للرسول يجب أن لايفصل عن حبنا لله. وإن أردنا أن نذكر اسم الرسول يجب أن لايفصل عن ذكر الله أبداً. ونجد في تتمة الآية:

﴿...وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ وَلَو يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذ يَرَونَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ﴾ - ١٦٥ البقرة.

لاحظوا أن الله تعالى لم يقل (والذين آمنوا أشد حباً لله وللرسول) بل خصها حباً لله حتى لانقع في الإشراك.

﴿...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُم...﴾ - ٧ الحجرات.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ب: الرأفة من صفات المؤمنين والمتقين:

حتى نأخذ المعنى من كلام الله المباشر في القرآن الكريم: نأخذ الآية:

﴿...وَجَعَلنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأفَةً وَرَحمَةً...﴾ - ٢٧ الحديد.

وهكذا نعلم أن الرأفة والرحمة لهما معينان مكملان لبعضهما البعض لذلك غالباً مانجد الله يقول:

﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٤٣ البقرة.

﴿...ثُمَّ تَابَ عَلَيهِم إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١١٧ التوبة.

وقد وصف الله سبحانه بهذا الوصف العظيم الذي هو من صفات الله الدائمة لأول مرة أحداً من عباده كلهم فقال عن الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه:

﴿عَزِيزٌ عَلَيهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٢٨ التوبة.

والرأفة تتبع عادة لحالة وموقف من الإنسان، وهي حالة وموقف الضعف من المرؤوف به فعندما نقول رأفة الأم بابنها، تأتي الرأفة متلازمة مع موقف الابن وحاله من الضعف، والمال قوة والفقر ضعف. وبما أن الغني الحقيقي هو الله مالك كل شيء، فالله يرأف لحال كل الضعفاء في العالم، أما الظالم الذي يتعدى على حرمات الناس ولايخاف الله ولايحترم عرفاً ولا قانوناً، فهو غير جدير بالرأفة من الله أو من الناس. لذلك يقول سبحانه عن الزاني والزانية اللذين يرتكبان كبيرة من كبائر الإسلام بفعلهما:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنهُمَا مِائَةَ جَلدَةٍ وَلا تَأخُذكُم بِهِمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَليَشهَد عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ المُؤمِنِينَ﴾ - ٢ النور.

وتلازم رأفة الله مع رحمته كما قلنا آتية لأنهما يكملان بعضهما بالمعنى المقصود، وهاتان الكلمتان ليستا مترادفتين كما يظن الكثيريون فليس من المعقول قطعاً أن يجعل معنى الكلمتين واحداً في الآية:

﴿...إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ٦٥ الحج.

فلو كان المعنى واحداً لصارت الآية: إن الله بالناس لرؤوف رؤوف - لايستقيم المعنى أو إن الله بالناس لرحيم رحيم. أيضاً هذه لاتستقيم فالكلمتان متممتان لمعنى يقصده الله حتى تكتمل الصفة في رؤوف رحيم

﴿...وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ - ٣٠ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ج: الشفقة:

ماذا نجد في كلام الله عن الشفقة؟

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِم...﴾ - ٢٢ الشورى.

وفي آية أخرى:

﴿اللَّهُ الَّذِى أَنزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ - ١٧ الشورى

ثم في الآية التي بعدها يقول سبحانه متحدثاً عن الذين لايؤمنون بالساعة ويوم القيامة: ﴿يَستَعجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشفِقُونَ مِنهَا وَيَعلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ - ١٨ الشورى

هنا صار المعنى واضحاً: هي المعرفة عن طريق العقل والإيمان ممزوجاً بالخوف والرهبة لشيء مستقبلي وقادم على الإنسان لاشك فيه، وهذه صفة خاصة بالإنسان.

لذلك نجد في كل الآيات أن كلمة المشفقون لاتأتي إلا صفة للبشر ولايمكن أن نصف الله أبداً بها، ونقول مثلاً إن الله شفوق أبداً، لأن صفة الخوف والرهبة هي من صفات عبيد الله وليست من صفات الخالق أبداً. قال الله في وصف الملائكة:

﴿يَعلَمُ مَّابَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلا يَشفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ﴾ - ٢٨ الأنبياء.

ومعنى مشفقون في هذه الآية الخوف الممزوج بالخشية من الله، وهو موقف معروف، موقف العبد بين يدي ملك جبار، فيكون العبد في موقف الخوف الممزوج بالخشية مادام في حضرة ملكه والله تعالى يريد أن يخلص عباده من ذلك الموقف ويحررهم من الطاغوت في الأرض.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّن عَذَابِ رَبِّهِم مُّشفِقُونَ﴾ - ٢٧ المعارج.

أي يخشون ويخافون ذلك العذاب لأنهم يؤمنون به لإيمانهم بصدق الله بما وعدهم به من النعيم وكما صدقوا أيضاً بوعيد الله وعذابه في الجحيم لذلك نجد الآية التي قبلها والتي بعدها توضح المعنى أكثر.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾ - ٢٦ المعارج.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِم غَيرُ مَأمُونٍ﴾ - ٢٨ المعارج.

وقال سبحانه في وصف أهل الجنة وهم يتحاورون، وهو نوع من أنواع الإعجاز القرآني بجعل المستقبل حاضراً وأحياناً ماضياً حتى يكتسب صفة اليقين فيقول سبحانه:

﴿وَأَقبَلَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبلُ فِي أَهلِنَا مُشفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَينَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ - ٢٥ - ٢٧ الطور.

والمعنى واضح حيث يقولون إنا كنا قبل في أهلنا نخشى الله ونخاف من ناره، فمن الله علينا لأننا لم نفعل مايغضبه فوقانا من تلك النار.

﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجرِمِينَ مُشفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾ - ٤٩ الكهف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين

د: الرفق: من صفات المؤمنين:

رَفِقَ به أي كان لطيفاً معه أو لَطُفَ به، والرفق: لِينُ الجانب ارتَفَقَ: أي اتكأ على مِرفَقِ يده مستنداً إلى مسند أو مخدة أو بمتكأ ما.

﴿...يَنشُر لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحمَتِهِ وَيُهَيِّئ لَكُم مِّن أَمرِكُم مِّرفَقاً﴾ - ١٦ الكهف.

أي ييسر الله لكم أمركم.

وأما في قوله تعالى:

﴿...بِئسَ الشَّرَابُ وَسَآءَت مُرتَفَقاً﴾ - ٢٩ الكهف.

فالكلام هنا عن النار، فمن يتوسد النار في جهنم ماذا يمكن أن يصفه الله بأحسن من تلك الآية:

﴿...وَسَآءَت مُرتَفَقاً﴾ وهل هناك أسوأ من النار يمكن أن يلجأ إليها الإنسان لجعله متكأً، ولايتكيء الإنسان إلا إذا أراد الراحة من بعد تعب، فهل يمكن أن نتصور راحة لمن يتوسد النار. فهذا وصف حي للذي يعيش في الجحيم. بينما نجد عكس هذا الوصف تماماً في الآية التي تأتي بعدها:

﴿نِعمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَت مُرتَفَقاً﴾ - ٣١ الكهف.

والله يصف لنا كيف يتكيء أهل الجنة حتى نرى الفرق بين الحالتين ونتصوره في مخيلتنا وعقولنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلاً﴾ - ٣٠ الكهف.

فهؤلاء المؤمنون الذين كانوا يعملون أعمالاً صالحة لبناء حضارة الأرض وإعمارها قبولاً للأمانة التي كلفهم بها ربهم متحملين للمسؤولية عما يختارونه بحريتهم، وهم قد

اختاروا الإيمان وقبلوا باستخلاف الله لهم على الأرض ليعملوا فيها الأعمال الصالحة لإعمارها وإصلاحها فيقول لهم ربهم:

لن أضيع عليكم أجركم الذي وعدتكم إياه فكما نلتم أجوركم عن أعمالكم في الحياة الدنيا، كذلك سوف أوفيكم أجوركم عنها في الآخرة. وماذا كان أجرهم في يوم القيامة عند ربهم.

﴿أُولَئِكَ لَهُم جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِى مِن تَحتِهِمُ الأَنهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلبَسُونَ ثِيَاباً خُضراً مِّن سُندُسٍ وَاستَبرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَآئِكِ نِعمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَت مُرتَفَقاً﴾ - ٣١ الكهف.

وهكذا فأناس يتكئون على الريش، والآخرون يتكئون على النار من حطبات جهنم. وهذا مايقصد بالإعجاز التصويري في القرآن الكريم.

علماً أن أوصاف الجنة والجحيم كلها أوصاف مجازية وهي كلها للتقريب لأن ما في الآخرة كله ليس من مدركات حواس الإنسان اليوم، سواء ما كان منها في دار النعيم أو ما كان منها في دار الجحيم.

هـ: العطف وهي من صفات المؤمنين الدائمة:

معنى العطف لغة هو ثني الشيء على نفسه بحيث يبلغ طرفه الأول طرفه الأخير. مثل عطف الحبل أو الخيزران أو الجسم البشري المرن، ويقال ثنا عطفه إذا أعرض ونأى بجانبه، كناية عن من لم يعجبه المقال أو الموقف فأدار ظهره لمن كان يخاطبه وبدأ يتكلم مع سواه مع تعمد التجاهل. كما نقول في العربية صعَّرَ خدّه كناية عن التكبر أو نقول شمخَ بأنفه أو نحو ذلك.

وإذا قلنا عَطَفَ عليه فهي مأخوذة من منظر الحيوان الذي يعطف ويثني جسده على صغاره شفقة وحناناً عليها، وقلنا أن الشفقة نوع من الخوف أي خوفاً عليها وحماية لها. فنقول مثلا: وظبية عاطفة على ولدها، وناقة عطوف على بَوّها.

لذلك فالعطف من الصفات المطلوبة لتكون بين المسلمين حُباً وحماية لبعضهم البعض، وتخوفاً على مصلحتهم المشتركة، فيكون العطف رابطة تجمع الكل كما يجمع الله سبحانه خلية النحل بروابط الإلفة والتفاهم بين الجميع. فالعطف على الصغار والأطفال مطلوب من الجميع سواء كانوا آباء أو مدرسين ومربين مع وجود المحبة.

و: المغفرة ومن صفات المؤمن التسامح والمسامحة:

أصل الكلمة من غفر هنا موسى عليه السلام ارتكب كبيرة قتل النفس، فيستغفر ربه قبل الرسالة ويقول تائباً مستغفراً.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفسِى فَاغفِر لِى فَغَفَرَ لَهُ...﴾ - ١٦ القصص.

أي رب امحِ لي خطاياي فمحاها له الله سبحانه.

وأصل المعنى أتى من صان من العذاب، والمغفرة لاتكون إلا لخطيئة لها عقاب عند الله يوم الحساب، فإذا صان الله العبد من العذاب صان بمعنى أغفل أو غَض النظَر عن محاسبته، وتصبح بالتالي أن الله غض النظر عن الخطيئة بالغفران أو المغفرة، لذلك يقول الله سبحانه:

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهتَدَى﴾ - ٨٢ طه.

﴿...لَمَغفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾ - ١٥٧ آل عمران.

ولايشترط في المغفرة أن تكون دائماً من الله، فالمؤمن أيضاً في الحياة الدنيا وفي علاقاته مع الناس يجب أن يغفر لإخوانه وجيرانه وأقربائه، والناس الذين يتعايشون معه إذا صدف وأخطأوا معه ثم عادوا وطلبوا المغفرة منه. أو حتى إذا نسوا ذلك فمن صفات المؤمن بالله أن يكون غفاراً لإخوانه قدر الإمكان وقدر طاقته كإنسان مؤمن بالله موحد له ولكتابه.

لذلك يقول الله سبحانه عن مثل تلك العلاقات:

﴿قَولٌ مَّعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتبَعُهَآ أَذًى...﴾ - ٢٦٣ البقرة.

﴿...وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾ - ٣٧ الشورى.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ...﴾ - ١٤ الجاثية.

لكن بشكل عام فإن المتعارف عليه في الإسلام أن كلمة المغفرة والغفران ومشتقاتهما عادة ماتستخدم لله سبحانه وتعالى، وأما في العلاقات مع الناس فيقولون سامح بدلاً من غفر غالباً.

ولايغفر الذنوب إلا الله:

﴿...فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ...﴾ - ١٣٥ آل عمران.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ...﴾ - ١١٦ النساء.

﴿...لا تَقنَطُوا مِن رَّحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً...﴾ - ٥٣ الزمر.

﴿سَوَآءٌ عَلَيهِم استَغفَرتَ لَهُم أَم لَم تَستَغفِر لَهُم لَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم...﴾ - ٦ المنافقون.

ز: العفو من صفات المؤمنين الدائمة:

وأصل المعنى من عفا. والعفو هو التجافي عن الذنب.

﴿وَجَزَآؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثلُهَا فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ - ٤٠ الشورى.

المعنى واضح بأن الذي يقوم بسيئة عليه أن يتحمل في مقابلها سيئة مثلها. وهذا هو عدل شريعة الإسلام. ثم يقول سبحانه فمن عفا وأصلح: عفا هنا يشير إلى الطرف المتضرر لأنه لايعقل أن يكون الطرف المسبب للسيئة هو الذي يعفو ويتجافى عن ذنب قام به بنفسه، فإذا عفا الطرف المتضرر فعلى الطرف الثاني المسبب للضرر أن يصلح الخطأ أو السيئة بمال أو اعتذار للصلح بين الطرفين.

وإذا كانت الخطيئة بين العبد وربه.

﴿...عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنهُ...﴾(*) - ٩٥ المائدة.

والله سبحانه يشجع المؤمن على العفو مع تذكيره بأن العدل يقول أن من حقه القصاص والاقتصاص من المسيء بمثل ماأساء:

﴿...وَليَعفُوا وَليَصفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغفِرَ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٢٢ النور.

وفي آيات الطلاق نجد:

﴿...إِلَّآ أَن يَعفُونَ أَو يَعفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعفُوا أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَلا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ - ٢٣٧ البقرة.

هذا في حال طلاق المرأة قبل أن يمسها العريس. فمن حق العروس نصف المبلغ المفروض، وهو المبلغ الذي لم يدفع بَعدُ أي مؤخر الصداق. أما المهر الذي

(*) وهذا جزء من آية الصيد حيث يبيّن الله سبحانه الأشهر الحرم في السنة وهي كانت تصدف في أول الإسلام في أشهر الربيع وأوائل الصيف حتى تلد الحيوانات وترضع صغارها دون أن تتعرض للقتل في هذه الفترة. وقد شرحت كيف تتم هذه العملية بإضافة شهر كل ٣٢ شهر قمري، الشهر رقمه ٣٣ من أجل مطابقة السنة القمرية مع السنة الشمسية بشكل دائم.

دفع فانتهى أمره لايتكلم عنه الله بل يتكلم سبحانه عن الفريضة: والآية واضحة:

﴿وَإِن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾ - ٢٣٧ البقرة.

أي حددتم لهن مبلغاً ليكون مؤخراً للصداق.

﴿...فَنِصفُ مَا فَرَضتُم إِلآ أَن يَعفُونَ أَو يَعفُوا الَّذِى بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ...﴾ - ٢٣٧ البقرة.

أي من حقها كما قلنا نصف المبلغ المفروض لها، إلا أن تعفو أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح.

وقد خاطب الله الرسول ﷺ باعتباره قائد المسلمين في عصره قائلاً سبحانه:

﴿...فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِى الأَمرِ...﴾ - ١٥٩ آل عمران.

﴿...فَاعفُ عَنهُم وَاصفَح إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ - ١٣ المائدة.

﴿...فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّى يَأتِيَ اللَّهُ بِأَمرِهِ...﴾ - ١٠٩ البقرة.

﴿...فَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَىءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعرُوفِ...﴾ - ١٧٨ البقرة.

وقوله سبحانه:

﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ - ١٩٩ الأعراف.

خذ العفو: أي خذ مايسهل أخذه وتناوله، وأمر بالمتعارف عليه بأنه عدل ومقبول بين الناس عرفاً وعادة. واعرض عن الناس الذين يقولون مايخطر على فكرهم دون علم أو بصيرة نتيجة جهل مطبق - هؤلاء لايمكن التفاهم معهم أبداً. أما في قوله سبحانه:

﴿...وَيَسئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ...﴾ - ٢١٩ البقرة.

فالمعنى بنفس معنى الآية السابقة، أي قل لهم بأن ينفقوا مايسهل إنفاقه مأخوذاً عن معنى مايسهل أخذه وتناوله. فمثلاً في الدعاء أسألك العفو والعافية بمعنى أسألك ترك العقوبة وتجاهلها وكما أسألك السلامة معها. وعندما نقول بالعربية أعفوا اللحية: نقصد اتركوها تنمو كما تشاء وتستطيل. والعافي: هو مايردّه مستعير أواني الطبخ من الطعام الذي طبخ فيه كنوع من رد المعروف. أي ماتعارف عليه الناس من عمل الخير.

﴿...وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ...﴾ - ١٣٤ آل عمران.
أي يتركون مالهم من حقوق للناس (مثل إساءة) لهم الحق بأُخذها أو دين يعجز بعض الناس عن دفعه. لذلك يقول الله سبحانه:
﴿إن تُبدُوا خَيراً أَو تُخفُوهُ أَو تَعفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيرًا﴾ - ١٤٩ النساء.
صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢ ـ المودة:

مامعنى ود في القرآن الكريم؟

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً...﴾ ـ ١٠٩ البقرة.

﴿...وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَغفُلُونَ عَن أَسلِحَتِكُم وَأَمتِعَتِكُم فَيَمِيلُونَ عَلَيكُم مَّيلَةً وَاحِدَةً...﴾ ـ ١٠٢ النساء.

ود هنا بمعنى رغبة قوية وجامحة مكبوتة في القلب ضد منافس أو عدو.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ لَو يُضِلُّونَكُم...﴾ ـ ٦٩ آل عمران.

﴿...يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ...﴾ ـ ٩٦ البقرة.

هي معاني وَدَّ ومشتقاتها، وكلها تعطي نفس المعنى تقريباً.

ولكن ماذا إذا كانت الواو مضمومة بضمة فوقها مثل: وُدَّاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجعَلُ لَهُم الرَّحمَنُ وُدَّاً﴾ ـ ٩٦ مريم.

أو وردت على شكل وَدُود:

﴿وَاستَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ـ ٩٠ هود.

أو عندما تصبح اسماً من أسماء الله الحسنى وصفاته المعروفة كما في الآية السابقة والتالية:

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾ ـ ١٤ البروج.

ولنفهم معنى الود والمودة أكثر، نفهمها من الآية التالية التي تبين لنا عكسها: فعكس أحب كَرِهَ وعكس المودَّة العداوة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ وَرُهبَاناً وَأَنَّهُم لا يَستَكبِرُون﴾ ـ ٨٢ المائدة.

كما قال سبحانه:

﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَولِيَاءَ تَلقُونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ﴾ ـ ١ الممتحنة.

ونفهمها أكثر من الآية التالية واصفاً نفسية الأعداء من المشركين:

﴿إِن يَثْقَفُوكُم يَكُونُوا لَكُم أَعدَاءً وَيَبسِطُوا إِلَيكُم أَيدِيَهِم وَأَلسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَو تَكفُرُونَ﴾ - ٢ الممتحنة.

ويبين رب العالمين أن القربى والقرابة الحقيقية التي يجب أن يبحث عنها المؤمن في جميع الحالات، هي قرابة الفكر والعقيدة والإيمان وتلك هي الأخوة الحقيقية. ولكن ليس معنى ذلك أن يقطع الإنسان رحمه:

﴿لَن تَنفَعَكُم أَرحَامُكُم وَلَآ أَولَادُكُم يَومَ القِيَامَةِ يَفصِلُ بَينَكُم وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ - ٣ الممتحنة.

والله تعالى يؤكد على صحة هذه الفكرة في أماكن كثيرة من القرآن حتى لانضع المودة والرحمة في غير أماكنهما:

﴿...لا تَتَّخِذُوا ءَابَآءَكُم وَإِخوَانَكُم أَولِيَآءَ إِنِ استَحَبُّوا الكُفرَ عَلَى الإِيمَانِ...﴾ - ٢٣ التوبة.

فالله تعالى لم يطلب قطع الرحم وإنما أن لانعطيهم الولاية على أمورنا والفرق كبير. والله سبحانه وتعالى جعل المودة والرحمة بين الذكور والإناث ليستطيعوا بها التعايش بعد إنشاء الإسرة عن طريق الزواج وتربية الأولاد والعناية بهم.

﴿وَمِن ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً لِتَسكُنُوا إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - ٢١ - الروم.

والمودة بين المؤمنين مطلوبة في الإسلام قطعاً، وقبلها المودة بين الأقارب من الرحم إن كانوا من نفس العقيدة وكانوا كلهم على الإيمان. فقال الله تعالى لرسوله حتى يبلغ المسلمين:

﴿قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلا المَوَدَّةَ فِى القُربَى﴾ - ٢٣ الشورى.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣ ـ الشفاعة:

إن أحد المواضيع التي سقط فيها كثير من المسلمين إشراكاً بالله هو موضوع الشفاعة، وقد يستغرب المسلم أن يسمع ذلك لظنه أنه موحد لله لمجرد أنه يقول كل يوم لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل صلاة يصليها ويسمعه في كل أذان. ولكن عند التطبيق يزور كل مسلم قبور القدماء من الآباء والأمهات من الذين نعتقد فيهم الصلاح ونقول عنهم من الأولياء الصالحين، ونقصدهم بغرض الدعاء أو الشفاعة عند الله، لطلب شيء ما برجوع غائب أو حبيب من ولد أو زوج، أو طلب الشفاعة لإنسان مات أو قتل، أو تقديم النذور عند قبر ذلك الصالح مما نراه في بلادنا الإسلامية، حيث توجد المزارات. إن كل ذلك بدعة وإشراك بالله صريح، وما أتى الإسلام أصلاً إلا من أجل إلغاء الشرك بالله بأسلوب الشفاعة، وهذا ماكان عليه أسلوب الإشراك عند مشركي مكة القدماء، والفرق الوحيد بيننا وبينهم الآن أنهم كانوا يصنعون لها أصناماً يرمزون بها إليها، ونحن صنعنا لهم أصناماً في خيالنا وعقولنا. وكانوا يتشفعون بالملائكة عند الله ونحن نتشفع عند الله بالناس، ابتداء بالرسول ﷺ ونزولاً ببناته ثم بعلي بن أبي طالب وأبنائه رضي الله عنهم وغفر لهم أجمعين، ومن نعتقد فيهم أنهم كانوا من الأولياء الصالحين اعتباراً من صحابة الرسول الكريم وحتى اليوم وكل ذلك كما قلت إشراك صريح بالله لا لُبسَ فيه ولا شكّ، بل هو إشراك يقيني يرفضه الله تعالى، ولا يقبل به أبداً.

وقد يسأل سائل وهل زيارة القبور إشراك بالله؟

أجيب المتسائل من خلال آيات الله في القرآن وتفهمها، أن ذلك يعود للزائر ونيته وقصده، فإذا كان الزائر للقبور سواء كانت لقبر الرسول ﷺ أو لقبور آباء وأمهات الزائر نفسه، بقصد ونية الصلاة والدعاء لهم، مع قصد تذكر الموت، وأن الدنيا فانية لإلانة قلبه بعد قساوةٍ خوفاً من أن يظلم الناس والله يطلب منه العدل والإحسان، فلا بأس من زيارتها. علماً أن الله والرسول لم يطلبا أبداً زيارة القبور خوفاً على المسلمين من الإشراك. أما إذا كانت زيارته لتلك القبور لاعتقاده بأن سكانها يسمعونه وأن أرواحهم تجتمع فوق تلك القبور وأنهم يستجيبون إذا حدثهم أو طلب لهم الشفاعة من الأولياء والصالحين، فتلك كلها بدع وإشراك وإيمان بما لم ينزل به الله سلطاناً وكلها

دخلت علينا خلال عصور الانحدار الإسلامي الطويلة، من معتقدات وعادات الشعوب التي دخلت الإسلام. فلم تستطع أن تتخلص من عادات الإشراك القديمة فأبقت عليها وظنها الأبناء مع الزمن بأنها من الإسلام الصحيح. وهي ليست كذلك وكل الأحاديث التي تؤيدها مفتراة.

وبعد هذه المقدمة السريعة للتعريف بالشفاعة أعود لأتكلم عن الشفاعة ومصدر هذه الكلمة ومعناها لنفهم عنها أكثر، لأهميتها الكبرى.

شفَعَ ـ يشفَعُ ـ شفاعة الشفع والوتر. يقال الشفع للأزواج، والوتر للمفرد، مثل ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٨ أو ٣ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٩ والشفاعة: هي الانضمام إلى أخر مؤيداً له وناصراً.

وفي الشفاعة عادة الأعلى هو الذي ينضم وينصر الأدنى عند من هو أعلى منهما مقاماً. كأن يتقدم إنسان له وزنه ومركزه في مملكة مثلاً إلى الملك يطلب الشفاعة للنظر بعين الرأفة في موضوع شخص أو أشخاص قاموا بأعمال منافية لقوانين وسنن الملك. والملك عازم على اتخاذ أشد الإجراءات بحقهم.

والشفاعة في القرآن تأتي بمعنيين مختلفين تماماً فهي إما شفاعة على الأرض، أو هي شفاعة في السماء، ولاتحدث إلا يوم الحساب، وهو بأمر الله وحده فنجد الله سبحانه يقول عن الحالة الأولى:

﴿مَّن يَشفَع شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنهَا وَمَن يَشفَع شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفلٌ مِّنهَا...﴾ ـ ٨٤ النساء.

لو فرضنا أن شخصاً تشفع لإنسان مظلوم وأنقذه من ظلم أشد كان يمكن أن يقع فيه، فهذا قد شفع شفاعة حسنة وله من الله نصيب وحسنة بما فعل.

ولو فرضنا أن شخصاً آخر تشفع لقاتل ومجرم حقيقي يستحق أشد العقوبات فأطلق سراحه. فهذه شفاعة سيئة له أيضاً منها نصيب من رب العالمين، وهاتين الشفاعتين على الأرض وبين الناس وهناك شفاعة أخرى على الأرض من الله لعباده يسمح فيها أحياناً بالشفاعة لمن ارتضى من عباده المكرمين من الملائكة كما في قوله تعالى:

﴿يَعلَمُ مَّابَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلا يَشفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ﴾ ـ ٢٨ الأنبياء.

أما في الآخرة في يوم الحساب، فالله يقول لنا بصراحة بأنه لامجال للشفعاء عنده وقتها، لأن الشفاعة لو وجدت عند الله في ذلك اليوم لكانت مجالاً للظلم بين العباد،

والله لايظلم مثقال ذرة إذن: لايشفع أحد عند الله يوم القيامة.

لنستمع إلى آيات الله وهو يقرر بنفسه سبحانه هذه الأمور:

﴿...مَن ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِندَهُ إِلا بِإِذنِهِ...﴾ - ٢٥٥ البقرة.

هنا التساؤل ليس للإقرار وإنما للإنكار، وهذا أسلوب من أساليب البلاغة في العربية. أي من الذي يستطيع أن يدعي ويقول بأنه شفيع عند الله، والله لم يأذن لأحد بذلك أبداً يوم القيامة.

وإذا قلنا بل إن الله قد سمح له بالشفاعة لديه. أقصد للرسول محمد ﷺ يقول لنا سبحانه أين البرهان؟ والبرهان يجب أن يكون في كتاب الله الذي هو القرآن.

وماعداه لايعتبر برهاناً لشيء بل كله ظن واحتمال، والظن والاحتمال يقرر لنا رأيه فيهما بصراحة ويقول لنا دائماً:

﴿...إِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً...﴾ - ٣٦ يونس.

أي أنه لايساوي في مقياس الله شيئاً وليس له أية قيمة مطلقاً فهو مجرد ظن. لذلك يقول لنا سبحانه بصراحة:

﴿قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ﴾ - ٤٤ الزمر.

﴿مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ - ٤ السجدة.

وحتى يتأكد القارىء أنه سبحانه يتكلم عن ذاته لنقرأ الآية كاملة:

﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا فِى سِتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ - ٤ السجدة.

بعد تلك الآيات البينات من كتاب الله التي لاتحتاج إلى تأويل ولا إلى تفسير. فإذا غض المسلم النظر عنها وقال بما هو موجود في صحيح البخاري ومسلم يكون كما يصفه الله في الآية التالية:

﴿...لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ بِهَآ أُولَئِكَ كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ - ١٧٩ الأعراف.

فقد ورد في باب إثبات الشفاعة للإمام مسلم من المسلسل ٣٠٤ حتى المسلسل ٣٨٠ أي ٧٦ حديثاً عن مواضيع الشفاعة كلها متشابهة، بأنها تناقض القرآن الكريم. وسوف أضرب منها ثلاثة أمثلة لإعطاء فكرة عن أسلوب فهم علماء المسلمين للذات

الإلهية وكأنه سلطان يجلس على عرشه في السماء وتجلس حاشيته الذين هم الملائكة والرسل، وعلماء المسلمين من حوله يتسامرون. وحتى لايظن القارىء بأني أظلم أحداً فسوف أسرع بالأمثلة:

حديث الشفاعة:

الحديث ١٩٣ ـ المسلسل ٣٢٦ صحيح مسلم. حدثنا أبو الربيع حدثنا معبد بن هلال العَنَزي. قال: انطلقنا إلىأنس بن مالك وتشفعنا بثابتٍ فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى. فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه. وأجلس ثابتاً معه على سريره. فقال له: يا أبا حمزة! إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة. قال:

حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض. فيأتون آدم فيقوون له: اشفع لذريتك. فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام، فإنه خليل الله. فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام. فإنه كليم الله. فيأتي موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام. فإنه من روح الله وكلمته. فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فاوتى فأقول: أنا لها. فانطلق فاستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن. يلهمنيه الله. ثم أخر له ساجداً. فيقال لي: يامحمد! ارفع رأسك. وقل يُسمع لك. وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: رب! أمتي. أمتي. فيقال: انطلق. فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها. فانطلق فأفعل. ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً.

فيقال لي: يامحمد! ارفع رأسك. وقل يسمع لك. وسل تعطه. واشفع تُشفَّع فأقول: أمتي. أمتي. فيقال لي. انطلق. فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه منها. فأنطلق فأفعل. ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد. ثم أخِر له ساجداً. فيقال لي: يامحمد! ارفع رأسك وقل يُسمع لك. وسل تعطه. واشفع تُشفَّع فأقول: يارب أمتي. أمتي. فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل».

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبّان قلنا لو ملنا على الحسن بن على رضي الله عنهما فسلمنا عليه، وهو مُستَخفٍ في دار أبي خليفة. قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه. فقلنا يا أبا سعيد! جئنا من عند أخيك أبي حمزة. فلم

نسمع مثل حديث حَدَّثَناه في الشفاعة. قال: هِيِهِ! فحدثناه الحديث. فقال: هِيِهِ! قلنا مازادنا. قال حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع (معناه مجتمع القوة والحفظ) ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا. قلنا له: حد ثنا. فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل. وماذكرت هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه. «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد. ثم أخر له ساجداً. فيقال لي: يامحمد! ارفع رأسك وقل يُسمع لك. وسل تعطَ. واشفع تُشَفَّع. فأقول: يارب أئذن لي فيمن قال: «لا إله إلا الله». قال: ليس ذاك لك، ولكن وعزتي وكبريائي! وعظمتي وجبريائي! لأخرجن من قال: (لا إله إلا الله.) قال فأشهدُ على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك، أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع. انتهى الحديث.

هذا الحديث الطويل لايناقض القرآن في موضوع واحد بل في مواضيع متعددة منها:

١ ـ إنه يناقض الآيات التي تقول بأن الله لم يسمح بالشفاعة لمخلوق من خلقه بعد ليشفع يوم القيامة. وأن الشفاعة لله وحده جميعاً في ذلك اليوم.

٢ ـ إنه يناقض الآيات التي تقرر بأنه لايعلم الغيب من في السموات والأرض إلا الله سبحانه.

٣ ـ إنه يناقض الآيات التي تقرر بأنه لايدخل الجنة إلا من توفرت فيه ثلاثة شروط أساسية أبداً: وهي الإيمان بالله. وهذا الإيمان يستوجب القيام بالعبادات الخمسة والالتزام بالصراط المستقيم وعدم الوقوع في الكبائر العشرة، والالتزام بما حرم الله وحلله والالتزام بحدود الله. ثم الإيمان بيوم القيامة والحساب والثواب، ثم القيام بالعمل الصالح في الحياة الدنيا، عمل له أجر في الدنيا وله أجر من الله إن كان صالحاً مصلحاً. بينما الفقرة الأخيرة التي نسبت ظلماً للحسن بن علي رضي الله عنهما لايتوفر فيه الشروط الثلاثة كلها، لأنه مجرد قول باللسان (لا إله إلا الله) يمكن أن يقوله الكافر والمشرك بلا إيمان في القلب ولا التزام به بالطاعة في العبادات ولا إيمان باليوم الآخر ولا عمل صالح يقابله بل يمكن أن يقوله فاعل الكبائر كلها.

٤ ـ موضوع يوم القيامة والشفاعة لايزال موضوعاً مستقبلياً ولايعلم موعده إلا الله سبحانه ولايزال في الأرض أناس مازالوا تحت اختبار الله لهم وفتنتهم بالشيطان هل سيختارون سبيل الله أم الشياطين لم يتقرر لأحد بعد. وهناك أطفال لم يدخلوا الاختبار بعد. وهناك ناس كثيرون لم يخلقوا بعد وسوف يخلقون في المستقبل ولم يقرر لهم الله

بعد ماذا سوف يختارون. لأن الله العادل الصادق الوعد الأمين، أراد أن يكون ذلك باختيار الناس وحريتهم ومسؤوليتهم. لذلك فالله يقول لنا في القرآن أنه بمشيئة وإرادة مسبقة وليس عن عجز منه قدَّر أن لايعرف مَنِ الذين سيدخلون النار ومَن الذين سيدخون الجنة، حتى تكون المسؤولية كاملة على الناس أصحاب ذلك القرار بحريتهم، وهذه هي الأمانة التي حملهم الله إياها منذ البداية. وبناء عليه فإن هذا الحديث الذي يقرر بصراحة أن الرسول أوسع علماً من الله!! فيه استحالة للفرض قبل استحالة البرهان.

٥ ـ خامساً وأخيراً: الحديث نفسه يناقض أحاديث كثيرة في الصحيحين حيث يعلمنا فيها الرسول ﷺ بأنه لايعرف من غيب الله شيئاً.

مثلاً الحديث ١٢٤٣ صحيح البخاري عن يحيى بن بكير عن.... عن... عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء وهي امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ أخبرته أنه اقتسم المهاجرون تركة فطار لنا (قرعة) عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه. فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت:

رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: ومايدريكِ أن الله أكرمهُ؟ فقلت: بأبي أنت يارسول الله. فمن يكرمه الله؟ فقال عليه السلام: «أما هو فقد جاءه اليقين. والله إني لأرجو له الخير والله ماأدري وأنا رسول الله مايُفعَلُ بي» قلت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

وهكذا فقد وجدنا ماقرأناه في صحيح مسلم من حديث الشفاعة يناقض أحاديث أخرى موجودة أيضاً في الصحيح وهذا معناه أن تلك الأحاديث صفتها الأولى أنها تناقض بعضها البعض.

والله سبحانه يعطينا وصفاً في القرآن حتى نميز الذي هو من عند الله عن الذي من عند غيره فيقول:

﴿...وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ - ٨٢ النساء.

ولقد وجدنا أنها تناقض القرآن في ثلاثة مواضع رئيسية، وهذا دليل أن الرسول لايمكن أن يناقض أبداً ما أتى به من عند الله، ولو شاء أن يناقض ذلك لعصمه الله لأنه تحت ملاحظة الله ومراقبته الشديدة في كل كلمة يبلغها عن ربه. هذا بغض النظر عن أمانته وصدقه المعروفين. إذن فكل ماسمعناه هو من تأليف (نزلاء الكهف العظيم) أو من

مساعدي السلطان من الحاقدين الذين صمموا أن يقلبوا دين الإسلام فوق رؤوس أهله حقداً وكراهية وحسداً. مناقضين علناً كتاب الله. ومن شاء أن يتوسع فأمامه كل كتب الحديث بما فيها الصحيحين على رأس القائمة، وكلها تناقض بعضها وتناقض القرآن، إلا بعض الأحاديث التي شاء السلطان أن لايغيرها، وتتعلق غالباً في مواضيع العبادات التي لايهمه أن يغير فيها كثيراً. لأن صلاة الناس وصيامهم وحجهم من الأمور التي تساعده على تحويل الناس الذين يميلون للعنف بطبعهم إلى أناس يميلون للطاعة والسلم للسلطان ومعاونيه، وهو مرغوب ومطلوب بالطبع في كل زمان لكل السلاطين. أما عبادة القراءة فقد ألغاها أصلاً لأنه لايريد أن يمس القرآن كله مسلم حتى لايعلم أحد من الأمة ماله من حقوق على السلطان والثاني أن آيات الزكاة تناقض مايفعل هو، بحسب الأحاديث التي ألفها له الجنود ليتصرف بتلك الأموال، فيمنحها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء، وبحسب مزاجه الشخصي متناسياً أحكام الله في القرآن.

٤ ـ الصدق: من صفات المؤمنين الدائمة:

من أهم صفات الإنسان المتطور علماً وثقافة الصدق. والصدق لايكون في القول فقط بل يكون في أشياء كثيرة. مثل:

الصدق في المواعيد، فكلما رقي المجتمع في سلم الإنسانية تميز بصدق المواعيد والله سبحانه يريد للإنسان المؤمن بالله أن يكون أرقى الناس فيكون صادق الوعد والمواعيد.

والصدق في العمل، وفي مواقيت العمل وفي دقة العمل وإتقان العمل كل ذلك مطلوب من الإنسان المسلم الذي يريد أن يكون من المتقين المقربين من الله.

ومن أهم صفات الشعب أو الأمة المشركة بالله الكذب في كل شيء أيضاً، الكذب في القول الكذب في المعاملة، الكذب يصبح وسيلة للتهرب من كل شيء، عندما يعم الكذب ينتهي معه الحياء والخجل، فإذا واجهت الكاذب في كذبه يقول لك ببساطة إنها المصلحة، فمصلحته إذا اقتضت الكذب فسوف يكذب. وإذا عم الكذب أمةً انتهت، فلا تستطيع بعدها أن تثق بأحد ولا أن تعتمد على أحد، ولا أن تتم عملاً ولاتجارة، ويعود الكذب بالنتيجة العامة ضرراً على الأمة نفسها قبل ضرره للآخرين. فتتأخر اقتصادياتها وصناعتها وزراعتها وتجارتها وتسوء أحوالها كلها. والأمور في المجتمع الكاذب تتطور نحو الأسوأ دائماً، لأن نسبة الكذابين في المجتمع تكون في ازدياد مطرّد، ومع زيادة نسبتهم تزداد نسبة توقف الناس عن العمل الصالح المنتج، ومع زيادة ساعات الدوام يقل الإنتاج العام، لأن الأوقات الضائعة بالكذب والرياء تزداد ويقل بالمقابل عدد ساعات العمل والإنتاج الحقيقي لدى الأمة. وهكذا فإن الكذب مرض يمكن أن يقضي على الأمة بكاملها لوحده إذا انتشر وعم الناس، وعكس ذلك تماماً الصدق، فمع زيادة عدد الصادقين في الأمة تزداد الأمة قوة وتقدماً في كل شيء أيضاً بالمقابل كما رأينا في الكذب. ولعلم الله هذه الحقيقة شاء أن يجعل الصدق من صفات المؤمنين المطلوبة منه وبدونه لايمكن قبول إيمان المرء أبداً.

يقول الله تعالى:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى مَن هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ـ ٣ الزمر.

﴿...وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ﴾ ـ ٢٨ غافر.

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِي مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذَّابٌ﴾ - ٢٨ غافر.

ما معنى الصدق؟: صدق بمعنى التزم الحق فإذا كان قولاً أي قال الحق وإن كان عملاً عمل ماهو الحق. وصدق يأتي بمعنى وفى بما وعد. أي وفى بالحق.

﴿...قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ - ٢٢ الأحزاب.

﴿...هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرسَلُونَ﴾ - ٥٢ يس.

﴿لَقَد صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءيَا بِالحَقِّ...﴾ - ٢٧ الفتح.

أي صار مارآه الرسول في رؤيا منامه حقاً وحقيقة في الواقع وفاء من الله بصدق رؤيا النبي التي أراها الله له في منامه.

وعكس الصدق: الكذب.

﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ - ٣١ - ٣٢ القيامة.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقتَ أَم كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ - ٢٧ النمل.

والله سبحانه لأنه منح الحرية لعباده في الاختيار شاء أن لايعلم كيف سيكون اختياراتهم نحو الحق أم نحو الشيطان صدقاً أم كذباً. الله تعالى يريد أن يعلم الصادقين من الكاذبين:

﴿وَلَقَد فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ - ٣ العنكبوت.

مثلاً: رجلان من الذين وقعوا في فاحشة الزنا في فترة من فترات حياتهما، لنقل أنهما تابا وتزوجا وهما يعيشان حياة طبيعية ولم يعودا إلى سابق عهديهما. فيفتنهما الله بالشيطان مرة أخرى: لنقل أن الظروف تهيأت لكلاهما بشكل مغري للوقوع في الزنا مرة أخرى، فيحدث أن يلوي أحدهما رأسه وامرأة جميلة تدعوه إلى الفراش وهو يقول: اللهم إني تبت إليك فاصرف السوء عني يارب العالمين. والآخر يسقط في حبائل الشيطان وينسى توبته ويعود إلى سابق عهده ضعفاً واستكانة للشيطان. لذلك يقول الله تعالى:

﴿...فَلَيَعلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ - ٣ العنكبوت

وفي القرآن آية تقول:

﴿وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ...﴾ - ٢٠ سبأ.

وحتى نفهم المعنى يجب أن نسترجع ماذا قال إبليس منذ البداية:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغوَيتَنِي لأَقعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ المُستَقِيم * ثُمَّ لأَتِيَنَّهُم مِّن بَينِ أَيدِيهِم وَمِن خَلفِهِم وَعَن أَيمَانِهِم وَعَن شَمَآئِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكثَرَهُم شَاكِرِين﴾ - ١٦ - ١٧ الأعراف.

أي أن إبليس ظن أنه قادر على إغواء الناس بالفتنة لإخراجهم عن سبيل الله إلى سبل الشيطان. لذلك يقول الله في تلك الآية:

﴿وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنَّهُ...﴾ - ٢٠ سبأ.

لأن أغلب الناس اتبعوا الشيطان فعلاً. وفتنهم عن دينهم ونسوا ماعاهدوا الله عليه.

فنقول: لقد صدق ظن إبليس فيهم، وهذا ليس معناه أن إبليس نفسه صادق مع أحد أبداً. وأحياناً تأتي كلمة صدق بمعنى أيد ودعم، كأن يقول رجل شيئاً، فيأتي آخر أمام الناس ويقول نعم إنه يقول الحق لكم، فهذا تصديق لما قاله الأول، وبهذا المعنى نجد الآية:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرسِلهُ مَعِيَ رِدءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ - ٣٤ القصص.

والياء محذوفة في نص القرآن توقيفاً.

ويصدِّق يأتي بمعنى يُؤمن:

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومُ الدِّين﴾ - ٢٦ المعارج.

والله سبحانه يستخدم هذا التصديق لشيء آخر كأن يكون في قسم من الكتاب معلومات وحقائق يمكن أن يعلمها الناس من خلال بحثهم وتعلمهم لعلوم الأرض، فتكون هذه المعلومات مصدقة لقسم آخر من الكتاب فيه الأحكام والحلال والحرام والوصايا والتعليمات، فتكون آيات المعلومات مصدقة لآيات التعليمات والنصائح والحرام والحلال والصراط المستقيم والأحكام الشرعية من القرآن الكريم.

﴿نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ...﴾ - ٣ آل عمران.

لأن المعلمومات المذكورة في القرآن لم تكن من معلومات الناس في زمن إرسال القرآن في القرن السابع الميلادي وهذا هو البرهان بأن القرآن ليس من افتراء مخلوق وإنما هو من عند الله الواحد الأحد.

﴿...فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ بِإِذنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ وَهُدًى وَبُشرَى لِلمُؤمِنِين﴾ - ٩٧ البقرة.

وغالباً مايأتي الصدق بمعنى الحق في آيات الله:

﴿...وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُم قَدَمَ صِدقٍ عِندَ رَبِّهِم...﴾ - ٢ يونس.

أي قدم حق عند ربهم.

﴿وَلَقَد بَوَّأنَا بَنِي إِسرَاءِيلَ مُبَوَّأَ صِدقٍ وَرَزَقنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اختَلَفُوا حَتَّى جَآءَهُمُ العِلمُ...﴾ - ٩٣ يونس.

أي مبوأ حق.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدخِلنِي مُدخَلَ صِدقٍ وَأَخرِجنِي مُخرَجَ صِدقٍ...﴾ - ٨٠ الإسراء.

أي رب ادخلني مدخل حق واخرجني مخرج حق.

﴿وَاجعَل لِّي لِسَانَ صِدقٍ فِي الأَخِرِينَ﴾ - ٨٤ الشعراء.

أي اجعل لي لساناً يقول الحق في الآخرين دائماً ولايقول الكذب.

﴿فِي مَقعَدِ صِدقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقتَدِرٍ﴾ - ٥٥ القمر.

أي في مقعد حق عند مليك مقتدر.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ - ٥ الذاريات.

أي: إن ماتوعدون به لحَق لاوهم فيه ولا ظن ولا شك.

والله سبحانه الذي يعلم الغيب كله كان في علمه أننا نحن المسلمين سوف نؤلف آلاف الأحاديث على لسان الرسول ﷺ ثم نقول عنها بأنها وحي من السماء وأنها صادقة مصدوقة مثل القرآن تماماً، فينبه الغافلين منا على ما ندعي ويقول:

﴿...وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ - ٨٧ النساء.

هل هو أبو هريرة أم أنس بن مالك أم عبد الله بن عباس أم عبد الله بن عمر بن العاص أم عبد الله بن مسعود أم عبد الله الذي لا كنية له في أحاديث البخاري ومسلم؟ هل أحاديث هؤلاء التي كلها تناقض ماأتى به الله في القرآن الكريم أصدق من حديث الله في كتابه الكريم؟

﴿...وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ - ١٢٢ النساء.

أي: ومن أصدق من الله قولا. هل هم جنود السلاطين ورجال دينه أم رب العالمين؟

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ - ١٠١ الشعراء.

والصديق من الصداقة والصدق، والصداقة بمعنى صدق الاعتقاد في المودة. أما الصدِّيق فهو من تعود تصديق مصادر الحق التي يؤمن بها مثل مريم، قال عنها صدِّيقة لأنها صدَّقت ربها.

﴿...وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...﴾ - ٧٥ المائدة.

كما قال عن سيدنا إبراهيم:

﴿وَاذْكُر فِي الكِتَابِ إِبرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا﴾ - ٤١ مريم.

لأنه صدَّق الرؤيا التي كان يراها من الله، وأراد أن يذبح بكره إسماعيل:

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَاإِبرَاهِيمُ * قَد صَدَّقتَ الرُّءيَآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجزِى المُحسِنِينَ﴾ - ١٠٤ - ١٠٥ الصافات.

وكان أبو بكر الصدِّيق يلقب بالصدِّيق لأنه كان يصدق كل مايقوله الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ولايكذبه أبداً. والصدِّيقون أو الصدِّيقين هم الفقهاء العلماء الذين يصدقون الله ورسوله بالرسالة ولا يكذبونَهما أبداً. خاصة وأن القرآن هو رسالة الله على لسان محمد ﷺ فهو صِد قٌ كله في ذاته مايثبت صحته وإعجازاً عددياً يمكن أن يتأكد منه كل باحث في كل يوم. وليس معنى ذلك طبعاً أن يصدّق مكتتبات الرواة في عصور الانحطاط الإسلامي عن روايات شديدة التناقض، وكلها تقول عكس مايقول الله في القرآن الكريم. هذه غفلة وإشراك بكتاب الله ورسالته.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم...﴾ - ٨٩ البقرة.

أما أن نظن أننا سوف نكون من الصدِّيقين إن صدّقنا كل ماقيل لنا بواسطة جنود السلطان من أحاديث افتروها خدمةً لرب نعمتهم ومعبودهم السلطان ومن أجل أن يجعلوه طاغوتاً يحكم بأمره وليس بأمر الله الذي أبعده عن نفسه وعن الناس، فهذا إشراك كامل بالله وقع فيه آباؤنا عن غفلة وجهل منهم، ولن يغفر الله لنا أبداً ذلك، حتى نتحرك ونلغي كل مكتتبات علماء الدين والحديث، ونعود إلى توحيد الله وحده وكتابه وشرعه الوحيد، ونترك كل السبل الأخرى مثل التوزع بين الفرق التي تفرع إليها أهل السنة وأهل الشيعة ولن يقبل منا إلا سبيل واحد هو ماكان عليه الرسول وصحبه أيام الخلفاء الراشدين الذين لم يكن فيهم سنياً ولا شيعياً ولاحنفياً أو شافعياً أو حنبلياً أو مالكياً أو وهابياً إلى آخر تلك الأسماء التي اخترعناها وليس لنا فيها دليل من الله ولاسلطان مبين ولابرهان مقنع، ويجب أن نعلم أن كلمة الرسول مشتقة من الرسالة

وكل رسول لايمكن أن يحمل معه إلا ماأرسل معه من رسالة، وهل كان مع الرسول الأمّي إلا رسالة ربه التي أمره الله أن يبلغها للناس؟ وهل بلغ الرسول بالوحي إلا كتاب الله الذي هو القرآن العظيم؟ ألم يقل الله له:

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إلا البَلاغُ...﴾ - ٩٩ المائدة.

﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ...﴾ - ٥٢ إبراهيم.

﴿...فَهَل عَلَى الرُّسُلِ إلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ - ٣٥ النحل.

﴿فَإِن أَعرَضُوا فَمَآ أَرسَلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظاً إِنَّ عَلَيكَ إِلا البَلاغُ...﴾ - ٤٨ الشورى.

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ﴾ - ٦٧ المائدة.

لكن السلطان كان لايعجبه هذا الكلام كله لأنه يغلق عليه كل الأبواب التي يريد أن يدخل منها ليجعل مايشاء قانوناً وشرعاً إلهياً كما يرغب هو وملأه المقربون. فاخترع كلمة أحاديث الرسول وأقواله وسنته وهديه وقال عنها جنوده أنها وحي من السماء وهم يعلمون أنها ليست كذلك، وقالوا عنها بأنها هي آيات الحكمة وهم يعلمون أنها ليست كذلك، بل أن آيات الحكمة موجودة في القرآن ولكن نتيجة اتحاد موقف جنود السلطان لألف وأربعمائة من السنين آمن سذّج المسلمين وجهالهم بما يردده عليهم هؤلاء الجنود صباح مساء، وأشركوا بالله معهم ظلماً لأنفسهم. والغريب اليوم أننا لانريد عن ذلك الإشراك بديلاً حتى بالتوحيد، ولابديلاً عن أحاديث السلطان حتى بالقرآن أليس هذا بأعجب الأعاجيب؟

٥ ـ الوفاء بالعهود:

﴿وَإِبرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى﴾ ـ ٣٧ النجم.

أي وفى بما وعد وعاهد.

﴿...وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لا تُظلَمُونَ﴾ ـ ٢٧٢ البقرة.

وقد وعد الله الذي ينفق مما يحب من ماله في الأرض إيماناً واحتساباً أن ينال في الآخرة عشرة أمثالها.

﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ ـ ١٠ الزمر.

ويجب أن نعلم أن الأجور عادة لاتكون إلا مقابل أعمال ففي الآية كلمة مستترة، (فالصابرون بماذا؟ وعلى ماذا؟) لأننا إذا فهمناه صبراً مجرداً يكون استسلاماً واستكانة والله لم يستخلفنا في الأرض إلا من أجل أن نعمل فيها أعمالاً صالحة نؤجر عليها في الدنيا، فنوفى أجورنا أيضاً في السماء كما وعدنا ربنا بذلك. ولايمكن للعمل أن يكون متقناً إلا إذا كان بالصبر وإذا كان الإنسان عجولاً في عمله. فَقَدَ العمل عنصر الجودة والإتقان، فيحصل على كم أكبر على حساب النوع، ويتحول الانتاج إلى نوع رديء مرفوض وغير مقبول من قبل الناس، لأنه لم يكن نتيجة عمل صالح.

﴿...وَأَوفُوا بِعَهدِى أُوفِ بِعَهدِكُم وَإِيَّاىَ فَارهَبُونِ﴾ ـ ٤٠ البقرة.

والله سبحانه يخير الناس مرة أخرى فإذا كان جل مايريدونه هو الدنيا وأجورهم فيها فقط ولايريدون أجراً في الآخرة فإن الله سبحانه يقول لهم بأنهم سوف ينالون مايشاؤون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَوٰةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمَالَهُم فِيهَا...﴾ ـ ١٥ هود.

وماذا يعمل الإنسان الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها في الأرض؟

إنها طبعاً أعمال دنيوية حتماً. فيقول لهم الله:

﴿...نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمَالَهُم فِيهَا...﴾ ـ ١٥ هود

والوفاء للعامل في الأرض لايكون إلا بتسليمه الأجر في نهاية العمل. وأجر الله في الأرض هو الرزق والمال، وهذا الرزق والمال كله هو لله سبحانه وتعالى في الأرض أساساً.

ولكن الله يعلمنا في النتيجة أن الذين يعملون أعمالهم بحسب هذا العقد هم الخاسرين في النهاية لأن الدنيا والحياة فيها قصيرة الأمد ولن يجدوا لهم نصيباً في الآخرة من الخيرات أبداً، فلا يجدون سوى النار:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُم فِى الأَخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ - ١٦ هود.

ومن هذه الآية يمكن للعاقل المتفكر أن يستنتج من عبارات الله المباشرة وكلماته أنه يقصد العمل اليدوي الحقيقي، بدليل قوله وحبط ماصنعوا فيها والصنع والصناعة من عمل الإنسان اليدوي أساساً ثم ينهيها الله بقوله: وباطل ماكانوا يعملون. لأنهم كانوا يعملون ويصنعون ما يضرهم ويتركون ماينفعهم وهو التوجه بتلك الأعمال لإرضاء الله سبحانه. فالذي يعمل لإنتاج قنبلة ذرية لايعمل لإرضاء الله سبحانه. والإنسان الذي يصنع قصراً من أحجار مزخرفة ومنحوتة لتكون آية في الجمال والهندسة ويرصعه من الداخل بأغلى أنواع المرمر والأحجار الكريمة والذهب ليعيش فيه حياة قصيرة، إنما يمارس الإسراف الذي نهى الله عنه. فلو بنى بيتاً جميلاً بعُشر المال الذي دفعه لبناء القصر، ودفع تسعة أعشار المبلغ الباقي ليبني به معملاً أو مصنعاً ينتج أشياء ضرورية لحياة الإنسان، وشغل في ذلك المعمل عشرات من العمال العاطلين عن العمل بأجور مناسبة، لساهم عندها في حل مشكلة عشرات من الشباب الطامح لحياة أفضل من أجل فتح بيوت جديدة لإعمار الأرض. كانوا قبل ذلك إما قابعين في زوايا المساجد ينتظرون الفرج أو اتجهوا إلى الأعمال المفسدة في الأرض، ليعملوا فيها أفراداً لعصابات النهب والسرقة والاحتيال أو المتاجرة بالأعراض والمخدرات. فمن الذي يستحق في النهاية أن يأخذ أجره من الله سبحانه يوم القيامة؟

هل هو الشخص الذي بنى قصراً منيفاً ليتباهى به أمام معارفه وخلانه، أم هو الشخص الذي بنى بفرق الكلفة بين القصر والبيت معملاً وساهم في حل مشكلة كثير من الشباب والأسر من أهله وإخوانه الذين يعيشون معه في بلدته ومدينته ووطنه؟ أم هو الحاكم الذي بنى عشرات القصور لنفسه ولأولاده وشعبه يموت من الجوع وندرة الدواء.

وأن يَزِنَ الإنسان المؤتمن على الميزان بالحق هو نوع من أنواع الوفاء بالحق: ﴿...وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ...﴾ - ١٥٢ الأنعام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿...فَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ وَلا تَبخَسُوا النَّاسَ أَشيَآءَهُم...﴾ - ٨٥ الأعراف.

﴿وَيَاقَومِ أَوفُوا المِكيَالَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ...﴾ - ٨٥ هود.

﴿وَأَوفُوا بِعَهدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّم...﴾ - ٩١ النحل.

وحتى لايفهم الإنسان المسلم أن الوفاء بالعهد لايكون إلا بين الله وعبده، ويخلف بعهوده وعقوده مع الناس كما تقتضيه الحاجة والمصلحة، فهذا فهم خاطىء لمبادىء الإسلام من الأساس. فليس في الإسلام مكيالين واحدة لله والأخرى للناس. وصدقين واحد لله والأخرى للناس، وعهدين واحد لله والآخر للناس، أو صدق للمؤمنين وكذب للكافرين.

﴿...وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسئُولاً﴾ - ٣٤ الإسراء.

أي أنكم إذا تعهدتم بشيء بينكم وبين الناس فأوفوا للناس ماتعهدتم به، فإن العهد الذي قطعتموه يجعلكم مسؤولين عما عاهدتم به ولا تتبرؤون من المسؤولية لمجرد قولكم لقد غضينا النظر عن الموضوع كله.

لذلك نجد أن الصدق من أحد بنود الصراط المستقيم العشر والكذب أحد الكبائر العشر، والأمانة أحد الوصايا العشر، والخيانة للأمانات أحد الكبائر العشر، والوفاء بالعهود والعقود أحد الوصايا العشر، والإخلاف بالعهود والعقود أحد الكبائر العشر، والكيل والوزن بالقسطاس المستقيم أحد الوصايا العشر، وإخسار الناس بالكيل والميزان هو أحد الكبائر العشر.

فأربعة من بنود الصراط المستقيم ووصايا الله للإنسان تتعلق بالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والوزن والكيل للناس بصدق وأمانة.

وأربعة بالمقابل وهي: الكذب والخيانة والإخلاف بالعهود وإخسار الناس بالكيل والميزان تعتبر من الكبائر العشرة التي لايغفرها الله للإنسان، عليها يوم القيامة حساباً عسيراً.

والذي يَنذُرُ لله نذراً على فعلِ شيء معين يصبح هذا النذر ديناً واجب القضاء والوفاء، لذلك يقول سبحانه:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذرِ وَيَخَافُونَ يَوماً كَانَ شَرُّهُ مُستَطِيراً﴾ - ٧ الإنسان.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٦ ـ الإخلاص:

ومنه الخالص، أي الصافي المبرَّأ من الشوائب أو المصفى:

﴿...نُّسقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً...﴾ ـ ٦٦ النحل.

وهذا المعنى عادةً يطبقه الله سبحانه على أمور الدين بشكل معنوي فيقول:

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا وَاعتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخلَصُوا دِينَهُم للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ...﴾ ـ ١٤٦ النساء.

أي الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وعبدوه وحده عن حبٍ وتركيز مع تفاني لله.

﴿وَقَالَ المَلِكُ ائتُونِى بِهِ أَستَخلِصهُ لِنَفسِى...﴾ ـ ٥٤ يوسف.

أي ليكون خالصاً لي وحدي ويعمل في خدمة مصالحي وحدها.

﴿...فَاعبُدِ اللَّهَ مُخلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ ـ ٢ الزمر.

فالدين في تلك الآية بمعنى العبادة التي هي الطاعة لله وحده. وفي الإسلام يتوجه المسلم لعبادة وطاعة رب العباد وحده.

أما المشرك: فهو الذي يطيع السلطان وهو يظن أنه يطيع الله ورسوله، لأنه أصبح يؤمن بمكتتبات السلطان من أحاديث قالوا له أنها كلها أحاديث نبوية شريفة، وقالوا له أيضاً أنها وحي من السماء فصدق دون تثبت، واتبعهم عن غفلة تاركاً كتاب الله الذي هو الأساس وعليه الاعتماد في إسلام الله ورسالته مهجوراً. فظلم بذلك نفسه أولاً وظلم من بعده أولاده وأحفاده الذين ساروا علي نهجه من بعده لأنهم كانوا يحبونه فصدقوه دون أن يعلموا أنه كان مخدوعاً، فاتبعوا آباءهم المخدوعين.

وهكذا كان إشراك الأمة، وهناك إشراك رجال الدين الذين يعرفون ويحرفون فوضعهم مختلف فهم يتظاهرون أنهم يدعون الناس إلى طاعة الله وحده وهم يعلمون أنما يدعون إلى إطاعة السلطان بعد أن خانوا الله وعبدوا المال والدنيا

والسلطان، وهذا من أشد أنواع الإشراك ومصيرهم إلى الدرك الأسفل من نار الجحيم.

فإذا كان الله تعالى لايرضى بالإشراك عن غفلة وعن غير علم، فكيف بالذي يشرك بالله وهو يعلم، فإن لعنة الله وغضبه بانتظار أولئك الناس من الرجال الذين ادعوا الدين وهم أبعد الناس عن الله وعن الدين.

إن العبادة هي التوجه للمعبود عن طاعة وقصد بذاته دعاء أو رجاء، فالعابد عبدٌ لمعبوده، والمشركون عبيد للطاغوت وإن كانوا لايعلمون. ولكن يجب أن لانفهم غضب الله على الكافرين والمشركين أنه كان غضباً على مصلحة ذاتية ضاعت على الله سبحانه أبداً.

فليس لله تعالى أية مصلحة ذاتية ولا أية فائدة يرجوها من عبادة الإنسان له، بل الفائدة كلها من تلك العبادة والطاعة تعود للإنسان وحده في الدنيا والآخرة. لأن الذي يتوقف ويمتنع عن عبادة العباد ويتوجه لعبادة خالق العباد وحده يصبح سيداً في الأرض ولايمكن أن يستعبده بعد ذلك أحد من العباد. وهذا مايريده سبحانه وتعالى لهذا المخلوق الذي فطره على الإيمان بالله قبل أن يأتي أبواه فيجعلانه يتبع ماعبد آباءه الأولون، دون أن يعلم أن ذلك حدث بتوجه من الأقوياء من أصحاب المال والجاه والنفوذ في الأمة فبدلوا أفكار الله بأفكار أخرى، وأوامر الله بأوامر أخرى، من أجل استغلال واستعباد الضعفاء والجهلاء والسيطرة عليهم عن طريق رجال الدين من أهل السوء، الذين باعوا ضمائرهم وأنفسهم للشيطان مقابل الدنيا ومالها. وهذا حدث في كل الأديان بلا استثناء، في كل أديان الله التي أتى بها الرسل من أول رسول وإلى آخر رسول.

إذا عدنا إلى سورة الزمر نجد الآية التالية:

﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَآءَ مَانَعبُدُهُم إِلا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلفَى إِنَّ اللَّهَ يَحكُمُ بَينَهُم فِى مَا هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ...﴾ - ٣ الزمر.

هذه الآية توضح ماذهبتُ إليه وشرحته إلى الآن. وتلك هي الطريقة التي أوقع فيها الأقدمون الناس في إشراكهم القديم. وهكذا أشرك مشركوا مكة السابقون. فقالوا نحن نؤمن بالله ولكننا نعبد أيضاً (نطيع) هؤلاء ليشفعوا لنا ويقربونا من الله زلفى. ولم يحصل هذا صدفة بل كان وراءه الملأ الذين هم دائماً أصحاب القوة والرأي والحكم

والمشورة والمال، فجعلوا الناس يتوجهون للإشراك بالله. ويأتي بعد ذلك أولي الأمر منهم ليفعلوا باسم الله ويقولوا ويحكموا بما يشاؤون في الناس بحرية، والناس تظن إنها تطيع الله وتعبده ولاتشرك به أحداً.

ونحن اليوم نشرك بالله ولانعلم لأننا لم نفهم معنى العبادة تماماً. أما إذا فهمنا أن العبادة هي الدعاء والرجاء مع الطاعة لله وحده فيمكن أن نميز إشراكنا أكثر.

فهل نحن اليوم ندعوا الله وحده، أم أننا ندعوا أيضاً محمداً ﷺ حتى يكون شفيعنا يوم القيامة، وكما ندعو مع محمد ﷺ كثيراً من عباد الله اعتقاداً منا بأنهم من الأولياء الصالحين، إن كل من يدعو مع الله محمداً ﷺ أو غيره من عباد الله الآخرين بحجة أنهم من أوليائه الصالحين يشرك بالله صراحة:

﴿...وَلَنَآ أَعمَالُنَا وَلَكُم أَعمَالُكُم وَنَحنُ لَهُ مُخلِصُونَ﴾ - ١٣٩ البقرة.

ونادراً ما يصل العبد لهذه الدرجة من الإخلاص لربه، وتحصل دائماً عندما تحيط الأهوال بالإنسان ويستيقن من الموت، كما تحصل في الزلازل والكوارث الطبيعية كالفيضانات والعواصف والحروب، وتعرض الإنسان لحالة خطر مواجهة الموت عندها يدعو الإنسان ربه مخلصاً له الدعاء ومخلصاً له الرجاء ومخلصاً له الدين، لذلك يقول الله تعالى:

﴿...وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ - ٢٢ يونس.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِى الفُلكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ - ٦٥ العنكبوت.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ - ٣٢ لقمان.

ولكن ماذا يحصل بعد كل عودة سريعة من الإنسان لربه في الأزمات مخلصاً لله؟ وماذا يكون موقف الناس بعد أن يزيل الله عنهم ذلك الخطر؟

﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُم فِى البَرِّ وَالبَحرِ حَتَّى إِذَا كُنتُم فِى الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنجَيتَنَا مِن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ - ٢٢ يونس.

ولكن لما أنجاهم الله ماذا كان موقفهم بعد زوال الخطر وعودتهم إلى حياتهم الطبيعية؟

﴿فَلَمَّآ أَنجَاهُم إِذ هُم يَبغُونَ فِى الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ...﴾ ـ ٢٣ يونس.

عاد الإنسان إلى ظلمه للناس ولنفسه وعاد إلى غيه القديم ونسي مواعيده ومواثيقه مع الله، وظن نفسه من جديد بأنه سيخلد في هذه الأرض.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِى الفُلكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا أَنجَاهُم إِلَى البَرِّ إِذَا هُم يُشرِكُونَ﴾ ـ ٦٥ العنكبوت.

عاد الناس فوراً إلى إشراكهم القديم ولم يثبتوا على إخلاصهم لله وحده إلا لحظات الخطر فقط.

٧ ـ الاستقامة:

لقد أشرت أكثر من مرة إلى أن الصراط المستقيم هو نفس الوصايا العشر التي نزلت على كل الرسل من قبل رسالة الإسلام.

ففي سورة الفاتحة أول سورة في كتاب الله نقرأ:

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم * صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلا الضَّالِّين﴾ ـ ٦ ـ ٧ الفاتحة.

فما هو هذا السبيل المستقيم الذي ندعو الله أن يهدينا إليه، وهو الصراط الذي اتبعه ويتبعه الذين أنعم الله عليهم، وتركه وهجره الذين غضب الله عليهم، وهم الذين أشركوا بالله. كما تركه أيضاً الذين ضلوا عن سبيل الله واتبعوا سبل الشيطان بعد أن كفروا باليوم الآخر وإن كانوا ولازالوا يؤمنون بوجود الله الحي القيوم.

واستقامة هذا الطريق آتية من كون الوصايا العشر التي تتضمنها ثابتة لاتتغير مع تغير الزمن. فالله يعلم سابقاً وإن علم الرياضيون حديثاً، أنه بدخول عامل الزمن على هندسة المكان الذي هو الكون فكل الخطوط فيه تصبح منحنية لأنها تتبدل مع تبدل الزمن باستمرار. ولعدم تغير تلك الوصايا مع الزمن لم يشأ أن يدخل عليها رب العالمين عامل الزمن، وبالتالي بقيت مستقيمة كما يعلم ذلك كل من درس الهندسة الإقليدية. والله يعلم هذه الحقائق قبل إقليدس، لأنه هو الذي خلقها أصلاً وأوجدها كقوانين رياضية.

﴿...قُل للهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيم﴾ ـ ١٤٢ البقرة.

والمعنى واضح بأن الله الواحد القدير الذي له كل شيء وقادر على أن يهدي من يشاء الهداية حباً وتطوعاً لله تعالى، ويجعله على الطريق المستقيم وأن يحببه باتباع وصاياه ويشرح صدره للإيمان.

﴿...مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضلِلهُ وَمَن يَشَأ يَجعَلهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيم﴾ ـ ٣٩ الأنعام.

أما الذي يحب أن يجعل هواه إلهه وينسى الله الحق ويختار الضلالة حباً بها، فإن الله سوف يحقق له مايشاء ويضلله حتى يغرق في الضلالة كما يشاء ويرغب. ولكن الذي يشاء ويحب أن يهديه الله ويسعى إلى ربه فإنه سوف يجد الله معيناً ومساعداً رؤوفاً رحيماً ويهديه إلى الصراط المستقيم.

﴿...وَمَن يَعتَصِم بِاللهِ فَقَد هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ١٠١ آل عمران.

إن من يتمسك بالله وبما قاله في كتابه ويترك ماسواه ويلجأ إليه تائباً راجياً عاملاً بما أمر فإن الله لن يتركه يضل عن الصراط المستقيم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ﴾ - ٣٦ مريم.

هذا مايقوله الله على لسان عيسى بن مريم وهو يخاطب قومه، ويقول لهم هذا صراط مستقيم، فهل نعتقد أن الصراط المستقيم الذي أتى به موسى وعيسى وكل الرسل يختلف عن الصراط المستقيم الذي أتى به محمد ﷺ من ربه، طالما الله تعالى واحد أحد ودينه واحد وهو الإسلام، فصراطه المستقيم أيضاً واحد ولايمكن أن يكون لله صراطين مستقيمين مختلفين أبداً ولكن ماهو الصراط الذي دعى محمد قومه إليه؟

﴿قُل تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم...﴾

١ - ﴿...أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً...﴾

٢ - ﴿...وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً...﴾

٣ - ﴿...وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِّن إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم...﴾

٤ - ﴿...وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ...﴾

٥ - ﴿...وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾

٦ - ﴿وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ...﴾

٧ - ﴿...وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلا وُسعَهَا...﴾

٨ - ﴿...وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى...﴾

٩ - ﴿...وَبِعَهدِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾

١٠ - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ - ١٥١ - ١٥٣ الأنعام.

وإن من يسير على هذه الوصايا العشر التي تتحول إلى كبائر عشر أيضاً إذا عكسها. والإنسان الذي يطبق هذه الوصايا يكون على الصراط المستقيم وإن أخطأ في واحدة أو اثنتين يكون قد ارتكب من كبائر الإثم.

﴿إِن تَجتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم...﴾ - ٣١ النساء.

﴿وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَآئِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾ - ٣٧ الشورى.

يعدد الله تعالى لنا هنا صفات المتقين في سورة الشورى:

﴿...لِيَجزِىَ الَّذِينَ أَسَآئُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجزِىَ الَّذِينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَى * الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَآئِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغفِرَةِ هُوَ أَعلَمُ بِكُم إِذ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرضِ وَإِذ أَنتُم أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ - ٣١ - ٣٢ النجم

أي أن الذين يجتنبون كبائر الإثم التي عددناها سابقاً يمكن أن يغفر الله لهم باقي الأخطاء والآثام التي لاتصل إلى حد تلك الكبائر. لأن الله تعالى الذي خلقنا وراقب تطورنا في الأجيال المتتابعة يعلم ضعف الإنسان وسرعة وقوعه في الأخطاء.

٨ ـ الأمانة:

أصل الأمانة من الأمن. والأمن ضد الخوف، وعندما يأمن الإنسان جانب إنسان بعد التجربة يأمن له في أمور كان يخشى قبل ذلك أن يؤمنه عليها، فيرتاح إليه ويثق بأمانته ويصفه بالأمين إذا تحدث عنه:

﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِـمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَداً ءَامِناً...﴾ ـ ١٢٦ البقرة.

أي بلداً لاخوف فيه حيث لايخاف فيه الإنسان على نفسه وماله وعرضه.

﴿وَكَانُوا يَنحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ﴾ ـ ٨٢ الحجر.

أي بيوت قرية من الصخر بعيدة عن متناول الوحوش الإنسانية أو الحيوانية. فلا يخاف الساكن فيها شيئاً فيشعر بالأمن والأمان.

﴿...لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرَامِ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ...﴾ ـ ٢٧ الفتح.

أي بعد أن يزول الخوف من نفوس المسلمين. يدخلون بأمن وأمان إلى المسجد الحرام. وبدون الأمن والأمان والسلام لايشعر الإنسان بطعم الحياة. فالإنسان مهما كان ثرياً وذو مال وجاه ونفوذ وقوة. إذا لم يشعر بالأمن والأمان فإن كل ماعنده لايساوي شيئاً أبداً. ولايمكن أن نبني جنة على الأرض أبداً والقوانين المطبقة فيها قوانين سنها لصوص وقتلة وظلمة أبداً. فإذا لم ينتشر العدل في الأرض لن ينتهي الظلم، وإذا لم ينته الظلم لن ينتشر الأمان. لأن كل مظلوم سوف يحاول مهما طال الزمن أن يأخذ بثأره ويرد دينه القديم ويطالب بالسداد. وهذه سنة الله على الأرض. والله الذي خلقنا يعلم، وإن كنا نحن لانعلم، أنه لن ينتشر العدل على هذه الأرض مالم ينتشر دين الله فيه، ويؤمن الناس به ومادين الله إلا رسالته للعالمين، وهو كتابه القرآن الذي أرسله ليظهره على الدين كله. فطالما هذه نية وقصد من الله فإن هذا اليوم لابد آت، ووظيفتنا نحن البشر أن نمهد له الطريق، لأنه بدون ذلك فلا أمن ولا أمان في الأرض. ولن يعم السلام في الأرض أبداً، حتى يعم الإسلام فيه. أقول هذا وأنا أعلم أن الذين يسيرون على إسلام الله أقل من القليل خاصة من المسلمين، ولكن ليس على الله إذا قصد وأراد صعب ولا بعيد، فالصعب يمكن أن يصير سهلاً بأمره والبعيد يمكن أن يصير قريباً بإرادته سبحانه، وما أظن أن الله تعالى حفظ كتابه من عبث العابثين وبدأت معجزاته

الحقيقية تظهر في القرن الحالي إلا لشيء هام قادم على الإسلام وعلى المسلمين في الأرض وما قال الله تعالى عبثاً.

﴿...إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمرِهِ...﴾ - ٣ الطلاق.

ولما قال: ﴿...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمرِهِ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٢١ يوسف.

ماهي الأمانة التي رضي الإنسان أن يحملها والتي يقول عنها سبحانه:

﴿إِنَّا عَرَضنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَالجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ .. ٧٢ الأحزاب.

والواضح من كلمات الآية الكريمة أن الأمانة التي يتكلم عنها سبحانه هي موضوع له خطورته، وقبول الإنسان بها أيضاً أمر من الأمور الخطيرة التي يتحمل فيها الإنسان لقاء قبوله بها تبعتها ومسؤوليتها، من الواضح أن الله يتكلم عن قبول الإنسان بأن يكون حرًّاً في تقرير مصيره بفكره وإرادته ومشيئته الخاصة. يقرر لنفسه مسؤولية نفسه بحريته ويقرر لنفسه وبنفسه طريقه إلى الله أو إلى الشيطان. إلى السبيل المؤدي إلى الحق والنور وجنة الرضوان، أو إلى السبيل المؤدي لجنة الدنيا ونيل شهوات النفس السريعة لقلة صبره أو لضعف إيمانه. فيتحمل تبعة سوء اختياره مقرراً مصيره إلى الجحيم لوحده. أو يكون من الذين لايستخدمون ماآتاهم الله من عقل أصلاً فيقع بسهولة في الإشراك الذي يخططه له شياطين الإنس من مساعدي وأعوان الطاغوت، فيخسر الدنيا ويعيش في عذابها ويخسر الآخرة ويحرّمُ الله عليه دخول الجنة ويخلّد في نار جهنم، فهل هناك ظلم للذات أكبر من هذا الظلم.

لفهم باقي معاني الأمانة نتابع ونقول: قد يودع إنسان أهله وعرضه وماله وأولاده عند صديق قوي عرفه وجربه في الشدائد، وعرف مدى أمانته وإخلاصه ووفاءه عندما يتعرض إلى خطرٍ حقيقي شديد. فما هي الأمور التي قد يتعرض لها هذا الصديق الذي قبل الأمانة عنده وفاء وخدمةً وإخلاصاً ومحبةً وشهامةً ونبلاً لصديقه الذي قد تعرض إلى خطر وخوف حقيقي وحتمي؟

قد يتعرض إلى هجوم مسلح من أعداء ذلك الصديق للحصول على كل ماعنده من الأمانة، وواجب حفظ الأمانة يجبره على الدفاع عنها مع أنها قد تكلفه حياته، وكل مايملك من مال أو جاه. ومع ذلك يقبل الإنسان بالأمانة رغم أنه لايطمع في مقابل ذلك بأي مكافأة دنيوية مباشرة من أحد سوى الله. والمؤمن الذي يفعل ذلك

حباً وكرامة وإرضاء لله وحباً في الله يكون من أعظم الأوفياء، وهذه هي من الأمور التي شرحها الله في الآية الكريمة (٧٢ ـ الأحزاب) وماشرحته في هذا المثال يعطي صورة واضحة لخطورة الأمانة التي حملها الإنسان عندما قبل أن يحملها وأن يكون مسؤولاً ومستعداً لتحمل نتائج قراره هذا عندما يحاسبه الله بحسب الطريق الذي سلكه، وكيف تصرف بتلك الحرية الفكرية في اتخاذ قراره لتقرير مصير ذاته في هذا الكون.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهلِهَا...﴾ ـ ٥٨ النساء.

شرحت فيما تقدم أن الدخول إلى فئة المؤمنين بالرحمن بقرار وباختيار انطلاقاً من حرية الإنسان في تقرير مصيره كله وبمشيته الأولى، ولكن بعد أن يقدم الطلب الشفوي راجياً من الله القبول، ومن ثم قبول الله له في تلك الفئة، يجعله ملتزماً بكل الأنظمة والتعليمات والسنن فيها فعليه تنفيذ ذلك كله والالتزام به وتطبيق التعليمات الخاصة به. فالله يأمره بأن يؤدي الأمانات إلى أهلها إن كان فعلاً من المؤمنين الحقيقيين، وإلا فهو من حزب آخر هو حزب الشيطان وإن كان هو نفسه لايعلم حقيقة موقفه تماماً.

وكما أن على ذلك المؤمن إطاعة كل أوامر الله وتنفيذها والانتهاء عن كل مانهى عنه الله أيضاً. وعليه القيام بالعبادات الخمسة، والالتزام بكل ماحرم الله والسير على سبيل الله الواحد ـ وعلى مبادىء الصراط المستقيم العشرة والالتزام بها بدقة وحزم وتطبيق أحكام الشرع الإسلامي في أمور حياته كلها، والمؤمن الذي قبل بكل ذلك ثم عاد وغير رأيه من جديد، وترك كل ذلك بعد التزامه وتعهده، يكون قد كفر وخان بما قبل وتعهد به وخان الأمانة من جديد، والذي يخون تلك الأمانة يخون كل الأمانات بعد ذلك.

وخيانة الأمانة خيانة أيضاً لله ولرسوله:

﴿...لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم...﴾ ـ ٢٧ الأنفال.

فيجب أن يفكر مئة مرة قبل أن يعطي عهداً ووعداً هل هو فعلاً قادرٌ على الوفاء بذلك العهد أو الوعد، هل هو فعلاً أهل لحماية تلك الأمانة والمحافظة عليها وإعادتها لصاحبها في الوقت المطلوب؟ فهذه الأمور تحتاج إلى انتباه ومراعاة خاصة.

﴿وَالَّذِينَ هُم لأَمَانَاتِهِم وَعَهدِهِم رَاعُونَ﴾ ـ ٣٢ المعارج.

وفي موضوع الأمن الذي هو عكس الخوف يضرب لنا الله مثلاً، فيقول في قصة إبراهيم مع قومه:

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلماً أَفَلا تَتَذَكَّرُون * وَكَيفَ أَخَافُ مَآ أَشرَكتُم وَلا تَخَافُون أَنَّكُم أَشرَكتُم باللَّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ عَلَيكُم سُلطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ إِن كُنتُم تَعلَمُون﴾ - ٨٠ - ٨١ الأنعام.

ويأتي جواب هذا التساؤل في الآية التي تليها:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَم يَلبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُّهتَدُون﴾ - ٨٢ الأنعام.

ثم يعلمنا الله أن تلك الحجة التي قدمها لقومه كانت وحياً من الله لإبراهيم:

﴿وَتِلكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَينَاهَآ إِبرَاهِيمَ عَلَى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ - ٨٣ الأنعام.

والإنسان المجرَّب بالأمانات من قبل الناس ولم يعهدوا من قبل خيانة يطلقون عليه لقب الأمين. وقد لقب الرسول محمد ﷺ حتى قبل الرسالة بالأمين.

وقد وردت في سورة الشعراء خمس مرات إني لكم رسول أمين، وفي السادسة يبين الله تعالى كيف أنزل الوحي والقرآن على قلب محمد ﷺ فأنطقه الله بها.

في المرة الأولى على لسان الرسول نوح عليه السلام موجهاً الكلام إلى قوم نوح.

وفي المرة الثانية على لسان الرسول هود عليه السلام موجهاً الكلام إلى قوم عاد.

وفي المرة الثالثة على لسان الرسول صالح عليه السلام موجهاً الكلام إلى قومه ثمود.

وفي المرة الرابعة على لسان الرسول لوط عليه السلام موجهاً الكلام إلى قومه لوط.

وفي المرة الخامسة على لسان الرسول شعيب عليه السلام موجهاً الكلام إلى أصحاب الأيكة.

وفي المرة السادسة قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ - ١٩١ - ١٩٥ الشعراء.

وكما وردت العبارة إني لكم رسول أمين في المرة السادسة على لسان الرسول

موسى عليه السلام إلى قومه بني إسرائيل في سورة الدخان الآية ١٨.

كما وردت عبارة (مطاع ثم أمين) صفة من الله للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في سورة التكوير الآية ٢١. ومن الأعجازات البلاغية في القرآن الكنايات والتشابيه التي تملىء القرآن صوراً قريبة من خيال المؤمن وقادرٌ على تصورها، فيصف مكة وكأنها مخلوق يتصف بالأمانة والمحافظة على سكانها فيصفها بالأمين:

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ - ٣ التين.

فجعل للبلد ذاتاً أمينة على سكانها. وهذا هو الأمن والأمان.

هذا وقد شرحت في غير هذا المكان أن الأمانة التي حملها الإنسان من الله هو قبوله أن يكون مسؤولاً عن نفسه في هذه الحياة الدنيا مع علمه أن تلك النفس أمارة بالسوء.

﴿...إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...﴾ - ٥٣ يوسف.

والنفس غالباً ماتكون فاجرة:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ - ٧ - ٨ الشمس.

والنفس تهوى الشهوات:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ - ١٤ آل عمران.

والنفس هي التي تراود لفعل الزنى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ...﴾ - ٢٣ يوسف.

والنفس تفرط في جنب الله:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾ - ٥٦ الزمر.

والسيئات تأتي من النفس:

﴿...وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...﴾ - ٧٩ النساء.

والنفس هي التي تسول وتسهل عمل الذنوب والآثام:

﴿...وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ - ٩٦ طه.

والنفس هي التي تكون شحيحة:

﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ - ٩ الحشر.

وهكذا نجد أن الإنسان رضي أن يُحمّل هذه النفس أمانة خلال حياته الدنيا وحتى ترجع راضية مرضية إلى ربها، وقبل أن يكون مسؤولاً عن أعمال تلك النفس في هذه الحياة مع كل الصفات التي رأيناها وقَبِلَ أن يتحدى تلك النفس بالعقل والإرادة والمنطق بأن يُرَوضها ويجبرها على حب الله وتقوى الله والعمل بما يرضي الله لا بما يرضي النفس. وأن يجعَلها تلتزم بالطريق والصراط المستقيم الذي بينه الله له في رسالة للعالمين، رسالة الإسلام، لتكون على دين الرحمن.

٩ ـ حفظ اللسان وحفظ السر والأسرار:

إن الحديث الذي يفضيه الزوج لزوجته وهما في غرفة نومهما هو سر من أسرارهما يقول عنه سبحانه:

﴿وَإِذ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعضِ أَزوَاجِهِ حَدِيثاً...﴾ ـ ٣ التحريم.

وإذا حفظ الإنسانُ سرّه بينه وبين نفسه:

﴿...فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفسِهِ وَلَم يُبدِهَا لَهُم...﴾ ـ ٧٧ يوسف.

﴿...فَيُصبِحُوا عَلَى مَآ أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِم نَادِمِينَ﴾ ـ ٥٢ المائدة.

وعندما يفعل الإنسان فعلاً ثم يندم على مافعل ولكنه لم يعلن ندامته بل احتفظ بها لنفسه يقول عنها سبحانه بالتعبير القرآني:

﴿...وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ وَقُضِيَ بَينَهُم بِالقِسطِ...﴾ ـ ٥٤ يونس

وناجى وناجيته يأتي بمعنى أفضى إليه سره وأصله للمكان لأن الذي يُسِرُّ يختار المكان بحيث يكون بمنجى عن مسمع الآخرين لذلك يقول سبحانه:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيتُم فَلا تَتَنَاجَوا بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَمَعصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوا بِالبِرِّ وَالتَّقوَى﴾ ـ ٩ المجادلة.

فحفظ اللسان والأسرار في مواضيع تتعلق بالتآمرِ والعدوانِ وفعل الآثامِ تكون من أفعال الشر والشيطان. بينما يبين لنا الله في الآية أن المناجاة وحفظ الأسرار بالإحسان والتقوى وخشية الله هي من أفعال الخير.

والمناجاة بالسر والأسرار تكون بين الناس بعضهم مع البعض الآخر ولاتكون بينهم وبين الله لأن الله يعلم كل أسرار الناس جميعاً.

﴿أَوَ لا يَعلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ﴾ ـ ٧٧ البقرة.

﴿فَلا يَحزُنكَ قَولُهُم إِنَّا نَعلَمُ مَايُسِرُّونَ وَمَايُعلِنُونَ﴾ ـ ٧٦ يس.

﴿...أَلا حِينَ يَستَغشُونَ ثِيَابَهُم يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ...﴾ ـ ٥ هود.

أي حين يجعلون ثيابهم كحجاب بينهم وبين من لايريدونه أن يسمع السر.

إذا كان إثنان يتناجيان في حضور الناس من خلف طرف الثوب حتى لايقرأ من يقرأ

الشفاه أو يسمع أحد مايقولانه خلف ذلك الحجاب من الثوب.

نقول: يستغشون ثيابهم.

وأن يتصدق الإنسان على المحتاجين ويجعل صدقته سراً هي من الأسرار التي يحبها الله ويكافىء عليها الإنسان يوم القيامة.

ولكن لايقول الله لمن أراد أن يدفع علناً أن لايفعل ذلك أو أن الله لن يكافئه على إحسانه العلني بل قال:

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً...﴾ - ٣١ إبراهيم.

﴿...وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وَجَهراً...﴾ - ٧٥ النحل.

والذي جعل هذا النوع من الإنفاق تجارته مع الله سبحانه فإن تجارته لن تبور أبداً: لأنه سوف يجد أضعاف مادفع قد خزن له هناك في السماء عند الله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقنَاهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ - ٢٩ فاطر.

والسر مع النجوى بمعنى الأسرار في خلوة وفي مكان خال من الناس:

﴿أَم يَحسَبُونَ أَنَّا لا نَسمَعُ سِرَّهُم وَنَجوَاهُم...﴾ - ٨٠ الزخرف.

ويقال انتجيت زيداً: أي استخلصته لسري.

والنجوى: هي انتقال الحديث سراً بين الناس، وكل متحدث جديد يقول موصياً الآخر إن هذا سر فلا تبح به لأحد من الناس، والكل ينقله من واحد للآخر بهذا الأسلوب. عادة مايستخدم بسطاء الناس وجهالهم بهذا الأسلوب لنشر الفضائح في المجتمع. لذلك يقول الله سبحانه عن النجوى:

﴿إِنَّمَا النَّجوَى مِنَ الشَّيطَانِ...﴾ - ١٠ المجادلة.

والله يعلم سلفاً كل الذين يتآمرون على مصلحة المسلمين لأنه يسمع ويعلم كل مايفعلونه ولن ينجوا من عقابه أبداً:

﴿أَلَم تَرَ إِنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُم وَلا خَمسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُم وَلآ أَدنَى مِن ذَلِكَ وَلآ أَكثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُم أَينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ - ٧ المجادلة.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمرَهُم بَينَهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى﴾ - ٦٢ طه.

والنجوى هنا هي الاتفاق السري الذي حدث بين ملأ فرعون، وعبارة (وَأَسَرُّوا النَّجوَى)، بمعنى (أبقوا ما اتفقوا عليه سراً وكتموه عن الناس) وهكذا نجد أن حفظ السر والأسرار لايكون خيراً دائماً. فليس من خير الناس، إذا علم أحدهم بتآمر على سلامة الناس، المحافظة على ذلك السر سراً، بل عليه أن يفضح المتآمرين قبل أن يفعلوا الشر الذي أضمروه.

﴿لا خَيرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجوَاهُم إِلا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعرُوفٍ أَو إِصلاحِ بَينَ النَّاسِ...﴾ - ١١٤ النساء.

والله يرينا أن أغلب أسرار الناس ونجواهم لاخير فيها إلا في الحالات التالية:

رجل قام بدفع صدقة وأبقاها سراً بينه وبين الله. ورجل قام وخدم خدمة أو عملاً تعارف عليه الناس بالخير وأبقى ذلك سراً بينه وبين ربه. ورجل قام سراً أو علناً بالإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة الله، والله يأمرنا أن لا نتناجى بالإثم والعدوان.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيتُم فَلا تَتَنَاجَوا بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَمَعصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوا بِالبِرِّ وَالتَّقوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ - ٩ المجادلة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٠ ـ الإحسان وخاصةً لليتيم والمسكين وابن السبيل:

وأصل الكلمة من أحسن:

﴿...إِنَّا لا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلاً﴾ ـ ٣٠ الكهف.

هنا الله سبحانه يتكلم عن الإحسان في العمل أي الإتقان. والله دائماً يضع مع العمل الحقيقي في الأرض موضوع الأجر حتى يميزه عن باقي أفعال الإنسان التي قد يكافأ عليها ويكون له ثواباً ولكنه لايسميها أجراً.

مثلاً لنستمع للآية التالية:

﴿وَمَا كَانَ قَولَهُم إِلآ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسرَافَنَا فِي أَمرِنَا وَثَبِّت أَقدَامَنَا وَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ ـ ١٤٧ آل عمران.

طلبوا من الله وهم يرجون أن يغفر لهم ماقد أذنبوا به من الذنوب.

وكما دعوا الله أن يغفر لهم إسرافهم في أمرهم. ودعوا الله ورجوه أن يثبت أقدامهم في حربهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين، فماذا كان جواب الله:

﴿فَئَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيَا وَحُسنَ ثَوَابِ الأَخِرَةِ وَاللَّهُ يَحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ ـ ١٤٨ آل عمران.

لقد استجاب الله سبحانه لدعائهم، ورزقهم في الدنيا، ليكون ثواباً لهم فيها وكما وعدهم بحسن ثواب الآخرة يوم لقائه بهم ليجدوا ماوعدَ الله حقاً. لكنه سبحانه لم يقل أي شيء عن الأحر في هذه الآية لعدم وجود عمل ليكون عليه أجر للعامل الذي قام بعملٍ ما.

﴿...وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا وَأَحسِن كَمَآ أَحسَنَ اللَّهُ إِلَيكَ...﴾ ـ ٧٧ القصص.

وأحسن في هذه الآية يأمر بالإحسان من فعل الخير لتتناسب مع سياق الآية الكريمة عندما تقول (...كَمَا أَحسَنَ اللَّهُ إِلَيكَ...) أما في الآية:

﴿...وَصَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صُوَرَكُم...﴾ ـ ٦٤ غافر.

أتت كلمة أحسَنَ بمعنى أتقنَ والإتقان من الصنعة.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَيَوةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾ ـ ١٠٤ الكهف.

وحتى نفهم هذه الآية لنستمع للآية التي قبلها في القرآن الكريم:

﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالاً﴾ - ١٠٣ الكهف.

إذن فالله يتكلم فعلاً عن أناس كانوا يعملون أعمالاً حقيقية على الأرض، وسعياً لتحصيل الرزق في الحياة الدنيا، ولم يكونوا يلعبون أو يلهون بل يعملون بجد ونشاط، ولكن كانت أعمالهم كلها خاسرة مع كل ذلك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِئَايَاتِ رَبِّهِم وَلِقَآئِهِ فَحَبِطَت أَعمَالُهُم فَلا نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيَامَةِ وَزناً﴾ - ١٠٥ الكهف.

لم يكن العيب في أعمالهم بل كان العيب في عقولهم، مع أنهم رأوا الآيات والمعجزات والدلائل على وجود الله لكنهم لم يستطيعوا مع ذلك التوصل للإيمان بالله وكما أنهم أنكروا وجود يوم آخر للقاء الله والحساب على مافعل الإنسان من حُسن، وعمل من الخيرات والأعمال المتقنة إيماناً واحتساباً. أو مافعل من السيئات والشرور والآثام، ولكن بكفرهم بالله وباليوم الآخر خسروا كل تعبهم وعملهم في الحياة الدنيا بناء ونشاطاً، ولم يستفيدوا منه شيئاً، ولم يقم الله لها وزناً يوم القيامة فاستحقوا عذاب الله.

ولو كانوا قد آمنوا بالله واليوم الآخر لاستحقوا بأعمالهم تلك الجنة، لأن العيب لم يكن في أعمالهم بل كان العيب كما قلنا في عقيدتهم وإيمانهم، ولمن أراد أن يتأكد عليه إعادة قراءة الآيات بهدوء من جديد ليتيقن من المعنى فهو واضح ولايحتاج لتأويل أو تفسير أو شرح إضافي.

فمن سياق الآية يمكن بسهولة تبيان المعنى المقصود من الله سبحانه: لنقرأ الآية الآخيرة من سورة الكهف:

﴿...فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ - ١١٠ الكهف.

وتختصر هذه الآية كل الآيات السابقة وتقول للإنسان: من كان يرجو لقاء ربه وهذا الذي لايمكن أن يتحقق إلا للذي يؤمن بهذا اللقاء، وكما أن الذي يؤمن بلقاء الله يوم القيامة هو مؤمن حتماً بأن الله هو الذي خلقه فسواه فعدله، ومؤمن بكل ماورد في كتاب الله الكريم، لذلك يوصيه الله وصية واحدة فقط هي أن يتقن عمله في هذه الدنيا، ويعمل من الأعمال الصالحة والمفيدة لكل الناس، وليحذر خلال ذلك من فتنة

الشيطان له، لأن إشراك المؤمن سهل الحدوث إذا لم يكن الإنسان حريصاً ويحسب حساب الشيطان في كل لحظة. وهذه حقيقة. فقد رأينا كيف غاب موسى عن قومه أربعين ليلة وتركهم مع أخيه هارون فعاد فوجدهم قد اشركوا بالله بمساعدة شيطان واحد من الإنس هو السامري، فهل نظن أن ماحدث معهم هو بعيد الحدوث معنا في أي لحظة؟ وهل نظن أن شياطين الإنس قد تركتنا وهجرتنا من بعد محمد ﷺ ولمدة ألف وأربعمائة من السنين؟ الحقيقة أن شياطين الإنس أنفسهم أعادونا للإشراك بعد مقتل عثمان، ولازلنا نسبح في ذلك الإشراك منذ ذلك التاريخ، ونحن نظن أنفسنا أننا الموحدين الوحيدين في العالم، لمجرد أن المؤذنين عندنا ينادون قبل كل صلاة على المآذن (أشهد أن لا إله إلا الله). والدليل على إشراكنا هو ظهور علائم غضب الله على الأمة كلها ومنذ زمن قديم.

﴿الَّذِى أَحسَنَ كُلَّ شَىءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ - ٧ السجدة.

أي: الذي أتقن كل شيء خلقه.

ثم ننتقل بعد كل ذلك إلى معنى الإحسان الذي إن أتى مع العدل يكون أعلى درجة منه، وإن أتى بمعنى الإنعام يأتي أعم وأشمل منه، لأن العدل مثلاً هو أن تأخذ ماتستحقه وتعطي الآخرين أيضاً مايستحقونه بالعدل، لكن الإحسان هو أن تعطي الآخرين أكثر مما يستحقونه ولو بقليل، وأن تعطي نفسك أقل مما تستحقه أيضاً ولو بقليل وهذا من كرم النفس.

فالتوزيع بالعدل واجب على كل مسلم ومسلمة، لكن الإحسان في التوزيع يكون تطوعاً فقط وليس واجباً نحاسب عليه إن لم نفعل. لأننا نعلم أننا إن أحسنا في الأرض فالله سوف يحسن إلينا في السماء والذي يرجو ثواب الآخرة يفضل أن يوزع إحساناً وبالإحسان لا بالعدل فقط. لذلك نجد الله يحب المحسنين ويعظم ثوابهم.

﴿...وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحسِنِينَ﴾ - ٦٩ العنكبوت.

﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ - ١٩٥ البقرة.

﴿...إِنَّ رَحمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحسِنِينَ﴾ - ٥٦ الأعراف.

والإحسان هو فعل التفضيل لفعل أحسَنَ:

﴿...فَمَن عُفِىَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَىءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَانٍ...﴾ - ١٧٨ البقرة

وقد شرحت هذه الآية قبل ذلك وبينت أن الرجل الذي يتنازل عن حق مشروع له من الله بأخذ الدم مقابل الدم في حالات القتل العمد، ويعتبر التنازل نوع من العفو عند المقدرة، فلا يجوز مقابلتها من الطرف الآخر إلا بأحسن منها أي بإحسان، ولذلك يقول سبحانه في هذه الآية، وأداء إليه بإحسان. فإذا كان المتعارف عليه مائة ناقة ديةً للقتيل مثلاً فلا بأس أن يدفع في هذه الحالة مائتين من أحسن الإبل.

وكذلك في آية الطلاق نجد الطلاق مرتين فإمساك بمعروف، أو تسريحٌ بإحسان، أي إمساك لها بحسب المتعارف عليه بين المسلمين في الزمان والمكان. وبحسب مقدرتهم المالية، أو تسريح لها بإحسان أي بإعطائها كامل حقوقها وفوقها من كرم الرجل بحسب إمكانياته وقدرته المالية. اليوم وليس في زمن أبو حنيفة. لأن الإحسان لايتم فقط بإعطائها حقوقها المسجلة لها في صك الزواج فحسب.

لو فرضنا أن شخص في لبنان طلق زوجته وكان مؤخر صداقها عشرة آلاف ليرة لبنانية في صك زواج عمره ثلاثون عاماً فإذا دفع لمطلقته اليوم عشرون ألف ليرة لبنانية هل نعتبره من المحسنين؟.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَآيِٕ ذِى القُربَى...﴾ - ٩٠ النحل.

والله سبحانه وتعالى يتدرج في هذه الآية فيأمر أولاً بالعدل وهو إعطاء ماللناس من حقوق وأن تأخذ مالك أيضاً من حقوق. ثم يأمر المؤمن بعد ذلك درجة أعلى بالإحسان بأن يعطي ولو أكثر بقليل لأصحاب الحقوق عند التوزيع، وهذا يحصل دائماً مع المسلمين وغير المسلمين في توزيع الميراث. فالأخ الكبير إذا كان هو الذي يوزع بين إخوانه وأخواته الأصغر سناً عليه أن يوزع بالعدل، ذلك أقل مايمكن للمؤمن أن يفعله وإن أستطاع وأعطى أكثر من العدل، أي أعطى بإحسان يكون أفضل.

ثم في النهاية إن أخرج من ماله الخاص وهي حصته بعد التوزيع فعليه أن يعطي ذوي القربى من أهله الذين لا حصة لهم في ذلك المال.

هذه هي أوامر الله إن كان المؤمن يحب أن يرضي الله في هذه الأرض وقبل أن يغادرها المرء. والله تعالى يقول في سورة الرحمن:

﴿هَل جَزَآءُ الإِحسَانِ إِلا الإِحسَانِ﴾ - ٦٠ الرحمن.

أي هل يمكن للعبد في الأرض أن يوزع فوق العدل بالإحسان إلا أن يكافئه الله بإحسان أيضاً أي يعطيه أيضاً فوق استحقاقه في الدنيا وفي الآخرة من كرم الله، وهل

هناك مقارنة بين كرم العبد وكرم الله سبحانه؟

ومن الناس الذين يطالبنا الله أن نعطيهم فوق استحقاقهم العادي أي فوق مايستحقونه منا بالعدل والميزان. هم الوالدين.

﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسَاناً...﴾ - ٨٣ البقرة.

﴿...أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسَاناً...﴾ - ١٥١ الأنعام.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعبُدُوا إِلآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسَاناً...﴾ - ٢٣ الإسراء.

وهكذا نجد أن الله سبحانه لايقبل بأقل من الإحسان للوالدين من المؤمنين.

ثم ننتقل إلى الإحسان لليتيم:

﴿وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلا بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ..﴾ - ١٥٢ الأنعام.

لقد جعل الله هذه الآية من آيات الصراط المستقيم لتنفيذها من قبل المؤمنين. والآية واضحة فلا يجوز للمؤمن أن يمد يده إلي مال اليتيم إلا في حالة واحدة وهي إن أراد الولي أن يضاعف تلك الأموال استثماراً للأيتام حتى يبلغوا الرشد فيسلمهم أموالهم أحسن وأفضل مما كانت عليه في البداية وعند وفاة أو مقتل أبيهم ومعيلهم.

والمؤمن مأمور من ربه أن يكرم اليتيم، لأن الكفار والمشركين فقط هم الذين لايكرمون اليتيم، فيقول سبحانه في صفاتهم:

﴿كَلا بَل لا تُكرِمُونَ اليَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسكِينِ * وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أَكلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمًّا﴾ - ١٧ - ٢٠ الفجر.

(...وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أَكلاً لَّمًّا...): المقصود به هو الميراث، فنجد أن الأعمام والأخوال يأكلون حقوق الأيتام من ميراث أبيهم. وهذه صفة من صفات الكفار والمشركين بالله وليست صفة من صفات المؤمنين المتقين الذين يخشون يوم لقاء الرحمن.

لننظر في الكلمات الخمسة التالية، هل تنطبق علينا كلها اليوم أم لا تنطبق؟

﴿لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين﴾ - ٨٣ البقرة.

فهل نحن الآن نحسن للوالدين ونعطيهما من اهتمامنا ومن وقتنا ومن مالنا مما يستحقان من معاملة، وهل نفعل ذلك أيضاً مع ذوي القربى من أهلنا وأقاربنا ورحمنا من إخوة وأخوات وعمات وخالات، وهل نفعل نفس الإحسان مع جميع اليتامى من

أهلنا وأقاربنا، وهل نفعل ذلك مع المساكين والفقراء من مساكين الأمة.

﴿وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰ أَمْوَٰلَهُم وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَهُم إِلَىٰ أَمْوَٰلِكُم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ ـ ٢ النساء.

هنا يأمر الله تعالى المؤمنين والمسلمين أن يعيدوا لليتامى أموالهم، وعند إعادتها عليهم أن لايتبدلوا الخبيث بالطيب، أي لو فرضنا أنه كان لأحدهم عندنا عشرة من الإبل الجيدة والفتية وعند إعادة المال لليتيم نبدلها ونعيدها له عشرة من الإبل الهزيلة الكبيرة السن التي لم تعد تنفع لشيء أبداً، كما ينصحنا أن لانضم أموالهم إلى أموالنا وننكرها عليهم.

وهذا هو العدل. أما الإحسان فهو أن نعيد لهم حقوقهم وفوقها أرباحها أيضاً. والله تعالى في نهاية الآية يقول:

﴿...إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ ـ ٢ النساء.

وحوباً بمعنى إثماً أي أنه إن فعل ذلك كان فعله إثماً كبيراً.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارزُقُوهُم مِّنهُ...﴾ ـ ٨ النساء.

هذه الآية تذكر المؤمن الذي يوزع الميراث بين المستحقين من الورثة أن لاينسوا من القسمة من حضرها من أولي القربى واليتامى والمساكين فيجب أن نحسب حسابهم وأن نرزقهم من ذلك. فهل نفعل ذلك أم أننا نقول كما عودنا السلطان أن يقول لأمة المسلمين: «إن رزقكم على الله فاذهبوا وطالبوه بها».

﴿...وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ...﴾ ـ ١٧٧ البقرة.

فهل ندفع لهؤلاء مما نحب من أموالنا سخاء وكرماً أم أننا نصرف أموالنا على أمور أخرى بعيدة جداً عن ذلك الاتجاه.

﴿وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالْوَالِدَينِ إِحسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابنِ السَّبِيلِ...﴾ ـ ٣٦ النساء.

إن الله تعالى يطالبنا بالإحسان إلى كل هؤلاء مبتدئاً بالأقرب فالأبعد، فهل نحن من الذين يفعلون ذلك دائماً أم نحن من الفئة التي يقول عنها سبحانه:

﴿الَّذِينَ يَبخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخلِ وَيَكتُمُونَ مَآ ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِ وَأَعتَدنَا

لِلكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ - ٣٧ النساء.

أم نحن من الفئة التي يقول عنها سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم رِئَآءَ النَّاسِ وَلا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِاليَومِ الأَخِرِ...﴾ - ٣٨ النساء.

وكل منا حر في أن يحكم لنفسه بنفسه ويدرج نفسه في القائمة التي يختارها شريطة أن يكون صادقاً مع نفسه، وإن كان من الفئة التي بخلت وقصرت في الدفع والعطاء والإحسان ينصحهم ربهم ويقول:

﴿وَمَاذَا عَلَيهِم لَو ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِم عَلِيماً﴾ - ٣٩ النساء..

والله سبحانه يريد منا أن نجري مقارنة بين الآيتين:

إنسان ينفق أمواله رياء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر.

وإنسان ينفق أمواله إيماناً وطاعة لله ورجاء بحسن ثواب الرحمن في الدنيا والآخرة.

كلاهما ينفق ماله، فالذي يؤمن بالله لم يبذل جهداً إضافياً، كما لم يدفع أكثر من الذي دفع رياء. لكن الفرق بين الاثنين عظيم.

فالمؤمن له حسن ثواب الله في الدنيا والآخرة، بينما الإنسان الثاني ضيع بكفره ذلك الثواب، فلم يعد له عند الله شيء. ولو استخدم عقله وحكّمه لربحت تجارته لكنه حكّم هواه الذي ساقه للرياء والنفاق فخسر كل شيء.

﴿...وَسَوفَ يَعلَمُونَ حِينَ يَرَونَ العَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ - ٤٢ الفرقان.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١١ ـ التقوى:

مصدر كلمة التقوى من وَقَى ـ يَقي ـ وِقَايَة. والمعنى بهذا الشكل واضح.
﴿...وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ...﴾ ـ ٨١ النحل.

وقال عن الدروع التي كان يلبسها المقاتلون من زرد الحديد:

﴿...وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأسَكُم...﴾ ـ ٨١ النحل.

﴿...رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ...﴾ ـ ٢٠١ البقرة

والعبد الذكي هو الذي يفهم آيات الله قبل فوات الأوان فيتدبر الأمر ويفعل بما يرضي الله، أعمالاً ترضي ربه ولاتغضبه. فنقول عن مثل هذا العبد أنه إتّقى وماااتصف به خلال سعيه هو التقوى. وإن ثابر على ذلك دون أن يغير منهج سيره فهو من المتقين. وبعض الناس يتصفون بالشح لطبع فيهم، ولن ينجح المؤمن إلا إذا انتصر على تلك النفس ولذا يقول سبحانه:

﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ـ ٩ الحشر.

والمؤمن الذي يعبد الله صادقاً ويعمل الصالحات ويصلح في الأرض فالله سوف يضعه دائماً في المكان اللائق والمناسب.

﴿...فَمَنِ اتَّقَى وَأَصلَحَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ ـ ٣٥ الأعراف.

وليس من الضروري أن يجلس العبد بعد كل صلاة ويذكر مناقبه وحسناته لله حتى يسجلها له في سجل حسناته.

﴿...فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ـ ٣٢ النجم.

لأن الله كما رأينا يعرف عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا.

والآن لننتقل للآية التي فسرها الجنود كما يشاء سلطانهم ليحرفوا الدين كله للاتجاه الذي يريده سعياً وراء ملذات الحياة.

﴿فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى * وَكَذَّبَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى﴾ ـ ٥ ـ ١٠ الليل.

إن المعنى كما هو واضح في القرآن: إن الذي يختار بإرادته ومشيئته الأولى كما

سمح بها الله للإنسان بالإيمان والتقوى، وأعطى مما يحب من ماله حباً وطاعة كما أُمر لمستحقيها وصدق بكل الخير والحسنى الذي ورد في كتاب الله، فالله تعالى بالمقابل سوف ييسر أموره ويسهلها له. وأما الذي شاء واختار الكفر مستغنياً عن حب الله، وبخل بماله وشحت نفسه عن العطاء وكذب بالآخرة وكذبَ بما في كتاب الله سوف يسيِّر الله أموره من عسر إلى أعسر ويعذبه لسوء اختياره. وليس كما يقول جنود الطاغوت اليوم من رجال الدين بأن الله تعالى إذا شاء سيَّر الإنسان للإيمان وحب الله وفعل الخير، وإن شاء جعله كافراً وجعله يرتكب الآثام: حتى يحرقه بنار جهنم في النهاية.

لننتقل إلى صحيح البخاري لنجد كيف يفسر لنا معنى هذه الآية بالأحاديث النبوية الشريفة: باب قوله (فَأَمَّا مَن أعطَى وَاتَّقَى) الحديث ٤٩٤٥ صحيح البخاري: عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في بقيع الفرقد في جنازة فقال: «مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «إعملوا فكل ميسر» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى * وَكَذَّبَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى﴾.

باب قوله: (وَصَدَّقَ بِالحُسنَى) حدثنا مسدد حدثنا.... عن علي رضي الله عنه قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الحديث. (أي ذكر نفس الحديث السابق فصار على صدق هذا الحديث شاهدان من المسلمين).

باب (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى) الحديث رقم ٤٩٤٦ صحيح البخاري: حدثنا بشر بن خالد، أخبرنا... عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة فأخذ عوداً ينكت في الأرض فقال: «مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، أو من الجنة» قالوا: يارسول الله أفلا نتكل؟ قال إعملوا فكل ميسر، (فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى) الآية. قال شعبة وحدثني به منصور فلم أنكره من حديث سليمان. (لقد صار عدد الشهود أربعة بإضافة منصور.)

باب قوله (وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى) الحديث رقم ٤٩٤٧ صحيح البخاري: حدثنا يحيى عن وكيع.... عن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقلنا يارسول الله أفلا نتكل؟ قال: «لا! إعملوا فكل ميسر» ثم قرأ:

﴿فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى * وَكَذَّبَ بِالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى﴾

صار عدد الشهود خمسة.

باب قوله: (وَكَذَّبَ بِالحُسنَى) الحديث ٤٩٤٨ حدثنا عثمان بن أبي سيبة حدثنا جرير.... عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الفرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال «مامنكم من أحد وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها في الجنة أوالنار، وإلا كتبت شقية أو سعيدة» قال رجل: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء» ثم قرأ (فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى) الآية. صار عدد الشهود ستة.

باب (فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى) الحديث رقم ٤٩٤٩ صحيح البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا.... عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت في الأرض فقال: مامنكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ (فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحُسنَى) الآية. وصار عدد الشهود سبعة.

هذا الحديث الذي قرآناه على ستة أوجه وكلها مُتَّفِقَةٌ تماماً بمضمون الحديث أولاً، وبأن الحديث من رجل لايمكن الشك فيه في الإسلام كله وهو علي بن أبي طالب يروي عن محمد رسول الله ثانياً، هذا الحديث بحسب تصنيف علماء الحديث لايمكن الشك في صحته إطلاقاً، علماً أنه ورد في الصحيحين، فهو متفق عليه أيضاً من جميع الأئمة. ولكن مع الأسف ورغم هذه الجهود فإن الحديث كله جملة وتفصيلاً يناقض القرآن الكريم وآياته مناقضة تامة وصريحة. لماذا؟ وكيف؟

هذه الأحاديث كلها تقول أن الله تعالى قد قرر سلفاً من منا سوف يدخل الجنة ومن منا سوف يدخل النار من دون الحاجة إلى اختبار الإنسان مع إنكار حرية اختياره أصلاً

في الحياة الدنيا. ولكن الله سبحانه لايُقِرُّ في كل القرآن بكل هذا الكلام. بل يقول سبحانه بأنه شاء وأراد وهو رب العرش حرٌّ بما يشاء ويختار ولايمكن أن نسأله لماذا كانت مشيئتك هكذا يارب العالمين.

يقول لنا في القرآن بأنه شاء وأراد أن لايعلم من الإنسان إلا اللحظة التي هو فيها فقط أي اللحظة التي يوسوس فيها الشيطان للإنسان وماذا نوى من أفعال وأعمال بناء على مايفكر فيه، أما أبعد من ذلك فقد شاء الله تعالى أن لايعلم. حتى يكون الإنسان مسؤولاً بما سيفكر فيه وبما سيفعله في المستقبل، فيتحمل كل نتائج تفكيره وعمله جملة وتفصيلاً، فله مطلق الحرية بأن يختار الكفر أو الإيمان ولن يكرهه أحد، وماجاء الرسل أبداً لإكراهه بل جاؤوا فقط للإنذار والوعظ والنصيحة لا أكثر: والدليل على صحة هذا الكلام في القرآن:

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر...﴾ - ٢٩ الكهف.

والله يقول لنا أنه يعلم مايلي:

﴿وَلَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ وَنَعلَمُ مَا تُوسوِسُ بِهِ نَفسُهُ...﴾ - ١٦ ق.

﴿فَلا يَحزُنكَ قَولُهُم إِنَّا نَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ﴾ - ٧٦ يس.

﴿وَإِنَّا لَنَعلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ - ٤٩ الحاقة.

﴿...أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُم فَاحذَرُوهُ...﴾ - ٢٣٥ البقرة.

﴿...يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم...﴾ - ٢٥٥ البقرة.

وفي الآية الأخيرة تحاشى الله تعالى أن يقول بأنه يعلم ما سيأتي أمامهم من المستقبل، وآيات كثيرة جداً في القرآن تقرر أن الذي يعلمه الله هو عن اللحظة الحاضرة، والله يريد أن يعلم كيف سيتصرف كل إنسان، ومن أجل ذلك خلق بني الإنسان واستخلفهم في الأرض ومنحهم حرية الاختيار، وهو يعلم طبعاً أن القليل منهم هم الذين سوف يؤمنون بالله والكثير منهم سوف يكفرون ويشركون. ولكنه لم يقرر سلفاً من منهم بالذات وبالاسم الذين سوف يكفرون أو من منهم الذين سوف يؤمنون، وإلا لانتفت الحرية من أساسها أصلاً. طالما كل شيء مقرر سلفاً. إذن فالله قد أعلن عدم علمه عما يلي:

﴿...وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيهَآ إِلا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى

عَقِبَيهِ...﴾ - ١٤٣ البقرة.

﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّى نَعلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنكُم وَالصَّابِرِينَ وَنَبلُوا أَخبَارَكُم﴾ - ٣١ محمد.

وفي الآية التالية دليل على حرية الإنسان في الاختيار بإقرار من الله سبحانه بأن إبليس لم يكن له سلطان على أحد من الناس حتى يجعله يفعل الكفر والشر:

﴿وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِّنَ المُؤمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيهِم مِّن سُلطَانٍ إِلا لِنَعلَمَ مَن يُؤمِنُ بِالأَخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾ - ٢١ سبأ.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ - ١٤٢ آل عمران.

﴿وَمَآ أَصَابَكُم يَومَ التَقَى الجَمعَانِ فَبِإِذنِ اللَّهِ وَلِيَعلَمَ المُؤمِنِينَ * وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ - ١٦٦ - ١٦٧ آل عمران.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تُترَكُوا وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَلَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ - ١٦ التوبة.

وفي قصة يوسف تأتي الآية من أجل أن يعلَمَ سيده بأن يوسف لم يخنه فيظهر الله براءته. لأنه كان يشك فيه ولايعلم يقيناً بأنه غير مذنب قبلها.

﴿ذَلِكَ لِيَعلَمَ أَنِّي لَم أَخُنهُ بِالغَيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهدِي كَيدَ الخَآئِنِينَ﴾ - ٥٢ يوسف.

وهكذا نجد أن الآيات كثيرة وكلها تشير إلى أن الله ترك الخيار للإنسان. ولكن الله لم يقل أبداً أنه لايستطيع أن يعلم إذا شاء منذ البداية، فإن الله على كل شيء قدير، فعدم معرفته بما سيفعله الإنسان في المستقبل ليس عجزاً منه أبداً بل مشيئة سابقة منه حتى يعلم من الذي سوف يختار الله بحريته ومن الذي سوف يختار الدنيا وشهواتها بإرادته، وهذا منتهى العدل ومنتهى النبل والصدق من الله تعالى الله خلق النحل ويعلم كل ما ستعمله بالتفصيل ولم يترك لها الحرية بل برمجها بالكامل لكنه شاء سبحانه أن يترك حرية التصرف والإختيار للإنسان ليحمله المسؤولية وتلك كانت الأمانة التي حملها الإنسان من دون العالمين.

أما إذا صدقنا السلطان وجنوده، بأن كل إنسان معروف حتى من قبل أن يولد إن كان سوف يفعل الخير أو سيفعل الشر، مستندين إلى قصةٍ ومثل ضربه الله في القرآن، حديث بين موسى ورجل أعطاه الله علماً فقتل الرجل الولد لعلمه أن الولد سوف يكون

من المجرمين، هذا مثال ضربه لنا رب العالمين حتى نميز لو كانت الأمور كذلك، لنتصور فداحة المظالم التي يمكن أن يرتكبها الإنسان وهو يقول: أنا قتلت فلاناً لأنه كان سيصبح مجرماً يعذب قومه فخلصتكم منه، لايعلم أحد ماذا يمكن أن يفعل أو لايفعل الإنسان أبداً. فكل أفعال الإنسان باختياره طالما لايزال يحتفظ بعقله سليماً. وليس الله مسؤولاً عنها بل الإنسان ونفسه الأمارة بالسوء وكذلك حتى نعلم سبب إخفاء الله غيبه حتى عن رسله، لأن الرسل لو كانوا يعلمون الغيب مثل الله لاستحال عندها التفاهم والتعايش معهم على الأرض كما استحال تفاهم موسى مع الشخص في قصة الله الرمزية هذه.

في علم الجريمة. العلماء والخبراء الأخصائيين يقولون لابد للمجرم أن يترك أثراً مهماً مهما صغر يمكن أن يدل عليه، فماذا نجد من أثر يدل على شخصية الذي شوه تلك الأحاديث السابقة.

ثلاثة أحاديث من أصل ستة ذكرت أن الرسول وهو يحدثهم كان ينكت في الأرض بيده أو بشيء كان معه، هذه الصورة مأخوذة من كتب أهل الكتاب: (إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن من الفقرة ٣ - إلى ٦) (ثم حضر أيضاً إلى الهيكل في الصبح وجاء إليه في الصبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا. ولما أقاموها في الوسط قالوا له يامعلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت، قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم مايشتكون به عليه. وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب باصبعه على الأرض (ينكت في الأرض) ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض (أي عاد ينكت في الأرض كما كان) والمسلم الساذج يظن أن الأحاديث الستة التي سمعها بسند مختلف هي من ستة مصادر مختلفة وصحيحة. هذا قد برهنت بشكل عملي على أن المصدر واحد والذي كتبها هو شخص واحد مشوهاً لعقيدة المسلمين الصحيحة. من إسلام يدعو إلى العمل والخير والإيمان إلى إسلام قدري يلغي قيمة العمل وفعل الخير والإيمان يقرر أن كل شيء مقدر مسبقاً من الله.

ولكن الذي يهم الآن كيف نبرهن أن هذه الأحاديث مصدرها شخص واحد.

إن الرجل الذي ألف الأحاديث الستة حاول أن يكون دقيقاً فحاول أن يغير بعض الأشياء ولكن فاته إماكنية كشفه، فلو عدنا لنص الأحاديث الستة نجد تطابقاً شبه كامل بين الأحاديث الستة:

١ ـ مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل؟ فقال إعملوا فكل ميسر ثم قرآ (فَأَمَّا مَن أَعطَى)

٢ ـ نفس النص السابق بالحرف.

٣ ـ مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة (عملية قلب مقصودة) لإجراءِ شيء من التعديل. قالوا: يارسول الله أفلا نتكل؟ قال إعملوا فكل ميسر (فَأَمَّا مَن أَعطَى).

٤ ـ مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار (إضافة مقعده مرة ثانية. فقلنا: يارسول الله أفلا نتكل؟ قال: لا إعملوا فكل ميسر أضيفت كلمة لا.

٥ ـ مامنكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار محاولة تعديل أوسع.

٦ ـ مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال إعملوا فكل ميسر لما خلق له. في خمسة أحاديث من أصل الستة نجد العبارة التالية: واحدة دون أي تبديل فيها: (مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده) (فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل؟) (إعملوا فكل ميسر) أولاً يجب أن لاننسى أن هذه الأحاديث إذا كانت صحيحة يفترض فيها أنها كانت تنقل شفاهاً بالذاكرة. وقد صدف أن سمعها ستة من علي ابن أبي طالب وهم بحسب رجال السند:

سفيان في الرواية الأولى: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش.

عبد الواحد في الرواية الثانية: حدثنا مسدد، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الأعمش.
سليمان في الرواية الثالثة: حدثنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سليمان.

وكيع في الرواية الرابعة: حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش.

منصور في الرواية الخامسة: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور.

شعبة في الرواية السادسة: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن الأعمش.

ووسطياً حتى وصلت إلى الإمام البخاري تناقلها سبع أجيال باعتبار علي بن أبي طالب هو الجيل الأول.

وعبد الرحمن السلمي الجيل الثاني.

وسعد بن عبيدة الجيل الثالث.

وسليمان الجيل الرابع.

وشعبة الجيل الخامس.

ومحمد بن جعفر الجيل السادس.

وبشر بن خالد الجيل السابع.

لقد كتبت الحديث على ورقة باللغة العربية الصحيحة وأعطيتها للأول، وطلبت منه أن يروي ماسمعه وفهمه للثاني، والثاني ينقلها شفاهاً للثالث، وهكذا حتى وصلوا إلى السابع، وكررت العملية عدة مرات على أناس يتقنون اللغة العربية ويعرفون في القرآن والأحاديث، لم يحصل في مرة واحدة منها أن ينتقل الحديث للشخص السابع كاملاً أبداً كما انتقل هنا خلال ثلاثمائة سنة، وتجربتي أخذت ساعةً من نهار، والذاكرة لازالت تحتفظ بما سمعت به منذ قليل. ويمكن لمن لايصدق أن يعيد التجربة بنفسه.

فوجود النص الثابت في الأحاديث الستة بدون تغير حرف منها (مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده) يثبت بالتجربة والبرهان أن الذي لعب هذه اللعبة في الإسلام هو شخص واحد، وهذا الشخص إما من أهل الكتاب أو من الذين لهم اضطلاع واسع على كتب أهل الكتاب، بدليل أخذه صورة عيسى بن مريم في أحد مواقفه في الإنجيل لجعلها صورة للرسول محمد في أحد مواقف المدعاة في الإسلام.

وهكذا نجد ونرى بأم أعيننا كيف قرر جندي واحد من جنود السلطان الأوفياء، بأن يقلب موازين الدين الإسلامي ورسالته رأساً على عقب، ليسير عليها المسلمون ويطبقوها وكأنهم منومون مغناطيسياً من دون أن يحاول أحد منهم أن يفكر بما يحصل حوله وبما حصل في الماضي. أليس الشك هو مبدأ العلم الأول؟ فلماذا لم يشك المسلمون حتى الآن في كل المنافقين والحاقدين الذين لعبوا بديننا وبماضينا ومستقبلنا وهم يرددون أسماءهم كل يوم بشر المريسي، إبراهيم بن إسحاق، إبراهيم بن إسرائيل،

إبراهيم بن مهران، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق، إبراهيم بن يوسف، إسحق بن إسرائيل، أبو إسحق بن علاء اليهودي، سليمان بن داوود، يعقوب بن إسحق العطار، عبد الله بن شمعون، كعب الأحبار، يحيى بن عبد الله بن موسى (أبو زكريا)، أبو يعقوب الإسرائيلي، يعقوب بن إبراهيم بن سعد، الملقب بأبي يوسف القاضي، وأبو يوسف كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة. وأول من ولاه القضاء هو الهادي، وهو أول من لقلب بقاضي القضاة في الإسلام وهو مايقابل (رئيس المحكمة العليا).

يعقوب بن داوود بن طهمان، وغيرهم بالعشرات.

وهكذا علينا أن لانستغرب ماحصل لنا، فقد تم بدهاء وبإتقان شديد وقلبوا الدين كله رأساً على عقب، وسحبوا منا كتاب الله بعد أن سلمونا بديلاً عنه مالاينفع لشيء حتى نفهم منه أن الإنسان لاخيار له بشيء أبداً، بل كل شيء مقدرٌ ومقررٌ سلفاً، حتى من قبل أن يولد في هذه الحياة الدنيا. فمصيره مقدرٌ ومحتوم وهو لن يستطيع أن يغير ماكتب الله له سلفاً وقرره حتى صار قدره المحتوم مهما حاول لمنع ذلك من المستحيلات.

ولكن من حق القارىء أن يتساءل ماذا يستفيد السلطان الذي وراء هذا كله من مثل هذا الحديث الذي يختلقه إنسان متخصص في التزوير ليقول على الله تعالى والرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كذباً وافتراءاً ومكراً عظيماً.

إن مصلحة السلطان لاتقدر بثمن، لأنه يسعى فقط لجنة هذه الدنيا ولايؤمن هو ولا أغلب جنوده بالآخرة أصلاً، فيريد أن تبقى هذه الحياة الدنيا من نصيبه، ويبقى كرسي السلطان له ولأولاده من بعده دون أن يفكر فيه إنسان ما أبداً مهما تبدلت الظروف لأن وجوده ووجود أولاد من بعده في السلطة قد أصبح من قضاء الله وقدره المحتوم.

لذلك فإقناع الناس بأن كل شيء مقدرٌ ومكتوب من الله سلفاً يجعلهم يقبلون بالواقع مهما كان أليماً صبراً واستكانة، طالما علموا أن التغيير أصلاً ليس من صلاحيتهم ولا في أيديهم بل هو دائماً في يد الله، ولاخيار لهم في أي شيء في هذه الحياة أبداً. هذا الحديث أو تلك الأحاديث مع تكرارها عليهم في أيام الجمع حَولَهُم فعلاً مع الأيام إلى قطيع فعلي يساق به إلى المسلخ الذي يشاؤه السلطان وأعوانه دائماً، فيسوقونهم للجهاد من أجل فتوحات جديدة وقد جعل السلطان الجهاد قتالاً دائماً في الإسلام، قتالاً ليس من أجل الإسلام أو نشر الرسالة التي يحتاج نشرها إلى الحكمة والموعظة الحسنة، فشاء أن ينشرها هو بالسيف حتى يكثر من السبايا والغنائم. ولم يعد من حق المسلم بعد هذه

الأحاديث أن يشتكي ظلماً أو فقراً أو عوزاً أو فاقة، لأن هذا الظلم مقدرٌ و مكتوب وكذلك الفقر وعوز المسلم وفاقته ومرضه وعذابه كله مقرر ومقدرٌ من الله، وعليه فقط الصبر والطاعة لأوامر السلطان دائماً. فهل هناك مصلحة أكبر من تلك المصلحة التي جناها السلطان من مثل هذه الأحاديث ومن خدمات جنود السلطان من المتخصصين في فن تزوير الأحاديث طالما كان يسعى فقط لنعيم الد نيا وحدها إنظر إلى منظر مجموعة من رجال الدين في حضرة ولي نعمتهم الإمام أو السلطان ماذا سوف ترى؟

هل يمكن أن ترى إلا مجموعة من المنافقين في حضرة ولي نعمتهم يحاولون التقرب إليه ريائا وكذبا؟

نعود إلى موضوع التقوى من جديد:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَّكُم فُرقَاناً وَيُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ - ٢٩ الأنفال.

الفرقان: بمعنى الفرق بين الحق والباطل. مثل (يوم الفرقان) أي اليوم الذي يُفرَق فيه بين الحق والباطل. وصار المعنى: ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل بصيرتكم قادرة على التمييز بين الحق والباطل فتسيرون في طريق الحق متجنبين سُبل الباطل وكما سيكفر عنكم سيئاتكم.

والذي يتقي الله يجب أن يصدق ويؤمن ويُسلّم بكل ماقاله الله في كتابه وإلا فهو ليس من المتقين.

﴿فَكَيفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرتُم يَوماً يَجعَلُ الوُلدَانَ شِيباً﴾ - ١٧ المزمل.

أي كيف تكونون من المتقين إذا كنتم تكفرون وتنكرون يوم القيامة ولا تؤمنون بها، إن الإيمان متكامل بكل ماقاله الله وليس الإيمان بجزء وإنكار مالايعجبكم منه متى تشاؤون وكيف تختارون.

وأحياناً تأتي كلمة وليتق الله بمعنى وليخشى الله أو ليخاف ويهاب الرحمن مثل قوله تعالى:

﴿...وَليُملِلِ الَّذِى عَلَيهِ الحَقُّ وَليَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبخَس مِنهُ شَيئاً...﴾ - ٢٨٢ البقرة.

أو: ﴿...فَليُؤَدِّ الَّذِى اؤتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلـ يَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ...﴾ - ٢٨٣ البقرة.

أي ليخاف غضب ربه إن خان الأمانة وليعلم أن عذاب الله شديد، وليس أحداً من

البشر ببعيد عن غضب الله وعذابه حتى ولو كان نبياً رسولاً إن حاد عن منهج الله.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾ - ١ الأحزاب.

إن فعل الأمر: اتق أو اتقوا تأتي دائماً بمعنى (خافوا الله واخشوه واحسبوا حساباً لغضبه الذي هو عذابه ولا تفعلوا مايغضبه أبداً).

﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ - ٢٣٣ البقرة.

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلآءِ ضَيفِى فَلا تَفضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخزُونِ﴾ - ٦٩ الحجر.

في قصة النبي لوط: عندما أتوا إليه يريدون ضيفيه لأن بهم شذوذ، ولم يكونوا يعلمون أنهم من الملائكة ومن رسل ربهم أتوا ليدمروا بيوتهم ويجعلوا عاليها سافلها وليذوقوا العذاب وهم ينظرون.

فيقول لهم النبي لوط: (خافوا الله ولا تخزوني في ضيوفي).

أما في الآية الكريمة:

﴿...وَلا تَشتَرُوا بِئَايَاتِى ثَمناً قَلِيلاً وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ﴾ - ٤١ البقرة.

أي: وإياي فارهبون. فيصبح معنى الآية:

﴿...إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ - ١٣ الحجرات.

أي أن أكرمكم عند الله أكثركم خشية له وتطبيقاً وطاعةً لما أمر به الله. ليس عن خوف مجرد وإنما عن يقين بأن الله يحبه ولايريده أن يضل الطريق ويتوه بين السبل، يريده أن يتبع الطريق السوي والصراط المستقيم حتى لايفتنه الشيطان عنه ليصل إلى بر الأمان بعقله وإرادته منتصراً في جولة الحياة وقد عمل الصالحات مؤمناً باراً أهله وذويه وأبويه، محباً للخير محسناً جواداً سباقاً للعطاء ولفعل الخيرات، حباً بالله وليس حباً لجاه أو مال أو منصب أو سمعة.

يسعى وراء إرضاء الله لعلمه أنه طالما يسير في حب الله فهو في طريق الأمان من دون أن تغفل عينه عن فتنة الشيطان حتى يصل إلى بر الأمان من دون أن يشرك بالله أحداً، لأن وقوع المؤمن في الإشراك سهلٌ إذا كنا لانحتاط للأمر ونتحسب له في كل حين.

والله تعالى هو الذي أذن للشيطان أن يفتن المؤمن عن إيمانه اختباراً له ليعلم الله مدى قوة إيمان عبده ويقينه فإن كان إيمانه عن حب مجرد بلا عقل ولا يقين بدليل أكيد وبرهان يسهل عندها على الشيطان إضلاله.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ - ١٠٦ يوسف.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - ١٣٨ آل عمران.

إن هذا الكتاب فيه كتابان، الأول بيان لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، ثم يعطف الموضوع بعد ذلك ويقول وفيه هدى وموعظة للمتقين. أي فيه كتاب آخر فيه آيات أخرى لتكون هدى وموعظة للمؤمنين المتقين.

الكتاب الأول هو الكتاب المكي والكتاب الثاني هو الكتاب المدني، والقسم المكي هو الذي يحوي على الآيات المتشابهات وهي التي تحوي العلوم والقصص، وهي لكل الناس مسلمهم وكافرهم. والقسم المدني فيه آيات الرسالة التي فيها الحرام والحلال والعبادات وحدود الله والشريعة هدىً وموعظةً للمتقين.

﴿...إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ - ١٢٨ الأعراف.

بمعنى أن هذه الأرض لله وحده وهو المتصرف بها حقاً، يعطيها لمن يبدي الرغبة للعمل والإصلاح فيها، لكن العاقبة للذين عملوا في تلك الأرض بتقوى الله، فإن أضاعوها ولم يعودوا يخشون الله فقد خسروا كل شيء ولو ربحوا الدنيا.

ثم لننتبه للآية القرآنية التالية:

﴿وَلَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرقَانَ وَضِيَآءً وَذِكراً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - ٤٨ الأنبياء.

فما هو هذا الشيء المتميز الذي يسميه الله بالفرقان، والفرقان هو الذي به يستطيع المؤمن أن يفرق بين الحق والباطل وأنزله على موسى وهارون، ومعه ضياء وذكراً للمتقين.

وإذا انتقلنا إلى سورة الفرقان من القرآن الكريم إلى مابعد الآية ٦٢ نقرأ:

﴿وَعِبَادُ الرَّحمَنِ الَّذِينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ - ٦٣ الفرقان.

إن الله سبحانه وتعالى يصف لنا المتقين ثم تتتابع الآيات:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصرِف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَت مُستَقَرّاً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَم يُسرِفُوا وَلَم يَقتُرُوا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَاماً * وَالَّذِينَ لا يَدعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ وَلا يَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ وَلا يَزنُونَ وَمَن يَفعَل ذَلِكَ يَلقَ أَثَاماً * يُضَاعَف لَهُ العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ وَيَخلُد فِيهِ مُهَاناً * إِلا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم

حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً * وَالَّذِينَ لا يَشهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغوِ مَرُّوا كِرَاماً * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَم يَخِرُّوا عَلَيهَا صُمّاً وَعُميَاناً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَب لَنَا مِن أَزوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعيُنٍ وَاجعَلنَا لِلمُتَّقِينَ إِمَاماً * أُولَئِكَ يُجزَونَ الغُرفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَت مُستَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ ـ ٦٤ ـ ٧٦ الفرقان.

هذه الآيات التي بدأت بوصف المتقين ذكرت من خلال وصفهم أحوالهم، والصراط الخاص بهم وهو يختلف عن الصراط المستقيم الخاص بالمؤمن العادي، فهذا الصراط أعلى درجة. كما أن المتقين أعلى درجة من المؤمنين العاديين، ومقامهم في الجنة يختلف أيضاً فإذا كان المؤمن يدخل الجنة فحسب فإن المتقين لهم في الجنة مقام لايعلمه سوى الله، ولكن من الواضح من سياق الآيات أنها أعلى مقاماً من الجنة العادية بدليل أن الله تعالى يقول:

﴿أُولَئِكَ يُجزَونَ الغُرفَةَ بِمَا صَبَرُوا...﴾ ـ ٧٥ الفرقان.

فما هو هذا الصراط أو تلك الوصايا التي يوصيها للمتقين حتى لايتجاوزها لتبقى طريقاً لهم في سعيهم للحصول على ما وعدهم به ربهم. وماهي صفاتهم:

هم عباد الرحمن يمشون على الأرض بتواضع العارف لمقامه الحقيقي في الأرض وأنها دار زوال وليست دار مقام، ويبيتون في الليل مصلين ساجدين لله رب العالمين، ويرجون من الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم يقيناً منهم بوجودها ويؤمنون بشدة نارها ولظى حرها. والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يسرفوا فيوزعون كل ماعندهم ولا يقترون، ولكنهم يلتزمون الحد الوسط من ذلك. وهم لايشركون مع الله أحداً أبداً، حتى لا يحرفهم أحد عن دينهم ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولايزنون لعلمهم أن من يفعل كل ذلك فعقوبته شديدة عند الله، ويضاعف له الله العذاب لأنهم من العارفين العالمين بكل هذه الأمور، فإذا وقعوا في الإثم لم يقعوا فيها عن جهالة وإنما عن علم بما يفعلون، إلا إذا تاب وعاد فآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم إلى حسنات ويرحمهم الله، وكما أنهم لايشهدون الزور كذباً، وإذا ذكروا بآيات الله فهموها وأقروا بها فوراً. ويدعون الله بأن يرزقهم ذرية صالحةً تفرح بها أعينهم وقلوبهم، ويدعون الله بأن يجعلهم إماماً للمتقين، هؤلاء يكافئهم الله بمكانة خاصة في الجنة جزاء وفاقاً لحسن صبرهم وإيمانهم وتقواهم، يخلدون فيها معززين من ا لله ومن ملائكته المكرمين.

١٢ ـ الخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى:

من غرائز الإنسان الطبيعية الخوف. فالإنسان يخاف بشكل طبيعي من أشياء كثيرة ومما يخافه الإنسان الألم والعذاب «التعذيب».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ...﴾ ـ ١٠٣ هود.

وبما أن الله سبحانه بيده أن يعذب الإنسان في نار جهنم التي يخافها الإنسان كثيراً، لذا يخاف الآثم والذي يرتكب الأخطاء إذا كان مؤمناً بالله سبحانه خشية من عذاب جهنم.

﴿...إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ـ ١٥ يونس.

والذي يخاف ذلك اليوم يخاف الله أيضاً من أجل ذلك:

﴿... إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ ٢٨ المائدة.

﴿...إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ...﴾ ـ ٤٨ الأنفال.

هذا هو الخوف المباشر من الإنسان نفسه على نفسه. فما عن الذي لايخاف على نفسه وإنما يخاف على إنسان عزيز عليه، أو رسول يخاف على أمته من الذين لايستمعون إليه، ويخشى عليهم من عذاب الله كما قال نوح لقومه مثلاً:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ـ ٥٩ الأعراف.

أو كما قال شعيب:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ـ ٨٤ هود.

والإنسان أحياناً يخاف من موقف مخزٍ كأن يكذبه الناس مثلاً:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ـ ١٢ الشعراء.

والإنسان يخاف من الموت:

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ـ ١٤ الشعراء.

وقال الله مشجعاً موسى عليه السلام:

﴿...يَامُوسَى لا تَخَف إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ المُرسَلُونَ﴾ - ١٠ النمل.

قلنا إن الإنسان يخاف الموت لذلك يخاف من الأشياء القاتلة كالأفاعي: لذلك خاف موسى من عصاه التي تحولت إلى أفعى:

﴿قَالَ خُذهَا وَلا تَخَف سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ - ٢١ طه.

وأحياناً يخاف الإنسان الفشل، فقال الله مشجعاً موسى عليه السلام:

﴿قُلنَا لا تَخَف إِنَّكَ أَنتَ الأَعلَى﴾ - ٦٨ طه.

أي أنت الذي سيفوز، وعندما ذهب موسى إلى ميعاد ربه ليمثل إليه خاف فقال له ربه مشجعاً:

﴿...يَامُوسَى أَقبِل وَلا تَخَف إِنَّكَ مِنَ الأَمِنِينَ﴾ - ٣١ القصص.

لذلك لابد أن يكون المؤمن في خوف وخشية دائمة من الله ومن عذابه وعقابه.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ - ٢١ الرعد.

والملائكة أيضاً:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوقِهِم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ﴾ - ٥٠ النحل.

لكن الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لا يخافون من عذاب الله بل يخافون من عذاب السلطان:

﴿كَلا بَل لا يَخَافُونَ الأَخِرَةَ﴾ - ٥٣ المدثر.

لذلك فصفة الخوف والخشية من الله تعالى هي من صفات المؤمنين وحدهم - دون الكفار.

﴿وَاذكُر رَّبَّكَ فِي نَفسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً...﴾ - ٢٠٥ الأعراف.

والخشية نوع من أنواع الخوف والله تعالى أحق أن يخشى من كل السلاطين.

﴿...فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ - ١٣ التوبة.

﴿...اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلا تَخشَوهُم وَاخشَونِ...﴾ - ٣ المائدة.

﴿مَآ أَنزَلنَا عَلَيكَ القُرءَانَ لِتَشقَى * إِلا تَذكِرَةً لِّمَن يَخشَى﴾ - ٢ - ٣ طه.

﴿...إِنَّمَا يَخشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاؤُا﴾ - ٢٨ فاطر.

﴿...فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنهُم يَخشَونَ النَّاسَ كَخَشيَةِ اللَّهِ أَو أَشَدَّ خَشيَةً...﴾ - ٧٧ النساء.

أي يخشون أن يقتلواعلى أيدي الناس.

وعلى المؤمن الحقيقي أن لايخشى إلا الله فهو وحده سبحانه الجدير بالخشية:

﴿...وَلا يَخشُونَ أَحَداً إِلا اللَّهَ...﴾ - ٣٩ الأحزاب.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِن هَادٍ﴾ - ٢٣ الزمر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٣ ـ النصيحة والموعظة:

علينا أولاً أن نفهم معنىالنصيحة من آيات الله في القرآن الكريم:

﴿...يَاقَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحتُ لَكُم وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ ـ ٧٩ الأعراف.

والنصيحة بحسب سياق هذه الآية، أن يقول إنسان موجهاً الكلام لإنسان آخر بما ينتفع منه من الكلام إن أخذه الآخر محمل الجد والاهتمام والتصديق. ولكن غالباً ماتكون النصيحة لإنسان جاهل قليل الخبرة والتجربة فلا يصدق مايسمع ولاينتفع بالنصيحة.

وهكذا نجد في سورة الأعراف مرة أخرى تتكرر نفس المشكلة:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَأَن لَّم يَغنَوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَانُوا هُمُ الخَاسِرِين * فَتَوَلَّى عَنهُم وَقَالَ يَاقَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالاتِ رَبِّى وَنَصَحتُ لَكُم فَكَيفَ ءَاسَى عَلَى قَومٍ كَافِرِينَ﴾ ـ ٩٢ ـ ٩٣ الأعراف.

أي قدمت ما أستطيع أن أقدمه من نصيحة ولم أقل إلا ماينفعكم ولكنكم لم تصدقوني، وكما أنكم لم تستفيدوا من نصيحتي. وهكذا نرى من شروط النصيحة أن تكون صادقة وأمينة وليس فيها مكر أو خديعة بل دائماً تكون في مصلحة الذي تقدم له النصيحة.

﴿لَيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى المَرضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ ـ ٩١ التوبة.

أي ليس على هؤلاء حرج إذا ما قدموا أفضل ما عندهم من الكلام طالما ليسوا قادرين على أكثر من ذلك وينطبق عليهم قول الشاعر:

لاخيلَ عندَكَ تُهديها ولا مالُ فليسعِدِ النطّقُ إن لم يسعِدِ الحالُ

ثم نجد بعد ذلك موقف قوم نوح من النصيحة:

﴿قَالُوا يَانُوحُ قَد جَادَلتَنَا فَأَكثَرتَ جِدَالَنَا فَأتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعجِزِينَ * وَلا يَنفَعُكُم نُصحِى إِن أَرَدتُ أَن أَنصَحَ لَكُم إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يَغوِيَكُم هُوَ رَبُّكُم وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ ـ ٣٢ ـ ٣٤ هود.

وكذلك حصل مع هود وقومه عاد إذ:

﴿...قَالَ يَاقَومِ اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيرُهُ أَفَلا تَتَّقُون * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِين * قَالَ يَاقَومِ لَيسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِين * أُبَلِّغُكُم رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِين﴾ - ٦٥ - ٦٨ الأعراف.

ولم يستفد قومه من النصيحة وأصابهم مثل ما أصاب الأولون.

والمرة الوحيدة التي استفاد فيها أحد بما نصح به هي في القصة التالية:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّن أَقصَا المَدِينَةِ يَسعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ المَلأَ يَأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقتُلُوكَ فَاخرُج إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ القَومِ الظَّالِمِينَ﴾ - ٢٠ - ٢١ القصص.

وكان هو موسى عليه السلام قبل أن يعهد إليه الله بالرسالة.

هذا عن النصيحة فماذا عن الموعظة؟

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدَىً وَمَوعِظَةٌ لِّلمُتَّقِين﴾ - ١٣٨ آل عمران.

فما هما الشيئان المقدمين من الله تعالى أحدهما بيان للناس كافة مسلمهم وكافرهم، والآخر فيه هدىً وموعظةٌ فقط للمتقين منهم؟

الأول هو القرآن (الكتاب المكي) والثاني هو الأحكام ورسالة الإسلام (الكتاب المدني).

وكلاهما يشكلان كتاب الله تعالى والمواعظ تأتي كما في الآيات:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَأكُلُوا الرِّبَوا أَضعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُون * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّت لِلكَافِرِين﴾ - ١٣٠ - ١٣١ آل عمران.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُون﴾ - ١٣٢ آل عمران.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ...﴾ - ١٣٤ آل عمران.

﴿...وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ...﴾ - ١٣٤ آل عمران.

﴿...وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِين﴾ - ١٣٤ آل عمران.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ...﴾ - ١٣٥ آل عمران.

﴿...وَلَم يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعلَمُونَ﴾ - ١٣٥ آل عمران.

أي لم يصروا على فعل الفواحش والمنكرات أو الذنوب إذا وقعوا فيها.

﴿وَكَتَبنَا لَهُ فِي الأَلوَاحِ مِن كُلِّ شَيءٍ مَّوعِظَةً...﴾ - ١٤٥ الأعراف.

والمقصود بها موسى. حيث كتب له الله الوصايا العشر.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِّن رَبِّكُم وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحمَةٌ لِّلمُؤمِنِينَ﴾ - ٥٧ يونس.

وهذه الآية يقصد بها الله الجزء الذي نسميه اليوم بالقرآن المدني التي أنزلت سوره في المدينة المنورة من القرآن العظيم فهي الموعظة الدائمة من رب العالمين الذي فيه شفاء لما في عقولنا وصدورنا. وهو الكتاب الذي يهدي إلى الحق وأنزله الله رحمةً للمؤمنين به من العالمين، لأن الذي لايؤمن به لايمكن أن ينتفع منه ولن تصله رحمة الله، ظلماً لنفسه وليس ظلماً من رب العرش الكريم.

﴿وَقَالُوا سَوَآءٌ عَلَينَا أَوَعَظتَ أَم لَم تَكُن مِنَ الوَاعِظِينَ﴾ - ١٣٦ الشعراء.

وماذا كان يعظهم حتى قالوا له هذا الكلام:

﴿إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم هُود أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ إِنَّ أَجرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ العَالَمِين * أَتَبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُم تَخلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشتُم بَطَشتُم جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ - ١٢٤ - ١٣٥ الشعراء.

فكان جوابهم كما رأينا في الآية بأنهم لن يستمعوا له كما لن يأخذوا بمواعظه بل سوف يفعلون كما تعودوا أن يفعلوا قبل ذلك فلا يتعب نفسه بوعظهم وإرشادهم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهلَكنَاهُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ - ٣٩ الشعراء.

والله وعظ نوح قائلاً له عندما دعى ربه أن ينقذ إبنه من غرق الطوفان.

﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ فَلا تُسأَلَنِّ مَالَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ - ٤٦ هود.

وهنا تأتي بمعنى: (إني أنصحك أن لاتكون من الجاهلين) فاستغفر نوح ربه فوراً وقال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعوذُ بِكَ أَن أَسأَلَكَ مَالَيسَ لِى بِهِ عِلمٌ وَأَلا تَغفِرَ لِى وَتَرحَمَنِى أَكُن مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ - ٤٧ هود.

﴿قُل إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِن هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَى عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ - ٤٦ سبأ.

عادة عندما يريد الملأ، الذين هم دائماً الأغنياء والوجهاء في كل أمة وهم دائماً المستفيدين من حكم السلاطين (الطواغيت) يتصدون لكل المصلحين أو الرسل والأنبياء فيكذبونهم والشعب يصفق (جهلاً) لهؤلاء دائماً ويقفون ضد من يغامر برأسه من أجل منفعتهم ومصلحتهم ونصحهم وإرشادهم إلى طرق الخير من دون تفكير بحقائق الأمور ولو لحظة واحدة. فتأتي هذه الموعظة هنا من الرسول قائلاً لهؤلاء الناس: إني أعظكم موعظة واحدة أرجو أن تطبقوها. وهي أن تخرجوا مثنى أو فرادى وتفكروا لوحدكم من دون أن تكونوا تحت تأثير أحد من الناس، هل هذا الرجل مجنون حقاً؟ أم أنه رجل صادق يريد منفعتنا ويتكلم من أجل مصلحتنا ولايريد منا في مقابل ذلك منفعة ولا مكافأة بل يريد أن ينذرنا مما نحن فيه ثم قرروا بعد ذلك ماتشاؤون.

﴿وَإِذ قَالَ لابنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَىَّ لا تُشرِك بِاللَّهِ إِنَّ الشُّركَ لَظُلم عَظِيم﴾ - ١٣ لقمان.

وقبل أن نتابع مواعظ لقمان علينا أن نعلم أن من شروط الوعظ التي نجدها في القرآن أن يكون الواعظ حكيماً، أوتي من الله الحكمة موهبة منه سبحانه وتعالى. علماً أن الحكمة لايمكن للإنسان اكتسابها ولاتعلمها بالتعليم إن لم تكن هبةً من الله. لذلك نجد الله سبحانه يقول:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ﴾ - ١٢ لقمان.

﴿يُؤتِى الحِكمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِىَ خَيراً كَثِيراً...﴾ - ٢٦٩ البقرة.

ويجب أن نميز هذه الآيات عن آيات أخرى تأتي الحكمة بمعنى آيات الصراط المستقيم التي تعتبر آيات الموعظة والحكمة والوصايا والنصائح الإلهية للإنسان في كل زمان ومكان.

لقد برهنت على ذلك سابقاً بأن عددتها من القرآن حيث قال الله بعدها: تلك آيات الحكمة قاصداً تلك المواعظ والحكم العشر في الإسلام. وقد أرسلها رب العالمين لكل الرسل في كل الرسالات بدليل آيات القرآن الشاهدة على ذلك، لكن جنود السلطان أرادوا أن يوهموا أن الله يقصد بها أحاديث الرسول فسموا تلك الأحاديث بمجموعها

كتاب الحكمة، حتى يجدوا باباً للتأليف بما يشاؤون ويكون الجنود بعد ذلك أحراراً بالإفتاء بما يُطلبُ منهم حسب الظروف والمواقف من غير الإلتزام بالدستور الإسلامي الذي يقيدهم ويقيد حريتهم بالتصرف في حقوق الناس إلا بالحق الذي يكرهه كل الطواغيت أصلاً. فكان مايشاؤون وعشق جهال المسلمين السيف الذي به قطع رؤوس آبائهم والذي سوف يقطع رؤوسهم، وهم كالأنعام لايعلمون ماذا يحضر لهم أبداً، بل يهللون دائماً مع المهللين من دون أن يعلموا أصلاً لم كان ذلك التهليل، وبأن أعوان الطاغوت يهللون فرحاً على أكل حقوقهم وهم غير مبالين لأنهم في الحقيقة لايعقلون:

﴿...صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لا يَعقِلُونَ﴾ - ١٧١ البقرة.

وهكذا نجد أن الموعظة أعلى درجة من النصيحة، فالواعظ يجب أن يكون قد مُنح حكمة من الله حتى يعظ وليس كل إنسان قادر على الوعظ والإرشاد.

في الولايات المتحدة كل الفرق المسيحية على كثرتها تستخدم وحدات تبشيرية تقوم بزيارات صباحية في الأعياد والعطل الرسمية والأسبوعية، يُنتَقَونَ بأساليب علمية صحيحة بحيث تتوفر فيهم شروط مثل الثقافة العامة وسعة الإطلاع وموهبة الكلام، ومعرفة أساليب الاقناع والمناقشة والإتيان بالأدلة، واستخدام أساليب المنطق في الكلام، مع إلمام بعلم النفس وعلم الطباع البشرية ودراسة الأديان ومزايا أتباع كل دين، كل هذه الأمور من تلك التي لم نعرها أي اهتمام حقيقي حتى الآن. مع أنها من الأمور الهامة في التبشير، علماً أن المبشر أقل بدرجات كبيرة من الواعظ.

﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ - ١٢٥ النحل.

والموعظة لايمكن أن تكون عامة لأن الناس أيضاً ليسوا على قدر ومستوى واحد في التلقي، فهناك موعظة يمكن أن تقدم لمؤمن ولايمكن أن تقدم لمشرك أو كافر، لذا نجد الله يقول:

﴿ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ﴾ - ٢ الطلاق.

أما إن كان كافراً بذلك، فلا يمكن تقديم تلك الموعظة له.

وكتب الله كلها مواعظ للناس ولكن لايستفيد منها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويكفرون بالطاغوت:

﴿...وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم وَمَآ أَنزَلَ عَلَيكُم مِّنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ يَعِظُكُم بِهِ...﴾ - ٢٣١ البقرة.

وكما قلت الحكمة هنا يقصد بها آيات الأحكام في القرآن إلى جانب آيات أخرى يقول عنها الله:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوحَى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ﴾ - ٣٩ الإسراء.

فما هي تلك الآيات التي تنتمي للحكمة في القرآن الكريم:

١ - ﴿لا تَجعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتَقعُدَ مَذمُوماً مَّخذُولاً﴾ - ٢٢ الإسراء

٢ - ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعبُدُوا إِلآ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً إِمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَولاً كَرِيماً * وَاخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ - ٢٣ - ٢٤ الإسراء.

٣ - ﴿وَءَاتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّر تَبذِيراً * إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ - ٢٦ - ٢٧ الإسراء.

﴿وَإِمَّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ ابتِغَآءَ رَحمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرجُوهَا فَقُل لَّهُم قَولاً مَّيسُوراً﴾ - ٢٨ الإسراء.

وهذه الآية تحتاج إلى تبسيط حتى يفهمها الجميع. قد يطلب منك أحد من ذوي القربى أو مسكيناً أو ابن سبيل مقطوع مساعدة مادية، ويصدف أن لاتكون ميسور الحال أنت نفسك، فالله يطلب منك أن تكون لين الكلام لطيفاً في الاعتذار وتقول لهم قولاً ميسوراً، وإن لم يكن في يدك ما ييسر أمرهم أصلاً.

﴿وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَّحسُوراً﴾ - ٢٩ الإسراء.

هنا الوصف فيه كنايتان، الكناية الأولى هو جعل اليد مغلولة إلى العنق كناية عن البخيل الذي يبعد مامعه عن أيدي الناس دائماً. والكناية الثانية: هو بسط اليد كل البسط، أي تعطي مامعك كله للناس فتظلم نفسك وكما تظلم معك أهلك الذين هم بحاجة دائمة إلى عطائك ودوامه عليهم.

٤ - ﴿وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُهُم وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتلَهُم كَانَ خِطئاً كَبِيراً﴾ - ٣١ الإسراء.

في كل آيات القرآن الكريم حيث يكون الخطاب جمع مذكر سالم غالباً يكون الخطاب لكل الناس أو لكل المؤمنين ذكوراً وإناثاً عكس الأحاديث المنسوبة غالباً للرسول كذباً وظلماً وافتراء يكون هذا الجمع يقصد به جمع الرجال دون النساء غالباً.

وفي هذه الآية يوجه الله سبحانه الكلام للرجال والنساء بأن لايقعوا في كبيرة قتل أولادهم خشية الفقر والعوز وعدم إمكانية إطعامهم في المستقبل إذا كثر عددهم، فالله يقول لهم نحن نرزقهم وإياكم وينبه أن قتلهم خطأ كبير يرتكبه كلا الزوجين الأب والأم في حق أنفسهم والمقصود بالقتل هنا هو الإجهاض والقتل في مرحلة الجنين، بدليل أن الله تعالى لم يضعها ضمن مجال النفس والنفوس.

٥ ـ ﴿وَلا تَقرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ ـ ٣٢ الإسراء.

٦ ـ ﴿وَلا تَقتُلوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنَا لِوَلِيِّهِ سُلطَاناً فَلا يُسرِف فِّي القَتلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ ـ ٣٣ الإسراء.

٧ ـ ﴿وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ ـ ٣٤ الإسراء.

٨ ـ ﴿...وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسؤُولاً﴾ ـ ٣٤ الإسراء.

﴿وَأَوفُوا الكَيلَ إِذَا كِلتُم وَزِنُوا بِالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً﴾ ـ ٣٥ الإسراء.

٩ ـ ﴿وَلا تَقفُ مَالَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسئُولاً﴾ ـ ٣٦ الإسراء.

أي لا تتبع أقوال وروايات كلها مجرد قال عن قيل حتى ولو أكدها الناس لك مثل الأحاديث المنسوبة ظلماً للرسول الكريم وأغلبها مناقض لكتاب الله بل يجب أن لا تتبع ما ليس عليه برهان أنه من الله كما جعل تعالى في كتابة البراهين العقلية والعلمية ليثبت لكل من يشك أنها لا يمكن أن تكون إلا من رب العالمين، والشك وطلب البرهان حق للإنسان قد منحه إياه رب العالمين له ولكل البشر حتى لا تخدعه الشياطين ويقع في مكرهم وكيدهم.

١٠ ـ ﴿وَلا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ ـ ٣٧ الإسراء.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكرُوهاً﴾ ـ ٣٨ الإسراء.

﴿ذَلِكَ مِمَّآ أَوحَى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ وَلا تَجعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتُلقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدحُوراً﴾ ـ ٣٩ الإسراء.

والله في هذه الآيات إبتدأها بالحكمة الأولى وأنهاها بالحكمة نفسها في قوله سبحانه:

﴿لا تَجعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتَقعُدَ مَذمُوماً مَّخذُولاً﴾ ـ ٢٢ الإسراء.

١٤ ـ التعاون:

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثمِ وَالعُدوَانِ...﴾ ـ ٢ المائدة.

فالتعاون المطلوب من الله تعالى هو التعاون على الخير بما يرضي الله، أما التعاون على الظلم وفعل الشرور ذلك مالايرضاه لنا أبداً، لذا ينبهنا قبل نهاية نفس الآية ويقول:

﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ ـ ٢ المائدة.

والمؤمن الذي يطلب العون على الخير من إخوانه المؤمنين يطلب دائماً الاستعانة بالله في كل شؤونه أثناء صلاته ودعائه كل يوم مرات عديدة وهو يقول:

﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ ـ ٥ الفاتحة.

فالمسلم لايستطيع أن يستغني عن عون الله في أي لحظة، ويجب أن لاننسى ذلك أبداً وهو من الذكر الدائم من المؤمن لله العلي القدير.

ويدلنا ربنا على وسائل نستعين بها لقضاء حاجاتنا وبلوغ أهدافنا القريبة والبعيدة، ومن أهم تلك الوسائل الناجعة فعلاً الصبر الجميل والصلاة المرافقة للزكاة.

﴿...استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ـ ١٥٣ البقرة.

ويجب أن لانفهم الصبر صبر البائس أو المستسلم بل صبر المؤمن بأن الله كريم ولايحجب عطاءه عن أحد من العالمين. وصلاة الذاكر وليس صلاة الساهي ـ وطلب المعونة في عملِ الخير حق في الإسلام وواجب على من يطلب منه المساهمة فيه بقدر استطاعته، مالياً كان أم جسدياً.

أذكر في القرية التي نشأت فيها في وطني سورية كانوا، يطبقون عرفاً جميلاً من أعراف الإسلام في التعاون. كان إمام المسجد يعلن بعد خطبة الجمعة أنه في يوم عطلة الأسبوع القادم مثلاً سوف يكون يوم التعاون في بيت فلان الذي يريد أن يزوج ابنه ويبني له بيتاً في داره. وكان المطلوب بناء بيت للعريس المنتظر. فيجتمع بعد صلاة الفجر أكثر من مائة شاب وشابة في تلك الدار ويبدؤون العمل لحفر الأساسات ويباشرون بالبناء، وصاحب البيت يذبح عدة خرفان ليقيم بها وليمة للمشتركين في البناء، وقسم من الفتيات كن يساعدن العمال وقسم يعملن في طبخ وتجهيز طعام الغداء

للجمع المحتشد للعمل والمساعدة في بناء ذلك البيت. وهكذا بتكرار مثل ذلك اليوم لعدة اسابيع يكتمل البيت ولم يكن أبو العريس ولا العريس نفسه يشعر بوجود مشكلة عندما يكبر ويريد أن يتزوج على سنة الله، ويؤسس أسرة إسلامية جديدة. وحبذا لو ترجع تلك العادات والأعراف إلى عادات وأعراف المسلمين لتصبح من أعرافهم الدائمة. لتكون دليل محبتهم لبعضهم ودليل رضى الله عنهم.

﴿قَالَ مَامَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجعَلُ بَينَكُم وَبَينَهُم رِدماً﴾ - ٩٥ الكهف.

يقول رب العالمين هنا على لسان ذي القرنين الذي أراد أن يساعد ويعاون القوم الذين استجاروا به وطلبوا معاونته ومساعدته، فصنع لهم حاجزاً صب في داخله الحديد المصهور. حتى لايستطيع أعدائهم بعد ذلك نقب الحاجز ليصلوا إليهم مرة أخرى معتدين. وقال ذو القرنين (أعينوني بقوة) لأن العمل الذي يقدمه الإنسان بلا قوة وبلا اندفاع ولا نشاط ولاهمة يأتي عملاً هزيلاً يسهل تحطيمه وتدميره. ويجب أن يكون التعاون الصفة الدائمة للمسلمين، والله تعالى ضرب لنا مثلين حقيقيين من مخلوقاته التي حولنا وبإمكاننا تأملها كل يوم وهما النمل والنحل، وخصص لهما سورتين في القرآن الكريم لأهمية دورهما وأهمية انتباه الإنسان إليهما ليصبحا نموذجاً له في التنظيم والتعاون في المجتمع الإنساني.

يجب على الإنسان أن يعلم أهمية التنظيم وتوزيع المهام والأدوار والنشاط في العمل مع تعلم الصبر وعدم اليأس أو الكلل والملل من استمرارية العمل، وكل تلك دروس يمكن تعلمها من النمل والنحل حتى يطبقها الإنسان الذي يطمح إلى مجتمع إنساني مسلم ومتطور.

﴿فَصَبرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ المُستَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ﴾ - ١٨ يوسف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٥ ـ الصبر:

الصبر ليس من الأمور السهلة وإنما من الأمور التي تحتاج إلى إرادة قوية، وقوة وعزيمة، وأنا لا أقصد الإنسان الذي يُكره على الصبر فلا حيلة له، فذلك يصبر بالرغم عنه فلا فضل له في ذلك الصبر. إنما الصبر والعفو عند المقدرة:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ ـ ٤٣ الشورى.

أما الذي يصبر ويغفر مكرهاً وليس له حيلة أمام ذلك المتجبر الظالم فهذا لن يكون غفراناً. لأنه كما يقولون العفو والمغفرة إنما تكون عند المقدرة لا عند العجز. فالله ينصح بالصبر الإنسان القوي من أولي العزم:

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزمِ مِّن الرُّسُلِ وَلا تَستَعجِل لَّهُم...﴾ ـ ٣٥ الأحقاف.

وقد صبرالرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يدعوهم إلى طريق الحق صابراً على أذاهم بعزم وإرادة، لأنه كان يسعى من وراء ذلك الصبر إلى شيء يقصده، يريد أن يُبلّغ هذه الرسالة، ويستقطب قلوب الناس بالمحبة لهذا الدين ليس بالإكراه، لأن الناس فطرت على أن لا تقبل العقائد إلابالعقل والمنطق والحب وليس بالقوة والعصا والسيف فلا إكراه في العقائد أبداً.

وقد نال الرسول من صبره ما كان يبغي بمعونة الله له وبتشجيعه إياه بالآيات القرآنية التي تدعوه إلى الصبر والتحمل.

أما المجبر على الصبر فليس له ذلك الخيار أبداً لذلك يقول سبحانه لإظهار ذلك:
﴿...سَوَآءٌ عَلَينَآ أَجَزِعنَآ أَم صَبَرنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ ـ ٢١ إبراهيم.

ومحيص هنا بمعنى: النجاة من الهلاك. (أي مالنا من أمل بالنجاة من الهلاك سواء جزعنا أم صبرنا والكلام هنا هو بين الكفار من وجهاء القوم وأتباعهم من المستضعفين منهم.والآية تعطيناالمعنى أن الصبر عكس الجزع:

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَؤُا لِلَّذِينَ استَكبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبَعاً فَهَل أَنتُم مُّغنُونَ عَنَّا مِن عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَينَاكُم سَوَآءٌ عَلَينَآ أَجَزِعنَآ أَم صَبَرنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ ـ ٢١ ابراهيم.

وهذا هو موقف الكفار دائماً يضعون اللوم على الله سبحانه وينكرون الحرية والعقل التي منحها الله لهم ويقولون هكذاكانت مشيئة الله.

لقد شاء الله وأراد أن لايهدينا للإسلام والإيمان، وشاء لنا أن نكفر فكفرنا وهذا لم يكن بأيدينا بل كان سواء بالنسبة لنا طالما كانت هكذا مشيئة الله، إن جزعنا (أي قلّ صبرنا، لأن الجزع هوعكس الصبر) أو صبرنا فلم يكن أمامنا أية فرصة للنجاة. هكذا يكون تبريرهم للموقف.

وصبر الإنسان لا يكون دائماً على الحق والخير بل كثيراً مايصبر الإنسان على الباطل الذي يظنه من جهله وغفلته أنه الحق. ولكي نفهم هذا المعنى لنستمع لآيات الله في القرآن وهي تصف المشركين وموقفهم من الرسول محمد ﷺ:

﴿وَإِذَا رَأَوكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُواً أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ - ٤١ الفرقان.

ثم يقولون في ما بينهم بعد ذلك في سياق الآيات نفسها:

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَن ءَالِهَتِنَا لَولآ أَن صَبَرنَا عَلَيهَا وَسَوفَ يَعلَمُونَ حِينَ يَرَونَ العَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ - ٤٢ الفرقان.

فهم يقولون أن الفضل كان لصبرهم وثباتهم علىآلهتهم وإلا كان محمد قد أضلهم عن آلهتهم بعبادة الواحد الأحد فهم يرون مايدعوا إليه محمد ﷺ من كتاب الله ضلالاً لهم كما يرى أغلب أهل السنة اليوم أن ما أدعوهم إليه بالعودة إلى أحسن الحديث الذي في القرآن وترك الحديث الذي افتراه علماء الطاغوت ضلالاً لهم فهم بزعمهم يصبرون على الوضع الحالي من الإشراك ويصرون بالبقاء عليه ظناً أنه التوحيد المطلوب.

ثم يخاطب الله محمد ﷺ ويقول له:

﴿أَرَءَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيهِ وَكِيلاً * أَم تَحسَبُ أَنَّ أَكثَرَهُم يَسمَعُونَ أَو يَعقِلُونَ إِن هُم إِلا كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ - ٤٣ - ٤٤ الفرقان.

يقول الله لرسوله: يامحمد إن الذي فَكّرَ وقَدَّرَ وقَرَّرَ أن يكون إلهه هواه لن تستطيع أن تغير رأيه وتأتي به على الطريق الذي تؤمن به أنت فهو لن يؤمن معك لأنه لايريد الذي تدعوه إليه ولايعجبه، إنه يريد أن يسير وراء رغباته وشهواته وهواه تلك هي الأمور التي يعبدها ويحبها في هذه الدنيا. وهل تظن يامحمد أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ماتقول لهم، ماهم إلا كالحيوانات بل هم أضل من الحيوانات التي علىالأقل تعرف ماذا

ينفعها وماذا يضرها، أما هؤلاء فلا يعلمون شيئاً. كثير من المشاريع والأمور الناجحة يبدأ بها إنسان ولكن لقلة صبره يضيعها، فيأتي من يأخذ نفس تلك الأفكار ويقوم بنفس المشاريع لكنه يعلم بأهمية الصبر فيصبر وينتظر أكثر حتى تثمرَ أعماله وتنجح مشاريعه. وهذا الموضوع يشبه من يزرع مثلاً أشجاراً مثمرة في حقله باشتال صغيرة، ولكنه لقلةِ صبره يهملها بعد زرعها فتموت كلها، بينما يأتي آخر فيصبر لمعرفته أن هذه الأشجار تحتاج إلى عناية مستمرة ولمدة طويلة مع رعاية فينجَحُ حيث فشل غيره، وهكذا كان شأن الرسل والأنبياء أيضاً، فمنهم من كان قليل الصبر مثل النبي يونس مثلاً، بينما الرسول محمد كان من الصابرين. لنستمع لآيا ت القرآن وهي تقرر لنا ذلك:

﴿وَلَقَد كُذِّبَت رُسُلٌ مِّن قَبلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُم نَصرُنَا...﴾ - ٣٤ الأنعام.

والله سبحانه يصف الرسل الصابرين بأولي العزم:

﴿...وَإِن تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ - ١٨٦ آل عمران.

﴿...وَاصبِر عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ - ١٧ لقمان.

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَستَعجِل...﴾ - ٣٥ الأحقاف.

﴿وَلَقَد عَهِدنَآ إِلَى ءَادَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزماً﴾ - ١١٥ طه.

والله سبحانه يذكر الرسول محمد ﷺ أن لايكون عجولاً مثل يونس بل عليه أن يكون من أولي العزم والصبر في الآيات التالية:

﴿فَاصبِر لِحُكمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذ نَادَى وَهُوَ مَكظُومٌ * لَّولَآ أَن تَدَارَكَهُ نِعمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالعَرَآءِ وَهُوَ مَذمُومٌ * فَاجتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ - ٤٨ - ٥٠ القلم.

إن الله سبحانه يقول في القرآن مثلاً:

﴿...اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ...﴾ - ٢٨ الحديد.

أي أن الله يعطي أجره مرتين لأهل الكتاب الذين يسمعون لآيات القرآن فيؤمنون بها:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ الحَقُّ مِن عِندِنَا قَالُوا لَولَآ أُوتِيَ مِثلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَم يَكفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبلُ قَالُوا سِحرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُل فَأتُوا بِكِتَابٍ مِّن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهدَى مِنهُمَآ أَتَّبِعهُ إِن كُنتُم صَادِقِينَ * فَإِن لَّم يَستَجِيبُوا لَكَ فَاعلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهوَآءَهُم

وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيرِ هُدَىً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى القَومَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَد وَصَّلنَا لَهُمُ القَولَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ ءَاتَينَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبلِهِ هُم بِهِ يُؤمِنُونَ * وَإِذَ يُتلَى عَلَيهِم قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَّرَّتَينِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ - ٤٨ - ٥٤ القصص.

وقالها لنساء النبي للأسباب التالية:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ الحَيَوةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَينَ أُمَتِّعكُنَّ وَأُسَرِّحكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الأَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلمُحسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجراً عَظِيماً * يَانِسَآءَ النَّبِيِّ مَن يَأتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا العَذَابُ ضِعفَينِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَن يَقنُت مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعمَل صَالِحاً نُّؤتِهَآ أَجرَهَا مَرَّتَينِ وَاعتَدنَا لَهَا رِزقاً كَرِيماً﴾ - ٢٨ - ٣١ الأحزاب.

والصبر ليس نافعاً دائماً لكل الناس، المهم على ماذا يصبر وأين يكون موقفه أثناء صبره:

﴿وَيَومَ يُحشَرُ أَعدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُم يُوزَعُونَ﴾ - ١٩ فصلت.

يقول عنهم ربهم:

﴿فَإِن يَصبِرُوا فَالنَّارُ مَثوًى لَّهُم وَإِن يَستَعتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ المُعتَبِينَ﴾ - ٢٤ فصلت.

ولكن أن تصبر وأنت تعلم أنك مع الله فهذا من عزم الأمور:

﴿...وَاصبِر عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ - ١٧ لقمان.

لذلك فوصية المؤمن للمؤمن أن يتواصى بالصبر ويتواصى بالرحمة والتراحم والتوادد:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ وَتَوَاصَوا بِالمَرحَمَةِ﴾ - ١٧ البلد.

﴿وَالعَصرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسرٍ * إِلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ﴾ - ١ - ٣ العصر.

والعبد عندما يكون في المعركة ويدعو الله فدعاءه مستجاب لأنه في موقف الرجاء وليس في موقف التمني. فهو يفعل ماعليه وهو القتال في سبيل الله لأعداء الله الذين يقاتلونه ليس لسبب إلا أنه يقول الله ربي. ولأنه يؤمن بالله ولايريد أن يكفر به.

﴿...رَبَّنَآ أَفرِغ عَلَينَا صَبراً وَثَبِّت أَقدَامَنَا...﴾ - ٢٥٠ البقرة.

﴿...رَبَّنَآ أَفرِغ عَلَينَا صَبراً وَتَوَفَّنَا مُسلِمِينَ﴾ - ١٢٦ الأعراف.

والصلاة وسيلة من الوسائل المساعدة للصبر: لذلك يقول الله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ - ١٥٣ البقرة.

﴿وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾ - ٤٥ البقرة.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابتِغَآءِ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ...﴾ - ٢٢ الرعد.

فإذا استطاع العبد هذا الصبر فإن وعد الله حق له:

﴿...وَلَنَجزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ - ٩٦ النحل.

﴿أُولَئِكَ يُجزَونَ الغُرفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّونَ تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾ - ٧٥ الفرقان.

والله يوصي المؤمن أن يدرء بالحسنة السيئة ويقابل الإساءة بالإحسان وهذا ليس سهلاً على النفس البشرية التي لم ترتق في مدارج التقوى:

﴿وَلا تَستَوِى الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادفَع بِالَّتِى هِيَ أَحسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَينَكَ وَبَينَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ - ٣٤ فصلت.

وبما أن الله يعلم أن هذا ليس سهلاً على أي إنسان يقول بعدها:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ - ٣٥ فصلت.

طبعاً هذا لايكون إلا عندما يكون المؤمن قادراً بالرد على الإساءة بإساءة أكبر وإذا شاء اختار أن يكون الرد بإحسان. بدل الإساءة وإلا كان الرد عن عجز وليس عن تقوى الله.

إذا فهمنا أن الصبر هو استكانة من العبد واستسلام نكون قد فهمنا الصبر عاملاً من العوامل السلبية. بينما الصبر الذي يدعو إليه الله سبحانه هو الصبر مع الحركة، الصبر مع القدرة، الصبر مع السعي، الصبر الواعي لما يجري حول المؤمن من الظروف المتبدلة والمتغيرة بحسب سعي الإنسان وبما يغيره المؤمن مع رفاقه من الظروف السيئة المحيطة نحو الأحسن بالسعي المتواصل، مع الصبر والعزم علىالتغيير، مع الإيمان بأن هذه الأمور تحتاج إلى وقت ولاتحصل بسرعة كما يرغب كل إنسان يستعجل النتائج قبل وقتها.

مثلاً تغيير عقلية المسلمين الحالية ومن الواقع الذي يعيشون فيه من واقع إشراكي حقيقي. بحيث صار غضب الله واضحاً جلياً على جميع المستويات إلى واقع إيماني وتوحيدي، والعودة بهم إلى كتاب الله وصراطه المستقيم. هذه العملية لايمكن أن تتم إلا بالصبر الجميل وفي مرحلة طويلة قد تأخذ مع التخطيط والتنظيم حياة جيل أو جيلين

كاملين، وهذا أفضل قطعاً من أن نبقى في كهفنا الحالي مئات جديدة من السنين ونحن نائمون لانفعل شيئاً سوى الصبر القديم. الصبر مع العجز.

وقد يظن بعض الجهلاء منا أن مانفعله الآن من الاستكانة والاستسلام وعدم الحركة للتغيير هو الصبر المطلوب. إن الصبر الذي ليس معه سعي وعمل للتغيير نحو الأفضل هو استسلام واستكانة لايريدها لنا الله بدليل أن الله يدعونا للعمل على التغيير ولايدعونا للصبر على مانحن فيه إلى يوم الدين:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم...﴾ - ١١ الرعد.

لذلك نجد الله سبحانه يربط الصبر بالعمل. وليس بأي عمل لا على التعيين بل بالعمل والأعمال الصالحة المصلحة في الأرض:

﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغفِرَةٌ وَأَجرٌ كَبِيرٌ﴾ - ١١ هود.

﴿...وَلَنَجزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ - ٩٦ النحل.

والدليل أن الذين صبروا وصفهم أنهم كانوا يعملون كما وعدهم بمنحهم أجورهم على أعمالهم مع الصبر الذي ترافق مع العمل: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾ - ٤٢ النحل.

أي الذين صبروا وعموا مع الصبر على تغيير الأحوال وهم يتوكلون على الله ولو كان صبرهم بلا عمل لكان تواكلاً وليس توكّلاً وهذا مالا يرضاه الله للمؤمن أبداً. ولكن مع الأسف فإن كل صبرنا الآن قد أصبح من هذا النوع.

﴿...ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا...﴾ - ١١٠ النحل.

والجهاد إذا اجتمع معه الصبر كان هو السبيل إلى تغيير الأوضاع.

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزمِ مِّن الرُّسُلِ وَلا تَستَعجِل لَّهُم...﴾ - ٣٥ الأحقاف.

كلنا يعلم أن الرسول محمد ﷺ كان من أولي العزم من الرسل.

مع ذلك فإن الله سبحانه كان يثبته في هذه الآيات، وهو يعلم بأنه يعمل باستمرار وبلا توقف ولا استكانة أو استسلام للمشركين. لكنه كان مع عمله الذي كان مستمراً صبوراً لايستعجل الأمور، بل يعلم أن لكل شيء وقته. مثلاً عندما اتجه المسلمون مع الرسول ﷺ إلى مكة لقضاء العمرة قبل عام الفتح فتصدت لهم قريش وزعماؤها. فقبل الرسول بشروط المعاهدة، وعقد معهم صلح الحديبية على شروط رآها كثير من الميسلمين أنها كانت مجحفة في حقهم وعاد هو والمسلمون دون إتمام العمرة في ذلك

العام. حتى قال عمر رضي الله عنه بحسب الروايات إن كانت صحيحة: موجهاً الكلام للرسول(*) ألَستَ رسولَ الله حقاً؟ قال الرسول ﷺ: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أولستَ كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: بلى. ولكن هل أخبرتك أننا سوف نأتيه هذا العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوف به (إنشاء الله) بمعنى في غير هذا الوقت.

وهكذا نرى بأن الرسول كان يعمل بلا استعجال. فتوقيعه المعاهدة مع مشركي قريش كان من أعمال الصبر مع العمل والرؤية لأبعد مما يراه قواده وجنوده. فجنح للصلح والسلم بعد أن جنح لها عدوه وقبل بأغلب شروط المشركين ليس ضعفاً وإنما عن علم بأن النصر الأكيد قد بات وشيكاً للمسلمين وأن عام الفتح قريب.

فلم يكن في صبر الرسول استكانة ولا استسلاماً أبداً، فقد كانت هذه حقيقة واضحة للذي يرى الأمور من كل الجوانب. ولكن هذه الرؤية الشمولية لاتكون متوفرةً في العادة إلا للقادة الملهمين والأنبياء والرسل ممن اختارهم الله من بين الناس لتميزهم عنهم من أجل رسالاته. ولم تكن هذه الأمور سهلة على الناس ليدركوها كما أدركها الرسول ﷺ وقتها.

وقد يسأل سائل ولكن كيف يكون الصبر مع العمل لإنسان شاب أصيب في صغره بشلل الأطفال، أو أصيب في حادث فأصبح مقعداً، أو أصيب في نظره فصار ضريراً إلى آخر هذه الحالات التي تصيب بعض الشباب.

أقول إن التربية وانتشار العلم والثقافة ومستوى الأبوين العلمي والثقافي والمستوى المادي، كل ذلك يؤثر في الموضوع، ولكن إرادة الإنسان والقوة الذاتية الموجودة في كل منا، أيضاً لها الدور الأهم. فعن طريق تقوية تلك القوة ومع الصبر والتحمل يمكن لكل أولئك الشباب أن يتفوقوا من جديد في مجالات كثيرة علمية أو ثقافية أو فنية. والأمثلة

(*) تاريخ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، طبع دار الريان، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص ١٧٠، القاهرة ١٩٨٨.

في البلاد التي سبقتنا علمياً وثقافياً كثيرة ونحن يجب أن نلحق بهم علماً وثقافة مع تمسكنا بديننا الذي يشجع على العلم والثقافة.

فمع الصبر والإيمان ليس هناك مستحيلاً إذا جمعنا معها العمل، العمل المنظم المخطط لهدف ما نرجوا من الله بلوغه ولا نجلس هكذا فقط ونصبر ونتمنى على الله الأماني.

لذلك يجب أن نعلم أن الصبر الذي عودنا عليه إلى اليوم هو صبر مذموم. لأنه صبر الضعيف الذليل. صبر بلا عمل ولا إرادة فيه ولاسعي للتبديل والتغيير من حال إلى حال أفضل. فهو صبر على قبول الواقع مهما كان أليماً، وصبر على قبول الاستعمار إذا حصل، وصبر على قبول الاحتلال إذا وقع، وصبر على العبودية، وصبر على الاستسلام باسم السلام.

كل تلك الأنواع من الصبر مرفوضة من رب العالمين، وهي كلها لاتليق بالإنسان قبل أن تليق بالمؤمنين من عباد الرحمن، ولا تليق إلا بالمشركين الذين توقفوا عن كل شيء. وزهدوا بالحياة التي من أجلها ومن أجل العمل فيها خلق الله الإنسان. ومن أجل أن يعمل فيها الخيرات خلق الله لهم الأيدي وليس من أجل الأكل، أو من أجل رفعها إلى السماء تضرعاً بلا عمل يقابله للسؤال بما لانستحق.

يجب أن نعلم أن الذي لايعمل لايعطي، والذي يتوقف عن العطاء عاجز. والله لم يرسل دين الإسلام ليحول الناس إلى قطيع عاجز أبداً، وإنما ليحولهم إلى أناس أحرار يؤمنون بالله الذي يمدهم بالقوة والعزة والإباء، فلا يحنون رؤوسهم لمخلوق ليس تكبراً بل عن عزة وإحساس بالكرامة، ويأكلون ماعملت أيديهم ويلبسون مما صنعت أيديهم ولايجلسون في الزوايا يستعطون الناس ويرفضون العمل بحجة الزهد في الحياة، فيعيشون حياة الذل والهوان في الدنيا ليجدوا الجحيم في إنتظارهم أيضاً في السماء.

﴿...لَهُم فِى الدُّنيَا خِزىٌ وَلَهُم فِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - ١١٤ البقرة.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الخِزىَ فِى الحَيَوةِ الدُّنيَا وَلَعَذَابُ الأَخِرَةِ أَكبَرُ...﴾ - ٢٦ الزمر.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُم سُوءُ العَذَابِ وَهُم فِى الأَخِرَةِ هُمُ الأَخسَرُونَ﴾ - ٥ النمل.

﴿وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعمَى فَهُوَ فِى الأَخِرَةِ أَعمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ - ٧٢ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٦ ـ المراقبة:

رقب يرقب مراقبة، ومعناه بمعنى النظر والانتظار إما لقادم حتى يصل أو لموجود حتى لايأتي بما لايرضي المراقب الذي يخشى الأذية والشر من ذلك المراقَب وهي النفس الأمارة بالسوء، فالفلاح عندما يراقب حقله المزروع يتابع النظر إلى مزروعاته إن لاحظ فيها عطشاً سقاها، وإن لاحظ ظهوربعض الحشرات المؤذية رشها بالمبيدات، وإن لاحظ برودة وقاها من البرد، وهكذا فعمله هذا ومتابعته هو المراقبة، فهو رقيب على حقله من أي أخطار قد تصيبه. وهكذ فكل صاحب عمل رقيب على عمله يتابع المراقبة.

والمؤمن يزرع في حقل الله مزروعات يجب أن ترضي ربه دائماً، فيراقب ماذا يزرع وهل مازرعه يرضيه أولاً، قبل أن يرضي ربه، فيراقب كل أفعاله لعلمه أنه سوف يحاسب عليها، وأن هناك من يراقبه عليها، فلماذا لايراقب هو نفسه ويحاسبها قبل أن يُحاسب عليها، وهذا من أفضل أنواع المراقبة وأحسنها. ولذلك تكون المراقبة دائماً من المؤمن الفطن، المؤمن الذكي، وليس من المؤمن الغافل الذي يسير وراء كل مشعوذٍ أو دجال لمجرد ظنه أنه من الأتقياء الصالحين، فقد يكون شيطاناً في لباس ملاك وهو لايعلم.

هذه الغفلة هي التي ضيعت المسلمين. فقد ظنوا أن كل من لبس القفطان والجبة وأرخى ذقنه وأطال مسبحته قد أصبح من أولياء الله الصالحين، فتركوا المجال لمخربي العقيدة والدين بالتغلغل بين المسلمين بعد أن تركوا القراءة والعلم والتعلم.

لنستمع إلى قول الله على لسان هارون يخاطب موسى الغاضب على إشراك قومه على يد السامري:

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لا تَأْخُذ بِلِحيَتِى وَلا بِرَأسِى إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقتَ بَينَ بَنِى إِسرَاءِيلَ وَلَم تَرقُب قَولِى﴾ ـ ٩٤ طه.

أي لم تلاحظ وتراقب وتتابع.

﴿فَأَصبَحَ فِى المَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ...﴾ ـ ١٨ القصص.

وهي بنفس المعنى:

﴿فَارتَقِب يَومَ تَأتِى السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ - ١٠ الدخان،

﴿...وَارتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُم رَقِيبٌ﴾ - ٩٣ هود.

وماذا يقول عيسى عليه السلام لربه؟

﴿...فَلَمَّا تَوَفَّيتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم...﴾ - ١١٧ المائدة.

ولكنها قد تأتي بمعنى مختلف أحياناً كما في الآية التالية:

﴿لا يَرقُبُونَ فِى مُؤمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ المُعتَدُونَ﴾ - ١٠ التوبة.

أي لايحفظون ولايراعون للمؤمنين عهداً ولا عُرفاً ولا قرابة.

أما أن نفسر أن معنى، راقب بمعنى حفظ، والرقيب بمعنى الحافظ فنبتعد عن المعاني التي قصدها الله في القرآن. وكمثال أحببت وأنا أكتب عن هذا الموضوع الرجوع إلى بعض المصادر فوقع في يدي كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، فنظرت في باب المراقبة فلم أجد في الأمثلة التي ضربها عن الموضوع من القرآن الكريم أية آية فيها أي مصدر من كلمة رقب أو راقب. أما الأمثلة التي ضربها من الأحاديث فقد كانت أبعد بكثير عن مقصود الله بكلمة الرقيب والمراقبة.

لنستمع للحديث التالي كمثال (الصفحة ٤٨ من نفس المصدر) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله». والكلام حتى هنا جميل لاغبار عليه، وإن كان لايتحدث عن المراقبة أبداً. ولكن الكلام الخطير الذي يقلب الموازين هو الذي سيأتي بعد هذا الذي قرأناه الآن (نتابع الحديث نفسه) «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

إذا كان هذا الكلام صحيحاً فمعنى هذا أن سعي الإنسان وعمله كله عبث، لأن كل شيء مقدر سلفاً، وهذا تماماً عكس مايقوله الله في القرآن. ثم لماذا يقول الرسول رفعت الأقلام وجفت الصحف إن هذاالكلام كان لتسجيل الوحي الآتي من السماء فقط، ولكننا لاننسى أن المتأخرين عادوا فقالوا إن الحديث أيضاً هو وحي آخر من

السماء فلا بد من كتابته، متناسين الحديث الصحيح الموجود في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري: (لاتكتبو عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه).

كما نجد الحديث التالي في باب المراقبة: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ماحرم الله عليه، متفق عليه (أي موجود في الصحاح كلها).

بينما إذا بحثنا في كل القرآن فلن نجد كلمة واحدة تشير إلى غيرة الله، ولكني بحثت في كتب أهل الكتاب فوجدت مصدر الحديث عندهم: (إياكم أن تعبدوا إلهاً غيري فإنك لاتسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو) سفر الخروج - الإصحاح ٣٤ - الفقرة ١٤ - العهد القديم - (التوراة) وهذا كله لا علاقة له بالمراقبة.

١٧ ـ الحكمة:

معنى الحكمة لغة: إصابة الحق بالعقل والعلم.

والحكمة للإنسان هي إدراك لحقيقة الموجودات وتمييزها عن الوهم والخيال الذي يعتبر باطلاً أمام الحق.

وتأتي الحكمة أو آيات الحكمة بمعنى آيات الصراط المستقيم باعتبارها حقائق من شرع الله، وتتألف من عشر حقائق ثابتة لاتتغير في كل الرسالات التي نزلت لبني الإنسان.

وأصل الحكمة من حَكَمَ بمنى سيطر وقاد وأصلح لمصلحة المحكوم ولنفعه وليس لمصلحة الحاكم ومنفعته الخاصة. الحكم: الشرع.

﴿وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَاةُ فِيهَا حُكمُ اللَّهِ...﴾ ـ ٤٣ المائدة.

أي شرع الله.

﴿أَفَحُكمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغُونَ...﴾ ـ ٥٠ المائدة.

أي أفشرع الجاهلية يبغون. وتأتي أحياناً بمعنى صاحب القرار والرأي.

﴿...أَلا لَهُ الحُكمُ وَهُوَ أَسرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ ـ ٦٢ الأنعام.

﴿...مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشرِكُ فِى حُكمِهِ أَحَداً﴾ ـ ٢٦ الكهف.

أي لايشرك في قراره أحداً، فالقرار له وحده سبحانه.

والحَكَم هو شخص يتصف بالحكمة ليصلح بين شخصين أو فريقين:

﴿وَإِن خِفتُم شِقَاقَ بَينِهِمَا فَابعَثُوا حَكَماً مِّن أَهلِهِ وَحَكَماً مِّن أَهلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَينَهُمَآ...﴾ ـ ٣٥ النساء.

الحكمة:

﴿....يَتلُوا عَلَيهِم ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ...﴾ ـ ١٢٩ البقرة.

كل رسالات الله تتألف دائماً من الكتاب والحكمة، وهما الموضوعان الرئيسيان لكل رسالة، حيث يحوي الكتاب على آيات الله وعلم الله وغيب الله، سواء تكلم الله سبحانه فيه عن الماضي (قصص) أو تكلم فيه عن المستقبل تنبؤ. والقسم الآخر الذي هو

الحكمة يحوي شرع الله، ومن ضمن شرع الله آيات الصراط المستقيم وحدود الله والحرام والحلال. والعبادات والطقوس. ولكن هذا يحدث في الرسالات المتكاملة مثل رسالة الإسلام فقد كانت متكاملة وأتى بها رسول واحد هو محمد بن عبد الله عليه السلام، وبينما رسالة بني إسرائيل كلف بها أكثر من رسول ونبي.

وكذلك نجد أن كتاب الإنجيل لايحوي العلوم والتاريخ وباقي أمور غيب الله، كما أنه لايحوي الشرع الذي هو الحكمة. لذا نجد الله عندما يتكلم عن عيسى بن مريم يقول:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّوراةَ وَالإِنجِيلِ﴾ - ٤٨ آل عمران.

حيث ظن سذج المسلمين أن الكتاب هو القرآن الكريم والحكمة هي أحاديث الرسول محمد ﷺ.

فهل يمكن بالعقل والمنطق أن يكون الله سبحانه قد أرسل القرآن وأحاديث الرسول محمد ﷺ لعيسى عليه السلام قبل أن يخلق محمداً وقبل أن يكون هناك إسلام ومسلمين؟ وبما أن قسماً كبيراً من المسيحيين أنكروا باقي الكتب ولم يؤمنوا إلا بالإنجيل بقي دينهم مبتوراً لاشرع فيه ولا حلال ولا حرام. بل يقولون أن الدين كله هو أن نحب الله والله هو المسيح. وقسم يقولون بل هو ابنه ومن أحب ابن الله فقد أحب الله وبحب المسيح يكون الخلاص من الخطايا.

ولكن أين الشرع وكيف تكون أحكامه وسننه؟ بينما يؤكد لنا الله بأن أهل الكتاب كلهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل معاً.

﴿قُل يَاأَهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَ الإِنجِيلَ...﴾ - ٦٨ المائدة.

وأهل الكتاب كما هو معروف من آيات القرآن هم اليهود وأتباع المسيح فقط، بينما يظن كثير من سذج المسلمين أن المسلمين أيضاً منهم، إن المسلمين هم فقط أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن، والقرآن يحوي على الكتاب والحكمة (من مكونات المصحف نفسه). وكل رسول من آل إبراهيم أرسل الله معه الكتاب والحكمة بالمعنى الذي شرحته قبل قليل لذلك نجد الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿...فَقَد ءَاتَينَآ ءَالَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَءَاتَينَاهُم مُلكاً عَظِيماً﴾ - ٥٤ النساء.

ويخاطب الله الرسول محمد ﷺ:

﴿...وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَم تَكُن تَعلَمُ...﴾ ـ ١١٣ النساء.

وبعد أن يردد الله سبحانه آيات الصراط المستقيم في سورة الإسراء يقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِمَّآ أَوحَى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ...﴾ ـ ٣٩ الإسراء.

وقلنا أن الحكمة بمعنى الشرع، إذن يصبح المعنى: مما أوحى إليك ربك من الشرع ليكون شرعاً إسلامياً. ومآآيات الصراط العشرة إلا من آيات الشرع الإسلامي.

ترد أحياناً كلمة الحكمة بمعنى القدرة على إصابة الحق بالعقل والعلم مع القدرة على جعل العقل سيد المواقف كلها، وهذه كما قلنا موهبة من الله يعطيها لبعض خلقه كما أعطاها للقمان الحكيم ولكثير من رسله سبحانه، لذا نجد الله سبحانه يقول:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ أَنِ اشكُر لِلَّهِ...﴾ ـ ١٢ لقمان.

ولو كان الله يقصد بأنه بعث إليه بكتاب الحكمة لقال: ولقد نزلنا على لقمان الحكمة ولكنه قال سبحانه:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ...﴾ ـ ١٢ لقمان.

وأحياناً يرمز الله للكتاب الذي قلنا أنه يحوي على آيات الله ومعجزاته العلمية في القرآن الكريم فيقول:

﴿وَاذكُرنَ مَايُتلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِن ءَايَاتِ اللَّهِ وَالحِكمَةِ...﴾ ـ ٣٤ الأحزاب.

حيث آيات الله ترمز للكتاب الذي يحتوي على معجزات الله وهو القسم المكي أما كتاب الحكمة الذي هو القسم الذي يحوي الشرع الإسلامي كله والتي نقول عنها في الإسلام آيات الأحكام. والأحكام مشتقة من الحكمة طبعاً.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَى بِالبَيِّنَاتِ قَالَ قَد جِئتُكُم بِالحِكمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعضَ الَّذِى تَختَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ـ ٦٣ الزخرف.

ويصف الله آيات الشرع أو آيات الحكمة بالبينات أي التي تبين أحكام الشرع.

لذا نجد الله سبحانه يقول جاء عيسى بالبينات، أي أتاه الله بعض الآيات من آيات الشرع لتصحيح بعض الأمور التي كانت محط خلاف بين فقهاء اليهود، وهذا يدل أن عيسى لم يأت بالحكمة كاملة أي بالشرع كاملاً، لأن شرع اليهود كان قد نزل على عدد كبير من الرسل والأنبياء والسابقين قبل عيسى عليه السلام.

أما في الآية الكريمة التالية:

﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ...﴾ - ١٢٥ النحل.

معنى الحكمة هنا مثل معنى الحكمة التي آتاها للقمان. وليس معناها الشرع الإسلامي أو أي شرع في ديانة سماوية أخرى.

وكذلك داوود عليه السلام عندما يقول عنه ربه:

﴿وَشَدَدنَا مُلكَهُ وَءَاتَينَاهُ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَابِ﴾ - ٢٠ ص.

وهنا أيضاً يقول الله آتيناه الحكمة فيقصد نفس الحكمة التي آتاها للقمان الحكيم، وفصل الخطاب معنى الكلام الفاصل الذي يظهر الحق من الباطل وهذا لايتمكن منه من لم يكن حكيماً وخطيباً مفوهاً.

وأحياناً يقول الله سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ ءَايَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ...﴾ - ٧ آل عمران.

وهو قسم من الكتاب يتألف من آيات محكمات وهي آيات الحكمة التي هي الشرع يسميها الله سبحانه أم الكتاب. وهي آيات الرسالة الإسلامية التي نجدها دائماً في القسم المدني من القرآن الكريم، لذا يجب أن نميز دائماً بين الحكمة التي آتاها الله لبعض الرسل، والحكمة التي علمها لبعضهم، والحكمة التي أنزلها الله على البعض الثالث.

مثلاً الحكمة التي آتاها الله نجدها في الآيات التالية فقط:

﴿...وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ...﴾ - ٢٥١ البقرة.

حيث آتاه الله الملكَ فجعله ملكاً ولم يكن أبوه أو أحد من أسرته ملكاً قبل ذلك، وآتاه الله الحكمة. وعلمه مما يشاء، فعلمه صناعة الحديد وصناعة الزرد الحديدي لصناعة الدروع.

١٨ ـ الحياء:

هو امتناع النفس عن القبائح تكريماً للنفس واستقباحاً للفعل فيقال حَيِيٌ لمن كان صفته الحياء. ويقال استحى فهو مستحٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَستَحِي أَن يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا...﴾ ـ ٢٦ البقرة.

﴿...وَاللَّهُ لا يَستَحِي مِنَ الحَقِّ...﴾ ـ ٥٣ الأحزاب. ومنها الاستحياء:

﴿فَجَآءَتهُ إِحدَاهُمَا تَمشِي عَلَى استِحيَآءٍ قَالَت إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَاسَقَيتَ لَنَا...﴾ ـ ٢٥ القصص.

في قصة موسى في القرآن الكريم وكيف تزوج بعد أن هرب من فرعون وجنوده إلى البادية.

لذلك فمن الحياء ماهو مستحب للمسلم إن كان ابتعاداً عن الذنوب والقبائح والأفعال التي لاتليق بكرامة الإنسان وعزة نفسه وإبائه وشرفه ونبله. ليس أَنَفَةً وكبرياء، وإنما ترفعاً وكرامةً وعزةً، ومن الحياء ماهو مكروه للمسلم ويجب أن يجنب نفسه ونفوس أولاده منه على أساس أن الخجل مرادف للحياء، فيستحي الصغير الكلام بحضور الكبار، ونظن أن ذلك من الصفات المحمودة. صحيحٌ أن الصغير أو الكبير يجب أن يستحي كلاهما من الكلام إذا كان قبيحاً أو بذيئاً، وعدم نطق هذ النوع من الكلام صفة محمودة للجميع دائماً ولكن ليس معنى هذا أن نقتل الشجاعة الأدبية عند الصغار بمنعهم عن الكلام نوعاً أمام الكبار. واعتبار ذلك أدباً من آداب الإسلام. بل بالعكس يجب على كل الكبار تشجيع الصغار على الافضاء بما في نفوسهم ومناقشتهم حتى في أمورهم وحقوقهم وواجباتهم، فالصغار يفهمون ويدركون أكثر مما نظن ومما نتوقع، فأن يمتنع الطفل عن شيء تم إقناعه به عن طريق النقاش الحر بدون أي نوع من أنواع الفرض والاستبداد أفضل بكثير، لأن ذلك يحميه من الكذب والرياء والنفاق لأنه سيمتنع عن تلك الأشياء المفروضة طالما هو ماثل أمام السلطة التي فرضتها عليه، أما عندما يخلو إلى نفسه فإنه سيعود إليها وإلى فعلها لعدم اقتناعه أساساً بجدوى الامتناع عنها. فما يراه الأب والأم من الظواهر ليست بالضرورة حقائق موجودة بل قد يكون الطفل يمثلها أداءً أمام أبويه اللذان لايعطيانه فرصة المناقشة والكلام حول تلك المواضيع بحرية وتشجيع.

والولد الخجول في المدرسة أو البنت الخجولة حتى عن الأمور التي لاتحتاج للخجل تعتبر حالة نفسية مرضية تحتاج للمعالجة، إذ يجب على كل أب عنده ولد خجول أو فتاة خجولة من هذا النوع أن لايفتخر بما عنده، بل يجب أن يبحث عن سبب هذا الخجل الذي لامبرر له على الإطلاق. ويبدأ بمعالجته.

أما أن نطلق الموضوع كما فعله الذين ظنوا أنهم يحسنون صنعاً بأن ينسبوا كل مايتبادر إلى عقولهم الضيقة من أفكار للرسول ﷺ إفتراء بحجة أنهم كانوا لايكذبون على الرسول ﷺ بل كانوا يكذبون للرسول ولمصلحة المسلمين وبحجة أخرى: (إنما الأعمال بالنيات) ونواياهم كانت خيراً ولم تكن شراً. فقالوا: إن الحياء من الإيمان.

فقد يكون بعض الحياء من الإسلام، ولكن ليس كل الحياء من الإسلام قطعاً وإلا لما قال الله أصلاً:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَستَحِي أَن يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا...﴾ - ٢٦ البقرة.

ولما قال:

﴿...وَاللَّهُ لا يَستَحِي مِنَ الحَقِّ...﴾ - ٥٣ الأحزاب.

ولو كان الحياء كله من الإيمان. لما كان للمؤمن الحق في أن لايستحي في مواقف وظروف، وله الحق أيضاً أن يستحي في مواقف وظروف أخرى.

يجب أن نعلم أطفالنا منذ الصغر على احترامنا وليس الخوف منا وعدم الجرأة على أن يقولوا مابأنفسهم. لأن الطفل الذي يمنع عن فعل شيء بلا نقاش معه يفعله عندما يكون بعيداً عن أبويه ومع أصحابه ورفاقه. فهل هذا أفضل مع بقاء الأب في جهله وهو يظن أن ابنه ملاك فوق الأرض بينما هو خارج البيت شيطان صغير، أم الأفضل أن يكون مبدأ الأب في البيت التشاور بالأدب وضمن الحدود المقبولة، حتى يقول الطفل كل مابنفسه بجرأة دون أن يخشى عقاباً باليد أو بالعصى حتى يقول الطفل مايظن أنه الحق حتى ولو كان مخطئاً. فمن منا لم يكن صغيراً؟ ومن منا لم يخطىء؟ ومن منا قد توقف عن الخطأ حتى الآن؟.

كلنا أبناء آدم وكلنا خطائون. يجب أن لاننسى أنفسنا ونتسلط على الصغار لمجرد أن بعض الكبار قد تعودوا على التسلط علينا. يجب أن نغير هذه القاعدة التي لاخير فيها لأحد أبداً. حتى نمنع عن أطفالنا على الأقل صفة النفاق والرياء والكذب، وإن كنا

عشنا عمرنا كله تحت تأثيرها ونفوذها وسيطرتها على النفوس فتجعلها ضعيفة هشة بدل أن تكون قوية متينة.

إن أغلب مصادر الحديث عندنا نحن المسلمين، هي من مكتبات أهل الكتاب التي اعتبرها فقهاء المسلمين مصادر وينابيع للعلم، علماً أن الله تعالى نهانا صراحة عن ذلك في القرآن الكريم، وإن كل من يقرأ الآية التالية يجب أن يعلم أن كل تلك الأحاديث محرمة علينا تحريماً، بعد أن علمنا أن مصادرها من كتب أهل الكتاب. فالله تعالى يقول لنا في القرآن الكريم.

﴿وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيهِ...﴾ - ٤٨ المائدة.

وهذا شرحته بما فيه الكفاية بأن القرآن الذي يحوي الكتاب والحكمة، فالكتاب يصدق لما بين يديه من آيات الحكمة التي هي الشرع الإسلامي وتهيمن عليه ثم يتابع الله سبحانه الآية:

﴿...فَاحكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ...﴾ - ٤٨ المائدة

أي احكم يامحمد ومن بعد محمد ﷺ أيها المسلم، بما أنزل الله من شرع الله الذي في القرآن، ولاتتبع أهواءهم (أي أهواء أهل الكتاب وفقهائهم) عما جاءك من الحق. والذي جاءه هو القرآن فحسب، ثم يتابع سبحانه:

﴿...لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجاً وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبلُوَكُم فِى مَآ ءَاتَاكُم...﴾ - ٤٨ المائدة.

أي لأهل الكتاب شريعتهم الخاصة بهم ولكم أنتم أيها المسلمون شرعكم الإسلامي الخاص بكم وموجود في كتابكم، ولو شاء الله لخلقكم أمة واحدة، ولكن كانت مشيئة الله أن تكون، أمتين مختلفتين حتى يختبرنا الله بما آتانا لكل أمة على حده، ويحاسب كل أمة أيضاً على حدة، بحسب الشرع الخاص به.

﴿...فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ - ٤٨ المائدة.

ثم يتابع الله في الآية التي بعدها ويقول:

﴿وَأَنِ احكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم وَاحذَرهُم أَن يَفتِنُوكَ عَن بَعضِ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ...﴾ - ٤٩ المائدة.

والرسول الكريم طبق ونفذ هذه الآية هو وأصحابه، حتى عاد أهل الكتاب الذين أعلنوا أنهم أصبحوا مسلمين بقول (لا إله إلا الله) وقلبوا شرع الإسلام كله إلى شرع آخر فيه كثير من شرع أهل الكتاب، علماً أنهم لم يبقوا من شرع القرآن شيء والدليل أمامكم في صحيح البخاري ومسلم بينته كله في كتاب كامل اسمه دين السلطان أصبح ديننا وشرعنا مع أنه محرف ومنقول عن كتب أهل الكتاب وهو محرم علينا في القرآن:

﴿...وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ - ٤٤ المائدة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

١٩ ـ الحلم والأناة:

الحلم: هو ضبط النفس والقدرة على السيطرة عليها عند الغضب، وأحياناً نقول كما ورد في القرآن الكريم:

﴿لِيَستَئذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَت أَيمَانُكُم وَالَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم ثَلاثَ مَرَّاتٍ...﴾ ـ ٥٨ النور.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَليَستَئذِنُوا كَمَا استَئذَنَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم...﴾ ـ ٥٩ النور.

والكلمة هنا كناية عن البلوغ الجنسي للأطفال، لذلك لاحظنا مرافقتها بكلمتي يبلغوا وبلغ التي تستخدم في البلوغ لتلك السن التي يبدأ فيها الطفل برؤية بعض الأحلام الجنسية. أما أن نظن أن معنى بلغ الحلم أي بلغ العقل أو سن العقل أو سن الرشد نكون قد تخطينا الحقيقة وابتعدنا كثيراً عن المعنى الحقيقي.

نعود لكلمة الحلم الأساسية التي قلنا عنها ضبط النفس والسيطرة عليها. لنرى الحالة المعاكسة في شخص فقد السيطرة على نفسه أثناء الغضب. فماذا نرى في ذلك الإنسان؟ مخلوق لم يعد عقله يستطيع السيطرة على أموره وعكس العقل هو الجنون. لذلك نقول عنه بأنه قد جن غضباً أو بلغ حد الجنون. إذن فلا شك أن القادر على ضبط جماح الغضب هو إنسان له القدرة على تفوق العقل على رغبات نفسه وعواطفه ومن هنا يمكن أن نفهم الآية:

﴿أَم تَأمُرُهُم أَحلامُهُم بِهَذَآ أَم هُم قَومٌ طَاغُونَ﴾ ـ ٣٢ الطور.

على أساس أن الحليم لابد أن تكون له السيطرة على نفسه للعقل غالباً وليس لأهوائه قطعاً.

﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ ـ ٧٥ هود.

ولم يعرف عن إبراهيم عليه السلام أنه كان من ذوي الأهواء قطعاً. الحليم صفة من صفات الله سبحانه:

﴿...وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ـ ٢٣٥ البقرة.

والأناة من التأنّي، يقال تأنى فلانٌ تأنياً، بمعنى التؤدة، وفي العمل هو العمل بصبر

ودقة وهدوء، وهذه كلها بمعنى التؤدة وهو الأناة. ويقال استأنيت الطعام بمعنى صبرت عليه حتى تم نضجه بهدوء أو على نارٍ هادئة.

لذلك نجد أن صفة الأناة من الصفاة المطلوبة لتكون من صفات المسلم الذي يكون عنده العقل هو المفوض لقيادة أموره على سبيل الله، وسبيل الله أغلبه أعمال عن علم وتخطيط، وهل أجمل من العمل بصبر ودقة وهدوء على مبادئ العلوم ومبادئ التقدير والتخطيط.

٢٠ ـ المشورة ـ الشورى ـ التشاور:

إن هذا الموضوع من المواضيع التي لم يتطرق إليها رب العالمين في القرآن الكريم إلا في ثلاث آيات في القرآن الكريم، وهي:

١ ـ ﴿...فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِى الأَمرِ...﴾ ـ ١٥٩ آل عمران.

وإذا قرأنا الآية كاملة نجد:

﴿فَبِمَا رَحمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضُّوا مِن حَولِكَ فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِى الأَمرِ فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ ـ ١٥٩ آل عمران.

إن الله سبحانه يشرح في هذه الآية الهامة في الإسلام أسلوب وشكل القيادة الإسلامية على أمة المسلمين. ومن ميزات هذه القيادة:

أ ـ التزام الحاكم التزاماً تاماً بدستور الإسلام الدائم الذي هو القرآن الكريم وآياته وماورد فيها من حقوق والتزامات.

ب ـ أن لايكون الحاكم فظاً غليظ القلب مع الناس بسبب وبدون سبب.

ج ـ أن يميل الحاكم للعفو عن الناس إذا كان ليس هناك مايستدعي العقوبة، وليس هناك تعد لحدود الله الواضحة في كتاب الله.

د ـ (واستغفر لهم) لاتأتي بمعنى طلب الاستغفار لهم من الله فحسب قد يأتيه متخاصمان، وقد يكون المشتكي هو الظالم، ولايعلم، فيبين الحاكم نواحي الظلم التي وقع فيها، وإن كان المشتكي لايعلم ذلك ويطلب منه أن يغفر لخصمه وهذا هو الاستغفار لهم من بعضهم لبعض.

هـ ـ وشاورهم في الأمر. في الأمور الخطيرة التي تحتاج إلى قرار مثل قرارات الحرب والصلح والسلم التي لها أبعاد تهم كل الناس، يطلب الله من الحاكم الإسلامي أن يشاور شعبه في مثل هذه الأمور وبعد أن تتبين كل الجوانب في ذهن الحاكم عليه أن يتخذ القرار بما يراه الأنسب والأصلح لهم جميعاً، باعتباره هو المسؤول عن اتخاذ ذلك القرار وعن نتائجه سلباً أو ايجاباً، فليس هناك مايلزمه بأن يسير على رأي أحد طالما هو

الحاكم الجديد بالحكم والقيادة وبرضى جميع المسلمين واختيارهم، أو باختيار غالبيتهم. وهذا مايقصده الله سبحانه في قوله:

﴿...فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ ـ ١٥٩ آل عمران

٢ ـ والآية الثانية في سورة الشورى:

﴿وَالَّذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ ـ ٣٨ الشورى.

هذه الآية هي واحدة من مجموعة آيات يصف فيها الله سبحانه المجتمع الإسلامي المؤمن الموحد لله دون أن يقع في الإشراك مع طاغوت أو سلطان. مثل المجتمع الإسلامي الذي استمر حتى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فماذا نجد في وصف هذا المجتمع الجديد الذي عاد يسير بهدي السلطان وشرعه مبتعداً عن شرع الله متستراً بالإسلام والرسول ﷺ وأحاديث ادعوا أنها أحاديث الرسول الشريفة، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو الأحاديث القدسية الشريفة وأغلبها أحاديث افتراها الملأ للطاغوت الجديد. خدمة وإخلاصاً له وليس لله رب العالمين. وفات ذلك ولايزال على غالبية المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَآئِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾ ـ ٣٧ الشورى.

وكبائر الإثم والفواحش هي نفس آيات الصراط المستقيم إذا عكسناها وهي: الإشراك بالله، عقوق الوالدين، القيام بالإجهاض خشية الفقر وعدم القدرة على الإطعام والكسوة، الوقوع في الزنا والفواحش مابطن منها وماظهر، قتل النفس التي حرم الله من غير حق، أكل مال اليتيم، الغش بالكيل والميزان، الوقوع في الكذب، خيانة العهود والمواثيق والعقود. التفرق عن سبيل الله إلى سبل أخرى نهى عنها رب العالمين وهي عشرة كما رأيتم في القرآن.

﴿وَالَّذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ ـ ٣٨ الشورى.

أي الذين آمنوا بالرسالة وبما ورد في القرآن الكريم كله، وأقاموا العبادات، ولم يتسلط عليهم طاغوت أو سلطان، بل إن الأمر لايزال شورى بينهم يطيعون من أطاع الله طبق شرعه وقانونه مع الإلتزام بدستور الإسلام الذي هو القرآن.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُم يَنتَصِرُونَ﴾ - ٣٩ الشورى.

أي الذين إذا أصابهم ظلم من أحد من الأمم المجاورة لايخنعون ذلاً واستكانة، بل ينتصرون للحق، ولايقبلون بالظلم من أحد أبداً حتى من الله. لأن الله نفسه قد برأ ذاته من الظلم أصلاً بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ - ٤٠ النساء.

فكل ظلم يقع على الإنسان فهو إما من نفسه أو ظلم من الطاغوت والسلطان أو ظلم من الأمم الأخرى. أي من الإنسان وليس من الله أبداً.

﴿وَجَزَآؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ - ٤٠ الشورى.

والله تعالى يبين قوانين الانتصار للظلم سواء على الناس من نفس الأمة أو كان من الأعداء خارج الأمة، جزاء السيئة سيئة مثلها: أي لايجوز أن نقتل مقابل النفس عشرة أو مائة بل النفس بالنفس. وبعد انتصاره لنفسه وإثباته لقوته، يثبت للطرف الآخر قدرته على فعل مايشاء ويختار، ويمكن أن يعفوا أيضاً، وإن كان ذلك صعباً على الكثيرين من الناس فيقول له الله (فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللَّهِ) ولكن ينبه المؤمن أخيراً بأن الله لايحب الظالمين حتى لايدخل المؤمن في انتقامه وانتصاره لنفسه إلى مجال الظلم من جديد فيصبح من الظالمين فيقول له سبحانه:

﴿...إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ - ٤٠ الشورى.

لذلك يجب أن يكون الانتصار للظلم من دون أن يقع المؤمن في الظلم مرة أخرى.

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النَّاسَ وَيَبغُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ٤١ - ٤٢ الشورى.

ويعود الله مرة أخرى ليذكر أن الإنسان الذي ينتصر لظلم أصابه من عدو، إن صبر بعد انتصاره عليه وليس قبل ذلك، وصبر وغفر، إن ذلك لمن عزم الأمور.

ضربت بذلك مثلاً الرسول ﷺ عندما انتصر في فتح مكة فعفا وغفر: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ - ٤٣ الشورى.

﴿وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَل إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ - ٤٤ الشورى.

﴿وَتَرَاهُم يُعرَضُونَ عَلَيهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم وَأَهلِيهِم يَومَ القِيَامَةِ أَلآ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ - ٤٥ الشورى.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن أَولِيَآءِ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ - ٤٦ الشورى.

وهذه الآيات الآخيرة هي وصف لحال الظالمين وموقفهم أمام الله يوم القيامة، موقف الذل، وليس لهم القدرة على النظر إلى الله وجاهةً بل ينظرون إليه من طرف خفي خجلاً وذلاً. إذ لم يبق معهم من ينصرهم في ذلك اليوم أحد.

٣ - والمرة الثالثة هي في الآية:

﴿وَالوَالِدَتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلا وُسعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثلُ ذَلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا وَإِن أَرَدتُّم أَن تَستَرضِعُوا أَولادَكُم فَلا جُنَاحَ عَلَيكُم إِذَا سَلَّمتُم مَّآ ءَاتَيتُم بِالمَعرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ - ٢٣٣ البقرة.

آية من آيات الأحكام (الحكمة) من القرآن الكريم تبين حقوق والتزامات وواجبات كلا الزوجين في كل الظروف حتى وإن حصل الطلاق مع وجود الأطفال والرضع. لم يترك الله شاردة ولا واردة إلا ذكرها ولايحتاج من معه هذا الشرع إلى شرع آخر ولا إلى شرح آخر إلا إذا أراد ظلماً لمصلحة طاغوت يريد أن يستبد برأيه متجاهلاً أوامر الله الصريحة في كتاب الله الكريم.

أما فيما يتعلق بالمشورة والتشاور في هذه الآية، فهي تعني اتفاق الزوجين اللذين قد علما أن الطلاق والفصال قد أصبح أمراً لامفر منه عن تراض وتشاور في الأمر، خاصة فيما يتعلق بالأطفال الصغار إن كان بينهم من يرضع. فلهم أن يقرروا لوحدهما مايلي:

١ - إما أن يبقى الطفل مع الأم الحقيقية وترضعه حتى اكتمال الرضاعة أي سنتين كاملتين. اعتباراً من ولادة الطفل هذه الحالة في لغة القرآن إسمها عامين كاملين.

٢ - وإما أن يجلب للطفل مرضعة بالإجرة لإرضاع الطفل.

٣ - وإما أن يقررا معاً أن الولد قد اكتملت رضاعته خاصة إذا اكتفى وصار يأكل

طعاماً عادياً مع وجود الحليب الحيواني إذا اكتملت رضاعة الطفل لأكثر من ستة أشهر من حليب أمه.

في الحالة الأولى نفقة الأم وولدها على الرجل، وهنا من حكمة الله لايثبت تلك النفقة بل يجعلها تابعة للعرف وبحسب الزمان والمكان، وبحسب غنى وفقر الزوجين وقدرتهما المالية ومستواهما الاجتماعي. وكذلك فإن الله تعالى لم يقرر في الإسلام لمن تكون الحضانة من بعد الرضاع للأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً بل يتركها أيضاً للعرف والعادة عند المسلمين، وبحسب تطور الشرع والقوانين عندهم. ولهم كامل الحرية في أن يختاروا ما يرونه الأفضل والأحكم والأعدل للطرفين دائماً دون أن يتخطوا حدود الله المبينة في كتابه. وإلا لحصل الظلم كما يحصل الآن ومنذ زمن طويل في كل محاكم الشرع الإسلامي التي تطبق شرعاً أساسه لايمت إلى الإسلام، هذا عدا عن كونه قد مضى زمانه منذ أكثر من ألف عام، ولم يعد يصلح لعصرنا الحالي، وكلها لاتتعدى قال فلان عن فلان ونحن لانعلم من هو فلان الأول لنعلم فلاناً الأخير، ودون أن يطبقوا ماقاله الله أبداً، ولايعودون إلى كتابه وآياته، ثم نتساءل بعدها من أين يأتينا الظلم، والظلم لايأتينا غالباً إلا من أنفسنا.

﴿تِلكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلماً لِّلعَالَمِينَ﴾ - ١٠٨ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قبل أن نعلم ماهو الأمر بالمعروف يجب أولاً أن نتعرف على كلمة العُرف في القرآن الكريم:

﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ ـ ١٩٩ الأعراف.

العرف في لغة القرآن هو مايتعارف عليه الناس بأنه خير ومن صالح المجتمع من دون أن يكون فيه نص من الكتاب بتحريمه أو بتجنبه، فتعارف الناس مثلاً على شرب الخمرة في المناسبات يدخل في باب العرف، ولكن لوجود نص قرآني يأمر كل المسلمين بتجنب الخمور، لايسمح بقبول هذا العرف شرعاً. فهو مرفوض إلى يوم الدين مهما أفتى فيه المفتون إلا إن كانت عن ضرورة.

والمعروف يأتي في القرآن أيضاً بنفس معنى العرف:

﴿...وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذِى عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ...﴾ ـ ٢٢٨ البقرة.

﴿...الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ بِالمَعرُوفِ حَقَّاً عَلَى المُتَّقِينَ﴾ ـ ١٨٠ البقرة.

﴿...فَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَانٍ ذَلِكَ تَخفِيفٌ مِّن رَّبِّكُم وَرَحمَةٌ...﴾ ـ ١٧٨ البقرة.

ولابد أن نفهم كل آية لوحدها بشكل كامل حتى نفهم معنى كلمة المعروف التي وردت في كل من هذه الآيات. في الآية الأولى:

﴿وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكتُمنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِى أَرحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤمِنَّ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِن أَرَادُوا إِصلاحاً وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذِى عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ ـ ٢٢٨ البقرة.

والمعنى واضح في الآية بأن المطلقات يجب أن يراقبن أنفسهن ثلاث حيضات من بعد حصول الطلاق، ويتأكدن خلال تلك الفترة، حتى يعلمن علم اليقين إن كن قد حملن من أزواجهن قبل حصول الطلاق. وإن علمن بوجود الحمل لايحق لهن أن يكتمن ذلك الأمر على أزواجهن أبداً، إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ويخفن يوم لقاء الله ويوم عذابه ـ وفي تلك الحالة أي في حال كونهن حاملات، فأزواجهن أحق بردهن

من أجل الولد. ربما يراجع الأب نفسه ويقرر التراجع عن الطلاق وغض النظر عنه كلية، وذلك إن أراد أن يميل للصلح والإصلاح، فإذا كان هناك موضوع مختلف عليه ولصالح المرأة يتنازل عنه إكراماً للمولود الجديد ويسكت عن الموضوع كلية.

يجب أن نعلم سلفاً أن المرأة لم تغادر بيت زوجها بعد الطلاق ولا يحق لها أن تغادره وذلك بأمر من الله تعالى لحكمة شاءها هو سبحانه لعلمه أن الرجل إذا طلق زوجته نتيجة ظروف نفسية طارئة كالغضب وغيره فإن فترة الأشهر الثلاث هي من أجل التراجع النفسي قبل حصول الطلاق الفعلي بعد الأشهر الثلاثة، وذلك بحضور الشهود الذين يشهدون على الطلاق (هذه الأمور كلها شرحتها في بحث الطلاق من هذا الكتاب).

وعلى المرأة إذا ثبت حملها وشاء الرجل بإعادتها أن تسمع وتعود للتفاهم وهذا معنى (وللرجال عليهن درجة).

والسبب أن المرأة أكثر عاطفة من الرجل في قراراتها فلا يسمح لها رب العالمين من أجل قرار عاطفي قد يكون خطأ أن تقرر مصير الطفل ليربى بين أبوين مطلقين وفي ظروف مستجدة وغير طبيعية خلال كل حياته بوجود زوجة الأب وزوج الأم. لعلم الله أنه في كثير من الحالات يمكن أن تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية ويعيش خلالها الزوجان حياة زوجية سعيدة وناجحة.

ولكن هذا لايعني أبداً أنه ليس من حق الزوجة بعد تلك العودة إن وجدت أن الأمور لم تتحسن للأفضل أنها فقدت حقها في الطلاق. فإن حق الطلاق موجود للطرفين في كل الأوقات التي يقتنع فيها أحدهما أو كلاهما باستحالة استمراره.

﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيهِنَّ بِالمَعْرُوفِ...﴾ - ٢٢٨ البقرة.

أي للنساء من الحقوق مثل ماعليهن من الواجبات والالتزامات بالمعروف، أي بحسب المتعارف عليه بين الناس في تلك البقعة المكانية وفي ذلك الزمان أيضاً، أي أن هذه الحقوق والواجبات يمكن أن تتطور وتتغير بحسب أعراف الناس شريطة أن لاتتعدى حدود الله التي حددها والتي لايجوز تجاوزها من أحد من الناس. وهذا منتهى العدل في الإسلام القرآني الخالي من شرع الطاغوت وتدخله بالأحاديث المفتراة ظلماً. لننتقل بعدها للآية الثانية:

﴿...الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ﴾ - ١٨٠ البقرة.

﴿كُتِبَ عَلَيكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوتُ إِن تَرَكَ خَيراً الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ بِالمَعرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ﴾ - ١٨٠ البقرة.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَآ إِثمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ - ١٨١ البقرة.

﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَو إِثماً فَأَصلَحَ بَينَهُم فَلآ إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٨٢ البقرة.

في الآية ١٨٠ من سورة البقرة نجد أن الوصية من حق كل مسلم أن يوصي كتابةً أو شفاهاً أمام شهود فيبين ماذا يترك للوالدين والأقربين. ثم يذكر الله بعدها مباشرة كلمة المعروف: وهي كلمة هامة لأن الوصية يجب أن لاتكون متجاوزة للعرف والمتعارف عليه بين الناس، أي أن لايحرم أي صاحب حق من حقه الشرعي حرماناً كاملاً.

والآيات التي بعدها تبين أنه إذا سمع شاهد بوصية فبدلها من أجل أحد من الناس فإن إثم هذا الكذب والافتراء سوف يقع على الذي يبدل الوصية.

والآية الأخيرة تقول بأنه إذا خاف أحد من موصٍ ظلماً. مثلاً لنفرض أن أخ أو ولد يعلم إن أخاه أو أباه غير راضٍ عنه، فإذا أوصى فسوف يحرمه من حقه أو من أغلبه، فمن حقه أن يرسل أحد الناس لشرح وجهة نظره، حتى يعود الأخ أو الأب عن قراره إذا كان فعلاً يريد أن يحرمه من معظم ميراثه الشرعي. وحتى نفهم الوصية بشكل أفضل يجب أن نفهم معها حدود الله، وإلا كان فهمنا ناقصاً للموضوع جملة وتفصيلاً. مثلاً الشرع في القرآن يضع الحد الأعلى لحصة الذكر بمثل حصة الأنثيين. أي لو فرضنا أن حصة الأنثى كانت (١٠٠) سهم يكون حصة الولد (٢٠٠) سهم على اعتبار أن الميراث كله يوزع إلى ٢٤٠٠ سهم فيكون حصة الولد هو الحد الأعلى من الأسهم (٢٠٠) سهم وتكون حصة البنت هو الحد الأدنى من الأسهم (١٠٠) سهم وللموصي أن يتحرك في ذلك المجال أي من (١٠٠) إلى (٢٠٠) بحيث يستطيع أن يجعل أيضاً حصة البنت تساوي حصة الولد إذا شاء.

مثلاً لو كان لرجل خمسة أولاد ذكور، فكانت حصصهم الشرعية تساوي:

٥ ضرب ٢٠٠ = ١٠٠٠ سهم

للأولاد وكان له ست بنات وحصصهن تساوي: ٦ ضرب ١٠٠ = ٦٠٠ للبنات ١٦٠٠ سهم

أي أن حصص الأولاد والبنات ١٦٠٠ سهم و ١٦٠٠ تقسيم ١١ = ١٤٥,٤ سهم لكل ولد ولكل بنت، فهذا الرجل الذي أعطى بوصيته حصصاً متساوية للذكور والإناث لم يتجاوز الحد الأعلى (٢٠٠) سهم، ولا الحد الأدنى (١٠٠) سهم بل تحرك بين الحدين وهذا من حقه الشرعي في الوصية.

لكن إن مات الرجل دون وصية عندها يجب تطبيق ماورد في القرآن كشرع وجعل حصة الذكر مثل حظ الأنثيين. وهكذا فمن أراد أن يفهم الشرع من القرآن مباشرة دون الرجوع إلى ماكتبه جنود السلطان هو أفضل وأحسن طبعاً، لكن السلاطين لم يكونوا ليرضون عن ذلك أبداً، لأن مافي شرع الله وحده لايرضيهم بل يريدون أن يسيروا بشرع خاص بهم، وإن سموه شرع الله افتراء وكذباً، وكمثال على ذلك طالما نتكلم عن الإرث والميراث هناك موضوع الولد المحروم الذي يطبقه شرع السلطان في بلاد المسلمين كلها، بحجة أنه شرع الله وهو مناف للشرع الإسلامي الموجود في القرآن الكريم، والظلم واضح لايحتاج إلى شهود من أجل الوصول إلى القناعة بوجود الظلم حقيقة واقعة، ولايمكن لشرع الله أن يكون ظالماً أبداً طالما هو من عند الله مباشرة.

مثلاً لنفرض أن لزيد من الناس ولدين عمر وخالد وكان الولدان أيضاً متزوجين، وعند عمر خمس أولاد، وكذلك عند أخيه. ولكن على عادة كثير من المسلمين حتى اليوم لم يقسم زيد أمواله بعد بين ولديه على اعتبار أنه لازال على قيد الحياة، وهذا من حقه وليس في هذا عيب أبداً. ولكن لنفرض أن عمر قُتل أو مات لسبب من الأسباب، وبما أنه مات في حياة والده فقد صار في شرع السلطان الذي هو الشرع الإسلامي المطبق حالياً محروماً، وبالتالي فأولاده أيضاً يحرمون من الميراث بعد وفاة جدهم فيصبحون بدون ميراث.

إن الذي وضع هذا الشرع وضعه حتى يفتت المسلمين ويزرع داخلهم أسباب العداء والضغينة حتى في داخل الأسرة الواحدة، فيصبح أولاد الأخين أعداء إلى الأبد من أجل الميراث الذي وزع ظلماً باسم الله والشرع والرسول. علماً أن الله والشرع والرسول أبرياء من مثل هذا الشرع. ولكن الأغرب من ذلك أن المسلمين وحتى اليوم لايتحركون لتغيير هذا الظلم مع وضوحه لإعادة الحقوق إلى أصحابها. فمن الواضح تماماً أن موت عمر لم يغير من الموضوع شيئاً، فإن حصته تبقى كما هي كما لو كان حياً يرزق، وتوزع حصته بعد ذلك على أولاده مباشرة طالما قد توفي، وعندها يكون العدل قد سار

في مجراه الطبيعي. ولكن لايكون المشرع الذي أراد أن يزرع الحقد والبغضاء داخل الأسرة الواحدة قد وصل إلى مبتغاه، ومن أجل إرضاء ذلك المنافق الحاقد على الإسلام والمسلمين لانزال حتى اليوم نطبق هذا الشرع الذي لايقبله عقل ولا منطق قبل أن يقبله الله تعالى ورسوله الكريم.

لننتقل بعدها للآية الثالثة:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ القِصَاصُ فِى القَتلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبدُ بِالعَبدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَىءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَانٍ ذَلِكَ تَخفِيفٌ مِّن رَّبِّكُم وَرَحمَةٌ فَمَنِ اعتَدَى بَعدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - ١٧٨ البقرة.

والآية واضحة جلية: فقد أقر الله أن القصاص هو أسلوب أخذ الحق في القتلى أساساً خاصاً في قتل العمد، فإن كان نتيجة اعتداء متعمد من عشيرة على عشيرة أخرى، فالنفس بالنفس على أساس أن الحر يجب أن يقتل في مايقابله حر مثله والعبد عبد يقابله، والأنثى بالأنثى على أساس الحرة بالحرة والعبدة بالعبدة. هذا عندما كانت العبودية من أعراف الناس، لكن طالما خرجت العبودية من الأعراف فقد التغت معها. ثم تقول الآية:

﴿...فَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَىءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَانٍ...﴾ - ١٧٨ البقرة.

لنفرض أن رئيس العشيرة المعتدى عليها قبل بمبدأ الدية ولم يصر على حقه الدم بالدم وهذا كرم حقيقي منه حيث تقول الآية (فَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ شَىءٌ) فقد عفى عن مبدأ الأخذ بالدم. ثم تقول الآية: فاتباع بالمعروف. أي يجب على الطرف الآخر أن يقابل ذلك بما هو متعارف عليه من الناس ولنفرض أن العرف في ذلك الزمان كان يقضي أن دية الحر مائة من أوسط الإبل. فلا بد من أن يدفعها. ثم تقول تتمة الآية (وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَانٍ) وهذا يبين أن الأداء لكرم هذا الرجل يجب أن يكون بإحسان أي يجب مقابلة كرم هذا الرجل بكرم أكبر مثلاً: بجعل دية الرجل (١٢٠) من أحسن الإبل وليس من أوسطها مثلاً.

ولكن إن حصل قديماً عند السلطان وفي منجم لإستخراج الذهب تابع لملكيته وحده وقتل فيه ألف من العمال المسلمين، أو كان القتل نتيجة إحدى غزواته لاكتفى السلطان بإرسال إعلام عن كل واحد من الذين قتلوا إلى إهله وأولاده، معلماً إياهم أن

ابنكم أو أباكم قد قتل شهيداً في سبيل الله وفي طاعته، فأسكنه الله فسيح جناته وبنى له قصراً في الجنة مقابل إخلاصه.

وإن سأله أحد من أهل أولئك الشهداء عن رزق أو مال، لقال لهم أعوان السلطان إن رزقكم على الله وماحصل كان بأمر من الله وقدره المكتوب وليس من السلطان، فلا تطلبوا من السلطان أي تعويض على الإطلاق. وهذا هو عدل السلطان الذي تكلمت عنه في دينه وشرعه الذي نسميه اليوم ظلماً الشرع الإسلامي الحنيف.

وهكذا فإن كلمة المعروف معناها دائماً في كتاب المسلمين الذي هو القرآن الكريم هو المتعارف عليه بين الناس، وهذا يتغير مع الزمان والمكان دائماً، وفي هذا التغير منتهى العدل، لأن في الثبات على سُنة واحدة أو قانون واحد أو مبلغ واحد أو رقم واحد فيه منتهى الظلم.

الآيات التي تؤكد على مبدأ المعروف في آيات الأحكام (الحكمة) كثيرة جداً في القرآن الكريم حتى يعلم المسلم أن كل تلك الأحكام غير ثابتة بل تتبع ذلك المتعارف عليه بين الناس حسب الزمان والمكان.

أما أن نثبت الأحكام بحسب أحكام قام بها الرسول ﷺ أو أحد الصحابة من بعده، أو نثبتها على أحكام حكم بها أحد الأئمة الأربعة كما فعل المسلمون، هذا منتهى الظلم، ولا يكون منتهى العدل إلا بالرجوع للقرآن وحده مع إضافة المتعارف عليه بين الناس في كل زمان ومكان مع الأخذ بعين الإعتبار حدود الله المبينة في القرآن الكريم.

﴿فَمَنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِن بَعدِ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ـ ٩٤ آل عمران.

النهي عن المنكر:

وحتى نصل إلى معنى المنكر كما جاء في لغة القرآن لابد أن نستخدم نفس الأسلوب الدائم الذي استخدمته في الوصول إلى معاني الكلمات.

﴿...قَالَ أَقَتَلتَ نَفساً زَكِيَّةً بِغَيرِ نَفسٍ لَّقَد جِئتَ شَيئاً نُّكراً﴾ ـ ٧٤ الكهف.

والمعنى واضح جداً: إن الذي يقتل نفساً بغير نفس ومن دون حق ظلماً وتعدياً فقد أتى شيئاً تنكره كل الشرائع وينكره كل الناس الطبيعيين والخالين من الأمراض النفسية والشذوذ من الذين لازالوا يتمتعون بالضمائر الحية.

﴿وَيُرِيكُم ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ - ٨١ غافر.

فالله يرينا آياته التي هي معجزاته وحقائقه في خلق الله (فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ) وهنا السؤال نوع من التعجيز لأن الإنسان لايستطيع أن ينكر الحقائق الموجودة، وإلا كان مثل الذي ينكر وجود الشمس في وضح النهار، وهذا موقف مضحك قبل أن يكون موقفاً مقنعاً. أي أن آيات الله حقائق، والحقائق لايمكن إنكارها أبداً. وحتى نعلم أن المنكر هو عكس المعروف لنستمع للآية التالية: ﴿وَجَآءَ إِخوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيهِ فَعَرَفَهُم وَهُم لَهُ مُنكِرُونَ﴾ - ٥٨ يوسف.

أي أن يوسف قد عَرَفَ إخوته فصارَ إخوته بالنسبة إليه معروفين وبما أنهم لم يعرفوه بعد فهو بالنسبة لهم منكر وهم له منكرون.

وهكذا نعلم أن مايقابل المعروف والمتعارف عليه هو المنكر الذي لم يتعارف عليه الناس بل يرفضونه أساساً وقاعدة. وهكذا يجب أن نعلم أن المعروف يدخل في مجال الخير إذا تكلمنا عن الأمر بالمعروف داخل المجتمع الإنساني. ولذلك قال الله سبحانه:

﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ...﴾ - ١٠٤ آل عمران.

حتى نعلم أن تلك الأمة التي تدعو إلى الخير وعليها أن تأمر بفعل المعروف لايمكن أن يكون ذلك المعروف والمتعارف عليه بين المؤمنين إلا خيراً أيضاً. فإن قلنا إنه الشر لتناقض مع مقدمة الآية ولذلك إذا تابعنا تتمة الأية ووضعناها كاملة:

﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ...﴾ - ١٠٤ آل عمران.

نجد أن معنى ينهون عن المنكر، أنهم ينهون عن الشر وعن كل الأعمال الشريرة ويعتبرونها من الأعمال المنكرة في إسلام القرآن. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن أن نجده عند كثير من الناس الذين لايؤمنون إلا بالإنسانية أو بالأخلاق العامة أو بالضمير الإنساني. أو بالمحبة الإنسانية. ولايشترط أبداً بالذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر أن يكون مؤمناً بالله موحداً له لذلك يقول سبحانه منبهاً على هذا الموضوع فهو لاتخفى عليه خافية:

﴿...تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللهِ...﴾ - ١١٠ آل عمران.

﴿وَالمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعضٍ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَوةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ...﴾ - ٧١ التوبة.

وهكذا نعلم أن المعروف الذي يجب أن تأمر به هو من الخير المتعارف عليه بين المسلمين المؤمنين الموحدين بدون وقوع في الإشراك من أي نوع. والمنكر الذي ينهى عنه نفس المؤمنينَ هو المتعارف عليه بأنه شر ولايمكن قبوله ضمن أفعال وأعمال المسلمين لتعارضه مع حدود الله المبينة في كتابه المبين.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما صفتان دائمتان من صفات المسلمين، من أجل الوصول إلى الإسلام الصحيح، ولايمكن أن يتم ذلك إلا باللطف واللباقة والذكاء والفطنة التي تعتبر من صفات المسلم الصحيحة. أما أن نأمر بالمعروف بفظاظة وغلاظة وتجهم وكأننا نقاتل من هو أمامنا فهذا ليس من الإسلام ولا من أخلاق المسلمين في شيء، بل هو من المنكر عندهم.

وكذلك النهي عن المنكر يجب أن يكون بأسلوب لطيف ذكي دون أن نؤذي شعور أحد، أما أن نظن أن ماكتبه لنا الحاقدون، ونجد نماذج له في صحيح البخاري ومسلم لنطبقه فإنه يدعونا أن نقيم في كل مسجد معارك في كل يوم بل في كل صلاة بين المؤمنين أنفسهم.

استمعوا إلى هذا الحديث الذي يعتقد به أغلب المسلمين ويؤمنون به على أنه صحيح: أولاً لنبدأ بصحيح البخاري رحمه الله باعتباره أستاذ الإمام مسلم تحت باب اسمه: (يَرُدُّ المصلي من مرَّ بين يديه) الحديث رقم (٥٠٩) من صحيح البخاري الجزء الأول بعد ذكر أسماء السند بشكل تقليدي نختصره هنا ونقول: حدثنا أبو صالح السمان قال: «رأيت أبا سعيد الخدري في يوم جمعة يصلي إلى شيء يستره من الناس، فأراد شاب من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه، فدفعه أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه (أي لم يجد بداً من المرور من أمامه) فعاد ليجتاز فدفعه أبو سعيد أشد من الأولى (ولاتنسى أن أبا سعيد يصلي لله أثناء ذلك) فنال من أبي سعيد (أي شتم أبو سعيد) ثم دخل على مروان فشكا إليه مالقي من أبي سعيد ودخل أبو سعيد خلفه على مروان (وهو مروان بن الحكم الذي كان أبو الخلفاء الأمويين الذين تتابعوا على الخلافة الإسلامية، ومنهم عبد الملك بن مروان) فقال مروان: مالك ولابن أخيك ياأبا سعيد؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

فهل هذا هو إسلام القرآن، وهل هذا هو الدين الذي أتى به محمد صلوات الله عليه

للعالمين ليخرجهم به من الظلمات إلى النور ليكون دين سلام للعالمين، أم أنه دين يدعو إلى القتال والمصارعة داخل المسجد بين المصلين والذين يتحركون داخل المسجد لقضاء الصلاة وهل هناك في المسجد مايستر المصلي في يوم الجمعة يوم ازدحام الناس للصلاة؟ لايمكن لمسلم مايزال في رأسه بقية من عقل ومنطق وتفكير سليم أن يصدق أن صحابياً كبيراً مثل أبي سعيد الخدري يمكن أن يفتري على الله ورسوله مثل هذا الذي يؤدي إلى الإساءة الكاملة للإسلام والمسلمين. إني لا أصدق أن يكون هذا الكلام إلا إفتراء في حقه من قبل حاقد يريد أن يشوه سمعة الإسلام، فكيف أصدق بعد هذا أن يكون هذا الحديث للرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عنه في القرآن الكريم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - ٤ القلم.

إن هذا الوصف لايستقيم مع هذا الكلام الذي قرأناه في هذا الحديث وما زلنا نقول عنه أنه حديث نبوي شريف وصحيح، هذا وسأكتفي بمثال واحد فقط من كل صحيح من الصحيحين لأن غايتي هي إثبات أن هذه الأحاديث مفتراة على الرسول وعلى صحابته من قبل منافقين حاقدين على الإسلام والمسلمين ولايخجلون ولايخافون الله أبداً. لننتقل الآن إلى صحيح الإمام مسلم حيث نجد في باب منع المار بين يدي المصلي، نفس الحديث السابق: تحت رقم (٥٠٥) المسلسل (٢٥٨) صحيح مسلم الجزء الأول عن عبد الرحمن ابن أبي سعيد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانَ أحدُكُم يصلّي فلا يَدَع أحدَاً يمرّ بين يديه. وليدرأه (أي فليدفعه) ماأستطاع. فإن أبى فليقاتله. فإنما هو شيطان».

ونجد الحديث السابق في رواية ثانية. تحت رقم المسلسل (٢٥٩) الحديث رقم (٥٠٥) (صحيح مسلم) قال أبو صالح السمان: أنا أحدثك ماسمعت من أبي سعيد ورأيت منه. قال: بينما أنا مع أبي سعيد يصلي يوم الجمعة إلى شيء يستره من الناس. إذ جاء رجل شاب من بني أبي معيط. أراد أن يجتاز بين يديه. فدفع في نحره. فنظر فلم يجد مساغاً (أي طريقاً يمكن المرور منها) إلا بين يدي أبي سعيد. فعاد. فدفع في نحره أشد من الدفعة الأولى. فمثل قائماً. فنال من أبي سعيد (أي بلغ منه ماأراده من الشتم) (هذا الشرح في حاشية صحيح مسلم) ثم زاحم الناس، فخرج فدخل على مروان (حاكم المدينة المنورة في ذلك الوقت) فشكا إليه مالقي. قال ودخل أبو سعيد على مروان. فقال له مروان: مالك ولابن أخيك؟ جاء يشكوك. فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره. فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

هذا الحديث الذي قرأته لكم من الصحيحين بنفس الألفاظ والتعابير تقريباً، يقال عنه في شرع السلطان الذي هو شرعنا الإسلامي الحالي مع الأسف الشديد، بأنه حديث متفق عليه، أي لامجال للشك فيه فهو بمثابة اليقين الكامل. مثله مثل القرآن تماماً. فهل فيما قرأنا حتى الآن مايدل على أنه من نفس مصدر القرآن الذي لاشك فيه بأنه من الله؟

هل هذا الحديث من أخلاق القرآن ومن أخلاق الرسول؟ هل هو يدعو المسلمين إلى أخلاق السلام والإسلام التي نعددها الآن؟ وهل في هذا الحديث تراحم وتوادد؟ كما نجد في القرآن التشجيع على المغفرة والصبر مع القدرة على الأخذ بالثأر، كما فعل الرسول ﷺ عندما غفر لهند بنت عتبة زوجة أبو سفيان وأم معاوية بن أبي سفيان على قتلها حمزة غدراً في معركة أحد وأكلها من كبده حقداً.

وكان بإمكانه أن يقطع رؤوس بني أمية كلهم لو شاء، لكنه لم يفعل صبراً وعظمة ومغفرة. لعلمه أن العفو لايكون إلا عند المقدرة، ثم نعود لنصدق أن نفس ذلك الرسول العظيم الذي أقر له الغرب وعلماؤه بالعظمة وصنفوه من دون أن يؤمنوا به ولا برسالته بل آمنوا بعظمته وعبقريته كإنسان ورجل، وقالوا عنه أنه من أعظم عظماء التاريخ كلهم، وصنفوه الأو ل في التاريخ كله.

لنعود نحن ونلصق به أحاديث نسميها أحاديث نبوية وشريفة وأين؟

في الصحيحين وبنفس العبارات ليكون متفقاً عليه بأنه قال وأوصى بأن يتقاتل المسلمون في المساجد، لأن أحداً منهم قد مر من أمامه خطأً، أو سهواً، أو عجلةً.

أنا أعتقد أن كل عقولنا تحتاج إلى معاينة وكشف من جديد من قبل أخصائيين لأنهم جعلونا نصدق مثل هذا الكلام عن ديننا ورسولنا بعد أن عَبَدَ آباؤنا السلاطين من أتباع الشياطين ومساعديهم من المنافقين الحاقدين. ونسوا أن يتبعوا القرآن ويعبدوا الله وحده ولايشركوا به أحداً.

﴿...هَؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِم أَلَا لَعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ - ١٨ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٢ ـ العدل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ شُهَدَآءَ للهِ وَلَو عَلَى أَنفُسِكُم أَوِ الوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ إِن يَكُن غَنِيّاً أَو فَقِيراً فَاللَّهُ أَولَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعدِلُوا وَإِن تَلوُا أَو تُعرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ـ ١٣٥ النساء.

معنى بالقسط في أول الآية: كونوا قوامين بالقسط أي كونوا مقسمين وموزعين للحصص بالعدل المقرر بالحساب والميزان والمكيال فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي لاتميلوا مع من تميل إليه قلوبكم، لأن العدل هو التوزيع بالتساوي وهذا لايمكن أن يتحقق مع وجود قلب يميل مع الهوى بل يحتاج إلى عقل ينقاد للعدل والمساواة، وليكون مع الحق، وهكذا كان الرسول الكريم دائماً مع الحق ولاينقاد إلا للحق. وليس من السهل على الإنسان أن يسير بهذه القاعدة فهذا يحتاج إلى إيمان قوي ومع الإيمان إدراك لحقيقة المساواة وحقيقة العدل. وليس من السهل على الإنسان أن يقول الحق ولو كان على نفسه أو كان ذلك الحق على أحد الوالدين أو أحد المقربين من أخ أو ابن أو خال أو عم، فالله ينصح ويعظ لنبقى مع الحق دائماً وفي جميع الظروف.

﴿...إِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربَى...﴾ ـ ١٥٢ الأنعام.

والعدل هو أن تقول الحق والحقيقة بغض النظر عن الذي سوف يتحمل المسؤولية سواء الذي يقول بالشهادة أو أحد أقربائه المقربين. وقول الحق دائماً يكون صدقاً.
﴿...وَليَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ...﴾ ـ ٢٨٢ البقرة.

أي كاتب يكتب الحقيقة دون أن يميل بقلبه وبقلمه مع أحد.

﴿...فَليُملِل وَلِيُّهُ بِالعَدلِ...﴾ ـ ٢٨٢ البقرة.

أي فليملل وليه بالصدق الذي هو الحق.

﴿...اعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ ـ ٨ المائدة.

لابد لفهم كلمة اعدلوا في جزء الآية هنا من أن نقرأ الآية بكاملها:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالقِسطِ وَلا يَجرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَومٍ عَلَى أَلا تَعدِلُوا اعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ ـ ٨ المائدة.

ياأيها الذين آمنوا برسالة الإسلام أنتم الآن هم رسل هذه الرسالة للناس، حتى تبينوا لهم هدف هذا الدين وجوهره الحقيقي وهو شرع الله المتكامل الذي يجب تعميمه بعد تنفيذه على أنفسكم حتى تحققوا العدل في أنفسكم على الأرض، ويشهد الناس عدلكم هذا دون كذب أو تحريف أو ميل بالهوى لأحد من الناس، ولايحملنكم في يوم من الأيام عداء بعض الناس لكم وعدم محبتكم لهم أن يبعدكم عن العدل معهم. كونوا عادلين حتى مع أعدائكم، ذلك أقرب للحق وأقرب للتقوى، فإن الإنسان الذي لايستطيع أن ينتصر على ذاته لايستحق أن ينتصر على أعدائه. فالشديد على نفسه هو الشديد في كل مكان وزمان:

﴿...وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ...﴾ - ٥٨ النساء.

وفي أول هذه الآية يقول سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ...﴾ - ٥٨ النساء.

إن هذه الآية موجهة إلى أولي الأمر من الناس، إلى أمراء المؤمنين وأعوانهم، مبيناً المبادىء الأساسية التي تبنى عليها سياسة الدولة الإسلامية، وأن أهم صفة من صفات الحاكم المسلم هي صفة العدل ومن العدل حفظ الأمانات، باعتبار أن كل شؤون المسلمين في بلده أمانة في عنقه، فإذا كان عادلاً وحكم بالعدل أدى تلك الأمانة، وإلا فهو قد خانها ولن يغفر الله له تفريطه في حمل تلك الأمانة. وهذا العدل يجب أن يتوزع ويظهر في كل ناحية من نواحي الحكم، في توزيع الأموال وفي توزيع الوظائف والاختصاصات للذين يستحقونها، وفي ملاحقة المقصرين ومعاقبتهم ومكافأة المحسنين، وفي نشر العلم وتحسين ظروف العمل، وتشجيع المتفوقين، ومنع الظلم والمظالم والضرب على أيدي المقصرين والمهملين، وتحقيق العدالة الاجتماعية بمنح تكافؤ الفرص الحقيقية لكل الناس بدون تمييز لأي سبب من الأسباب. فتطبيق دين الله على الأرض تطبيقاً سليماً فيه خير المسلمين وعزتهم. ثم تأتي الآية التي بعدها لتقول:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً﴾ - ٥٩ النساء.

أولاً يجب أن نفهم كيف تتم إطاعة الله:

إن الشيء الوحيد الذي بيد كل المسلمين من عند الله بلا شك ولا ريب ولا ظن هو كتاب الله الذي هو القرآن الكريم، فإطاعة الله معناها إطاعة ما أتى في ذلك الكتاب من أوامر وأحكام تخص المسلمين في كل شؤونهم، فيها العبادات وفيها الحلال والحرام، وفيها آيات الصراط المستقيم، وفيها عدَّدَ الله الكبائر، وفيها أحكام الشرع، وحقوق الإنسان رجلاً كان أم امرأة طفلاً كان أم شيخاً. فكتاب القرآن كتابٌ كامل شامل جامع لم ينس فيه الله شاردة ولا واردة إلا عالجها وترك موضوع التطور بحسب عرف الناس للخير في كل زمان ومكان، معتبراً كل مالايتعارض مع حدود الله وتعارف عليه الناس أن يكون من حق الناس تطبيقه إذا شاؤوا.

مثلاً بعض الناس صار من أعرافهم أن لايزوجوا بناتهم قبل الحادية والعشرين وأبنائهم قبل الخامسة والعشرين تشجيعاً للعلم والتعليم، فمن حق هؤلاء الناس دلك طالما لم يتعرضوا لحدود الله ويحللوا ماحرم الله.

مثال آخر: صار من عرف الناس مثلاً أن لايأكلوا لحم الخيل والجمال والبغال والحمير فمن حقهم ذلك طالما لم يحللوا محرماً. ولم يقولوا أيضاً أن تلك اللحوم محرمة من الله بل قالوا إننا لا نحب أن نأكلها.

وأحياناً ترد كلمة عدل في القرآن بمعنى بما يعادل الشيء.

﴿...أَو عَدلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمرِهِ...﴾ - ٩٥ المائدة.

أي مايعادل ذلك.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدلٍ مِّنكُم هَدياً بَالِغَ الكَعبَةِ أَو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مِسَكِينَ أَو عَدلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ - ٩٥ المائدة.

إن هذه الآية دليل من الله سبحانه، أن المسلمين الأوائل قد عرفوا أشهر الصيد المحرمة وهي الأشهر الأربعة التي يتم فيها الحمل والإرضاع بالنسبة للحيوانات، والدليل على ذلك أن كثيراً من الأحاديث الموجودة في الصحيحين تذكر حوادث قتل فيها المسلمين الحمار الوحشي وأكلوا لحمه في الجزيرة العربية، مع أنواع كثيرة من المها الذي هو البقر الوحشي. ولكن في عصر الانحدار الإسلامي انقرضت تلك الحيوانات من الجزيرة لضياع الأشهر الحرم وعدم معرفة المسلمين بإضافة الشهر القمري رقم (٣٣) كل (٣٢)

شهراً قمرياً كما تفعل الأمم التي تسير في تقويمها على الأشهر القمرية إلى هذا اليوم. إذ بوضع هذا الشهر الإضافي الذي هو الشهر النسيء يحصل التطابق بين السنة القمرية والسنة الشمسية، وقد شرحت هذا الموضوع في بحث كامل من هذا الكتاب تحت عنوان الأشهر الحرم والتقويم الهجري الإسلامي. سن الله سبحانه قانوناً منع الصيد في هذه الأشهر للمحافظة على الحيوانات، لكن جهل الناس ضيع هذا القانون، وتطبيقنا للأشهر الحرم اليوم لم يعد له أي مغزى حقيقي إطلاقاً لأن تطابق الوقت في الأشهر الحرم مع المواسم السنوية مهم جداً وقد فقدناه. فالذي يقتل تلك الحيوانات في غير الوقت المسموح به، حكم القرآن بأن يتقدم بمثل ماقتل من النعم ويحكم به شخصان يختارهما الناس من المعروفين بالعدل والحق في أحكامهم ويجب إرسال تلك النعم إلى الكعبة لتنحر في يوم النحر. وقد لايتوفر لمرتكب هذه الجناية أي نعم على الإطلاق فيوفي الحكم بكفارة إطعام مساكين بحسب قدرة الشخص أو يحكمون بما يعادل ذلك صياماً إذا كان لايملك مايطعم المساكين. المهم أن يذوق وبال مافعل ويعاقب عقوبة ما حتى يندم ويتوب ولا يعود لمثلها بعد ذلك.

أما اليوم فإن الإلتزام بتحريم الأشهر الحرم، لم يعد له أي مغزى حقيقي، ولا أعلم لماذا لم ينتبه المسلمون إلى هذا الموضوع وقاموا بتصحيحه حتى اليوم وهذا لا مبرر له إلا الجهل من بعد علم؟ مع أن هذا سهل جداً، والفائدة من وجوده عظيمة جداً، وهي المحافظة على مخلوقات الله بشكل دائم حتى ولا نعرضها للقتل في أوقات الحمل والإرضاع كما يحصل في هذه الأيام وفي كل البلاد الإسلامية التي نسيت العلم وأهميته بالنسبة للإنسان.

ويأتي في القرآن الكريم مع كلمة العدل كلمة القسط. فهي ليست كلمة مرادفة للعدل كما يظن الكثيرون، لأن في القرآن لا توجد كلمات مترادفة أبداً بل كل كلمة لها معناها ومدلولها الخاص منفردة لوحدها، فماذا تعني كلمة القسط؟

القسط هو عملية التوزيع بالميزان أو بالمقياس أو بالمكيال بحسب المادة الموزعة، ولذلك نجد كلمة القسطاس المشتقة من القسط تعني نوع من أنواع الميازين الحساسة.

﴿وَأَوفُوا الكَيلَ إِذَا كِلتُم وَزِنُوا بِالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ...﴾ - ٣٥ الإسراء.

﴿...وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخسِرِينَ * وَزِنُوا بِالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ﴾ - ١٨١ - ١٨٢ الشعراء.

وكلمة القسط تعني التوزيع والتقسيم بالعدل والحق المستند عند التوزيع على

الحساب والموازين والمكاييل المعروفة كما نجدها في الآية:

﴿وَإِن خِفتُم أَلا تُقسِطُوا فِي اليَتَامَى...﴾ - ٣ النساء.

أي أن خفتم ألا توزعوا وتقسموا الحقوق بالعدل المحسوب سلفاً والموزع طبقاً لموازين ومكاييل معترف بها بين اليتامى.

والقاسط هو الذي يقتطع من الحقوق أثناء توزيعها ولايعطي كل ذي حق حقه كما يجب، لذلك يقول الله سبحانه:

﴿وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ - ١٥ الجن.

وتأتي كلمة أقسط بمعنى أقرب للعدل كما في الآية:

﴿...ذَلِكُم أَقسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدنَى أَلا تَرتَابُوا...﴾ - ٢٨٢ البقرة.

والقسط أميز من العدل العادي، لأن العدل بالقسط هو العدل المعتمد على أسس ومبادىء لايجوز تجاوزها، وكأن هذه الأسس تعتبر موازين معنوية لابد من التقيد بها، لذا نجد الله يقول:

﴿...وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾ - ٤٢ المائدة.

ولو كانت كلمة العدل ترادف القسط تماماً بدون وجود ذلك الفرق لاكتفى الله تعالى بأن يقول: وإن حكمت فاحكم بينهم بالعدل فاستخدم سبحانه كلمة القسط ليميز تلك الحالة بالذات في هذه الآية.

﴿...وَأَنزَلنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسطِ...﴾ - ٢٥ الحديد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٣ ـ التوبة والاستغفار:

إن الله تعالى الذي خلقنا أعلم بنا. وهو يعلم أن ابن آدم خطاء، وحتى لايفقد الأمل ويبقى في ضلاله يسهل له رب العالمين طريق العودة إلى سبيل الرشاد والصلاح مع المؤمنين الصادقين الأتقياء، الذين يطبقون منهج الرحمن الموضح في كتابه القرآن لكل المسلمين. والمنهج سهل فالإسلام دين يسر وليس دين عسر، والمؤمن الصادق مهما تعسَّرَت عليه الأمور يجد مخرجاً ميسراً دائماً بحيث يرضي الله والمؤمنين.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعدِ ظُلمِهِ وَأَصلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيهِ...﴾ ـ ٣٩ المائدة.

وهنا يجب أن نفهم الآية بشكل سليم، الله يقول عن المسلم الذي ظلم بأن أكل مال أحد مثلاً، لايقبل له التوبة مع ظلمه، وإنما يقبلها للذي قام بإصلاح ما أفسد، أي أعاد المال لصاحبه ليتوب بعدها.

أما الشخص الذي ارتكب المعاصي والذنوب مع نهي الله عنها عاد فتاب عنها جميعاً، فالله يعفو عنه ويسامحه ويغفر له باعتبارها من حقوق الله عليه. أما الحقوق التي بينه وبين العباد فيجب أن يؤديها للعباد وتوبته لاتسقط حقوق الناس عنه.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهتَدَى﴾ ـ ٨٢ طه.

﴿إِلا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ...﴾ ـ ٧٠ الفرقان.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ﴾ ـ ٦٧ القصص.

وقد يكون إنسان غرق في الذنوب ولم يترك معصية إلا وارتكبها، فحتى هؤلاء كي لاييأسوا من رحمة الله يجد لهم الله مخرجاً.

﴿قُل يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لا تَقنَطُوا مِن رَّحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ـ ٥٣ الزمر.

وحتى نعلم كيف تكون التوبة عن الأعمال الفاسدة يبينها لنا سبحانه في الآية التالية:

﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِم وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيما * وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا

حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّى تُبتُ التَنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُم كُفَّارٌ أُولَئِكَ اعتَدنَا لَهُم عَذَاباً أَليماً﴾ ـ ١٧ ـ ١٨ النساء.

وحتى لايخطيء المؤمن، ويظن حسبما يسمع من بعض الأحاديث التي ألفها جنود السلطان لمصلحة السلطان نفسه، والتي تقول أن من حق محمد ﷺ أن يشفع لأحد أو يتشفع لأحد، فيؤكد لنا رب العالمين على هذا ويقول مبيناً أن الشفاعة والمغفرة وقبول التوبة ليست من شؤون محمد ﷺ حتى ولو كان نبياً رسولاً.

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَو يَتُوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُم فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ﴾ ـ ١٢٨ آل عمران.

﴿...مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ـ ٤ السجدة

﴿قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ ـ ٤٤ الزمر.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوبَةً نَّصُوحاً...﴾ ـ ٨ التحريم.

فما هي التوبة النصوح في دين الرحمن؟

هي التوبة التي لايعود بعدها المؤمن إلى المعاصي مرة أخرى، وإنما تكون توبة قاطعة لما قبله فلا عودة إلى طريق الشيطان. وهناك بعض الناس لاتقبل توبتهم:

ـ إنسان ارتكب الفواحش في شبابه وفي كهولته حتى وصل إلى سن لم يعد جسده قادراً عليها فتاب توبة عجز وليس توبة إرادة وعقل.

ـ إنسان ارتكب المعاصي والذنوب في الحياة الدنيا ثم أخبره الطبيب أن معه مرض لاشفاء منه وإنه سوف يموت خلال فترة قصيرة (خلال سنة مثلاً) فتاب لعلمه أن أجله قد اقترب.

ـ وإنسان آمن أولاً ثم كفر وانشرح صدره للكفر وازداد كفراً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم ثُمَّ ازدَادُوا كُفراً لَّن تُقبَلَ تَوبَتُهُم وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ ـ ٩٠ آل عمران.

﴿وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّى تُبتُ التَنَ...﴾ ـ ١٨ النساء.

وأمثلة على ذلك.

ـ إنسان تعود على عمل السيئات كقطع الطريق ـ السرقات بأنواعها ـ بيع المخدرات.

بيع المشروبات الروحية، العمل في الدعارة، العمل في بيع مجلات العري والمتاجرة بأفلام الدعارة والجنس، وكل مايسيء للأخلاق العامة، ثم يتوب بعد أن يعلم بأن موته قد صار وشيكاً.

ـ وإنسان آخر آمن ثم كفر ثم عاد فآمن فعاد إلى الكفر مرة ثانية ثم ازداد كفراً هؤلاء لن يغفر لهم ولن تقبل توبتهم ولن يهديهم الله سبيلاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازدَادُوا كُفراً لَّم يَكُنِ اللَّهُ لِيَغفِرَ لَهُم وَلا لِيَهدِيَهُم سَبِيلاً﴾ ـ ١٣٧ النساء.

والاستغفار والمغفرة والغفران، تأتي دائماً مع التوبة؟

القاعدة الأولى:

لايغفر الذنوب إلا رب العالمين:

﴿...وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ...﴾ ـ ١٣٥ آل عمران.

إن يوم الغفران بالنسبة لرب العالمين هو يوم الحساب، ودعاء الإنسان بالاستغفار هو أن يغفر له الذنوب أيضاً في ذلك اليوم، ولاغفران قبله لأنه لاحساب قبله، لو فرضنا أن إنساناً خطَّاءً تاب وعاد إلى منهج الرحمن بعد أن كان على منهج الشيطان لا نستطيع أن نقول قد غفر له الله ذنوبه كلها، الكل يعلم علم اليقين بأن الله سبحانه أصدق القائلين، فإن قال أنه سيغفر للتائب صار ذلك في مجال الحقائق ولم يبق في مجال الاحتمالات كما هي عند الإنسان، لأن الإنسان إذا وعد ربما عاد وغير رأيه في المستقبل، وهذا حصل ويحصل كل يوم حتى إذا وهب يعود الإنسان في هبته ويسترجعها أحياناً كثيرة. ولذلك فإن الله لم يستخدم في القرآن الكريم الفعل غَفَرَ بالزمن الماضي إلا نادراً، وكان استخدامه لها إما كمثال وبسبب الأسلوب البلاغي الموجود في القرآن باستخدام صيغة الماضي للمستقبل، حتى يعطي صورة اليقين للمحتمل. لأن الإنسان بطبعه لايعطي صورة اليقين إلا لما حصل فعلاً، أما إذا قلنا له من الممكن حصوله فإنه يعتبره من باب الاحتمال فقط والممكن وليس من باب اليقين.

ففي سورة القصص الآية رقم ١٦ قال سبحانه على لسان موسى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي فَاغفِر لِي فَغَفَرَ لَهُ...﴾ ـ ١٦ القصص.

علماً أن يوم القيامة لم يقم بعد وموسى لم يحاسب بعد، ولكن في يوم الحساب

سوف يجد ما وعده ربه حقاً فإن الله لايحتمل أن يغير رأيه.

وهكذا نجد في كل القرآن ثلاث حالات فقط من هذا القبيل. بينما نجد أن الفعل يغفر ومشتقاته استخدمت في القرآن ٢٠١ مرة. وكلها بصيغة الحاضر والمستقبل غالباً، ومنها حالات خاصة بالله وغفرانه حالات كثيرة خاصة بغفران الإنسان لأخيه الإنسان.

﴿...وَإِن تَعفُوا وَتَصفَحُوا وَتَغفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٤ التغابن.

﴿...إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم...﴾ - ٨٠ التوبة.

وفي سورة التوبة يبين لنا الله أن حق الغفران بيد الله وحده فهو يعطيه لمستحقيه وفق مبادىء وأسس وقواعد وقوانين خاصة به وليست إعتباطية تتبع الهوى كما عند الإنسان، فإذا علمنا أن تلك المبادىء والقوانين والسنن الربانية لاتسمح بالغفران ولو استغفر لهم كل الأنبياء والرسل مئات المرات، يجب أن نفهم أن ذلك هو منتهى العدل.،لو حدث وغفر لأحد استغفر له رسول أو عفى عن آثم لشفاعة نبي لانتهى عدل الله إلى مثل عدالة البشر. إن الله لايتبع الهوى كالإنسان الذي يقع تحت ظروف ضاغطة مثل: ظرف النخوة والخجل والظروف النفسية المتبدلة. فيوم يكون سعيداً منشرحاً تكون أحكامه وأقواله غير ماتكون في حالة كونه حزيناً منقبضاً يشعر بالتعاسة وعبث الحياة الدنيا. وأكثر مايستخدم الله سبحانه الفعل غَفَرَ كفعل مضارع (يغفر):

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَّكُم فُرقَاناً وَيُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ - ٢٩ الأنفال.

والله سبحانه أحياناً يستخدم المغفرة مربوطة بمشيئة الله:

﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغفِرُ لِمَن يَشَآءُ...﴾ - ٤٠ المائدة.

﴿...بَل أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّن خَلَقَ يَغفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ...﴾ - ١٨ المائدة.

لقد حاول جنود السلطان كما شرحت ذلك في كتاب دين السلطان أن يصوروا الله سبحانه مزاجياً مثل سلطانهم، يغفر لزيدٍ ولايغفر لعبيدٍ مع أن ظروفهما متشابهة. قائلين أن الله حرٌ ويفعل مايشاء ويريد. علماً أن آيات القرآن تبرهن على عكس مايقولون فالله سبحانه لايظلم مثقال ذرة، وكل أحكامه وقراراته تأتي وفق أسس ومبادىء دقيقة وضعها لنفسه بنفسه ويلتزم بها أيضاً بإرادته وبمشيئته التي اختارت

الإلتزام لمنع صفة الظلم عن ذات الله تعالى وليس عند الله هوىً، وإنما عنده حقٌ فقط، لأن الله هو الحق المطلق.

مامعنى الآية الكريمة:

﴿قُل يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لا تَقنَطُوا مِن رَّحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ - ٥٣ الزمر.

لايمكن فهم هذه الآية لوحدها بدون فهم باقي آيات الله في القرآن المتعلقة بنفس الموضوع، فالدين الإسلامي دينٌ متكامل متصل وليس بدينٍ عشوائي فيه قرارات متناقضة ومتنافرة كأن نجد عكس مايقال هنا في هذه السورة في السورة التي بعدها كما هي الحال في الأحاديث المنسوبة افتراء إلى الرسول الكريم، والتي ألفها جنود الطاغوت خدمةً لطواغيتهم. نجد دائماً في آيات القرآن تناغماً وتناسباً بلا تناقض أبداً، ولكن لن يرى هذا التناغم والتناسب إلا من يبحث عنه في كتاب الله المبين.

إن الله سبحانه لايريد أن يغلق باب المغفرة إلا في حالات خاصة ذكرها سبحانه، وقد عددناها في باب التوبة ويقابل الله التوبة بالمغفرة والغفران. فكل الذنوب مهما كثرت إذا وقعت خارج حدود الآية التالية:

﴿إِن تَجتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُّدخَلاً كَرِيمًا﴾ - ٣١ النساء.

وقد عددت مراراً تلك الكبائر فهي نفسها عكس الوصايا العشر. وماعدا هذه الكبائر العشر فإن الله تعالى يغفر الذنوب كلها.

لذلك يقول الله تعالى في سورة النجم:

﴿...إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ لِيَجزِيَ الَّذِينَ أَسَائُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجزِيَ الَّذِينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَى * الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغفِرَةِ وَهُوَ أَعلَمُ بِكُم إِذ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرضِ وَإِذ أَنتُم أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ - ٣٠ - ٣٢ النجم.

وهكذا نجد الدليل في آيات القرآن بأن الله تعالى يغفر الذنوب كلها للإنسان إلا الكبائر وتلك من حقائق القرآن الكبرى. علماً أن الله تعالى أعلمنا أيضاً في القرآن الكريم أنه لايغفر تلك الكبائر للإنسان إلا في حالة التوبة النصوح، وإذا تاب الإنسان وكان قد ارتكب بعض الكبائر أو كلها فتاب عنه الله. ولكن لنفرض أن الإنسان عاد

ووقع مرة أخرى في الكبائر. فماذا يكون مصيره؟ أمام هذا الشخص حالتان:

الحالة الأولى: أنه بعد أن كفر شرح صدراً للكفر وازداد ضلالاً على ضلاله الأول، عندها يخبرنا الله أنه لن يغفر له أبداً، ولن يهديه للإيمان بعدها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم ثُمَّ ازدَادُوا كُفراً لَّن تُقبَلَ تَوبَتُهُم وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّآلُّون﴾ ـ ٩٠ آل عمران.

الحالة الثانية: أنه بعد أن تاب عاد فوقع في أحد الكبائر من جديد ثم ندم بعدها وتاب مں جديد عائداً إلى إيمانه مستغفراً ربه: يغفر الله له فهو إذن كان كافراً أول مرة تاب وآمن ثم عاد وكفر ثم عاد وتاب قبل أن يشرح صدره للكفر مرة أخرى فعفا الله عنه، ولكن إن عاد وانشرح صدره للكفر ولفعل الآثام والكبائر مرة أخرة، لن يغفر الله له أبداً وعن تلك الحالة يحدثنا الله تعالى في الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازدَادُوا كُفراً لَّم يَكُنِ اللَّهُ لِيَغفِرَ لَهُم وَلا لِيَهدِيَهُم سَبِيلا﴾ ـ ١٣٧ النساء

وهكذا من خلال آيات الله نتبين حالات التوبة والغفران كلها: مايمكن قبوله وما لا يمكن قبوله، دون الحاجة لسؤال مفتي من جنود الطاغوت وعلى شرعه فكتاب الله يجيب على كل الأسئلة مهما كانت صعبة، ولكن على المسلم أن يسعى حتى يفهم ذلك من كتاب الله مباشرة، وإن سعى إلى غير ذلك من الكتب ضاع وضل عں سبيل الله حتماً. وذنبه على نفسه وليس على أحد.

والله سبحانه وتعالى يحب أن تكون قلوب عباده مملوءة حباً ومودة، والذي قلبه عامر بالحب يميل للمسامحة والغفران أكثر من الذي في قلبه البغض والحقد والكراهية. لذلك فالعفو والغفران من صفات قلب المؤمن بينما البغض والحقد من صفات قلوب المشركين والكفار. فالله يحب أن يكون عبده غفاراً لإساءات الناس له. ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ...﴾ ـ ١٤ الجاثية.

أي للكفار الذين لايرجون لقاء الله، لأنهم لايؤمنون بالآخرة أصلاً. ولذلك قال الله يصف المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَآئِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾ ـ ٣٧ الشورى.

وبما أن الله سبحانه يعرف إيمان رسوله محمد ﷺ القوي وأخلاقه وحبه للناس قال عنه سبحانه:

﴿لَقَد جَآءَكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٢٨ التوبة.

لاحظوا أن الله سبحانه قال (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ولم يقل (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لأن المغفرة بيد الله وحده لاشريك له، أما المغفرة الخاصة بالناس في الدنيا كأن يغفر زيد لعمرو أمراً، فهذا من شؤون زيد أما غفران الذنب في الآخرة فهذا لله وحده. أما أن يغفر الله ماتقدم من ذنب العبد وماتأخر، فهذا موضوع خاص جداً لايحصل إلا مكافأة لعبد من عباده المؤمنين المخلصين، كما حصل مع محمد صلوات الله وسلامه عليه، الذي صبر وكافح وجاهد في سبيل الله، وسار على منهج الله مخلصاً فقال له سبحانه في يوم النصر العظيم يوم فتح مكة المكرمة ودخولها سلماً منتصراً بلا دم ولا ضحايا بشرية.

﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحاً مُّبِيناً * لِّيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَيَهدِيكَ صِرَاطاً مُّستَقِيماً * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصراً عَزِيزاً﴾ - ١ - ٣ الفتح.

ومن آداب الإسلام آداب الدعاء، والله سبحانه وتعالى يعلم الإنسان آداب الدعاء في القرآن:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ - ١٦ آل عمران.

﴿وَمَا كَانَ قَولَهُم إِلآَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسرَافَنَا فِى أَمرِنَا وَثَبِّت أَقدَامَنَا وَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ - ١٤٧ آل عمران.

﴿...رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَذَا بَاطِلاً سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدخِلِ النَّارَ فَقَد أَخزَيتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَار * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُم فَئَامَنَّا رَبَّنَا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبرَار * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخزِنَا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخلِفُ المِيعَادَ﴾ - ١٩١ - ١٩٤ آل عمران.

إن هذا الدعاء الجميل لايستجاب لكل من يردده من المسلمين لأن لاستجابة الله شروط مسبقة فالدعاء يقوله مسلمان، أحدهما لم يفعل ولم يعمل شيئاً، هذا المسلم في موقف المتمني وهو مثل العامل الذي ترك العمل وجلس ينتظر أجره من السماء والمسلم الثاني مثل العامل في المصنع الذي يعمل فيه مع العمال بالساعة واليوم، إذا لم يحضر للمصنع فلا أجر له، والذي عمل كما يجب أخذ أجره كاملاً، والذي قصر وأخطأ حسم من أجره في آخر النهار، فالله يستجيب للذي سعى وعمل في موضوع رجائه.

واستجابة الله تكون متناسبة مع مقدار ذلك السعي الذي قام به العبد ومقدار ماقدم من عمل صالح في سبيل نوال أجره في الدنيا قبل الأخرة.

لذلك يقول الله بعد هذه الآيات التي ذكرناها قبل قليل مباشرة:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ...﴾ - ١٩٥ آل عمران.

فالاستجابة تكون بعد عمل العامل أو العاملة، هذا هو العدل الإلهي لا أن يستجيب للذي ينام دهرَهُ ويستفيق ليدعو الله وينسى إنساناً كان يعمل عمله الصالح كل يوم ولم يبق لديه وقت للجلوس والدعاء. وحتى لو لم يدع العبد بلسانه فإن الله الذي يعلم مافي السرائر يعلم مافي قلب هذا العبد ومايرجوه من ربه، فيستجيب لما في قلبه ولعمله الصالح.

هذا هو دين الرحمن. وليس كما يريد لنا السلطان أن نعتقد ونؤمن، في دينه. ونظن أن من يعتزل كل الأعمال ويجلس في زاوية مسجد وبيده سبحة يبربر بها هو الذي يعمل. والله كما رأينا لم ينسَ أن يقول:

﴿...أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ...﴾ - ١٩٥ آل عمران.

فهل فر ق الله بين الرجال والنساء؟ لكن السلطان شاء أن يفرق، وقال جنوده كذباً على لسان الرسول: الحديث ٢٧٣٦ صحيح مسلم: «قمت على باب الجنة. فإذا عامة من دخلها المساكين. وإذا أصحاب الجد محبوسون. (أي الذين عملوا في الدنيا بجد وإخلاص ليس لهم مكان في الجنة) إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار. فإذا عامة من دخلها من النساء» فلماذا السلطان ناقم على النساء كل هذه النقمة ليجعل أصحاب النار من النساء، هل لأنه لايستطيع أن يرضي آلاف النساء المحبوسات في قصره من أجمل نساء عصره مخصصات له وحده، حاكم الزمان وسلطان البرين والبحرين، وشباب المسلمين محرومين من الزواج لفقرهم.

والاستغفار ليس مقصوراً على الناس دون الرسل والأنبياء:

﴿...وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ - ٢٤ ص.

ودعاء الرسول ﷺ أو استغفاره لأحد أو لقوم من الناس لن يغير من موقف الله شيئاً، فهم إن كانوا يستحقون المغفرة بأفعالهم وأعمالهم غفر الله لهم، وليس استجابةً

لأحد من عباده أو من رسله، ولو استجاب لكان ظلماً كبيراً لباقي العباد. فما ذنب باقي الناس الذين فعلوا أقل من ذنوب هؤلاء ولم يجدوا من يستغفر لهم فلم يغفر لهم؟ إن هذا منطق إنساني يطبقه السلطان على الأرض، لكنه ليس بمنطق الله الذي يطبقه في السماء، لذلك ينبه الله رسله بمن فيهم رسوله محمد ﷺ إلى هذا الموضوع بصراحة تامة. مثلاً في قوله عن موقف المنافقين:

﴿سَوَآءٌ عَلَيهِم استَغفَرتَ لَهُم أَم لَم تَستَغفِر لَهُم لَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم...﴾ - ٦ المنافقون.

وعندما مات زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي صلى عليه الرسول ﷺ كما تقول الروايات ثم استغفر له فقال له الله في آية أنزلها عليه:

﴿استَغفِر لَهُم أَو لا تَستَغفِر لَهُم إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهدِى القَومَ الفَاسِقِينَ﴾ - ٨٠ التوبة.

لماذا لايريد الله تعالى أن يغفر لهم؟ هل لأنه سبحانه ليس بغفار للذنوب؟ هل لأنه ليس غفوراً رحيماً؟(*) لا بل لأنهم لايستحقون المغفرة أصلاً، لأنهم كفروا بالله ورسوله وكانوا من المنافقين يظهرون شيئاً ويبطنون شيئاً آخر، كانوا دائماً بوجهين وبلسانين. ومنع الله رسوله من الصلاة على زعيم المنافقين في صلاة الجنازة بدليل قوله تعالى:

﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنهُم مَّاتَ أَبَداً وَلا تَقُم عَلَى قَبرِهِ إِنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُم فَاسِقُونَ﴾ - ٨٤ التوبة.

ولو صلى الرسول عليه لقال له «لِمَ تصلي» كما قال له سابقاً «لم تحرم ما أحل الله» وزاد عليها سبحانه:

﴿وَلا تُعجِبكَ أَموَالُهُم وَأَولادُهُم إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنيَا وَتُزهَقَ أَنفُسُهُم وَهُم كَافِرُونَ﴾ - ٨٥ التوبة.

إذن عند الله قواعد وأسس يلتزم بها في محاسبة العباد فينظر أولاً لعمل العبد ولما فعل ولما سعى له، فإذا لم يعمل العبد شيئاً فليس له شيء من الله أبداً ثم يحاسب على أفعاله. هكذا يجب أن نفهم عدالة الله سبحانه وتعالى في السماء لا أن نشوهه كما يشاء السلطان.

ولله بحسب مواقف الناس عنده طريقتان للتعامل والحساب فمن يضل عن سبيله

(*) وعبارة غفور رحيم أو غفوراً رحيماً موجودة في القرآن الكريم ٦٧ مرة، أي ٤ × ١٩= ٧٦.

وكتابه الكريم إلى كتب السلاطين من كتب الحديث يدفع له بالعذاب في الدنيا والآخرة، لذلك يقول سبحانه:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى وَالعَذَابَ بِالمَغفِرَةِ...﴾ - ١٧٥ البقرة.

فيشبه الله الذي يستبدل الهدى بالضلالة أو القرآن بالحديث المفترى مثل التاجر الذي معه بضاعة جيدة فيستبدلها ببضاعة فاسدة. فكيف وبأي عملة سوف يدفع له الله؟. سوف يدفع له بالعذاب بدل المغفرة. لأنه هو الذي اختار البضاعة الخاسرة في تجارته.

وأول مانزلت هذه الآيات أصلاً كانت إنذاراً لبني قريش، التي كانت التجارة مهنتها الأساسية لذلك يضرب لهم الأمثال التي يسهل فهمها بالنسبة لهم. ولو كانوا من الفلاحين والمزارعين لضرب لهم أمثلة عن الزراعة.

والله سبحانه يعلم أن الظلم من صفات الإنسان، ولكنه سبحانه رحمةً منه، يستعمل الرحمة والمغفرة مع ذلك الإنسان، لأنه كتب على نفسه الرحمة فالتزم وألزم نفسه بها.

﴿...فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفسِهِ الرَّحمَةَ...﴾ - ٥٤ الأنعام.

والآية كناية واضحة عن التزام الله بالرحمة في تعامله مع مخلوقاته.

لكن جنود السلطان يصرون أن الله كتب فوق مكتبه في السماء لوحة بالخط الكوفي العربي الجميل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) تماماً كما يفعل السلطان، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة أن المكتوب في مكتب الله فوق العرش هو: (إن رحتمي تغلب غضبي) أو (إن رحمتي سبقت غضبي) وهذا متفق عليه بين أهل الحديث طبعاً وليس بين أهل القرآن.

٢٤ ـ الإصلاح والصلاح:

أصل الإصلاح من أصلَحَ ـ صَلُحَ.

﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثماً فَأَصلَحَ بَينَهُم فَلآ إِثمَ عَلَيهِ...﴾ ـ ١٨٢ البقرة.

أي أصلح ماكان بين الموصي والموصى إليه من خلاف، وأزال ماكان في قلب الموصي والوصية تسبق الموت عادة وتكون في تقرير مصير أموال وأملاك الموصي.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعدِ ظُلمِهِ وَأَصلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيهِ...﴾ ـ ٣٩ المائدة.

أي تاب العبد عما أَفسَدَ ظلماً، ثم عاد فأصلَحَ ماأفسَدَهُ فتاب عليه الله.

أما عند بقاء المظالم والمفاسد فلا توبة له قبل إصلاحها. فإن قتل أحداً يجب أن يصالح عليه ويدفع الدية. وإن أكل مال أحد ظلماً يجب إعادة المال إلى صاحبه. وإن أكل أمانةً يجب إعادة الأمانة إلى أصحابها. هذه هي الأمور التي تشير إلى كلمة أصلح.

وبدون فهم التوبة على هذا الأساس نكون قد فهمناها غنيمة، أما أن يتوب العبد بعد أن يعجز عن فعل الشرور والمظالم لذهاب شبابه وذهاب قوته وجبروته السابق معها، فماذا تفيد توبته؟ وهل بعد العجز توبة؟ إن العاجز قد تاب أصلاً بعجزه قبل أن يتوب بإرادته.

وتوبة العاجز غير مقبولة في إسلام الله الذي في القرآن الكريم:

﴿وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّى تُبتُ الئَنَ...﴾ ـ ١٨ النساء.

وما العجز إلا دليل قرب الموت من الإنسان وإلا فكيف للإنسان أن يعلم أنه سوف يموت إن لم يحس بذلك العجز في نفسه؟

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا وَبَيَّنُوا...﴾ ـ ١٦٠ البقرة.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا وَاعتَصَمُوا بِاللَّهِ...﴾ ـ ١٤٦ النساء.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذَلِكَ وَأَصلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ـ ٥ النور.

فالتوبة بدون ذلك الإصلاح لا قيمة لها وإلا ماذا نقول عن نصاب اغتنى بما نصب

على الناس من حقوقهم ثم تاب لله وحج إلى مكة؟. وهل هذه توبة؟

تلك هي التوبة الموجودة في كتب الأحاديث، وهذه هي التوبة التي يطبقها كل المسلمين اليوم، لكنها مع الأسف الشديد ليست بالتوبة التي يطالب بها الله في القرآن الكريم. فلا توبة لذلك الرجل طالما بقي في ذمته دينار واحد أو ليرة واحدة أو درهم واحد لأحد من الناس. والله يعلم ذلك كله إن كان الناس لايعلمون. فلن يتوب عليه طالما لم يبرىء ذمته ويرضي من أساء لهم ويستغفرهم ويستسمحهم بحسب طاقته وقدرته. ولايكلف الله نفساً إلا وسعها.

والإصلاح في الأرض عكسه الإفساد. وعكس يفسد يصلح. وهي تستخدم للأعمال التي يقوم بها الإنسان على الأرض.

أما الجرائم والجنايات فلا يقول الله عنها أعمالاً بل أفعالاً.

﴿الَّذِينَ يُفسِدُونَ فِى الأَرضِ وَلا يُصلِحُونَ﴾ - ١٥٢ الشعراء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِينَ﴾ - ٨١ يونس.

ويكون الإصلاح فيما شجر بين الناس من خلاف.

﴿إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحُوا بَينَ أَخوَيكُم...﴾ - ١٠ الحجرات.

﴿...فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَآ أَن يَصلِحَا بَينَهُمَا صُلحاً...﴾ - ١٢٨ النساء.

وصالحاً توصف به الأعمال.

﴿...مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم...﴾ - ٦٢ البقرة.

إصلاح:

وتأتي كلمة الإصلاح بمعنى إزالة مافسد منها.

﴿وَلا تُفسِدُوا فِى الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِهَا...﴾ - ٥٦ الأعراف.

وتأتي بمعنى إزالة أسباب الخلاف بين شخصين أو فريقين أو لطرف كان قد وقع عليه الظلم.

﴿...وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِن أَرَادُوا إِصلاحاً...﴾ - ٢٢٨ البقرة.

﴿...إِن يُرِيدَآ إِصلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَينَهُمَآ...﴾ - ٣٥ النساء.

﴿...إِلا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعرُوفٍ أَو إِصلاحٍ بَينَ النَّاسِ...﴾ - ١١٤ النساء.

﴿...وَيَسئَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاحٌ لَّهُم خَيرٌ...﴾ - ٢٢٠ البقرة

والله يعلم المفسد من المصلح لذلك يقول:

﴿...وَاللهُ يَعلَمُ المُفسِدَ مِنَ المُصلِحِ وَلَو شَآءَ اللَّهُ لأَعنَتَكُم...﴾ - ٢٢٠ البقرة.

﴿...إِن أُرِيدُ إِلا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَمَا تَوفِيقِى إِلا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ - ٨٨ هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٥ ـ الكرم:

إذا وُصف به الله فهو دليل إنعامه وإحسانه وفضله على كل مخلوقاته، التي من أهمها الإنسان الذي يعتبره الله أهم مخلوق في الأرض. بدليل اسجاد الملائكة والجن له، واستخلافه في الأرض لإعمارها خيراً وعملاً، لينال بعد ذلك أجره على عمله وصدقه وصبره وإصلاحه جنة الرضوان في الآخرة. وإذا وُصف به الإنسان كان دليل سمو أخلاقه وعز ة نفسه وترفعه عن السفاسف وفعله للخير والأفعال المحمودة، فلا يعزّ عليه مال إن كان قادراً على مسح دمعه إنسان أو إزالة البؤس عن يتيم أو محتاج. وقد جعل الله سبحانه الكرم مقياس التفاضل بين الناس عندما قال: (إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ اتقَاكُم) ثم جعل معايير التقوى ومخافة الله وخشيته هي التي تقرر ذلك الكريم الذي رفعه الله فوق الناس، فلا يمكن للمتقي الذي يخاف الله إلا أن يكون كريماً:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ اتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ـ ١٣ الحجرات.

ومن كرم الله تعالى على الإنسان وتكريمه إياه:

﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلنَاهُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ...﴾ ـ ٧٠ الإسراء.

وهذا دليل فعلي على كرم الله وتكريمه لأن الله فكَّر وقدَّر ودبَّر كيف وعلى ماذا سيحمل الإنسان أثقاله وأحماله ومتاعه في الحياة الدنيا في البر والبحر. في البر خلق له الجمال والخيل والبغال والحمير وسخرها له بعد أن استأنسها له من أجل ذلك وفي البحر سخر له الماء وجعله رقيقاً سهل الانزلاق عليه، للسفن التي جعلها تطفو على سطحه بقوانين خلقها الله سبحانه، وخلق له النجوم للاتجاه والتوجه إذا أبحر فوقها حتى لايضل السبيل، وجعل له فوق الأرض جبالاً ليهتدي بها وإليها وأنهاراً تسهل له الحركة فوقها بالسفن والقوارب، وجعل الإنسان قادراً على العمل بيديه وإتقان الصنع بهما مع استخدام عقله الذي يوجه كل جزء فيه. وجعل له عينين ليرى بهما كل شيء، وأذنين ليسمع بهما الأصوات، وجعل له لساناً ناطقاً وعلمه الفصاحة والبيان والشعر، وعلم الإنسان مالم يعلم.

وفوق كل ذلك جعل له مشيئة خاصة. ومن كرم الله عليه جعلها سابقة لمشيئته في اختيار الحق أو الباطل، ويتحرك كما يشاء بلا إكراه حتى من الذي خلقه ليختبره في هذه

الحياة الدنيا، وأرسل له الرسل من بعد الرسل، حتي يعلمه الصحيح مِنَ الخطأ، وينذره عن المهالك التي قد يقع فيها، خاصة إذا اتبع نفسه الأمارة بالسوء أو نفوس الشياطين من بني جلدته أو شياطين أقل خطراً عليه من شياطين الجن. كل ذلك حتى يوصله بر الأمان إذا استخدم عقله وحكْمَهُ فيما يرى ويسمع ومالَ نحو الحق وابتعد عن الهوى والباطل وآمن بالذي خلقه وكر مَهُ وأكرَمَهُ، فآمن برسالته وكتابه الذي كله هديٌ وحقٌ ونورٌ، وآمن بكل ماورد فيه، وعَلِمَ أن من كرم الله على الإنسان العاقل المتبصر أن يسمع كلام الله ويتدبره أعمالاً وأفعالاً وإصلاحاً في الأرض وإيماناً بجنة الله في السماء، وأنها سوف تكون للمتقين الذين كانوا يعملون في الأرض وهم يخشون عقاب الله وعذابه الذي سيصيب المتنكرين له ولأوامره، فيفعلون السيئات ويعيثون فساداً وإفساداً في الأرض، كفراً وطغياناً وظلماً للعباد ولأنفسهم. فحاول العاقل منهم أن يتدبر أموره قبل فوات الأوان، وحاول أن يكون من عباد الله ا لمتقين حتى يفوز برضاء الله وكرمه يوم الدين.

﴿يَومَ تَرَونَهَا تَذهَلُ كُلُّ مُرضِعَةٍ عَمَّآ أَرضَعَت...﴾ - ٢ الحج.

لا يصيبه كرب في ذلك اليوم، بل يصيبه رضاء الله وكرمه في نعيم الله:

﴿وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرضِ السَّمَآءِ وَالأَرضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ - ٢١ - الحديد.

وفعل يشاء في الآية الكريمة، عائد للإنسان بحسب اختياره وعمله، وحيث هو الذي يقرر لنفسه بإيمانه وطاعته لله ورسوله، إن كان يستحق تلك الجنة، أو يستحق عذابه وناره في جهنم وبئس المصير، من الذين لايكرمون اليتيم البائس. ﴿كَلا بَل لا تُكرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ - ١٧ الفجر. أو يكون من أتباع إبليس الذي ساءه أن يكرم الله آدم ويفضله عليه فكفر حسداً وتكبراً، فقال الله على لسانه في القرآن الكريم:

﴿...فَسَجَدُوا إِلآ إِبلِيسَ قَالَ ءَأَسجُدُ لِمَن خَلَقتَ طِيناً * قَالَ أَرَءَيتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمتَ عَلَيَّ لَئِن أَخَّرتَنِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ لأَحتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً﴾ - ٦١ - ٦٢ الإسراء.

وصدق ظن إبليس عليهم إلى اليوم فأغلب خلق الله من أتباعه ولكن هذا لن يدوم طالما نجد قسم الله تعالى في القرآن:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ - ٢١ المجادلة

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٦ ـ الشجاعة:

إن الصفات المحمودة عند الله تعالى دائماً هي صفات الوسط التي لاتطرف فيها أبداً، فالكرم الذي تكلمنا عنه في الفقرة الماضية هو الوسط بين حدين هما البخل والإسراف. والشجاعة هنا هي أيضاً الوسط بين الجبن والتهور.

فالإسلام لايحب التطرف والمبالغة بأي شيء على الإطلاق. خيراً كان أو شراً. لأن دين الإسلام جُعِل للناس كافة حتى يكونوا مؤمنين ومتقين ولم يكن ديناً ليحول الناس إلى ملائكة ولا إلى شياطين، بل ليبقوا أناساً طبيعيين يأكلون ويشربون ويخطئون أحياناً ويتوبون ويستغفرون ويخشون ربهم دائماً.

وكلمة الشجاعة من الكلمات التي لم يستخدمها الله في القرآن الكريم بل استخدم كلمات أخرى بدلاً عنها. ونحن نعلم أن الشجاعة أكثر ماتظهر في مواجهة الأعداء في الحروب.

﴿إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذهِبَ عَنكُم رِجزَ الشَّيطَانِ وَلِيَربِطَ عَلَى قُلُوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدَامَ﴾ ـ ١١ الأنفال.

الله تعالى استخدم عبارة يغشيكم النعاس من أجل أن يدرك الإنسان أن الله استخدمها لإزالة التوتر النفسي الذي يسببه الخوف من القتل والموت في المعركة، وليربط على قلوب المحاربين أي يقويهم ويجعلهم قادرين على التحدي، ويثبت أقدامهم من أجل أن تقوى على المواجهة ولاتستسلم لهلع القلوب فيولون الأدبار بتلك الأقدام مسرعين بالهرب خوفاً من مواجهة الموت وهذا الوصف بكامله هو وصف لموقف الشجاعة في الحرب. والتصرف بعكس ذلك يقال عنه الجبن والجبان. وكلمة الجبان أيضاً ليست من كلمات القرآن الكريم فلا وجود لها في آيات الله.

لنتابع الآية بعد آية الأنفال السابقة:

﴿إِذ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ فَاضرِبُوا فَوقَ الأَعنَاقِ وَاضرِبُوا مِنهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾ ـ ١٢ الأنفال.

هذه الآية تشرح تماماً لماذا يجب أن نتوقع النصر من الله سبحانه وتعالى ونؤمن بأن

النصر من عند الله وحده. لأن الله كما نعلم هو الذي يملك القلوب كلها وهو الذي يعلم مافيها كلها، وبماذا يفكر كل فريق من المتقاتلين.

فالذي يستحق النصر بحسب مقاييس الله وليس بحسب مقاييس الناس وتفضيلاتهم، هو الذي يقرر له الله تأييده بنصره بين الفريقين بلا ظلم، لأن الله لايظلم مثقال ذرة بل بالعدل الإلهي الحقيقي وعدل الله يختلف عن عدل الناس لذلك لم يصف سبحانه أبداً ولم يقل عن نفسه العادل أبداً في كتابه. إن الله يلقي في قلوب الذين يستحقون الهزيمة الرعب، ويأمر ملائكته بأن يثبتوا أقدام الذين يستحقون النصر بالمقابل ويجعل الذين سينتصرون يضربون بأسلحتهم مهما كان نوعها، بينما يترك الفريق الثاني أسلحته ويولي الأدبار. وهذا الموضوع يختلف من معركة إلى أخرى بحسب قلوب المقاتلين وإيمانهم واستعدادهم النفسي والعملي تجهيزاً وتدريباً فيقرر الله النصر لأحدهما بإذنه وحده.

لقد رأينا مثلاً كيف أدار الله المعركة في يوم بدر وقدر النصر للمسلمين، وكيف أدارها يوم أحد لاختلاف حصل في نفوس المؤمنين أنفسهم. فقرر الله لهم الهزيمة. فليس عند الله محاباة وإنما عند الله قوانين وقواعد وأسس من عرفها استطاع أن يسير بموجبها سلماً وحرباً. لذلك يجب أن نعلم أنه في النتيجة العامة موقف الجبن أو موقف الشجاعة هو قرار من الله يحكم به بحسب موجودات المعركة الحقيقية على أرض الواقع. ويجب أن نفهم آيات النصر والهزيمة على أسس هذا الفهم الجديد لآيات الله تلك التي تقرر مصير المعركة من قبل الله سبحانه.

﴿وَلَقَد نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدرٍ وَأَنتُم أَذِلَّةٌ...﴾ - ١٢٣ آل عمران.

هذا قانون آخر بحيث إذا استحق فريق نصر الله لايمكن للفريق الآخر أن ينتصر عليه حتى ولو كان أقوى منه وأكثر عدداً. والعكس صحيح أيضاً:

﴿...وَإِن يَخذُلكُم فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعدِهِ...﴾ - ١٦٠ آل عمران.

﴿...وَمَا النَّصرُ إِلا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ - ١٠ الأنفال.

وهذه الآية أيضاً من أحد قوانين الله في النصر كما رأينا في الأيات السابقة.

﴿...وَكَانَ حَقّاً عَلَينَا نَصرُ المُؤمِنِينَ﴾ - ٤٧ الروم.

وهذا أيضاً قانون ثابت من قوانين الله في النصر.

﴿...وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصرِهِ مَن يَشَآءُ...﴾ - ١٣ آل عمران.

وحتى لايكون عند الله ظلم، فإن الله يختار تلك المشيئة بحسب قوانين وسنن تقرر من الذي يستحق النصر أكثر فينصره الله.

﴿...وَمَالَهُم مِّن نَّاصِرِين﴾ - ٢٢ آل عمران.

﴿...فَإِنَّ اللَّهُ لا يَهدِى مَن يُضِلُّ وَمَالَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ - ٣٧ النحل.

أي أن الذي يضل عن سبيل الله إلى سبل أخرى لن يجد ناصراً له أبداً.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٧ ـ العزة:

من صفات المؤمن ومن مستلزمات أخلاقه أن يكون عزيزاً نبيلاً وشريفاً. والعزيز هودائماً عكس الذليل، لذلك يقول سبحانه:

﴿...وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ...﴾ ـ ٢٦ آل عمران.

﴿...وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ ـ ٨ المنافقون.

ومن يملك القوة مع الإيمان لا يُغلَبُ، لأن الله معه، وهل يمكن أن يغلبَ من كان الله معه ومن هنا نعلم لماذا قال الله

﴿...فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ ـ ١٣٩ النساء.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً...﴾ ـ ١٠ فاطر.

وطالما كانت العزة لله كلها وهو مالكها وهو مانحها، فلا يمنحها إلا لمستحق. ولايستحق العزة برأي الله في القرآن إلا المؤمن بالله الموحد له الذي لايشرك به أحداً من رسول أو ملاك أو شيء من كتاب أو سنةٍ أو حديث، والعالم الذي يؤمن بالعلم ولا يشرك الأوهام والظنون هو مؤمن بالعلم وموحد له وهو في النتيجة مؤمن بالله أيضاً لأن الله حق وعلم إن آمن باليوم الآخر ولم يخش إلا الله اكتمل إيمانه.

﴿سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ـ ١٨٠ الصافات.

أحياناً نجد في القرآن آية تقول:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ـ ٢ ص.

وعزة الكفار عزة ذم، لأنها عزة زائفة يمكن أن يستخدمها الشيطان وتظهر قوتها أمام المشركين بالله وهي ليست دائمة. وعزة المؤمنين دائمة وحقيقية وباقية، لذا نجد الله سبحانه يقول:

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُم عِزّاً﴾ ـ ٨١ مريم.

وهذا عِزٌّ زائف لاقوة له ولا منعة ولا ينصر أحداً خاصة إذا واجه مؤمنين حقيقين،

ويقول سبحانه:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً...﴾ - ١٠ فاطر.

أي من كان يبحث عن العزة الحقيقية فلن يجدها إلا عند الله سبحانه، وهي له وحده، أما ما ورد في الآية الكريمة:

﴿...وَعَزَّنِى فِى الخِطَابِ﴾ - ٢٣ ص.

فتأتي بمعنى غلبني في الخطاب، وإذا قلنا استعزَّ بفلان، نعني أنه اتخذه منَعَةً وحصناً له.

٢٨ ـ الوقار والسكينة:

الوقار هو الحِلِمُ من السكون والسكينة يقال: له وقارٌ، فهو وقورٌ.

﴿مَّا لَكُم لا تَرجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾ ـ ١٣ـ ١٤ نوح.

ومنه الفعل وقر:

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصِيلاً﴾ ـ ٩ الفتح.

وقوله تعالى:

﴿وَقَرنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى...﴾ ـ ٣٣ الأحزاب.

ومن هذه الآيات الكريمة نعلم لماذا يحب الله سبحانه أن يكون من صفات المسلم والمسلمة صفة الوقار والسكينة.

وكل من المسلم أو المسلمة، إذا تدرج في الإسلام معرفة وعلماً، فهو مؤمن وهي مؤمنة في النهاية، أي أنهما قد بلغا مرحلة الإيمان. ومع الإيمان تصعد وترتقي نفس الإنسان حتى تبلغ مرحلة الوقار والسكينة، وهي مرحلة لايستطيع أن يبلغها إنسان إلا إذا كان مُغَلِّباً عقله على هواه في أموره وقراراته في بيته وشؤون حياته وحتى في شؤونه مع ربه الذي خلقه.

فكما أن الإنسان الذي يتعامل مع الناس دائماً باحترام يفرض عليهم احترامه، كذلك المؤمن الذي يصل إلى مرحلة الوقار يفرض على الناس توقيرهم له والتوقير أعلى درجة من الاحترام. وإذا ارتفعنا إلى أعلى الدرجات من التوقير نصل إلى مرحلة التقديس وهذه لاتكون إلا لله سبحانه وتعالى:

﴿...وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾ ـ ٣٠ البقرة.

أي لايتوجه الإنسان ويقدس أحداً سوى الله سبحانه وتعالى إلا إذا كان مشركاً. وكذلك القدوس صفة لله وحده

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لآ إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ...﴾ ـ ٢٣ الحشر.

فلا يجوز أن نقول نقدس الأرض أو نقدس شيئاً أو إنساناً إو ملاكاً أو قرآناً لأن ذلك

إشراك بالله والعياذ بالله. ولكن يمكن أن نقول عنه: كتابٌ مقدسٌ، أو أرض مقدسة: بمعنى مطهّر أو مطهرة.

﴿يَاقَوم ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٢١ المائدة.

﴿إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً﴾ - ١٢ طه.

﴿إِذ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالوَادِ المُقَدَّس طُوىً﴾ - ١٦ النازعات.

ومعنى المقدس المطهر تطهيراً إلهياً. فالبيت المقدس هو البيت المطهر من النجاسة المعنوية أي الخالية من الشرك بالله. عندما يقول سبحانه عن إبراهيم عليه السلام الذي أسس البيت وبناه على مبادئ التوحيد الكامل لله:

﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ - ١٢٠ النحل.

قالها سبحانه لعلمه أنه سوف يخرج من ذريته أمة من المرسلين والأنبياء الموحدين بعد أن يعدد الرحمن أسماء كل الأنبياء والمرسلين والصالحين والصالحات من أمثال مريم أم المسيح يقول الله بعدها مبيناً من هي أمة إبراهيم الموحدة:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَّا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ﴾ - ٥٢ المؤمنون.

والأرض المقدسةأيضاً الأرض المطهرة من الشرك، ولايقصد بها الله النجاسات المادية، فالإنسان المؤمن الطاهر، لايمكن أن نقول عنه بأنه طاهر مادياً فهو بذاته وبدنه يحوي على نجاسات مادية وإن كانت غير ظاهرة للعيان. لذلك المقصود بالطهارة هنا الطهارة المعنوية طهارة العقل والقلب.

وكما قلنا إننا لا نقدس إلا لله سبحانه وتعالى، ولانقول عبارة نقدّسُكَ سوى لرب العالمين، إلا إذا كنا مشركين أما المؤمن والمؤمنة فيجب عليهما أن يسعيا لبلوغ مرحلة الوقار. فلا يفعل المؤمن فعلاً يزيل الوقار عن نفسه ولا المؤمنة تضع نفسها في موقف يزيل الوقار عنها، وأفضل مكان يحافظ على وقار المرأة هو بيتها الذي هو حصنها الذي يحميها، لذلك قال سبحانه:

﴿وَقَرنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى...﴾ - ٣٣ الأحزاب.

فخروج المرأة من بيتها وهي متبرجة وعارضة لمفاتنها الأنثوية على الناس عرضاً مغرياً وملفتاً للنظر بالألوان والأضواء والثياب، كل هذه الأمور تزيل الوقار عن المرأة وتشجّع من لايَتشجّع على التحرش بها وإيذائها باليد أو باللسان. فيجب على المرأة المؤمنة بالله

أن تحمي نفسها من مثل تلك المواقف. هذا لايعني قطعاً أنه ليس من حق المرأة الخروج من بيتها محترمة بلباسها، وقد قلت قبل هذه الفقرة أن المحمود من الصفات في الإسلام هو الوسط دائماً والمطلوب من المرأة في موضوع لباسها هو الحشمة بحسب المعروف، أي المتعارف عليه بين الناس في مكان وزمان محددين.

يجب أن نعلم أن الإسلام نزل ليعالج العقول والنفوس قبل أن يعالج الأشكال الخارجية. لذلك نجد أن محمد ﷺ لم يلبس لباساً خاصاً بعد الإسلام، ولم يأمر النساء أيضاً بلباس خاص. بل ظل على نفس اللباس المتعارف عليه في منطقة الجزيرة العربية في ذلك الزمان متخذاً الوسط منه ليكون لباس الحشمة للمؤمنين والمؤمنات معاً.

نهى الإسلام عن التبرج والتطرف بالشكل واللباس قطعاً، كما نهى عن كل تطرف أصلاً، سواء كان بالشكل أو المضمون. وترك موضوع اللباس للحشمة بحسب المتعارف عليه بين الناس وهذا يختلف كثيراً. فالمتعارف عليه أنه الحشمة في السعودية مثلاً هو غير المتعارف عليه في قبائل الأمازون التي تعيش حتى الآن عارية تماماً. ولايمكن عقلاً أن تطلب من إنسان أو إنسانة تعيش في قبائل الأمازون إذا دعوناها إلى الإسلام، أن نطلب منها الحشمة بحسب منطق أهل السعودية أو اليمن مثلاً. لكننا لانستطيع أن نقول أن شكل اللباس في السعودية خطأ أو غير إسلامي طالما تعارف عليه الناس وقبلوه، فهو مقبول قطعاً ولكن في السعودية، بينما المرأة المسلمة في أوروبا إذا تعارف الناس على شكل معين من اللباس على أنه اللباس المحتشم للرجل أو المرأة يصبح أيضاً مقبولاً في أوروبا، لأن العرف والعادة يقران دائماً الأمور التي تعتبر خيراً بالنسبة لكل الناس. مثلاً لايمكن أبداً أن تجد أن السرقة واللصوصية قد أصبحت من الأمور المتعارف عليها في المجتمع، على أنها خير بل تعتبر مرفوضة ولايقبلها العرف والعادة مهما انتشرت في المجتمع لأن الناس جميعاً يعرفون ضرر السرقة على الأ من العام للأمة.

وسبب تركيزي على موضوع اللباس في هذه الفقرة، مالتأثير اللباس والشكل في الوقار بالنسبة للآخرين... مثلاً إذا كان شكل اللباس مرفوضاً سواء كان للرجل أو للمرأة يزيل الوقار عن الرجل والمرأة هذا قطعاً صحيح، ولكن بحسب المتعارف عليه بين الناس، لذلك فهو نسبيٌّ وغير ثابت.

فرجل في السبعين إذا لبس ألواناً فاقعة في جزر هاواي مع قميص بلا أكمام وبنطال قصير وسار حافياً لايؤثر على وقاره ورأي الناس فيه ونظرتهم إليه كرجل محترم. لكن

نفس الرجل بنفس المواصفات إذا نقلناه إلى مكان آخر من الأرض تختلف النظرة إليه فوراً. فالمسلم والمسلمة يجب أن يكونا على علم وثقافة ودراية بهذه الأمور. حتى يلبسوا ويتصرفوا بحسب المحيط الذي حولهما، وإلا كانت النتيجة أن يظهرا بمظهر التطرف سواء سلباً أم إيجاباً، والتطرف مرفوض في الإسلام والمطلوب أن يكون الإنسان وسطاً في كل شيء ضمن المجتمع الذي يعيش فيه، وطالما يطبق قاعدة الوسط فهو دائماً في حدود الله.

وهذا هو الذي يدعو إليه القرآن الكريم، وأغلب آيات الشريعة الإسلامية تربط الحكم دائماً بالمعروف (الذي هو المتعارف عليه بين الناس) لعلم الله أن كل شيء قابل للتغير، فلا يمكن لله الذي يعلم بتلك الحقيقة ثم يأتي ليثبت الأشياء من جديد على المسلم أو المسلمة حتى يضيق عليه أو عليها الأمور.

ودين الإسلام دين يسر وليس بدين عسر، ومن يقرأ القرآن مرة واحدة يكتشف ذلك فليس من أمر تكلم عنه الله إلا وأوجد له حلاً، فليس من سؤال مهما كان صعباً إلا ونجد جوابه في القرآن، اللهم إذا صبرنا بدون استعجال واستخرجنا الآيات التي تعطي الجواب الشافي. فليس في القرآن تحجر قطعاً بل مرونة بالعقل والمنطق، ويجب أن نتعلم من القرآن مبدأ أساسياً، وهو أن الإسلام يهتم بالمضمون أكثر من اهتمامه بالشكل والشكليات، ويهتم بالنفس أكثر من اللباس، ويهتم بالعقل أكثر من الغرائز والأهواء والشهوات حتى يجعل في النهاية الحاكم الأساسي والمقرر لشؤون الإنسان عقله الذي آمن بالحقائق كلها، ونفى الأوهام كلها، وما الله تعالى إلا أولى تلك الحقائق.

والعقل الذي يصل إلى تلك المرحلة هو الذي يختار بماذا يغطي ماظهر من جسده للناس حتى يُظهرَ للناس وقاره وتُظهر المرأة وقارها.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَانٌ مِّن رَّبِّكُم وَأَنزَلنَآ إِلَيكُم نُوراً مُّبِيناً﴾ - ١٧٤ النساء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢٩ ـ السعادة:

أصل الكلمة مشتق من سَعَدَ وساعَدَ بمعنى عاوَن.

وبهذا تكون السعادة بمساعدة من الله تعالى على نيل الخير الذي يسعى إليه الإنسان، والإنسان الذي يسعى إلى السعادة في الدنيا ولايؤمن بالله، يرجو مساعدة الظروف والحظ لبلوغ المال والغنى لاعتقاده أن المال هو السبيل الوحيد للوصول إلى السعادة التي ينشدها.

أما الذي يؤمن بالله سبحانه، ويؤمن باليوم الآخر، ويرجو من الله أن يبلغه خيري الدنيا والآخرة، ويسعى إليهما كما أمر الله دون أن يضيع سبيل الله مسترشداً بصراطه متبعاً نصائح ربه ومواعظه مبتعداً عن الهوى والشيطان متحرصاً من الإشراك الخفي منتبهاً إلى فتن الشيطان وألاعيبه، فلاشك أنه سيبلغ السعادة في الدنيا والآخرة.

﴿...ذَلِكَ يَومٌ مَّجمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَومٌ مَّشهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعدُودٍ * يَومَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفسٌ إِلا بِإِذنِهِ فَمِنهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ إِلا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ إِلا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيرَ مَجذُوذٍ﴾ ـ ١٠٣ ـ ١٠٨ هود.

والآيات واضحة وليس فيها كلمات صعبة توضح كيف سيكون حساب الله يوم القيامة حساباً سريعاً للناس، فكل شيء عند الله منظم ومرتب ومسجل. وكل نفس عليها حفظة من الملائكة.

﴿وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ ـ ٩ ـ ١٠ الإنفطار.

﴿وَجَآءَت كُلُّ نَفسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ـ ٢١ ق.

وفوق كل ذلك فالله شاهد على كل شيء.

﴿...أَوَ لَم يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾ ـ ٥٣ فصلت.

هذه الآية يمكن فهمها أكثر إذا تصورنا أن عقل الإنسان الجزئي الذي هو من عقل الله الكلي متصل دائماً بالله وبعلم العقل الكلي عن الموجود في هذا الجهاز الفرعي

الموجود في دماغ الإنسان ويعرف ويشهد على كل تطوراته وأفكاره الخاصة والتبدلات في المخزون من المعلومات فيه.

وهكذا بكل هذا الوضوح نجد القرآن الكريم يبين لنا كيف سيتم حساب النفوس في ذلك يوم، وتجزى كل نفس بما كسبت إن خيراً فخير وجنة عرضها السموات والأرض، وإن شراً فشقاء دائم في جحيم له شهيق وزفير، ونعلم أن السعداء الذين بلغوا ماكانوا يطمحون إليه بتقواهم واستمرار إيمانهم وابتعادهم عن الإشراك وبإكثارهم من فعل الخيرات وعمل الصالحات في الدنيا، سوف ينالون عطاء ربهم بحيث يكون عطاء لاانقطاع فيه (وهذا معنى كلمة مجذوذ).

وتلك هي السعادة الحقيقية، أما الذي كان يظن أن السعادة في الدنيا وحدها وكان يسعى إليها، فربما يحصل على المال، وربما عاش في هذه الدنيا راضياً وناسياً موضوع الآخرة. لكنها أيام معدودة وقصيرة سوف تمضي بغمضة عين، ويجد نفسه أمام يوم شديد لم يكن يحسب حسابه أبداً. عندها سوف يندم عندما لاينفع الندم:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُم وَمَا كَانُوا مُهتَدِين * مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي استَوقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَت مَا حَولَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِى ظُلُمَاتٍ لا يُبصِرُون * صُمٌّ بِكمٌ عِميٌ فَهُم لا يَرجِعُونَ﴾ - ١٦ - ١٨ البقرة.

يجب علينا أن نعلم أن أمثلة الله كلها حقيقية، بمعنى أن الله لا يضرب مثالاً تخيلياً على أمر حقيقي، مثلاً عندما ضرب الله مثل تأويل حلم يوسف بسجود أمه وأبيه له مع أخوته الأحد عشر في الحلم، بأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً يسجدون له، وفسرت كيف أن هذا المثال حقيقي وليس تخيلي، أي أنه فعلاً هناك شمس واحدة وقمر واحد يدور حول الأرض وأحد عشر كوكباً حقيقياً تدور حول الشمس بالإضافة لكوكب الأرض، هذه حقيقة علمية نعرفها الآن من القرآن لكن عند نزول الآية لم تكن هذه المعلومات حقيقية بعد، بل كانت بعيدة جداً عن الحقائق الفلكية التي دخلت في علم الإنسان في ذلك الوقت. لذلك فالمثال هنا: هو رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ناره ذهب الله بنورهم (وليس بنور النار) وتركهم في ظلمات لايبصرون ونور الإنسان هو علمه وبصيرته.

الله تعالى عندما يرى إنساناً يسعى لهدف تحقيق النجاح والسعادة والمال والجاه في هذه الدنيا فقط، ويصل إليها بدليل قوله تعالى (فلما أضاءت) أي أن الرجل الذي كان

هدفه اشعال النار وصل إلى هدفه وأشعل النار ثم أضاءت النار، ولكن ماهي الفترة الزمنية التي قضاها الإنسان وهو مستمتعاً بالنار ونورها، يقول الله بعدها مباشرة ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون. فأخذ الله منهم نعمة البصيرة فلم يستفيدوا من النور الإلهي الذي هو العلم الحقيقي تماماً كما لو أخذ نعمة البصر منهم فلم يعودوا يروا نور النار الذي أضاء ما حولهم.

والناس الذين لايستطيعون أن يروا هذه الحقيقة هم صم بكم عمي فهم لايرجعون. أي لايمكن أن تريهم هذه الحقائق الواضحة في القرآن الكريم ولو قصدت ذلك، لأن كفرهم وإشراكهم قد غطى على بصيرتهم وأعماها عن حقائق الله ونوره وهديه المبين في كتابه وحده.

والمثال الحقيقي في المثال السابق هو تطابق واقع كل الساعين لسعادة الدنيا وحدها بتحقيق المال والجاه والمركز، ثم يحققونها فعلاً، ولكن يتركون كل ذلك بالموت. والنفس تعود لله وقد خسرت كل شيء تعبت من أجله. ولم تستمتع به بعد استمتاعاً حقيقياً، وهذا لن يتم إلا لمن يدوم له النعيم في الأخرة.

والسعادة الحقيقية لا يمكن بلوغها إلا لمن بلغ النعيم في الدنيا بعمله الصالح القائم على عقله وإيمانه بالله وبإحسانه وإتقانه لذلك العمل مع خشية الله والسير على هداه يمكن بلوغ نعيم الآخرة أيضاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ـ ٨ لقمان.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٠ ـ الدعاء والرجاء:

مامعنى الدعاء في لغة القرآن؟

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعمَةً مِّنهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدعُوا إِلَيهِ مِن قَبلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ ـ ٨ الزمر.

هذه الآية تشرح تاريخ الإنسان الإيماني ومنحنى خط بيانه العقائدي على الأرض.

فالإنسان يعلم في قرارة نفسه بوجود الله وبوحدانيته ويتذكره دائماً عندما يقع في ضيق وحرج عظيم، فيلجأ عندها لله وحده ويدعوه أن ينقذه واعداً ربه ومعاهداً أنه سيكون من الصالحين والأبرار الأتقياء. وعندما يزيل الله الكربَ عنه ينسى ماكان فيه ويعود إلى جعل الأنداد لله، ليضل عن سبيل الله إلى سبل أخرى له فيها مآرب ومصالح دنيوية عاجلة.

والله هنا يتكلم عن الإنسان الفعال، الذي له فعالية في الأرض، ولايتكلم عن الإنسان المسحوق الذليل الذي لا يشعر باستقلال نفسه ولا بعزتها بل يشعر أنه فرد من قطيع، يسوق بهم صاحب السلطة ومساعدوه إلى حيث يشاءون، لا رأي لهم جميعاً لا من قبل ولا من بعد. بينما الإنسان الصالح الذي يعتمده الرحمن ليخلفه في الأرض يكون دائماً من أصحاب الرأي والفكر.

﴿...فَلَمَّآ أثقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن ءَاتَيتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ـ ١٨٩ الأعراف.

وهي في دعوة آدم وزوجه التي حملت منه:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَت حَملاً خَفِيفاً فَمَرَّت بِهِ فَلَمَّآ أثقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن ءَاتَيتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ـ ١٨٩ الأعراف.

وماذا حصل بعد أن استجاب لهما الله دعوتهما:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشرِكُونَ﴾ ـ ١٩٠ الأعراف.

﴿أَيُشرِكُونَ مَا لا يَخلُقُ شَيئاً وَهُم يُخلَقُون * وَلا يَستَطِيعُونَ لَهُم نَصراً وَلآ أَنفُسَهُم يَنصُرُون﴾ - ١٩١ - ١٩٢ الأعراف.

وهكذا نجد القاعدة الذهبية تتكرر على الأرض دائماً الله يرسل الرسل يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، والسير على سبيل الله الواحد وتطبيق رسالة الله الواحدة، فيعود الذين يتزعمون الناس إلى إعادة الناس للإشراك حتى يشتركوا بالتالي مع الله في الحكم، فتعود الأمور في النهاية إليهم وحدهم دون الله. للدعاء المستجاب عند الله شروط، وأهم شرط من شروط الاستجابة، هو العمل الجاد الصالح المصلح في الأرض في خدمة الناس وفعل الخير والإكثار منه والابتعاد عن أفعال الشر قدر الإمكان.

مثلاً دعوة الفلاح لربه طلباً للخير والغيث والرزق يكون بعد أن يؤدي ماعليه من فلاحة وزراعة وتحضير للأرض وتسميدها، ثم يدعوا الله بإرسال الغيث، وإن هطل الماء تابع عمله في تعشيب الأرض ورشها تخلصاً من الحشرات والآفات التي قد تصيب مزروعاته، والمحارب والمدافع عن الوطن عندما يدعوا الله النصر، يكون قد أعد العدة وتدرب على أحسن العتاد في عصره، مما يستخدم في القتال، وأتقن العمل عليه وقاتل وصبر وثبت في الدفاع عن حقه، ثم يدعو الله النصر فينصره الله على أعدائه.

والطالب في المدرسة عندما يدعو الله النجاح يكون قد عمل ماعليه من دراسة وتحضير وفهم وتلخيص ودرب نفسه على التمارين واعتاد على حل المسائل، فيدعو الله النجاح، وهذه الأنواع من الدعاء يسميها الله في القرآن الكريم بالرجاء.

إذن الرجاء هو الدعاء مع العمل. ولكن ماذا قال الله عن الدعاء الذي لايرافقه هذا العمل، مثل دعاء الفلاح الكسول الذي لم يفعل شيئاً إلا أن يجلس يطلب الرزق من الله، أو مثل المحارب الذي لاسلاح لديه ولاتدريب عنده ولم يفعل إلا أن يجلس مع أئمة المساجد في يوم الجمعة، والإمام يرشق الأعداء بكل أنواع الأسلحة ويطلب النصر المبين للمسلمين ويطلب الهزيمة للمعتدين، أو الطالب الذي قضى وقته لهواً ولعباً مع الأصحاب ليعود في آخر السنة يدعو الله بالنجاح.

كل هذه الأنواع من الدعاء يسميها الله بالتمني، ولايكون التمني إلا من الشيطان. لذلك يقول الله شارحاً الرجاء:

﴿فَمَن كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً﴾ - ١١٠ الكهف.

وبدون ذلك العمل ليس للدعاء أي نفع. ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحذَرُ الأَخِرَةَ وَيَرجُوا رَحمَةَ رَبِّهِ...﴾ - ٩ الزمر.

هذا الذي يسجد آناء الليل لايضيع وقته الثمين في النهار، فيما لايفيد ولاينفع الناس، بل عمل فيه عملاً صالحاً يفيد به الناس ليأخذ أجره، الذي هو رزقه، وهذا الأجر على عمله الصالح هو الذي سيدخله الجنة فقط، وكل ماعدا هذا العمل هو فقط من الأمور المساعدة.

وبعد أن تحدثنا عن معنى الرجاء لننتقل إلى معنى التمني: والتمني هو الدعاء الذي لايلازمه عمل يسبقه لتحقيق مايسعى إليه الإنسان. وبعدم وجود العمل معه يكون وهماً، وقد قلنا أن الوهم لايكون إلا من الشيطان. لذلك قال الله سبحانه:

﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلقَى الشَّيطَانُ فِى أُمنِيَتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلقِى الشَّيطَانُ ثُمَّ يُحكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ﴾ - ٥٢ الحج.

هذه الآية أولاً تقول لكل المؤمنين في الأرض حقيقة كبرى مفادها أنه لا معصوم عن الخطأ إلا الله ولا عصمة إلا لله وحده لا شريك له فيها أبداً.

وهي تشرح كيف تمنى الرسول أن لايرسل الله عليه وحياً يغضب المشركين ويبعد قلوبهم عن الإسلام، لأنه كان يطمح في إسلام بعض الوجهاء من بني قريش ويتمنى إيمانهم وقد شرحت الآية سابقاً في قصة الغرانيق.

﴿أَم لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ - ٢٤ النجم.

والمعنى واضح بأن الإنسان لن يحصل على ما يتمنى. وكما قال:

﴿وَلا تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعضَكُم عَلَى بَعضٍ...﴾ - ٣٢ النساء.

كأن يتمنى الفقير الغنى وهو مجرد تمني بلا عمل ومع العمل يصبح سعياً وليس تمنياً. والأعمال أنواع، فهناك من الأعمال السيئة التي يسميها الله من عمل سوءاً:

﴿لَّيسَ بِأَمَانِيِّكُم وَلآ أَمَانِيِّ أَهلِ الكِتَابِ مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ...﴾ - ١٢٣ النساء.

وأمنية المسلمين وأمنية أهل الكتاب: الدخول للجنة والله يجاوب عنهم جميعاً، بأن الموضوع ليس بالأماني بل بالأعمال، فالذي عمل سوءاً وإن كان يتمنى الجنة فما هو ببالغها أبداً، بل سوف يجز بما عمل من السوء، وهل جزاء السوء إلا الجحيم؟ سواء كان في الدنيا أو في الآخرة.

ولكن ماذا عن الذين يعملون الصالحات:

﴿وَمَن يَعمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظلَمُونَ نَقِيراً﴾ - ١٢٤ النساء.

إذن لاشك أن العمل هو الأساس وهو الأول لكل مؤمن حتى يبلغ به الجنة في الأرض والسماء وهذا العمل يشترط فيه أن يكون من الصاحات للناس والمجتمع.

أما العبادات من صلاة وزكاة وغيرها، فلم يقل عنها سبحانه بأنها تصلح بدون العمل الصالح لشيء أبداً. لأن الذي كانت لديه كل تلك الشروط وعمل سوءاً أو بما يسيء للمجتمع الإنساني فلن يدخل إلا إلى النار. ومن أراد أن يتأكد عليه بآيات القرآن فهي الدليل إلى كل صحيح. وإن سعى إلى مافي الصحيحين من هذا الموضوع فلن يجد إلا ضباباً وضياعاً وضلالاً وسراباً لاينفع لشيء بل يضر ولاينفع، وحتى لايكون هذا تقولاً يجب أن نضرب عليه مثالاً لكي لانحيد عن الحق فنقع في الباطل.

لنضرب مثلاً بدعاء منسوب للرسول ﷺ أنه دعاه لميت. باب الدعاء للميت من صحيح مسلم، الحديث ٩٦٣ المسلسل ٨٥ عن عوف بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على جنازة فحفظت دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمهُ وعافِهِ وأكرم نُزُلَهُ ووسّع مدخَلَهُ واغسله بالماء والثلج والبرَدِ. ونقهِ من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، (أو من عذاب النار) قال حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت». ظناً أن هذا الدعاء المنسوب للرسول الكريم مستجاب من رب العالمين وهذا من أكبر الأخطاء في فهم الإسلام.

إن هذا الكلام لامعنى له أمام ماورد في القرآن وفي آياته، فالذي يقرر المصير هو الإنسان نفسه بإيمانه وعمله، وماعدا ذلك لن يغير شيئاً أبداً، سواء دعى له الرسول أو لم يدع له أحد. فعدل الله وميزانه قائم على قوانين وأسس ثابتة لا تلتفت إلى الأدعية والدعوات والإستغفار أو الشفاعات لأن الدعاء الذي لا يقابله عمل هو أمنية من الشيطان وليس من الله، فلا يعقل أن يجلس الرسول ويتمنى هكذا ولايعلم من غيب الله شيء، وكما لايعلم عن أعمال الرجل وأفعاله وأسراره كذلك، وماذا إذا كان الرجل يحب زوجته ولايريد أن يستبدلها بغيرها، ويعجبه أهله ولايريد أن يستبدلهم بغيرهم، فلم يكشف الله الغطاء عن غيبه لأحد أبداً، سواء كان من الملائكة أو من

الجن أو من الإنس ولا يمكن للرسول الكريم إلا أن يطلب له الرحمة والمغفرة من ربه بشكل عام.

مثال آخر عن الدعاء من صحيح مسلم: الحديث رقم ٢٤٩٢ المسلسل ١٥٩. حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري، عن الأعرج قال: سمعت أبا هريرة يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ. والله الموعد (أي فليحاسبني الله إن تعمدت كذباً ويحاسب من ظن بي السوء) كنت رجلاً مسكيناً، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني. وكان المهاجرون يشغلهم الصفق (كناية عن إجراء الصفقات التجارية باعتبارهم من تجار قريش) بالأسواق. وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم (أي أن الأنصار أيضاً كانوا مشغولين بأموالهم وأراضيهم الزراعية حول المدينة. فلم يبق مع محمد رسول الله إلا أبو هريرة بعد أن تركه المهاجرون والأنصار) فقال رسول الله ﷺ «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه. ثم ضممته إلي. فما نسيت شيئاً سمعته منه. (وهكذا لم يحضر هذه المعجزة سوى أبو هريرة لوحده فلم يستفد منها من كل المسلمين سواه أما أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فقد كانوا مشغولين في الصفق بالأسواق) والمصيبة ليس في الحديث نفسه، المصيبة أن أغلبية المسلمين إلى اليوم لازالوا يصدقون هذا الكلام الذي لفقه حاقد ساخر، ويعتبرون مثل هذه الأحاديث حقيقة، ولها مثل ماللقرآن من أهمية. لابل قد هجروا القرآن كله وتعلقوا بمثل هذه الأحاديث. فنجد في صحيح البخاري ومسلم أحاديث لايمكن أن تكون صحيحة أبداً.

مثل الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن معجزة أخرى، وهي كيف دعى له الرسول وقال اللهم ادع أم أبي هريرة، فهدى الله أم أبي هريرة بعد أن كانت كافرة. وكيف دعى الله أيضاً لقوم أبي هريرة وهو من قبيلة دوس فقال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم مؤمنين»، فأتوا إلى الرسول مؤمنين. إن المسلم يجب أن يفكر قبل أن يصدق مثل هذه الأمور، لأن الإسلام لم يكن بمثل هذه البساطة: الرسول يدعوا والله يستجيب له الدعاء، لا أكثر ولا أقل. لو كان الأمر بمثل هذه السهولة فلماذا قضى الرسول ثلاثة عشر عاماً وهو يدعو إلى الإسلام في مكة، ولم يتجاوز الذين آمنوا معه خلالها مائة رجل وامرأة.

لماذا لم يدع الله قائلاً اللهم اهد قريشاً وانتهى الأمر كما انتهى مع قبيلة دوس. أليس

الأقربون أولى بالمعروف؟ ولماذا لم يدع الرسول اللهم اهد أبا طالب للإيمان مثلاً قبل أن يدعو لأم أبي هريرة.

إن العيب ليس في القرآن ولا في كل كتب التراث الإسلامي التي حولنا، إن العيب في عقولنا وفي أسلوب تفكيرنا، وإن لم نغير هذا الأسلوب فلا نفع في كل كتب العالم لنا، ولن يفيدنا قرآن ولا توراة ولا إنجيل.

المهم هو تغير إسلوب استخدامنا لعقولنا، وتغير العقلية من عقل يؤمن بالأوهام إلى عقل لايؤمن إلا بالحقائق. يجب أن نتعلم كيف ننقد مصادر العلم والمعرفة لنميز الغث من الثمين، وبدون هذه القدرة وبدون الوصول لهذه العقلية الجديدة لن يفيدنا شيء ولن يُغَيِّرنا شيء أبداً لا بل سوف نبقى على حالنا مواظبين على تأخرنا غارقين في أوهامنا بعد أن عشقنا الأباطيل والخرافات. ونحن نقول:

اللهم اجعله فوق كثير من خلقك. صحيح مسلم الحديث ٢٤٩٨

اللهم إلعن بني لحيان ورعلاً وذكوان. صحيح مسلم الحديث ٢٥١٧

اللهم أنج الوليد بن الوليد. صحيح مسلم الحديث ٦٧٥

اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. صحيح مسلم الحديث ٢٤٢١

اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً. صحيح مسلم الحديث ٢٤٧٥

اللهم حبب عُبيدك هذا وأمهُ إلى عبادك المؤمنين. صحيح مسلم الحديث ٢٧٩٢

اللهم صل على آل أبي أوفى. صحيح مسلم الحديث ١٠٧٨

اللهم نج عياش بن أبي ربيعة. صحيح مسلم الحديث ٦٧٥

﴿انظُر كَيفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ﴾ ـ ٢٤ الأنعام.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣١ ـ العبادة:

من صفات المسلم الاستمرار في العبادة. واعترافه الضمني بعبوديته لله تعالى. تلك العبودية هي التي تحميه من القبول أو الرضوخ لعبودية العباد فلا يقبل الخضوع لأي مخلوق آخر في الكون سوى الله ولا يقبل بأي شرع إلا شرع الله وهذا هو التوحيد المطلوب في الإسلام.

وحرص الله سبحانه وتعالى على مصالح الإنسان وحمايته من الإشراك هو من أجل انقاذه من عبودية الطاغوت في الأرض، لأن الإنسان الذي يقبل بالعبودية وبالعبادة والطاعة لمخلوق آخر مع الله تعالى، يكون قد ترك كل القيم السامية التي عددناها ولازلنا نعددها. ويصبح ذليلاً بلا عزة ولا كرامة فرداً في القطيع السلطاني (الطاغوتي) بينما لايريد الله للإنسان أن ينزل بنفسه إلى هذا المستوى من الإنحدار فيفقد كل القيم الروحية التي أوجدها الله للمؤمن الموحد لله سبحانه فيستمد عظمته وصفاته كلها من صفات الله تعالى ومن أسمائه الحسنى، فيصبح محباً رؤوفاً عطوفاً غفوراً عفواً شفوقاً يحب الخير للناس صادقاً أميناً مخلصاً مستقيماً محسناً متعاوناً صبوراً حكيماً حليماً.

يحب العدل والإصلاح والعمل الصالح شجاعاً كريماً وقوراً. بينما إذا قبل بأن يشرك بالله أو يكفر به، فقد كل تلك المزايا وأصبح عبداً حقوداً حسوداً أنانياً لايحب خيراً إذا لم يكن له ولأهل بيته ولا يفعل شيئاً إلا من أجل مايسميه المصلحة: فيكذب ويخون ويظلم وينافق ويرائي ويذل ويستذل من أجل الوصول إلى غاياته الدنيوية، التي يعتبرها نجاحات عظيمة في حياته، وتحقيقاً لأهداف كان يسعى إليها ولايعلم أنه دفع كل القيم الإنسانية وفرشها جميعها على الأرض واحدةً واحدة في سبيل الحصول على تلك المكاسب.

والله سبحانه وتعالى الذي يحب الإنسان ويعرف أين تقع مصلحته لايحب له هذا المصير، ومن أجل هذا بالذات يحذره من الإشراك بالله، لأنه إذا وقع فيه وقع في كل تلك البلايا، وتحول المجتمع من مجتمع النحل المنظم الذي يصنع العسل خيراً لنفسه ولباقي المخلوقات الأخرى، إلى مجتمع مُنحل الروابط كالذباب، الكل يسعى لنفسه نهباً وسلباً. لاتنظيم يجمعهم ولا نظام والكل ينهش بالكل، والعداء والتحفز للاقتتال على

أتفه الأمور واضح في تصرفاتهم، والكل يبحث عن مصلحته الذاتية ولايعرف أو لايهمه أن يعرف ماذا يحصل بالقرب منه عند جيرانه طالما بطنه مليء، ولا يهمه بطون من كان إلى جانبه حتى ولو بقيت فارغةً الدهر كله، فيفقد كل صفاته الإنسانية واحدةً بعد أخرى، ويتحول إلى وحش آدمي كلما اغتنى وقوي ازداد بخلاً وجشعاً وحباً للمال وللاحتكار، ولايهمه قتل شعب كامل آمن إذا كان ذلك سوف يحقق له مزيداً من الذهب والفضة أو القوة والنفوذ في الدنيا ويتحول إلى مخلوق فاقد لكل القيم الإنسانية والأخلاقية.

والله سبحانه الذي أرسل الرسالات من بعد الرسالات إلى الأرض منذراً ومتوعداً يهمه أن لايتحول مصير الناس في هذه الأرض التي استخلف الله فيه الإنسان، ليكون فيها قائداً ومدبراً ومخترعاً ومكتشفاً، ليبني الأرض حضارة وعمراناً وأدباً وعلماً. لا يحب سبحانه وتعالى أن يتحول هذا المخلوق الذي أعطي مالم يُعط لباقي مخلوقاته من العلم والعقل والتفكير مع القدرة على النطق والتعلم، والكتابة والقدرة على التمييز الذاتي بين الخير والشر مع وجود المشيئة، وحرية الاختيار لديه للاتجاه نحو الصحيح أو نحو الخطأ.

إلى مخلوق متدني كالذي وصفته قبل قليل. الله تعالى لم يترك هذا الموضوع للصدفة العمياء بل أرسل لكل الأمم رسلاً مبشرين ومنذرين لتنبيه الإنسان وإنذاره سلفاً ماذا يمكن أن يحصل له إذا اختار طريق الكفر والشرك، وماذا يمكن أن يحقق من أهداف ومصالح عظيمة وتجارة رابحة إذا اختار طريق الخير والإحسان والإيمان والتوحيد لله، وعدم قبول العبودية في هذه الأرض إلا له، تلك العبودية التي تحميه من كل أنواع العبوديات.

ألا يستحق الله الذي يحب لنا كل ذلك الخير، ويسعى مع أنبيائه ورسله إلى حماية الإنسان من شرور الكفر والإشراك والوقوع تحت عبودية الطغاة على الأرض، ليعيش بعدها الإنسان تحت نيرهم وفرداً في قطيعهم وهو لايرى إلا سياط وزبانية أصحاب السلطة وظلمهم وبغيهم. ألا يستحق العبادة والإخلاص له؟

يجب على الإنسان المدرك لمصالحه الحقيقية أن يزداد كل يوم حباً لله وحباً بكتابه وبشريعته السمحة الموجودة فقط في قرآنه دون باقي الكتب كلها، الأفضل له أن يوحد كتاب الله كما وحد الله نفسه، وماطاعة الرسول إلا من طاعة نفس الكتاب، لأن الذي

نطقها بصدق وإخلاص أول مرة هو رسولنا الأمين، وعندما كتبها كتبةُ الوحي فبلّغ عندها الرسول رسالته، وتلك كانت مهمته أن يبلّغ رسالة ربه ويبدأ مع الذين آمنوا معه بتطبيقها.

ورسالة الرحمن هي هذا الكتاب الذي بين أيدينا وفيه كل الخير لكل البشرية، لكل من أراد أن يستفيد منه بلا تمييز لأبيض على أسود، وكل من اتبع ذلك الكتاب وصل، وكل من تركه ضل الطريق. وصار على سبل الشيطان. والشيطان يطمئنهم جميعاً أنهم مهتدون وعلى طريق الله الصحيح. على الإنسان العاقل الذي استنار قلبه من بعد الإيمان بالله، بالنور الذي في كتاب الله الحقيقي، أن يزداد حباً لله كل يوم، وأن يزداد عبادة له، ليس بالإكثار من الأقوال والحركات وإنما بالإكثار من الأفعال والأعمال التي ترضي الله، فيزداد تعلقاً بعمله ويزداد إتقاناً له ويزداد بالإحسان والزكاة والصدقات لإخوانه وجيرانه من كل المؤمنين من حوله، يزداد محبةً وعطفاً، ويكثر من العفو والمغفرة لأخطائهم وإساءاتهم ويزداد صدقاً وإخلاصاً واستقامة وإحساناً.

هذا النمو لأخلاقه الإسلامية هو النمو الحقيقي لحبه ولعبادته لله، هذا هو طريق الإكثار من العبادة، لأن العبادة الأساسية في الأرض هي العمل الصالح أما أن نظن العبادة مجرد الحركات والسكنات أو التجويع للذات أو تحقيرها أو الصعود لعرفات أكثر والطواف حول الكعبة أكثر، نكون قد فهمنا العبادة حركات وسكنات وطقوس، بينما يريدنا الله أن نفهم روح العبادة، وروح العبادة حب الله وطاعته وخشية غضبه ولا يظهر هذا كله إلا من خلال الأعمال والأفعال عبادةً حقيقية، أرجو أن لايفهمني القارىء خطأً ويظن أني أدعو إلى توقيف العبادات المفروضة على المؤمن. إن على المؤمن أن يصلي خمس مرات في اليوم وفي أوقاتها طالما إيمانه بالله موجود، لكن المقصود الذي أسعى لإيصال القارئ إليه هو في التقرب إلى الله أكثر، لا يكون بزيادة الصلوات ولا الركعات ولا بزيادة الصيام من شهر إلى أشهر أخرى، ولابتكرار الحج لمرات أكثر مما طلب الله منا، فقيامنا بما هو مطلوب منا يفي بالغرض المطلوب إذا انتبهنا إلى الأعمال الصالحة.

هنا تقع العبادة الحقيقية لله تعالى على هذه الأرض، فكلما أقللنا من ساعات نومنا ومن ساعات عمل ألسنتنا بتوقيفها عن الكلام الفارغ الذي ليس من ورائه إلا العداء والاستعداء مع ضياع الوقت الثمين بلا مقابل، وأكثرنا من ساعات العمل المنتج لخدمة

الإنسان وإعمار الأرض التي استخلفنا عليها سبحانه للقيام بالأعمال الصالحة بالأجر وليس بالمجان، وذلك دون أن نفسد في جو الأرض وترابها ومائها وبذلك نكون أقرب لله ونكون في طاعة الله ونفعل ماطلبه منا.

إن الدين الإسلامي إذا سار المؤمنون به على منهج الله المذكور في القرآن. وإذا استطاع المسلمون تحقيق ذلك على أرض الواقع بإيمانهم، عندها لن يحتاجوا إلى مبشرين لدينهم، فالكل سوف يأتي متطوعاً للدخول إلى هذا الدين الذي حقق جنة الله على الأرض. من أجل الوصول من بعدها إلى جنة الله في السماء. وهذا ماكنت أقصده عندما كنت أقول لايمكن للإنسان أن يبلغ جنة الله في السماء إلا من خلال تحقيق جنته على الأرض، على الأقل بالنسبة له وحده كإنسان إن لم يجد من يؤمن معه ذلك الإيمان. والدليل على ماأقول أن كل الذين يشركون بالله يعيشون في جحيم الأرض، ويقول الله لهم في كتابه العزيز:

﴿...إِنَّهُ مَن يُشرِكْ بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ...﴾ - ٧٢ المائدة.

على المؤمن أن يكون دقيق الملاحظة، لاحظوا هذه الآية: لم يقل الله أنه حرم على المشرك جنة السماء بل قال الجنة بلا تعيين، ألا يدل هذا على أن الله حرم على المشرك الجنة من كل نوع، سواء في الأرض أو في السماء. وهل يعيش المشركون من المسلمين اليوم في جنة الأرض، أم يعيشون في جحيمها؟

هل نعيش نحن المسلمين اليوم في جنة الأرض؟ أم في جحيمها؟ وعلى جواب المسلم يتوقف فهمه للإيمان والعبادة أو الكفر والإشراك.

قد يسأل مسلمٌ لماذا يقع المسلم الذي يؤمن بكتاب الله الذي هو القرآن الكريم مشركاً معه كتاب السنة الذي يحوي أحاديث الرسول ﷺ مثل كتابي صحيح البخاري ومسلم، في الإشراك بالله ويصبح على سبل الشيطان؟

أجيب على هذا التساؤل الهام وأقول أن الله سبحانه وتعالى، في كل القرآن الكريم، لايسمي الإيمان عملاً. ولايسمي الصلاة عملاً، ولايسمي الصيام عملاً، ولايسمي الزكاة عملاً، ولايسمي الحج عملاً، وإنما يميز العمل عن كل تلك العبادات، وبدون العمل فإن كل العبادات لاتؤهل المؤمن بالله وباليوم الآخر للجنة، والدليل على هذا الكلام واضح وصريح في آيات القرآن الكريم وقد بينتها وشرحتها في بحث العمل من هذا الكتاب.

وهذا ما بينه سبحانه في الآية التالية:

﴿وَالمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعضٍ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ...﴾ - ٧١ التوبة.

لاحظوا ماذا ينقص هؤلاء المؤمنين والمؤمنات حتى يستحقوا الجنة التي وعدها الله للمتقين وحتى يستحقوا لقب المتقين، ينقصهم فقط العمل الصالح. أي أن كل ماعدده الله في تلك الآية لايعتبر من العمل الصالح بل يعتبر عبادات وأفعال تكمل الإيمان، وهذا كله غير كاف لدخول الجنة.

مثال آخر:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرجُونَ رَحمَتَ اللَّهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ - ٢١٨ البقرة.

والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة جداً، وكلها لاتقول باستحقاق كل هؤلاء للجنة، فما هي الآيات التي يذكر فيها الله باستحقاق المؤمن للجنة إذن.

وعادة يشمل الله تعالى الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر كما في الآيات:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ...﴾ - ٨٢ البقرة.

﴿وَمَن يَعمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ...﴾ - ١٢٤ النساء.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلا وُسعَهَآ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٤٢ الأعراف.

وحتى نعلم أن العمل هو الأهم من البنود الثلاثة مع أهمية كل بند على حده قال سبحانه مشيراً للعمل:

﴿...وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ - ٤٣ الأعراف.

﴿لِّلَّذِينَ أَحسَنُوا الحُسنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرهَقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٢٦ يونس.

أي للذين بلغوا مرحلة عليا في إحسان أعمالهم وفي إتقان ماعملته أيديهم من صنائع في خدمة المجتمع الذي يعيشون فيه ثم وصلوا لنيل درجة الحسنى بالإحسان في العمل وزيادة بمعنى من نال أعلى من ذلك من درجات التقدير للأعمال فهم يستحقون الجنة.

وحتى نعلم أن الله سبحانه وتعالى يتكلم عن العمل الذي يقوم به الناس مثل عمل الفلاح أو الحداد أو النجار، أو أي عمل آخر فيه خدمة للناس لنستمع للآيات التالية:

﴿لِيَجزِيَهُمُ اللَّهُ أَحسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضلِهِ...﴾ - ٣٨ النور.

﴿فَاستَجَابَ لَهُم رَبُّهُم أَنِّى لآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَى...﴾ - ١٩٥ آل عمران.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيهَا...﴾ - ٦٠ التوبة.

أليس العاملون على جمع الصدقات من موظفي الدولة من العاملين في خدمة للمسلمين؟ ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ...﴾ - ١٠٥ التوبة.

﴿وَقَدِمنَآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً﴾ - ٢٣ الفرقان.

لو فرضنا أن فلاحين عملوا طوال السنة على زراعة القمح ثم حصدوه وجمعوه حتى يستفيدوامن أعمالهم، فارسل عليهم الله ريحاً شديداً، وجعل تلك الأعمال هباء منثوراً. أليس هذا الوصف ينطبق على مايعمل الإنسان على الأرض من عمل.

﴿...لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً...﴾ - ٧ هود.

ومجال المفاضلة يكون في أعمال الإنسان في الأرض من الأعمال الصالحة. والأعمال لايقوم بها الإنسان مجاناً بل يطلب مقابلها أجراً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضَيِّعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلاً﴾ - ٣٠ الكهف.

والأعمال في الأرض هي التي تتعرض للربح والخسارة.

﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالاً﴾ - ١٠٣ الكهف.

والله يعتبر عمل الإنسان ليكون مصدراً للرزق له ولأهله سعياً. لذلك يقول سبحانه بعد تلك الآية مباشرة ليدل على الأخسرين أعمالاً:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِى الحَيَوةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾ - ١٠٤ الكهف.

فهل يمكن اعتبار الصلاة أو الصوم باباً من أبواب السعي في الحياة الدنيا وهل هي من الصناعات لتحصيل الرزق؟

﴿الَّذِى خَلَقَ المَوتَ وَالحَيَوةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً...﴾ - ٢ الملك.

ثم انتبهوا لهذه الآية، لماذا يقول الملائكة لهم بأنهم قد فازوا بالجنة؟

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - ٣٢ النحل.

وقد وردت هذه الآية في القرآن الكريم في سورة النحل، والنحل مخلوق يعتبر آية في حسن العمل والتنظيم. خلقه الله منظماً تنظيماً إلهياً ليعمل ويكون لعمله نتيجة عظيمة، مع أنها في أعين الذين لايفقهون مجرد حشرة.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - ٧٢ الزخرف.

ولم يقل سبحانه بما كنتم تصلون وتذكرون اسم الله كثيراً أو تصومون أو تحجون بل بما كنتم تعملون. فهو الأساس مع وجود الإيمان المتكامل، لكن الله تعالى يشير لنا إلى أهمية العمل حتى نعلم مدى أهميته في موضوع الاستخلاف في الأرض. لذلك نجد الله سبحانه يقول:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ - ٥٥ النور.

أي أن الله تعالى سوف يأخذ الأرض من الذين يفسدون فيها ولايصلحون ولايعملون صالحاً فيها ويعطيها لمستحقيها من المؤمنين النشيطين الفعالين الذين يسعون في مناكب الأرض عملاً ونشاطاً وعمراناً بالأعمال الصالحة. وهل نستطيع أن لا نمجد قرار الله هذا، أو هل نستطيع أن نقول هذا ظلم يجب إبقاء الأرض مع الذين لايحسنون استخدامها ولا يعرفون أساليب الإستفادة والإستثمار منها؟

وخير ما ننهي به هذا الموضوع هو قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ - ١٥ - ١٦ الأحقاف.

وحتى نعلم ونتيقن أن ما نحن فيه اليوم من عقلية مناقضة لعقلية القرآن لم يحصل بالصدفة وإنما حصل نتيجة تآمر حقيقي من حاقدين دخلوا إلى الإسلام لتخريبه لابد من العودة إلى مفترياتهم التي نسبوها للرسول الكريم وكأنه قد بلغ رسالتين متناقضتين من مصدر واحد هو الرحمن!!!.

خلال الجولة السريعة السابقة بين آيات الله في القرآن الكريم، استطعنا أن نصل إلى قناعات حقيقية مستندين إلى آيات سماوية من كلام الله وحده الذي لااختلاف فيه ولاتناقض، وعلِمنا يقيناً ماهو العمل الصالح كما علمنا يقيناً أيضاً أن الإيمان ليس عملٌ وأن العبادات كلها ليست من الأعمال.

وسنقوم الآن بجولة سريعة في صحيح البخاري، من ضمن الأحاديث التي نرويها نحن المسلمين على أنها صحيحة ويقينية ولايجوز للمسلم أن يشك في يقينها وصحتها، بل لها قيمة أكبر مع قوة ناسخة لكتاب الله:

باب من قال إن الإيمان هو العمل: من صحيح البخاري الجزء الأول الحديث رقم ٢٦ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟

فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا قال: «حج مبرور». سؤال أوجهه لصاحب السؤال الأول الذي أحاول البرهان له ماهو الصحيح وأين نجده هل في القرآن أم في الحديث. وكيف يكون المسلم مشركاً إذا آمن بالكتابين معاً دون تدقيق في الثاني.

هل ماقرأناه في هذا الحديث الذي ندعوه نحن المسلمين اليوم بالحديث النبوي الشريف يوحي بالتطابق مع كلام الله، أم أن هناك اختلافاً؟ بعدها نتابع الجولة في الأحاديث النبوية الشريفة بحسب أعتقاد أغلبية المسلمين.

باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال:

صحيح البخاري الحديث رقم ٢٢ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النارِ النارَ ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيخرجون منها وقد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟» انتهى الحديث.

أين الأعمال في هذا الحديث؟ وحتى نعلم عدم فهم السلف لمعنى العمل أو ماذا يقصد الله بالعمل الصالح إليكم مثلاً كتاب كامل كتبه البخاري في صحيحه اسمه: «كتاب العمل في الصلاة» علماً أنه يقصد الحركات والأقوال الخارجة عن موضوع الصلاة.

باب التصفيق للنساء: ورد في كتاب العمل:

الحديث رقم ١٢٠٣ عن أبي هريرة عنه عن النبي ﷺ قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء».

باب بسط الثوب في الصلاة للسجود: ورد أيضاً في كتاب العمل:

الحديث رقم ١٢٠٨ صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه» هذا من الحركات المسموحة في الصلاة تجاوزاً ولايمكن أن نسميها في دين الإسلام عملاً لنعتبرها من الأعمال الصالحة.

وفي باب مايجوز من العمل في الصلاة:

الحديث رقم ١٢٠٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أمد رجلي في قبلة النبي ﷺ وهو يصلي فإذا سجد غَمَزَني فرفعتها فإذا قام مددتها». فهل هذا من الأعمال الصالحة التي تكلم عنها الله في آيات القرآن الكريم؟

الحديث رقم ١٢١٠ من صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة قال: «إن الشيطان عَرَضَ لي فَشد علي يقطع الصلاة علي. فأمكنني الله منه فَذَعتُه ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام (رب هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي) فرده الله خاسئاً. ثم قال النضر فَذَعتُه بالذال أي خنقته. فهل هذا من الأعمال الصالحة وهل يمكن للرسول الكريم أن يؤمن بغير ماورد في القرآن الكريم؟. إذا كان الله يخبرنا أننا نحن الإنس لانستطيع أن نرى الجنّ ولكن هم الذين لهم القدرة على رؤيتنا فكيف يقول الرسول الكريم للناس: (لقد هممت أن أوثقه إلى سارية، حتى تصبحوا فتنظروا إليه).

هذا الكلام يناقض ما أتى به الرسول من حقائق في كتاب الله أوحاها له ربه. فمن نصدق؟ هل نصدق أبو هريرة أو من روى عن أبي هريرة وهم محمود عن شبابة عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة. أم نصدق ماقاله الله ونطقه الرسول في القرآن؟ وفي باب مايجوز من البصاق والنفخ في الصلاة: أيضاً في كتاب العمل:

الحديث رقم ١٢١٤ صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كان في الصلاة فإنه يناجي ربه فلا يبزقنَّ بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن شماله تحت قدمه اليسرى».

فهل كل هذه الأمور من الأعمال الصالحة التي تكلم عنها الله في القرآن الكريم؟ الحديث رقم ١٥٢٠ من صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد قال: لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور».

هل يعقل أن يكون الرسول صاحب الرسالة الذي آتى بالقرآن كله، لايعلم أن هذا الكلام يناقض كل ماورد في القرآن الكريم؟

أولاً الجهاد في سبيل الله ليس له علاقة بالقتال في سبيل الله بل كل منهما شيء مفصول عن الآخر وقد برهنت على ذلك في بحث الجهاد في كتابي دين السلطان.

في كل خطاب الله سبحانه وتعالى في آيات الجهاد يخاطب الرجل والمرأة لأنه لافرق بينهما في الإسلام والإيمان وأمور العبادات، وفي هذا الخطاب المشترك يستخدم رب العالمين دائماً جمع المذكر السالم كما في الآية:

﴿...وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ - ٢١٨ البقرة.

وكان بين أولئك المجاهدين في سبيل الله كثير من النساء والرجال هاجروا أولاً إلى الحبشة ثم هاجروا بعد ذلك إلى المدينة المنورة.

والجهاد من الجهد المبذول، لذلك يقول الله تعالى:

﴿...وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾ - ٨ العنكبوت.

أي إذا بذل الوالدين أقصى طاقتهما في الإقناع لابنهم أو ابنتهم بأن يشرك بالله ماليس له به علم يجب عليه في تلك الحالة فقط أن لايطيع والديه. أما في غير ذلك فطاعتهما واجبة حتى لو كانا من الكافرين بالله. فهل يعقل أن يقول الرسول ﷺ عكس ماورد في كتاب الله؟

وكما ورد تحت باب العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى:

الحديث رقم ٦٤٢٣ صحيح البخاري قال سمعت عتبان بن مالك الأنصاري ثم أحد بني سالم قال: غدا علي رسول الله ﷺ فقال: لن يوافيَ عبدٌ يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار». وماذا إذا كان الذي يقول هذا بلسانه يشرك بالله شيئاً ولايعلم؟

فكيف نجزم له بالجنة، والله تعالى كما رأينا في القرآن له شروط محددة لبلوغ الجنة،

وفي هذا الحديث انتفت كل الشروط. فمن نصدق إذن هل نصدق الحديث؟ أم نصدق الله تعالى في كتابه المبين؟

الحديث رقم ٦٥١٥ من صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوةً وعشياً، إما النار وإما الجنة فيقال: هذا مقعدك حتى تبعث».

هذا الكلام يناقض آيات الله في القرآن فليس في القرآن آية واحد تشير إلى تحديد الجنة والنار قبل يوم الحساب، وإلا لما كان لذلك اليوم من وجوب كما يقول الله لنا فمن نصدق؟

الحديث رقم ٦٥٢٢ من صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين وإثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا. وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا». أولاً هذا من غيب الله ولايعلمه إلا هو سبحانه وثانياً مافيه من معلومات يتناقض مع ماورد في القرآن صراحةً فمن نصدق؟.

﴿انظُر كَيفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ﴾ - ٢٤ الأنعام.

وهكذا إذا تصفحنا كل كتب الأحاديث سواء الصحيحين أو باقي كتب الحديث الأخرى وهي كثيرة جداً، فلن نجد إلا أحاديث يناقض بعضها البعض الآخر، وأحاديث تناقض القرآن الكريم، وأحاديث تناقض أخلاق الرسول الكريم، وأحاديثَ وأحاديث. وليس فيها من الله ولا من رسوله شيء سوى الاسم.

نحن نعلم كمسلمين أن الله سبحانه اختار محمد بن عبد الله ليكون رسول الإسلام والمسلمين. ونعلم أن الرسول محمد ﷺ كان أميناً صادقاً من قبل أن يكلف بالرسالة، وأن الله كان يراقب ما يبلغ للناس من رسالة القرآن الكريم، حتى صارت ثقافته كلها من القرآن، وعلمه كله مستمد من القرآن، وأخلاقه أصبحت من أخلاق القرآن. فهل يعقل بعد كل هذا أن يأتي الرسول نفسه ليقول كلاماً أقل مايقال فيه أنه مناقض لما أتى به من ربه في كتاب الرحمن. ولمصلحة من سوف يبدل كلام الله ويناقضه؟ هل من أجل مال أو مصلحة دنيوية؟ هل كان الرسول يسعى إلى مال وجاه في هذه الدنيا؟.

إذن لم يبق أمامنا إلا أن نعترف أن الذي فعل ذلك كله في الحديث ليس رسول الله حتماً، وإنا على اعتقاد أن صحابته الكرام أيضاً لن ينزلوا إلى مستوى الكذب على رسولهم. مع الاعتبار أن ذلك جائزٌ عقلاً ان يقع فيه بعضهم من ضعيفي الإيمان. لكن في العصور التي جاء فيها ما نسميهم بالتابعين وتابعي التابعين يمكن أن يكون الشيطان قد لعب لعبته معهم فقالوا كل ماقالوه لمصلحة من بيده الرياسة مقابل مال الدنيا. وقد برهنت في كتابي دين السلطان كيف وأين كانت مصلحة السلطان في الحديث، ولماذا كان يريد أن يسحب من أيدي الناس كتاب الله الحقيقي، لأن كل حقوقهم ظاهرة واضحة فيه، وإن عرفوها لطالبوه بها.

ولكن لم يسمح لأحد أبداً أن يعرف ما هي حقوقه وماذا قال الله لهم أن يفعلوا، وماذا قال الله لهم أن لايفعلوا. بل سمح لهم عن طريق مساعديه من الذين تمشيخوا لمصلحة دنيوية ماذا يسمح لهم السلطان وماذا لا يسمح لهم تحت غطاء أحاديث نبوية شريفة، حتى يكون لها تأثيرها الديني لعلمه مدى تأثير العقائد الدينية وقوتها في نفوس الأمة. والله سبحانه يعطينا الدليل المادي لمعرفة ماإذا كان ذلك الكلام كله من الله أو ليس من الله في الآية:

﴿...وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلافاً كَثِيراً﴾ ـ ٨٢ النساء.

وليس في الحديث المنسوب للرسول الكريم أكثر من الإختلاف بحيث أصبحت صفة ملازمة من صفاته وهو في أحسن أحواله نجده في ستة وثلاثين نوعاً من أنواع الإختلاف للمتفائلين من مشايخ المسلمين، أما الآخرون فيعترفون بوجود ثمانون نوعاً من أنواع الإختلاف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٢ ـ التوكل:

وأصلها من وكل يوكل توكيلاً.

والتوكيل هو أن تعين من يمثلك لتعتمد عليه، ويتكلم بالنيابة والوكالة عنك ولمصلحتك ما يشاء هو ويراه مناسباً مثل المحامي الذي يتوكل للدفاع عن المتهم الذي لايعرف القانون ومداخلاته وملابساته وتخريجاته. والله يكون وكيلاً عن المؤمن لأنه أعلم بمصلحته من نفسه الأمارة بالسوء. ولكن الله لايقبل أية شراكة في هذه الوكالة أبداً.

لذلك يقول سبحانه:

﴿...وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ ـ ٨١ النساء.

وينبه الرسول وكل الرسل بأنهم ليسوا وكلاء عن الله تعالى:

﴿...وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيل﴾ ـ ١٠٧ الأنعام.

فيجب الاكتفاء بوكالة واحدة لله وحده:

﴿...حَسبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيل﴾ ـ ١٧٣ آل عمران.

ويقول الله على لسان الرسول في القرآن:

﴿...قُل لَّستُ عَلَيكُم بِوَكِيل﴾ ـ ٦٦ الأنعام.

هذه الأيات لوحدها كافية لنفي الحديث كله عن الرسول الكريم لأن الله تعالى لم يسمح لأي رسول أن يتكلم بإسم الله ما يناقض وحيه المنزل أبداً، والحديث كما ترون كله مناقض لنفسه ولكتاب الله المبين.

والله يُعَلِّم المؤمن أدب مخاطبة ربه:

﴿...وَمَا تَوفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ ـ ٨٨ هود.

﴿...قُل هُوَ رَبِّي لآ إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ مَتَابِ﴾ ـ ٣٠ الرعد.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلنَا رَبَّنَا لا تَجعَلنَا فِتنَةً لِّلقَومِ الظَّالِمِينَ﴾ ـ ٨٥ يونس.

﴿وَمَا لَنَآ أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَد هَدَانَا سُبُلَنَا...﴾ ـ ١٢ إبراهيم.

﴿...وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ - ١٢٢ آل عمران.

ولكن على المؤمن أن يتعلم شروط عمل هذه الوكالة. ومن شروط فعالية وكالة الله تعالى أن يقوم الإنسان المؤمن بما عليه كاملاً غير منقوص. فإذا كانت الوكالة في العمل الذي يعمله الإنسان في الأرض مثل الفلاح مثلاً، عليه أن يقوم بكل ماعليه من الأعمال المتعلقة بالزراعة التي يعمل فيها، ثم تبقى الأمور الخارجة عن إمكانيات الفلاح نفسه. فإذا كانت أرضه بعلية فهو ينتظر الغيث من السماء ويخشى الآفات الزراعية فيتوكل على الله فيما يعجز عن إنجازه، وإذا تقدم العلم وقدم خدمات جديدة يعتمد إيضاً على تلك الخدمات ثم يتكل أيضاً من بعدها على الله وهكذا.

أما الشخص الذي يتوكل على الله بدون أن يقوم بما عليه من أعمال فهذا يسمى تواكلاً وليس توكلاً. والمتواكل لايفلح أبداً لأنه قصر أصلاً بما عليه من عمل، والمقصر لايصل إلى شيء.

﴿...وَإِن يَخْذُلْكُم فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعدِه وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ - ١٦٠ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٣ ـ الطاعة:

إن فهم موضوع الطاعة من الأمور المهمة في فهم الإسلام الصحيح. وأفضل أسلوب لفهمه هو بالاستناد لآيات الطاعة في القرآن الكريم. ومن خلال دراسة تلك الآيات يمكن التوصل لفهم أنواعها وتدرجاتها.

أولاً: لايمكن أن تكون طاعة الله مفصولة عن طاعة الرسول، لأن الله سبحانه لايتصل بالناس بشكل مباشر وإنما يكون دائماً عن طريق رسول. فلا يمكن فصل الطاعتين عن بعضهما. ولكن من أجل التمييز يستخدم اللهُ أسلوباً خاصاً في القرآن حتى يفهمنا الأوامر المباشرة من الله سبحانه للناس، وإن كانت من خلال تبليغ الرسول بلسانه للمؤمنين أو الذين يتبلغون الأمر من الناس ومن هذه الآيات:

﴿...وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ...﴾ ـ ١٣ النساء.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخشَ اللَّهَ وَيَتَّقهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَآئِزُونَ﴾ ـ ٥٢ النور.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ـ ١٣٢ آل عمران.

ثانياً: ولكن الرسول الذي له صفة التبليغ السابقة. له صفة أخرى زمانية ومكانية كقائد وحاكم وقاض وزوج. سوف يضطر لتطبيق شرع الله المكتوب والمسجل كدستور للناس بشكل عملي. وعلى الناس أن يطيعوا أحكامه وقراراته. لذلك هذه طاعة أخرى تختلف عن الطاعة الأولى، فهي متصلة بطاعة الله من خلال إطاعة مأمر به في شرع الإسلام عامة، ومنفصلة بقرار الاستنباط لما يلائم الناس وظروفهم وأحوالهم في المدينة أو في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. ويشترط بالأحكام المستنبطة أن تتماشى مع روح القرآن وآياته ولاتتعارض مع حدود الله التي لايجوز تجاوزها ولا أحكام الصراط المستقيم أو أحكام الحلال والحرام التي لااستنباط ولااجتهاد فيها أصلاً.

هذه العملية تشرح كيف يمكن الانتقال من طاعة الله المباشرة في الآيات الأولى، إلى طاعة الرسول من خلال طاعة الله الأساسية في كتابه وشرعه وتطبيقها بشكل عملي وعادل على الناس. ومن الآيات التي تبين هذا النوع من أنواع الطاعة:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا...﴾ ـ ٩٢ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبطِلُوا أَعمَالَكُم﴾ - ٣٣ محمد.

وطالما ينفذ الرسول الكريم كتاب الله بصدق وإخلاص واستقامة، ويطبقه على المسلمين فيجلد من يستحق الجلد. دون أن يتجاوز حدود الله، فالمؤمنون الذين آمنوا بالله وبرسوله وقبلوا سلفاً بشرع الله وحكمه لم يعودوا مخيرين في أن يقولوا عندما يقعون تحت مثل هذه الأحكام إننا ولانريد أن نحتكم لله بل نريد أن نحتكم للطاغوت. هذا لم يعد من حق المؤمنين الذين قبلوا بالإسلام ديناً وآمنوا بمحمد رسولاً، بل عليهم قبول الأحكام مهما كانت طالما الرسول أو الذي يمثل الرسول يطبق أحكام الشرع فعلاً، مستنداً لكتاب الله وحده هذه الطاعة للرسول متصلة بحياته وبنفسه في الجزيرة العربية حاكماً ومطبقاً لشرع الله ومتدبراً القرآن كنموذج يقتدى به وليكون ما فعله تاريخاً وتراثاً للمسلمين. أما ماورد في قول الله سبحانه في القرآن الكريم في سورة الأحزاب:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ - ٣٦ الأحزاب.

هذه تقع في منطقة النوع الأول لأن هذا كان أمراً مباشراً من الله كان يريد من خلالها تغيير عرف التبني الذي تعارف عليه الناس قبل الإسلام وإلغائه من أساسه فأتت الطاعة موصولة كما هو ظاهر في الآية ليدل أن الأمر مباشر من الله ينفذه سبحانه عن طريق الرسول، لأنه الواسطة أو الوسيلة التي اختارها الله للاتصال بالناس ولا مجال لأحد من خلق الله في التدخل في هذه الأنواع من آيات الله بأي تعديل أو تبديل لأنها من الإسس والحدود الثابتة لله تعالى ولكن المهم في الموضوع كله أن نفهم أنه ليس للرسول من الأمر شيء فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وليس للرسول أمر خاص يخالف أمر الله أبداً، وأن وجد كما في الأحاديث التي بين أيدينا تكون مفتراة على الله ورسوله.

ثالثاً: والحالة الثالثة هي حالة انتقال الحكم الزماني والمكاني الذي تكلمنا عنه في الفقرة الثانية إلى أولي الأمر من المسلمين من بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بوفاته. وهي أيضاً تعطي لأولي الأمر نفس الحقوق في فهم آيات الله ودستوره في القرآن الكريم في كل أمور الشرع والأحكام، ثم الاستنباط بالاجتهاد المباشر دون الحاجة لكل أساليب اللف والدوران التي افتراها جنود السلطان من أجل تطبيق مايشاء السلاطين،

بغض النظر عما يشاءه الله في كتابه، بحجة أحاديث شريفة نسبوها افتراء للرسول محمد ﷺ ثم أوجدوا أحاديث أخرى للصحابة والتابعين ومشايخ اعتبروهم علماء وفقهاء في علم الله ودينه، علماً أنهم كانوا متخصصين لما يشاء الطواغيت فقط. فأوجدوا أساليب لاستنباط الأحكام قائلين: إن مصادر الشرع هي أولاً كتاب الله وهم لم يعودوا إليه أبداً بل ذكروه للتمويه على الناس. ثم قالوا كتاب الحكمة وهم يقصدون بها أحاديث الرسول الكريم التي افتروها خدمةً للطواغيت، وبالتدريج ابتداء من عصر معاوية وحتى آخر العهود السلطانية. ثم ماأثر عن الصحابة والتابعين (أي ماكتب عن الذين أتوا من بعد الرسول وحتى اليوم).

وإن لم يجد الحاكم الإسلامي الحل في كل ذلك، كان يلجأ للقياس، وإضافة القياس للشرع الإسلامي كان خدمةً فقط لأمراء المسلمين من الطواغيت وتسلطاً مطلقاً منهم على حقوق الأمة علناً.

لو فرضنا مثلاً أننا نريد أن نطبق الشرع الإسلامي على المسلمين في أمريكا اليوم، فعلى القاضي أن يقيس حكمه على قصة حصلت في الجزيرة العربية أو في العراق في القرن الرابع الهجري في عصر ضعف الخلافة العباسية، متجاهلاً ما في هذا القياس من ظروف عصر تختلف عن ظروف عصر آخر، فهذا سيكون فيه ظلم شديد للناس لأن ظروف الناس في العراق مثلاً في القرن الرابع الهجري تختلف عن ظروف الناس اليوم في الولايات المتحدة اختلافاً كبيراً، بحيث لايمكن قياس هذا على ذاك أبداً، علماً أننا لازلنا نطبقه حتى اليوم في محاكمنا الشرعية متجاهلين الظلم الواقع خاصة على النساء والأطفال وإن مصادر الشرع الإسلامي المعتمدة حتى الآن بعيدة عن شرع الإسلام الحقيقي بقدر ما هي قريبة من مصلحة أولي الأمر الذين تسلموا زمام أمور المسلمين خلال عصور طويلة.

وليس فيها أي مصلحة للناس على الإطلاق. والله تعالى في شرع الإسلام الموجود في القرآن يتوخى فقط مصلحة الناس وحدها متجاهلاً كل مصالح الطواغيت في الأرض. فإذا كان الناس يرغبون باستعادة حقوقهم الضائعة فعليهم السعي لإعادة شرع الله الموجود في القرآن الكريم، وإلغاء كل الإضافات والافتراءات التي سعى إليها كل السلاطين السابقين الذين عفى الدهر عنهم ونسيهم أجمعين.

لذلك فالطاعة المتصلة بشرع الله أصلاً لأولي الأمر في كل زمان ومكان تعطيهم

فقط الحق بالتصرف بأحكام الشرع التي وردت في كتاب الله وحده، مع مراعاة أعراف الناس وما تعارف عليه المسلمون على أنه خير في كل مجتمع إسلامي، شريطة أن لاتكون تلك الأعراف أو الحكم الذي يستنبطه فقهاء الحاكم فيه تجاوزاً لحدود الله المذكورة في شرع الله الذي في القرآن. وذلك من خلال تطبيق الآية:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمرِ مِنكُم...﴾ - ٥٩ النساء.

وكما تلاحظون فإن الله سبحانه لم يقل في الآية السابقة أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم، مخصصاً طاعة خاصة لأولي الأمر، بل جعل طاعة أولي الأمر موصولة مع الطاعة التي خصصها للرسول وكلا الطاعتين من نفس النوع وأسلوب استنباط الأحكام من القرآن يتمان أيضا بّنفس الإسلوب، لذلك لم يميزها سبحانه عن بعضهما بفصلهما بطاعة خاصة، بل جمعهما كم ترون بحرف العطف (الواو) وذلك حتى لايتصرف أولي الأمر من عندهم فيضعون شروطاً لتلك الطاعة لم يقل بها الله ولا الرسول وغير واردة في كتاب القرآن مثل الافتراءات التي تكلمت عنها في الشرع الإسلامي الحالي: كوضع شرط الرجوع إلى (سنة الرسول) مع علمهم أن الله لم يجعل لرسوله سنةً خاصة بل هي سنة واحدة لله وحده لاشريك له أبداً. ووضع شرط الرجوع لما قاله وحكم به الصحابة والتابعين وهذا شرط لم يضعه الله ولا الرسول وشرط القياس الذي لم يفكر فيه أحد إلا مساعدوا السلطان الذين يريدون تغيير أحكام القرآن كدستور دائم للمسلمين في كل زمان ومكان.

إذن في الإسلام الصحيح المعتمد على كتاب الله ليس لقضاة المسلمين أي حق عند تطبيق الشرع الإسلامي إلا ما كان من حق الرسول الكريم فقط، وهو الإستنباط المباشر من آيات الأحكام في القرآن الكريم، مع مراعاة عامل التطور الزماني والمكاني للمسلمين والأوضاع الجديدة، شريطة أن لا يتجاوزوا بأحكامهم حدود الله، هذا هو الأساس الثابت في الشرع الإسلامي وعليهم أن لايتجاوزوا أيضاً أعراف الناس في كل مكان إذا كانت تلك الأعراف الجديدة لاتتناقض مع آيات وحدود مابينه الله في كتابه. ولم ينتبه المسلمون إلى اليوم أو لم يريدوا أن ينتبهوا إلى تركيز الله على موضوع المعروف أو المتعارف عليه في المجتمعات في الأحكام كلها. لأن فيها عدل الله وليس فيها عدل السلاطين.

والله تعالى يبين بعد ذلك كله أن كل طاعة خارج هذه الطاعات الثلاث التي بينها

سبحانه هي طاعة لغيره حتماً، وهي لمصلحة فريق من الذين لايؤمنون بالآخرة ولابجنتها ولا يسعون إلا إلى جنة واحدة هي جنة الدنيا ونعيمها. ويسعون لتحصيل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ولايشبعون من تحصيلها أبداً.

لذلك ينبهنا الله أن كل طاعة تخرج عن الطاعات الثلاث التي شرحتها والتي تتصل حكماً بشرع الله ودستوره الدائم الذي هو كتاب الله الواحد الذي لا اختلاف عليه، هي طاعة لغير الله حتماً، وإن ادعى صاحبها بأنه الممثل الشرعي لله على الأرض إدعاءً وافتراءً على الناس وتضليلاً لهم:

﴿وَلَئِن أَطَعتُم بَشَراً مِّثلَكُم إِنَّكُم إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾ - ٣٤ المؤمنون.

وهذا معناه: إذا خالف أمر هذا البشر ما أمر به الله في كتابه المبين سواء كان رسولاً أو من أولي الأمر.

وحتى نطيع هذا البشر فإنه سوف يلجأ للخداع والكذب ويظهر لنا شرعاً وسنةً وقانوناً ودستوراً قائلاً عنه أنه شرع الله الحقيقي افتراءً. ومن واجبنا الدائم كمسلمين أن نتبين ونقرأ ماقدم لنا من شرع. هل يطابق فعلاً ماأمر به الله أم لايطابق؟ فإن تطابق فلا خلاف على ماقدم لنا أبداً. وإن لم يتطابق، فأمامنا حلان إما أن نرفض شرعه ونرفض طاعته، ونستبدل الحاكم كله وعندها نكون من المؤمنين الموحدين له ولشرعه الحنيف، أو أن نقبل ونطبق ماآتانا به بلا بصر ولا بصيرة، عندها يقول الله سبحانه لنا:

﴿...وَإِن أَطَعتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُون﴾ - ١٢١ الأنعام.

لأننا قبلنا بما قالوه نيابة عن الله ونحن نعلم أنه يخالف ماأمر به الله في كتابه أصلاً.

لذلك نجد آيات كثيرة في القرآن تنطبق عليها هذه الحالة:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ - ٦٧ الأحزاب.

﴿وَإِن تُطِع أَكثَرَ مَن فِى الأَرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ - ١١٦ الأنعام.

﴿وَلا تَطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ - ٢٨ الكهف.

﴿ولاتطع كل حلاف مهين﴾ - ١٠ القلم.

﴿فَاصبِر لِحُكمِ رَبِّكَ وَلا تُطِع مِنهُم ءَاثِماً أَو كَفُوراً﴾ - ٢٤ الإنسان.

حتى أن الله ينهى الإنسان أن يطيع أبويه مع أن طاعتهما واجبة في حالة دعوتهما للشرك.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَآ...﴾ - ٨ العنكبوت.

﴿...إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُم كَافِرِينَ﴾ - ١٠٠ آل عمران.

فكل تلك الطاعات ممنوعة ومرفوضة على المسلم المؤمن المتقي لله ولكننا مع الأسف قد وقعنا في كل ما نهانا عنه رب العالمين وأطعنا الطواغيت ظناً أننا نطيع الله تعالى وحده ومن هنا أكد لنا سبحانه أننا أصبحنا مشركين في الآية ١٢١ - الأنعام، وبين سبحانه أن الفائزين الوحيدين هم فقط الذين يطيعون الرسول الكريم فيما بلغه من رسالة القرآن الكريم.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَآئِزُونَ﴾ - ٥٢ النور.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٤ ـ الرضى والقناعة:

والرضى له موقفان بالنسبة للمسلم في علاقته مع الله.

فإما أن يكون بمعنى رضى الله عن العبد وعندها يكون بمعنى بقاء العبد على سبيل الله الذي بينه لكل الناس في كل الرسالات، وعدم وقوع العبد في الكبائر العشر التي يسميها الله في القرآن كبائر الإثم، وإطاعة العبد لأوامر الله في كتابه والانصياع لنواهيه وعدم اختراق حدود الله التي بينها له سبحانه في الآيات والسور المدنية التي تعتبر رسالة الله للعالمين وعدم وقوعه في الإشراك الخفي على أيدي رجال دين الطاغوت.

أو أن يكون رضى العبد بأن لايكره أسلوب الله في تصديقه لشؤون القضاء ولايتوصل المؤمن لهذا الرضى إلا من خلال قناعات فيها:

١ ـ قناعة من المؤمن صادرة عن إيمان بأن الله لايظلم مثقال ذرة، قناعة صادرة عن معرفة لآيات القرآن الكريم وعن فهم عميق لها، بأن الظلم الذي يقع على الناس له مصدران حقيقيان وهما.

آ ـ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان تسلطاً وطغياناً.

ب ـ ظلم الإنسان لنفسه ولأهله جهلاً بقبول شرع الطاغوت المتسلط على العباد عن طريق الأحاديث المفتراة على الله والرسول وهو من أشد أنواع الظلم للإنسان.

٢ ـ قناعة من المؤمنين صادرة عن إيمان ومعرفة لآيات الله في القرآن مع فهم عميق لها بأن الله أحكم الحاكمين وليس فوق حكمه حكماً ولا فوق شرعه شرعاً.

٣ ـ قناعة من المؤمن صادرة عن إيمان ومعرفة آيات الله وتفهمها بأن الله رحيم وقد كتب على نفسه الرحمة.

٤ ـ قناعة من المؤمن صادرة عن إيمان ومعرفة لآيات الله ومابينه سبحانه فيها بأن الله غفور.

٥ ـ قناعة من المؤمن صادرة عن إيمان ومعرفة لآيات الله بأن الله صادق الوعد والوعيد. وأن كل آيات الله في القرآن صدق كامل ولا يمكن الشك بصدقها أبداً شريطة أن نعرف تماماً ما قاله دون أن يكون علمنا مستنداً إلى ظن أو وهم.

٦ ـ قناعة من المؤمن عن إيمان ومعرفة لآيات الله بأن الله سبحانه ملتزم بكل ما قاله في كتابه الكريم الذي لا تناقض فيه ولا إختلاف.

من خلال قناعات كثيرة مثل هذه يصل المؤمن في النهاية إلى قناعة ضمنية بالعدل الإلهي الذي يختلف عن عدل الإنسان وعن نظرته السطحية للأمور لذلك تجنب الله أن يصف ذاته بالعادل في صفاته الحسنى حتى لا يظن الإنسان أن عدل الله مثل عدل مخلوقاته من البشر، والإنسان العاقل هو الذي يرضى بكل أحكام الله وشرعه وقضائه. ولكن ليس معنى الرضى والقناعة كما هو مكتوب في مكتبات آبائنا الأقدمين من الذين اتبعوا أهوائهم فأضلهم الله عن سبيله الصحيح. وإن كنا لانزال كأغلبية ساحقة نعتقد أنهم من أولياء الله الصالحين فكانوا يكتبون ما يسرُّ أولي الأمر من الذين تسلطوا على رقاب المسلمين لأنه الوحيد الذي كان يكافيء عملهم كله ويترجمه إلى دراهم ودنانير رنانة. فقالوا عن الرضى والقناعة بغير مايرضي الله بل بما يغضبه غضباً شديداً.

لقد قالوا للفقير وماأكثر الفقراء في عهود الظالمين:

إن الله قد خلق الناس درجات وكتب على بعض الناس الفقر، وكتب للبعض الآخر الغنى، فالرضى بما كتبه الله واجب على كل مسلم ومسلمة. لو كان هذا الكلام صحيحاً لما كان هناك من داع لإرسال الرسالات للناس من قبل الله سبحانه.

ولما كان من داع لاستخلاف الله للإنسان في الأرض، ولما كان من داع لتعلم الإنسان للعلوم والفنون، ولما كان من داع لسعي الإنسان في الأرض وفي مناكبها أصلاً لتحصيل الرزق. طالما كل شيء مقدر ومكتوب سلفاً. وهذا التقرير لا يسر إلا أصحاب السلطة والمال حتى يحافظوا على أموالهم وحكمهم وجاههم بعيداً عن متناول الناس وأطماعهم.

لكن ليس بالضرورة إذا فهم المسلم الحقيقة بكاملها أن الله فعلاً قد خلق الناس متفاوتين في تحصيل النتائج بعد السعي وبحسب المعطيات التي كانت لديهم عند السعي لتحصيل الرزق، من تفاوت في العلم، وتفاوت في الأدوات، وتفاوت في استخدام المواهب من ذكاء فطري إلى قدرة على النظام والتنظيم واتباع أساليب علمية اكتشفها الآباء فطورها الأبناء مثل تطوير أساليب الصناعة والتجارة التي أصبحت علوماً تدرس في الجامعات. فصار هناك تفاوت في القدرة الذاتية لكل إنسان على تحصيل الرزق بقدر هذا السعي الدؤوب المستمر من الآباء للأبناء.

لكن قانون الله الدائم على الأرض هو بقاء الناس درجات حتى يستخدم الغني الذي أفقر منه في خدمات وأعمال أخرى. لكن الله لم يكتب أبداً بالأسماء من هم الذين سيكونون الأغنياء ومن هم الذين سيكونون الحكام ومن هم الذين سيبقون إلى الأبد فقراء، كما حاول كل آبائنا القدماء أن يحشروا في عقولنا فكرة (كتب الله هذا في كل شيء، علماً أن المستفيد الوحيد من تثبيت الأوضاع هذه كان هو الذي يدفع للكاتب ثمن الكتاب. ولرجال الدين مقابل ما يروّجون له من أفكار مطلوبة في المساجد التي بناها الطاغوت أصلاً من أجل أن تكون منابر لتثبيت دعائم حكمه وسياسته ومصلحته الذاتية وتحقيقها وليس بهدف الحصول على رضى الله أوجنته في الآخرة.

لأن الفقراء أصلاً لم يكونوا قادرين على تحصيل مايسدون به الرمق في الحياة. فكيف يدفعون للكاتب أجر ماتعب به من سهر الليالي وهو يخط بيده صفحات الكتاب أو يدفعون لرجال الدين الذين عاشوا في ترف الملوك من عطايا السلاطين.

فنسمع أن فلاناً قد دفع له أمير المؤمنين وزن كتابه ذهباً. لماذا هذا السخاء ولماذا لم نسأل أنفسنا حتى الآن: ماهو السر في بقاء أمير المؤمنين على بخله الشديد مع فقراء أمته يتحول فجأةً إلى سخي كريم مع الشعراء والكتاب ومؤلفي الأحاديث الكاذبة؟

فلو قال الشاعر مايغضب الأمير! هل يدفع له؟ ولو كتب الكاتب مايغضب الأمير! هل يدفع له؟ ولو ألَّفَ المحدّثُ عكس مايشتهي أميره أو أفتى الشيخ بعكس مايرغب! هل يدفع له؟ أم يقطع رأسه؟

إذا لم نفكر بهذا الأسلوب سوف نبقى على ما نحن عليه ولن نكتشف أسباب تخلفنا مع غضب الله الشديد علينا.

﴿قَالَ اللَّهُ هَـٰذَا يَومُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدقُهُم لَهُم جَنَّاتٌ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ ذَٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ - ١١٩ المائدة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٥ ـ الشكر:

وأول الشكر يجب أن يكون لله سبحانه:

والشكر عادة يكون لله على نعمه.

﴿إِنَّآ أَرسَلنَا عَلَيهِم حَاصِباً إِلآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّينَاهُم بِسَحَرٍ * نِّعمَةً مِّن عِندِنَا كَذَلِكَ نَجزِى مَن شَكَرَ﴾ ـ ٣٤ ـ ٣٥ القمر.

﴿...قَالَ رَبِّ أَوزِعنِى أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِى أَنعَمتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ...﴾ ـ ١٥ الأحقاف.

وهدف الله أساساً مصلحة الإنسان وهدايته وإبعاده عن سبل الشيطان، حتى لايتعذب في الدنيا ثم يتعذب بعدها في الآخرة. ويجب أن نعلم بأن الله ليس له مصلحة في عذاب الإنسان بل يدله دائماً كيف يتخلص من ذلك العذاب.

﴿مَّا يَفعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُم إِن شَكَرتُم وَءَامَنتُم وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ ـ ١٤٧ النساء.

والله سبحانه وتعالى يحب العبد الشكور:

﴿...لَئِن شَكَرتُم لأَزِيدَنَّكُم...﴾ ـ ٧ إبراهيم.

وعلمنا حتى الآن أن الشكر لله يكون على نعم الله فإن شكرنا الله زادنا نِعَماً، ولكن ماذا إذا أنكرنا تلك النعم؟ أنه سوف يبدل النعمة إلى نقمة وعذاب.

﴿...وَلَئِن كَفَرتُم إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ ـ ٧ إبراهيم.

هنا في هذه الآية كفرتم بحسب سياق الآية يأتي معناها: لئن أنكرتم نعمي فلن تجدوا سوى عذابي الشديد. والله سبحانه يحب أن يَعلَم كيف سيكون موقف العبد تجاه نعم الله، هل هو موقف الشكر أم موقف النكران:

﴿...قَالَ هَذَا مِن فَضلِ رَبِّى لِيَبلُوَنِى ءَأَشكُرُ أَم أَكفُرُ...﴾ ـ ٤٠ النمل.

﴿...وَأَيَّدَكُم بِنَصرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ـ ٢٦ الأنفال.

﴿...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفئِدَةِ لَعَلَّكُم تُشكُرُونَ﴾ ـ ٧٨ النحل.

والله يعلم أن الإنسان قليلاً مايشكر الله على نعمه التي لاتعد ولاتحصى.

﴿...وَجَعَلَ لَكُم السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفئِدَةِ قَلِيلاً مَّا تَشكُرُونَ﴾ ـ ٩ السجدة.

والله سبحانه لن يصله من شكر العبد شيء وإنما شكره لمنفعته الذاتية:

﴿وَلَقَد ءَاتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ أَن أَشكُر لِلَّهِ وَمَن يَشكُر فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ـ ١٢ لقمان.

والمؤمن من خلال اعترافه بفضل الله تعالى ونعمته عليه يجب أن يتحول إلى عبد شكور. فكما يحب الخير يجب أن يشكر فاعل الخير. فيجعل من صفاته الملازمة دائماً الشكر سواء لله أو للناس. فمن واجب المسلم أن يشكر أخاه المسلم الذي قدم له خدمة ما، والإكثار من الشكر خير، شريطة أن تكون في محلها المناسب وبلا مبالغة، فتجعل علاقة المسلم مع إخوانه علاقة طيبة.

فَرَب العمل يجب أن يشكر العامل على حسن أدائه لعمله، والعامل يجب أن يشكر رب العمل على الأجرة التي قبضها في آخر النهار أو الأسبوع أو الشهر وفوقها المكافئة والإحسان، والذي يبيع للزبائن حاجياتهم يجب أن يشكر الزبون على اختياره محله لشراء حاجياته، كما يجب أن يُشكر البائع على جودة بضائعه ورخص أثمانها بالمقارنة مع غيره من البائعين الجشعين.

وهكذا فإن مجالات الشكر في العلاقات اليومية بين الناس كثيرة، وهذا الشكر يوثق العلاقات ويقرب القلوب من بعضها أكثر مع مرور الزمن.

والصبر مع الشكر من صفات الأتقياء لذلك يقول سبحانه:

﴿أَلَم تَرَ أَنَّ الفُلكَ تَجرِى فِى البَحرِ بِنِعمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ ءَايَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ـ ٣١ لقمان.

﴿...وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيئاً وَسَيَجزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ـ ١٤٤ آل عمران.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٦ ـ الذكر والذاكرون:

والذكر هو لله سبحانه وتعالى. لكن ليس معنى الذكر تذكر الله لأن الله يجب أن يكون دائم الحضور في ذكر المؤمن وفكره فلا غياب لله في فكره أبداً.

وليس معنى هذا الكلام كما يعتقد بعض السذج من جهال المسلمين أن الذكر هو أن تجلس في زاوية من البيت أو في المسجد وتقول الله ـ الله ـ الله آلاف المرات هذا التكرار الآلي لامعنى له سوى ضياع الوقت الثمين، وإنما أقصد أن يكون المؤمن دائم المراقبة لنفسه من خلال اعتقاده الثابت والدائم أن الله معه أينما كان وأينما حل. إن أصبح في الصباح أو ذهب إلى عمله أو جلس مع زملائه أو عاد ليجلس مع زوجته وأطفاله، وإن ذهب لينام في فراشه، وحتى بعد نومه فالله معه دائماً. هذا الحضور الدائم لله في فكر الإنسان يحمي المؤمن من الوقوع في الأخطاء ومن ارتكاب الذنوب.

مثلاً: إذا ذُكرت إساءة في سيرة أحد زملائه في غيابه استغابةً لكن لعلمه أن الله معه امتنع عن الغيبة. خطر له أن يقول كذباً في حديث لزوجته أو لرئيسه في العمل لكن لعلمه أن الله يراه ويسمعه خجل أن يقولها فغير رأيه. رأى امرأة جميلة فاشتهاها، فلعن الشيطان وغض من بصره. مر ببستان فرأى تفاحة جميلة تتدلى من غصن شجرة وقريبة من متناول يديه فتذكر أن لها صاحب يرعاها كما يرعاه الله الآن فليس من حقه قطفها من غير إذن صاحبها فخجل من ربه ومر عنها. وهكذا فحضور الله في ذهن المؤمن هو الذكر وهؤلاء المؤمنين هم الذاكرون. والمؤمن هو الذي يذكر الله كثيراً في نفسه ويكون دائم الحضور معه.

﴿قَد أَفلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ـ ١٤ ـ ١٥ الأعلى.

والإنسان نَسَّاء يسهى وينسى كثيراً. فعليه أن يتذكر على الأقل الله في خمس أوقات في اليوم فيصلي لربه صلة وشكراً.

وعملية التذكر هذه تقع ضمن مشيئة الإنسان، فالإنسان الحريص على رضى الله والحريص على فعل ماعليه من العبادات سوف يدرب نفسه بالتدريج على تذكر أوقات الصلاة، فتصبح عادة لاينساها بعد ذلك. وذكر العبد لله خمس مرات في

اليوم على الأقل في هذه الصلوات التي تقع في أوقات متفاوتة من أول الصباح في الفجر إلى صلاة العشاء تحمي المؤمن من الزلات. هذا طبعاً للمسلم العادي أما المؤمن الذي يجعل حضور الله في ذهنه دائماً كما شرحنا. من الذين يصلون إلى مايقوله الله في الآية:

﴿الَّذِينَ يَذكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَذَا بَاطِلاً سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ـ ١٩١ آل عمران.

ليس من مقدرة كل المؤمنين أن يصلوا إلى مثل هذه المراحل المتقدمة في الإيمان لكن على الأقل يجب على المؤمن أن يكثر من المواقف التي يفكر فيها بالله وهذا هو ذكره، وليس بالضرورة كما نرى بعض الناس الذين يمسكون بالمسابح وهم يحركون شفاههم بذكر الله بينما فكرهم يكون مشغولاً بغيره مثل: كيف يمكن أن يبيعوا هذه البضاعة بسعر أغلى للزبون الفلاني. هذا ليس ذكر لله بل ذكر لشيء آخر غير الله حتماً.

أحياناً قد يجد أحدنا نفسه منقاداً لزميل أو رفيق إلى جلسة فيها مايغضب الله، فإذا كان الإنسان في موقف الفتنة والإغراء لفعلٍ من أفعال الشيطان يجب أن يتذكر ربه:

﴿...وَاذكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ ـ ٢٤ الكهف.

لأن نسيانك لله في مثل تلك المواقف يجعلك تقع في المعاصي وترتكب الآثام. فحمايةً لنفسك يجب أن تذكر الله وتتذكره إن كنت ناسياً.

وتفعل مايرضي الله وتترك مايرضي الشيطان أو نفسك الأمارة بالسوء. وهنا في مثل هذه المواقف تظهر قوة الإيمان وقوة إرادة الإنسان في كبح جماح الشهوات والأهواء.

وفي كل صلاة لابد من ذكر اسم الله:

﴿وَاذكُر اسمَ رَبِّكَ بُكرَةً وَأَصِيلاً﴾ ـ ٢٥ الإنسان.

ومن ذكر الله أن تذكر نعم الله علينا ونشكره عليها:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم...﴾ ـ ٩ الأحزاب.

وليس معنى الآية التالية:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذكُرُوا اللَّهَ ذِكراً كَثِيراً﴾ ـ ٤١ الأحزاب.

أن نكثر من ترديد اسمه آلاف المرات، وإنما في كل موقف من مواقف النهار نجعل منها مناسبة لذكر الله وشكره. حتى يكون قريباً حاضراً من ذهننا.

قطعاً عندما نذبح الذبائح يجب أن نسمي ونكبر قبل أن نذبح باسم الله:

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ - ١١٨ الأنعام.

وهناك صفة من صفات المؤمنين يذكرها لنا الله حتى تكون علامة للمؤمنين الحقيقيين الذين يخشون الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم...﴾ - ٢ الأنفال.

وأما الذين لايؤمنون بالآخرة فما هي صفتهم؟

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالأَخِرَةِ...﴾ - ٤٥ الزمر.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ - ١٩ المزمل.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٧ ـ التسبيح:

كثير من مسلمي اليوم يفهمون معنى التسبيح خطأ ويظنون أن المقصود مثلاً بالآية الكريمة:

﴿...وَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ...﴾ ـ ٥٥ غافر.

أن نجلس بعد كل صلاة وبيدنا مسبحة ألفية ونكرر:

(سبحان الله وبحمده) آلاف المرات علماً أن المسبحة أصلاً من اختراع أهل الكتاب من قبل الإسلام بكثير. فحتى نفهم معنى التسبيح يجب أن نفهم آيات الله التي ذكر فيها الله التسبيح أولاً كما في الآيات التالية:

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ...﴾ ـ ١٣ الرعد.

﴿...وَإِن مِّن شَيءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلَكِن لا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُم...﴾ ـ ٤٤ الإسراء.

﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ...﴾ ـ ٤١ النور.

﴿...وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحنَ...﴾ ـ ٧٩ الأنبياء.

﴿إِنَّا سَخَّرنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشرَاقِ﴾ ـ ١٨ ص.

حتى نفهم معنى هذه الآيات لنذكر بعدها الآيتين التاليتين:

﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وكَرهاً...﴾ ـ ١٥ الرعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسجُدُونَ﴾ ـ ٢٠٦ الأعراف.

كيف يكون سجود الأشياء لله تعالى؟ إنها تكون بالطاعة الخالصة له دائماً. لنستمع للآية التالية:

﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهُ يَسجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرضِ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ العَذَابُ...﴾ ـ ١٨ الحج.

أي أن كل ذلك أطاع طاعة خالصة وبدون تردد، إلا الإنسان الذي خُيِّرَ بين الإيمان والكفر، قليل من الناس اختاروا الطاعة الخالصة وكثيرون الذين اختاروا الكفر فحق عليهم عذاب الله.

لنستمع للآيات التالية:

﴿...وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِى السَّمَواتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً...﴾ - ٨٣ آل عمران.

﴿ثُمَّ استَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرضِ ائتِيَا طَوعاً أَو كَرهاً قَالَتَآ أَتَينَا طَآئِعِينَ﴾ - ١١ فصلت.

نفهم من كل تلك الآيات، أن كل مخلوقات الله خلقها سبحانه مسخرةً لتخدم أمور محددة ولتنفذ أيضاً أشياء خلقت من أجلها. مثلاً خلق الله الشمس لتعطي ضياء، وخلق من حولها الكواكب بأبعاد محددة لتدور في مدارات محددة خلال فترة زمنية محددة لكل كوكب على حدة، فكل مخلوق ينفذ ماخلق لأجله. طاعةً خالصة وهذا هو الذي قصده الله بالسجود.

مثلاً الالكترونات والبوزيترونات تدور حول الذرة بسرعات هائلة في أفلاك محددة وبمسافات محددة عن نواة الذرة وبدقة متناهية هذا الدوران الدائم بدون توقف هو تسبيح من الالكترون دائم بطاعة الله. وإعطاء الشمس النور الدائم كما أمر أن يعطي هو تسبيح للشمس دائم. ودوران الأرض حول نفسها كل (٢٤) ساعة مرة من أجل تتابع الليل والنهار هو تسبيح من الأرض دائم ودوران الأرض حول الشمس كل (٣٦٥,٢٥) يوم دورة كاملة هو تسبيح آخر للأرض أيضاً دائم لله.

ودوران القمر كل (٢٩,٦) يوم حول الأرض هو تسبيح من القمر دائم.

وقد يكون لكل تلك المخلوقات تسبيحات أخرى لانعرفها نحن البشر لأن ماأعطانا الله من العلم مازال قليلاً. وهكذا فإن التسبيح هو الطاعة الخالصة لله وبقاء المخلوق لما خلق له منفذاً أوامر الله كلها مع المداومة على تلك الطاعة والاستمرارية التي تميزها عن الطاعة العادية، لكن بين كل تلك المخلوقات حالة شاذة هي الإنسان الذي أعطي حرية الاختيار لوحده مع مشيئة خاصة، فإن شاء ذهب يميناً وإن شاء ذهب يساراً بحسب اختياره الذاتي للكفر أوالإيمان.

فماذا عن تسبيح هذا الإنسان؟

قطعاً إن الإنسان الذي كفر بالله واختار معارضة الله وإنكاره هو خارج موضوع الطاعة والسجود والتسبيح الإرادي. وبقي عندنا الإنسان المؤمن. وهو الإنسان الذي صدق ربه واتبع مأأمره وهما نوعان: الأول من آمن بالله تسليماً وتصديقاً وحباً هذا ينحرف عن الإيمان إلى الإشراك بالله من أول محاولة ومبادرة من الشيطان لذلك فالله يسلط كل الشياطين في الأرض على هؤلاء حتى يكشف قوة إيمانهم وبما أنها هشة سرعان ما يتهافتون ويصبحون من أتباع الشياطين وهم يظنون أنهم من أتباع الله تعالى. أما النوع الثاني فهو الذي آمن عن طريق العقل، وهذا المؤمن يبحث قبل الإيمان بالله عن الأدلة والبراهين العقلية في كتاب الله وبعد أن يطمئن قلبه ويصبح إيمانه عن علم ويقين لا يستطيع عليه أقوى الشياطين وهؤلاء وحدهم هم الذين يسبّحون أي يطيعون كل أوامر الله طاعة خالصة ومستمرة دون أن يكون فيها مجال للتردد أو التأخر. وهذا هو التسبيح الحقيقي الذي يسعى إليه الله من عباده المؤمنين.

مثلاً: عندما يقول الله سبحانه:

﴿...قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ...﴾ - ٣٠ البقرة.

ونحن نسبح بحمدك: أي ونحن نطيعك طاعة خالصة ومستمرة ونشكرك ونتذكر فضلك لذلك قال الله سبحانه:

﴿فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ - ٩٨ الحجر.

وهي محاولة من المؤمن للوصول لتلك الحالة التي وضعها سبحانه للملائكة في السماء وهي بعيدة المنال على الإنسان بدون شك ولكن لابأس أن يحاول الإنسان.

٣٨ ـ الشهادة:

أصل الكلمة من شهِدَ:

﴿...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَليَصُمهُ...﴾ ـ ١٨٥ البقرة.

وشهد تأتي بمعنى أن يقول الإنسان ماشاهده حقاً في قضية أمام محكمة أو امام الناس:

﴿...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن أَهلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت...﴾ ـ ٢٦ يوسف.

وبهذا المعنى يقول الله سبحانه:

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُّم عَلَينَا...﴾ ـ ٢١ فصلت.

﴿...فَقُولُوا يَآأَبَانَآ إِنَّ ابنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدنَآ إِلا بِمَا عَلِمنَا...﴾ ـ ٨١ يوسف.

﴿...وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ مِن رِّجَالِكُم...﴾ ـ ٢٨٢ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرسَلنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ـ ٤٥ الأحزاب.

﴿إِنَّآ أَرسَلنَآ إِلَيكُم رَسُولاً شَاهِداً عَلَيكُم...﴾ ـ ١٥ المزمل.

﴿...يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ـ ٨٣ المائدة.

﴿...وَلا تَعمَلُونَ مَن عَمِلٍ إِلا كُنَّا عَلَيكُم شُهُوداً إِذ تُفِيضُونَ فِيهِ...﴾ ـ ٦١ يونس.

﴿أَم كُنتُم شُهَدَآءَ إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَآئِكَ إِبرَاهِمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ ـ ١٣٣ البقرة.

من كل تلك الآيات القرآنية يمكن فهم معنى الشهادة بصورة واضحة، لانحتاج بعدها إلى تأويل أو تفسير معاني مشتقات كلمة الشهادة ولكننا نجد أحياناً بعض الآيات مثل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ شُهَدَآءَ للهِ...﴾ ـ ١٣٥ النساء.

والشهادة لله لاتكون إلا على المؤمن لأن غير المؤمن لايقدر عليها. وهي أن يقول المؤمن المُستَشهد (اي الذي طلبت منه الشهادة) الحق ولو على نفسه أو أحد من أهله.

أو الآية:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالقِسطِ...﴾ - ٨ المائدة.

إن بعض الناس يفسرون بالقسط بالعدل ولو كانت كلمة العدل تحل محل القسط لما استبدلها الله لكن العدل في القرآن له معنى والقسط له معنى آخر، ولو كانت الكلمتان قريبتين من بعضهما فمثلاً القسطاس مشتق من القسط وهو الميزان الدقيق، فإذا قلنا وزع فلان الميراث بالعدل. يمكن أن تكون بتقييمات الموزع ذو الخبرة لقيمة الموجودات، فبدأ يوزع بناء على تلك التقييمات الذاتية التي قد تكون ارتجالية. لكن إذا قلنا فلان وزع الميراث بالقسط، أي أن الرجل وزعه مستنداً إلى جداول للتقييمات مع وضع قيمة كل شيء بحسب سعر السوق اليوم للموجودات، ثم وزعها بمساعدة حسابات دقيقة أجراها خبراء في المحاسبة.

من خلال هذا المثال نفهم الفارق الدقيق بين كلمتي العدل والقسط، وهكذا فكل كلمة في القرآن الكريم يجب ملاحظتها لفهم معاني الآيات بحسب اختلاف تلك الكلمات، التي نظنها مترادفة وهي ليست كذلك. فالشهادة بالقسط هي الشهادة بالتفاصيل الدقيقة التي قد يهملها الشاهد العادي. وأحياناً قد تكون براءة متهم بجناية أو جريمة تعتمد على شهادة شاهد. فإذا كتم هذا الشاهد شهادته يكون كأنه حكم على بريء بالقتل أو السجن ظلماً، فبدل أن يحقق العدل على الأرض حقق بكتم شهادته الظلم. لذلك لايجوز كتم الشهادة أبداً، لأي سبب من الأسباب بحجة الخوف من أهل المجرم أو غير ذلك من الحجج.

﴿...وَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَتمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ...﴾ - ١٤٠ البقرة.

﴿...وَلاَ تَكتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكتُمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلبُهُ...﴾ - ٢٨٣ البقرة.

وكذلك الشهادة في موضوع الوصية للميت قبل وفاته:

﴿...شَهَادَةُ بَينِكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثنَانِ ذَوَا عَدلٍ مِّنكُم...﴾ - ١٠٦ المائدة.

﴿وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ - ٥٢ الأعراف.

وهكذا فقد لاحظتم عدم وجود معنى الشهيد المستحدث للذي يقتل في سبيل الله في كل آيات القرآن الكريم.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٣٩ ـ الثبات:

الثبات المطلوب والمحمود من الصفات هو الثبات على الإيمان. والثبات على التوحيد بالفعل والتطبيق وليس بمجرد اللسان. والإنسان خاصة إذا لم يكن مجرباً ولم تعركه الحياة إلا قليلاً تَغُرهُ الأفكار الجديدة البراقة، يسمعها من خطيب مفوّه ذو موهبة في فن الخطابة والكلام أو يقرأها من كتاب فتحرفه عن إيمانه خطوة خطوة. وخطورة هذه الأمور ليست على الناس العاديين فقط بل أحياناًعلى المفكرين والقادة والرسل:

﴿وَلَوْلاۤ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَد كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيهِم شَيئاً قَلِيلاً﴾ ـ ٧٤ الإسراء.

وحتى زعماء المشركين كانوا يعرفون مدى تأثير الأفكار على تغيير مافي نفوس الناس فكانوا يخافون من القرآن إذا سمعه تابعوهم فيأمرونهم أن لا يسمعوا آيات القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسمَعُوا لِهَذَا القُرءَانِ وَالْغَوا فِيهِ...﴾ ـ ٢٦ فصلت.

ومعنى ألغوا: تأتي من اللغو الذي هو الباطل فيصبح المعنى: (قولوا الباطل في ما يقابل الحق) وهذا هو عمل الشيطان وفتنته في الدين وفتنة الشيطان دائمة، فيجب أن لايقول المسلم لقد آمنت وانتهيت ويترك إيمانه بدون رعاية وتثبيت. إن الإيمان كالشجرة تحتاج إلى عناية وسقاية ورعاية دائمة، والإيمان يمكن أن ينمو ويكبر وكما يمكن أن يضعف ويضمحل وينتهي مفعوله. وهو يشبه إلى حد كبير مانراه في قوانين المادة وندعوه بالمغنطة والمغناطيس، فهي قوة ذاتية يمكن أن تظهر في ذرات الحديد ويمكن لنفس الذرات التي اكتسبت تلك القوة أن تفقدها من جديد بالتدريج. فالمؤمن بحاجة إلى تأييد من ذاته ومن نفسه وبمتابعة عبادة القراءة الواعية المدركة لمعاني آيات القرآن الكريم خاصة بعد صلاة الفجر:

﴿...إِنَّ قُرءَانَ الفَجرِ كَانَ مَشهُوداً﴾ ـ ٧٨ الإسراء.

في الفجر يكون جهاز الإنسان الفكري بعد راحة النوم جاهزاً لتلقي والفهم والإدراك لمعاني آيات القرآن وتصور المشاهد الغيبية فتصبح تلك الصور البلاغية في قراءة الفجر مشاهد متحركة بالألوان في بصيرة المؤمن بحيث يمكن أن يراها في فكره صوراً واضحة ونقية فيشترك مع سمعه شهادة الصورة بمخيلته فتكون أثبت وأقوى تأثيراً.

ولعلم الله بتأثير آيات القرآن يقول:

﴿...كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ - ٣٢ - الفرقان.

وماقصص الله في القرآن إلا من آيات القرآن الكريم ومن معجزات الله التاريخية:

﴿وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾ - ١٢٠ هود.

فما هو القول الثابت الذي لايتغير إن لم تكن آيات الله في القرآن؟ تلك الآيات التي لا إختلاف فيها ولا تناقض أبداً.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾ - ٢٧ إبراهيم.

ولعلم الله سبحانه بمدى تأثير الكلمة الحقيقية الصادقة في الإنسان يقول سبحانه في وصفها:

﴿...كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾ - ٢٤- ٢٥ إبراهيم.

وكذلك الكلمة إذا استخدمت للخبيث وللإيذاء فإن لها أيضاً تأثير هدام في نفوس المستمعين.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ - ٢٦ إبراهيم.

وإن لم يكن لها ثبات واستقرار، لكن الإنسان يحتاج إلى حكمة وإلى صبر وتفهم لآيات القرآن الكريم لإزالة تأثير الأفكار الهدامة من عقول الشباب ومن عقله أولاً.

فالذي ينكر قوة وتاثير الكلمة ينكرها إما عن جهل حقيقي أو عن خبث وغاية لمنع الشباب من قراءة القرآن والتأثر بأيات الرحمن نوراً وهدىً وعلماً حقيقياً وهداية إلى سبيل الله ونهياً عن سبل الشيطان التي تكون نتيجتها ضعف الأمة وزوال قيمتها وتأثيرها في الحياة الدنيا بين باقي الأمم.

﴿...وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...﴾ - ١٥٣ الأنعام.

وعندما تصبح الأمة الواحدة على سبل مختلفة في آرائها العقائدية تكثر بينها النزاعات والخصومات، فتذهب قوة الأمة وتضيع هيبتها أمام الأمم الباقية. وتصبح في مواقف مذلة لذاتها ولأفرادها ولايأخذ برأيها أحد. وأن استمرت الأمور بها وهي ثابتة

على موقف التخاذل نفسه أهينت علناً من باقي الأمم القوية، لذلك ينبهنا الله سبحانه ويقول:

﴿...وَلا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم...﴾ - ٤٦ الأنفال.

وتذهب ريحكم هنا كناية عن اضمحلال وذهاب قوة الأمة، تلك القوة التي يمكن أن تصدر عن الإيمان الموحد بكتاب واحد وبسنة واحدة لأمة واحدة، فتكون كالمغناطيس الواحد الذي له قوة واحدة، أما إذا جمعنا آلاف المغناطيسات مع بعضها جمعاً عشوائياً فإنها سوف تلغي قوى بعضها وتصبح مجموع قوى المغناطسيات تلك تساوي الصفر المطلق.

وهذا معلوم في علم الفيزياء ومبادئها الأولية التي هي من سنن الله في خلقه، لذلك يقول سبحانه وتعالى مبيناً ذلك:

﴿...بَأسُهُم بَينَهُم شَدِيدٌ تَحسَبُهُم جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم شَتَّى...﴾ - ١٤ الحشر.

وكذلك الثبات مطلوب من المؤمن إذا واجه الأعداء من الذين يعادون الأمة وأفكارها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثبُتُوا...﴾ - ٤٥ الأنفال.

والمؤمن الذي لايكون مع الله جسداً وروحاً بعزيمة يستمدها من قوة إيمانه بالله في مواجهة الأعداء لن يؤيده الله بنصره:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُركُم وَيُثَبِّتْ أَقدَامَكُم﴾ - ٧ محمد.

والمؤمن الواعي هو الذي يراقب عيوبه ويحاول إصلاحها واحدة واحدة ويتوب عنها ويستغفر ربه ليزيد إيمانه وتزيد قوته بالله يوماً بعد يوم.

﴿...رَبَّنَا اغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا واسرَافَنَا فِي أَمرِنَا وَثَبِّت أَقدَامَنَا...﴾ - ١٤٧ آل عمران.

والجاهل الذي يظن أن لهذا الدعاء الجميل يمكن أن يكون له مفعول سحري لمجرد ترديده بعد كل صلاة يكون بعيداً جداً عن فهم الإسلام والإيمان الصحيحين.

وكل دعاء لم يسبقه عمل جاد لإزالة العيب من قبل الأفراد والجماعات يكون مجرد تمني، والأماني لاتتحقق بل يحقق الله الرجاء وهو الدعاء الذي يأتي بعد العمل أو معه، وبدون تلازم العمل الحقيقي القادر على إزالة العيب لايبدل الله شيئاً ولا يغير شيئاً، ومن يشك بهذا الكلام عليه فقط أن يتذكر أن أمة المسلمين لم تفعل أي شيء إيجابي بعد

أن انحرفنا عن الإسلام عن السبيل الواحد إلى السبل المتفرقة، هذا يقول أنا من الفئة الفلانية وآخر يقول أنا من الفرقة العلانية، ونحن نناحر بعضنا ونقاتل بعضنا وننازع بعضنا، والمساجد على كثرتها ممتلئة بالمصلين وكلهم يصيحون خلف الإمام اللهم افعل لنا، اللهم اعمل لنا، اللهم دمر لنا، اللهم ابن لنا، اللهم اهدم لنا، ونخرج من المساجد لننتشر في الأرض، فلا نرى تحسناً ولا نرى فعلاً ولا عملاً ولا تدميراً للأعداء ولا بناء للأحباب، بل نجد الطبيعة ساكنة كما كانت قبل دعائنا، لأن ماقيل قبل قليل لاوزن له عند الله سبحانه، لأنه كان من باب الأماني ولم يكن من باب الرجاء، الذي يرافقه الفعل والعمل الجاد المنظم المخطط بأحدث ماتوصل إليه علم الإنسان من علم الله الواسع كذلك نفوس الناس لم تتغير إلى الأحسن بل إلى الأسوأ حيث زالت الطيبة عن قلوب العباد مما قلب أوضاع الناس معها من الأحسن إلى الأسوأ أيضاً.

﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخرُجُ إِلا نَكِداً...﴾ - ٥٨ الأعراف.

حتى النبات يتأثر بما في قلوب الناس فتذهب منه البركة والخير والنمو والإزدهار.

إن الله سبحانه لم يخف عنا من الحقائق شيء بل قال لنا كل شيء بصراحة تامة، وقال لنا أن المقياس الوحيد الذي يميز الله به بين بني الإنس كلهم هو مقياس التقوى، والتقوى هو الإيمان بالله والعمل بما أمر به مع خشية الله، وبدون ربط العمل بالإيمان والخشية ولايتغير شيء في هذا الوجود، فنسينا أو أنسينا البند الأهم من هذين الشرطين، وأتانا من يعلّمنا أن الإيمان هو العمل، حتى نترك العمل الحقيقي، فحصل وما يزال يحصل معنا أموراً لا تسر إلا الأعداء. وخلال فترة زمنية طويلة جداً مع استمرارها حتى الآن. لعدم تمكننا من هجر ماتعودنا على سماعه من الأباطيل، وعدم قدرتنا على لمس القرآن بجرأة ورغبة لمعرفة رسالة الله لنا ونعرف ماذا يريد منا سبحانه أن نعلم في تلك الرسالة؟

تصوروا أباً يرسل رسالة إنذار لأبنائه لينقذهم من شر قادم دخل في علمه ولايعلمه أبناؤه بعد. فلا يفتح الأبناء الرسالة ليعلموا ماذا يريد الأب منهم؟ ولا يريدون أن يعلموا عن ذلك الإنذار شيئاً، هل يمكن أن تتصوروا ظلماً للذات أكبر من هذا؟

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَأكُلُوا أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ...﴾ - ٢٩ النساء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا يَحِلُّ لَكُم أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرهاً...﴾ - ١٩ النساء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾ - ٥٩ النساء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ شُهَدَآءَ للهِ...﴾ - ١٣٥ النساء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَولِيَآءَ...﴾ - ١٤٤ النساء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالعُقُودِ...﴾ - ١ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذكُرُوا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم...﴾ - ١١ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ...﴾ - ٣٥ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذَى...﴾ - ٢٦٤ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ...﴾ - ٩٠ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَينِكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثنَانِ ذَوَا عَدلٍ مِّنكُم...﴾ - ١٠٦ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ...﴾ - ٩٥ المائدة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدبَارَ﴾ - ١٥ الأنفال.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم...﴾ - ٢٧ الأنفال.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا ءَابَآءَكُم وَإِخوَانَكُم أَولِيَآءَ إِنِ استَحَبُّوا الكُفرَ عَلَى الإِيمَانِ...﴾ - ٢٣ التوبة.

وماذا يكون موقفنا منهم إن أصروا على موقفهم الحالي بتطبيق ما يقدسونه أكثر من القرآن ظناً أنها من حديث الرسول الشريف من بعد علمنا بالبرهان أنه لا حديث لأحد مع حديث الله ولا كتاب لأحد مع كتاب الله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ...﴾ - ٢١ النور.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُركُم...﴾ - ٧ محمد.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَآءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ - ٦ الحجرات.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا يَسخَرْ قَومٌ مِّن قَومٍ...﴾ - ١١ الحجرات.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا

يَغتَب بَّعضُكُم بَعضاً أَيُحبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيّتاً فَكَرِهتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ - ١٢ الحجرات.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَولِيَآءَ...﴾ - ١ الممتحنة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَوَلَّوا قَوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِم...﴾ - ١٣ الممتحنه.

والله تعالى لم يسلط رسوله الكريم ولا أحد من رسله السابقين على الناس بل أرسلهم للإنذار والتذكير بالكتب المنزلة بالوحي عليهم.

﴿نَحنُ أَعلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ - ٤٥ ق.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٤٠ ـ الطيب، الطيبون والطيبات:

إذا أراد سبحانه أن يعبر لنا عما يخرج من نفس الإنسان عن طيب خاطر يقول:

﴿...فَإِن طِبنَ لَكُم عَن شَيءٍ مِّنهُ نَفساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيا﴾ ـ ٤ النساء.

وعكس الطيب هو الخبيث:

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُم عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾ ـ ١٧٩ آل عمران.

وهذه الآية تدل أن الله شاء أن لايعلم من أمور الإنسان المستقبلية التابعة لإختياره الذاتي شيئاً، حتى تكون كل قرارات الإنسان واختياراته بمسؤوليته الخاصة دون تدخل من الله سبحانه وهذا هو مطلق العدل. وفي تلك الآية يقول سبحانه بأنه يريد من خلال اتجاهات الناس نحو الكفر أو نحو الإيمان، بأن يفرق بين الذين اختاروا الطيب عن الذين مالت نفوسهم للخبيث الذي هو الكفر والإشراك بالله.

﴿وَءَاتُوا اليَتَامَى أَموَالَهُم وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ...﴾ ـ ٢ النساء.

مثلاً إعادة أموال اليتامى بكرم نفس وعن طيب خاطر من غير حاجة للتحاكم وللمطالبة والدخول في منازعات هو الطيب المطلوب من كل مسلم مؤمن بالله وبكتابه. أما الذي يماطل ويسوّف ويكذب ويحتج وغايته أكل أموال اليتامى، فهو الذي يتصرف بالخبيث بدلاً عن اختيار السبيل الطيب الذي يرضي الله ويأمر به وكذلك إذا كان عند الرجل مثلاً من أموال اليتامى عشرة من الإبل عند إعادتها للأيتام يجب أن لا يبدلها محتفظاً لنفسه بالفتية منها والسليمة ويعطي المريضة والهزيلة وكبيرة السن، وهذا هو تبديل الطيب بالخبيث.

﴿قُل لا يَستَوِى الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَو أَعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبِيثِ...﴾ ـ ١٠٠ المائدة.

قد يرى الإنسان رجلاً ثرياً كثير المال والولد والأتباع إذا عاد ودقق أكثر فوجد أن ماجمعه ذلك الرجل من مال هو من أموال أيتام أكلها ولم يعدها لأصحابها، أو هي من أموال تجمعت لديه من أكل الربا بالباطل على الناس، أو من أموال الصدقات، وبدل توزيعها على مستحقيها أكلها ظلماً، أو هي أموال من أمانات دفعها له الناس فخان تلك الأمانات وأنكرها على أصحابها ظلماً، عندها يكتشف أن كل تلك الكثرة التي

أعجبته ماهي إلا من كثرة الخبيث وليس من الطيب طالما بقيت الأموال تحت تصرف هذا الخبيث.

ولكن لنفرض أن تلك الأموال انتقلت بالوراثة إلى وريث طيب تصرف فيها كما أمر الله تعود الأموال طيبة لأن المال بحد ذاته لا يقترف ذنباً وكلها طاهرة بحد ذاتها والطيبة والخباثة ناتجاتان من المتصرف فيها.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِبِ وَيَجعَلَ الخَبِيثَ بَعضَهُ عَلَى بَعضٍ...﴾ - ٣٧ الأنفال.

وحتى في الكلام نجد كلمات طيبة كما نجد كلمات خبيثة:

﴿أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَفَرعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذنِ رَبِّهَا...﴾ - ٢٤ - ٢٥ إبراهيم.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجتُثَّت مِن فَوقِ الأَرضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ - ٢٦ إبراهيم.

لذلك فالحلال الذي حلله الله هو الطيب. والذي حرمه الله هو الخبيث.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً...﴾ - ١٦٨ البقرة.

﴿قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزقِ...﴾ - ٣٢ الأعراف.

﴿...وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ...﴾ - ١٥٧ الأعراف.

ولعلم الله بأن مايلي من المأكولات هي من الخبائث لا يجوز لمؤمن أن يأكلها:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ...﴾ - ١١٥ النحل.

ولعلم الله أن الفواحش من الخبائث أحب الله أن يبعدها عن المؤمنين:

﴿قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ - ٣٣ الأعراف.

ولعلم الله أن قتل النفس الإنسانية بدون حق هو من أكبر المظالم في الأرض فأحب أن يبعد عبده المؤمن عن هذا الظلم فحرمها عليه:

﴿وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ...﴾ - ٣٣ الإسراء.

وحتى يكون للمؤمنين على الأرض بقعة آمنة يجتمعون فيه كل عام ليقضوا فيها مناسكهم ويتذاكروا في أمور دينهم ودنياهم بلا جدال ولا خصام، حرم الله مكة وجعلها بلداً آمناً، يحرم فيه القتال إلا إذا كان دفاعاً عن النفس وعن المسلمين من اعتداء خارجي.

﴿إِنَّمَا أُمِرتُ أَن أَعبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىءٍ...﴾ - ٩١ النمل.

وليس لأحد غير الله أن يحرم أو يحلل ولا حتى لملاك أو رسول:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ - ١ - التحريم.

والآية التالية نزلت من أجل منع تحريم ما أطلق عليها سبحانه بالطيبات من الطعام.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٨٧ المائدة.

وحرم الله الصيد في أشهر محددة من كل سنة وهي أشهر الربيع مع أول الصيف حتى لاتقتل الحيوانات في موسم التزاوج ورعاية الصغار والإرضاع، لأن ذلك ظلم من الإنسان لمخلوقات الله الأخرى. ونسي المسلمون في جهالتهم الكبرى ماكانوا يفعلون أيام الإسلام على مطابقة السنين القمرية مع السنين الشمسية بإضافة الشهر النسيء كل ٣٢ شهر قمري «راجع بحث الأشهر الحرم والتقويم الإسلامي في هذا الكتاب».

والله تعالى يوزع كل شيء بانسجام فيقول:

﴿الخَبِيثَاتُ لِلخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلخَبِيثَاتِ...﴾ - ٢٦ النور.

﴿...وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ...﴾ - ٢٦ النور.

منتهى العدل في التوزيع: المؤمنين للمؤمنات والمؤمنات للمؤمنين. الكافرون للكافرات والكافرات للكافرين. المشركون للمشركات والمشركات للمشركين.

﴿الزَّانِى لا يَنكِحُ إِلا زَانِيَةً أَو مُشرِكَةً...﴾ - ٣ النور.

﴿...وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَآ إِلا زَانٍ أَو مُشرِكٌ...﴾ - ٣ النور.

لأن كلاهما مشترك في الخبيث، ففعل الزنى من الخبائث وكذلك الإشراك. وكل رزق يحصل عليه المؤمن عن طريق مشروع من غير ظلم ولايشوبه محرم فهو من الطيبات:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبتُم...﴾ - ٢٦٧ البقرة.

﴿يَسئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُم قُل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...﴾ - ٤ المائدة.

ماأحله الله لايمكن أن يحرمه إنسان ومن ادعى تحريم شيء يجب أن يكون معه دليل وشهادة من الله، وشهادة الله غير متوفرة على هذه الأرض اليوم إلا في كتاب واحد هو

القرآن الكريم، ومالم يرد في ذلك الكتاب فهو مجرد ظن وتخمين والظن لايغني عن الحق شيئاً.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم...﴾ - ٨٧ المائدة.

كل المحرمات على بني إسرائيل ليس للمسلمين علاقة بها لأن الله بين أن لكل دين شرعه الخاص فلهم دينهم وشريعتهم، ولنا ديننا وشرعنا الإسلامي المشروح والموضح في كتاب الله سبحانه. فالله سبحانه قال مخاطباً الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين:

﴿وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيهِ فَاحكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ...﴾ - ٤٨ المائدة.

ثم قال سبحانه في تتمة الآية موضحاً أن لأهل الكتاب شريعتهم كما للمسلمين شريعتهم الخاصة بهم أيضاً:

﴿... لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجاً وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَآ ءَاتَاكُم فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ - ٤٨ المائدة.

والآية واضحة بذاتها لكن كثيراً من الخبثاء حاولوا بالدس والتحريف والتأويل حرف اتجاه المسلمين ليفهموا عكس ماطلب الله منهم، حتى يخرجوهم عن سبيل الله الواحد ويجعلوهم على سبل الشيطان المختلفة حقداً وحسداً. ومن أجل مصالح وغايات دنيوية: وإذا بحثنا عن أطيب الكلام فهل يمكن أن نجده إلا في القرآن الكريم؟

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَولِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ﴾ - ٢٤ الحج.

والله سبحانه يقرن عادة الكلام الطيب والرزق الطيب مع العمل الصالح:

﴿...إِلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ...﴾ - ١٠ فاطر.

﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعمَلُوا صَالِحاً...﴾ - ٥١ المؤمنون.

حتى الرسل لم يستثنيهم الله من العمل فلا بد أن يعملوا عملاً صالحاً لخدمة الناس، ولكن الله جعل أجرهم على الله وليس على الناس، لذلك حرم الله على رسله أن يأكلوا من أموال الزكاة والصدقات ليس لأنها نجسة كما تقول الأحاديث في الصحيحين، وإنما لأن كل الرسل عليهم أن يقولوا للناس لانريد منكم أجراً على عملنا ودعوتنا لكم إلى

طريق الله. وحتى يكون ماقاله الرسل صدقاً فلا يجوز أن يأخذوا حصة من أموال الزكاة أو الصدقات.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشكُرُوا نِعمَتَ اللَّه...﴾ ـ ١١٤ النحل.

وكما ذكرت سابقاً فإن الله تعالى قد جعل نبات الأرض يستجيب مع طيبة الناس في البلد الطيب أو يصبح نكداً بمعنى أصبحت قليلة العطاء للخير يشح ماؤها وزرعها إذا خبث أهلها.

﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخرُجُ نَبَاتُهُ بِإذنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخرُجُ إلا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ لِقَومٍ يَشكُرُونَ﴾ ـ ٥٨ الأعراف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.



ملخص الكتاب

١ ـ الفقرة الأولى: الحرية الفكرية في دين الرحمن:

إن من أشد الأفكار خطراً على دين السلطان (الطاغوت) الإسلامي كان مبدأ إعلان الحرية الفكرية المعلنة في جميع آيات القرآن الكريم فكان كتاب القرآن من أخطر الكتب على طموحات الطاغوت الإسلامي الذي شاء تبديل الإسلام كله إلى دين مناقض لدين الله بشكل كامل فكان أول شيء فعله علماء السوء هو إلغاء أول عبادة من عبادات الإسلام الخمسة وهي تلاوة الذكر الحكيم حتى لا يعلم المسلم ماذا قال الله تعالى في كتابه المبين.

والخطوة الثانية كان منع لمسه إلا للمطهرين وتخويف الناس من مسكه وقراءته.

والخطوة الثالثة كانت بترديد المقولة: القرآن كتاب شديد لا يمكن فهمه إلا للمتخصصين من علماء المسلمين وهم يقصدون علماء الطاغوت طبعاً الذين أصبحوا المسؤولين عن الدين كله في الأمة.

ثم وضعوا أحاديث تؤكد على إلغاء الحرية الفكرية مع إلغاء كل الحريات مع الحقوق الخاصة بالإنسان.

وتلك الأحاديث أكثر من أن تعد وتحصى في كتب الأحاديث ولكن في شرح وبيان هذا الموضوع بالذات سوف أكتفي بالإستشهاد من آيات القرآن التي تؤكد الحرية الفكرية المناقضة لكل ما عند المسلمين من أفكار تعاكس الحريات نتيجة حب تسلط الطواغيت على المسلمين.

أول وأكبر مبدأ للحرية الدينية والفكرية نجدها في الآية الكريمة:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ...﴾ ـ ٢٥٦ البقرة.

والله تعالى لم يطلب من رسوله أن يكره أحداً على الإيمان به أبداً بل قال لرسوله مستنكراً أسلوب الإكراه في العقيدة:

﴿...أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ـ ٩٩ يونس.

ولكننا إذا سمعنا آية أخرى تقول:

﴿...وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِى السَّمَوتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً...﴾ - ٨٣ آل عمران.
أو قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً...﴾ - ١٥ الرعد.
هذ الآيات لا تناقض آيات الحرية، لأن آيات الحرية هي فقط للإنسان العاقل وفي مجال محدد للإختيار بين الإيمان أو الكفر بين الخير أو الشر بين أن يسير الإنسان بإرادته خلف أوامر الله أو خلف أوامر نفسه الأمارة بالسوء.

بين أن يعبد الله وحده دون ان يشرك به أحداً أو شيئاً أو أن يعبد الطاغوت إشراكاً.

ولكن الإنسان لم يخير مثلاً في ان يموت أو لا يموت إذا انتهى عمره ووصل أجله المسمى فهو سوف يموت شاء أم أبى وسوف يسلم نفسه شاء ام أبى وهذه الطاعة المفروضة عليه فيها الإستسلام وفيها سجود لله وهذا عام لخلق الله كله وهذا هو المقصود بالآيتين السابقتين، وكذلك عندما خلق الإنسان لم يخير وهكذا...

والله تعالى يعلم أن الحاكم الإسلامي إذا تجبر واستبد منع الحريات عن الناس وبما أن رسل الرحمن لهم وظيفة أخرى مع التبليغ وهو أن يكونوا أمراء وحكام للمؤمنين فهل يسمح الله لهم بأن يستبدوا ويتجبروا بالمؤمنين؟

إن الله تعالى ينفي عن نفسه ظلم الناس ويقول:
﴿...وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ - ٤٥ ق.
لماذا لا يسمح الله بالتجبر على عباده؟
لعلمه أن الإستبداد والتجبر ظلم وهو سبحانه غير ظلام للعبيد:
﴿مَا يُبَدَّلُ القَولَ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا بِظَلامٍ لِّلعَبِيدِ﴾ - ٢٩ ق.
وهكذا نعلم أن الله تعالى يأمر رسوله أن لا يتجبر على الناس باسم الدين وعليه فقط تذكيرهم بالقرآن لمن كان في قلبه خشية لله، والله تعالى يحترم مشيئة الإنسان وحريته في الإختيار سواء اختار الإيمان أو اختار الكفر فهو حر فيما يختار وحتى لو أرتد عن الدين حسابه على الله وليس على الناس.

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر...﴾ - ٢٩ الكهف.
﴿قُل يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ * لآ أَعبُدُ مَا تَعبُدُونَ * وَلآ أَنتُم عَابِدُونَ مَآ أَعبُدُ * وَلآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم * وَلآ أَنتُم عَابِدُونَ مَآ أَعبُدُ * لَكُم دِينُكُم وَلِىَ دِينِ﴾ ١ - ٦ الكافرون.

والإنسان حر شاء تقدم بالإيمان وإن شاء تأخر بالكفر والإشراك.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ﴾ ٣٧ المدثر.

والقرآن تذكرة للناس فمن شاء منهم ذكر الله:

﴿كَلا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ﴾ - ٥٤ - ٥٥ المدثر.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ - ٢٩ الإنسان.

﴿ذَلِكَ اليَومُ الحَقُّ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَئَاباً﴾ - ٣٩ النبأ.

والقرآن ذكر للعالمين لكل من يريد أم يستقيم في الحياة الدنيا:

﴿إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُم أَن يَستَقِيمَ﴾ - ٢٧ - ٢٨ التكوير.

والله لا يُكرِه الناس على عبادته، بل قال رسوله أن يعلن للناس مطلق الحرية الدينية في العبادة:

﴿قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلِصاً لَّهُ دِينِي * فَاعبُدُوا مَا شِئتُم مِّن دُونِهِ...﴾ - ١٤ - ١٥ الزمر.

وحتى في العمل فالله تعالى أعلن حرية العمل من شاء أصلح ومن شاء أفسد:

﴿...اعمَلُوا مَا شِئتُم إِنَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ - ٤٠ فصلت.

وحتى الهداية ليست بالإكراه بل بحسب مشيئة الإنسان ورغبته:

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِى مَن يَشَآءُ...﴾ - ٢٧٢ البقرة.

بعد أن استمعنا إلى آيات الحرية هذه في القرآن الكريم لابد لنا بعدها أن نعلم رأي الله تعالى في الردة والإرتداد عن الدين فما حكم الله في هذا الموضوع؟

سوف أورد كل الآيات المتعلقة بالموضوع دون استثناء حتى لا يظن المسلم بأن هناك غيرها من الآيات في كتاب الله المبين:

أول آيه في القرآن تقول ويستخدم فيها سبحانه كلمة (يرتدَّ)

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوفَ يَأتِى اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَومَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ - ٥٤ المائدة.

الآية الثانية في القرآن تقول: ويستخدم فيها سبحانه كلمتان: (يردوكم - يرتدد)

﴿...وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ استَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد مِنكُم

عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِى الدُّنيَا وَالأَخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ٢١٧ البقرة.

وليس في كل القرآن إلا هذه الكلمات الثلاث التي وردت في آيتين فقط من القرآن ولها علاقة بالمرتدين عن الدين الذي أساسه مبني على الحرية الدينية كما لا حظتم في الآيتين ولكن الطاغوت الذي سحب كل الحريات من أول استلامه لحكم المسلمين لم يعجبه ذلك فسعى جنوده إلى تسمية حرب أبو بكر الصديق مع أصحاب الفتنة في الإسلام بالمرتدين حتى يكون له الإذن بعد ذلك في محاربة من يرتد عن الدين علماً أن ذلك كله كان بإجراء من السلاطين وليس لله أو لرسوله الكريم علاقة بالموضوع بدليل خلو كتاب الله خلواً كاملاً عن أي آية تجبر أي إنسان على أي دين كان بل العكس هو الصحيح فالله سبحانه يوصي دائماً رسله جميعاً وخاصة رسوله الكريم محمد ﷺ بأن لا يكره أحداً على الإيمان، مبيناً حدود رسوله وطالما حدد الله حدوده فإن من سيخلفه يجب أن يقتدي به فالرسول ليس له وكالة من الله حتى يتكلم باسم الله بل عليه مجرد البلاغ:

﴿...قُل لَّستُ عَلَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ - ٦٦ الأنعام.

وحتى لو أشرك الناس أو كفروا لا يستطيع الرسول أن يجبرهم على الإيمان:

﴿وَلَو شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشرَكُوا وَمَا جَعلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظاً وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ﴾ - ١٠٧ الأنعام.

حتى الذين يشركون بالله ويدَّعون غيره يطلب سبحانه أن يتركوهم وشأنهم ولا يسبوهم حتى لا يسبوا بالمقابل دين المؤمنين:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدواً بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ١٠٨ الأنعام.

والرسول الأمين بما أنه يبلغ كلام الله للناس الذي يتنزل عليه بالوحي وعلى المؤمنين أن يطيعوا تلك الآيات المبلغة لهم إن كانت أوامر أو نواهي مثل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ...﴾ - ١٨٣ البقرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ...﴾ - ٢٨٢ البقرة.

وهكذا فالذي يطيع الرسول في هذه الآيات وأمثالها إنما يطيع الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرسَلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظًا﴾ - ٨٠ النساء.

أي أن الرسول إذا وجد احداً قد أدار ظهره بعد أن سمع القرآن، تركه لحريته

ومشيئته إن شاء أقبل وآمن وإن شاء أدبر وكفره وحسابه على الله تعالى وليس على رسوله أو على أولياء الأمور.

وفي كل رسالات الله تعالى هذه الحرية (حرية العقيدة) مصونة ومحترمة من قبل الله تعالى إذ لم يأمر أي رسول من رسله بأن يحارب قومه من أجل إجبارهم أو إكراههم على الإيمان أبداً، فهذا صالح يرسله ربه إلى ثمود فماذا قال للذين لم يستمعوا له منهم؟

﴿فَتَوَلَّى عَنهُم وَقَالَ يَاقَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحتُ لَكُم وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِين﴾ ـ ٧٩ الأعراف.

وكذلك قال شعيب:

﴿فَتَوَلَّى عَنهُم وَقَالَ يَاقَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحتُ لَكُم فَكَيفَ ءَاسَى عَلَى قَومٍ كَافِرِين﴾ ـ ٩٣ الأعراف.

وهكذا حصل مع كل رسل الله فلم يكره سبحانه أحداً على الإيمان به، رب العالمين يعلم قبل خلقه أن منطقة الإيمان مصونة لا يمكن أبداً إكراه الإنسان على دين وإن فعله وقاله بلسانه يكون قد أضمر وحقد على الشر وهذا ليس مراد الله من الدين.

وقد فعل سلاطين بني عثمان في كل أوروبا تماماً عكس ما أمر الله به في كتابه المبين مقتدين بأحاديث مفتراة ما أنزل الله بها من سلطان فأدخلوا أوروبا الشرقية كلها إلى الإسلام بحد السيف (بلغاريا ـ رومانيا ـ المجر ـ وبلاد البلقان حتى حدود النمسا والمانيا ولكن ماذا استفادوا من مخالفة شرع الله وقانونه السماوي؟

حقدٌ دَفِينٌ من الأوروبيين وارتداد عن الدين وكذلك حصل في إسبانيا وقبرص وكريت وغيرها من البلاد التي أدخلت إلى الإسلام بالسيف، أما ما حدث في زمن الرسول من حرب خاصة قال الله تعالى فيها لرسوله الكريم:

﴿فَقَاتِل فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفسَكَ...﴾ ـ ٨٤ النساء.

هذه الحرب لم تكن لنشر الإيمان والإسلام بل كانت من أجل فرض السيطرة السياسية على المناوئين والمعارضين لسلطة الإسلام في الجزيرة العربية.

فكانت حرباً من أجل كف بأس الكافرين حتى لا يضطر المسلمين للقتال مع الفرس والروم وجيوشهما الجرارة وظهرهم مكشوف وبيوتهم عورة يمكن أن يغزوها أعداء

داخليون خلال غياب المقاتلين في حرب طويلة خارج البلاد ولعلم الله تعالى أن ذلك مستحيل عملياً، سمح لرسوله بقتال خاص أنهاه سبحانه قبل موت رسوله الكريم ضد زعماء القبائل المناوئة والمعادية للإسلام من حلفاء بني قريش الذين تزعموا أعداء المسلمين بزعامة أبو سفيان بن حرب الأموي والله يعلم أن النظام القبلي استبدادي يسير على رأي زعيمها إن رَفَعَ السلاح رفعوا معه السلاح والعكس صحيح. وكانت غاية الحرب سياسية (ليكف بأس الذين كفروا) ولم يقل سبحانه أبداً ليفرض الإيمان أو الإسلام عليهم لأنهما لا يفرضان وعند استسلامهم ورميهم للسلاح أو قولهم باللسان (أشهد أن لا إله إلا اله) كان الرسول يتوقف عن قتالهم بعقد الصلح معهم وأعطى كثير من زعمائهم أموالاً كثيرة تحت ما سمح به الله تعالى باسم المؤلفة قلوبهم.

وهذا ما تشرحه الآية الكريمة:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفسَكَ وَحَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأساً وَأَشَدُّ تَنكِيلا﴾ ـ ٨٤ النساء.

وإذا لاحظنا دقة الله في التعبير فقد تجنب سبحانه أن يقرن عبارة (وحرض المؤمنين) بكلمة: القتال مع أنها مفهومة حتى لا يستخدمها أولي الأمر من الذين سيخلفون الرسول الكريم حجة لحرب استعمارية كما فعلها خلفاء بني عثمان في النهاية. كما شرحت سابقاً لم يحصل في الإسلام ارتداد عن الإسلام إلا لمن أدخلوا إلى الإسلام أصلاً وبداية بالقوة والإكراه أو الخوف مستندين إلى أحاديث مفتراة على الله تعالى ورسوله الأمين مثل الحديث التالي:

الحديث ٤٥٥٧ من صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في شرح الآية:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ...﴾ ـ ١١٠ آل عمران.

قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام».

هذا الأسلوب الذي أحبه السلاطين بعكس أسلوب القرآن المبني على حرية الإنسان الفكرية ومشيئته التي يحترمها الإسلام بدليل ما رأيتم من آيات بينات لذلك كان السلاطين بشكل عام وسلاطين بني عثمان بشكل خاص مثالاً نموذجياً لنشر الدين بالسيف حيث فرضت جيوشهم الإسلام في أوروبا الشرقية وبلاد البلقان واليونان كما

رأيتم كما فرضت الإسلام على اليهود الذين طردتهم إسبانيا بعد ارتدادها عن الدين الذي فرض عليها بالسيف لأكثر من ثمانية قرون فأتت بهم السلطنة العثمانية وأسكنتهم في سالونيك شمال اليونان.

عرفوا بعد ذلك بيهود الدونمة وكان لهم دور أساسي ورئيسي في القضاء على السلطنة العثمانية نفسها.

بينما إذا عدنا للتاريخ الإسلامي نجد أن الخلفاء الراشدين يضاف عليهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز مع بعض الفترات التي عاد التمسك بالقرآن كمصدر رئيسي للدين في عهد بعض المماليك وفي عهد نور الدين زنكي ومن ثم في عهد صلاح الدين الأيوبي، فيما عدا ذلك كان الدين كله بزعامة دين الطاغوت الذي لا يعترف بالقرآن الكريم إلا اسماً وشرعه كله شرع الحديث فكانت كلها عهود تجبر وظلم واستبداد بلا حدود، واشتد ذلك في عصر الخلفاء العثمانيين حيث صار الظلم عامل من عوامل الطبيعة مثل الطوفان والطاعون لابد للناس من أن يقاسوا منه وكأنه قدر من الله عليهم،وقد كان ذلك كله بزعامة رجال دين السلاطين وتحت أيديهم مفتريات اعطيت القدسية أيام حكم الطواغيت ويتلون الأحاديث بدل تلاوة القرآن.

وأغلب علماء المسلمين اليوم من الذين يعلمون هذه الحقائق ولكنهم لا يريدون الإفصاح عنها خوفاً على امتيازاتهم من الزوال وخوفاً على بضاعتهم من الكساد فمن يدفع لهم في مقابل قول الحقيقة؟ لا أحد.

بل ربما كفَّرَهُ الباقون من زملائهم وزعموا أنه من المرتدين الكفرة ومن الواجب بحسب نفس ما عندهم من أحاديث، قتلهم والتخلص منهم فهم ما يزالون يرون ظلم الطواغيت للناس مقابل تلك الإمتيازات حق شرعي لهم.

﴿...فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ـ ٩ الأعراف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٢ ـ الفقرة الثانية: لماذا خلقنا الله؟

إن هذا السؤال الهام هو سؤال دائم يطرحه كل متفكر في خلق الله منذ آدم وإلى اليوم.

ولكن مع علمي بأهمية السؤال فإني مؤمن إلى حد اليقين أن الإنسان وحده أعجز

من أن يجد لذلك التساؤل الكبير جواباً صحيحاً إذا كان مصدره يعتمد على مكتسبات الإنسان من الكتب فحسب.

ولكني مؤمن أيضاً بأن من يبحث عن الجواب في كتاب الله المبين الذي لم يفرط فيه سبحانه من شيء فسوف يجد ما يبحث عنه.

فالله سبحانه يعلمنا سلفاً أن له سنن في الخلق ومن تلك السنن الهامة بالنسبة لنا سنة التطور مع الزمن: وسنة الخلق على مراحل أيضاً من أجل التطوير مع الزمن.

﴿وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾ - ١٤ نوح.

وقد ابتدأ الله الخلق البشري من نفس واحدة:

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا...﴾ - ١٨٩ الأعراف.

وجعل قانونه في الأرض من بعد الخلق باعادة بالتناسل بين الزوجين:

﴿...كَمَا بَدَأنَآ أَوَّلَ خَلقٍ نُّعِيدُهُ...﴾ - ١٠٤ الأنبياء.

هذه الآية القصيرة تعلمنا عن أكبر حقيقة علمية في التطور:

إذ تقول لنا ما يجري في بطن الحامل من أول لحظة لإلتقاء النطفة الذكرية مع البييضة الأنثوية حيث يمر الجنين بجميع مراحل التطور التي مر بها المخلوق الإنساني من يوم بدأ خلقه في الطين كخلية مفردة إلى أن جعله الله تعالى في أحسن تقويم ماراً بمراحل كانت تقاس لملايين السنين بالنسبة للإنسان وهي مجرد لحظات بالنسبة للخالق العظيم المتحرر أصلاً من الزمان والمكان.

وكانت آخر مرحلة من مراحل المخلوق البشري هي عندما اصطفى الله سبحانه آدم من أشباهه من باقي البشر ليجعله الإنسان الأول:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى ءَادَمَ...﴾ - ٣٣ آل عمران.

وإن لم يكن في الخلق شبيهاً لآدم لما كان هناك معنىً للإصطفاء!

ومن بعد الإصطفاء منح الله تعالى آدم شيئاً خاصاً لم يمنحه مخلوقاً قبله إذ جعله مخلوقاً مفكراً مبدعاً قادراً على الخلق والإبداع بإذن الله ومشيئته كما منحه العلم والتعليم بالقراءة والكتابة بالقلم، ولعلم الله تعالى أن الخلق والإبداع لا يتمان في جو التجبر التسلط على الإنسان بل في جو الحريات، حيث جعل الله تعالى مخلوقه حراً

وجعل له مشيئته الخاصة له وحده من دون تدخل أحد حتى منه تعالى، وذلك طبعاً بإذن الله تعالى ومشيئته، وجعله ناطقاً وعلمه صفات الأشياء كلها وخواصها وجعلها في مستودع ذاكرة الإنسان الكبيرة التي تستطيع أن تستوعب تاريخ آبائه الأولين كلها مع ما تعلموه في الأرض، فأسجد الله تعالى جميع ملائكته إكراماً لهذا المخلوق المتميز المختار من بين باقي مخلوقات الله كلها.

وبعدها كثر أبناء آدم في الأرض وشكلوا أمة واحدة، والله تعالى لم يرسل لهم أحداً من الرسل بعد:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَآءَتهُمُ البَيِّنَاتُ بَغياً بَينَهُم فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ وَاللَّهُ يَهدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ - ٢١٣ البقرة.

فالناس كانوا أمة واحدة، لأن الجميع كانوا يتصرفون حسب أهوائهم وشهواتهم بلا قانون أو دستور ينظم تلك الأهواء والشهوات، فكانت مشيئة الله تعالى أن يبدأ معهم سلسلة طويلة من الرسالات وهو يعلمهم بأن لوجودهم غاية وهدف وليس مجرد لهو الحياة على الأرض وأن الله سوف يصطفي من سلالته المؤمنين الصالحين الأتقياء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ - ١٣ الحجرات.

ماذا نلاحظ من هذه الآية الكريمة من أمور تلفت النظر وتتعلق بأسرار الخلق؟

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقنَاكُم﴾ فهل خلقنا الله عبثاً ولهواً ولعباً وتسلية؟

أم خلقنا لهدف وغاية يريد الله سبحانه أن يصل إليها ونحن ما زلنا على الأرض أبناءً وأحفاداً من بعد آباءنا وأجدادنا، إن الله ينبهنا وكأنه يجيب على هذا التساؤل فيقول:

﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً...﴾ - ١١٥ المؤمنون.

﴿وَمَا خَلَقنَا السَّمَآءَ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا لاعِبِينَ * لَو أَرَدنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهواً لاتَّخَذنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - ١٦ - ١٧ الأنبياء.

من هنا نكتشف أن الله تعالى قد خلقنا لهدف وغاية يريد سبحانه الوصول إليها من

خلال عمليات الخلق، وحتى لا يخرج الإنسان عن الطريق المؤدي لتلك الغاية كان لابد من تكرار الرسالات الإلهية لتخطي عقبات الحياة ومغرياتها.

والمسلمون اليوم أمامهم عقبة كبيرة للتحرر من الأفكار السلفية المتحجرة التي مر عليها سنين طويلة من غير تطوير وأغلبها من التي بدأت مع ابتداء عهد السلاطين وبعد انتهاء الخلافة الراشدة مباشرةً وإلى يومنا هذا.

حيث أنهم أجمعوا أنطلاقاً من ظن الكمال المطلق لله تعالى بأنه لايمكن أن يكون لديه سعي لأي هدف أو غاية في خلقه، ومن ثم اعتبر هذا الكلام حقيقةً وقانوناً وقاعدةً فصار هو الطابع المميز للتفكير الإسلامي متناسين الحقيقة الكبرى وهي السؤال الأساسي:

أين قال الله تعالى عن نفسه بأنه كامل؟

ليس في صفات الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم هذه الصفة أبداً لأنه لو كان كاملاً ولا يسعى إلى شيء أبداً لما خلقنا أصلاً.

ولو أننا فهمنا من هو الله من خلال الأسماء أي الصفات التي يتصف بها الله تعالى التي تحدث عنها في كتابه القرآن الكريم لما وقعنا في ذلك التناقض ولعلمنا من صفات الله الأخرى مثل التي نجدها في الآيتين التاليتين:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - ٢٣ - ٢٤ الحشر.

إن الصفات المذكورة في هاتين الآيتين مع صفات أخرى كثيرة ذكرت في آيات أخرى جميعها لا معنى لها إذا جردنا الله تعالى من مخلوقاته كلها فكيف يمكن لله تعالى أن يكون:

ملكاً وقدوساً ومهيمناً وجباراً ومتكبراً وخالقاً وبارئاً ومصوراً وكريماً ورحماناً ورحيماً وغفاراً ورزاقاً بدون أن يكون له مخلوقات؟ وبدون أن يكون عنده كون من خلقه ليهيمن عليه؟

والله سبحانه لم يكذب علينا ولم يقل عن نفسه أنه كامل بدون خلقه أبداً.

ولم يصف نفسه بصفة الكمال أبداً بل قال تعالى عن نفسه أنه غني عنهم!

وطالما فهمنا من البداية أن لله تعالى من خلقه هدف وغاية يسعى إليها لا بد أن نعلم أن ما يجريه على الإنسان من اختبار في الأرض له هدف محدد من خلقه للإنسان ومن تعليمه ومن إرسال الرسل إليه لنصحه ووعظه ومن تطويره مع الزمن حتى يصل به إلى أمة واحدة تختار الوحدة الإنسانية على الأرض عن قناعة وعن علم بأن في تلك الوحدة مصلحتها الكبرى وكذلك في السلام العالمي والإنتهاء من سفك الدماء أيضاً مصلحة لكل الإنسانية.

وأن كل ما فعله الإنسان سابقاً من أخطاء كبيرة و من اتباع الأهواء والشياطين المضللين الذين جعلوه يظلم الناس ويظلم نفسه كانوا لا يريدون مصلحته وكما لا يريدون منفعته وإنما منفعته ومصلحته قائمة بالإيمان بالله وحده بلا شريك أبداً مع الإيمان برسالته أيضاً بدون إشراك أي مصدر أخر معه وأن هذا الإيمان إذا لازمه التطبيق الواعي مع التقيد بالعلم الصحيح الذي هو سبيل الله عندها فقط يمكن للإنسان أن ينجح في مهمة الإستخلاف في الأرض لينشأ بعدها جنته الأولى على الأرض حيث ينتشر في الأرض كلها السلم والأمن والإطمئنان ليستحق بعدها الإنسان جنته الخالدة يوم القيامة عند رب العالمين:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ـ ٤٦ الرحمن.

جنةٌ في الدنيا وجنة في السماء، هذا هو الإختبار القائم حالياً للإنسان على الأرض وهذا هو هدف الله تعالى من خلق الإنسان بالذات كمخلوق أرضي وهذا هو ما يهمنا نحن أبناء آدم أن نعرفه لأن هذا هو كل ما يخصنا من خلق الله في هذا الكون الفسيح الذي قد يحوي أمثالنا ملايين الأنواع من المخلوقات في ملايين الشموس التي تسبح في الفضاء الكوني حولنا دون أن نعرف عنهم شيئاً، وحول كل شمس منها عشرات من الكواكب مثل كوكبنا الأرضي.

ومن أجل هذا أرسل لنا الله الرسل والرسالات يدعون شعوب الأرض إلى الإيمان بالله واليوم الآخر من دون أن ينسوا عهد الإستخلاف والميثاق الذي وافق عليه آدم بداية لإعمار الأرض بأعمال الخير من غير افساد فيه. ورسب في ذلك الإختبار أغلب خلقه وحتى آدم قال عنه ربه في نتيجة الإختبار:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ـ ١١٥ طه.

ومن بعد آدم دخل إلى الإختبار شعوب وقبائل وأقوام وأمم كثيرة رسب أغلبها حتى

وصل العهد بنوح عليه السلام فماذا كانت نتائج اللإختبار في عصر نوح: حيث بلغ عدد المؤمنين من قومه ما يستطيع حمله في سفينة واحدة ومن هنا نستدل أن نسبة المؤمنين الذي اصطفاهم الله للعبور من المرحلة التي كانت قبل نوح إلى مرحلة ما بعد الطوفان أريد أن ألفت نظر القارئ إلى بعض سنن الله في خلقه كأمر تطوير وتحسين الخلق في النسل:

إن علماء الأحياء والأجنة يعلمون اليوم بأن المخلوقات عندما تقذف بالنطاف المنوي داخل المهبل تتحرك تلك الحيوانات المنوية للتسابق إلى البويضة تماماً كما تهاجر سمكة السالمون من البحر إلى النبع متسلقةً الشلالات والمصاعب للوصول إلى مكان الوضع والإختلاف هنا بأن حيوان منوي واحد هو الأقوى يتم اصطفائه ليكون الملقح للبويضة الوحيدة،وفي سمك السلمون لا يصل إلى رأس النبع إلا من استطاع التغلب على كل ما في وجهه من صعاب ليكون الأب أو تكون الأم للجيل الجديد من السلمون الذي لابد ان يكون أقوى من والديه متطوراً مع سنة الله في الكون نحو الأحسن مطوراً بالكائن كل يوم:

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِى أَحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشكُرُونَ﴾ - ٦ - ٩ السجدة.

وهكذا نجد أن سنة الله في خلقه هو الإصطفاء، وإن اصطفاء الله للبشر الداخلون إلى جنة الأرض أولاً من المؤمنين الصالحين.

﴿مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ لتأسيس الأمة الواحدة والتي تسعى للبناء والإعمار ولاتسعى للتخريب والقتل.

وهكذا نكتشف من آيات الله تعالى في كتابه المبين أنه قد خلقنا حتى نتطور من أمة واحدة كان اتحادها بالإتجاه إلى الأهواء وشهوات الأرض، ساعية وراء مصالحها الذاتية وتحقيق اللذة لغرائزها الحيوانية، إلى أمة واحدة مجتمعة على الخير الفردي الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من خير الجماعة والأمة المسلمة الواحدة في العالم كله على مبادئ الحق والخير والسلام وعندها فقط يمكن أن يتحقق هدف الرحمن من الخلق، بتوقف الإنسان عن سفك الدماء والإفساد في الأرض فعندها يكون الناس قد دخلوا إلى ما أنجزوه من جنة الأرض لينالوا به جنة الآخرة التي في السماء.

٣ ـ الفقرة الثالثة: هل دين الرحمن والسلام دين قديم أم أنه دين جديد؟

ـ إن دين الإسلام الذي يدعوا إليه الرحمن هو دين المحبة والسلام والإخاء على مبادئ العقل والعلم والعمل ليكون ديناً للناس كافة في الأرض من دون تفريق في الجنس أو في العرق أو بتفضيل أمة عن أمة أو قومية على غيرها وجعل مقياس التفاضل الوحيد فيه هو للتقوى التي يمكن شرحها بأنها طاعة الله فيما أمر به مع الإحسان في معاملة الناس وخشية الله حاضرة في نفس العبد مع المثابرة والمتابعة للأعمال الصالحة في الأرض خدمة لمجتمع المسلمين.

دين الرحمن هو الدين الذي بدأه سبحانه بإبراهيم عليه السلام وختمه على يد خاتم النبيين محمد ﷺ مروراً بالأنبياء والرسل التالية اسماؤهم: «اسماعيل، اسحق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داوود، سليمان، إلياس، أيوب، زكريا، يحيى، عيسى» الصلاة والسلام عليهم جميعاً.

لقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم وهو يوصي بنيه:

﴿وَوَصَّى بِهَآ إِبرَٰهِـمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ ـ ١٣٢ البقرة.

وكما قال سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ ـ ٩ الصف.

وكما قال تعالى لرسوله الكريم وخاتم أنبيائه:

﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ ـ ٢٨ سبأ.

إن العبارة الأخيرة من الآية: ﴿...وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ لها دلالة خاصة بأن دور الدين لم يبدأ بعد حتى ينتهي وإن كان الناس إلى هذا اليوم يجهلون هذه الحقيقة الكبرى.

والإشارة الثانية من القرآن الكريم على تلك الحقيقة قوله تعالى على لسان الملائكة:

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعلَمُ مَا لا تَعلَمُونَ﴾ ـ ٣٠ البقرة.

أولاً يجب أن ننتبه لقول الله تعالى ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرضِ خَلِيفَةً﴾ وهو سبحانه يقصد ذرية آدم الذي سيتطور حتى يصل إلى مراحل متقدمة من الحكمة والعقل والعلم والمعرفة إلى الإدراك بأن مصلحته كإنسان في الأرض لا يمكن أن تتم إلا بطاعة الله من خلال تطبيق شرعه ودستوره الموجود في رسالته الدائمة والثابتة للناس كافة مدركاً أن كل ما طبقه الآباء والأجداد من السابقين من سبل اقترحوها نتيجة اتباعهم لأهوائهم وغرائزهم كانت جميعها ضارة وضالة للإنسان بشكل عام، تضررت منها كل الإنسانية وتعذبت نتيجة ذلك الضلال عذاباً أليماً وذلاً وهواناً وغضباً شديداً ونقمة من رب العالمين.

واليوم بدأ يدرك هذا الإنسان العَالِمُ الذي خرج من نسل الإنسان الأول الذي وصل إلى مستوى من التطور والتقدم والإدراك عن ثقة وعن علم بأن سفك الدماء الذي حصل في تاريخ الإنسان من آبائه الأولين لم يكن في مصلحته وإنما مصلحته قائمة على التعايش في سلم ومحبة وتعاون على شرائع الله ودستوره الموجود في رسالته الأخيرة للناس كافة.

وبدأ هذا الإنسان يعلم هدف الله تعالى الذي يسعى إليه من خلال تجربته الطويلة في الأرض مع فتنة الناس دائماً بالشياطين مختبراً مدى قوة إيمانهم ويقينهم بالله وبكتابه، ومدى قدرة الإنسان على استخدام عقله وفكره كوسيلة للكشف عن الحقائق والوصول بها إلى البراهين بالإستدلال ليدرك أين هو الكتاب الذي عليه برهان حقيقي لايمكن تكذيبه عقلاً من أحد أنه من الله تعالى حتى يتبعه مع إهمال كل الكتب الأخرى التي لا دليل على صحتها ولا برهان يؤكد أنها من رب القدرة حتى لا يخدعه بعد ذلك شيطان مستبدلاً الكتاب له بغيره من أجل إضلاله من جديد. هذا الإنسان هو الذي سيختار أن يسجد لله تعالى عن محبة وطاعةٍ كاملة حتى يخلصه الرحمن بذلك السجود والطاعة من كل أنواع السجود الأخرى في الأرض للمستبدين من الطواغيت لأنه أدرك أنه إذا لم يسجد لله طوعاً سوف يضطر لاحقاً أن أن يسجد للطاغوت قهراً وتسلطاً واستبداداً.

﴿...وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً...﴾ - ٨٣ آل عمران.

﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً...﴾ - ١٥ الرعد.

﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الأَرضِ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ

وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ العَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ - ١٨ الحج.

هذه الآية من الآيات الرئسية في كتاب الله يعتمد بفهمها الإنسان التعرف على حقائق كثيرة من مقاصد الرحمن في كتابه الكريم.

كثير من الناس اختاروا طاعة الله تعالى عن علم ومعرفة فبلغوا السعادة والسلام والأمن والرضى وكثير منهم ما يزالون يعذبون ويهانون في الأرض لأنهم لم يدركوا أين تقع مصلحتهم الحقيقية ولم يعرفواأهمية الإيمان في الخلاص أولاً من عذاب الجحيم الذي في الأرض ليس إيماناً وهمياً مثل الإيمان القائم على أديان السلاطين اليوم بل إيمان كل الإنسان بوحدانية الله ووحدانية دينه ووحدانية كتابه وشرعه ودستوره... وأن الله هو الذي يسعى لتوحيد بني الإنس جميعاً في أمة واحدة تؤمن بالله الواحد الأحد.

وبدين الله الواحد وبكتاب الله الواحد. ولكن ليس بالقوة بل بالعقل والمنطق والحكمة والموعظة الحسنة حتى يسعى الإنسان بعدها عن رغبة في أن يوحد دينه ليدخل إلى دين الله الحقيقي الذي هو دين السلم والسلام والإسلام ويترك أديان الشرك التابعة للشياطين وللسلاطين جميعاً:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادخُلُوا فِى السِّلمِ كَآفَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ - ٢٠٨ البقرة.

والله تعالى لم يرسل دين السلام هذا لأمة أو قومية دون سواها بل أرسلها للناس كافة بشهادة الله تعالى وحده:

﴿...وَأَرسَلنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ - ٧٩ النساء.

﴿قُل يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَمِيعاً...﴾ - ١٥٨ الأعراف.

﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ...﴾ - ٥٢ ابراهيم.

﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٢٨ سبأ.

﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ - ١٨٥ البقرة.

وهكذا يتبين لنا أن دين الرحمن دين قديم قدم الإنسان على الأرض لكن الله تعالى لم يعلنها أنها لكافة الناس إلا في آخر رسالة له وهي رسالة القرآن.

والتساؤل الكبير الذي يأتي بعد جوابنا على التساؤل السابق هو:

هل المسلمون الحاليون على اختلاف طوائفهم وأحزابهم وشيعهم ما يزالون على سبيل الله الصحيح وعلى صراط الله المستقيم؟

أم أنهم جميعاً وبدون استثناء لطائفة أو لمذهب أو لطريقة أو لشيعة أو لحزب جميعاً على سبل الشياطين؟

لقد أجبت على هذا التساؤل في كتاب كامل اسمه البرهان «دين السلطان» مبيناً أن كل ما مع المسلمين اليوم من دين على أنه الإسلام هو دين مزيف من صنع السلاطين وكلها ضالة ومناقضة لدين الرحمن الموجود والمحفوظ في القرآن الكريم دون أن يحاول فهمه أو تطبيقه أحد إلا قلة من المسلمين إلى هذا اليوم.

وكما لم يبق من الذين كانوا يطبقون الدين كما طبقه الراشدون إلا قلة قليلة جداً من أفراد متفرقون لم يعد لهم دور ولا وزن في أمة المسلمين والتساؤل الكبير الثالث هو:

هل النموذج المطلوب تنفيذه من قبل المؤمنين الجدد هو ما طبقه الرسول الكريم في حياته سواء في مكة أو في المدينة المنورة، أم المطلوب الإقتداء بما طبقه الخلفاء الراشدون الأربعة من بعده؟

قبل التسرع بالإجابة لابد من تذكر الظروف التي كانت تلازم تطبيق الإسلام في حياة الرسول الكريم وكلها من الأمور التي لا يمكن أن تتكرر أبداً مع أحد من بني الإنس في تطبيقه للإسلام مثلاً:

لقد كان الله تعالى حاضراً وبشكل دائم للظروف والمشاكل والأحداث التي مرت بالإسلام عن طريق الوحي الذي كان يكشف للرسول الكريم عن المنافقين إذا نافق فريق منهم والمتخاذلين إنا تخاذل فريق منهم والخائنين إذا خان أحد منهم وقد كان الله تعالى هو الذي يجيب على تساؤلات المؤمنين والكافرين ويحكم في القضايا التي تعرض للرسول مشيراً له بكل ما يلزم وما يجب فعله في المعاملات وفي الإدارة والحرب والبيع والقروض وكيف يتصرف المسلم في البيت وفي المسجد وفي الأسواق وفي ساحات المعارك فالأمر والحكم كله كان لله تعالى في تلك الفترة والرسول الكريم لم يكن له من الأمر شيء إلا دوره كوسيط بين الله والناس مبلغا ما يصله من ربه بالوحي أو مطبقاً أحكام ربه على المؤمنين.

فالله تعالى هو الذي أذن لرسوله بحرب خاصة لها أهداف سياسية من أجل فرض سيطرة المؤمنين على الجزيرة العربية بعد إخراج اليهود منها قبل التوجه للدفاع عن

الإسلام من أعدائها الخارجيين من الروم والفرس مع متابعة أحداث تلك الحرب الخاصة من قبل رب العالمين والتدخل فيها حتى لا تخرج عن أهدافها، وهذه الحرب ليس لها علاقة بمنهج الإسلام والمسلمين ولم يكلف بها رب العالمين أحداً من المسلمين إلا رسوله بالذات شخصياً ولم يحرض سبحانه بشكل رسمي أحداً من المسلمين للقتال فيها حتى لا تصبح بعد ذلك سنة للمسلمين من بعد الرسول.

التكليف أتى باسم الرسول وحده شخصياً وبصيغة المفرد:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ - ٨٤ النساء.

وكما تلاحظون فقد تحاشى رب العالمين أن يربط كلمة القتال مع عبارة ﴿...وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ في هذه الحرب الخاصة، والله تعالى بين غاية هذه الحرب السياسية بأنها لكف قوة وبأس الكافرين من زعماء القبائل في الجزيرة العربية قبل الحشر الذي لابد منه لمحاربة الروم والفرس ولم يقل أبداً من أجل نشر الدين والإيمان بالقوة إن المسلمين لم يفهموا هذه الآية لأن اعتمادهم كان على الحديث في فهم الدين فوقف حاجزاً عن الرؤية لحقائق الله ومانعه لفهم آيات القرآن الكريم لأن السلطان كان يقصد فعلاً أن لا يفهم المسلمون الحقيقة أبداً.

ولن يفهم المسلمون كتاب الله ما تمسكوا بالحديث المفترى على الله والرسول، والمسلمون ما زالوا يظنونه أنها من أقوال الرسول الشريفة ولا يعلمون أنها افتراءات وتحريفات شياطين السلاطين.

كل هذه الأمور مجتمعة تؤكد بأن الدين الذي طبقه الرسول الأمين لا يمكن أبداً أن نجاريه ولا يمكن أن نقلده كنموذج أبداً لأنه ليس تحت تصرفنا ما يشبهه مما كان تحت تصرفه في تلك الأيام من تدخل السماء المباشر في الأمور الذي انتهى عهده بعد وفاته مباشرة.

لكن النموذج الصحيح الذي يمكننا الإقتداء به كنوذج للحكم وللعدالةهو نموذج ما طبقه الراشدون منهم خاصة الخليفتان أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

ولكن الإسلام بدأ ينحرف عن طريقه السليم بعد كثرة المتآمرين من بعد مقتل عثمان بن عفان وحتى انتصار معاوية بن أبي سفيان في الفتنة الكبرى في الإسلام ويصبح زعيماً لأول سبل الشياطين التي بدأت من بعد الإسلام الحقيقي باسم السُّنة وما

ظهرمعها من فئات وطوائف أخرى سميت بأسماء مختلفة مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم حتى أصبحوا مئات الفرق والأحزاب كلها ضالة وكلها تدعوا إلى مصلحة الأقلية الغنية المتنفذة «الملأ» ظلماً للأكثرية التي أضلت وقبلت بالظلم جهلاً وبقيت خلال كل العصور تقاسي الفقر والقهر وكلا الفريقين ظالم والله لا يحب الظالمين لأن الفريق الأول إذا كان ظالماً للغير فالفريق الثاني لسكوته عن الحق ولقبوله بالظلم كان ظالماً لنفسه.

﴿...وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ - ٥٧ آل عمران.

والله تعالى لا يهلك من الشعوب إلا الظالمة سواء كان ظلمها لغيرها أو لنفسها:

﴿...هَل يُهلَكُ إلا القَومُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٤٧ الأنعام.

ومن سنن الله تعالى:

﴿...إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ - ٢١ الأنعام.

﴿...وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ - ٨٦ آل عمران.

وكما توعد سبحانه الظالمين بالعذاب:

﴿...وَاعتَدنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ - ٣٧ الفرقان.

علمنا حتى الآن أن المؤمنين الحقيقين هم الموحدين لله عن عقل وبصيرة وعلم والعارفين أن من يشرك بالله شيئاً من كتاب أو سنة أو حديث أو شفاعة هم من المشركين بالله ومن المغضوب عليهم في الدنيا والأخرة.

والسؤال الآن: إذا أراد المؤمنون اليوم الإقتداء بالخلفاء الراشدين هل عليهم فعلاً أن يعودوا للخلف ليقلدوا السلف من أجل تطبيق رسالة الرحمن من جديد؟

على كل مؤمن ومؤمنة أن يعلما ويؤمنا أن من سنن الله الثابتة سنة التطور في الأرض مع الزمن لكل شيء فلا شيء يثبت على حال أبداً، وما مضى قد انتهى زمانه وانتهى معه رجاله وأدواته ووسائله ولن يعود أبداً.

ولكل زمان جديد رجاله الجدد مع أدوات أخرى جديدة ووسائل أخرى جديدة تتناسب مع عصرهم وزمانهم ولهم مفاهيم جديدة تختلف عن المفاهيم القديمة وأعرافها وعاداتها وهذه سنة الله في الأرض، والعاقل هو من يحاول التلاؤم مع عصره وزمانه ومع معطيات ذلك العصر كله، والعاقل هو من لا يحاول المستحيلات مضيعاً الوقت مما

لا طائل منه، والعاقل هو من يؤمن بسنن الله تعالى ويسير معها ولا يعاكسها أبداً، بعد أن أدركنا هذه الأمور الهامة لا بأس أن نطرح بعدها تساؤلاً هاماً وجديداً.

كيف يمكن فهم آيات الله تعالى التي نزلت في القرن السابع الميلادي فهماً عصرياً بحسب معطيات القرن الواحد والعشرين:

مثل الآية القرآنية التالية مثلاً:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَولِيَآءَ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِى الْقَوْمَ الظَّلِمِينَ﴾ - ٥١ المائدة.

حتى نستطيع أن نصل إلى رأي مقبول عقلاً يجب أن نعلم قبل كل شيء لماذا يحذر الله تعالى المؤمنين الموحدين من اليهود والنصارى في القرن السابع الميلادي؟ هل لمجرد كونهم يهوداً ونصارى أم لسبب جوهري آخر؟

لقد كان اليهود هم الكافرين الظالمين المضللين وكانت النصارى من الذين أشركوا بالله تضليلاً من قبل اليهود الذين حرفوهم عن سبيل الإيمان الصحيح إلى الإشراك بالله بالتدريج حتى جعلوهم يؤمنون بربوبية المسيح ظلماً فأصبحوا من أتباع دين السلاطين (الطواغيت) لذلك فالمؤمن اليوم يجب أن يتطور فهمه للآية مسايراً لمعطيات عصره ومتلائماً مع تبدلات الموقف من القرن السابع الميلادي إلى القرن المعاصر له، فالنصارى صدَّقوا اليهود واتخذوهم أولياء فحذر الله تعالى الموحدين الجدد من صحابة الرسول الكريم منهم حتى لا يصيبهم ما أصابهم من كفر واشراك.

واليوم ماذا في الساحة من جديد حصل خلال أربعة عشر قرناً من الزمان؟

لقد وقع المسلمون في نفس الفخ الذي حذرهم سبحانه منه وأشركوا بالله على أيدي اليهود بعد أن بدأ سلاطين المسلمين يتخذون من أهل الكتاب أولياء حتى حرفوا لهم الدين بدين أخر مناقض له تماماً هو ما برهنت عليه في دين السلطان للمسلمين وهو من إخراج وإنتاج رجال من اليهود ادعوا الإسلام وساعدوا سلاطين المسلمين في تحقيق أحلامهم بالقضاء على رسالة الإسلام الحقيقية بأخرى مزيفة باسم الله والرسول افتراءً وتحت إسم الأحاديث النبوية الشريفة فخلقوا بذلك ديناً وشرعاً آخر لا يمت للإسلام الذي في القرآن إلا بالإسم، وبعبارة أخرى خلقوا له دين الإشراك الذي جعل السلطان هو الآمر الناهي المشرع باسم الله بأوامر وشرائع أقل ما يقال عنها أنها مناقضة لشرع الله وأوامره التي في كتابه المبين.

جاعلاً من مسلمي اليوم من اتباع كل السبل والطوائف والأحزاب على اختلاف أسمائها سواء كانوا من السنة أو من الشيعة هم من أتباع الدين المزيف تماماً كما فعل اليهود بالنصارى سابقاً.

يجب على المسلم هنا أن لا يفهم أن الذي حصل مع المسلمين قد حصل رغماً عن الله (معاذ الله) فالله كما نعلم قد استخدم كل الذين كفروا به ابتداءً من ابليس بإذن منه لفتنة المؤمنين لأنه شاء أن لا يبقي على أحد منهم يستطيع أن يحرفه شيطان عن دينه الحقيقي بسهولة وقد بين لنا سبحانه هذه الحقيقة في آيات الفتنة الكثيرة في القرآن مثل الآية التالية على لسان موسى عليه السلام بعد أن فتن الله تعالى قوم موسى عن طريق شيطان واحد هو السامري:

﴿...أَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِن هِيَ إِلا فِتنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغفِر لَنَا وَارحَمنَا وَأَنتَ خَيرُ الغَافِرِينَ﴾ - ١٥٥ الأعراف.

وكما وضح لنا سبحانه أنه يستخدم الشياطين باستمرار لفتنة المؤمنين واختبار قوة إيمانهم في كل عام مرةً أو مرتين فتصوروا مدى اهتمام الله بقوة إيمان عبده وعدم غفلته أبداً حتى لا يصير نهباً للشياطين.

﴿أَوَلَا يَرَونَ أَنَّهُم يُفتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَو مَرَّتَينِ...﴾ - ١٢٦ التوبة.

والله تعالى شاءأن لا يقبل من المؤمنين إلا المخلصين الذين يعجز كل الشياطين عن حرفهم لأنهم جميعاً من الذين آمنوا عن عقل بعد البحث عن الدليل والبرهان الذي أتى من بعد شك فتطور إلى يقين واطمئنان وهذا هو ثبات الإيمان الذي يمكن أن نقول عنه الإيمان الراسخ.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِى الحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَفِى الأَخِرَةِ...﴾ - ٢٧ ابراهيم.

وهل يمكن أن نجد في الأرض قولاً ثابتاً لا يتبدل إلا في القرآن الكريم؟». إذاً المسلم والمؤمن المعاصر يجب أن يضع في اعتباره كل هذه المستجدات من الأحداث لفهم الآية السابقة.

يجب أن يعلم بعدها أنه أصبح في الساحة أعضاء جدد مع اليهود والنصارى لن يرضوا عن المؤمن الجديد وهم السنة والشيعة وكل الأحزاب والطوائف التابعة لهما أو المنحرفة عنهما.

وبما أن مسلمي اليوم من أشد الناس إشراكاً بالله فلا يستبعد أبداً أن يكونوا من أشد الناس عداوةً للمؤمنين الحقيقين وللموحدين لله ولكتابه ولسنته وحديثه وشرعه وأحكامه وشفاعته وصراطه المستقيم ولسبيله الذي هو العلم الحقيقي ولعمله الذي هو العمل البناء إصلاحاً وعمراناً وحضارةً في الأرض.

وهكذا فإن مسلم اليوم عليه أن يفهم آيات كثيرة في كتاب الله بنفس الأسلوب مثل الآية التالية:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ - ٨٢ المائدة.

وسبب استثناء اليهود عن الذين أشركوا، أن المشركين عادة هم الذين يشركون بالله عن غفلة وسذاجة من قبل شياطين الإنس الذين هم من اليهود عادة لأنهم من العلماء ومن الذين كفروا من بعد علم مثل إبليس تماماً حسداً وتكبراً في الأرض. لذلك يقول سبحانه عنهم:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَداً مِّن عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ...﴾ - ١٠٩ البقرة.

﴿...وَمَا اختَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلا مِن بَعدِ مَاجَآءَهُمُ العِلمُ بَغياً بَينَهُم...﴾ - ١٩ آل عمران.

لذلك فاليهود لم يشركوا بالله بل كفروا به عن علم وأنكروا يوم القيامة علناً وحرفوا كتبهم وأخفوا الحقائق كلها عن الناس بعد أن فهموا كتاب الله تعالى حق الفهم، وقد قال سبحانه عنهم الحقيقة في الآية التالية كاشفاً سرهم:

﴿أَفَتَطمَعُونَ أَن يُؤمِنُوا لَكُم وَقَد كَانَ فَرِيقٌ مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ - ٧٥ البقرة.

لذلك فإن المؤمنين الجدد والموحدين لله ولسبيله عن إيمان وعقيدة من بعد الشك والبحث عن البرهان لن يكون موقفهم اليوم أسهل من موقف المؤمنين من صحابة الرسول الكريم أبداً، بل أن أعدائهم قد تكاثروا وتعاظموا ولكن على المؤمن الذي آمن بالله العلي العظيم القادر على كل شيءأن لا يخشى مع الله أحداً لأنه أقوى من كل خلقه جميعاً ويجب أن يكون الرسول الأمين قدوةً للجميع في هذا عندما قال لأبي بكر الذي خشي أن يمسك بهما الكفار من أهل مكة بعد خروجهما وفي طريقهما إلى يثرب:

﴿إلا تنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ اللَّهُ إِذ أَخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثنَينِ إِذ هُمَا فِى الغَارِ إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحزَن إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّم تَرَوهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُليَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ - ٤٠ التوبة. صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

فك الرموز ومحاولة الرؤية بوضوح أكبر:

أهم رمزين كبيرين في قائمة الرموز بالنسبة للإنسان الباحث عن الحقيقة هما رمزي «الرحمن» و «الشيطان» بدليل آيات القرآن الكريم، طالما أن مبدأ الزوجية الذي أقره الله تعالى في كل شيء كسنة في خلقه فهو قانون دائم:

﴿وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ - ٤٩ الذاريات.

فأين الزوجين في الأمة التي يعتبرها الله مخلوقاً متكاملاً لها أجل مسمى؟

أولاً عندنا الزوج الأول وهم فئة الذين يعلمون أو العلماء وهي الطبقة المثقفة. ثانياً عندنا الزوج الثاني وهم فئة الذين لا يعلمون أو الجهال وهي طبقة عامة الأمة.

والآن أين الزوجية في الفئة الأولى، الفئة المثقفة تنقسم إلى فريقين وكل فريق له اتجاه يختلف عن اتجاه الفريق الثاني: بحسب قانون الله تعالى في الآية:

﴿وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا﴾ ٧ - ٨ الشمس.

١- الفريق الذي اختار لنفسه الفجور هو الفريق الذي لحق النفس الأمارة بالسوء وهي النفس الشيطانية في الإنسان وهي التي تأمر الإنسان وتدله على أعمال السوء والفحشاء.

﴿...إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي...﴾ - ٥٣ يوسف.

وهذه هي النفس التي على الإنسان أن يحذر منها وهو الشيطان الرئيسي في كل إنسان: ﴿...وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالفَحشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعلَمُونَ﴾ - ١٦٨ - ١٦٩ البقرة.

وهذا الشيطان موجود داخل كل نفس انسانية وعلى أشكال مختلفة في الفئات الأربعة من الأمة وهذا الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء هي التي تستسلم زمام الأمور في الإنسان الذي اختار تلك النفس ووجد أن مصلحة الإنسان تقع في تأييد هذه النفس والسير بموجب أوامرها وقيادتها، ويندرج تحت قائمة هؤلاء فريق كبير من العلماء

والمتنورين والمثقفين من زعماء الماسونية وإذا أحببنا أن نجد تعريفاً مختصراً للماسونية وفروعها أو بناتها في العالم لقلنا هو حزب الشيطان الأكبر في الأرض لمعارضة حزب الرحمن الذي يرمز للخير ولكل أشكال الجمال وأعمال الخير في العالم كما يرمز الشيطان للشر ولكل أشكال القباحة وأعمال الشر في العالم أيضاً، بعد الماسونية وبناتها يأتي في القائمة زعماء المافيا والعصابات المنظمة لفعل الشر والإفساد في الأرض، بعد ذلك نجد في اللائحة كل السياسيين من رؤساء أحزاب أو منظمات أو هيئات أو حتى رؤساء يؤمنون بمبادئ ماكيافيلي الشهيرة بأن الغاية تبرر الوسيلة، والمهم هو الوصول إلى الهدف بأي ثمن من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة، وبعدها يأتي أساتذة الجامعات الذين يؤمنون ويُدَرِّسُون أن الخير الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان هو لذته الخاصة وخيره الخاص ومنفعته الخاصة بغض النظر عن لذة الآخرين أو خيرهم أو منفعتهم ومع غض النظر عن آلام الآخرين.

بعدها يندرج في نفس القائمة كل الشباب المتعلم والمثقف والطموح الذي شعر أن العصر هو عصر السرعة فيريد الوصول أيضاً إلى كل شيء بسرعة من أجل تحقيق النجاح والشهرة والمال فيريد تحقيقها بأي وسيلة ولو على جماجم أهله وأخوانه. هؤلاء الشباب يعلمون أنهم قد انضموا إلى حزب الشيطان لأنهم يرون أنه الأقوى والأقدر والمسيطر على زمام الأمور في العالم من دون أن يعلم أن قوة الشيطان الحالية ناتجة من مواقف أمثاله من الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ولحقوا شهواتهم، بعد أن كفروا بالمبادئ والمثل قائلين أنها كلها فارغة ولا تطعم خبزاً وهي فقط سبيل الحالمين من الفلاسفة (المجانين) بحسب تعبيرهم طبعاً.

٢ـ الفريق الذي اختار لنفسه التقوى وخشية الله تعالى عن علم بأنه فريق المستقبل وهو الحزب الذي يتطور إليه الناس ويتقربون منه يوماً بعد يوم هذا الفريق هو الذي اختار أن يهتدي وراء فطرة الله التي زرعها سبحانه وهي بذرة الخير والإيمان:

﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدنَآ أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ﴾ ـ ١٧٢ الأعراف.

وتذكر أن الله تعالى خيره بين طريقين مختلفين:

﴿وَهَدَينَاهُ النَّجدَينِ﴾ ـ ١٠ البلد.

أحدهما للكفر بما قاله الله في كتبه والآخر للإيمان به وبما قاله:

﴿...فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُر...﴾ - ٢٩ الكهف.

فاختار وحده وبحريته عن علم وعن معرفة أن يؤمن بالله وليكون من فئة أهل اليمين مفضلاً أن يكون من أهل التقوى على أن يكون من أهل الفجور واختار هدي الرحمن وفضله عن هدي الشيطان، مستنيراً بآيات الله تعالى:

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِن أَصحَابِ اليَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِن أَصحَابِ اليَمِينِ﴾ - ٩٠ - ٩١ الواقعة.

وهو من المقربين لله تعالى بدليل قوله سبحانه:

﴿فَرُوحٌ وَرَيحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ - ٨٩ الواقعة.

وأما إن اتجه إلى الشمال فيكون من فريق أهل الشر والشيطان:

﴿وَأَصحَابُ الشِّمَالِ مَاأَصحَابُ الشِّمَالِ * فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحمُومٍ * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ - ٤١ - ٤٤ الواقعة.

وأكبر عقبة أمام فريق الشمال هو عدم قدرتهم على الإقتناع بوجود حياة ثانية بعد الموت لذلك فكلهم يقولون:

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبعُوثُونَ﴾ - ٤٧ الواقعة.

والله تعالى يرى الفريقين وهو الذي منحهم القدرة على الإتجاه باختيارهم إلى السبيلين أحدهما لقصر نظره لا يرى إلا خيره الذاتي لأنه ابتعد عن نور الله الذي في كتابه الصحيح، والثاني رآى بوضوح وإلى مسافة أبعد أن الخير إلى ما يشير إليه الرحمن وفي السعي لاتباعه وليس الخير في اتباع الشيطان وخطواته، وقد ضربت سابقاً مثلاً أعيده لأنه يناسب الموضوع، خلايا السرطان في الجسم إذا افترضنا أنهم يملكون فكراً ورؤية وارادة حرة نجدها هي الخلايا الشيطانية في الجسم التي ظنت أن الخير في تكاثرها دون تقيد بأوامر الجسم ومصلحته ظناً أنها تؤمِّنُ على بقائها حية لمدة أطول هرباً من الموت بتكاثرها العشوائي دون أن ترى أن ما تفعله هو عكس ما تسعى إليه فتقضي بهذا التكاثر العشوائي من غير انضباط على الجسم كله بالموت الحتمي مع موتها ولو كانت ترى وعندها بعد الرؤية لأطاعت الجهاز المنظم للجسم كله فحافظت على بقائها حية سليمة لأطول فترة ممكنة، وهكذا الإنسان الذي يسعى وراء الشيطان ظناً أن ما يفعله هو لخيره ولخير أبنائه من بعده لا يعلم أنه يحفر قبور أبنائه بيده، ولو أدرك حقيقة ما يفعل لتوقف هو وأمثاله وانضموا فوراً إلى حزب وفريق الرحمن الذي سينتصر في

ية لأنه هو الفريق الحق والحق هو الأقوى دائماً وأبداً وهو المنتصر النهائي.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ - ٢١ المجادلة.

،الشيطان مهما بدا قوياً فهو يمثل الفريق الضعيف في النهاية وقوته بادية لعدم ظهور ن يدعون إلى حزب الرحمن بالحجة والبرهان وبدلالة النور والحق فالحق أقوى دائماً الباطل:

﴿...إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ - ٨١ الإسراء.

وقوة الباطل والشيطان دائماً مجاله في الظلام وفي الأوهام أما إذا ظهر الحق بنور م الصحيح فإن كل الأوهام ستزول كما يزول الظلام ويختفي بظهور الشمس الذي ىل النور إلى الناس من بعد. كل ليلة.

وكيد الشيطان لن يستطيع الوقوف أمام كيد الرحمن متى شاء أن يكيد له:

﴿...إِنَّ كَيدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفَاً﴾ - ٧٦ النساء.

﴿...وَمَا كَيدُ الكَافِرِينَ إلا فِى ضَلالٍ﴾ - ٢٥ غافر.

والله تعالى يملي للشيطان ويعطيه الفرصة ليجول جولته:

﴿وَأُملِى لَهُم إِنَّ كَيدِى مَتِين﴾ - ١٨٣ الأعراف.

﴿إِنَّهُم يَكِيدُونَ كَيداً * وَأَكِيدُ كَيداً * فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمهِلهُم رُوَيداً﴾ - ١٥ - ١٧ رق.

وهكذا نكتشف أن الفريق الثاني الذي يدعو إلى الرحمن ما زال إلى اليوم هو الفريق تضعف لأن نور الله تعالى لم يصل بعد إلى كثير من أعضاء الفريق الأول والأقوى ياً وهؤلاء لأنهم يعلمون لن يكابروا مع الحق كثيراً إلا من شاء منهم أن ينضم إلى س تكبراً على الحق وميلاً إلى شهوات الدنيا التي تغطي على فكرة الإيمان بالأخرة:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤمِنُ بِيومِ الحِسَابِ﴾ - ٢٧ ر.

لذلك إذا ذكَّر المستكبرون بالقرآن وأياته ودعاهم المؤمن إليها ولوا مستكبرين ظانين ما معهم من أوهام أفضل من آيات الله التي في القرآن الكريم وهؤلاء يمثلون غالبية نال الدين في العالم إن قرأت عليهم آيات الطاغوت رحبوا بك وإن تلوت عليهم اب الله وحده نفروا منك وابتعدوا عنك واستعدوك.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِى لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً

أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتلَى عَلَيهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُستَكبِراً كَأَن لَّم يَسمَعهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيهِ وَقراً فَبَشِّرهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ - ٦ - ٧ لقمان.

مَن مِنَ الناس في العالم من (فريق الرحمن):

كل الرسل والأنبياء والذين آمنوا معهم قديماً ممن لا نعلمهم من الرسل والأمم السابقة.

كل الرسل والأنبياء المذكورين في القرآن من بعد نوح عليه السلام والذين آمنوا معه مع أنبياء ورسل بني إسرائيل من ذرية ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا معهم وانتهوا اليوم بعد زوالهم وعودة الأمور من جديد إلى فريق الشيطان وأهل السلطة من الملأ.

الرسول الكريم إسماعيل بكر إبراهيم عليه السلام ومن أحفاده:

الرسول الكريم محمد وصحابته الكرام الذين انتهوا بعد مقتل علي بن أبي طالب وخروج خليفة واحد من حزب الرحمن من بين كل الخلفاء الذين دعوتهم بالسلاطين هو الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز الذي قتل مسموماً بعد سنة ونصف من الحكم.

مرور فترات إيمان صحيح كومضات في تاريخ المسلمين من أمثال الذين هزموا المغول من أعداء المسلمين أو انتصروا على الحملات الصليبية.

كل الذين يؤمنون اليوم بالله الواحد ولا يشركون به شيئاً ويوحدون الله في أمره وسنته وحديثه وهديه وشفاعته ويؤمنون بأنها كلها له وحده ولا شريك له أحد من خلقه ويؤمنون بأن القرآن هو كتاب معجز في كل شيء في سهولة فهمه وفي سهولة حفظه وفي سهولة اتخاذه حجةً في كل شيء ليكون وسيلة للإنسان ليميز به الحق عن الباطل هؤلاء أيضاً هم من حزب الرحمن، وهو الحزب الذي سيرث الأرض من بعد زوال حزب الشيطان المسيطر حالياً، وعندها سوف يعود الدين كله لله:

﴿...وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾ - ٣٩ الأنفال.

ودين الشيطان هو الدين الباطل ودين الرحمن هو دين الحق:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ - ٢٨ الفتح.

ودين الحق لا يمكن بلوغه بالأوهام بل سبيله بالعلم الصحيح:

وهو لم يظهر على الدين كله بعد ولكن أليس من نعم الله تعالى أن تكون من أوائل

المبشرين به في الأرض؟ كما نجد شهادة أخرى لله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ - ٩ الصف.

مبيناً أن المشركين هم الذين سيجابهون دين الله أكثر من الكافرين الذين سوف يتوب منهم قسم كبير ليتحولوا إلى حزب الرحمن من جديد لأنهم اكتشفوا بعلمهم أنهم كانوا مخطئين، وهم العلماء الحقيقيون الذين إذا رأوا برهان ربهم لا يستكبرون على الحق:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ وَرُهبَاناً وَأَنَّهُم لا يَستَكبِرُونَ﴾ - ٨٣ المائدة.

فإذا قيل لهم لا إله إلا الله ولا شفيع ولا مخلص للإنسان إلا الله آمنوا ولم يستكبروا دون أن يقولوا أن المسيح هو الله أو هو ابنه الحبيب أو هو شفيع الناس ومخلصهم وكذلك رجال الدين من فقهاء المسلمين الذين إذا قيل لهم: لاإله إلا الله وحده ولا شريك له في السنة ولا في الحديث ولا في الكتاب ولا في الهدي ولا في الشفاعة ولا في الأمر كل ذلك لله وحده بلا شريك أبداً وهذا هو التوحيد الحقيقي آمنوا بالله ولم يصروا على الخطأ والباطل.

ولم يستكبروا على الحق الذي في كتاب الله وقبلوا أن يكونوا من حزب الرحمن بعيدين عن حزب الشيطان.

بعد أن تكلمنا عن الزوج الأول وهم فئة الذين يعلمون وعلمنا أنهم يتشكلون من فريقين:

الفريق الأول رمز إليهم الله تعالى بفريق الشيطان.

والفريق الثاني ورمز إليهم سبحانه بفريق الرحمن.

بعدها ننتقل إلى الزوج الثاني من مجموع الزوجين وهم فئة الذين لا يعلمون من الأمة وهؤلاء إذا أضلوا من الشياطين أصبحوا من حزب الشيطان وإذا كان هديهم على يد فريق الرحمن أصبحوا من حزب الرحمن.

والآن أين الزوجية في فئة الذين لا يعلمون؟

الفئة الجاهلة من الأمة تنقسم إلى قسمين:

١ - الفريق الذي ينقاد وراء نظرته الأولى في الإيمان بالله ويتبع الذين يدعون

للرحمن من الزوج الأول مبتعدين عن النفس الأمارة بالسوء هؤلاء هم فئة المؤمنين تسليماً للحق بالفطرة متبعين بذرة الخير في الإنسان وهؤلاء أكثرية في الأمة كل ما يحتاجونه هو أدلاء مخلصون.

ولكن في حال زوال الأدلاء من بعد ضعف في النفوس التي تعلم وسيطرت فئة الذين كانوا يعلمون ويحرفون في الأرض وهم كما رأينا فئة الشياطين فكل الذين كانوا يتبعون الرحمن يضلون عن طريق أدلاء مُزَيَّفين من الشياطين فيتبعونهم ليشكلوا من بعد ذلك الفريق المشرك بالله من غير علم وهم غالبية الأمم في كل أديان الأرض اليوم.

إذاً يمكن القول بأن الفريق الذي كان يؤمن بالله وكان على سواء السبيل إذا حرفه الشياطين يتحول إلى اتباع الشيطان إضلالاً وهذا هو الفريق الذي يتبع أدلاء مزيفين يدعون إلى الباطل باسم الحق وإلى الإستبداد باسم الحرية وإلى الجهل بإسم العلم وإلى الظلم بإسم العدالة والمساواة وإلى ظلام الكهف بإسم النور وإلى كل نقيض بإسم نقيضه المقابل.

وهذا هو ما يفعله كل أصحاب السلطة غالباً في الأرض اليوم خاصة إذا كانوا يدعون إلى منافع الأقلية المسيطرة من الأمة متناسين مصلحة الأكثرية من كل الأمم ولهذا قلت سابقاً بأن ما يطبق على الناس اليوم على أنه دين الله هو دين الطاغوت وهو دين السلاطين والشياطين ويناقض تماماً دين الرحمن بدون أي استثناء لأي دين في الأرض حالياً وهذا باختصار هو الإشراك بالله، فطوبى لكل الذين سيبشرون لدين الرحمن من جديد ليعود العالم كله أمةً واحدة تحت لواء الرحمن ودينه بدلاً عن أديان الأرض الحالية التي تدعو للشيطان باسم الله والله تعالى قد بدأ رحلة الإنسان من أمة واحدة متجهة إلى الأرض وشهواتها بعد أن نسيت ما زرعه الله تعالى من فطرة الإيمان فيها.

﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدنَآ أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ﴾ - ١٧٢ الأعراف.

ليمر الإنسان بكل المراحل مجرباً ومخرباً وظالماً لنفسه قاتلاً للأنبياء والمرسلين من المبشرين والمنذرين متبعاً كل الشياطين متفنناً في أشكال شهواته الأرضية إلى أن يقتنع عن طريق العلم بأن أدلاء الله تعالى هم أصدق الأدلاء خاصة إذا كانوا يحملون معهم برهاناً لا يمكن أن يكذبه عاقل، عندها سوف يعود الأكثرية من الذين يعلمون إلى سبيل

العلم الذي هو سبيل الله ولا أقول جميعاً لأنه سوف يخرج حتى من العلماء بعض المستكبرين من أمثال إبليس وذريته من الجن وأشباههم من بني الإنس هؤلاء لن يغيروا اتجاههم إلى يوم الدين. فكما خرج منهم أبو لهب بالإمكان أن يخرج أمثال أبو لهب من كل جيل فالشيطان لن يموت إلى يوم القيامة ولكنه سوف يصبح هو وأتباعه ضعفاء تماماً كما نجد اليوم أتباع الرحمن من المستضعفين في الأرض اليوم لأنهم قلة والشياطين واتباعهم من المشركين الضالين من جميع الأمم هم الكثرة الساحقة وبيدهم حالياً القوة والمال.

وهكذا وجدنا أن الزوج الثاني المقابل للزوج الأول الشيطان والرحمن، هم أولاً من فئة الذين أُضلّوا بواسطة الشياطين ليصبحوا من أحزاب الشيطان وهم يظنون أنهم من أتباع الرحمن لذلك سماهم الله تعالى بالضالين، والضال هو الذي فقد الأتجاه الصحيح ولو كان يظن أنه مايزال على اتجاه الله وصراطه المستقيم.

والشق الآخر من الزوج الثاني هم الذين اتبعوا قديماً الرسول الكريم وصحبه من الخلفاء الراشدين إيماناً وتسليماً فكانوا من المهتدين ومن المؤمنين بالله تسليماً لأن الأمة غالباً تؤمن بالله عن طريق التسليم أما العلماء والراسخون في العلم هم الذين يؤمنون بالله عن طريق العلم والمنطق والعقل والبرهان.

وعند ظهور المؤمنين الصادقين من هؤلاء العلماء الحقيقين الذين تأكدوا بالبراهين أن كتاب القرآن هو الوحيد الذي بقي سليماً وصحيحاً في الأرض من بعد أن رأوا براهين الله التي تثبت بالعلم وبالعقل أنه كتاب فوق قدرة كل مخلوقات الله عن حقيقة وليس عن مجرد وهم وظن.

عندها سوف يكثر الداعين للرحمن من جديد وأتباعهم سوف يؤمنون بهم أيضاً بالتسليم كما آمن صحابة الرسول الكريم غالباً تسليماً علماً أن الله تعالى لم يرسل من المعجزات للمسلمين إلا القرآن وكل ما نجده في كتب أهل الحديث من معجزات لم يخبر عنها الله تعالى ولا شهادة لهم في كتاب الله كلها مفتراة على الله تعالى وعلى رسوله الكريم وحتى على صحابة الرسول الذين صدقوا الله ورسوله ومن المستبعد ان يكذبوا بعد ذلك على الله والرسول من جديد وإن كان ذلك غير مستحيل عقلاً ويبقى في مجال المحتمل دائماً.

مختصر الكلام:

وهكذا علمنا أين الزوجية في الأمة التي بدأت:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلآَ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ - ١٩ يونس.

بعد أن أرسل الله الرسل وبين لهم:

الإيمان والكفر والخير والشر والرحمن والشيطان مبيناً وجود عاملين في النفس الإنسانية، نفس أمارة بالسوء يقابلها الضمير الذي يأمر بالعدل والإحسان والحق نابعاً عن العقل والعلم والمعرفة أو عن بذرة الإيمان الأولى، عندها اختلف الناس لاختلاف مصالحهم وبحسب رؤية تلك المصلحة، بعضهم رآها لقصر نظره أنها تنتهي في مصلحتهم الذاتية، وبعضهم رآها بالإستعانة بنور الله وعلمه الكلي المنزل إليهم عن طريق الرسل بأنها تقع في تحقيق المصلحة العامة.

فالشيطان رآها لقصر نظره واستكباره على الحق بأنها تقع في تحقيق شهواته ومصالحه الخاصة وخدع بالكذب والتضليل صغار العقول من غالبية الأمة الجاهلة واستعبدهم في الأرض ليحققوا له مصالحه الخاصة وهم يظنون أنهم ينفذون أوامر الله تعالى دون أن يعلموا أنهم يظلمون أنفسهم إضلالاً من الشيطان وظناً بأن عذابهم هذا خلاص من عذاب نار الآخرة كما يروج فقهاء الشيطان.

والذي اتبع الرحمن رآها لبعد نظره لآنه عالم حقيقي وليس من علماء الوهم والظن فوجد أنها تقع في إنكار الذات واتباع الحق الذي هو الله تعالى لتحقيق المصلحة العامة كما رآها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ولم يراها معاوية لأنه اتبع شهواته الدنيوية:

وهنا لابد لي أن أستشهد بحديث وجدته في كتب تاريخ السيرة النبوية يقول الحديث «وقال معاوية بن أبي سفيان: «أما أبا بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن»(*).

هذا الحديث الذي قد يكون من تأليف الرواة ولكنه يقول الحقيقة المرة وإنكار الحق والحقيقة من قبل الشيطان لن يغير الواقع أبداً بل سوف يوهم به بعض الناس كما حاول فريق من أهل الكتاب وما يزالون يحاولون استكباراً على الحق:

(*) عن كتاب البداية والنهاية (ابن كثير الدمشقي)، دار الريان، الجزء السابع، الصفحة ١٣٨ طبع ١٩٨٨.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَآءَهُم وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ ـ ١٤٦ البقرة.

لذلك يوصينا ربنا أن لا نستكبر على الحق إذا وجدناه أمامنا في يوم يعرضه عبد من عباده الحقيقين ودليله كتاب الله المبين ولا يستشهد إلا بشهادة الله في آياته البينات:

﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾ ـ ١٤٧ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

٤ ـ الفقرة الرابعة: سبب وقوع المسلم العلماني في المنطقة المحايدة ورفضه العودة إلى منطقة الفعالية الإجتماعية والفكرية.

إن شعور العلماني المسلم أنه كفر وألحد بدين آبائه نتيجة رفض عقله وأسلوب تفكيره الذي نما وأسس على مبادئ ومناهج علمية صحيحة، فدخل في وهمه أنه ارتكب خطيئة كبيرة في حق نفسه وفي حق آبائه وفي حق الدين ضخمت عنده الشعور بالذنب الذي تحول بالتدريج نتيجة فشل الأفكار البديلة إلى عقدة ذنب استقرت في منطقة اللاشعور عنده، هذه العقدة تؤثر بشكل فعال على أسلوب حياة المثقفين المسلمين حالياً وتجعلهم يقفون موقف الحياد واللامبالاة من الأخطاء الفاحشة التي ترتكب في بلاد المسلمين باسم الدين وتحت شعار الله جهلاً علماً أن أعمالهم كلها تدل وتبرهن أنهم لا يعرفون من هو الله أصلاً، فالله تعالى لا يدعوا عباده إلى سفك الدماء بل الذي يدعوا إلى سفك الدماء هو الشيطان.

إن توقف فئة كبيرة من المثقفين عن الفعالية والمشاركة الفكرية لقضايا المجتمعات الإسلامية وترك راية الفكر والعلم بأيدي جهلة لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الله والشيطان يجعل المجتمعات الإسلامية كلها مثل أشجار لا يمكن أن تثمر إلا التخلف والفقر والعيش دائماً بحالة البؤس والخوف والشعور بالمذلة والهوان تشجعه انتشار أمراض اجتماعية مثل انتشار الكذب والرياء والنفاق والرشوة كصفات فردية وظهور الدعارة والمخدرات والمشروبات الروحية كأمراض اجتماعية.

صحيح أن الأفكار البديلة التي سماها العلماني المسلم الأفكار التقدمية مثل الإشتراكية والشيوعية والقومية قد تحطمت كلها واحدة بعد أخرى على أرض التجربة والواقع واكتشف بنفسه أنها كانت مجرد أصنام بديلة عن الدين الذي اكتشف زيفه

ورفضه عقله فاستبدل وهماً بأوهام أكبر. فكانت النتيجة العامة كما نراه الآن هو سقوطه في ساحة نضاله بعد أن عرف أن السيف الذي كان يحارب به كان سيفاً مزيفاً، سيف من خشب لا يجرح ولا يقتل عدواً وإنما يعرض به نفسه للعذاب وللقتل بلا مقابل. كيف يمكن لهذا العلماني الخروج من منطقة اللافعالية الى منطقة العمل والنشاط الفكري ليمارس دوره من جديد؟ أولاً عليه أن يدرك أن بوصلة الإتجاه الصحيحة لكل المسلمين هي القرآن الكريم أعظم كتاب علمي في العالم. ومن ذلك الكتاب سوف يكتشف بأن من كفر بالوهم وبالأوهام وإن كانت تدعى ديناً فقد كفر برمز الوهم الذي هو الشيطان ولم يكفر بالله تعالى.

وسوف يكتشف أيضاً من كتاب الله بأن الله هو الحق والحق هو الحقيقة وهما هدف كل علم وكل عالم.

إذاً العلماني يسعى إلى الله ويؤمن به طالما قد آمن بالعلم وبمبادئ العلوم.

وسوف يكتشف أيضاً أن سبيل الله هو العلم والمبادئ العلمية والقوانين العلمية هي مبادئ الله وقوانينه، وهذا هو سبيل كل الذين يؤمنون بالعلم وهذا يؤكد له أنه على سبيل الله الصحيح مما يجعله يكتشف بداية ليتأكد بعدها أنه قريب من الإيمان وقريب من الله جداً ولا يحتاج إلا لخطوة جريئة ليجتاز الحاجز بصيحة: (لا إله إلا الله.. والله أكبر)

ولكن بعد اختراقه لذلك الحاجز عليه أن يعود إلى كتاب الله ليحمله من جديد ويقرأه من دون وصاية أحد عليه وكأنه يتلقى أيات الله صافية ويسمعها بصوت الرسول الأمين مبلغة له مباشرة من ربه الكريم.

عندها سوف يكتشف كل الحقائق وتتوضح أمامه كل الأمور ويكون مثل الذي أخرج نفسه بنفسه من كهف الظلام الذي حشر فيه المسلمون لأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان إضلالاً من الشياطين.

عندها بإمكانه أن يعود إلى حالة الفعالية من جديد ليدعوا إلى التقدمية الصحيحة وإلى العلم والنور الحقيقي الذي هو نور الله ليخرج بسعيه من يستطيع من الذين ما يزالون في محشر ذلك الكهف العظيم.

على كل العلمانيين المسلمين أن يدركوا أن موضوع العودة إلى الإيمان وتولي مهمة الجهاد بأنفسهم وأموالهم بالحكمة والموعظة الحسنة من غير عنف ولا أسلحة ولا سيوف

من غير تكفير لأحد ومن غير إكراه لمخلوق مبينين سبيل العلم للناس الذي هو سبيل الله الصحيح فمن شاء آمن ومن شاء كفر هي مهمتهم الأساسية ولن يسامحهم ربهم إن تقاعسوا عنها.

والذين في الكهف ليس هم المسلمون وحدهم بل كل المؤمنين بأديان الأرض كلها من البوذية إلى المسيحية واليهودية وغيرها من الذين لا يزالوا يؤمنون بمحرفات الشياطين تاركين حقائق نور الله في كتاب واحد صحيح لا يوجد غيره في كل الأرض وهو القرآن العظيم، والدعوة عامة وهي للناس كافة وسبيل الهداية ووسيلتها هو القرآن المبين:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجراً كَبِيراً﴾ ـ ٩ الإسراء.

يجب أن ينطلق العلماني العائد إلى رحاب الله من جديد من منطلقات وبديهيات ومسلمات جديدة بدل القديمة. لقد كان السلاطين السابقين يكذبون عن طريق شياطينهم ورجال دينهم بالشعارات المزيفة التي يرفعونها مثل شعار العدالة ـ الحرية ـ المساواة!!! كانت مجرد جزرات يلهث خلفها الناس دون أن يصلوا إليها أبداً تماماً كما يلهث الظمآن في الصحراء بعد أن يضل الطريق ساعياً من سراب إلى سراب أكبر، يجب أن يعلم أن النتائج هي الأساس وليس في رفع الشعارات التي لا تقدم ولا تؤخر أحداً.

يجب أن يتعلم أن الحق الذي هو الله في خدمة مصلحة الأكثرية الساحقة من الأمة وليس في خدمة الأقلية المسيطرة من أصحاب المال والنفوذ وهذا لن يكون إلا بالشورى مع فتح باب حرية الإختيار والنقد وصنع القرارات لكافة الشعب في أن يعدل في قرارات الدولة بشكل منطقي علمي يستند على التجارب الداخلية والخارجية كما يجب عليه أن يعلم أن العمل والإنتاج لما يفيد الناس والمجتمع فرداً وجماعةً هو العمل الصالح الذي يدعوا إليه الله في القرآن، والعمل الذي يفيد بعض الناس ويضر بالمجتمع فائدته فردية وضرره جماعي هو العمل المفسد الذي يدعو إليه الشيطان بزعامة الطاغوت الذي يخدم الأقليات المستغلة في العالم.

يجب أن يتعلم أن الدين والعبادات ليست لمصلحة الله تعالى فالله غني عن العالمين ولكن كله لمصلحة الناس ومن أجل الناس ومن أجل المحافظة على حقوق الإنسان وحرياته. يجب أن يتعلم أن غاية الدين الذي هو من الله هي من أجل تحسين معاملة

الناس لبعضهم في الأرض والله تعالى ليس بحاجة إلى ركوعنا أو سجودنا في صلاتنا ولا إلى جوعنا في صيامنا ولا إلى طوافنا في حجنا ولا لأضاحينا في عرفات بل كل ذلك من أجل أن يعلمنا النظام والإنضباط والتضحية ومن أجل أن يعلمنا كيف نغفر لبعضنا لأن الله غفور يحب الذين يعفون ويتسامحون.

ومن أجل أن يعلمنا كيف نحسن لبعضنا لأن الله كريم ويحب المحسنين.

ومن أجل أن نشفع لبعضنا في الأرض لأن الله شفيع ويحب الشافعين والمشفعين في الأرض من عباده.

ومن أجل أن يعلمنا كيف تكون العزة لأن الله قوي عزيز يحب لعباده القوة والعزة والإباء.

ومن أجل أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الله تعالى لأنه سريع الحساب وعقوبته آنيّة في الأرض قبل السماء والجنة التي يعيش فيها الإنسان في الأرض يمكن له أن يبدله الرحمن فوراً إلى جحيم لايطاق لأن قوانينه في الأرض تعمل بشكل فعال ومستمر، فالمجتمع الذي يؤمن بالعلم والعلوم سوف يبتعد مباشرة عن الكذب والغش والخداع والرشوة وكل الأساليب الملتوية لأنه سوف يكتشف بعلمه أن كل ذلك يؤدي إلى ضرره المباشر كفرد وكمجتمع، وبإتباعه سبيل العلم الذي هو سبيل الله تزدهر أموره وتزداد نعمه كل يوم في الأرض وفي السماء.

والذي يؤمن بالوهم والظن ويهجر العلم ومناهج العلوم يتجه دائماً بعكس الإتجاه الأول من النور إلى الظلام منتقلاً من مجال نعم الله إلى مجال نقمة الله ولعنته في الدنيا والآخرة ويصبح في جحيم النفاق والكذب والرياء والغش والخيانة والسرقة والقتل وكل أنواع الأمراض النفسية والإجتماعية التي لا شفاء لها إلا بالعلم وبالقرآن.

وهذه الأمور تحدث للفريقين نتيجة قوانين الله تعالى وسننه الثابتة التي تعمل بشكل آني مثل قوانين الكيمياء والفيزياء والفلك والرياضيات وهي أيضاً من سنن الله فالله سبحانه لا يتدخل بذاته تدخلاً مباشراً وإنما الأمور تجري بحسب قوانين الله التي سنها ولا تبديل لها ولا تحويل.

ولا مجال لإكتشاف سنن الله تعالى إلا على أيدي العلماء الحقيقين أما أدعياء العلم من علماء الظن فإنهم لن يكتشفوا شيئاً أبداً فهم في ضلال مبين ودائم وطغيان مستديم فيزيدهم الله ضلالاً وطغياناً:

﴿مَن يُضلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرُهُم فِى طُغيَانِهِم يَعمَهُونَ﴾ - ١٨٦ الأعراف.

هذا هو الفهم العلمي للدين وللعقيدة التي أرسلها الله نوراً للعالمين وإن فهمناها غير ذلك نكون قد عدنا إلى مجال الظنون والأوهام من جديد لنعذب أنفسنا بأنفسنا من جديد دون أن يعذبنا أحد في العالمين.

والله تعالى يأخذ بيد الذين آمنوا به وبالعلم الصحيح على أنه سبيله الصحيح وبه يخرجهم من الظلمات إلى النور:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ - ٢٥٧ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

بحث الكتاب:
بحث الأَشْهُر الحرم والتقويم الهجري الإسلامي.

مقدمة:

من مفارقات العقل والمنطق أن يكون الدين الإسلامي بحسب كتاب الله المنزل على المسلمين وهو القر آن الكريم وكل آياته تدعو للعلم والعقل والمنطق السليم وأول كلمة نزلت منه هدايةً للعالمين على رسوله الكريم كلمة (إقرأ) ثم نجد المسلمين اليوم في كل ربوع الأرض وأقطارها أقل الناس علماً وقراءةً.

وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن المسلمين هم أقل الناس تطبيقاً لكتابهم الذي هو كتاب هداية من الله للناس حتى يخرجهم به من ظلمات الجهل الى نور العلم الحقيقي فإن حال المسلمين اليوم يدل أننا أقل الناس هداية وأننا مازلنا نقبع في الظلمات ولم نرى نوراً بعد ولا علماً وما نزال من أهل الكهف العظيم.

فكل العلوم والتكنولوجيا والصناعات المتطورة بعيدة عنا بعد السماء عن الأرض، علماً أننا كأفراد لانقل بشيء عن أفراد الأمم المتطورة الأخرى إلا بإسلوب تفكيرنا وعقليتنا التي تحتاج الى تغيير من الأساس والقاعدة.

وغايتي من هذا البحث أن أثبت للقارئ الكريم بالبراهين والشواهد التي لا ترد أن ما معنا وما نطلق عليه العلوم كأمة إسلامية هي كلها علوم ظّنية وليس فيها علم يقينيٌ واحد، وإذا عدنا إلى تقييم الله سبحانه للعلوم المستندة على الظنون والأوهام نجده يقول بصراحة أن الظن في مقاييس العلم الصحيح يساوي الصفر المطلق:

﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لايُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئَاً﴾ - ٢٨ النجم

﴿...إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهوَى الأَنفُسُ...﴾ - ٢٣ النجم

فليس كل ما عندنا علمٌ بل كله ظنون وأوهام أو مما تهوى الأ نفس وكلها في ميزان الله باطل ولا تساوي شيئاً. وما ميزان الله إلا العقل والمنطق العلمي الرياضي. وكل علوم الله تستند للأعداد والأرقام فهي كلها علوم إحصائية حيث نجد سبحانه يقول:

﴿...وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيهِم وَأَحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ - ٢٨ الجن.

وهي كلها تدل بصورة مباشرة أن علوم الله في الكون تعتمد على القوانين الرياضية المعتمدة أساساً على الإحصاء بالأرقام وهو سبحانه الذي يقول عن نفسه:

﴿...لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحصَاهَا...﴾ - ٤٩ الكهف

علماً أن المسلمين اليوم أبعد الناس عن الأعداد والإحصاء كما يقول سبحانه وتعالى:

﴿لَّقَد أَحصَاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا﴾ - ٩٤ مريم

وحتى يدلنا سبحانه أن كتبه ومنها القرآن الكريم واقعٌ تحت الإحصاء يقول:

﴿...وَكُلَّ شَيءٍ أَحصَينَاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ - ١٢ يس

وكل كتب الله مثل ذلك وتتبع قوانين عددية إحصائية بالأرقام:

﴿وَمَآ أَدرَاكَ مَا سَجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرقُومٌ﴾ - ٨ - ٩ المطففين

﴿وَمَآ أَدرَاكَ مَا عَلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرقُومٌ﴾ - ١٩ - ٢٠ المطففين

وإذا تكلم الله تعالى عن الساعة، أي يوم القيامة قال:

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعدُودٍ﴾ - ١٠٤ هود

لأن ذلك أيضاً يقع تحت رقم محدد زماناً ومكاناً، وليس عنده علوم ظنية أبداً، بل كل ما عنده يقع تحت تخطيط سابق للخلق وللتنفيذ.

بينما الظن يدخل في مجال الوهم والوهم يدخل في مجال الباطل والباطل من الشيطان والعلوم اليقينية تقع تحت علوم العدد والإحصاء وكلها حق والحق من الله تعالى هو ما يسميه الله بالعلم، فالكسوف يحدث في ساعة محددة سلفاً وكذلك الخسوف وكذلك حركات الأفلاك وكذلك كل علم الله وخلقه، لذلك نجد الذي يتبع هواه وعاطفته ولا يتبع عقله في أمور دينه ودنياه يتبع الشيطان ولا يتبع الله بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَآءَهُم بَعدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ - ١٢٠ البقرة.

أو قال تعالى: ﴿...وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهوَآئِهِم بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ - ١١٩ الأنعام.

والله سبحانه ينصحنا أن لا نتبع ما ليس لنا به علم وهذا يمنع عنا اتباع الظّن أمراً من الله تعالى:

﴿وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ...﴾ - ٣٦ الإسراء.

ونجد الذي يتّبع العلم والعقل والمنطق يتبع الله ويسير على صراطه المستقيم وهديه ونوره. وهذا الإنسان لن يضل في حياته كلها ما لم يترك ذلك الحبل الذي هو حبل الله تعالى ولن يشقى أمثاله بل يكون في الدارين من السعداء في دار الدنيا وفي دار الآخرة.

هدى الله هو العلم ونور الله أيضاً هو العلم، وسبيل الله هو العلم وأسلوب الله هو الأسلوب العلمي:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشقَى﴾ - ١٢٣ طه.

والمواضيع التي تثبت أننا كأمة مسلمة نتبع الظن ولا نتبع العلم كثيرة وتناولت أهمها في كتبي ولكنني في هذا البحث سوف أختار موضوعاً واحداً هاماً هو موضوع التقويم الهجري الإ سلامي والأشهر الحرم.

لأثبت من خلاله للقارئ الكريم أن كل علومنا مثل هذا التقويم هي ذكريات عن علم قديم أضاعه أباؤنا الأولون خلال فترة عصر الكهف الإسلامي الذي استمرَّ لأكثر من ألف عام وما زلنا فيه الى اليوم دون أن نرى نوراً أبداً ولا نعرف كيف السبيل الى الخروج منه.

علماً أن مفتاح الخروج في أيدينا ولا نستخدمه لأننا هجرناه بعد أن رميناه وراء ظهورنا ولم نعد ننظر إليه أو ما يحتويه أبداً. والمفتاح هو القرآن الكريم فقط وليس بين أيدينا كتاب حقيقي عليه برهان من الله غيره أبداً:

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَومِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرءَانَ مَهجُوراً﴾ - ٣٠ الفرقان.

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لا يَعلَمُونَ﴾ - ١٠١ البقرة.

ما هو التقويم:

التقويم هو نظام زمني يمتاز بقواعد وأسس تعتمد على الفلك ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس والقمر ودورانه حول الأرض الذي يخلق بإذن الله ما نسميه الليل والنهار والفصول الأربعة والشهر والسنة، نتيجة حركة الأجرام السماوية مع الزمن الذي يقاس بالثواني ومنتهياً بالقرون والعصور والدهور.

فاليوم يقاس بالدورة الكاملة للأرض حول نفسها ابتداءً من نقطة مع العودة الى

نفس النقطة. وهذه الدورة تحصل خلال فترة زمنية ثابتة تعارف عليها الناس أن يقسموها الى إلى أربع وعشرين وحدة كل وحدة قالوا عنها الساعة. وكل ساعة قسمت إلى ستون جزءاً أطلق على كل جزء منه الدقيقة.

وكل دقيقة تتألف من ستون ثانية بحسب ما تعارف عليه الناس في ذلك التقسيم ذو النظام (الإثنى عشري).

وهذا التقويم المعتمد على طول الفترة الزمنية الثابتة لليوم بدورة الأرض حول نفسها (اليل والنهار) والمعتمد على الفترة الزمنية الثابتة لدورة القمر حول الأرض لحساب الشهر الذي يتكون من اثنتي عشر شهراً وجُعِلَ لكل شهر اسماً مختلفاً من أجل تحديد الشهر في السنة وتلك الأسماء لا تكون اعتباطية بل تحمل صفاتاً مثل شهر ربيع أول ربيع ثاني أي أنها يجب أن تصدف في الربيع دائماً ومثل شهر محرم الذي يجب أن يصدف دائماً في الأشهر المحرمة ومثل شهر ذو الحجة يجب أن يصدف في مواسم الحج ومثل شهر رمضان أي أنه شهر الصيام للمسلمين وهكذا... والسنة تعتمد أيضاً على الفترة الزمنية الثابتة بدورة الأرض دورة كاملة حول الشمس من أجل تحديد طول السنة الموسمية، وكل ذلك سخره الله تعالى من أجل حساب التقويم علمها سبحانه للأمم السابقة لنا عن طريق الرسل والأنبياء مثل بني إسرائيل الذين علموها لشعوبهم والعلم أصله ومصدره من الله تعالى:

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ ـ ٥ العلق.

لذلك فالسنة لابد أن تعتمد على دورة الأرض حول الشمس دورة كاملة حتى تكون موسمية تحدد مواسم الزراعة من أجل معرفة وقت الزراعة ووقت الفلاحة ووقت الحصاد وتحدد مواسم الصيد من أجل معرفة الأشهر التي حرمها الله تعالى حتى لا نصطاد حيوانات البر في مواسم الولادات والإرضاع لها وبدونها يمكن للحيوانات البرية أن تنقرض من الوجود نتيجة للصيد العشوائي الذي لا ينظمه قانون ولا دستور إلهي.

لذلك فالله تعالى يعلمنا ويدلنا في القرآن الكريم أن التقويم بحاجة للعناصر الثلاثة التالية:

الليل والنهار من أجل تحديد طول اليوم وهو ثابت دائماً كما ذكرت والقمر من أجل تحديد طول الشهر وإسمه وتاريخ اليوم الذي يكون عادة إما ٢٩ أو ثلاثون يوماً بالتتالي والشمس سخرها الله بحيث إذا دار كوكب الأرض في فلكه دورة كاملة عرفنا

بذلك طول السنة الشمسية الموسمية وكل ذلك نجده في آية مختصرة جداً تحتاج إلى كثير من التأمل لاستخدامها في التقويم الهجري الإسلامي:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ١٢ النحل.

إذا لاحظنا هذه الآية فهي أولاً تحدد أن الله تعالى قد سخر لنا (اليل والنهار والشمس والقمر) ثم استثنى منها النجوم مباشرة وقال عنها بأنها مسخرات بأمره إشارة منه أنها لا علاقة لها بالتقويم وعناصره ولو فكرنا أكثر لوجدنا أن اليل والنهار والشمس والقمر أيضاً مسخرات بأمر الله وليس بأمر الإنسان وحده ولكن الله تعالى في هذه الآية التي ينبهنا فيها قائلاً:

﴿...إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ - ١٢ النحل.

يريد سبحانه أن يشير إلى التفكر في الآية باستخدام العقل حتى نكتشف الآيات وما الآيات إلا علوم الله المعجزة للناس جميعاً.

والله تعالى قال لنا في القرآن:

﴿...وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلكَ لِتَجرِىَ فِى البَحرِ بِأَمرِهِ...﴾ - ٣٢ ابراهيم.

كناية عن جعله للماء سائلاً يطفوا عليه الأشياء بقوة دافعة للأعلى سميت بإسم العالم الذي اكتشف قانونها وهي سنة من سنن الله الثابتة في السوائل وسميناها (دافعة أرخميدس) هذه الإمكانية سخرها لنا سبحانه من أجل استخدامها كوسيلة سهلة ورخيصة من وسائل النقل بالنسبة للإنسان.

فما هو الشيء القابل للتسخير من اجتماع اليل والنهار والشمس والقمر معاً باستثناء النجوم؟

ليس هناك غير التقويم.

وبحسب هذه الآية فالشمس ضرورية من أجل التقويم ولا يمكن إلغاؤه كما فعلنا نحن المسلمين من بعد جهل فاعتمدنا على الليل والنهار والقمر وأسقطنا الشمس الذي هو العنصر الأهم في التقويم بدليل أن الله وضعها قبل القمر وبدون الشمس لا يمكن معرفة طول السنة أبداً.

والدليل الثاني من القرآن الكريم الآية التالية:

﴿...وَجَعَلَ الَّيلَ سَكَنّاً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ حُسبَاناً...﴾ - ٩٦ الأنعام.

والآية واضحة حيث الشمس والقمر ضروريان منْ أجلِ حساب طول السنة والآن إذا عدنا لعدد الأشهر وأسمائها يقول لنا سبحانه أن عدد الأشهر الأساسية في السنة هي بحسب الآية الكريمة:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثنَا عَشَرَ شَهراً فِى كِتَابِ اللَّهِ...﴾ - ٣٦ التوبة.

وإذا عدنا للقرآن بعد أن علمنا أنه كتاب مرقوم والأرقام في كتاب الله ترمز إلى معاني يشير إليها سبحانه للذين يتفكرون والذين يعقلون.

إذا أحصينا عدد كلمات يوم في القرآن الكريم فنجدها ٣٦٥ يوماً وهذا يدل ويرمز إلى أن طول السنة عند الله ٣٦٥ يوم، وليست ٣٥٤ يوم كما في السنة الهجرية الإسلامية.

والشهر النسيء مثل اليوم الكبيس كل ٣٢ شهر قمري يضاف شهر إسمه النسيء على الأشهر وهذا الشهر يعدل دائماً التقويم ويجعل الأشهر القمرية متماشية تماماً ودائماً مع السنة الشمسية. وطول الشهر النسيء يكون ٣٠ يوم ويصبح ٣١ يوم في النسيء الذي يليه ثم يعود ٣٠ وهكذا بالتعاقب.

والشمس والقمر لهما دورة اقترانية كل تسعة عشر عاماً محسوبة مع دورات الأرض حول الشمس لكل ٢٣٥ شهر قمري علماً أن طول الشهر القمري بالدقة العلمية تساوي (٢٩,٥٣٠٢٢)

٢٩,٥٣٠٢٢ ضرب ٢٣٥ = ٦٩٣٩,٦٠١٧ يوم

وإذا قسمنا الناتج على تسعة عشر عامٌ نعلم من ذلك طول السنة الشمسية بأجزاء الثانية وبدقة أكبر من دقة التقويم الغريعوري الذي يعدِّل كل فترة وأخرى لعدم دقته الكاملة:

٦٩٣٩,٦٠١٧ تقسيم ١٩ = ٣٦٥,٢٤٢١٩٤٧ يوم

وكما نلاحظ فإن الله سبحانه أدق من عباده في كل شيء، وأغلب الأمم أخذت بالتقويم المعتمد على القمر لأنه أدق ونحن نعلم أن الله تعالى أرسل لكل أمة رسولاً:

﴿وَلَقَد بَعَثنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً...﴾ - ٣٦ النحل.

فتعلَّم الناس عن طريق الرسل بعلوم من عند الله بدليل قوله في القرآن أنه علَّم رسوله يوسف تأويل الأحاديث (الأحلام):

﴿...وَإِنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِّمَا عَلَّمنَاهُ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ - ٦٨ يوسف.

وعلم داوود صناعة الدروع من الحديد الزرد:

﴿وَعَلَّمنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَّكُم لِتُحصِنَكُم مِّن بَأسِكُم...﴾ - ٨٠ الأنبياء.

والله تعالى هو الذي علم الإنسان البيان وصفات الأشياء عن طريق اللغة والرموز الصوتية:

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ - ٣ - ٤ الرحمن.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَآءَ كُلَّهَا...﴾ - ٣١ البقرة.

أي صفات الأشياء وخواصها كلها، والآن قد يتسائل أحدنا ويقول ولماذا لم يشرح الله تعالى التقويم المعتمد على الشهر القمري للمسلمين في القرآن؟

جواباً على هذا التساؤل الهام أقول إن القاعدة العامة المتعارف عليها بين الناس، أن المعروف لا يعرف من جديد والتقويم القمري كان معروفاً في عصر الرسول، مستخدماً في عصره وفي عصر الصحابة من بعده، والسنة الهجرية كانت سنة قمرية شمسية بدليل أسماء الأشهر العربية نفسها التي فيها اسمي ربيع أول وربيع ثاني وهذه يجب أن تصدف دائماً في مواسم الربيع من كل عام. والشاهد الثاني هو شهر محرم الذي يبدأ الأشهر الحرم كل عام وهي أشهر حرَّم فيها الله تعالى صيد البر من أجل هدفٍ فالله تعالى لا يحرم ويحلل اعتباطاً بل دائماً وراء التحريم والتحليل هدف وهدف الله تعالى من تحريم الصيد في أشهر الربيع من كل عام مع إضافة شهر رابع عليها هو من أجل اكمال الرضاعة للحيوانات الصغيرة قبل أن يباشر الناس بصيدها فيموت صغارها وتنقرض مخلوقات الله جهلاً كما حصل خلال الجاهلية العظمى للمسلمين، إن سبب أخذ الناس بالتقويم الغريغوري المعروف اليوم هو العداء الكلاسيكي الموجود بين اليهود والمسيحية فاعتبر المسيحيون أن التقويم المعتمد على القمر والشهر النسيء الذي يضاف سبع مرات في كل تسعة عشر عاماً شمسياً إلى التقويم وبحيث يضاف شهر كل ٣٢ شهر قمري بالتوالي كما بينته في الجدول المرفق الذي يحسب توالي الأشهر ومكان الشهر النسيء خلال ١٩ سنة.

اعتبره المسيحيون تقويماً عبرياً وخاصاً بهم دون أن يعلموا بأن هذا التقويم من الله تعالى للعالمين وهو الذي علَّم الأمم هذا التقويم من علمه الأزلي المعتمد على سننه الثابتة وكان يستخدمه البابليين قبل اليهود الذين تعلموا هذا التقويم منهم فأوجد المسيحيون أيام الرومان التقويم الغريغوري عام ١٥٨٢ عندما أعلن البابا غريغوري الثامن تقويمه

الذي سوف أعود لشرحه بعد قليل.

لكن المسلمين خاصة في عصور السلاطين أصبحوا يجهلون كل شيء فلا يعلمون من بعد علم شيئاً ومنها معنى الدورة الإقترانية للشمس مع القمر فلكياً، ليس عندهم أي فكرة عنه علماً أن اليهود وعلمائهم الذين أخذوا التقويم عن البابليين بدليل أنهم مايزالون يستخدمون الأسماء البابلية للأشهر كانوا وما زالوا يعرفون ذلك تمام المعرفة وكانوا يعيشون جنباً إلى جنب في كل البلاد الإسلامية خاصة بعد الفتوحات وخلال كل العصور الإسلامية وهم ما زالوا إلى اليوم يطبقون التقويم القمري الشمسي المحسوب على أساس اضافة الشهر النسيء كما شرحت تماماً والآن إذا عدنا لآيات الله تعالى لوجدنا أن الله سبحانه يفصل لنا كل شيء تفصيلاً. واليوم الذي يتشكل من أربع وعشرون ساعة نتيجة دوران الأرض المنتظم حول نفسه هو الذي يشكل الوحدة الأساسية في التقويم وبدونه لا يمكن معرفة الشهر ولا السنة لذلك يقو ل لنا سبحانه:

﴿وَجَعَلْنَا الَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَينِ فَمَحَونَآ ءَايَةَ الَّيلِ وَجَعَلنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبصِرَةً لِّتَبتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكم وَلِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلنَاهُ تَفصِيلاً﴾ ـ ١٢ الإسراء.

وهكذا نعلم اليوم أن التقويم يتشكل من حركة الأرض حول نفسها وهي اليوم ٢٤ ساعة ومن حركة الأرض حول الشمس دورة كاملة وهي السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢١٩٤٧ يوماً، أما حركة القمر حول الأرض فهو الذي يشكل الشهر القمري ٢٩,٥٣٠٢٢ يوماً وبما أن اليوم هو الأساس في القياسات لطول الشهر والسنة فقد ذكر سبحانه كلمة اليوم في القرآن الكريم ٣٦٥ مرة رمزاً إلى طول السنة الشمسية، والشهر بحسب تعاليم الله يعد بالقمر ويبدأ برؤيته بدليل قوله تعالى:

﴿...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمهُ...﴾ ـ ١٨٥ البقرة.

فشهود الشهر يكون برؤية الهلال أما حسابه وتقديره بالنسبة لعلماء الفلك الذين يلمون بدقائق هذه الأمور .يكون بالحساب لإنتظام تلك الحركات الفلكية وإتباعها لقوانين في الحركة ثابتة زمنياً ونسبياً.

ونحن كمسلمين نؤمن كما قلت أن العلم أساسه ومصدره الأكيد من رب العالمين ولكن لا يحصل إلا بالسعي فيكون عن طريق الإلهام للعلماء والوحي للرسل والأنبياء.

فالله سبحانه هو الذي علّم داوود تقنية إلانة الحديد وصناعة الدروع من زرد الحديد والله تعالى هو الذي ألهم إسحاق نيوتن قانون الجاذبية عندما أصبح قادراً على فهمه

وإستيعابه لأن الذي خلق القانون هو الله تعالى.

فالقدرة على الفهم والإستيعاب هو الأساس في فهم عطاء الله الدائم لعلمه إلهاماً للعلماء في الأرض.

وبما أن العلم يبدأ بالقراءة.كانت أول كلمة نطقها جبريل عليه السلام على رسول الله من الكتاب هي كلمة إقرأ: فنسينا وأصبحنا أمةً تسمع ولا تقرأ وهذا عكس ما طلب الله منا!!.

والمستمع يسمع ما يلقّن فقط ولا يستطيع ان يختار كالقارئ ما يقرأه من كتاب. فا لذي يسمع التلفاز والراديو والخطيب والواعظ لا يختار ما يسمع بل يسمع ماذا أراد صاحب التلفاز أو الراديو أو الذي يدفع للخطيب أو الواعظ. فهناك مصلحة دائمة وإن كانت مخفية عن أعين البسطاء من الناس من وراء كل ما نُلَقّن وبما أن بحثنا الآن في التقاويم وأفضل مكان نجد فيه العلم والجواب الشافي للإحاطة بجوانب الغموض حول هذا الموضوع هو دائرة المعارف العالمية وقد إخترت منها طبعة عام ١٩٩٢ ليكون مصدراً للمعلومات حول هذا البحث الذي كتبته عام ١٩٩٣.

التقويم الروماني الذي أخذ به يوليوس قيصر إعتماداً على معلومات الفلكي Sosigenes حيث إعتبر بداية التاريخ بالعام ٤٦ قبل الميلاد بداية لذلك التقويم وأعطى العام ٤٦ قبل الميلاد ٤٤٥ يوماً بدلاً من ٣٦٥ يوماً للتخلص من كسور الأخطاء المتراكمة سابقاً للسنين التي لم تحسب حساباً للكسور بإضافة يوم كامل كل أربع سنوات إلى شهر شباط الذي يعد عادةً ٢٨ يوماً فيصبح في تلك السنة التي تدعى بالكبيسة ٣٦٦ يوماً وشهر شباط ٢٩ يوماً.

وقد إعتبر هذا الفلكي طول السنة ٣٦٥,٢٥ علماً أن الحقيقة أقل من ذلك فهي تساوي بالدقة العلمية اليوم ٣٦٥,٢٤٢١٩٤٧ يوماً وقد بدأ تقويمه بالعام ٤٥ قبل الميلاد وهذا التقويم لم تأخذ به روما الشرقية إلا في عام ٨ بعد الميلاد أي بعد مرور ٤٥ + ٨ = ٥٣ عاماً مما جعل الفرق بين التقويمين حوالي أربعة عشر يوماً.

التقويم الغريغوري:

كما رأينا التقويم الروماني إعتبر كسور اليوم ربع يوم كامل وهي في الحقيقة أقل من ذلك كما رأينا ٣٦٥,٢٤٢١٩٤٧ يوماً فالفروق هذه خلقت مشكلة مع الزمن بزيادة ثلاثة أيام إضافية للسنة كل ٣٨٥ عاماً وكنتيجة فإن الكنيسة تدخلت حيث أتى البابا

غريغوري الثامن بمساعدة الفلكي كريستوفر لافيوس ١٥٣٧ - ١٦١٢ ميلادية وأوجد ما هو معروف اليوم بالتقويم الغريغوري.

وهكذا اعتبر يوم الأربعاء الموافق للرابع من أكتوبر عام ١٥٨٢ بحسب تقويم يوليس قيصر القديم.

أعقبه في اليوم الذي يليه بحسب التقويم الغريغوري المعدل يوم الخميس الموافق للخامس عشر من أكتوبر عام ١٥٨٢ بحيث يتم السنة الكبيسة في الأعوام التي تقبل القسمة على أربعة متجاهلةً السنين التي تنتهي بصفرين مثل عام ١٦٠٠ - ١٧٠٠ - ١٨٠٠ - ١٩٠٠ وهكذا إلا أن عام ٢٠٠٠ الذي ينتهي بثلاثة أصفار سوف يعتبر سنة كبيسة بحسب ذلك التقويم.

والتقويم الغريغوري تقويم شمسي لا يعتمد على القمر ولكنه يحسب ويقدر الأعياد القومية وكانت سابقاً تعتمد على التقويم الشمسي والقمري معاً.

والتقويم الغريغوري أخذت به روما الكاثوليكية وطبقتها في البلاد التي كانت تابعة لها والكنيسة الشرقية تأخرت في تطبيقها كما رأينا وكذلك روسيا لم تأخذ به إلا عام ١٩١٨ وتركيا الإسلامية لم تأخذ به إلا عام ١٩٢٩ ميلادية.

بداية السنة:

تختلف بحسب البلدان والشعوب مثلاً:

السنة الرومانية تبدأ بآذار وشهر ديسمبر الذي معناه العاشر باللغة اللاتينية كان هو الشهر العاشر في السنة. عام ١٥٣ قبل الميلاد قناصل روما كانوا يتسلمون مهماتهم في الأول من كانون الثاني (January) التي أصبحت بعد ذلك تعتبر أول السنة وقد أخذ بذلك التقويم يوليوس قيصر. وفي التقويم الغريغوري أيضاً علماً أن بدايات أخرى ظلّت مستخدمة في العالم لبداية السنة. إنكلترا ومستعمراتها مثلاً كانوا يستخدمون ٢٥ آذار أي بداية الربيع. مع التقويم الخاص بيوليوس قيصر حتى عام ١٧٥٢ م وجورج واشنطن الذي ولد في ١١ شباط عام ١٧٣١ على النظام القديم (الإنكليزي) يصادف ٢٢ شباط عام ١٧٣٢ على التقويم الغريغوري أي بفارق سنة وإحدى عشر يوماً.

الأسبوع:

البابليون إستخدموا سبعة أيام للأسبوع بحيث يكون اليوم السابع السبت والروم أخذوا بتواتر الأيام السبعة معتمدين على حركة الشمس والقمر والكواكب الخمسة التي

كانت معروفة في زمانهم على أساس أن الشمس والقمر مع تلك الكواكب الخمسة تساوي الرقم سبعة وأسماء تلك الكواكب التصقت بأسماء الأيام:

Sunday يوم الشمس

Monday يوم القمر

satun's day - saturday يوم زحل

Tiw's day - tuesday يوم المريخ

Wodens day - wednesday يوم عطارد

Thor's day - Thursday يوم المشتري

Frigg's day - Friday يوم الزهرة

والأسماء الثلاثة الأولى مأخوذة من الثقافة الرومانية والأسماء الأربعة التي تليها مأخوذة من التعبيرات، والثقافة الألمانية لأسماء الكواكب الأربعة المعروفة اليوم بالأسماء التالية:

المريخ Mars المشتري Jupiter

عطاردMercury الزهرة Venus

السنة في التقويمات القديمة كما رأينا كانت غالباً تعتمد على قرار من الحاكم (السلطان) ففي عام ٥٢٥ م الراهب ديو ينسيوس Dionysius Exiguus إقترح على الحاكم بأن يكون بدايةً التأريخ مبدأه بتاريخ ميلاد المسيح عليه السلام والذي إصطلحوا له Anno Domini - واختصروها الى الحرفين الأولين من الكلمتين A. D. وهي تعني عام الله. (عام الرب) (The year of the Lord) (على إعتبار أن المسيح هو الرب بحسب رأي الكنيسة وإجماعها) وهذا الإ قتراح تبنته غالبية بلاد العالم المسيحي في خلال الخمسمائة سنة التي تلت ذلك الإقتراح.

والسنين قبل ذلك التاريخ إقترحوا لها: (Before Christ) (B.C.) اختصاراً.

وعلماء التاريخ والتأريخ الى اليوم يعيدون الحادثة (ولادة السيد المسيح عليه السلام) الى عام أربعة بعد الميلاد نتيجة الأخطاء في التقاويم ونتيجة الفروق التي لم يحسب حسابها القدماء بسبب جهلهم بطول السنة الشمسية بالدقة الفلكية العلمية الصحيحة التي يعرفها علماء اليوم.

ولكن من الجدير بالتساؤل الآن:

هل كان تاريخ ميلاد المسيح بن مريم عليه السلام في ليلة رأس السنة أو في الخامس

والعشرين من كانون الأول في منتصف فصل الشتاء حيث موسم الثلوج في مدينة بيت لحم.

أولاً لنستعرض الأناجيل الأربعة عند أهل المسيح وماذا نجد عندهم من معلومات تخص ولادة السيد المسيح؟ نجد في إنجيل لوقا تحت عنوان ميلاد المسيح الفقرة التالية:

«وكان في تلك المنطقة رعاة يبيتون في العراء يتناوبون حراسة قطيعهم في الليل، وإذا ملاك من عند الرب قد ظهر لهم، ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا أشد الخوف، فقال لهم الملاك: «لا تخافوا! فها أنا أبشركم بفرح عظيم يعم الشعب كله: فقد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلِّصٌ هو المسيح الرب.» لوقا الإصحاح الثاني الفقرة ـ ٨ ـ وبما أن الرعاة لا يستطيعون أن يبيتوا في العراء في فصل الشتاء فإن الأقرب للعقل أن الوقت كان صيفاً.

وإذا بحثنا عند الفرق المسيحية المختلفة، ماذا نجد عند مجموعة (شهود يهوه)؟ في كتابهم (يمكنكم أن تحيوا إلى الأبد في الفردوس على الأرض) في الصحيفة ٢١٣ منه نجد الفقرة التالية الملفتة للنظر:

والواقع هو أن ٢٥ كانون الأول ليس تاريخ ولادة يسوع، ولا يمكن أن يكون كذلك لأن الكتاب المقدس يظهر الرعاة وقت ولادته كانوا لا يزالون في الحقول ليلاً (في العراء) وهم لا يكونون هنالك في فصل الشتاء البارد الممطر (لوقا الإصحاح ٢ الفقرات ٨ ـ ١٢).

و٢٥ كانون الأول إنما إختير تاريخاً للإحتفال بولادة يسوع لأنه كما توضح دائرة المعارف العالمية:

أن شعب رومية (روما) سبق وحفظه كعيد زحل، محتفلاً بمولد الشمس.

والآن إذا عدنا وبحثنا في القرآن الكريم حول نفس الموضوع ماذا نجد؟

ففي سورة مريم نقرأ الآيات التالية حول موضوع ولادة السيد المسيح عليه السلام:

﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِهَا مَكَاناً شَرقِيّاً * فَاتَّخَذَت مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأَرسَلنَآ إِلَيهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَت إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً * قَالَت أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَم يَمسَسنِي بَشَرٌ وَلَم أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمراً مَّقضِيّاً * فَحَمَلَتهُ فَانتَبَذَت بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَآءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذعِ النَّخلَةِ قَالَت يَالَيتَنِي مِتُّ قَبلَ هَذَا وَكُنتُ نَسياً مَّنسِيّاً * فَنَادَاهَا مِن تَحتِهَآ أَلا تَحزَنِي قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ تُسَاقِط عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ ـ ١٥ ـ ٢٥ مريم.

والرطب الجني هو البلح أو التمر وهو ثمر النخلة وإن موسم إستواء البلح لا يكون إلا في فصل الصيف وخاصة شهر آب بحسب التقويم الغريغوري الحالي فكان الأجدر بالعلماء أن يصححوا ميلاده بشكل يطابق كتابهم وكتاب القرآن الذي ثبت أنه من الله مباشرةً وبرهان صدقه وعدم تحريفه موجود فيه ولكن مع الأسف الشديد فإن أغلب أهل الكتاب لم يعترفوا بعد بالقرآن كتاباً منزلاً من السماء ولا بمحمد كرسول مرسل من قبل رب العالمين الى الناس كافة.) انتهاء الحاشية.».

التقويم البابلي - العبري:

التقويم البابلي - العبري المستخدم اليوم بحسب التوراة (العهد القديم) تبدأ مع الخليقة وبدء العالم الذي حدث عام ٣٧٦٠ قبل الميلاد، والإسبوع يتألف من سبعة أيام، بدأً بيوم الأحد، ونهايةً بيوم السبت، والسنة عندهم تتألف من إثني عشر شهراً قمرياً، وأسمائها كما يلي:

(كل هذه المعلومات ما زالت مستقاة من دائرة المعارف العالمية طبعة ١٩٩٢).

	الأسماء العبرية	الأسماء البابلية:
١ تشرين أول	Tishri	Tashritu
٢ تشرين ثاني	Heshvan	Arakh - samna
٣ كانون أول	Kislav	Kislimu
٤ كانون ثاني	Tebet	Tebetu
٥ شباط	Shabat	Shabatu
٦ آذار	Adar	Adaru
٧ نيسان	Nisan	Nisanu
٨ آيار	Iyar	Ayaru
٩ حزيران	Sivan	Simanu
١٠ تموز	Tammuz	Diuzu
١١ آب	Ab	Abu
١٢ ايلول	Elul	Ululu

أي أن السنة تبدأ في الشتاء فالربيع فالصيف وتنتهي في الخريف وتتماشى مع الطبيعة التي تموت في الخريف عادةً. والأشهر كما قلنا تتماشى مع الأشهر القمرية لذلك فهي عادةً تكون ٢٩ يوماً في الشهر الأول ثم ٣٠ يوماً في الشهر الذي بعده بالتعاقب وهكذا يصدف دائماً الأشهر:

١ ـ تشرين أول ٣ ـ شباط ٥ ـ حزيران

٢ ـ كانون أول ٤ ـ نيسان ٦ ـ آب

فيكون تعدادها ٢٩ يوماً في الشهر وهي الأشهر الفردية ١ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٩ ـ ١١

بينما تبقى الأشهر الزوجية ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١٢

١ ـ تشرين الثاني ٣ ـ آذار ٥ ـ تموز

٢ ـ كانون الثاني ٤ ـ آيار ٦ ـ إيلول

فيكون تعدادها ٣٠ يوماً في الشهر وبما أن السنة الشمسية أطول بحوالي إحدى عشر يوماً عن الإثني عشر شهراً قمرياً.

فإن اليهود يضيفون إلى التقويم شهراً يسمونه (Ev Adar) للتخلص من تراكمات الفروق كل ٣٢ شهراً قمري مرة وهذا يتم سبع مرات كل تسعة عشر عاماً شمسياً بالتمام والكمال وربما Ev أتت من الكلمة اللاتينية (evasion) التي معناها التخلص أو التملص والتجنب والتهرب (أي التخلص من الزيادات) فيكون عدد أشهر تلك السنين بالأشهر الشمسية تساوي.

١٩ ضرب ١٢ = ٢٢٨ شهراً على النظام الشمسي

٢٢٨ + ٧ = ٢٣٥ شهراً قمرياً مع إضافة أشهر النسيء السبعة وإذا أحببنا أن نعلم طول كلا الفترتين بالأيام بحسب طول اليوم يكون: ٣٦٥,٢٤٢١٩ ضرب ١٩ = ٦٩٣٩,٦٠١٦ يوم

بينما الشهر القمري طوله ٢٩,٥٣٠٢٢ يوم

٢٩,٥٣٠٢٢ ضرب ٢٣٥ = ٦٩٣٩,٦٠١٧ يوم

وهذا تطابق بأجزاء الثانية بين طول السنة الشمسية والقمرية كل تسعة عشر عاماً شمسياً ـ تنظيم الله الذي نظم كل مخلوقاته على نظام ال (١٩) وإن علم التسعة عشر

ليس من العلوم البشرية بل هو من الله مباشرةً (راجع الإعجاز العددي في القرآن في كتاب «إنذار من السماء» للمؤلف)

التقويم الإسلامي الحالي:

المسلمون يبدأون تقويمهم في يوم ١٦ تموز عام ٦٢٢ م بحسب التقويم الغريغوري وهو تاريخ وصول الرسول الكريم مهاجراً من مكة الى المدينة المنورة والسنة عند المسلمين إثني عشر شهراً قمرياً ٢٩ ـ ٣٠ يوماً بالتعاقب جاعلين السنة ٣٥٤ يوماً وبما أن السنة بهذه الطريقة أقصر من السنة العادية ب ١١,٢٤٢١٩ يوما.

الأشهر تتأخر بإستمرار عن أشهر السنة الشمسية ولا تتماشى مع الفصول الأربعة أو مع المواسم السنوية لذلك فهذه السنة أو هذا التقويم لا يمكن الإستفادة منه في الزراعة أو تربية الحيوان أو في معرفة مواسم الصيد ولا في معرفة وقت الأشهر الحرم التي حرم الله تعالى صيد البر فيها والذي يجب أن يصادف موسم التوالد الذي يتبع المواسم ولا معرفة مواسم الحج التي كان يعقد فيها أسواق التجارة حتى قبل الإسلام لبيع المنتوجات الزراعية من الحيوانات من الإبل والأغنام والمنتوجات زراعية كالتمور بأنواعها وهذا كله لا يمكن أن يتم في مكة إلا في فصل الشتاء المناسب بالنسبة لموقع مكة الجغرافي والمناخي من أجل اجتماع الناس من دون وجود الحر الشديد الذي يتميز به الصحراء صيفاً فكان من أكبر الأخطاء ظن المسلمين أن الله تعالى قد حرم النسيء فألغوه من الأشهر قبل أن يفهموا آية القرآن.

لا أعتقد أن الذي دفعهم إليه كان جاهلاً بل كان يعلم الحق ولكنه فعلها حقداً وحسداً إنتقاماً من جهلة المسلمين.

والسؤال الآن لماذا تتطابق كل تقاويم الأمم في العالم كله مع السنة الشمسية ويشذ عنها التقويم الإسلامي الهجري الذي يناقض كل التقاويم ولا يسير مع المواسم التي خلقها الله تعالى.

كما رأينا في بداية هذا البحث فإن القرآن الكريم يعتبر الليل والنهار والشمس والقمر معاً من أجل وضع التقاويم وكما أن الشمس والقمر معاً من أجل حساب طول السنة بالأيام مع الكسور.

والآن لنعد إلى أسماء الشهور الهجرية العربية ونعددها بحسب ترتيبها:

١ محرم	٥ جماد أول	٩ رمضان
٢ صفر	٦ جماد ثاني	١٠ شوال
٣ ربيع أول	٧ رجب	١١ ذو القعدة
٤ ربيع ثاني	٨ شعبان	١٢ ذو الحجة

إن وجود إسمي ربيع أول وربيع ثاني يدل على أن هذين الشهرين يجب أن يصادفا دائماً في الربيع وهذا معناه أن السنة في عصر الرسول الكريم قد كانت سنة شمسية تطابق الفصول الأربعة بنفس أسلوب التقويم البابلي العبري عند بني اسراءيل الذين كانوا يعيشون معهم في المدينة المنورة من بني قريظة وبني النُّضَير أي أن هناك شهر إضافي يجب إضافته للعام كل ٣٢ شهر قمري فهل هناك أي ذكر لمثل ذلك.الشهر في القرآن الكريم؟

لنعد الى الآية الكريمة التي تعد الأشهر وتبينها ماذا نجد:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهراً فِى كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ مِنهَآ أَربَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُم...﴾ - ٣٦ التوبة.

ثم تأتي الآية التي بعدها لتقول:

﴿إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّه...﴾ - ٣٧ التوبة.

إذا إنتبهنا للتشكيل في الآية نجد أن كلمة (يُضَلُّ) في العبارة ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أتت مبنية للمجهول بمعنى أن الفاعل غير معروف علماً أن الذين كفروا هم الذين يُضِلُّون من أمثال ابليس يعرفون ويحرفون فهل يمكن لأحد أن يُضِلَّ ابليس وهو زعيم من يُضِلُّ في الأرض؟

فالذي بدل التشكيل وجعلها مبنية للمجهول هو ابليس من الإنس.

إذا عدنا للقرآن الكريم وبحثنا في آياته كلها نجد نفس الكلمة قد وردت ١٨ مرة وكلها مشكلة (يُضِلُّ) مثل:

﴿...وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الفَاسِقِينَ﴾ - ٢٦ البقرة.

﴿...وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ...﴾ - ٢٧ إبراهيم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِى لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ - ٦ لقمان.

وهكذا في كل الآيات قد أتى التشكيل بحيث تكون الكسرة تحت الضاد إلا في مرة واحدة أتت فتحة فوق الضاد في الآية المفردة:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّه...﴾ - ٣٧ التوبة.

نحن نعلم من تاريخ السيرة النبوية أن القرآن الكريم قد جمع وكتب عن أربعة مصاحف وزعت في زمن عثمان رضي الله عنه وما زال مصحف عثمان الذي كان في بيته محفوظاً في متحف استانبول مقر الخلافة الإسلامية الأخيرة. وتلك المصاحف الأربعة لم تكن مشكلة ولا منقطة.

ثم بعد ذلك تم تنقيط القرآن في العصر الأموي ويقال بحسب الروايات إن من كلف بذلك هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

والناس في ذلك العصر لم يكونوا بحاجة للتشكيل لأن القرآن قد كان مكتوباً بلغتهم التي يعرفون تشكيلها بالسليقة من غير حاجة لمعرفة قوانين وأصول النحو والصرف والإعراب.

ولكن ذلك أصبح ضرورياً في العصر العباسي عندما دخل إلى الإسلام كثير من العجم وكلهم يجهلون قواعد اللغة العربية فيخطئون في التشكيل الذي يؤثر على المعنى في اللغة العربية، فتم تشكيل القرآن في العصر العباسي الذي وصل فيه اليهود الذين دخلوا إلى الإسلام عصر الكشف لوصولهم إلى عصر القوة فصاروا يتسمون بأسمائهم علناً بينما نجدهم في العصر الأموي بأسماء عربية مثل أبي وكعب وعمر وعبد الله!!

بينما أصبحت أسمائهم إسرائيل ويعقوب وإسحاق في ذلك العصر.

وكان أغلبهم من الفقهاء والعلماء والقضاة والذين بيدهم تصريف أمور المسلمين وتدبير شؤون المسلمين والدولة منهم كما برهنت على ذلك في كتابي الثاني (دين السلطان) والذي يجعلني أشك بهؤلاء إن الأخطاء في التشكيل القرآني نادرة ولكنها كلها تؤدي إلى ضلالات كبيرة وسوف يجد القارئ مثالاً أخر في هذا الكتاب عن عبارة

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إبرَاهِيمَ خَليلاً﴾ - ١٢٥ النساء.

والآن لو فكر المسلمين في الموضوع من جديد لوجدوا تناقضاً في معنى الآية إذا

تركنا التشكيل على ما هو عليه (يُضَلُّ)

﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ـ ٣٧ التوبة

إن المعنى بحسب هذا التشكيل كما قلت لا يستقيم كما سبق وشرحت لأن الكافر يمكن بأن يُضِلَّ غيره وهذا هو المعقول الوحيد، ولكن الذي لا يعقل أن يُضَلَّ الذي اختار الإضلال وظيفة له في الأرض.

وإذا أصر بعض الناس على التشكيل الحالي فما هو المعنى المقصود من الآية ومن هو الذي يُضِلُّ الذين كفروا؟ هل هو الله تعالى؟ أم المؤمنين؟ وإذا كان الأمر هكذا فلماذا يجعل الله هذه الكلمة مبنية للمجهول ولا يقولها صراحة كما في الآية:

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ﴾ ـ ٧٤ غافر.

ولكن الله تعالى لايناقض نفسه فقد سبق وقال:

﴿...وَيُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيدا﴾ ـ ٦٠ النساء

والشيطان هو زعيم الكافرين فكيف يضله الله وهو الذي اختار سبيل الكفر لوحده وبمشيئته؟

ولم يسبق في القرآن الكريم أن استخدم فيه الله فعلاً وبناه للمجهول وهو يقصد به ذاته أبداً.

فلم يقل الله مثلاً يُعذَّبُ أبداً بل قال دائماً يعذِّبُ.

ولكن العرب الذين هم أقل الناس في العالم تدقيقاً في النصوص لم ينتبهوا للفخ الذي نصب لهم بتغيير تشكيل تلك الكلمة التي قلبت المعنى كله.

بينما إذا أعدنا تلك الكلمة بحسب تشكيلها المعتاد في باقي الآيات لعادت إلى أصلها وأصبحت في تعدادها تساوي تسعة عشر وهي لازمة توافق أغلب الكلمات المهمة في القرآن الكريم.

مثل: الله ٢٦٩٨ = ١٤٢ ضرب ١٩

ألرحمن ٥٧ = ٣ ضرب ١٩

الرحيم ٩٥ = ٥ ضرب ١٩

رب ١٥٢ = ٨ ضرب ١٩

الصلاة ٧٦ = ٤ ضرب ١٩

المعروف ٣٨ = ٢ ضرب ١٩

الصراط ٣٨ = ٢ ضرب ١٩

نشاء ١٩ = ١ ضرب ١٩

عملاً صالحاً ١٩ = ١ ضرب ١٩

يُضِلُّ ١٩ = ١ ضرب ١٩

وأمثالها كثير جداً في القرآن الكريم فإذا صححنا التشكيل وقرأنا الآية من جديد لظهر لنا المعنى الذي اختفى عنا لأكثر من أربعة عشر قرناً.

بأن الزيادة في الكفر هو الإضلال الناتج من الذين كفروا والذين بدأوا يحللون الأشهر الحرم في العام الذي يصدف فيه النسيء ثم يحرمونه في العام الذي يليه وهذا لا يجوز قطعاً لأن التحريم دائم وفي كل الأعوام بالنسبة للأشهر الحرم الأربعة، أما استخدام النسيء من أجل التحريم والتحليل فهذا هو الذي لا يجوز وهذا هو الكفر بأمر الله المذكور في القرآن.

ولكن ليس الكفر في النسيء ذاته بل الكفر كما رأينا بالتحليل والتحريم الذي ليس من سلطة أحد من خلق الله أبداً حتى ولا رسله الكرام والدليل في القرآن إذ لم يقبل الله من رسوله الكريم أن يحرم على نفسه شرب ماء العسل:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ ـ ١ التحريم.

لذلك لابد من العودة عن الخطأ وإعادة النسيء إلى ماكان عليه من قبل حتى تنطبق مواسم الله مع تقويمه وحتى يكون للأشهر الحرم التي حرم سبحانه فيها صيد البر على كل المسلمين معنى وهدف هو المحافظة على الحيوانات البرية من الإنقراض الذي حصل بعد تطبيق هذا الإضلال من الكافرين للمسلمين فلم يبق في بلاد المسلمين وخاصة في الجزيرة العربية حيوانات كانت فيها في عصر الرسول الكريم مثل الحمر الوحشية والبقر الوحشي التي تحتاج إلى حماية في موسم الولادات لمنع صيدها، كل المسلمين يعلمون بأن النص المكتوب والمحفوظ من القرآن اليوم باسم مصاحف عثمان ليس فيه تنقيط ولا تشكيل من الله وهذا دليل أكبر وثابت بأن التشكيل من الأمور التي أضيفت على القرآن ولم تكن موجودة سابقاً والإضافة حدثت بفعل من الإنسان المعرض للخطأ عن

قصد أو سهواً وطالما كلاهما وارد فماذا يمنعنا كأمة إسلامية من إعادة الحق إلى نصابه بدون تشنج ظلماً وجهالة؟.

وآيات القرآن إذا دققنا فيها تفصل بذاتها وتبين لنا كل أمر غامض شريطة أن لا نلجأ إلى غير القرآن من الكتب أو من الأحاديث الضالة أبداً:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ...﴾ - ٩٥ المائدة.

وقد قرأنا قبل ذلك:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثنَا عَشَرَ شَهراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ مِنهَآ أَربَعَةٌ حُرُمٌ...﴾ - ٣٦ التوبة

وعلمنا من الأية ٩٥ من سورة المائدة أن لا نقتل الصيد ونحن في الأشهر الحرم. فما علاقة الصيد بالأشهر الحرم أو بمواسم السنة؟

الدول العلمانية اليوم نتيجة إنتباه العلماء إلى إنقراض الحيوانات البرية نتيجة الصيد العشوائي الذي لا ينظمه قانون ولا يحميه دستور، وضعت قوانين صارمة لتحديد مواقيت الصيد البري.

والأوقات التي يحرم فيها الصيد البري عادة تكون في مواسم الولادات للحيوانات عامة وهي تتطابق عادة مع أشهر الربيع.

والآن إذا عدنا إلى أسماء الأشهر العربية الإسلامية نجدها كما يلي:

محرم وهذا الإسم يدل من لفظه انه من الأشهر الحرم ثم يأتي بعدها شهر صفر ثم ربيع أول وربيع ثاني وهذين الشهرين يدل لفظهما أنهما من أشهر الربيع وهما أيضاً من الأشهر الحرم التي حرم فيها رب العالمين صيد البر. ولكن إذا كانت السنة الإسلامية لا تتماشى مع مواسم السنة كما هي عليه الآن فلم يعد لتلك الأسماء أي معنى، فكيف يكون ربيعاً إذا كان يدور على كل الفصول الأربعة كل ثلاث وثلاثين سنة تقريباً، وكيف تكون محرمة للصيد إذا كانت ليست من أشهر الولادات والإرضاع لصغار الحيوانات.

من هنا نعلم وجوب تطابق السنة الإسلامية مع السنة الشمسية الموسمية وقد برهنت من خلال عدد كلمات اليوم عند الله في كتابه بأنها ٣٦٥ يوماً وليست ٣٥٤ يوماً وهذا دليل كاف من الله أن السنة يجب أن تتماشى مع الفصول الأربعة.

رجعت إلى أغلب التفاسير القديمة لعلي أجد شيئاً لا يزال فيه بصيص من نور أستهدي به إلى الحق فلم أجد شيئاً، بل وجدت على العكس أنهم يجهلون بوجوب وجود الشهر النسيء ويظنون أن الله تعالى قد ألغى الشهر النسيء، فألغوه نهائياً من التقويم الإسلامي لاغين بذلك إمكانية تطابق السنة القمرية مع فصول السنة الشمسية الموسمية.

وحتى نفهم الموضوع بشكل أفضل لابد من وضع جدول كامل لـ (٢٣٥ شهراً قمرياً) وهي تساوي تماماً وبأجزاء الثانية تسعة عشر عاماً شمسياً يعود بعدها الشهر النسيء من جديد لما كان عليه في السابق، أي أن هذه الدورة للشهر النسيء تتم كل تسعة عشر عاماً دورةً كاملة كما يلي: أنظر الجدول المرفق:

وكما لا حظتم في الجدول السابق فإن الشهر النسيء يصدف في كل تسعة عشر عاماً سبع مرات.

في العام الثالث يأتي دوره بعد شعبان.

وفي العام السادس يأتي دوره بعد ربيع الثاني.

وفي العام الثامن يأتي دوره بعد نهاية السنة الشهر الثالث عشر.

وفي العام الحادي عشر يأتي دوره بعد شعبان مرة ثانية.

وفي العام الرابع عشر يأتي دوره بعد ربيع الثاني مرة ثانية.

وفي العام السادس عشر يأتي دوره في آخر السنة الشهر الثالث عشر.

وفي العام التاسع عشر يعود ليأتي دوره بعد شعبان من جديد.

وإذا اعتبرنا الأشهر الأربعة (محرم وصفر وربيع ١ وربيع ٢) هي الأشهر الحرم فإن الشهر النسيء لا يقسم أبداً الأشهر الحرم بل يأتي دائماً بعدها وإن تطبيق هذا الجدول يحافظ على مواسم السنة ويجعل من استخدام الأشهر القمرية فائدة كبيرة جداً.

أما تطبيقها بالطريقة الحالية فهي أشد كفراً من الجميع لأنه يحلل ما حرم الله من الأشهر الحرم ولا يحافظ على الحيوانات التي من أجلها حرم الله الصيد في تلك المواسم - ولكن من جهلنا لم نعد نعرف من بعد علم شيئاً هذا وقد عدت الى كتاب صحيح البخاري لَعَلّي أجد ما يفيد الموضوع فو جدت حديثاً واحداً هو التالي:

وقد أتى في شرح الآية:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهراً فِى كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ مِنهَآ أَربَعَةٌ حُرُمٌ...﴾ - ٣٦التوبة.

الحديث ٤٦٦٢ صحيح البخاري عن أبيْ بكرة عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات» (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضَرْ الذي بين جماد وشعبان) وهذا الحديث مع الأسف لا يوضح شيئاً بل بالعكس يقسم الأشهر الحرم الى ثلاثة أقسام ولا يعقل أن يحرم الله الصيد في العام الواحد في ثلاث فترات متقطعة:

الفترة الأولى: هو شهر رجب الذي يقع قبل شعبان ورمضان.

الفترة الثانية: تقع في أشهر الحج ذو القعدة وذو الحجة.

الفترة الثالثة تقع فى بداية السنة التالية بشهر محرم بينما إذا عدنا لكتاب الله تعالى لوجدنا الدليل القاطع بأن الأشهر الحرم الأربعة هي:

محرم - صفر - ربيع أول - ربيع ثاني.

وكما بحثت في كتب التاريخ الإسلامي لعلي أجد بصيصاً من النور فلم أجد إلا ضلالاً ومما وجدت في كتاب البداية والنهاية لأبو الفداء الحافظ المعروف بإسم إبن كثير الدمشقي المجلد الثالث الجزء الخامس الصفحة ١٧٩ وجدت الفقرة التالية في تفسير الآية القرآنية:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ...﴾ - ٣٧ التوبة.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثنَا عَشَرَ شَهراً فِى كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ مِنهَآ أَربَعَةٌ حُرُمٌ...﴾ - ٣٦ التوبة.

رجب - مضر - الذي بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

﴿...ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُم...﴾ - ٣٦ التوبة.

كانوا يحلون صفر عاماً ويحرمون المحرم عاماً.

ويحرمون صفر عاماً ويحلون المحرم عاماً فذلك النسيء.

من الواضح أن ما سمعناه الآن هو ذكريات عن علم قديم ضاع أغلبه في كهفنا العظيم وما بقي من شظايا حطام تلك الذكريات لا يستطيع إنسان أن يصل بها إلى

الحقيقة أبداً ولكن شكراً لله الذي حفظ لنا القرآن الكريم وما يزال فيه الحقيقة كاملة ولم يلمسها إنس ولا جان بعد.

إذا عدنا إلى آيات القرآن وفي نفس سورة التوبة ماذا نجد؟

نجد البرهان والدليل من من رب العالمين في الأذان الذي هو الإعلان للناس يوم الحج الأكبر في ذي الحجة وهو يخاطب المشركين قائلاً: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ هي الأشهر الحرم التي تأتي مباشرة بعد شهر ذي الحجة ولو كانت الأشهر الحرم تقع كما تقول الروايات في قسمين أولها في رجب ثم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ما كان لهذا الإعلان معنىً أبداً لأن الأشهر الحرم قد انتهت ولم يبق منها إلا شهر محرم بينما الأية تحدد لهم المهلة لمدة الهدنة بأربعة أشهر قادمات وهي محرم - صفر - ربيع١ - ربيع٢.

نجد الله سبحانه يشير للأشهر الأربعة الحرم التي حرم فيها سبحانه القتال وحرم فيها أيضاً صيد البر:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعلَمُوا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخزِى الكَافِرِين﴾ - ١ - ٢ التوبة.

من الواضح أن الآية الثانية تخاطب المشركين تاركاً لهم المجال خلال أشهر الحرم الأربعة التي حرم الله تعالى فيها القتال كما حرم فيها الصيد أيضا وسمح للمشركين بأن يسيحوا في الأرض دون أن يتعرض لهم المسلمون بسوء.

ومن الواضح تماماً من آيات الله في السورة أن الله تعالى يعلن هذا الإعلان في يوم الحج الأكبر الذي يصدف عادة في شهر ذي الحجة والتي يأتي بعدها مباشرة الأشهر الحرم الأربعة التي تكلم عنها سبحانه سامحاً للمشركين أن يسيحوا فيها من دون تعرض المسلمين لهم حتى تكون فرصة لهم للتوبة والعودة إلى مسالمة المسلمين في عهدهم الذي قطعوه على أنفسهم في صلح الحديبية بدليل قول الله تعالى لهم ذاكراً موضوع التوبة الذي صار اسماً لهذه السورة المدنية في القرآن الكريم.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَومَ الحَجِّ الأَكبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِىءٌ مِّنَ المُشرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبتُم فَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَإِن تَوَلَّيتُم فَاعلَمُوا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِى اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيم﴾ - ٣ التوبة.

بعدها يستثني سبحانه المشركين الذين لم ينقضوا عهودهم وهذا دليل كبير من الله تعالى أن الحرب التي أعلنها سبحانه لم تكن حرباً من أجل نشر الإسلام بالقوة وإنما من أجل منع التعدي والظلم من بعض المعتدين منهم من الذين نقضوا عهودهم.

﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَم يَنقُصُوكُم شَيئاً وَلَم يُظَاهِرُوا عَلَيكُم أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيهِم عَهدَهُم إِلَى مُدَّتِهِم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ـ ٤ التوبة.

بعدها يبين سبحانه ماذا يجب على المسلمين أن يفعلوا وبعد انقضاء فترة الأشهر الحرم الأربعة التي تأتي عادة مباشرة بعد شهر ذي الحجة وهي (محرم ـ صفر ـ ربيع أول ـ ربيع ثاني.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشهُرُ الحُرُمُ فَاقتُلُوا الْمُشرِكِينَ حَيثُ وَجَدتُّمُوهُم وَخُذُوهُم وَاحصُرُوهُم وَاقعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ـ ٥ التوبة.

أحببت أن أستشهد بهذه الآيات لأبين للمسلمين جميعاً أن الأشهر الحرم أربعة متصلة وتأتي مباشرة بعد ذي الحجة كما تشرحها آيات القرآن في سورة التوبة شرحاً مبيناً، وليس فوق شهادة الله شهادة أخرى فوقها أبداً إن كنا نؤمن بالله ونحبه ولا نشرك به احداً.

رأينا سابقاً أن الدول العلمانية نتيجة إنتباه العلماء الى إنقراض بعض الحيوانات البرية نتيجة الصيد العشوائي الذي لا ينظمه قانون ولا يحميه دستور، عادوا فوضعوا قوانين صارمة لتحديد مواقيت الصيد وحددوا الأوقات التي يحرم فيها الصيد، كما بينوا أيضاً الوسائل المحرمة للصيد وحددوا كمية الصيد المسموح لكل صياد ونظموا كذلك أيضاً صيد البحر خوفاً على الحيوانات البحرية من الإنقراض. والآن لنعد مرة أخرى للبحث عن أدلة تثبت أن الشهر النسيء كان معروفاً ومطبقاً من قبل العرب وقبل الإسلام وأن إلغاؤه حصل خلال ضعف الخلافة الأموية على الأغلب.

الدليل الأول:

محرم وهو أول شهر من السنة وإسمه يدل على أنه من الأشهر الحرم ثم يأتي بعدها صفر ثم ربيع أول وربيع ثاني.

ومن اسمها نعلم أنهما يجب أن يكونا دائماً في الأشهر الحرم الذي هو فصل التوالد والإرضاع للحيوانات البرية مثل الغزلان بأنواعها والبقر الوحشي والحمار

الوحشي والطيور أيضاً تربي صغارها في نفس الفترة والأشعار القديمة في الجاهلية كلها تصف تلك الحيوانات والطيور في الجزيرة العربية وقد اختفت جميعها الآن من كل البلاد العربية والإسلامية لماذا؟ لأنهم تركوا العلم وفتحوا باب الجهل العريض على أنفسهم.

الدليل الثاني:

أن العرب في الجزيرة كانت عندهم أسواق موسمية مثل سوق عكاظ كان يفتح في أشهر الحج الذي كان يصادف عادةً في الشتاء وهو أنسب الأوقات بالنسبة لمناخ الجزيرة العربية وخاصة في مكة فكان موسم الحج عبارة عن معرض أممي يجتمع فيه التجار من جميع بلاد منطقة الشرق الأوسط وتعقد فيه مؤتمرات أدبية وخطابية وتلقى فيه الأشعار والفائز فيها تعلق قصيدته على جدار الكعبة ومنها عرفنا المعلقات العشرة الشهيرة.

وسبب كون فصل الشتاء أنسب الأوقات أن الناس في تلك الفترة يكونون عادة في حالة راحة من العمل وخاصة للمزارعين ومربي الحيوانات، وإنتاجهم بحاجة للتسويق فكانت فترة الحج وموسمها السنوي هو أنسب الأوقات لهذه العملية.

ولكن بعد إلغاء الشهر النسيء من الأشهر القمرية استحال بعدها عقد مثل تلك الأسواق وحصل هذا في فترة ظلم شديد نتيجة جهل أشد من الناس.

الدليل الثالث:

وجود أحاديث كثيرة تشهد بوجود الحمار الوحشي والبقر الوحشي في الجزيرة العربية أيام الرسول الكريم. وكل تلك الحيوانات انقرضت نتيجة عدم تطابق الأشهر الحرم مع الفصول ومواسم الولادات لهذه الحيوانات.

الدليل الرابع:

من القرآن وفي سورة قريش التي يورد فيها سبحانه أن لقريش رحلتان سنويتان موسميتان واحدة في الصيف وإلى بلاد الشام في الشمال والأخرى في الشتاء إلى بلاد اليمن وحضرموت وعدن وعُمان من بلاد الجنوب ولو كان أهل قريش يطبقون التقويم الهجري الحالي لما عرفوا المواسم أصلاً إذاً فالتقويم الذي كان معروفاً في الجاهلية وفي الإسلام خلال العصر الأموي كان يتماشى مع السنة الشمسية.

الدليل الخامس:

أن كلمة موسم التي كانت تطلق على الحج والموجودة في كتب التاريخ الإسلامي وفي السيرة النبوية تدل أن أشهر الحج كانت تصدف في موسم معين من السنة والا فكلمة موسم لا معنى لها إذا كانت تصدف مرة في موسم الصيف ومرة في موسم الربيع وهكذا تدور على جميع فصول السنة ومواسمها كلها.

وأشهر الحج ثلاثة والله تعالى يقول عنها معلومات لكونها محددة تماماً بالعيدين تبدأ بإحتفال العيد الصغير الذي يبدأبعد رمضان مباشرة وتنتهي أيضاً بإحتفال العيد الكبير الذي يكون احتفالاً بنهاية موسم الحج وإحتفالاً ببداية السنة الجديدة ودخول الناس إلى موسم جديد هو موسم الأشهر الحرم الأربعة.

وإذا عدنا للصحيحين نجد مثلاً الحديث رقم ١٩٤١ المسلسل ٣٧ من صحيح الإمام مسلم، عن جابر بن عبد الله قال: «أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي عن الحمار الأهلي».

وفي الحديث رقم ١٨٢٥ من صحيح البخاري، عن عبد الله بن العباس عن الصعب بن جثانة الليثي:

(أنه أهدى لرسول الله حمار وحشي وهو بالأبواء فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: «إنّا لم نردُّهُ إلا أنّا حرم»)

أي أن سبب الرد لم يكن لتحريم أكل لحم هذا الحيوان وإنما بسبب أن الرسول الكريم كان قد أحرم في فترة الحج وكان قد نوى لنفسه حجاً أو عمرة.

أما لو كان الوقت والزمان في وقت الأشهر الحرم لقال الرسول لليثي بصراحة أنه لا يجوز صيدها ولا أكلها بل عليه كفارة لأن الموسم هو موسم الأشهر الحرم التي حرم الله تعالى الصيد فيها بآيات بينات في القرآن الكريم وليست مجرد قال عن قيل التي أصبحت الآن مصدر العلم لعلماء المسلمين وفقهائهم جميعاً:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدلٍ مِّنكُم هَدياً بَالِغَ الكَعبَةِ أَو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَكِينَ أَو عَدلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ ـ ٩٥ المائدة.

فأين تطبيق المسلمين لهذه الآية اليوم في كل بلاد المسلمين.

وسبب استشهادي بتلك الأحاديث التي ذكر فيها الحمار الوحشي هو فقط للبرهان على تواجد تلك الحيوانات في زمن الرسول الكريم في الجزيرة العربية ثم انقرضت جميعها بعد ذلك خاصة بعد أن دخل المسلمون من جديد في عصر الجاهلية الأكبر فنسوا من بعد علم كل شيء، وصار الجهل عاماً لكل الناس وخاصة لمن نسميهم علماء المسلمين، وهو أكبر نقمة وغضب من الله يمكن أن يلحق أمة بكاملها.

الدليل السادس من القرآن الكريم الله سبحانه يفرق بين كلمتي السَّنة والعام فالسنة عادة تتبع التقاويم والعام يتبع الموسم كقول الفلاح وهو في موسم الحصاد (في العام الماضي) وهو يقصد في موسم الحصاد الماضي، والأم عندما يقول عنها الرحمن:

﴿...حَمَلَتهُ أُمُّهُ وَهناً عَلَى وَهنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَينِ...﴾ - ١٤ لقمان.

هنا العام يبدأ من تاريخ الولادة للمولود وليس له علاقة بالسنة التقويمية ومثل هذه الأدلة كثيرة في القرآن الكريم.

﴿إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقوَمُ...﴾ - ٩ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

صدر للمؤلف:

الكتاب الأول: إنذار من السماء - «النظرية».

الكتاب الثاني: دين السلطان - «البرهان».

الكتاب الثالث: دين الرحمن - «المدخل إلى الحقيقة».

كتب ستصدر للمؤلف:

الكتاب الرابع: أسرار القرآن (الحقيقة)

الكتاب الخامس: كيف نفهم (السبع المثاني والقرآن العظيم) - (سور القرآن المكية)

الكتاب السادس: كيف نفهم: كتاب الحكمة (أم الكتاب) - (سور القرآن المدنية)

مراجع الكتاب

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الإسلامية استانبول ـ تركيا ـ ١٩٨٤.
٢ ـ علم الحديث ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ علم الكتب بيروت.
٣ ـ البداية والنهاية ابن كثير الدمشقي ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.
٤ ـ السنة قبل التدوين ـ الدكتور محمد عجاج الخطيب ـ دار الفكر ـ ١٩٨١.
٥ ـ السنة ـ الشيخ مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ١٩٨٥.
٦ ـ الإسلام في مواجهة الإستشراق العالمي ـ الدكتور عبد العظيم المطعني دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٩٢.
٧ ـ الروح ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٩١ ابن قيم الجوزية.
٨ ـ الفوائد دار الهدى ـ بيروت ١٩٩٤ ابن قيم الجوزية.
٩ ـ الكتاب والقرآن ـ قراءة معاصرة. الدكتور محمد شحرور ـ دار الأهالي للطباعة والنشر ـ دمشق ١٩٩٤.
١٠ ـ القرآن الكريم.
١١ ـ أسباب النزول للواحدي ـ دار لقبلة ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ ١٩٨٧.
١٢ ـ ألفية السيوطي ـ لجلال الدين السيوطي ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ.
١٣ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة ـ مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٦ هـ.
١٤ ـ صحيح لبخاري بحاشية السندي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
١٥ ـ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٦.
١٦ ـ حادي الرواح ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤.
١٧ ـ فقه السنة ـ السيد سابق ـ الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة ١٩٩٠.
١٨ ـ الأديان الحية ـ اديب صعب ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٩٣.

١٩ ـ تقسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ـ دار الكتاب اللبناني ـ عاطف السيد ـ بيروت ١٩٨٤.

٢٠ ـ قصة الحضارة ول ديورانت. طبع الجامعة العربية ـ القاهرة ١٩٨٠.

٢١ ـ الكتاب المقدس L B I ١٩٨٨.

٢٢ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٨٨).

٢٣ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٢).

٢٤ ـ قصص ـ القرآن ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٩١.

٢٥ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة. تأليف بن عبد البر.

٢٦ ـ التلمود ـ راندوم هاوس ـ نيويورك.

٢٧ ـ مقدمة وتاريخ ابن خلدون ـ دار إحياء التراث الغربي ـ دمشق.

٢٨ ـ الماسونية ماضيها وحاضرها ـ سعيد الجزائري ـ دار الجيل ـ بيروت.

٢٩ ـ رياض الصالحين ـ للنووي ـ دار الثقافة العربية ١٩٧٦.

٣٠ ـ السلطان عبد الحميد الثاني ـ موفق بني المرجة ـ الكويت ١٩٨٤.

٣١ ـ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ دار الفكر.

٣٢ ـ موسوعة المعارف البريطانية لعام ١٩٩٢.

٣٣ ـ تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين الذهبي طبع الهند ١٣٣٣ هجرية.

الفهرس







إن قصتي مع الإيمان قصة خاصة وفريدة من نوعها، فقد أتيح لي، بفضل من الله ومنّة منــه، أن أقــف علــى معجزات كتاب الله العديدة، وهي أنــه، بالإضافــة الــى روعة بيانه وسهولة حفظه، يقوم على لغة مرنة، تصلــح لكل زمان ومكان، وتتيح لكل إنسان يعرف العربيــة أن يفهم من كتاب الله ما يفي بتبليغه قواعد الإيمان وأسســه دون حاجة منه إلى الاستعانة بــالمحدثين أو المفسّـرين، وتبين لي أن اعتماد المسلم على كتاب الله، والرجوع إليه دون وسيط، يعصم المسلم من التــأثر بوجـهات نظـر المحدثين والمفسرين واجتهاداتهم، وتشعّب مناهجهم، مما قد يبعد المسلم عن صفاء الينبوع، ويشتــت انتباهــه أو يشغل ذهنه بــالعرض دون الجوهــر، وبالثــانوي دون الأساسي، أو يبرّد حرارة البيان الدافق المعجز بالشروح المستفيضة التي تميت الروح وتخمد جذوة التأثر، فتغــدو هذه الشروح بديلا عن الآية المعجزة، وتضع نفسها فــي كفة مع البيان الإلهي، وتسدّ على القارئ المتلهّف لكلمــة الله منافذ التذوّق.

لقد ضيّقنا رحاب الكلمة المنزلة، وقيدناها بجملة أفكار بشرية استعصمت بالأحــاديث النبويــة تلتمــس منــها مرجعيتها وثباتها لتغدو تأطيراً لكتــاب الله، ولا تــترك لقارئه فسحة لإستلهام الأصل لا الفــرع، وهــي تعطّــل ملكاته التي يجب أن تتفاعل مع النص القرآني بعيداً عــن كل تأطير وتأثير.